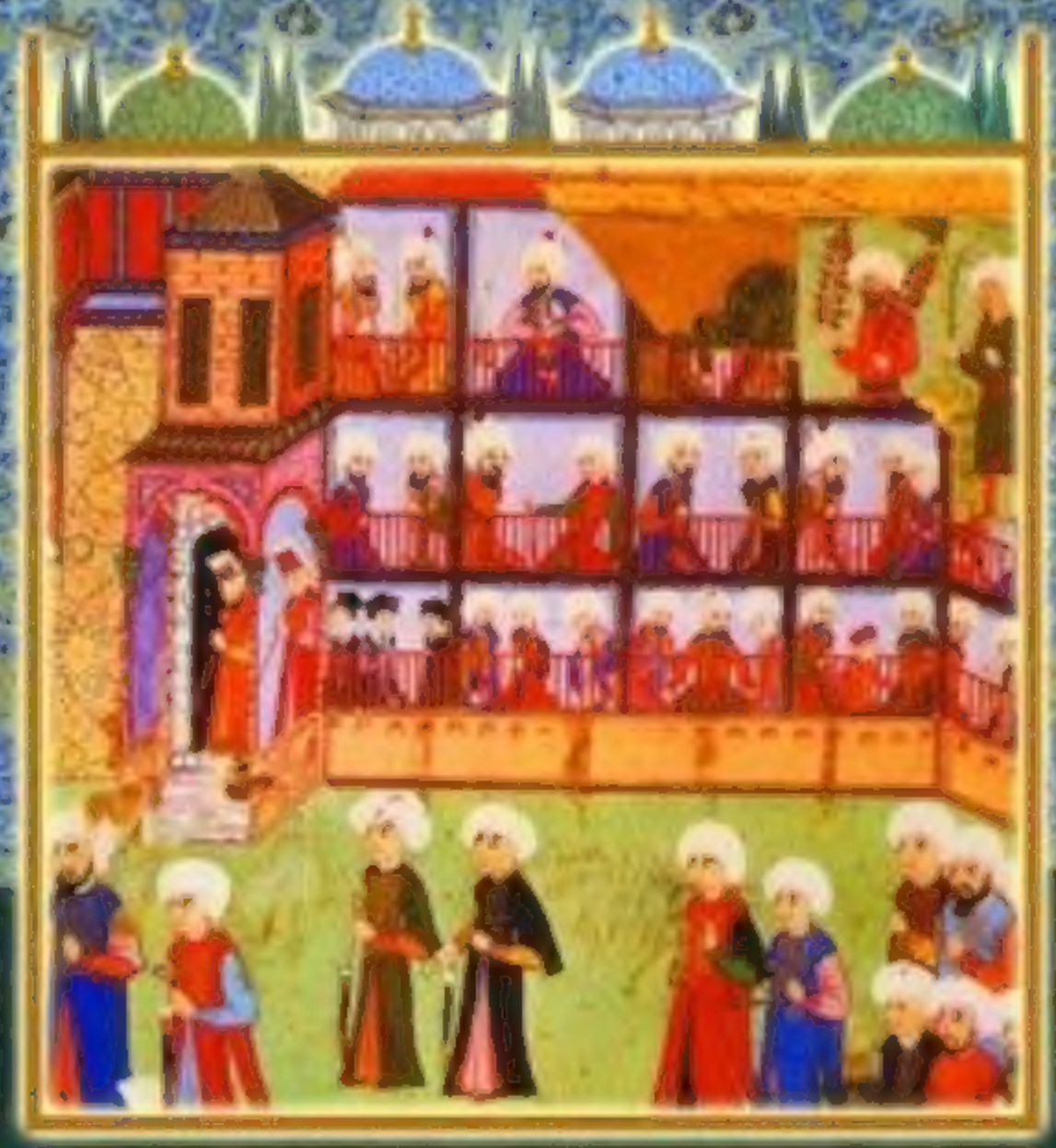


الملوك بعد جلال الدين الفارسي



تأليف : توران عبد الباقي جلبنارلي
ترجمة : عبدالله أحمد إبراهيم

المولوية بعد جلال الدين الرومي

تأليف : عبد الباقي جلبنارلى
ترجمة : عبد الله أحمد إبراهيم

المشروع القومي للترجمة

إشراف : د . جابر عصفور

– العدد : ٥٠٨

– المولوية بعد جلال الدين الرومي

– عبد الباقي جلبنارلي

– عبد الله أحمد إبراهيم

– الطبعة الأولى ٢٠٠٣

هذه ترجمة لكتاب :

MEVLIÂNÎÂ'DAN

SONRA

MEVLEVÎLIK

ABDÜLAKI GÖLPINARLI

INKILÂP ve AKA

KITABEVLERI

Ankara Caddesi No. 95-istanbul

Gözdén Geçirilmiş

ikinci Baski

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة .

شارع الجبلية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084.

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

المحتويات

7 مقدمة المترجم
11 مقدمة الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣ م
17 مقدمة الطبعة الثانية
19 توطئة
37 المصادر الأساسية فى تاريخ المولوية
القسم الأول - الممثلون الأولون	
47 الفصل الأول : الممثلون الأولون لمولانا وانتشار المولوية
61 الفصل الثانى : عصر سلطان ولد
99 الفصل الثالث : السمة الفكرية لسلطان ولد
115 الفصل الرابع : أولوعارف جلى
157 الفصل الخامس : الشليبيون بعد وفاة أولوعارف جلى
165 الفصل السادس : أسماء من اضطلعوا بنشر المولوية من غير شلبية قونية
207 الفصل السابع : الذين نشروا المولوية بمؤلفاتهم وآثارهم
245 الفصل الثامن : الشليبيون ومقام الشلبية

القسم الثانى - المولوية

295 الفصل الأول : الطريقة المولوية
383 الفصل الثانى : المولوية على مدار التاريخ
421 الفصل الثالث: المولوية فى مضمار الحياة السياسية والاجتماعية
463 الفصل الرابع : الطرق ذوات الصلة بالمولوية.....
521 الفصل الخامس : تكايا المولوية

القسم الثالث - آداب المولوية ومبادئها

581 الفصل الأول السماع والذكر « شعيرة والدوران »
613 الفصل الثانى : المراتب والدرجات عند المولوية
637 الفصل الثالث : عناصر المولوية وقواعدها
659 الفصل الرابع : الملابس عند المولوية والمصطلحات المولوية

القسم الرابع - الأدب المولوى والموسيقى المولوية

687 الفصل الأول : الأدب المولوى
717 الفصل الثانى : موسيقى المولوية

مقدمة المترجم

لا جرم أن القرن الثالث عشر الميلادي الذي نشأ فيه مولانا جلال الدين الرومي كان أسوأ عصر من عصور سلاجقة الأناضول وأشدّها تدهوراً واضمحلالاً . وانتهى عصر المشاحنات والحروب إبان الحقبة التي اعتلى فيها عز الدين كيكافوس الأول عرش البلاد ، وحل محل غياث الدين الأول الذي لقي حتفه في أتون الحروب التي استتارت في تلك الحقبة من الزمان ، ثم كان عصر علاء الدين كيكباد الذي كانت سنوات حكمه بمثابة أزهى حقبة لتلك الإمبراطورية المتحطمة التي تفسّخت وتقوض بنيانها بفعل الغزو المغولي .

وقد اضطلع علاء الدين بتعمير قلعتي سيواس وقونية وأصلحهما بعد الخراب الذي أصابهما ، ثم أسرع بإرسال جيش عرمرم إلى جهة الموصل من أجل حماية الخليفة العباسي من جحافل المغول الذين هموا بالزحف على هذه البلاد ، ثم خاض حرباً شعواء مع جلال الدين خوارزمشاه الذي أتعب المغول وقض مضجعهم ، وهكذا بذل علاء الدين قصارى جهده باضطلاع به بكل هذه الأشياء التي أشعرت الناس بالراحة والطمأنينة وراحة البال .

وكانت هذه الحقبة الزمنية بداية انتهاج سبيل سياسة خاطئة استخدمتها إمبراطورية السلاجقة بشأن الخوارزميين ، مما عجل بالتمهيد لانتهيار هذه الإمبراطورية واستئصال شأفتها .

وفي عام ١٢٤٢م زحف جيش مغولي مكون من ثلاثين ألف جندي نحو منطقة أرضروم تحت قيادة القائد « بايجو » الذي أعمل السيف والقتل في الخلائق أجمعين .

وكان القرن الثالث عشر الميلادي بمثابة العصر الذي اتحدت فيه الديانات والمذاهب مؤتلفة متلاحمة في منطقة الأناضول . وحدث نزاع بين هذه المذاهب والديانات نجم عنه التيار الصوفي الذي حقق للناس العثور على ضالتهم المنشودة في خضم هذه الأحداث ؛ فتنفسوا الصعداء بفضل هذا التصوف المقترن بفكر حر متقدم ، وأصبح هذا التيار الصوفي بمثابة ينبوع كبير للسلوك والعزاء لذلك الإنسان عن طريق التسامح الذي كفله التصوف بغير حدود . لقد وجد الناس في التصوف طمأنينة وسكينة مستلهمة من تجلى الحق - سبحانه وتعالى - بعد أن شاهدت نفوسهم ويئست أرواحهم من تلك الأحداث الجسام والخطوب التي حطمت قيود الزمان والمكان .

تطور التيار الصوفي واطرد نموه في الأناضول إبان القرن الثالث عشر الميلادي . فالسلاجقة اضطلعوا من ناحيتهم بإظهار تسامح بشأن الديانات والمذاهب ، ونبذوا التعصب وراء ظهورهم وآثروا العفو والصفح عن كل ما يتصل بالشئون الدينية والتيارات المذهبية التي ما طفقت تشيع في كل أرجاء الأناضول وتحيط به من كل جانب ، كما كان الغزو المغولي وما نجم عنه من اضطراب وقلق وغصة ولغوب سببا مباشرا في تطور التيار الصوفي ، كما كان هذا الغزو العاتى سببا قويا في هجر ثلة من الشعراء والشيوخ والعلماء من ذوى النفوذ القوى إلى منطقة الأناضول فرارا من جحافل المغول ، ونذكر منهم على سبيل المثال : فخر الدين عراقى (٦٨٨ هـ = ١٢٨٩ م) ونجم الدين دايه (٦٥٤ هـ = ١٢٥٣ م) وأوحد الدين كرامانى (٦٣٥ هـ = ١٢٣٧ م) وغيرهم . وما لبثت الأفكار والطرق الصوفية التي غذت المنتسبين إلى هؤلاء الشيوخ أن انتشرت في كل أرجاء الأناضول ، ثم التف الناس حول الشيخ صدر الدين قونيوى (٦٧٣ هـ = ١٢٧٤ م) ربيب الصوفى المشهور محى الدين بن عربى (٦٣٨ هـ = ١٢٤٠ م) ، وشارح كتابه المسمى الفصوص ، وبعد وفاته انتشرت الطريقة الأكبرية في إقليم الشام مقترنة في الوقت نفسه بظهور الطريقة الأحمدية الرفاعية بثعابينها وعقاربها واللعب بالنار وغرس

السفافيد(*) فى أجسادهم وغيرها من العادات الغريبة العجيبة التى كانوا يمارسونها على أعين الناس ، مما جعل هذه الطريقة من أشهر الطرق الرئيسية انتشارا وذيوع صيت فى الأناضول .

وكانت نزعة الناس ناحية التصوف وشدة ميلهم إليه سببا قويا جعل الوزراء والسلاطين وأكابر القوم ووجهاءهم يميلون بدورهم نحو هذا التيار الجارف . وقد قام عز الدين كيكافوس الأول إبان عصر الخليفة الناصر لدين الله بإرسال الشيخ مجد الدين إسحاق إلى بغداد حيث طلب إلى الخليفة سروال الفتوة ؛ فأسرع الخليفة وأرسل إليه العمامة السوداء وسروال الفتوة ومعهما البراءة أو الوثيقة الرسمية الدالة على ذلك . كان المذهب الشافعى والحنفى - وهما من المذاهب السنية - على درجة واحدة من المساواة فى كل أقاليم الأناضول ، ولم يكن مذهب المعتزلة ذا أهمية كبيرة .

وكان هذا القرن - الثامن عشر الميلادى - عصر التسامح لأولئك العلماء والمشتغلين بالقلعة اليونانية والأطباء المسلمين والنصارى والمُعابد والكنائس والمساجد الموجودة فى المدن على حد سواء .

ظهرت الطريقة المولوية فى خضم هذه الأحداث داعية إلى التسامح مستمسكة بطريق التصوف الإيجابى الذى يستثير الهم ويستنهض العزائم لمقاومة الأعداء ، ولم تركز هذه الطريقة ومريديها إلى التصوف السلبي المثبط للهم وفتور الحمية ، بل شاركت فى كل شئون الحياة فاثرت فيها وتأثرت بها وخاضت غمار الحروب وتقدمت الصفوف غير ناكصة على عقبها أو مرتدة على أدبارها ، فاثرت إحدى الحسنين إما النصر وإما الشهادة غير عابئة بزخرف الدنيا وزينتها ، لم تأبه المولوية بالتطلع إلى المناصب أو استشراف الدرجات والمنازل الدنيوية ؛ مما بوأها مكانة عالية فى المجتمع التركى خاصة والإسلامى عامة .

وقد حرص العالم التركى عبد الباقي جليبنارى - وهو مولوى النزعة والطريقة - على أن يعرض بين دفتى كتابه صورة مفصلة جامعة مانعة لكل أحوال هذه الطريقة منذ تأسيسها بعد موت جلال الدين الرومى حتى أفول نجمها وخمود شهرتها ، وقد

(*) جميع سفود ، وهو عود من حديد أو غيره ينظم فيه اللحم للشواء . (المراجعة اللغوية)

استقصى المؤلف المعلومات والوثائق التي تؤرخ للمولوية ، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة تتصل بها إلا وحرص على جمعها وتبويبها في دقة وأناة ودأب ، ثم ما يلبث أن يعرض مادته العملية باسطا إياها في نظام دقيق ، ولقد تيسرت للمؤلف السبل التي مكنته من تأليف هذا الكتاب القيم ، فهو يملك زمام اللغة الفارسية التي تخصص فيها وكان يدرسها في الجامعات التركية فأسلمت له قيادها واطلع من خلالها على صكوك الوقف والنصوص الفارسية في مظانها ومصادرها ، حتى إنه نقل المثنوى برمته من الفارسية إلى التركية في ستة أجزاء .

انتسب المؤلف إلى الطريقة المولوية في عمر مبكرة وهو لم يزل صبيا ، فاطلع على أسرارها وخبر طقوسها ونواميسها وما خفى من شئونها وأحوالها ، فرصد كل دخائل الطريقة وسبر أغوارها ، وأخذ يحلل الظروف والملابسات التي كانت سببا في نشأتها حتى بلغت أوج مجدها ، انتهاء بما آلت إليه أحوالها من تصدع وانحيار ، جعلها أثرا بعد عين وتاريخا مسطورا بين ثنايا المخطوطات والوقفيات ودواوين شعرائها الذين سجلوا فكرة هذه الطريقة ونزعتها ومنهجها في التصوف .

لا جرم أن هذا الكتاب وثيقة دامغة شاهدة على حقبة زمنية امتدت على مدار أحقاب طويلة شهدت كثيرا من الأحداث التي كانت لها عظيم الأثر في كل ما جرى بمنطقة الأناضول خاصة وآسيا الوسطى على العموم . إنه سجل تاريخي لا يستغنى عنه كل قارئ متخصص في شئون الترك وحضارتهم . إنه كتاب عظيم النفع جم الفائدة جديد في بابه ، ولا نغلو إذا قلنا إن العالم التركي عبد الباقي جلبنارلي كان أول من مهد السبيل للبحث في هذه الموضوعات الشائكة الشائقة ، فهو ابن تجديتها وآبو عذرتها ، فغفر الله له وجزاه الجزاء على حسن صنيعه . وأحمد الله جل علاه أن أعادني بمدد ممن عنده ووفقني إلى نقل هذه السفر الضخم إلى اللغة العربية راجيا منه سبحانه أن يكون في ميزان حسناتي وينفع به طلاب العالم . إنه نعم المولى ونعم المجيب .

مقدمة الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣

لكل دين أو مذهب أو طريقة مؤسس يضع لبنته ويقعد قواعده ، وهذا المؤسس هو الذى يظهر هذا الدين أو ذاك المذهب ويخمر عجينته الأولى ، ثم ما تلبث أن تتسع رقعة هذا الدين والطريقة وتنتشر مساحتها ، وكلما امتدت دائرة انتشارها فإنها سرعان ما تصطبغ بألوان وشيآت متباينة ، وكلما اتسعت منطلقة رحبة الآفاق فإنها إما أن تقوى ويشتد أزرها ويستوى عودها وإما أن تواتيها ظروف مجهولة تصيب جواهرها بالنصب وروحها بالعنت واللغوب ؛ وعليه فإن هذه الظروف تدرس ملياً واضعين إياها نصب أعيننا ، ثم ينظر الناقد أول ما ينظر إلى مصادرها الأساسية ، وبعد ذلك إما أن يمدحها وإما أن يقدحها ، وإما أن ينشغل بها ويهتم بشئونها ، وإما أن تكون له علاقة بالجمعيات التى تنأى بها بعيداً عن أصلها ، وما يلبث حينئذ أن ييبث فى تضاعيفها نبض الروح والحياة داخل نطاق الزمان والمكان ، وإذا ما صرفت الهمّة إلى التاريخ فإنه تسهل حينئذ مهمة من يتصدى للنقد وتتحد أطر هذه المهمة ويتسنى للناقد آنذاك أن يتناول هذه الدراسة بحسب معتقده ورأيه ، فينطق ويستنطق ويسرع إلى تقديم الحقيقة وتجلية موضوعه الذى يدرسه إما متقدماً إلى الأمام وإما ناكصاً على عقبيه . ناهيك عن أنه يستطيع كتابة هذا الموضوع ويعكس سيناريو هذا المجتمع على شاشة دور الخيالة البيضاء ، وتستفيد الموسيقى والشعر ويدخلهما فى بوتقة الشرح والتحليل ، بيد أن ما يروى من حقائق وما يحتفى به من عقيدة يقينية هو فى حقيقة أمره جماليات مقرونة بالخير والأريحية والصالح ، إنها أحداث شاذة غريبة غير مألوفة وثمة أرجاس وأدناس مقترنة بالقبح والشناعة ، وثمة كذابون أفاكون ينقلون هذه الأراجيف إلى الآخرين وسرعان ما تتناولها الأيدي بعد حقبة من الزمان

وتصبح موضوعاً مائتياً به فى مضمار العلم والمعرفة ، ثم نتساءل بعد ذلك : كيف شد هذا الموضوع انتباه القارئ ، وكيف انتقل إلى اللغة وكيف أحييت قيمه وكيف اكتسب الأداء الشاعرى وأصبح معبراً عن الحقيقة ؟

أيها القارئ : إننى أقدم بين يديك المولوية بعد مولانا جلال الدين الرومى ، هكذا أصابه سوء الحظ وشؤم الطالع ، وامتد نذير الشؤم هذا من محيط المقبرة التى شيدت لمولانا جلال الدين والتى تحمل اسمه ، وامتد كذلك من صفة التجلة والتوقير اللتين نمتا وترعرعتا حتى انتشرتتا فى الوطن والدنيا على حد سواء . لقد صنع منزلته فى التاريخ ، وتجلت آثاره التى لا تمحى فى الأفكار والأخلاق ، وبث فى نفوس الخلائق نبض الروح والحياة ، وذاع صيته حتى طبق آفاق القرى بالمدن كلها إبان عصره ويات الشغل الشاغل للزمرة المثقفة المستنيرة ، أما فى مضمار السياسة فكانت له أكثر من حملة واضحة المعالم وفق رؤيته الشخصية الذاتية ، كان يمثل أحياناً نقطة الارتداد والنكوص بصفة متفردة قائمة برأسها ، بيد أنه كان يثب فى مرات كثيرة إلى الأمام كالحصان الجامح ، وعندما انفصم عن الشعب أصبح ملكاً لزمرة منهم ، وتغلغل بقوته الدافعة فى نفوس هذه الزمرة ، ومن ثم تاكلت بنيته الذاتية ، ثم دنت خطوة خطوة إلى العدم والفناء ، وقد رأى هذا بعينه وأدرك كنهه ومغزاه ، ثم اقتبس من بيئته بحسب الأعراف والعادات السائدة فى ذلك الإبان وظل ثاوياً فى ذات نفسه بأعرافه وتقاليده وأدابه وسمته وصفاته ووفائه ووحدته عشقه وحالاته ، ومن ثم أصبح سرّاً مجهولاً ملفزاً غير معلوم .

كان المولوية يعتبرون أنفسهم رجال الله (صوفية الله) لأنهم كانوا يدركون كنه الوجود المطلق للذات الإلهية ، ومن ثم فإنهم فى مملكة السلطنة يوصدون الأبواب فى مواجهة الدنيا بغية إدراج هذه الفكرة ويصيحون ثملى بنشوة السلطنة المعنوية ، وأحياناً يكون هذا السكر متمثلاً بالنزعات الداخلية والمجاهدات الجوانية ، ثم تظهر هذه المجاهدات وتبرز وتتطور ثم يتسنى لها بعد ذلك أن تتخلص من الأفكار الدخيلة المشوشة . إن العالمين فى الشرق ليعلمون علم اليقين أنهم لا يحفلون كثيراً بدراسة

المجتمع ولا يولونها أهمية على الإطلاق ؛ فهم إما مستغرقون فى دراسة الأشخاص دراسة ذاتية زاهرة بالأساطير والمعتقدات الميتافيزيقية ، وإما يشغلون أنفسهم بألفاظ وكلمات محرومة من أصول العلم والمعرفة ، ملأى بأداء شاعرى وإنشائى . وقد بات من قبيل الميسور إمطة اللثام والكشف عن الحياة المادية والفكرية لمولانا جلال الدين الرومى على حد سواء ، وذلك عن طريق حمية البحث وغيره التمهيد والتدقيق بمثابة جادة ودراسة لا تعرف إلى الخوف سبيلاً ، ويرجع هذا فى المقام الأول لوجود كثير من المصادر القريبة من عصره . وكلما تصدينا لدراسة حياته دراسة نقدية تاريخية فإنها ما تلبث أن تتجلى أمام ناظرينا متألئة وهاجة ، كما أن هذه الدراسة تجلى الأحداث والوقائع الكائنة فى حياته وتبين عن هويته الفكرية عن طريق آثاره العلمية التى خلفها . غير أن المولوية لم يكونوا على هذه الشاكلة .

وها هو ذا ثاقب دده - وهو من المتأخرين الممثلين للرعى الأول للمولوية - قد ظل ثاوياً خلف ستار صفيق ملغز عن طريق كتاباته الإنسانية وعقيدته الدينية الخالصة . وهو يرى ألا زمان ولا مكان ولا قرون ، وأنها جميعاً لتذوب منصهرة فى غضون برهة من الزمان ، وأن المسافات تتسع لأفق المكان . ولما كانت المولوية بعد رحيل مولانا لم تتأسس فى حينها على مناسكه التى استنتها ، فإن الرسائل التى دبجت بشأن الطريقة ترجع إلى عصور جد متأخرة ، يبقى أن هذه الرسائل قد ظلت رازحة تحت تأثير هؤلاء الكتاب وأفكارهم أكثر من اضطلاعها بتقديم الهوية الأصيلة للطريقة المولوية ، كما أنهم عملوا كذلك على تثبيت وتأكيد الصفات الشخصية لهذه المؤسسات وكتابها ، بيد أن طريقة مولانا قد ظلت بالفعل بمعزل تام عن أفكار مؤسسيها ، حتى إن المولوية وأحباب مولانا قد فصموا هذا الصنيع عن مولانا وكأنهم كبخوا زمام أنفسهم ، كما أن شراح المثنوى كانت لهم مصادر رئيسية مكتوبة بشأن آثاره الأخرى ، وعليه فإنهم لم يشعروا بمسئوليتهم الحاجة إلى قراءة مقالات (شمس تبريزى) ، كما أنهم لم يفكروا ملياً فى شخصية مولانا الإنسانية الحقيقية والتى أضفت على التصوف شكلاً متميزاً وقالباً خاصاً باعتباره رجلاً مصلحاً فى

مضمارى الدين والتصوف ، وعلى هذا فإنهم اضطلعوا بشرح فكر مولانا معتمدين فى ذلك على ابن عربى الذى كان بمثابة ممثل لطريقة معارضة متناقضة لطريقة شمس الدين تبريزى الصديق الحميم لمولانا جلال الدين الرومى .

وفى لجة هذه الظروف جميعها أصبحت الكتابة فى تاريخ المولوية أمراً صعباً عسيراً . فإذا صدقنا بما قاله ثاقب دده فى هذا السبيل وعولنا عليه فإننا سوف لا نستطيع الاضطلاع بشئ سوى تكرار ما سبق قوله فى هذا الصدد . وإن أخوف ما يخيفنا فى هذه السبيل هو التفوه بالكذب الصراح ، وهذا غرض للبصر عن التاريخ واستخفاف به ، وسوف نكون ساعتهذ وكأنا لم نستطع رؤية الحقيقة ، ولم يتسن لنا تقديم البغية المطلوبة . وإذا تعذر علينا العثور على (شهيد الدين كلش أسرار) فقد كان ثمة تأثير لشموس مولانا فى نفوس الخلائق ، وكان هؤلاء يمثلون المولوية خير تمثيل ، ومن ثم ذاع صيتهم وانتشر حتى بلغ تخوم القرى ، بيد أننا لا نعلم بوجود قرى مولوية فى منطقة الأناضول وعليه فسوف لا يتسنى لنا إمطة اللثام عن أهم خلية تتصف بها هذه الطريقة ، وإذا كنا لم نعثر عليها فى قونية مع مرور الزمان وكر الأعوام وعجزنا كذلك عن تمحيص وفحص مكتبة المتحف ، مما تمخض عنه أننا لم نخط علماً بكثير من الرسائل . وإذا كانت هناك طائفة من الوثائق المهمة موجودة لدى (رسوخى بيقرا) نفسه ، ويوجد كذلك كثير من المستندات التى جمعت من أجل هذه المهمة من أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ، فإن هذه وتلك لم يتسن لها أن تقدم معلومات ضافية شافية فى هذا السبيل ، ومن ثم لم يتيسر فهم وإدراك كثير من الحقائق . وإذا كنا لم نبحث عن تاريخ صغير لمدة بضعة أسابيع فإننا لم نستطع الكشف عن شدة الحساسية وسرعة الغضب والنزق وسوف تكون كثير من النقاط سطحية غير جوهرية فى هذا السبيل .

وفى خاتمة المطاف فعندما نفتح أعيننا على الدنيا فى برهة من الزمان ، ولم نمزج آداب وأركان هذه الطريقة فى هذه البوتقة فلسوف يصيبها البلى والفناء ، وسوف نتعذر كتابتها من مجالات المعالم الرئيسية البارزة التى لا وجود لها ألبتة ، وحيثنا فإن تاريخ المولوية لن يضيع فحسب بل سيكون عرضة للنسيان . وقد صهرنا

هذا التقدير سالف الذكر فى هذه البوتقة ، بيد أننا نتنفس الصعداء بمجرد أن ولدنا ، فلقد تفتحت أعيننا على وجوه المولوية وألقينا مسامعنا إلى أنغامها ونواميسها وطقوسها وشعائرها ، فآمنا وأذعنا وأقتنعنا ، وشاهدنا واستغرقنا وأحسسنا ، وأدركتنا سورة الحميا وبكىنا وأبكينا . وفى خاتمة المطاف أزال الزمان غشاوة السديم التى رانت على أعيننا ، ثم ألقى بنا فى مضمار التفكير . ووجدنا أنه من الممكن أن نجد سبيلاً لنقد عقائدنا بالفعل ، وتحليل مشاعرنا بالحقيقة الواقعة . ولهذا السبب فقد تمخضت دراستنا فى هذه الكتابات عن نتائج محايدة غير منحازة . وحمادى القول فى هذا أن ثمة قسماً من هذا الكتاب يعتمد على التاريخ ، وآخر يعتمد على مشاهداتنا وما رأيناه رأى العين . ومن الممكن أن يرد بعض التكرار فى موضوع واحد لم يدرس ولم يتمحص بالقدر الكافى ، وقد استعنا بتقديم المناقب وإيراد رواية الوقائع والأحداث والنوادر بغية تجلية بعض الخصائص والخلال . وفى رأينا أنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان ، فقد وردت فى بعض الأحيان عبارات لم تزل فى حال من اليبوسة والجفاف . ومن ثم فإن وجه المعرفة والعلم المتجهم العبوس كان يبدو للقارئ على شاكلة جبة رسمية مسودة ، وليس ثمة حاجة إلى التفوه بهذا ونحسب أن عذرنا مقبول . ورغم كل هذا فقد أفرغنا وسعنا وبذلنا طوقنا فى استخدام أسلوب جذاب يشد الانتباه غير ممض للقارئ أو معنت له ولا أعلم أحالفنا التوفيق والنجاح فى هذا السبيل أم لا ؟

لسوف يرى القارئ أننا اتخذنا لأنفسنا شعاراً فحواه : عدم الانفصام عن الحياة ألبتة وعدم الانحياز والإحجام عن الأحكام الجازمة القاطعة ، وتمحيص المعلومات التى نقدمها وتدعيمها بالوثائق والحجج الدامغة وتقديم الوقائع والأحداث بأسبابها التى جلبتها وأحدثتها وتجلية النتائج التى تمخضت عنها ، كما أمطنا اللثام عن تطور الطريقة المولوية وتأسيسها وتفسخها وتقوض أركانها وأواصر علاقاتها ، والفروق الجوهرية التى أبرزتها وميزتها بسبب مشاعر ومفاهيم أولئك الذين اقتدوا طريقها واتبعوا سبيلها . كما استقصينا وتعقبنا كل ذلك على مر التاريخ ؛ فلم يكن كتابنا هذا ترجمة ذاتية فحسب ، بل كان من ناحية أخرى حشداً متراكباً من الوثائق والأسانيد .

ونحن نقدم كذلك الصفحات التي خلت منذ تأسست هذه الطريقة مدعومة بالتاريخ ، ونقدم هذا التاريخ بكلمة واحدة كذلك إلى أهل التصوف والتاريخ وإلى الشغوفين المولعين ، مستعينين في ذلك بالوثائق التي اقتبسناها من التاريخ ، ونحن مدينون بالفضل والعرفان إيان تدبيجنا لهذا الكتاب إلى كل من مد لنا يد العون ولا سيما إلى دار نشر (انقلاب) التي اضطلعت بطبع هذا الكتاب باذلة تضحية كبرى في هذا السبيل .

مقدمة الطبعة الثانية

لقد نفذت فى غضون فترة وجيزة الطبعة الأولى من هذا الكتاب التى طبعت سنة ١٩٥٣ واحتفظ هذا الكتاب الوحيد بميزاته وخصائصه .

ولما هممنا بإعداد الطبعة الثانية منه اضطلعنا بإضافة طائفة من الإضافات أثناء تصحيح بعض الهنات والأخطاء الطفيفة التى غفلنا عن ذكرها فى الطبعة الأولى . وقد أضفنا إلى البحث المعنون بعنوان (نماذج من الأدب المولوى) بعض الأشعار المولوية التى لم تنشر قط حتى الوقت الراهن والتى ظلت مطوية مطمورة فى صحائف المخطوطات . وها نحن أولاء نقدم بعد ثلاثين عاماً الطبعة الثانية من كتاب (المولوية بعد مولانا) والتى تحى الهوية التاريخية للطريقة المولوية .

ونزجى تكرار شكرنا ثانية إلى مكتبة (انقلاب وأقا) التى اضطلعت بطبع هذا الأثر النفيس بنفس التضحية والفداء .

توطئة

لا جرم أن السنوات الأخيرة من القرن الثالث عشر الميلادي كانت بمثابة نكبة شديدة الوطأة في منطقة الأناضول ، فقد تفسخت الحضارة السلجوقية وتقوضت أركانها ، وهوى سمط الاتحاد المركزي وانفرط عقده ، وانقض العمران وبات خراباً يباباً ، ودكت معالم الوجود الذي أقيم بنيانه على مر الأحقاب والدهور ، حدث كل هذا في غضون هذه الأعوام . إنها بنية واهنة العزيمة خائرة القوى صارت عباديد أباديد متردية في اضمحلال . إنه جسد واهن في سقم وإعياء ، يموج في هجرة وترحال . هذا وقد أوجزنا القول في كتابنا الموسوم باسم (مولانا جلال الدين) حيث عرضنا فيه لوصف الحالة الفكرية والسياسية لتلك الحقبة من الزمان ، ولقد جاء هذا الوصف كاملاً غير منقوص في هذا الكتاب الملصق إليه آنفاً ، وسوف يكتمل بصدور كتاب آخر .

وعندما هممنا بتدبيج كتابنا الثاني وجدنا أنفسنا مضطرين اضطراراً إلى الإسهاب في شرح هذا القرن بعينه وتجليته وإماطة اللثام عنه ، ثم الارتداد أخيراً نحو الماضي الغابر بغية استبانة الوقائع وتجليات الأحداث لسنوات البأس والشدة عندما أدركت المنية مولانا جلال الدين الرومي واعتلى غياث الدين كيخسرو الثالث سرير العرش ، وكان نائب السلطنة آنذاك (أمين الدين ميكائيل) الذي كان خراساني النجر والأرومة ، وكان مولانا يخاطبه (ابن البلد ورفيق الوطن) ، وأنت الأمير « تاج الدين معتز » كما حبه مولانا في نفوس الخلائق ، وقد كان هذا الأمير شديد الولوع للأريجية وحب الخيرات والحسنات . وكان كل من مجد الدين أتابكك وجلال الدين محمود مستوفيك وشرف الدين بن خاطر بيليربيك يحتفظون جميعاً بوظائفهم التي تقلدوها ، وكان الوزير آنذاك هو (صاحب آقا فخر الدين) ، ثم خلفه كذلك (معين الدين بروانه) . وكانت المملكة تنعم في تلك الآونة بقدر من السكينة

والهدوء النسبى ويعتقد أن الناس كانوا ينعمون كذلك ببعض الطمأنينة والدعة وراحة البال .

فى سنة ٦٧٦ هجرية (١٢٧٧ ميلادية) شرع كل من معين الدين بروانه وصاحبه فخر الدين فى الخروج إلى رحلة قاصدين خطبة خاتون ابنة ركن الدين قليج أرسلان الرابع إلى الحاكم الأيلخانى أباقا وإحضارها إليه ، وهذا يعنى أن ابنة السلطان المسلمة ستكون عروسا للحاكم المغولى عابد الأوثان ، وشاعت الشوائع بين الخلائق ، وشب نزاع وجدل شديد فى المملكة بين المتعصبين والمناوئين ، وكان نزاعا محتدما مترقبا بين عشية وضحاها .

من أجل هذا فقد ظلت أعين الزاهبين ثاوية خلف الصفوف ، وكانوا يذهبون فى تؤدة وأناة ، إذ إن عدم جلب العروس المطلوبة سوف يكلفهم أرواحهم ، ومن ثم فإنهم عانوا عناء شديداً فى شق طريقهم مجرجرين أقدامهم وكأنهم مذنبون آثمون .

ولقد كان هؤلاء الأمراء محقين فى تردددهم ، وفى الحق فإن واحداً من رجالات تاج الدين معتز ويدعى « شمس الدين كبجه لى » قد ترك أشغال الحكومة ووظائفها وانخرط فى طريق التصوف وأقنع كذلك « بيلريكى خاطر أوغلو » بسلوك هذا الطريق ، وعقد هذا الأمير العزم على محو الكفر واستئصال شأفته بغية إحياء الإسلام والنهوض به ، ثم اضطلع من ناحية أخرى بإرسال أخيه « زين الدين » إلى الشام من أجل طلب العون والمساعدة من حاكم مصر الملك بيبرس (ت ٦٧٦ هـ = ١٢٧٧ م) ، والذي كان عدوا لدودا للمغول .

وقبل أيام قلائل من هذه الواقعة كان زين الدين فى معية جلال الدين خوارزمشاه الذى ولى وجهه شطر الأناضول وخلف « بيجاور بهادر » حاكماً على منطقة خوارزم بعد أن أوقع بجيشها هزيمة نكراء ، ثم أردف قائلاً : لأذهبن إلى هناك ولأخذن الجزية السنوية من ديار بكر ، ثم انطلق بمعية جنده واتجه من هناك مولياً وجهه شطر بلاد الشام . وكان هناك ثلاثة أمراء وفى معيتهم طائفة من الأبطال قد اتبعوا سبيل خاطر أغلوا واقتدوا به . واستمد قوته وبأسه من هؤلاء ، وتيقن خاطر

أوغلو من المساعدة التى ستأتيه من الشام ومن ثم أخذ جنده فى معيته واحتفى بأطراف منطقة « نياده » ثم شن غارة على طائفة من جند المغول بلغ عددهم مائتين وأعمل فيهم السيف والتنكيل ، وبعد قليل دخل الأناضول بجند من الشام يقدر بستة آلاف .

وجاء السفراء ليخبروا عن حملة الملك الظاهر بيبرس ، وما لبث خاطر أوغلو أن بعث الأمراء إلى كل حذب وصوب بغية جمع المال والطعام والشراب وسائر الضرورات الأخرى لإطعام وإشباع هذا الجيش الذى جرد حملته لتخليص الإسلام من الكفر .

ولما أدرك كل من « بروانة صاحب وآتا فخر الدين » أن الأمر جلل والخطب عظيم توجهوا من فورهما إلى المغول وقصا عليهم ما ألت إليه الأحوال وعندما هم « خاطر أوغلو » بإرسال رسائل الفتوحات إلى كل مكان دون أن يستحوذ فى يده على شىء قط ، قام المغول بشن حملة وانسحب جند الشام مولين الأدبار إلى وطنهم . وأمسكوا شمس الدين كنجة بى وقتلوه .

أما خاطر أوغلو فقد لاذ بقلعة لولوا Lolova الكائنة بين منطقتى أدنة ونيادة ، بيد أن محافظ القلعة خشى من المغول وسلم القلعة إليهم ، وعلم إبان المحاكمة بأسماء سائر المشاركين فى هذه الحركة ، ثم قتل خاطر أوغلو ، وأخذت أموالهم على سبيل السلب والغنيمة .

ثم اشتعلت الثورة فى نفوس الخلائق فى سبيل الدين وزيادا عن حوزته باسم الشرف والعزة والكرامة ، ومن ثم فقد أعلنوا التمرد وشق عصا الطاعة . ثم بدأ أهل قره مان المناصرون والمشايعون لخطر أوغلو فأنصروا على منع المال وحجب الضريبة التى يؤدونها للمغول ، وسحب قائد الجيش « ختلى بدر الدين » على الفور الجند المرسلين إلى المناطق العليا ، وقبلوا بدفع مائة ألف دينار إلى الخزانة ، وطلب قائد الجيش ما هو أكثر من هذا بيد أن الجيش لا طاقة له بأكثر من هذا ، بيد أن القره ماينين المتبرمين من أرواحهم شنوا هجمة شرسة على المغول وأوقعوا بهم

الهزيمة ، واستولوا على أمتعة الجيش ومؤنه وعتاده ، وفى ذلك الإبان اتحد أترك المناطق العليا مع القره مانين ونهبوا قافلة للإفرنج ، أما أمير السواحل « خواجه يونس » الذى ذهب إلى المناطق العليا فإنه لم يرض بدوره عن حالة التفسخ والانحيار ، فما كان منه إلا أن طلب من القره مانين مزيدا من المال والعتاد مثلما فعل بدر الدين ، وبناء عليه فإن القره مانين الذين دخلوا الحرب وفى معيتهم أمراء المناطق العليا قد أوقعوا الهزيمة بخواجه يونس واستولوا على معدات وأمتعة الجيش بأسرها .

وفى ربيع سنة ٦٧٦ هـ = ١٢٧٨ م دخل الملك الظافر بيبرس الأناضول بجيش عرمرم جرار وأوقع بجيش المغول هزيمة نكراء . واتجه معين الدين صوب قيصرى ، ثم ولى هارباً من هناك إلى طوقات . ومكث بيبرس عشرة أيام فى قيصرى ، ولكن الموقف كان خطيراً ولا سبيل إلى العثور على المؤن والعتاد . ثم أقبل معين الدين فى معية الأمراء الآخرين ولم يعتبروا هذه الغارة شيئاً عابراً مؤقتاً ما يلبث أن يزول ، وتعاشوا مع المغول وعاشروهم ، ووجدوا منفعتهم ، وجاعوا من الأناضول حتى لا يسقطوا فى يد الغربية ، ومن ثم لم يعودوا تابعين للسلطان بيبرس ، بيد أن الأخير انكفاً راجعاً إلى وطنه وهو يقرع سن الندم على مجيئه هاهنا .

وإذا كان « آباقة » قد جاء فى ذلك الإبان بغية التنكيل بأهل الشام فإنه مكث حيناً فى أرزينجان ثم انقلت راجعاً منها ، بيد أنه لم يحط علماً بمجىء بيبرس ، ثم حضر فى معية معين الدين بروانة وقتله فى منطقة « آلا دغ » ولكن هذه الأحداث الأخيرة قد خلفت تأثيراً عميقاً فى نفوس وجهاء القوم وكبرائهم ، ومن ثم فإن مجد الدين آتابك قد أصابه المرض عند قفوله عائداً ماراً بآباقا ، وقضى نحبه فى سيواس .

أما تاج الدين معتز فقد توجه تلقاء أرزينجان فى معية آباقا ، وهناك قدم الأموال التى طلبها كل من آباقا وأمراء المغول ، وبذل جهده لتلبية الضرورات العاجلة للجند المحاربين ، ثم وافته المنية عقب ذلك . فى تلك الآونة ماتت زمرة كبيرة من علماء الدولة من ذوى التجارة والتوقيير ، ومن هؤلاء : قاضى عسكر حسام الدين وبعض العلماء الذين هاجروا من أوطانهم وتخلوا عن مناصبهم لانوا لاجئين بدولة الشام . فى أثناء ذلك العام نفسه فإن مولانا - كما شرحنا أنفاً - قد اضطهد عصيان

وتمرد جمري Cimni الذى كان قد روع وفزع منطقة وسط الأناضول ، وكان هنالك من يدعى « قيزيل حامد » وهو من جُباة الضرائب الذى أعمل التحريق والتدمير فى منطقة آق سراى .

حينئذ خرج الناس كلهم أجمعون من التجار وأرباب الحرف والبدالين وانتالوا جماعات حتى يتسنى لهم الوقوف فى وجه جحافل الجيش المغولى ، وقتل جلال الدين نفسه فى حومة هذه الحرب المستعرة ، ونجم عن هذا أن المغول أعملوا السيف فى فريق من الخلائق غير المذنبين وأسروا فريقا آخر ، وسلبت الأموال الزائدة عن حاجة قبزيل حامد فى هذه المدينة . وفى سنة ٦٨٠ هـ = ١٢٨١ م جلس غياث الدين مسعود وولده عز الدين كيكاس على عرش منطقة قيرمة « وولى وجهه صوب أرزينجان وأعلن الطاعة لأباقا ، ثم ذهب إلى مدينة قونية وأصبح سلطانا عليها . وبعد وفاة أباقا عام ١٢٨٨ م حل سلطان آخر محله .

واتفق كل من غياث الدين كيخسرو بن ركن الدين قليج أرسلان الرابع مع غياث الدين مسعود على تقسيم الدولة إلى قسمين اثنين حيث استمرت السلطنة على هذا النحو ، بيد أن غياث الدين كيخسرو لم يكن راضيا عن هذا التقسيم ، ومن ثم بدأ مسعود اعتلاء سرير السلطنة منفردا قائما برأسه . ومن ناحية أخرى ذهب نائب السلطنة معتز أو غلو مجبر الدين محمد إلى منطقة سلطانية واكتسب المحبة والصدقة باسم مسعود ، ثم قتل غياث كيخسرو وفى عام ٦٩٢ هـ = ١٢٨٣ م جاء أمراء المغول إلى أرزينجان وقضوا الشتاء فيها .

وكما لم يطلب صاحب آتا فخر الدين مساعدة الأمراء الآخرين لنفسه فإنه قد اضطر إلى أن يظل وحيدا من أجل إطعام هؤلاء جميعا ، حتى أصبح صفر اليدين خاوى الوفاض ، ولم يبق لديه مثقال حبة من ملك أو مال جمعه مدة خمسين عاما ، وأنتم أيها الأمراء لماذا صنعتُم هذه الفرمانات ؟ وماذا كنتم تعنون بها ؟ لقد جاءت جميعها باسمه ، وقالوا : فليقاس هو ألم الجند ثم أضافوا قائلين : من يأكل وحيدا يتقيأ وحيدا .

وفى عام ٦٨٥ هـ = ١٢٨٦ م جاء الأمير « كيجاتو » إلى سيواس ، ثم وصل من هناك إلى مدينة منطقة آق سراى عن طريق قيصرى . وفى تلك السنة عم الشتاء القارس وأحاط بالبلاد من كل جانب ومن ثم فإن طائفة من المدينين^(١) قد جمعوا متاعهم وتوزعوا أشتاتا متفرقين فى الوديان وشعاب الجبال ، ثم ووقع كيجاتو ثانية فى حرب مع صاحب فخر الدين لتغذية الجيش ، بيد أن المغول لم يكونوا فى هذه المرة ظالمين ، وبدأوا عمليات البيع والشراء مع البقية الباقية فى المدينة . ولما سمع أهل قيصرى ذلك انكفئوا إلى المدينة راجعين ، وغدا عملهم بعد ذلك هو البيع والشراء .

وفى العام عينه جاء مجير الدين محمد إلى سلطانية وعمل وزيرا لفخر الدين قزوينى ، وبهذه الطريقة تخلص من صاحب فخر الدين الذى لم يطق تحمله كثيرا . ومن المعلوم أن أراضى فخر الدين وضياعه كانت على مقربة من آق شهر ، فهاجر مرتحلا إلى قرية « نادر » Nedir حتى وافته المنية فيها سنة ٦٨٧ هـ = ١٢٥٨ م .

ولما توجب أن يكون فخر الدين هذا متبوعا فإنه لم يعين من قبل السلطان مسعود ، وعليه فقد كان الوزير الجديد فخر الدين قزوينى معينا من قبل المغول ، وكم كان هذا الوزير جاهلا إلى حد بعيد ، وكم كان كذلك متعسفا ظلوما ومن ثم فإنه مضى قدماً فى طلب المال وتحصيل الضرائب وقال لأحد شعراء هذا العصر :
أنا فخر الدين قد أتيت وأصبحت وزيرا مقدسا بعد صاحب فخر الدين ولقد تذكرت
هذه الحكمة فى هذا الاحتفال عندما أصبحت وزيرا وتقول هذه الحكمة « الخلف
يترحم على السلف ، واستكتب الشاعر قطعة أخرى^(٢) .

كان كل من السلطان مسعود ووزرائه ألعوبة فى يد المغول ، ولكنهم لم يتلاعبوا بالشعب ، وقد فسدت العلاقة آنذاك بين الوزير القزوينى ونائبه مجير الدين ، وأوجد المغول وزارة مشتركة مثلما أوجدوا سلطنة مشتركة ، فاختص القزوينى بالقسم الممتد من قيصرى حتى الولايات الواقعة فى الأطراف العليا ، واختص مجير الدين كذلك بالجزء الممتد من ولاية دانشمنديه حتى ولايات سيواس وطوقات والجزء الممتد من قسطنطينى حتى سواحل سينوب .

أما الضرائب التى كانوا يجيئونها من هنا وهناك فلسوف يقدمونها إلى المغول الذين سوف يساءلون أمامهم . وتذكر مليا أن هذا كان سببا فى عدم القدرة على جمع الضرائب وجبايتها فى هذا التقسيم سالف الذكر وجدير بالذكر أن حكم هذين الوزيرين قد استمر فى تلك الولايات عامين اثنين . هذا وقد نعم الجزء الذى يخص مجير الدين بنصيب من الهدوء النسبى ، أما القزوينى فحيثما وطئت قدمه موضعا فإنه يحل مع قدومه الظلم والهلاك .

وفى خاتمة المطاف استدعى كلا الحاكمين ومثلا أمام المغول ، ثم أرسل بهما بعد المحاكمة إلى منطقة «الأذغ» حيث قتل القزوينى ونجى مجير الدين وذلك فى عام ٦٨٩ هـ = ١٢٩٠ م . وفى غضون حين من الزمان تمرد أركون وشق عصا الطاعة ضد السلطان أحمد إبان عام ٦٨١ هـ = ١٢٠١٢ م ، وحينئذ مات « صاحب الديوان » الذى كان يحمى منطقة الأناضول ، وهذا يعنى أن وزير المغول علاء الدين جوينى قد لقى حتفه فى عام ٦٨٢ هـ = ١٢٨٣ م ، ثم مالبث « سعد الدين دوله » الذى اشتهر بالتعسف والجور والظلم أن ترقى إلى رتبة صاحب الديوان فى سنة ٦٩٠ هـ - ١٢٩١ م وقتل كذلك فى نفس العام ، كما مات أركون كذلك وخلفه « قايكوتى » حيث أصبح سلطانا .

وفى عام ٦٩٢ هـ = ١٢٩٢ تحرك « قايكوت » صوب الأناضول ، وفى ذلك الإبان كان ركن الدين قيلج أرسلان بن غياث الدين كيخسرو الثالث وأخو السلطان مسعود ذا رغبة عارمة فى أن يحط جائثا فوق إحدى المداخل الخربة المتحطمة ، وتوجه تلقاء قسطنطينى حيث خدعته العشائر الموجودة هناك وشقت عليه عصا الطاعة ، وحينئذ أمر كيجوتو كلا من السلطانين مسعود ومجير الدين بأن يعملوا سويا على سحق هذا التمرد والقضاء عليه قضاء مبرما ، وأرسل فى معيتهم جيشا مغوليا ليشارك فى هذا الهجوم ، بيد أن الدائرة دارت على المغول فى أول الأمر ، ووقع السلطان مسعود ومن فى معيته من الأمراء فى الأسر ، ولكن طائفة أخرى من جند المغول قد تعقبتهم وجاءت فى إثرهم وأنقذت السلطان والأمراء من الأسر وأوقعت بالتمرديين العصاة هزيمة منكرة .

وفى سنة ٦٩٥ هـ = ١٢٩٥ م توفى كيجوتو وحل محله عصر « بايدون » حيث فرق الأناضول وشنت شمله ، وكانت كل الوظائف فى يد المغول يعينون فيها من يشاعون . ومن جهة أخرى فقد أرسل سفراء المغول رغبة فى طلب المال ، بيد أن الأمراء كانوا نوى حمية وغيره فاستحوذوا على خزينة الدخل وجعلوها تحت أيديهم ، وتمخض عن هذا أن هدمت المساجد وانمحقت المشاعر الدينية للخلائق . وفى العام نفسه كانت نزعة الإسلام القوية للسلطان غازان محمود تبعث الأمل البهيج فى نفوس الخلائق ، وفى هذه المرة تمرد أحد الأمراء المغول ويدعى « تاكاجار » أما المدعو « عرب نويان بن سماقان نويان » فتوجه إلى طوقاى التى كانت عاصمة دانشمنديه ، ورغم أن « قومودان بالطو » تغلب عليه وقتله إلا أنه هو نفسه شرع فى عدم معرفة هذه العاصمة ، واستدعاه مع السفراء إلى سلطانيه ومنعه من الذهاب إلى السلطان مسعود ..

وفى عام ٦٩٦ هـ = ١٢٩٦ م أرسل غازان خان جيشا جرارا واستأصل شأقة هذا العصيان وأحضر السلطان مسعوداً كذلك إلى همدان واحتجزه مقبوضاً عليه منها ثم عين المغول محمد بك بن معين الدين بروانه والياً على الأناضول ، ومنحوا الرتب والوظائف الأخرى لمن يريدون ، بيد أن كل هؤلاء المعينيين كانوا يجلبون الضرائب بشق الأنفس من الخلائق ويأمرون بإرسالها ، ولهذا السبب كان الناس فى حالة من التعب والمشقة والضيق ممحوقين مضمحلين ، وكان لزاماً على السلطان مسعود المكوث فى الأناضول بغية الإقامة والثواء فى همدان ، وفى ذلك الإبان عُرف علاء الدين كيكباد بن فرامارز بن عز الدين كيكابوس سلطاناً على البلاد من عام ٦٩٨ هـ = ١٢٩٨ م ومالبت أمير جويان قائد جيش المغول فى تلك الحقبة أن جرد حملة عسكرية كبرى بسبب التمرد الذى شب من جديد ، ومن ثم فإنه توجه تلقاء الأناضول ، أما علاء الدين فكان وجلاً من القضاة المتمردين فشق طريقه قاصداً سلطانية ، وقابل فى الطريق غازان محمود خان الذى كان متوجهاً لشن حرب على بلاد الشام ، بيد أن غازان محمود خان ظن أن علاء الدين قادم بغية مساعدته ومظاهرتة فغشيه الحبور والسرور ، وعليه فقد منحه الأراضى الممتدة من أروم حتى أنطاليا ، ومن تخوم ديار بكر حتى سواحل سينوب ، وزوجه فتاة من نسل

حاكم المغول ، وازداد تدلل علاء الدين من هذا التلطف والكرم ، وعندما توجه صوب دياربكر بدأ من فوره فى سلب ونهب القرى والمدن التى جابهته فى الطريق ثم ذهب إلى أنطاليا وأراد الاستحواذ عليها ، بيد أن التوفيق خذله ولم يحالفه ، وجعل يضيق الخناق على الأثرياء المترفين فى كل موضع تطؤه قدماه إيان قفوله عائدا ناكصا على عقبيه ، ثم استعمل معهم صنوف العنت والتعذيب بغية استحراج أموالهم كرها ، حتى أنه أوسع أثرياء النصارى ضربا فى أحد الميادين لمناهضته ومعارضته الحكام المسلمين ، ولم يكتف بذلك بل هم بتحريقه فما كان من هذا المسكين إلا أن بذل كل ماله وأنقذ روحه من التهلكة .

وفى مدينة سيواس وفى اليوم السابع والعشرين من رمضان كان يعمد إلى ترقيص الخيل والمبارزة بالعصى حتى وقت العصر ، كما كان يأكل الطعام ويشرب فى وقت العصر على أعين الناس أجمعين .

وقد أدرك الأمراء أنه لا طاقة لهم بفعل شئ ضد هذا الحاكم اللعبة المتدلل فشكوه إلى « أبو شقة » الوالى العام لمنطقة الأناضول فاستدعاه ونقله إلى سهل « يياتلو » حيث أكره الناس على بذل أموالهم ، فضلاً عن الآلات المصنوعة من الذهب المصمت والتى تكفى خمسة آلاف من الحيوانات ، ويأتى ضمن هذه الأموال المقتصبة بذلك ما يعرف بالمذيلة ^(٣) أو الكفل ، وإذا كان الحيوان واحدا فله عقد ذهبى زنة ألف ومائتى مثقال ، ثم أرسل علاء الدين إلى سلطانية ، وحوكم هنالك وكان على وشك القتل إلا أن زوجه تشفعت له فأنقذ من الموت وجلد فى ميدان عام ، وألقى السلطان المجلود الروح فى نفوس الناس . وكان الأمراء يريدون جمع المال من الأمة حتى يملأوا عين المغول ويشبعوا أهل الجشع والطمع الذين لا يملأ أعينهم إلا التراب وبينما هم يجبون الضرائب شح المطر وأجدبت البلاد ولم يبق ما يؤكل من عشب أو كلاً فى منطقة قونية وما يجاورها وهناك تمرد وعصيان وقتال ونزاع ومصادرة أموال وضرائب ياهظة ، وموت وهلاك وكان عاقبة هذا القحط والجذب أن أصبح الناس فى حال من العدم والهلاك ، حتى بلغ الحال بأهل آق سراى أن أكلوا لحوم الموتى وامتلات الآبار بعظامهم ، وسفكت دماء الخلائق أجمعين بسبب وباء القحط ، أما

جريرة ظلم رجالات الحكم فقد أهلكت السلطنة العظيمة وقوضت أركانها ، وقد نظم بيت من الشعر يشير في الأعم والأغلب إلى المقتول من جراء المخمصة المهلكة التي أصابت الخلائق^(٤) .

وفي سنة ٧٠٣ هـ = ١٣٠٣ م أصبح غيات الدين مسعود سلطانا ، وأدركت المنية غازان محمد خان في العام الذي تلاه ، واعتلى سرير العرش بعده أولجاي تو محمد خدابنده لقد تفسخت السلطة الموطدة وتقوض بنيانها ، بيد أن شوكة الإيلخانيين القوية قد دالت ، وبات من العسير إدخال الأناضول في دائرة إدارة منظمة شديدة الأسر ، ولم تنفذ بعد غارات العصاة المتمردين المتعاقبة في إثر بعضها البعض ، أما أرينجين نويان فلم يغادر ظلما لم يفعل مثله قبل في الأناضول ، حيث قدم إليها بجيش مغولي ، وكان هناك شخص يدعى إلياس قد لاذ بإحدى نزل الضيافة بمنطقة « عالية » الكائنة في طريق آق سراي .

ومن ثم فإن أرينجين نويان قد هدم هذا النزل بسبب تمرد إلياس وشقه عصا الطاعة ، ويعد أثما كل من يضطلع بإعادة تعمير هذا النزل ، وكان من عادة أرينجين إعمال السيف في رقاب أهل آق سراي جميعا .

وأقدم على ضرب الشيخ جمال الدين خواجه خاموش الذي بلغ عمره مائة عام ، وجرد أتباعه ومريديه من كل ما جمعه من ثروة ومتاع . وفر أرينجين نويان هربا من القره ماينين ، وأنقذ من الهلاك في إحدى نزل الضيافة بمنطقة عالية والتجأ لأندا بقلعة « أيوب حصار » منقذا روحه من التهلكة ، ولكن من يدعى « ممرشن » قد أمسك به وقتله .

ونهب أمواله وممتلكاته ، واضطر أحد رجالاته ممن أوغلوا في التعذيب والاضطهاد إلى الإفضاء بسر ثروته وماله . أما أهل الأناضول الذين لا قبل لهم بالعثور على عشب يأكلونه فقد وجدوا أن هذا الأمير صاحب الخيرات قد استطاع حمل أمواله فوق بغلين اثنين ، وتحدث هذا الأمير مع سلطان ولد ، وكان أفلاكي يرى أن هذا الأمير الظلوم مسلم ، وقد عمد إلى سلب مدينة نيكساري برمتها ، وإذا

منطقة الأناضول ، بيد أنه تشاجر مدة من الزمان مع ارينحين نويان الذى لم يكن يعرف النفوذ أو السلطة ، ولكن تيمور طاش قد استأصل شأفته وقضى عليه ، وبدأ يحكم بالعدل المطلق فى الأناضول ، بيد أن هذه العدالة قد اصطبغت بالتعصب الشديد والغلبة والفظاظة ، ومنعت الخمر وأصبح ذكر اسمها جريمة كبرى ، وأمر اليهود والنصارى بارتداء ثياب ذات لون مختلف تميزهم عن المسلمين ، ويروى أن السلاجقة المنتسبين إلى سلالة الحاكم هم الذين استأصوا شأفة هذا الإنسان العادل وقضوا عليه وفى سنة ٧٢٠ هـ = ١٣٢٠ م فتح هذا الأمير المتعصب مدينة قونية ولما بدأ فى عدم الإنصات إلى الحكم المركزى تحرك الأمير جويان سنة ٧٢٢ هـ = ١٣٢٢ م مرة ثانية وتوجه تلقاء الأناضول ، ثم عاد إلى العاصمة فى معية ولده تيمور طاش وهو مطاطى الرأس منفذ للأمر ، وعفا الإيلخانيون عن تيمور طاش وأرسل مرة ثانية إلى الأناضول وعند مجيئه الثانى بدأت الأمور فى الأناضول تدار كلية باسمه حتى إن اسم تيمور طاش كان يذكر فى الخطب المنبرية ، وضربت العملة باسمه واعتبر نفسه المهدي المنتظر ، كما تدخل تيمور طاش فى العلاقة بين المصريين من ناحية وأعدائهم الروحيين من سائر المغول والإيلخانيين من ناحية أخرى ، وكان هو وأبوه منتسبين إلى سلالة الإيلخانيين ، وقد قتل هؤلاء الإيلخانيون الأمير جويان ، وعليه فقد ترك الأناضول فى معية واحد من سلالة « نويانلر » ويدعى علاء الدين ارتان ، ثم لاذ بمصر لاجئاً إليها وقتل فيها ، وقد انفرط عقد الإيلخانيين وفت فى عضدهم إيان زمن سلطنة أبى سعيد بها درخان ، وبدأت طائفة من الأفراد فى إدارة دفة الحكم فى دولتهم بأسمائهم ، ولهذا السبب اتجهت الدولة نحو التقوض والانحيار ، وما لبث الجيش الذى أنفذوه إلى الأناضول أن فقد قوته ووهنت عزائمه تماماً .

وهكذا ظهرت فى الأناضول إمارات صغيرة وكبيرة مستقرة موطدة الأركان محررة من الغزو المغولى ، ومن بين الإمارات إمارتا برونة أوغوللر وصاحب أنا أوغوللر اللتان ظهرتتا فى إحدى المدن ، وبدوا وكأنهما يحكمان على شاكلة الأمراء الإقطاعيين أصحاب الحكم المستبد المطلق كما وجدت ولايات أخرى حاکمة فى هذه المنطقة أمثال : أزمير أوغوللر ، أيدين أو غلر سرخون أوغلر ، منتشن أوغوللر ، تكة أوغوللر ، أشرف أوغوللر ، حامدا وغوللر ، كرميان أوغوللر وأمراء لادك ، جاندار أوغوللر ،

ذو القادر أوغولر ، رمضان أوغولر ، قره سى أوغولر ، قره سى أوغولر ، كما اضطلعت أهم ولاية من هؤلاء جميعا بالاستحواذ على مكان السلاجقة ، وهذه الولاية هى عثمان أوغولر التى جعلت تناضل وتكافح حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى .

كما ظهرت كذلك إمارة قره مان أوغلو التى حازت أهمية كبرى وبلغت شأوا عظيما من الناحية التاريخية ، وثمة ولايات أخرى سلف ذكرها وانتشرت وذاع صيتها إبان انتشار وذيوع صيت المولوية ، ومنها - باستثناء قره مان أوغولر - إمارات أيدين أوغولر ، صاحب أوغولر ، أشرف أوغولر ، كرميان أوغولر ، وإمارات لاديك ومنتش أوغولر ، وكانت هذه الإمارات جميعا تتقاتل مع بعضها البعض تارة ، أو تدخل فى حروب مع عثمان أوغولر تارة أخرى ، حتى أصبح من بينهم من يبيعون المدن إلى العثمانيين . كما حدث تزواج ومصاهرة بينهم وبين العثمانيين ، بيد أن العثمانيين فى نهاية الأمر قد استأصلوا شأفتهم وقضوا عليهم جميعاً واحدة تلو أخرى .

وبعد أن أوجزنا هذا التاريخ ، يتسنى لنا البدء فى سرد وشرح تأسيس الطريقة المولوية وانتشارها وذيوع صيتها ، هكذا كانت الدولة ، وهذا ما آل إليه شأن الشعب ، فثمة جمهرة غفيرة محرومة من الترف المادى وبُحبوحة العيش فاثروا النشوة والانجذاب الروحى فى لجة عالم معنوى ينعم بالدعة وطمأنينة البال .

كانت هنالك ظروف مواتية لانتشار التصوف ، كما أن البيئة ولا جرم لم تكن غريبة عن هذا التيار الصوفى ، وقد وجدت القلندرية فى الأناضول قبيل ظهور مولانا جلال الدين الرومى وعرفت فى سائر أرجاء الأناضول ، وكانت خواجه مبارك حيدرى يحب مولانا حبا جما ويجلّى عشقه هذا ولا يداجيه .

وقد كان هذا الشخص فيما بعد خليفة لقطب الدين حيدرى مؤسس الطريقة (ت ٦١٨ هـ = ١٢٢١ م) - وكان يعيش فى قونية^(٥).

وكان ثمة بقية باقية من البابية التى اضطلعت بالتنكيل بثورة العصيان الشعبى التى ثبت آنذاك ومن بين أولئك الذين اتبعوا سبيل أكابر المتصوفة الذين نشئوا فى ذلك الإبان باباً صلتوق الذى توفى قبل عام ١٣٠٠ م ، والشاعر التركى العظيم

يونس أمره ١٣٢٠ ، والشيخ بابا طابدوق ، وباراق بابا (توفي ١٣٠٧ م) والذي كان خليفة لصاري صالتوق . وثمة زمرة أخرى تسمت بأسماء صالتوق وباراق ممن اجتمعوا والتفوا حول هؤلاء المشايخ ذوي السطوة والنفوذ ^(٦) . وأعقب هؤلاء جميعاً : بابا بكتاش (ت ٦٦٩ هـ = ١٢٧١ م) ، والذي يعد بمثابة الممثل لسائر الطرق الشيعية الباطنية التي أسست باسمه فيما بعد - وقد التف حوله خلق كثير ^(٧) .

وقد عرف دراويش الشيخ أحمد الرفاعي في الأناضول في ذلك الإبان ، كما وفد إلى قونية كذلك سيدى تاج الدين الرفاعي إبان عصر مولانا ، وكان لهؤلاء الدراويش ألعاب بالنار والثعابين يشاهدها أهل قونية .

حتى أن زوج مولانا كانت تريد رؤية هؤلاء الدراويش ، بيد أن مولانا كان لا يأذن لها في الذهاب ويرى أن ألعاب هؤلاء ضرب من العبث ^(٨) .

وكان لأرباب الفتوة انتشار عظيم الشأن في شتى أرجاء الأناضول . وفضلاً عما كان موجوداً في قونية ، فقد وجدت كذلك تكية الكازروني التي اضطلع بتشبيدها السلطان محمد بن علاء الدين بك من نسل قره مان أوغولر ، وكان هذا في عام ٨٢١ هـ = ١٤١٨ م ، وقد ولد الكازروني بمقاطعة كازرون بشيراز سنة ١٣٠٥ م وأسس طريقة سنية مغالية تعتمد على المذهب الحنبلي .

ووجدت كذلك تكايا كثيرة تحمل أسماء هؤلاء المنتسبين إلى طريقة أبي إسحاق إبراهيم بن شهریار الكازروني ^(٩) .

وكانت هناك أيضاً الطريقة التي أسسها الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي (ت ١٢٤٠ م) والتي كانت بمثابة أكبر منافس قوى للمولوية بين هذه الطرق كلها وكان ربيبة المحدث الصوفي صدر الدين قونوي (ت ١٢٧٤ م) ممثلاً للطريقة الأكبرية ، ومن أتباع هذه الطريقة الأمراء معين الدين بروانة وخاطر أوغلو مجد الدين أتابك ، وجلال الدين مستوفي . وتقول الوثائق التي في حوزتنا إن ثمة زمرة كبيرة من

العلماء كانوا موجودين آنذاك حيث يجتمعون ويتدارسون علم الحديث على يد الشيخ صدر الدين ، وكان لهؤلاء العلماء سطوة نافذة في ذلك الإبان^(١٠) .

ولكن محيي الدين بن عربي كان مكافحا مناضلا ضد الوقائع والأحداث التي حدثت في مستقبل الأيام ، وكان أشد قربا من حادثة ظهور المهدي المنتظر التي ظهرت سنة ٦١٣ هـ = ١٢١٦ م ، كما كان يشاهد الأشياء التي لا يراها الناس بأعينهم في سنة ٦٦٦ هـ = ٢٦٨ م ، وظل يقول حتى سنة ٦٨٣ هـ = ١٢٨٤ م بنزول عيسى عليه السلام^(١١) .

ويصفه خاصة ما ذكره صدر الله في وصيته من هجرات أتباعه وحواريه إلى بلاد الشام^(١٢) ، أما مريدوه فقد تفرقوا وتوزعوا ، وعلى هذا النحو كانت الأناضول كذلك مع محيي الدين وحيدة متفردة عن صدر الدين الذي خلف أسماء وكتبها صعبة عسيرة الفهم ، وإن الذين اضطلعوا اعتبارا من هذه اللحظة بتدوين المثنوى والديوان الأكبر لم يتناولوا أولئك الذين يزعمون تملك التصوف فحسب ، ولقد كان مولانا شغوفًا بالشعر ، محبوبا من كل شخص .

ومن ثم فإنه بدأ يقرأ ويدرس وأصبح مرشحا منتخبا دائما للتجديد عن طريق الشروح التي اضطلع بها أشخاص من أرباب الإدراك والفتنة والرأي السديد ، هذا وقد ظلت الطريقة الكازرونية مستترة عندما وفدت إلى الأناضول مع الغزو المغولي .

ولم يكن مركزها الأناضول ، وكانت تناقض الجامعة السلجوقية بمبادئها الصارمة الشديدة ، ومن ثم فإنه لم يتسن لها الاستحواذ على البيئة المحيطة بها . أما مولانا فقد كان شاعرا ألمعيا أربيا وصاحب فكر ينزع نحو العشق والتسامح الإنساني والعطف على الفلسفة المارقة عن الدين . كانت المولوية طريقة فنية شابة نشأت في مضمار لم يعرف المنافسة قط ثم ما لبثت أن بدأت في الانتشار والذيع برجال أمثال منظمها ومنشئها سلطان ولد والو أشرف جلي ورجال آخرين متصفين بالغيرة والحماس وسورة الحميا ، ثم ظهرت الطريقة الأحمدية ثم أعقبتها طريقة وُسُمت باسم الرفاعية واتصفت بالذيع والانتشار في الأناضول ، ثم ما لبثت أن قوى عودها واشتد أزرها على يد أرباب الفتوة حتى باتت ذراع الفتوة وساعدها القوى . وهكذا

فلم يكن للمولوية من منافس إيان تأسيسها وانتشارها سوى طوائف الشيعة الباطنية ، بيد أن هذه الطوائف ما لبثت هي الأخرى أن صارت بمنأى عن التوحد ولم الشمل وتنظيم الصفوف . وفى تلك الحقبة عينها انبثقت المولوية مع هذه الطوائف ومن نفس المصدر والمنبع أى من الخراسانية .

وثمة فرق جلى بين كلتا الطريقتين من ناحية المعرفة الصوفية والروحية ، وليس ثمة فرق يذكر بينهما من ناحية الخلال والسجايا الخلقية ، ولزام علينا ألا ننسى فى هذا السبيل ما رأيناه بجلاء تام من السمات والخصائص الباطنية لدى كثير من أكابر المولوية بداءة من « أولو عارف جلى » (١٢) .

وإذا ما عرضنا لأحوال أهل الفتوة ألفيناهم قد ائتلفوا والتحموا فى نسيج واحد مع المولوية بدءاً من عصر مولانا وذلك رغم المعارضات التى كانت تحدث بين المولوية بين الفينة والأخرى .

كما كان يوجد كثير من الآخيان من خلفاء المولوية ، وهاهو ذا الشيخ مبارك حيدرى كان مخلصاً صادق الود لمولانا كما كان جلى حسام الدين يعمل فى بستانه ، وكان أفلاكى قد هوى فى لجة عشق هذه الزمرة حتى أنه كان يعمل فى تنسيق البساتين . وكان حيران أميرجى خليفة باراق بابا مرتبطاً ارتباطاً وثيق العرى بمولانا ، كما كان أولو عارف جلى لا يحب الطرق الصوفية ويزدريها دائماً ، إلا أنه التقى بمولانا فى سلطانية ، وتوطدت أواصر المحبة والود بينهما ، أما حيران أميرجى فقد توجه تلقاء قونية بغية زيارة قبر مولانا بعد موته ، والتقى أولو عارف جلى بمولانا ثانية إبان قدومه إلى سلطانية .

وهكذا نرى أنه على الرغم من أن العقيدة الدينية ترتبط مع بعضها البعض ارتباطاً وثيق العرى حتى من ناحية المراسم والطقوس والشعائر إلا أنها تظل شيعاً وطوائف متفرقة ، ولم يتسن لها أن تكون كائناً حياً ذا لحمة وسدى ، ولكن الخراسانيين قد تركوا الميدان مفتوحاً على مصراعيه لانتشار المولوية وإذاعة صيتها ، كانت أفعال مولانا إنسانية شعبية ، وهو ذو شخصية مصلحة ملأى بالنشوة وسورة

الحميا حتى إن أشعاره لم تزل حية لم تبل جدتها ، فهي ثاوية في الذكر ماثلة في الأخلاق . ناهيك عن أن كل شخص من المتصوفة الأولين قد نال منه الرضا والقبول ، ومنهم كذلك أولئك الأبطال الذين تحدرُوا من نسله فرأوه والتفوا حوله .

وقد اضطر الأمراء إبان هذه الحقبة المتردية إلى النزوع نحو قناعات التصوف بغية تلهية أنفسهم وتسليتها ، وحولوا دفة مستقبلهم صوب همة هؤلاء المتصوفة كما اضطروا كذلك إلى الارتباط بالشعب الذي قبل وارتضى بدوره هؤلاء الأولياء المتصوفة . أما الشيوخ في هذه البيئة المضطربة القلقة فقد اضطلعوا بدور ذي شقين اثنين :

أولهما - أنهم باتوا ذوي نفوذ مؤثر في نفوس الأمراء ، ثانيهما - أنهم نجحوا في وضع أساس سلطة نافذة في نفوس الشعب فضلا عن تأثيرهم الجلى في الأمراء أنفسهم . وهكذا كان للمتصوفة سطوة نافذة في الشعب ، كما رزح الأمراء أنفسهم تحت وطأة هذه السيطرة القوية ، وكان إصلاح مولانا إنسانيا حقا في مجالس السماع إبان تلك الحقبة من الزمان أو كان هذا الإصلاح يطوى بين طياته إبهام التصوف الذي يكتنفه اللبس والغموض ، كما أن أسباط مولانا كانوا شعبيين ممثلين للأرستقراطية خير تمثيل مندمجين مرتكزين في المولوية لا يبغيون عنها حولا .

الهوامش

- (١) المدينى هو ساكن المدينة ، ويسمى بالتركية Sehirli (المترجم) .
- (٢) من بعهد فخر الدين صاحب مكر : بعد ازوايا شد ملكرا فرخنده تر فخرى قزوینى جو صاحب شویدین آیین ورسم : ابن مست یاد من آمدل فونج همکفتم یسر کنده تر (من نشریات المجمع التاريخى باقى سراى - انقرة ١٩٤٤ ، ص ١٥٣ .
- (٣) المذيلة أو الكفل هي : جلد يوضع تحت ذيل الفرس ، أو سير تشد به الرجل (مترجم) .
- (٤) أى وباء قحط نوران خون خلقى بودهدر : والرؤيا لى جورى ديوان مال ملكى بودهبدا .
- (٥) انظر مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية : ص ٢٤٠ : ٢٤١ .
- (٦) انظر : ما ورد بشأن صلتوق وباراق بابا وصالتوقلر وباراقليلر : عبد الباقي كلبنارلى : يونس أمرة : حياته : إستانبول - مطبعة إقبال سنة ١٩٣٦ م : ص ٤٩ ، ٢٦٧ ، ٢٧٤ .
- (٧) انظر : مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية : من ص ٢٣٨/٢٣ .
- (٨) المصدر السابق : الطبعة الثانية : ص ٢٢٧ .
- (٩) وهذا هو نص نقوش التكية بنصها « أمر السلطان الأعظم والخاقان المعظم صاحب الخيرات والحسنات السلطان محمد ابن الامير السعيد الشهيد المرحوم المغفور له علاء الدين بك أيد الله مملكته وتقبل خيراته بعمارة هذه الزاوية المطهرة ، المنسوب إلى قطب المشايخ والسالكين شيخ أبى إسحاق إبراهيم شهریار الكارونى تغمده بغفرانه فى شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثمانمائة من الهجرة ، محمد بك الذى سلف ذكره على النقوش سنة ٧٩٤ هـ - ١٣٩١ م كان قد تقاتل مع عثمانلى أوغلر فى منطقة أقجة بمقاطعة كرميان وهزم فى هذه الحرب ، وهو ابن علاء الدين الذى قتل على يد تيمور طاش باشا وأنجبه من نفيسة سلطان ابنة السلطان مراد الأول ويفهم من هذه النقوش بجلاء تام أنه كان أميراً على إمارة قره مان سنة ٨٢١ هـ - ١٤١٨ م . أما أبو إسحاق كازرونى فخلفه بعد موت خليفته الإمام خطيب أبى القاسم عبد الكريم بن على بن سعد الدين أوغلو سنة ١٠٥٠ ، خلفه من بعده أخوه خطيب أبو سعد الدين إمام أبو بكر محمد بن عبد الكريم (ت ٥٠٢ هـ - ١١٠٨) الذى كتب منقبة مخطوطة بالعربية وأورد فيها « الفرشى أفيرنج بن جمال الدين أمير شيخ ابن با يزيد ، وقد كتبها خليفته المرشد وسمها رسالة المناقب » فردوس المرشدية فى أسرار الصمدية « وهى مخطوطة ثانية محفوظة فى متحف قونية تحت رقم ٨١٦ . انظر نفحات الأنس للامعى ، إستانبول ١٢٨٩ ، وص ٢٩٧ - ٢٩٨ بغية التعرف على السيرة الذاتية لأبى إسحق .
- (١٠) نشرت هذه الوثيقة المهمة فى رسائل مولانا ص ١٨ ، ١٧ .

(١١) هذه الرسالة في حق المهدي : إستانبول - آيا صوفيا K, d, e ، وتحتوى على رسائل ابن سينا رقم ٢٨ ، ٩ ، وهى الرسالة الأخيرة من مجلة (لو) وتحمل اسم رسالة فى أمر المهدي للشيخ صدر الدين الفونيوى ، وتتضمن هذه المجلة الأوراق من ص ١٦٨ A ، B ، ١٨ ، وقد قورنت بنسخة أخرى مسجلة تحت رقم ٨١ B ، ٨٧ B لسنة ٨٩٧ هـ - ١٢٩٧ م . شوهدت صفحات المجلة أثناء التجليد ، والصفحة الأولى ١٨٧ . A. D

(١٢) مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية . ص ٢٣٢ ، وملاحظة ٨٤ فى الصحيفة عينها .

(١٣) نفس المصدر : ص ٥٧ - ٦٤ - ١٣٦ - ١٤٣ .

المصادر الأساسية لتاريخ المولوية

١- رسالة « سهسالر في مناقب خداوندكار ومناقب العارفين » :

لقد بحثنا هذين الكتابين وناقشناهما في كتابنا « مولانا جلال الدين » (ص ٣١ - ٣٢) ، وهذان الكتابان هما أول مصدر في التعريف بعصر انتشار المولوية ، وقد كتب الكتاب الثانى بأمر من أولو عارف جليى .

ورغم أن المعلومات الواردة فيه شديدة الاقتضاب إلا أننا وجدنا فيه أوثق المعلومات وأقواها فيما يخص الخلفاء الأولين للمولوية ، وقد كتب هذا السفر بالفارسية ، واضطلع البروفسور « تحسين يازيجى » بشرحه بإيضاحات كاشفة ، ثم نشرته الجمعية التاريخية التركية فى جزأين اثنتين ، وترجمه إلى التركية بعد حين سيدنا ناصر عبد الباقي (ت ١٢٣٦ هـ = ١٨٢١ م) مشفوعا ببعض الإضافات ، وكان هذا الشيخ شيخاً للتكية المولوية فى « ينى قابى » ويقول المترجم فى صدر ترجمته : إنه أقدم على هذه الترجمة بأمر من عمه « سعيد أحمد دده » (ت ١٢٢٨ هـ = ١٨١٣ م) .

وعندما أنجز المترجم ما بين خمسة إلى ستة أجزاء اضطلع الموسيقى « مصاحب أحمد أغا » (ت ١٢٠٨ هـ = ١٧٩٤ م) بإعلان السلطان سليم الثالث حتى تكون الترجمة صادرة باسمه ، وبناء عليه أمر السلطان بإنهاء الترجمة والفراغ منها على وجه السرعة ، وعليه فقد أنهى المترجم الترجمة فى يوم الجمعة الموافق السابع عشر من شهر جمادى الأولى لسنة (١٢١٢ هـ = ١٧٩٧ م) .

وهذه الترجمة مدرجة بين ثنايا كتب حافظ باشا بمكتبة السلیمانیة بإستانبول ورقمها ١١٢٦ ، وبعد انقضاء أجل الشيخ الأول لتكية المولوية فى « ينى قابى »

سنة ١٠٢٦ هـ = ١٦١٧ م اضطلع من بعده « آق شهرلى كمال أحمد دده » بترجمة هذا الكتاب بعينه إلى التركية ترجمة مختصرة منظومة ، وهذه النسخة مدونة تحت رقم ٢٨ فى القسم الملحق بإضافات خالد أفندى بمكتبه السليمانية ، ثم اضطلع مؤلف مجهول باختصار الكتاب نفسه وترجمته إلى التركية . أما اسم الكتاب فهو « مناقب العارفين ومراتب الكاشفين » .

(بروفيسور هيلموت ريتير Helmuth Ritter مولانا جلال الدين الرومى ومن حوله ، مجلة التركيات ، ج ٧ - ٨ ، إستانبول ١٩٤٢ ، ص ٢٨٠) أما رسالة « سبهسالر » فقد اضطلع بترجمتها إلى التركية « أحمد عونى قونوق » (ت ١٩٣٨) وسماها « مناقب حضرت مولانا جلال الدين الرومى » ثم طبعت فى إستانبول سنة ١٣٣١ هـ ، ثم اضطلع منحت بهارى جامى بالترجمة الثانية ، ثم طبعت هذه الترجمة سنة ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م بمطبعة سلانيك بإستانبول .

وفى عام ٩٤٧ هـ = ١٥٤٠ م اضطلع عبد الوهاب بن جلال الدين محمد الهمدانى بإعادة كتاب « مناقب العارفين » مرة أخرى مختصرة بالفارسية وسماها « ثواقب المناقب » وعبد الوهاب هذا هو أحد أبناء الشيخ النقشبندى فى همدان ، هاجر إلى مصر ومكث حيناً من الزمن فى تكية المولوية بالقاهرة ، ثم انتقل إلى المدينة المنورة فى السنوات الأخيرة من عمره وتوفى بها سنة ١٥٤٧ هـ ثم اضطلع الصوفى سامى خليل (ت ٩٥٤ هـ = ١٥٤٣ م) بترجمة ثواقب المناقب إلى التركية مشفوعة ببعض التعديلات وقدمها إلى السلطان سليمان القانونى ، وثمة نسخة منها مسجلة تحت رقم ٥٠ بالقسم الملحق بحالت أفندى .

ويقول الدرويش محمود فى صدر مقدمته « إنه عندما قدم إلى إستانبول التقى بشارح المثنوى شمعى بعد عام واحد (ت ١٠٠٥ هـ = ١٥٩٦ م) ، وقال له إنه مشغول بالترجمة فأخبر شمعى بدوره السلطان مراد ت ١٠٠٤ هـ = ٥٩٥ م بهذا الأمر حيث أمر بإتمام الترجمة بواسطة « زبرك آغا » وبناء عليه توجه تلقاء قونية سنة ٩٩٨ هـ = ١٥٩٠ م وعلم أنه أتم الترجمة . وثمة نسخ كثيرة مخطوطة من هذه

الترجمة وهي محفوظة في قسم التركيات بمدينة إستانبول تحت رقم ٢٦٢١ ، وهناك تلخيص لكتاب الثواقب مدرج في مكتبة آيا صوفيا تحت رقم ٢٠٥٣ .

وقد اضطلع خدام ضريح مولانا في قونية ويدعى (لقمانى دده) سنة ٩١٠ هـ = ١٥٠٤ م بترجمة رسالة سبهسالر ومناقب العارفين نظماً إلى التركية مشفوعة ببعض التعديلات والإضافات . وقد جعل لقمانى دده مناقب العارفين في ترجمته أساساً عول عليه أكثر من سبهسالر ، وثمة نسخة قديمة من هذه الترجمة مسجلة تحت رقم ٢٤٤٠ ومدرجة بين ثانيا المخطوطات التركية بمكتبة جامعة إستانبول وإن ما كتبناه حتى ها هنا يعد أساساً ومصدراً لسائر الآثار كلها ، وهي مناقب أقالكى مقرونة برسالة سبهالر .

٢ - سفينة نفيسة المولوية :

هي سفر من أجزاء ثلاثة دجه « ثاقب مصطفى دده » (ت ١١٤٨ هـ = ١٧٣٥ م) عندما كان شيخ التكية الأرجونية المولوية التى أسست باسم جلال الدين أرجون جلبى فى مدينة كوتاهية ، وقد اختص الجزء الأول بترجمة السيرة الذاتية لأولئك الصوفية الذين كانوا شيوخاً فى تكية مولانا بقونية منذ انتهاء مناقب العارفين حتى عصر المؤلف ، ويعرض هذا الجزء لمؤسسى تكايا المولوية فى كل من قره حصار وكوتاهية ، بيد أنه يبدأ من الناحية الأساسية فى شرح السيرة الذاتية لهؤلاء المتصوفة المنتسبين إلى مولانا جلال الدين الرومى وانفرد الجزء الثانى بسرد الشيوخ الذين تقلدوا منصب المشيخة فى مختلف التكايا ، أما الجزء الثالث فاختص بأولئك الصوفية الدراويش المعروفين بالشهرة العريضة وذووع الصيت بين ظهرانى المولوية .

اتبع ثاقب دده سبيل كتب الطبقات واختط خطهم ، وكتب فى الأقسام الأخيرة من الجزئين الأول والثانى ترجمة ذاتية لنساء المولوية ، ومتن الكتاب من القطع الكبير ، وعدد صفحاته خمس وأربعون وستمائة صفحة ، وطبع بالمطبعة الوهابية بمصر فى سنة ١٢٨٣ هـ = ١٨٦٦ م . وهذا الكاتب مكتظ برمته بالاصطلاحات ، بيد

أنه من الناحية التاريخية حافل زاخر بكثير من الأخطاء الكبيرة كما ستشير إلى ذلك في مواضع متباعدة من كتابنا ، ومن المتعذر التماس الفائدة من هذا السفر دون الاستعانة بطرائق النقد التاريخي الصارمة . ومن المحتمل أن يكون ثاقب دده قد صدق كل الروايات التي سمعها ومن ثم عول عليها ، ومن المحتمل كذلك أنه لم يناقش كثيراً من الأخطاء دون العلم بها ، وهذا تزيف للتاريخ وتشويه لصورته ، ومن أسف ومن المستحيل كذلك أن نظل في غناء عن هذا الكشف لأنه المصدر الوحيد الذي بين أيدينا .

٣ - تذكرة شعراء المولوية :

هي تذكرة « أسرار محمد دده » (ت ١٢١١ هـ = ١٧٩٧ / ٩٦ م) وتخص شعراء المولوية وهي أشعار اختارها وجمعها الشاعر المشهور غالب أسعد دده (ت ١٤١٢ هـ = ١٧٩٩ م) والذي كان شيخاً للطريقة المولوية في « غلطة » ، ومرشداً للشيخ أسرار محمد دده ، وقد جاء هذا الكتاب على هذا الشكل مقرونا بترجمة ذاتية لهؤلاء الشعراء ، وهذا ما يذكره أسرار في صدر هذا الكتاب وهو يأمر شيخه بكتابة السيرة الذاتية لأولئك الشيوخ والدراويش وخلفائهم الذين جاؤا بعد سفينة الشيخ ثاقب دده ، ويقول إنه قد وجد الفرصة مواتية لتقديم ترجمة للشيخ « غريبي أبو بكر جليبي » بيد أن الأجل لم يطل به ، حيث توفي أسرار دده في السنة التي أتم فيها تذكرة شعراء المولوية .

ومن العسير الاستفادة من هذه التذكرة إذا لم نستمسك بالنقد التاريخي وتتبع سبيله ، فالمؤلف قد جعل مصدره كتاب السفينة ، كما أنه لم يدر بخلذه نقد هذا الكتاب وتقنيده ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإننا نراه بغيرته وحميته المولوية يظهر لنا الصوفي « روى » وهو حروفي الطريقة ومن فرسان الانكشارية على أنه درويش مولوى يطوف من بلدة إلى أخرى (انظر مقالة لنا بدائرة المعارف الشهرية - ج ٤ - عدد ٤٧ ، فارسي ١٩٤٨ ، ص ١٣٧٠ - ١٣٧٣) .

كما يجعل من الصوفى عرشى الحروفى البكتاشى مولويا ، وقد اضطلع شخص يدعى « على أنور » باختصار تذكرة أسرار دده ، وأعاد كتابتها من جديد باسم « سماع خانة أدب » ، كما طبعت فى مطبعة العالم بإستانبول ١٨٩١ - ١٨٩٢ م .

٤ - شرح حقائق أذكار مولانا :

كتب هذا الأثر « سيد محمد فاضل باشا بن أبو سنة سرايلى مصطفى نور الدين نقشبندى » سنة ١٢٨٣ هـ - ١٨٦٦ م ، وطبع فى نفس العام بمطبعة بو سنة لى محرم أفندى . وهذا الكتاب كما يفهم من اسمه غير مقصور على شرح أورد وأذكار مولانا المرتبة بعد قرنين من وفاته ، كما يعرض كذلك لسلسلة مولانا ويسرد أسماء الدراويش الذين تبوعوا منصب المشيخة فى تكية مولانا وهو يفصل القول فى شيوخ تكية المولوية فى كل من غلطة واللاذقية ، ويسوق الحديث عن تكايا المولوية الموجودة فى دولة عثمان أوغولر .

ورغم أن الكثرة الكاثرة من هذه التفاصيل جاءت على شكل قائمة منفصلة قائمة برأسها إلا أنها فى مجملها عرض لمعلومات تكاد تصطبغ بصبغة المصدر الذى يعول عليه فى تاريخ المولوية . وتوفى محمد فاضل باشا سنة ١٢٩٩ هـ - ١٨٨٢ م ، وعدد صفحات كتابه سبع وأربعون وأربعمئة صحيفة ، ويتضمن معلومات عن ذات نفسه .

٥ - تكية مولوية « ينى قابى » :

كتب هذا الأثر المرحوم محمد ضيا (ت ١٩٢٧ م) المدير السابق المختص بنظارة المعارف والذى ارتبط كثيراً بالمولوية وعقد لها احتفالا تذكاريًا ، وألف هذا الأثر فى عام ١٠٠٥ هـ - ١٥٩٧ م خارج باب أسوار استنابول باسم « ينى قابى » ويحمل اسم كمال أحمد دده المتوفى بعد عام ١٠٢٦ هـ = ١٦١٧ م ، ويتضمن هذا الأثر ترجمة للسيرة الذاتية لشيوخ تكية المولوية وتاريخ إنشائها وتعميرها .

٦ - حديقة الجوامع :

هو سفر وضعه إسماعيل أوغلو حافظ حسين أيوان سرايى ، وهو كتاب يختص بعرض سيرة ذاتية لمساجد إستانبول ومنشئها ، وخاصة ما أنشئ منها عام ١٨٣٧ م ، وقد اضطلع على ساطع (ت ١٨٤٢ م) بإضافة لواحق إلى بعض مواضع الكتاب وطبعت النسخة التى طبعها على ساطع سنة ١٢٨١ هـ = ١٨٦٤ م بالمطبعة الأميرية بإستانبول فى جزأين اثنتين ، ويتضمن هذا الكتاب الذى وضعه أيون سرايى المتوفى سنة ١٧٨٦ م معلومات تتصل بشيوخ تكايا المولوية الكائنة بمدينة إستانبول ، ومن ثم فإن لهذا الكتاب صلة وثيقة العرى بتاريخ المولوية ، وقد اضطلع مترجم عاصم (ت ١٢٣٤ هـ = ١٨١٩ م) بتصحيح تنقيح النسخة الأصلية من الكتاب ، وهو مسجل تحت رقم ٨٦٨ بمكتبة جامعة إستانبول .

٧ - تكايا المولوية فى إستانبول :

هما كتابان اضطلع بوضعهما نوري أبو السعود أوغلو الكاتب الخصوصى السابق للمشيخة ويتضمن الكتاب الأول تفصيلا عن تكايا المولوية فى كل من مدينتى قابى وبهارية ، ويتضمن الثانى سيرة ذاتية للأشخاص المعروفين والمنتسبين إلى تكايا المولوية فى « كولة قلبى » وغلطة ، وقد تم كتاب ضيالك القسم الأول من الكتاب الأول لهذا الكتاب ، وهكذا ترى أن المصادر التى جاءت بعد كتاب أفلاكى « مناقب العارفين » لا تقارن به بأى شكل من الأشكال من الناحية التاريخية ، ولكن ماذا عسانا أن نصنع ؟

(فهذه المصادر توجد بمنأى عن أيدينا ومن ثم فإننا اضطررنا إلى تكميل وتتميم هذه المصادر بالتواريخ والمعلومات الموجودة فى الدوريات والمجلات وكذلك ما تسنى لنا من سجلات الأرشيف) .

وليس بين أيدينا أية معلومات قط تتصل بتأسيس الطريقة ومنهجها وطرائق تنظيمها ، ولكن بأى صورة تأسست أركان وأداب الطريقة معتمدة على التجارب والمشاهدة والرؤية المعاينة فى هذا التأسيس ؟ ومن ثم يستوجب الكد والمعاناة بغية إثبات هذا بالأدلة والبراهين عن طريق بعض المستندات والكتب التى أحصيناها أنفا ، والسبب فى هذا أن كل الأسماء المشاهدة فى ثبت مصادرها وكذلك جميع الرسائل والكتب المتعلقة بمراسم وأصول وقواعد الطريقة المولوية قد دونت جميعها بعد تأسيس الطريقة بوقت كاف ، وفى نفس الوقت فإننا نجد فى هذه الرسائل عبارات تنبئ عن مشارب هؤلاء الكتاب ومذاهبهم الشخصية واقتناعهم الذاتى أكثر من اهتمامهم بالدعامات الأساسية للطريقة ذاتها .

القسم الأول

الممثلون الأولون

الفصل الأول

الممثلون الأولون لمولانا وانتشار المولوية

بعد مولانا - المشاهدون لمولانا عند جلبى حسام الدين - خليفة جلبى
حسام الدين - المقبرة واجتماعات المحبين لمولانا حول أطرافها - عقيدة جلبى
حسام الدين ونفوذه والعشق الذى نما تجاهه - وفاة جلبى حسام الدين .

بعد مولانا :

لقد قُبرت قونية فى صمت رهيب عميق الأغوار ، حتى أنه ليسمع نشيجها وتردد
أنفاسها ، ثم ما لبثت التنهيدات أن تضاعفت رويداً رويداً ، وكأن نبض السكوت
يخفق ، وكأن هذه الأشياء قد دفنت بداخله ، ماذا أصاب هذه العوالم وماذا دهاك
أيتها الدنا ، يا لها من قدرة خالقة !! كانت قونية تفكر ملياً ، كما كانت الدنيا تفكر
كذلك فى قونية . هذا هو سطح الغبراء ، تارة يفور كالجدول الجارى ، وتارة يرى
وكأنه بحيرة راكدة ساكنة أو يصبح نهراً مسدود المسالك حيناً ، أو يكون بحراً دون
شاطئ أو حافة ، حتى أنه يغلى من قرارة نفسه فى أهدأ الأوقات وأكثرها سكوناً ،
ويلثم الشاطئ كذلك فى أشد لحظاته ثورة وجيشاناً .

وثمة ريح واحدة ، إنها تهب عاصفة ، وكلما هبت لاتنبئ الأفنان عن الوصال ،
والأرض منقطرة متصدعة تفتح صدرها للرحمة ، ورودها متفتحة تُجرى الحديث على

لسان البلابل ، وكلما داعبت الريح الأشجار ولاطفتها انبعثت منها آلاف الأنغام ، وإذا ما مست الريح المحاصيل فإنها تضرب الأرض وتثني مولى وجهها صوب السماوات ، وينجم عن هذا نموذج لأجمل وأبدع الرقصات ، وثمة لهيب واحد ، بيد أنه ينضج بلظاه كل نبي غير ناضج ، وقد يصير بحركته نيباً ، واللهب يحيط الأرض بالحرارة ، ويستحيل ماء يفتح باطن التراب ، ثم يتصاعد بخاراً فى كبد السماء ويكون مطراً يهطل فوق الغبراء ، إنه زمن الحياة ، يلف ويدور دون توقف أو سكون .

أكان مولانا كذلك ولا جرم ؟ أو أنك تراه على هذه الشاكلة ، ومن الممكن أن تظهر أنت كذلك وتبرزه ، بيد أن سائلاً يسأل سؤالاً ، ويقع فى لجة الشك والارتياب ، إنه حينئذ لم يقرأ بعد كتابنا المرسوم باسم « مولانا جلال الدين » ، فقد كتبنا هذا الكتاب ، بيد أن مولانا قد تكلم ، وهو فى هذا الكتاب كان شارحاً بنفسه ذات نفسه ، فقد ظل منفرداً وحيداً مع هذا الكتاب ، أما القراء فإنهم يظلون كذلك فى معينه متفردين قائمين بأنفسهم ، يستمعون من مولانا إلى مولانا ، قالت جماعة ذات يوم للشيخ جلبى حسام الدين إنه يشرح ويفسر كلمات مولانا فى صورة رائعة الجمال ، حينئذ قال جلبى حسام الدين متبسماً : إن ألفاظ مولانا تشبه المرآة وكل شخص يرى شيئاً واحداً فى هذه المرآة وما يراه هو ذات نفسه . وثمة آلاف مؤلفة من الأنهار تصب فى البحر ، بيد أنها جميعاً لا يتأنى لها أن تكون بحراً نعم لو شرحنا مولانا فلسوف نتردى فى لجة الخطأ بعينه ، ولكن أكون هذا حقاً ؟ فالزاهد يرى الزهد متمثلاً فيه والمتصوف يرى التصوف ثاوياً فيه ، وبلهاء الكرامة يتحدثون عن كرامته ، والمفتونون بالشعر يتحدثون عن أشعاره ، بيد أننا قد تركنا له الكلمة ، فتولى هو بنفسه شرح ذاته بكلماته والإبانة عن هوية فكره ، وفصلت ألفاظه القول عن حياته ، ولهذا السبب فإننا نتفوه بأرائنا نحن ، بل نتحدث عن الحقيقة ، إنه رجل عظيم متفوه بما يأتية من أعلى عليين ، ولم يدع الرفعة والسموق والكبرياء ، فهو يعلم أنه ابن لكل ما هو موجود كائن على وجه البسيطة ، وهو يحب وجه الغبراء ويجرى فوق سطحها ، ويهب فوق ترابها ، ويسخن سطح الأرض ثم هو يمتزج مختلطاً بوجهها .

فمولانا إنسان وهو ابن إنسان ، ومولانا إنسان يدرك كنه الأديان جميعا ، بيد أنه يتسنىم ذروة تعلو فوق الأديان ، فقد كان يسجد للإنسان ، وكان مؤسسا ومقعدا لدين العشق والإنسانية ، كما كان يبشر بالأحادية والاتحاد والحقيقة الذاتية ، ومن ثم فإنه احتضن الشعب وعانقه ، وكان كتابه المقدس المثنوى بمثابة حانوت لهذه الأحادية وذلك الاتحاد^(١) .

كان يرى الدنيا وجودا وكيثونة دائمة^(٢) « ماذا لو أصبح الإنسان على شاكلة الدر ، فإن البحر يقطع عنه كأس الخمر ، هل فتح مختلف البشر أفواههم للدنيا ، إنها تصبح لقمة سائغة لهم ، فما الدنيا إلا لقمة ، بيد أنها ليست للذباب ، إنها لقمة الإنسان ، فهو قد ولد من الدنيا وهو ابنها^(٣) » يمثل هذه الكلمات لم ينقصم مولانا عن الدنيا ، بل كان مفكرا عظيما أبدى ارتباطا وثيقا بالعيشة وكان يرى أن الموت شيء طبيعي ، حتى أنه فى رأيه ليس إلا تساقط سنة واحدة مهتزة متساقطة ، ومن ثم فإن الدنيا والحياة لم تضعفا ولم يصبهما البلى والدثور ، ومن ثم فإنها تتغير وتتبدل من زمن إلى آخر ، ولهذا السبب فإن السن الساقط لن يحل محلها أخرى جديدة تظهر بدلا منها^(٤) .

ومن هذه النظرة كان مولانا رجلا يؤمن يقينا بالأبدية الكائنة فى هذا العالم ، وكان يقول : إن تراب المقبرة مثل جرعة الخمر .

وإن روحى داخل بدنى تثبت فوق كبد السماوات ، لأننى نور مجسم ، ولست سلطانا ، ولأنزلن من فوق سرير العرش ولأركبن التابوت وتكون الأبدية هى خط وكتابة امرى وفرحانى^(٥) .

المشاهدون لمولانا عند جلبى حسام الدين :

كان مولانا مبكيا للشعب ، مهيجا لسورة حمياه ، مثيرا لدهشته ، ساحرا للبه ، ثم ما لبث فى النهاية أن صار غصة مقبورة فى لجة صمت رهيب جليل مهيب .

وما إن تبوأ منزلة في الأفئدة حتى ثار جدل حول مسألة من سيخلفه من أتباعه المحيطين به ولم تجد قضية مشيخة الطريقة إيان زمن مولانا سبيلا إلى إثارتها أو الجهر بها . فقد كان رجلا مصلحا ، واضطلع بتأسيس ضرب من العشق والإنسانية والاتحاد ، ولم يكن رجلا مفتونا بنفسه ، ولم يك كذلك مجذوبا مولها مستغرقا في لجة الأطياف والخيالات الصوفية الغيبية وانتقل من الفردانية وانتشر في نفوس الخلئق والكائنات ، مقتاتا بال جذب ، وأحبه أولئك الذين أعجبهم الطريق الذي طوره بالرقص والموسيقى وغدوا له من العاشقين ، وقدموا له وجودهم وكيوناتهم ، ومن ثم فإنهم وجدوا فيه إنسانيتهم وذوات أنفسهم ، وقد أوصى سالكي الطريق بشمس الدين ثم صلاح الدين من بعده ثم حسام الدين في عقبه ، أما سالكو سبيل العشق والإنسانية فقد اتبعوا سبيل أولئك النفر الذين اصطفاهم مولانا واجتباهم ، واضطلع هؤلاء جميعا بحماية وصيانة هذه الزمرة المجتمعة من العاشقين .

وكان العاشقون بدورهم يرون مولانا متمثلا في هؤلاء الخلفاء ، فمن ياترى سيمثل الوجود المعنوي عندما يضطلع بتقويض الوجود المادي لمولانا ؟ أهو حسام الدين ؟ أم ولده سلطان ولد ؟

تفيد رواية أفلاكي أن مولانا قال لسائليه عن هذه المسألة إيان مرضه الأخير أكون جليبي حسامنا هو الخليفة ، وتكرر السؤال مرات ثلاثا ، وكررت الإجابة كذلك ثلاثا (١٨٨) أما الذين اتبعوا هذا القول فإنهم وجدوه أكثر صوابا ، ومن ثم فإنهم لم يغيروا فيه شيئا قط ، ولتضرب الصفح عن أولئك الذين اقتدوا بحسام الدين واتبعوا سبيله إيان عصر مولانا ، كما كانت توجد طائفة أخرى تبغى اتباع واقتداء سلطان ولد (بهسالر : ص ١٩٨ - ١٩٩) بيد أن سلطان ولد كان مقتديا بوالده في هذا الشأن ، وكان غلاما مطيعا لم يخرج على قولة أبيه مقدار ذرة واحدة ، كما أنه اتبع شمسنا واقتدى به بناء على وصية أبيه إيان حياته .

ثم اتبع كذلك كلا من حسام الدين ومن بعده صلاح الدين ، ولم يكن من الميسور التظاهر بدعوى الكبر والعظمة إيان حياة حسام الدين ، ويشرح سلطان ولد هذه الواقعة في كتابه « ابتدئنا » على هذا النحو فيقول (قال حسام الدين : إنك

أنت الرجل المتبع والمقتدى به بعد أبيك ، وسيئول مقامه إليك ، إذ ليس ثمة من هو أعرف منك أو أعلم منك بآثر الطريق فقلت كلا إن أبى لم يميت ، إنه حي ، والميت الهالك هو جسده ووجوده ، لأن هذا الجسد قد نشأ من أجزاء وجذاذات ، ثم ما لبث أن قدم وبلى ، ثم أصابه الضعف والوهن ثم ألقى به .

أما الروح فإنها ثابرة باقية بجوار ربها ، تنعم بسقيا خمر الوصال (ومعنى هذا أن المصطفى عليه السلام قد ثقت لؤلؤته ، ألم يقل المؤمنون إنه لم يميت ؟ وكنتم خلفاء في زمانه ولم يتغير شيء وأنت كذلك خليفتنا في الصدارة وفي النهاية وأنت المقتدى ، وأنت الشيخ في الدارين .

لقد كان رجلا ثاقب الفكر ذا يقانة وزكانة ، وأصيب كثيرا بغية قبولي هذا المقام ثم قال : إن هذا المقام لا يليق بأحد سواك ، بيد أنى لم أكن مرئيا مدهنا ، ورجوته متضرعا متوسلا بالقلب واللسان وأنا أتحرق وأتلظى ، وفي النهاية تعطف وتلطف وقبل قولي ، وتيسر ما كنت أتعشم وأروم " (ص ١٢٢ - ١٢٣) .

وإذا كان « سبھسالر » يروى هذا الكلام حول المقبرة بعد مولانا (ص ١٩٧ - ١٩٨) فإنه قد ورد في كتاب « ابتدئنا » كذلك أن الناس ظلوا أربعين يوما باكين متوجعين متألين ، ولم يتناقص عددهم أمام القبر ، بيد أن كل شخص قد أب إلى عائلته وبيته بعد أربعين يوما ، ولم تزل الحكاية ما ثلة في أذهانهم وأخلادهم ، بعد ذلك يشرح واقعة حسام الدين التي سلف ذكرها ، ويفهم من هذا أن التكليف قد تم بعد وفاة مولانا بأربعين يوما على أقل تقدير .

خليفة جلبى حسام الدين :

سوف لا نكرر القول هاهنا عن السيرة الذاتية لجلبى حسام الدين لأننا سبق أن كتبناها آنفا بل سنجتزئ فقط وسنقول ما لم يسبق لنا قوله هناك^(٦) . إن أعظم

وأهم وأثبت إيان عصر مولانا هو استكتاب لجلبي المثنوى لمولانا ، وهكذا حقق هذا الشيخ العظيم بأسرها واحدا من أهم الآثار الأدبية الشرقية الإسلامية كان جلبي من العاشقين المحبين لمولانا منذ أيام شمس الدين ، وكان للأخير كذلك حذب وعطف وحلو عظيم نحو جلبي حسام الدين .

حتى إن الذين كانوا يريدون رؤيته صاروا يلجئون إلى جلبي ويتواجدون في مجلس شمس الدين وكان جلبي ولا جرم عاشقا لشمس الدين ، وإذا أراد أحد المريدين رؤية شمس فعليه أن يقدم عشرة أو عشرين ألف درهم ، وإذا ما قدم المال المطلوب فإنه يتكلم إلى شمس أو إلى مولانا ، وقد قرب هذا الرجل إلى جانب شمس الدين وأنفق كل ما يملكه على مولانا^(٧) وبعد إصلاح وتعمير حائط البستان المتهم أصبح في مسيس الحاجة إلى العون والمساعدة^(٨) ، ولم يستطع مساعدة ابنه الذي كان مشغولا بصهره وبتحصيل المال ، فاستعان بواسطة مولانا^(٩) . ويتوجب عدم الإعطاء بسبب الضعف الذي شعر به حسام الدين تجاه المال ، وبات من المتعذر وقوع أمثال كل من حسام ومولانا في طمع هذا الشخص الميت المدين .

وقال شمس : نناقش الموضوع في يوم كذا ، وافتن لب أمين الدين ، وخرج من الحضرة في حال من النشوة والسكر ، وأهدى عشرة آلاف درهم إلى أصدقاء مولانا ، وأعطى شمس الدين كل هذا المال إلى حسام الدين .

ثم قال : وزع هذه الأموال على أصحاب الحاجات بحسب حاجاتهم ودرجاتهم ، وأعط أولاد مولانا وصلاح الدين ، واخف الباقية حتى تنفقها على الأصدقاء .

وتجمع المصادر على أن جلبي كان شخصا زاهداً فوق العادة على غير المؤلف ، هذا وتروى سببها ما يأتي :

« إن السلطان ركن الدين قد صاحب قليج أرسلان معين الدين وكانا يريدان الاستماع إلى وعظ مولانا بعد صلاة يوم من أيام الجمعة ، وحل أناس في هذا اللقاء ،

وقبل مولانا والناس يشعرون بسعادة ما يقدم من وعظ بعد هجره سنين عدا ، وامتلاً المسجد ، بيد أن مولانا لم يكن في وسط المسجد ، وأخذ الناس يتناقشون ويتحدثون في كل شيء ، ويبحثون في كل جذب وصوب ، وفي النهاية وجدده أحدهم في الحانة ، ونهض جلبي حسام الدين من فوره وهم بالخروج ، ولما دنا من الحانة عصب عينه وقال أخبروني عندما أدنو من مولانا ولأفتح عيني فقط أمام جماله أو يفتح عينيه عندما هم بدخول الحانة ، والتمس عفو وصفح المفكر العظيم ، وأحضروا مولانا من الحانة إلى المسجد ، وبعد الصلاة صعد جلال الدين المنبر ثم تنهد وتأوه وقرأ هذين البيتين :

يالها من ليلة حسنة المقام ، حيث بلغنا وصال المحبوب .. وكوكب المشتري طالع في محلتنا والمشمس في أحضاننا كلما قدم إلى قدحنا ضل عقلي وتاه فكري .. وعندما يكون المسلمون في هذه الحال أيكون الرجل عاقلاً^(١٠) ؟ ومن يدرى كيف كان مولانا يقرأ هذين البيتين ، فقد شرع الناس في البكاء ، وانتزعت الآهات والصرخات من أفئدتهم ، وسلب لب كل شخص وصار في وجد واهتياج ، وبعد مدة يرى أن حدة سورة حميا الخلائق قد سكنت وهدأت ، ثم نزل مولانا من فوق المنبر ومضى إلى حال سبيله . هكذا يكون وعظ العاشق الولهان (ص ١٣١ - ١٣٣) .

المتبعون لمولانا وقبره ، واجتماعهم حوله :

يعد بناء قبر مولانا جلال الدين أهم الأحداث في أيام جلبي حسام الدين . فقد عين مولانا الموضع الذي سوف يتوجه إليه أصدقائه ، وأسس العاشقون كعبته وبين البويرة لأولئك المجتمعين حول مولانا وبدأت الأوقاف توثق عليه بمجرد الشروع في تأسيسه وفي النهاية عين واحد من أصدقاء مولانا إماما على هذه المقبرة ، وخصص للمقبرة كذلك المؤذنون والحفظة وقراء المثنوى والخدام ، وقراء الألحان بصوت عذب جميل ، والمنشدون^(١١) والشعراء الشعبيون .

وكانت حسام الدين يشتغل بقراءة المتنوى وتلاوة القرآن كل يوم جمعة بعد الصلاة ، ويرتب كذلك وقد اقتدى به فى ذلك واتبع سبيله بضع مئتين من العلماء والعارفين ، وثمة واحد من بين قراء المتنوى حكى عنهم أفلاكى ، كما أنه يروى عن كثير من الوقائع والأحداث كما ذكر سلطان ولد شخصاً يدعى سراج الدين أورد ذكره فى « ابتدائنامة » .

وثمة واحد آخر يدعى « سعد الدين » وهو من رواة أفلاكى . وقد كان كل من لاله وضياء الدين شيوخاً فى تكاياهم ، وكان حسام الدين موجوداً فى مملكة أصدقاء مولانا ، وكان كلما قدم إلى المقبرة جلب معه الماء من المدينة كيلا يتوضأ من ماء الوقف ثم يتوضأ بما جلبه من الماء ويشربه بعد ذلك .

وتفيد رواية أفلاكى أن وقف المقبرة كان كثيراً فى ذلك الإبان ، ومن ثم فقد اختص كل شخص بحصة موقوفة عليه ، ويضيف كذلك أن مايتعيش به الأصدقاء كان جميلاً ونفيساً . ويحيطنا أفلاكى علماً أن جلبى حسام الدين كان يضطلع بتوزيع مال الوقف الذى يتحصل من عام إلى آخر مع النذور والهدايا التى تأتى فى أوقات غير محددة على كل كره خانون KERREHATUM زوجة مولانا وابنتها مليكة خاتون وسلطان ولد ، كما كان يوزع نصيباً آخر على الأصدقاء وأصحاب الحاجات وخدمة المقبرة بحسب اختلاف درجاتهم ، كما كان ينظم ويرتب مآدب الضيافة بعد مجالس السماع ، ويقوم على خدمة الغادين والرائحين على السواء، ونذكر (١٢) من هذه الكلمات أنه كان بين رجال مولانا من يوصون بمال جد قليل لمن يضطلعون بمهمة إصدار الفتوى فى المدارس الدينية ، وكذلك إعاشة كل صاحب عمل يدوى أو صاحب وظيفة يكابد مشقة الاضطلاع بها .

كما ظهرت كذلك زمرة ممن تعيش على وقف المقبرة ، ونشأ مع تأسيس المقبرة تلك الأوقاف التى كانت سبباً فى ظهور تلك الزمرة .

عقيدة جلبى حسام ونفوذه ، والاحترام المرعى تجاهه :

بعد كان جلبى حسام الدين رجلا ذا عقيدة خالصة بمولانا جلال الدين ، وقد أثرت هذه العقيدة فيما دون نطاق شعوره حتى دقائق حياته .

يقوم حسام الدين : قلت لمولانا وأنا أرى الأصدقاء يقرعون المثنوى « إن فى يدك سيفاً وهرافات^(١٣) غليظة ، وملائكة موجودين يستأصلون شأفة إيمان ودين أولئك الذين لا يلقون السمع إلى المثنوى موقنين به مدعين له » فأكد مولانا هذا وأقره ، ثم روى هذه الواقعة بأبيات من الشعر وردت فى المثنوى يقول فيها « إننى أرى الآن عدو هذا الكلام ماثلاً أمام ناظرى بجلاء ، وقد هوى فى نار جهنم منكس الرأس .

أقسم بنور الحق إنك قد رأيت حاله ، وأظهر الله لك الجزاء الذى ناله من جراء فعلته (أفلاكى ١٨٧ - ١٨٨ -) ، ترجمتنا للمثنوى ، وزاره المعارف ، الكلاسيكيات الشرقية الإسلامية : ١ - ج ٤ - ٤٤ A - ص ٤ - ٣٤ - ٣٥) . وذات ليلة رأى حسام الدين فى منامه أن النبى عليه السلام كان يقرأ المثنوى ويمدح هذا الكتاب ويطريه أمام الصحابة ، كما رأى النبى فى معية مولانا وهو يمدحه ويثنى عليه ، ثم قص حسام الدين الرؤيا على مسامع مولانا . وكان هذا الحب العميق سبباً جعل سلطان ولد يبدى تجلة وتوفيراً غير عادى لحسام الدين .

وها هو ذا يشرح هذا بقوله : ذهبت ذات يوم إلى بستان جلبى حسام الدين ، وكان يتحدث عن الحديقة والبستان ، بيد أتنى كنت أحصى الألفاظ التى تتصل بالمعلومات والأسرار الحقيقية لكل هذه الألفاظ ، وكان حسام الدين يستمع لكل هذا ثم غشيته غاشية من النشوة والحبور ، وجعل يفكر ملياً حتى أصابه الذهول والانشداه ، فذكر حينئذ تلك الأبيات الواردة فى مثنوى أبى والتى يقول فيها : مهما قال العاشق من قول فى ديار العشق ، فإن رائحة هذا العشق تحس من فمه ، وإذا ما خرجت ألفاظ من فم الفقيه تتحدث من العدم والفناء فإن رائحة هذا الفناء تنبعث من هذه الكلمات :

وإذا أثيرت مناقشة تخص الكفر فإن رائحة الدين توجد في هذه المناقشة فإذا تفوه بالفاظ تدور حول الشك فإنها تشرح اليقين^(١٤) . قالوا ذات يوم لسلطان ولد : لماذا لم تحل محل أبيك ؟ فرد قائلاً : إن أبى لم يختار خليفة بنفسه إبان حياته ، ثم قال أبى هذه الكلمات « أيها السلطان حسام الدين أنا الحبيب وأنت المحبوب ، ولقد بذلت جهدى لأكون غمد علم من أجل سيفك »^(١٥) ويقول أيضاً « أيا نور الإله وصاحب الفضيلة حسام الدين ، اعلم أنك طبيب الأفئدة دون النظر إلى وريد ، أو الاستماع إلى نبض ، أو الاستعانة بالعلوم التى تخص النجوم كان يقول مثل هذه الكلمات ويمدح جلبي حسام الدين بإسهاب وتفضيل وشمول واتساع . ولقد ثارت اعتراضات على طريقة مولانا إبان زمن جلبي حسام الدين ، وذهبت طائفة من أكبر القوم وأساطين العلماء فى هيئة مؤتلفة مُحكمة إلى محكمة القاضى سراج الدين ، وأصروا على أن عزف الرباب والسماع كليهما ضرب من ضروب الحرام ، وأرادوا منعهما وتحريمهما بقوة وإصرار ، ولم يكن مولانا بين هذه الزمرة الشاكية ، وسوف يكون من اليسير القضاء على هذه المادة لمن لا يتبع الشريعة .

وقال القاضى سراج الدين : هكذا يقول أئمة الدين وعلماء المسلمين ، بيد أننا يتوجب علينا أن نسأل عازفى الرباب وأرباب السماع ، ثم لننظر فى الأمر فيما سيقوله هؤلاء ، ذم استدعى من فورة حسام الدين وقال له : هذه هى أقوال هؤلاء ، فماذا أتت قائل ؟ فرد حسام جلبي : هذا هو جلدى أترى أعينكم عصا موسى جذاذة خشب أم حية ؟ ولما رأى العلماء لا يجيبون قال ربنا إنها جذاذة من خشب وألقيت فى ركن .

بيد أنها أظهرت لنا المصطفى عليه السلام ، وأماطت اللثام عن سره ، وأن مولانا جلال الدين الموجود هو موسى الزمان ، وقد اختار جذاذة الخشب هذه بأمر من الله ونظر إليه بعين الرعاية والعناية ، وقطعت جذاذة الخشب ، والحية فى يده حتى بلعت والتهمت أخيلة الطاعنين فى الخيال ؟ وإن السير دون خوف أو قيد تجاه هذه الحية وادعاء الجسارة أمامها ليس بالشئ المقدس .

وأنتم تنظرون كذلك وترون أنها تبلى فى نفس واحد أخيلتكم وأحكامكم التى توافق العقل ، وهى لا تعطى أماناً لأى شخص ، وتعجل بهلاككم جميعاً . وإن منظر وهيئة مولانا هو هراوة ، بيد أنها حية فى عالم الحقيقة والواقع . ثم قرأ البيت الذى يقول : لا تمش يا موسى فوق الأفعى الطاهرة فظاهرها عصا وباطنها أفعى^(١٦) . ثم أضاف إن نظرة مولانا كانت إكسيراً ، فكيف إذا جعل الإكسیر النحاس ذهباً ؟ إن هذه النظرة تمحو حرمة القيثارة وتجعلها حلالاً ، وتصير مقبولة عند أصحاب الكفاءة والمقدرة .

وقد أدرك العلماء أنهم ليسوا على قدم المساواة مع هذه الطائفة ، ولأقبل لهم بالظفر أو النجاح ومن ثم فإنهم تخلو عن إصرارهم .

موت جلبى حسام الدين :

توفى جلبى حسام الدين يوم الأربعاء الثانى عشر من شعبان لسنة ثلاث وثمانين وستمائة من الهجرة ، وهاهو ذا أفلاكى يورد التفاصيل التى تخص وفاته فيقول :

ذهب جلبى ذات يوم إلى بستان يسمى حمام بمنطقة مرام ، وفى هذا اليوم اجتمع كل عشاق مولانا فى البستان ، وماهى إلا لحظات حتى جاء واحد من قونية أثناء جلسة المسامرة والسماع وأخبرهم بسقوط الراية الكائنة فوق قبة المقبرة .

وخلف هذا الخبر تأثيراً بالغ السوء فى نفس جلبى حسام الدين وجعل يضرب يديه بركبته بضع مرات ، ثم شرع فى النحيب والبكاء ، مما أبكى تأثره الأصدقاء ، وقد مرت حينئذ سنوات على رحيل مولانا ، ويقول : احسب أنت ، مرت عشر سنوات ، وهم يقولون لقد وطننا العام الحادى عشر ، ثم تغيرت وتبدلت حال جلبى تغيراً تاماً ، واقشعر جلده وهو يقول : احملونى إلى منزلى ، إنها كأس المنية ، لقد أزفت ساعة الرحيل ، فحملوه إلى داره وبعد أن مكث فى فراشه مريضاً لبضعة أيام أدركته المنية فى مثل هذا اليوم الذى جاء فيه إلى الدنيا ، ثم وورى الثرى فى الجهة الأمامية لمولانا . ويوجد الآن صندوق مطلى بالغُبراء ومشيد بالآجر فوق المقبرة داخل

المدفن ، وثمة لوحة مرمرية مثبتة بالغيراء^(١٧) في الطرف الأمامي للصندوق ، وقد
نقشت عليها نقوش عربية بخط الثلث ، وها هي ترجمتها التركية : « توجد ها هنا
مقبرة من اتبعه الشيخ والعارفون ، إنه إمام اليقين ، ومفتاح خزائن العرش ،
وأمين كنوز وجه البسيطة ، وجُنيد الزمان ، وبايزيد العصر ، وصاحب الفضائل ،
إنه حسام الدين حسن بن محمد المشهور بحسن أوغلو نور الله - رضى الله عنه -
وهو منسوب إلى الشيخ القائل : إن أصلى أرومياالى ، ورقدت كرديا ، ونهضت
عربيا ، أسعد الله روحه . وقد رحل عن الدنيا فى يوم الأربعاء الموافق الثانى عشر من
شعبان سنة ثلاث وثمانين وستمئة » . هذا وقد اقتبست هذه النعوت السبعة الموجودة
فى هذا النقش من الكلمات التى دبجها مولانا فى حق جلى حسام الدين فى ديباجة
المتنوى ، وعلى كل حال فقد اضطلع ولد بترتيبها وتنسيقها^(١٨) .

الهوامش

- (١) وكان ما وكانت وحدث است : - هرجه غير واحد أمديوتست (ترجمتنا ج ٦ ، ١٢٢ ، ١٥٢٨ ط) .
- (٢) انظر مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .
- (٣) كر كوهر ست مريدود بحر ضفاينة : دينا جو لقمة شورش جون دهسان كشان .
- (٤) دندان توجو شود سوست برجاشن ديكري وست ميدان كه همجوتون است بر مردجان سبوردين (ديوار اكبر) .
- (٥) جون من امرايحو ردخاك لا حد جون جرحه : يرسر جهد جان كه مجسم نورم نه ييم أون شاه كه ارتخت تلبوت روم حال دينه ايداشورقمي منشوم (ديوان اكبر انظر القسم الأول من كتاب مولانا : القسم السادس (الطبعة الثانية ص ١٢٣ - ١٢٧) .
- (٦) انظر : مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية ، ص ١١٢ - ١١٣
- (٧) انظر مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية : ص ١١٤ - ١١٥
- (٨) رسائل مولانا جلال الدين : مطبعة اوزلق - ط ١٥ ، ص ٢٠ ، ٢١ .
- (٩) المصدر السابق : ص ١٢٤ - ١٢٥
- (١٠) أي خوشاب كرو صال يار مارادوش يود . ' . ' . مشتري در طالع خورشيد خوش يود هو قدح كزى بمن دادى بيكفتى خوش دار . ' . ' . أي مسلمان داران جالت حى جان خوش يود
- (١١) شيناد : هو كما يظن البعض درويش صوفى يطوف من مدينة إلى أخرى ، ولا يأتى بمعنى الماكر المحتال وتأتى هذه الكلمة بالمعنى الثانى ، بيد أنها كما ورد فى المثنوى وديوان حافظ وشرح گلستان لسرية (٩٩٨ - ١٥٦ - ١٥٦١ م) ترد بمعنى « قصة خوان » أي قارئ القصة ، ويعنى بهم أولئك الذين ينقلون الحكايات التى تصطبغ بصيغة ملحمية معتمدة على الدين . وقد ورد عند أفلاكى فى وصف آينية دار أوغلو حسام الدين أنه شيايد ولا نظير له ، وشاعر صديق كان يقرأ الغزليات « شياء نادر وبار شاعر بود ، غزلها خوانده » ، والمعنى المراد هاهنا بكلمة « شياء كويند كاه » يبين هذا ويذكرنا بقراء الألحان ، والمعنى المقصود فى الكلمة هو قراءة شىء بصوت عال ، وهو الذى يمدح أحدا ما مترنما بالغزل والألحان ، ولا ريب أنه يعنى كذلك ذلك الذى يعزف على آلة موسيقية أثناء إنشاده ، ويعد الدكتور نافذاوزلق NAFIZUZLUK هو أول من بين معنى ومغزى هذه الكلمة فى مقالة ذات قيمة عظيمة (أبحاث حول معنى « شيايد » - جامعة انقره - مجلة كلية اللغة والتاريخ والجغرافية - ج ٧ - عدد ٤ - ديسمبر ١٩٤٩ ، ص ٥٨٧ - ٥٩٢) .

- (١٢) انظر : مولانا جلال الدين - الطبعة الثانية : ص ٢١٧ - ٢١٨ .
- (١٣) جمع هراوة ، وهى العصا الغليظة ، وتسمى فى التركية Sopa (المترجم) .
- (١٤) ترجمتنا للمثنوى ج ١ ، سنة ١٩٤٢ ، ص ٢٨٧ ، b ، ٢٨٨٠ - ٢٨٨٢ .
- (١٥) أى شه حسام الدين حسن ييگوى باجانان كه من : جاني اكيلاف معرفت ميكونم (الديوان) .
- (١٦) أى ضياء الحق نو الفضل حسام الدين تو . . . عارف طب دلى بى رك وتبض مجستانى (الديوان) .
- ظاهرى جون عصا وباطنى ازدهسا . . . جون نل موسى مروير ازدهاى قاهرى (الديوان) .
- (١٧) الغبراء: هى رماد الجبل ، وتسمى فى التركية أليحي AliCi (المترجم) .
- (١٨) ترجمتنا للمثنوى . ج ١ ، الديباجة ، س - ك .

الفصل الثانى

عصر سلطان ولد

سلطان ولد بعد حسام الدين - بكتمور أوغلو شيخ كريم الدين - سلطان ولد
فى مقام والده - خلائق وصفات سلطان ولد - النجلة التى تجلت لسلطان ولد -
وفاته - أبناؤه وخلفاؤه - آثاره .

سلطان ولد بعد حسام الدين :

يعد سلطان ولد مؤسس الطريقة لكثير من المولوية ، وقد ولد فى يوم الجمعة
الموافق الخامس والعشرين من ربيع الآخر لسنة ثلاث وعشرين وستمائة من الهجرة ،
الموافق الرابع والعشرين من شهر أبريل لسنة ست وعشرين ومائتين وألف من
الميلاد ، وكان مولده فى مدينة «لارنده» ، وأمه هى جوهر خاتون ابنة شرف الدين
سمرقندى^(١) .

كان مولانا يحب سلطان ولد حبا جما ، وكان ينام فى حجر مولانا عندما كان
طفلا صغيرا ، فإذا ما أراد الرضاعة أرضعه مولانا ثديه لتسليته وتلهيته (أفلاكى)
كنا نراه فى معية مولانا فى كل مكان عندما شب عن الطوق قليلا . ولما بلغ أشده
واستوى كان الجاهلون بأمره يحسبونه أخا لمولانا ، وقد سماه مولانا باسم أبيه ،
ودائما ما كان يقول له « أنك أشد شبها بى من ناحية الخلقة والجبلة » ويفهم من هذا

أن سلطان ولد كان على أسأل كبير من أبيه ، ومن المحتمل أن تكون ظنون من يحسبونه أخا لأبيه ناجما من هذا التشابه والتماثل . وقد سما مولانا بولده في الدرجة العليا بعشقه له وحده وعطفه إبان عصره وعرف أكابر القوم والوجهاء . وذات ليلة كتب على جدار مدرسته هذه الجملة « إن بهاء ديتنا مجدود ميمون الحظ ، ولد جميلا ويموت جميلا » . وذات يوم قال بهاء الدين : إن مرادك من هذا هو أن ظهورك كان قبل مجيئي أنا في العالم لأن هذه الألفاظ جميعا هي قولي ، أما أنت ففعلتي وصنيعي . كان سلطان ولد يقتدى بأبيه ويتبع سبيله في كل صغيرة وكبيرة من شئون الحياة ، ولم يخرج قط عن طوع أبيه وامتنال أمره ، كما كان يبدى كل مظاهر التجلة والتوقير لكل ما يحبه أبوه ، فنهج نهجه واتبع طريقته واستن بسنته وقد اقتدى سلطان ولد بادئ ذي بدء بالشيخ شمس بناء على وصية أبيه . وارتبط به ارتباطا وثيق العرى كما فعل أبوه ، ومن ثم فإنه كان في معية الشيخ شمس وجاء معه راجلا حتى بلغا معا مدينة قونية ، ثم قال له في مقابل تكليفه بركوب الحصان « إن هذا أمر متعذر ، فليمتط كل من السلطان والعبد صهوة الجواد »^(٢) وبعد استشهاد شمس ، عاد سلطان ولد فامتثل كلام أبيه وأصبح تابعا للشيخ صلاح الدين^(٣) .

هذا وقد نسي سلطان ولد كل ما ألم به من معرفة وعلم أمام هذا الشيخ الأُمى ، وبات تابعا له مقتديا به بكل ما أوتى من ود وحمية وصدق وإخلاص^(٤) . ثم اتبع سبيل الشيخ جلبى حسام الدين بعد أن قضى الشيخ صلاح الدين نحبه ، واستمرت معرفته بالشيخ جلبى حسام الدين بعد أن مات أبوه جلال الدين الرومى ، ولم ير في نفس هذا الشيخ قط أى أثر للرفعة وسموق الشأن ، ومن ثم اشتد حزنه عليه عقب وفاته ، وها هو ذا سلطان ولد يفصل القول فيما ألت إليه حاله بعد رحيل الشيخ جلبى حسام الدين فيقول :

« لقد كنا جميعا فى كنف هذا السلطان ورعايته ، نحظى بطمأنينة وأمن ، فى مأمن من الإثم والجريرة وحيل الشيطان وأحاييله ، وذات يوم أصابه المرض على حين

غفلة منذ ما يربو على عشرة أعوام ، ثم لحق بالرفيق الأعلى . وظل سلطان ولد طفلا يتيما منفردا وحيدا ، وغشيته غاشية من البكاء والأنين ، وأصابه الوهن والخور من شدة الخوف والوجل ، ولان بالوادي كالطفل متخذا لنفسه فيه مستقرا ومقاما ، ولم يكن ثمة رجل عطوف شفوق ، ومن ثم فإنه مكث وكأنه طفل غرير فى حال من الانذهال والانشداه ، وتصوحت أماله وأصابه اليأس والقنوط ، ثم قال : لقد وجدتني فى لجة الهموم وغياهب الظلمات ، تارة يرطم رأسه بالأحجار من شدة ألمه حزنا وأسفا على فراق المحبوب وتارة ينخرط فى بكاء شديد ، فماذا عساي أن أكون بهذه الغصة وذلك الحداد ؟ وماذا سيكون قصيرى ومالى فى تلك البرهة ، من الزمان لقد ارتحل مرشدى ودليلى فكيف سأسلك سبيلى ؟ وكيف سأخلص رأسى من وساوس الشيطان إذا لم أجد وجوده وكينونته ؟ فألى من أولى وجهى ؟ وبمن احتسى وألتصق ، فما حيلتى ودوائى ؟ إننى أصبح مستصرخا فما هو خلاصى وتدبيرى . « ص ١٢٢ » .

ثم قلت وأنا أتأوه بسائر العذابات وغصص الآلام : لقد ارتحلت أيتها الروح الطاهرة التقية ووسد جسدك الثرى ، ونمت تحت هذا التراب بيد أن روحك طاهرة نقية .

ولا مرية أن جوهرك وكنهك يثوبان فى هذا المضمار إن روحك ترانى وترى كل شخص من حولى ، ألم تجد لى عندك اللطف والحدث والرعاية ؟ ألم أقصص عنك القصص والحكايات ؟ ألم أكن ترجمانا فى حضرتك ومعيتك ؟ ألم أكن عبدا فى طاعتك من أجل خدمة أهل طريقتك ؟ ألم أبلغ أخبارك للسابقين واللاحقين والأولين والآخرين على السواء ؟ أوجدت لى هذا فى الوعود العظيمة ؟ لقد خلصك من كينونتك ووجودك ؟ وأخرجت يوسفك من غياهب الجب ، وقلت إننى سأكون سلطانا وسيدا حتى لو صرت عبدا أسيرا .

يمثل هذه الكلمات التى وردت فى ص ١٢٣ - ١٢٤ من كتاب « ابتدئنا به » يتبين لنا عدم اطمئنان سلطان ولد وهو يجلى هذا الشعور بنفسه فى الكتاب سالف الذكر

ثم يرى بعد ذلك جلبي حسام الدين فى منامه ويقول له : نحن موجودون أبد الأبدىين ودهر الداهرىن ، ولسنا شىئنا خفيا مستورا ، ومن ثم فنحن ماثلون فى هذا الميدان ، ووجدنا وىعرفنا كذاك من يطوف وىجول فى معبد الوثنىين ، ونحن نتزمل وتتدثر بلباس البشر ، ونحن نور الله فالسلطان ىمتطى صهوة مائة من الجىاد المتباينة ، بىد أنه لا ىغير نفسه ولا بىدلها ، فهو من هو من جدىد ولأجلك فلسوف أراك من بدن آخر كى تدانى على الطرىق إلك من جدىد ، ثم ىقف لىقدم دروسا جىدة من العشق حتى تتم وتكمل طرىق الحق سبىحانه وتعالى .

وفى خاتمة المطاف ستكون وكأئك قد نجوت وأنقذت من الدنيا كمن تخلص من حبالة منصوبة ثم ىجوز الطرىق وكأنه ىبلغ الذات الإلهية ، أنت تبلغها لا محالة ، فابحث عن الولى فقد بلغت الحقيقة واعلم أننى أنا الولى فى تلك الحقائق ، واتبع سبيله وانظر مليا إلى بلوغ مرادك ومقصذك ، ثم ىقول ما فحواه : لقد رأيت هذا الشىخ بعد الرؤيا المنامية ، ومن ثم فقد صار عاشقا للأسرار الخفية المستورة ، فانظر إلى مليا ، فأنا قاع عمىق الغور ، وأنا ضىف فى جسد من طىن ، بىد أننى صرت لك صدىقا من جدىد ، وأتيت كى أخلصك من مقام العداوة والشنان ، ولا تناقش الحلق بشائى وهكذا فلتكن أنت وحدك صابحا لهذا الكنز الخفى المستتر ، لأن الكنز لا ىلىق بالحووان ثم قال : هكذا ىستطىع الإنسان فقط أن ىأكل هذا الطعم (ص ١٢٧) .

بكتمور أوغلو شىخ كرىم الدين :

على حىن كنا نرى سلطان ولد ىقص عن الرؤيا التى رآها فى كتابه « ابتدانامه » فإننا نراه كذاك ىشرح كنهه وماهبة مفهوم القطب الصوفى عند المتصوفة ؛ فىقول : ىوجد رجل خفى مستور فى هذا العالم وكأنه ىشبه فىما ىشبه الشىء الخفى المستور فى معدن ذهبى وفضى ، منظره ترابى وجوهره ذهبى خالص نفىس وجسمه شاحب لىن رخو ، وهو كىس فطن ألمعى ، وكىنونتته هى نور السماوات والأرضىين ،

فانظر واشهد إذا أردت أن تزف التهئة ، يا له من شكل حسن جميل ، وهو صاحب بديع على غير مثال ، ولاندله بين الأكابر والوجهاء ، إنه روح يشبه بدن العالم بأسره وهو جذاذة ذهبية وفضيلة للعالم كله بقضه وقضيضه ، هكذا يكون المعدن ، وكلامه حلو جميل ، وقد قصه على فى المنام الشيخ حسام الدين ، لا جرم أنه هو بعينه كما شرحه وقصه ، بيد أنه يشبه الوجه الوضاء ، ولا سبيل إلى شرح ذلك بلغة أو بيان .

ولقد أصبحت أمام بابه عبداً ذليلاً ، فأنا فؤاد خرجت وظهرت من الإنسانية ، وبدأ يطير كالملك إلى طبقات السماوات السبع ، وفى خاتمة المطاف عبرت من كينونتى ، وهكذا قطعت هذا البحر وأنا أبحث عن شاطئء لى ونهضت من فورى لأبحث وأنقب عن شيخ وأستاذ آخر من هذا الشاطئء لأنه ليس ثمة رجل يشبهه فى هذا العالم » (ص ١٣٩ - ١٤٠) ، ثم يردف سلطان ولد قائلاً فى كتابه « ابتدائاه » حيث يتحدث ثانية عن هذا الرجل الخفى المستتر وذلك الرجل الوحيد ما فحواه « وعلى حين كان هذا الشيخ وحيدا ، فإن حسام الدين كان دائما يقف ليقرظه ويطريه بين ظهرانى الخلائق أجمعين ، ويحكى عن أطواره وأحواله ، ويتحدث عن منزلته وقدره ، ويخبر عن دنوه من حضرة الذات الإلهية ، وهكذا كان رجلا صديقا ، وبعد أن ينعتة حسام الدين بالكرم والبذل والعطاء ويشهد على ذلك ، فإنه يتوجب حينئذ ألا يتردى أى شخص قط فى هاوية الشك والمراء أو البهر والانشداه لأنه جلى محك عيار هذا الذهب النفيس .

وإذا كان حسام الدين لم يسق الأدلة والبراهين فى شهادته فإن عذره فى هذا يرجع إلى أنه كان فى مضمار الحديث عن رجل عزيز القدر رفيع المنزلة ، وأن آثاره لتقف ماثلة شاهدة فى وجهه ومحياه ، ويدرك من هذا كذلك أن جوهر الأشخاص الأحرار ماثل ثاو فيه وأن صورته وجبلته ونحيزته لدليل شاهد على وصال قلبه بالذات العلية » (ص ٣٢٧ - ٣٢٨) .

ثم يصرح حسام الدين باسم هذا الرجل إبان تفصيل القول عن رحيله عن الدنيا ، ويقول فى هذا ما فحواه : « إنه بكتمور أوغلو شيخ كريم ، ذو جبلة حسنة

وخلق قويم ، إنه رجل من المصطفين الأخيار ، رجل من البدن فقط ، وليس ثمة سلطان واحد يعدله فى كرمه وجوده ، إنه يشبه درة يتيمة فى هذا العالم ، وقد اشتغل هذا الأمير النجيب بالهداية والإرشاد سبع سنين عقب رحيل الشيخ حسام الدين ، ثم تبوأ مقام السلطنة التى كانت يرومها ويصبو إليها ، ووجد بغيته هذه فى العطاء والإحسان ، وغدا فى حال من الوجد يرى فيها الحقيقة رؤيته لذات نفسه ، لقد انتابنا عويل وصراخ من جراء موته وطفرة الدمع الهتون من أعيننا ، وضربنا رءوسنا وصدورنا وغدونا بهذه المتاحة والحداد مضمحلين فى كدر وأحزان ، ولكن ماذا عسانا أن نصنع ؟ لقد تصوح أملنا وخاب رجاؤنا ، وحل علينا قضاء وقدر . ولزم على كل شخص أن يتوب توبة نصوحا بغية انقطاع هذا الألم الشديد بذلك الدواء الناجع ، لقد غدونا بدون كطائر موثوق الجناح ، بيد أنه يتوجب علينا ألا نقنط من رحمة الله ، فإنه لا مناص من وجود واحد آخر يلف بنا ويفتح جناحنا الموثق .

إن الرجال يرحلون عن الدنيا بيد أن الميدان ليس بشاغر ، وكلما أشرقت الشمس ووقفت فيه السماء فإنه يوجد لا محالة خليفة لرب العالمين » (ص ٣٣٠ وما بعدها) ويفهم من هذا الكلام بجلاء أتم أن سلطان ولد قد ظل عقب رحيل حسام الدين سبع سنين تحت كثف التربية المعنوية والأخلاقية ليكتُمور أوغلو شيخ كريم الدين ، بيد أن هذا الغلام « سلطان ولد » قد أفرغ وسعه وبذل جهده ليكون على أسال من أبيه فى كل خليفة ونحيزة ، وكان يرتبط ارتباطا وثيق العرى بالشيخ كريم الدين ، كما ارتبط من قبل بوالده وبالشيوخ شمس الدين وصالح الدين وحسام الدين على التوالى ، ولم يكن هذا كله لأن مولانا لم يبلغ بعد درجة نضج وكمال هؤلاء الشيوخ الثلاثة ، بل إن سلطان ولد قد اتخذ هؤلاء الشيوخ من طريق العشق مرآة يُجلى فى صقالها ذات نفسه ، ومن ثم فإنه أوصى هؤلاء الشيوخ بالشعب لأنه رأى ذات نفسه فى هؤلاء الشيوخ ، واختار ألا يكون فى حالة من المجاهدة والعناء فى الالتفاف حولهم . ويدرك من كلام سلطان ولد أنه بعد رحيل جليى حسام الدين لم ير فى ذات نفسه أنه لم يبلغ بعد درجة كافية من النضج والكمال الروحى ، ولأجل هذا فإنه اتبع سبيل الشيخ كريم الدين مستمسكا بالفكر الصوفى بكل ما تحمله من معنى .

هذا ولا نملك فى حوزتنا قط معلومات بشأن الشيخ كريم الدين ، وتحيطنا الكتابة المنقوشة على شاهد قبره أنه أحد المنتسبين إلى مولانا جلال الدين الرومى ، كما ندرك مليا من كلام سلطان ولد أنه كان من المحبين إلى الشيخ جلى حسام الدين .
حقا أكان هذا الرجل رجل علم مثله فى ذلك مثل شمس وحسام الدين ؟ أم أنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب كالشيخ صلاح الدين ؟ لقد كان بكتمور أوغلو كريم الدين فى ذلك الإبان وليا من المصطفين الأخيار . وكان ذا قلب صوفى خالص ، بذل روحه ونفسه فداء فى سبيل الحق سبحانه وتعالى ، يحبه كل شخص إذ كان صادق الود للناس أجمعين ، ويتم شغل كل واحد من أصحابه ، إنه رجل ذو همة عالية وسورة حميا ، يسمو قدره وتعلو منزلته كالجنيد^(٥) ومعروف .

ومن يدرك كنه أسرارہ ليعلم علم اليقين أنه من هؤلاء الأحرار ، إنه خلى وصديقى ، وهو اليوم فى هذه الدنيا نكرى حسام الدين أنا . هل ولى وجهه شطره ليجد علاجاً ناجحاً لذلك المتألم لموت حسام الدين ؟ لم تكن بغيتى وغايتى الحديث عن عيسى وموسى وعمران .

ولم يكن هدفى أن أشرح شيئاً يخص المنصور وأدهم وذا النون وأحمد البلخى ، بل كان هو وحده بغيتى ومرادى ، وهو مقصدى إذا تذكرت أى مسافر أو عابر سبيل .
أو إذا تحدثت عن واحد من المصطفين الأخيار وليس ثمة شخص آخر سواه^(٦) .
ومن أسف أننا لم نستطع العثور على المعلومات التى نتفياها إبان بحثنا فى هذه الأقوال (ابتدائاه : ص ٣٢٥ - ٣٢٦) ومن ثم فإن بكتمور أوغلو يظل من هؤلاء الرجال الذين يكتنفهم اللبس والغموض .

وقد وردت رباعية على لسان سلطان ولد أوردها فى ديوانه يقول فيها ما فحواه :
أنت عندى بكتمور أوغلو بين الخلائق أجمعين ، وأنت زاهر عامر بالرأى والعلم والمعرفة ، وأنت درة يتيمة فى جسد منقطع النظير ، وتشبه فيما تشبه عرق اللؤلؤ^(٧)
وأم اللآلىء .

أىكون هذا موضعك وعرق لؤلؤك ؟

وأنت بحر اللؤلؤ منذ بضع مئتين من السنين^(٨) . وهذه المعلومات لا تدل على أنه كان شخصا من المتقدمين السابقين ، والأمر خلاف ذلك ، فقد كان رجلا عاديا في نظر الناس بيد أننا نظن أنه رجل زاخر بفيوض العرفان بحسب ما ارتآه سلطان ولد .

ولقد توفي الشيخ كريم الدين في أوائل أكتوبر أو ديسمبر لسنة ٦٩١ هـ = ١٢٩٢ م ، وقد ووري الثرى في الجهة اليسرى من الناحية الخلفية لمقبرة أولو عارف جلبى ، وقبره متدثر بصندوق من الآجر ، وقد دهنت الطبقة العليا من الصندوق بمادتي الدبق والغبيرا^(٩) ،

وقد نقشت على اللوحة المرمية الكائنة في الجهة العليا للصندوق أربعة أسطر بخط الثلث مكتوبة باللغة العربية ، وهاك ترجمتها بالتركية : يثوى ها هنا العاشق الصادق ، وصاحب المنزلة السامقة الرفيعة الذى منحه العارفون المخلصون المحبون ، إنه قبر رفيع المقام للشيخ كريم الدين الذى ينتسب إلى مولانا جلال الدين ، رحمه الله رحمة واسعة ، وقد رحل فى شهر ذى الحجة لسنة ستمائة وتسعين من الهجرة .

سلطان ولد فى مقام أبيه : كان سلطان ولد فى حقبة هداية وإرشاد كريم الدين التى دامت سبع سنين فهل وصاه أبوه باتباع سبيله مثل سائر عشاق مولانا ؟ كلا ، ونحن نعلم هذا على سبيل الجزم واليقين وها هو ذا سلطان ولد يروى هذه الواقعة بنفسه فى « ابتدائنامه » بعد وفاة جلبى حسام الدين ويقول فى هذه الرواية ما فحواه : لقد كان الشعب بشيبيه وشبابه قد خرج عن بكرة أبيه وأخذوا يتضرعون ويتوسلون قائلين : يا ولد إنك أنت الشخص الذى يحل فى مقام أبيه ، وماذا لك إلا أنه كان يحبك حبا جما ، وأنت قد أعطيت هذا المقام للشيخ حسام الدين لأنه كان صديقا حميما ومختارا ومصطفى لأبيك ، وعندما رحل حسام الدين لم يعد لك عذر مقبول أو تعلقة تتعلل بها ، وإن الله ليقدر هذا الأمر حق قدره .. » .

وجعل يستطرد فى الكلام ويطيل فيه ، ثم قال : لقد قبلت تكليفكم فى نهاية الأمر، ويذكر فى الكتاب أنه عندما انتقل إلى مقام أبيه وتبوا منزله حتى

صار له كثرة كاثرة من المريدين ، سرعان ما أرسل بالخلفاء إلى المدن الكائنة في الأماكن القاصية وغصت الأناضول بالخلفاء ، ومعلوم كذلك أنه كتب شجرة النسب إلى هؤلاء أجمعين (١٠)

وثمة شيء يدرك مليا من هذه الأخبار كلها ألا وهو : أن سلطان ولد قد بدأ في تمثيل مقام أبيه بعد رحيل جلبي حسام الدين حيث كانت الطريقة الموجودة إيان عصر مولانا نواة صغيرة ومن ثم فإنه اضطلع بتأسيس الطريقة المولوية وتقعيد أصولها باسم أبيه ، وهي الطريقة التي لم تكن قد أسست في ذلك الحين ، ثم بدأ كذلك في إرسال الخلفاء إلى كل صوب وحذب بغية نشر الطريقة واتساع رقعتها وهذا يعنى أنه منح المولوية نبض الروح والحياة وبثهما في تضاعيفها . لقد كان سلطان ولد شخصا صادقا مخلصا ودودا ، أحس في ذات نفسه أنه لم يبلغ بعد درجة النضج والكمال .

أو أنه قد شعر بضرورة اتباع سبيل أبيه وانتهاج نهجه وعليه فإنه اتبع سبيل الشيخ كريم الدين تحت تأثير هذين السببين الملمح إليهما ، بيد أن نهاية شمس قد أجبرته على أن يهتم بحركة أكثر يقظة وانتباها ، أو بعبارة أدق فإن وجوده عند مولانا سيرتج رجة عنيفة ، ولسوف يمحي تدبيره ويعجز حوله وجبلته إلى الدرجة التي يعجز فيها العشق والجذب الصوفي فيهجر كل موضع للتفكير وقد أحس في قرارة نفسه بأنه لم يشعر أى شخص بعدم وجود الشيخ كريم الدين ، وهكذا فإن هذا الرجل المستتر الملعن قد ارتحل وانتقل إلى عالم الخفاء والغموض .

خصائص سلطان ولد وخلائقه : لم تكن الولاية والعلم سوى شيئين اثنتين ورثهما سلطان ولد عن أبيه (الديوان F: uzluk basimi ٤٩٩ ، بيت رقم ١٠٤٤٣) ولقد كان الصدق والإخلاص كلاهما أهم ناحية بارزة في حياة سلطان ولد برمتها ، كان ذا احترام وتجلة سرمديين تجاه والده ودرس سلطانه وحصله في الشام وحلب ، بيد أن علمه هذا لم يخلع عليه فى أى وقت قط أى ضرب من ضروب الأنانية والأثرة ، ومن ثم فإنه اقتدى بأبيه واتبع سبيله كما اقتدى كذلك بكل من الشيوخ : شمس الدين وصلاح الدين ويكتمور أولغو كريم الدين ، كما تغشاه غاشية من السعادة إذا تذكر

أباه فى كل شأن وأن ، أو كلما رويت خواطره وذكراه ، ويقول فى كتابه « ابتدائنا به » ما فحواه « فليهنأ محتفيا بالأسرار الإلهية وعلى الرغم من أن كلا من شمس الدين والشيخ صلاح الدين وجلبى حسام الدين كانوا جميعا خلفاء لمولانا إلا أنهم لم يتبوءوا شهرتهم لكونهم أرباب علوم وولاية وكبرياء وعظمة ، بل وجدوا الشهرة وتسنموا ثروتها بشرح سلطان ولد وتفسيره .

ولقد كانت ولاياتهم وسموق رفعتهم وعظمتهم شيئا مستترا خفيا ، ثم انبثقت مشرقة كالشمس الوضاعة . ويقول فى قسم آخر من الكتاب : إن والد سلطان ولد كان ذا شهرة عظيمة ، ولم يكن سرا ملغزا كالشيخ شمس الدين ، وبات كل شخص مريدا له بالروح والفؤاد . أما فى زمن سلطان ولد فقد كثر المريدون وازدادوا ، ولم يظهر هؤلاء فى الوجود عن طريق تقليد أبيه واتباع سبيله فحسب ، بل عن طريق سلطان ولد الذى انتخبوه واصطفوه ورأوه رأى العين ولكن كيف السبيل إلى فهم وإدراك كنه هؤلاء الأعظم من الرجال .

لقد شرح سلطان ولد أحوال هؤلاء المريدين لكل شخص بالروح وحبّة الفؤاد ، وسمع بهم كل شخص من الشيبة والشباب على حد سواء ، وانصرم الزمان ، وشرح سلطان ولد طرائق عبادتهم وسبيل قناعاتهم وتفردهم وعزلتهم ، ومرت السنون ، وأماط اللثام عن صحبة الأرواح وجلّى أحوالهم المستترة الخفية . فهو تارة يناقش ويبحث فى ضروب الصدق والإخلاص المنبثقة عن كراماتهم وتارة أخرى يكشف عن وصالهم ومنادمتهم ومسامراتهم ومراتبهم فى الحضرة الإلهية ، ثم يبين كيف كانت سبل هدايتهم وإرشادهم ، وما هى ضروب العطف والإحسان التى كانوا يضطلعون بها وما انفك سلطان ولد ينبئ عن هذه النعوت والخلال . وخلاصة القول فى هذا أن سلطان ولد كان يجلى أحوال كل منهم واحدا تلو الآخر ، ويخلص الناس من الريب والشكوك ، ومن ثم فقد صار عبدا من جديد ، وأحى عندما كان ميتا ، وهذا سر خفى لم يدرك كنهه أشخاص كثيرون فى ذلك الإبان ، ومما لامرأ فيه أنه غدا فى حال من الوضوح والجلاء .

لا جرم أنه على حين كان سلطان يقدم أصدق المعلومات وأصوبها فيما يتصل بأبيه بين ثنايا كتابه « ابتدائاته » ثم يضطلع بعد ذلك ببحث ومناقشة هذه المعلومات ، ثم نرى بعد ذلك أن « سبهسار » يبدأ فى تدبيج تاريخ المولوية فى رسالته قبيل ظهور مناقب العارفين ، وفى الوقت نفسه فإن هذين الكتابين بمثابة مصدرين أمينين موثوق بهما . أما الخليفة الثانية التى اتصف بها سلطان ولد فقد اعتنق أيولوجية مولانا واتبع سبيلها ، بيد أنه لم يكن على أسأل من أبيه فى إبداعه وفكره واهتياجه العاطفى وسورة حمياه ، ومن ثم فإنه كانه فى مقابل هذا مكثاً^(١١) رابط الجأش منطقى التفكير .

ولما كان هذا الرجل يدقق النظر ملياً فى ضرورات العصر وموجباته على الخصوص ، فإنه والحال كذلك قد شرع من فوره يتخلى عن هذه الأيدولوجية ويفرغها من مضمونها ، وينساق بحمية وهمة إلى تأسيس طريقة مولوية متميزة منفصلة عن سائر الطرق الصوفية الأخرى تنهج سبيل مولانا وتسير على دربه لا جرم كان مولانا رفيع الشأن عظيم القدر ، حتى أنه كان ممثلاً للإصلاح الدينى المخيف ، ولكن أى فائدة ترجى من هذه الحملة المستعرة ، ولم يكن عجولاً فى اقتباس كل قوته وعزيمته من المجتمع ، ورغم أن هذه الحملة كانت تحمل بين ثناياها خصائص العصر وسماته إلا أنها لم تنحصر فى أشخاص بعينهم ، بل تأثرت كذلك بإحساس وشعور وذكاء وعلم مولانا وبالأحداث والملمات التى مر بها ، وكان لمولانا كذلك تأثير جلى بين يتمثل فى عشقه الأبدى الذى لا تحده حدود ، إنه عشق متأصل جوهري عميق الغور منتشر بين ظهرانى الأحياء أجمعين ، وكان هذا بمثابة التأثير الثانى والذى يأتى فى الصدارة إذا قيس بالتأثير الأول ، ويتوجب علينا أن نسجل هذا التأثير فى هذا السبيل .

لقد أولى مولانا الحرية الدينية أهمية قصوى ، وقد تردت المدرسة الأرثوذكسية فى مواجهة هذه الحرية هاوية فى لجة العجز والقصور .

وكان يتفياً فى ذلك الإبان الأهداف والغايات الفكرية المعتدلة المؤسسة ذات القدرة والكفاءة ، وإذا لم يأت فى زمن السلطنة السلجوقية من ينهض لسنح ومحق

هذه الأفكار ، فإنها دونت فى قائمة الأدلة والبراهين التى تزخر بها كتب المناقب والكرامات منذ أمد بعيد .

ويرجع هذا ولا جرم فى أنه كان مصلحا لم يتسن له أن يجد بيئة يركن إليها ويعتمد عليها ، ومن ثم فإنه لم يكمل الاستعداد الاجتماعى والاقتصادى . كان مولانا مثاليا مبشرا (بالاتحاد) ، ولم يظهر فى هذا السبيل شخصية أريجية قادرة على التنظيم تشعر بهذه الحاجة الضرورية فى المجتمع .

لقد كان مولانا مصلحا اضطلع بمقدرة عجيبة فى تلك الحقبة من الزمان تجاوزت كل حد وفاقت كل سبيل ، ولهذا السبب فإنه لم يتهيا له السيرورة والانتشار ، بيد أن رجاله قد اضطلعوا بفهمه وإدراك كنهه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، ولقد كان سلطان ولد رجلا باذلا جهده فى سبيل إدخال الأيدلوجية فى هذه الطريقة ، وأفرغ وسعه كذلك لتعظيم هذا الإصلاح بين الخلائق أجمعين ، وقد بدأ بالفعل سيل الإصلاح والتنظيم بيد أنه لم يتمه ، وكانت ثمة عوامل كثيرة موجودة فى حقبة هذا التكوين سوف تصهر هذه الأيدلوجية ولربما انحرفت عن أساسها وتنكبت طريقها .

ولقد سبق أن تحدثنا آنفاً عن أن المقبرة كانت فى زمن جلبى حسام الدين ، بيد أن علم الدين قيصرى قد شيدها بتأثير من سلطان ولد^(١٢) فاكتمل بناؤها وأصبحت مركزاً مرموقاً وسر سلطان ولد لهذا سرورا عظيما ، ونظم ترجيع بنددى أبياتاً ثلاثة وغزلية ذات أحد عشر بيتا يقرظ فيها علم الدين قيصرى ويطريه إطراء حسنا لقاء تشييده للمقبرة وتعمير وإصلاح المدرسة على وجه الخصوص^(١٢) وفضلا عن هاتين المدحتين فقد نظم سلطان ولد موشحة تتكون من تسعة وعشرين بيتا تظهر اسم الممدوح فى الحروف الأولى فى المصارع الأولى لأبياتها (الديوان uzikuk basiml F N ، ص ١٢٥ - ١٢٦) . وثمة غزليتان أخريان يذكر اسم الممدوح فيهما بكل تجلة وتوقير (ص ٤١٧ - ٤١٨ - ٤٤٥ - ٤٤٦) . أما قيصرى الممدوح بعشرين بيتاً من الشعر فقد ورد ذكره فى شعر نظمه أبو المعالى شرف الدين أمير ساطع المولوى الذى اضطلع بكتابة ديوان مولانا باهتمام كبير .

كما تحدث عن هذا الرجل كذلك كل من : أبين دار أوغلو حسام الدين^(١٤) ، وجورجوخاتون زوجة معين الدين بروانة ، والقاضى قيصرى ، وأمير يدعى حمزة ، كما نوه كذلك بذكر شخص يذكر شخصاً يدعى شاهين وأهى أمير حاجى وشخص آخر يسمى حسام أفصح .

وهو لا ينفك عن تقريظ هؤلاء وإطرائهم ، فلهؤلاء جميعاً حقوق عندنا ، ثم يدعو لهم قائلاً : لطفك يا إلهى ورعايتك لهؤلاء لقاء ما فعلوه من خير وأريجية وصلاح (الديوان : ص ٤٥٢ - ٤٥٣) . وقد دبح سلطان ولد غزلية من تسعة عشر بيتاً ومكونة من ثمانية بنود بمناسبة مقتل علم الدين قيصرى وفى شهر شوال من سنة ٦١٣ هـ - ١٢٨٤ م .

وإن هذه الغزلية مع المرثيتين السالفتين لتؤكد شعوره العميق والأسف على فراقه (ص ٣٧٦ - ٣٨٠) . وقد اضطلع سلطان ولد كذلك بتدبيج أمدوحة قرظ فيها معين الدين بروانة وأباه مذهب الدين (٢٠١ - ٢٠٢) . كما يتضمن الديوان كذلك رباعيتين فى مدح معين الدين (٥٩٣ ، رباعية : ٢٧٠ ، ص ٥٩٩ ، رباعية ٣٩٠) . ويحتوى الديوان كذلك على قطعة مكونة من واحد وعشرين بيتاً فى مدح الوزير فخر الدين صاحب أنا .

وقصيدة أخرى مكونة من ستين بيتاً فى ولده صاحب أعظم تاج الدين حسين لأنه أنقذه من دين حاق به (ص : ١٨٢ - ١٨٣ ، ٢٧٣ ، ٢٧١) ويظهر اسم شرف الدين بن خاطر الدين فى الحروف الأولى للمصاريح الأولى من العشرين بيتاً الأولى ، كما توجد قصيدة مكونة من خمسة وثلاثين بيتاً فى مدح وإطراء خاطر أوغلو (ص ١٤٥ ، ١٤٧) ، وتوجد كذلك أمدوحة سلجوق خاتون ابنة ركن الدين قليج أرسلان الرابع وأمها فاطمة خاتون (ص : ٢٥٣) ، ناهيك عن مدحة أخرى فىمن يسمى كومج خاتون زوجة ركن الدين قليج أرسلان (ص ٢٥٢ - ٢٥٣) ويظهر اسم أكمل الدين نهجوانى فى المصاريح الأولى من الأبيات الثانية والعشرين الأولى ، وثمة قصيدة فى شكل موشح من واحد وأربعين بيتاً فى مدح أكرم الدين طبيب (ص : ٢٣٠ - ٢٣٢) كما توجد كذلك موشحة يظهر فيها اسم جمال الدين (ص ٢٢٧)

وأمدوحة أخرى فى مدح آهى الدين (ص ٢٧) وفى البند الأول ذكر لآهى قيصر وآهى جويان ، وفى البند الثانى ذكر لمحمد شاه وفى الثالث مدح لآهى يوسف ، وهو يشيد أحيانا بذكر آهى سعد الدين الأنف ذكره ، كما يوجد ترجيع دبجه بمناسبة موت آهى محمد سيد أفرين (ص ١٥٠ - ١٥١) ، وثمه خطاب منظوم يوصى فيه بالمجىء لزيارة قونية وزيارة آهى أحمد زكى الدين الذى لم يول وجهه شطر بايبورت Bayburt (ص : ٣٧١) .

وثمة غزلية مكتوبة إلى أبيه على بمناسبة مولد طفله الذى سماه شمس الدين محمد فى سنة ٦٧٨ هـ = ١٢٧٩ م (ص ٤٠٩ - ٤١٠) .

ونعتقد إلى أى حد كان سلطان ولد رجل دنيا يظهر حذبه وحببه لها . وقد قلنا أنفاً أن ثمة أمدوحة من بين هذه الأماديع دبجها من أجل إنقاذه من دين حاق به ، وأخرى فى بدر الدين جوهر طاش من أجل الوقف الذى أوقفه على المقبرة ، كما توجد مدحة أخرى باسم المدعو نجيب الذى اضطلع بفتح إحدى قرى أرسلان ، ثم كتب واحدة أخرى بمناسبة وفاته (ص ٢٢٦) ولم يقف سلطان ولد على ذكر هؤلاء فحسب ، بل دبج أمدوحة فيمن لهم علاقة وطيدة بمولانا ، كما أنه لم يضع الفرصة قط فى الاهتمام بسرد الوقائع والأحداث .

وعلى سبيل المثال فإنه دبج ترجيع بند من عشرين بيتا فى أحد أبناء سلطان ركن الدين قلبج أرسلان (ص ٤٦٦ - ٤٦٨) وكان حاكم الأبلخاينين قد أصبح حاكما سلجوقيا بموافقة السلطان أحمد ، وذهب فى يوم الثلاثاء الموافق للخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٠ هـ (١٢ ، ج ٨ - ١٢٨١) .

وقد دبج سلطان ولد قصيدة فى مدح غياث الدين مسعود الذى كان تابعا نكد الحظ للمغول وكتب أخرى فى مدح أمير آهور نجم الدين^(١٥) ، وقد أنشد بهذه المناسبة أمدوحة أخرى من خمسة عشر بيتا يقول رديفها جون شاه ما مسعود شود : جوتكة باد شاهمز مسعود أولدى (الديوان : ص ٢٤٧ - ٢٤٨) ، كما أنشد قصيدة ثانية من خمسة عشر بيتا (ص ١٤٤) ، وغزلية ثالثة من أحد عشر بيتا (ص ٤١١) ، كما نظم فى هذا السلطان نفسه قصيدة أخرى مكونة من تسعة وثلاثين بيتا ، وهو

يخبر عن رغبتيْن اثنتيْن في هذا السبيل : هذا وقد ذكر اسم السلطان مسعود في كتاب المعارف لسلطان ولد حيث يقول : لقد قلت للسلطان مسعود في هذا الكتاب المنشور ما فحواه ول وجهك شرط أولياء الله ، بارك الله شرك العزيز ، وليرع القربة الطاهرة لمولانا ، واصنع المعروف واعمل الصالحات ، وأتقن ما عمله واجعله في موضعه ، ولاتتوان في بذل كل ما تملكه في سبيل جمع الجنود وخدمة المغول ورعايتهم والتضحية بكل مرتخص وغال في هذه السبيل واصنع كل ما أوتيت من قوة لأنك تملك بين يديك كل أسباب الزمن في هذه المرة .

وبعد ذلك يكون لك ردءاً وظهيراً وسبباً في النجاة والخلص . ومن المحتمل أن تكون ثمة علاقة بين هذه الكلمات وبين الرغبتيْن اللتيْن ألمعنا إليهما آنفاً . وعلى كل حال فإن السلطان مسعوداً قد قبل رغبات سلطان ولد وأوقف على المقبرة وقفا يؤمن لها إيراداً ثابتاً^(١) أما السلطان مسعود الذي وصاه سلطان ولد بالألا يغضب المغول أو يثير حفيظتهم ، فقد كان مسكيناً لأنه قد فر هارباً من السلطنة قبل ذلك إلى القرم ثم انتقل إلى منطقة سيتوب حتى يظل مستحوذاً على السلطنة ثم ذهب إلى أرزينجان ، وعلم أنه امتثل لطاعة أباه خان ، ثم أصبح سلطاناً من قبل المغول أما سلطان ولد فيقول : إن عصر المشاحنات والمنازعات قد انقضى أجله مع هذا السلطان الألعية ، وانتهى الظلم والجور والاعتساف ، وظهر العدل والكرم والسخاء ، وإن نهاية هذا العمل قد بلغ حالة عظمى من التقريظ والإطراء لقد أحببت هذه الدنيا من جديد ، وبات الناس الصالحون والفاسدون عبيداً على السواء ، وأصبح مسعود سلطاناً علينا بكل حظ وإقبال وتهنئة وحفاوة وتبريك . وأخرج الله الترك الذين أحرقوا الدنيا من الغيران^(١٧) والجبال والغابات وساقهم إلى الإذعان والامتثال إلى الطاعة ، ولهذا السبب كان السلطان مسعود بمثابة حكم الأمن والطمأنينة والراحة والسكون ، واتمحي أثر الأحزان وابتهج العالم وذاق حلاوة الروح والاسترواح لأن السلطان مسعوداً غداً لنا سلطاناً « ولم ينفك سلطان ولد يمدح السلطان ويقرظه بمثل هذه الكلمات (ص ١٢٤٧ ، ٥٠٦٩ وما بعدها) .

حقاً هل كتب سلطان ولد ما كتب راغباً في الدنيا أم راغباً عنها ؟ أم أن هذا ما كان يتمناه ويبتغيه ؟ بيد أن قوله « الأتراك الذين أحرقوا الدنيا » يعنى ولا ريب أنه

يمدح المغول ويطريهم ومن ثم فإنه يمدح الوالى العام للمغول « سماكر نويان »
بمقطوعة يثنى فيها على زوجته وابنته وولده نويان ، وهى قصيدة من ثلاثة عشر بيتا ،
رديفها « لا تتسنا يا أميرنا » .

لا جرم أن سلطان ولد كان على علاقة حسنة مع أمراء المغول ويقدرهم حق
قدرهم ، ونورد فى هذا الصدد واقعة رواها منشد المثنوى « سعد الدين » لتبرهن
وتدل على ما نقول « ذات يوم قدم الأمير أرينجين نوبان لزيارة سلطان ولد ، وبينما
هما يتحدثان إذا به يقول : شعراؤنا الشعبيون إن آلهة الدنا أربعون ، أفى هذا
الاعتقاد حكمة أو حقيقة واقعة .

ويقول سلطان ولد : إن هؤلاء يعلمون كذلك أن ثمة إلها واحدا غير هؤلاء التسعة
والثلاثين ، والآخرين جميعا ما هم إلا تابعون منقادون لحكمه ، وهم جميعا يجنون
الألوهية منه ، أما أنا فلا أبتغى إلا إلها واحدا من هؤلاء الأربعين ، ويتوجب أن تكون
له عاشقا .

وقد جاء الأنبياء أجمعون بغية شرح هذا والتذكير به ، وحثوا الناس على اتباع
سبيله وعبادته ، ولأضرين مثالا فأقول : إن رجالك يمتثلون لأوامرك ، ويعلمون
بأنك الإله ، وأنت كذلك تابع منقاد للخان ، بيد أن هذا الخان يتبع سبيل الخان
الكبير ، وهكذا يتبع كل شخص كبيره ، وهكذا يكون الوصول والبلوغ إلى عيادة
السلطان الأعظم ، فالقدرة جميعا فى الخاقان ، وإن قدرته لتشبه هذا تماما بتمام ،
فالقوة متمثلة فى الله القادر العظيم .

والصوفية مع الأنبياء يشبهون المقربين من الخاقان ، ويدعون الناس إليه «وقد
استحسن الأمير المغولى هذا الكلام ، ويقول : لقد استفهمت هذا السؤال مرات كثيرة
من العلماء والحكماء ، بيد أن أحدا منهم لم يستطع الإجابة الواضحة الجلية ويذكر
أنه تضجر من هذه الآلهة وأصبح مسلما . وفى هذه الرواية مبالغة ، فلربما
استحسن الأمير المغولى الجواب وأعجب مليا بالإسلام ، بيد أنه لم يصبح مسلما ،
ولكن هذه المنقبة تحمل بين طياتها قيمة أخرى ، وتؤكد زيارة أمراء المغول

السلطان ولد . ويدون أفلاكي أن كلا من أبيشقه نوبان وكاجازان خان (ت ٧٠٤ هـ = ١٢٠٤م) . قد اضطلعوا بزيارة سلطان ولد ، وكان أبيشقه هذا يقرأ القرآن ، وعندما يسمع عمن يلقون في النار يصرخ ويصيح وينذهل ويندهش ، ويسأل عن سبب هذا الصياح والصراخ ، وكان سلطان ولد يقول : إذا كان الخاقان الأعظم سيتلطف بكم فإنكم ستسرون باتباعكم له وستبشرون بهذا السفير وهكذا فإن الصوفية مع الأنبياء كانوا سفراء الله ، ومن ثم فإنهم يبشرون برضا الله ودعواته وألطافه ولهذا السبب فإن الأناسي ينشدون من لذة السكر ويلقون في النار ، ويشكرون الحق سبحانه وتعالى أما هذا الصراخ فإنه يتأتى من ذاتية الإنسان في الدارين ، كما يتأتى كذلك من الحزن والتهنئة ، وإن نيران العاشقين لتبلغ أقصى درجاتها من الفرح والنشوة وتصدر كذلك من التهنئة ، ثم أفاض بعد ذلك في توضيح هذا الأمر ، وسر أبيشقه وتصدق بألف دينار . هكذا نرى أن سلطان ولد كان رجل دنيا أما الانفعال العاطفي وسورة الحميا والعاشق فإنها جميعا تأتي عنده في مرتبة متأخرة وإن كل الانطباعات التي اقتبسناها من وقائع الحياة وأحداثها في كل آثاره لتبين لنا أنه شخص مكث رزين رابط الجأش ، منطقي ، قوى ذو شكيمة ، يفكر مليا في كل شيء يصنعه ويعن له ، وإذا لم يكن كذلك فلن يتأتى له أن يكون منظماً للطريقة ، ولما تسنى له أن يكون مؤسساً للطريقة المولوية وثمة خليفة أخرى يمكن أن تشير إليها في شخصية سلطان ولد ألا وهي أنه كان صاحب عقلية صوفية ، وكانت الرؤى والكرامات تؤثر دائماً في حياته الفكرية ، وثمة عنصر صوفي متمثل في شخصية مولانا ، بيد أنه كان ملغزاً يكتنفه اللبس والغموض ، كما كانت الواقعية ذات سطوة مهيمنة على الدوام في شخصية مولانا أما وحدة الوجود عنده وتقديسه للإنسان والإنسانية فكانت في العادة تتصف بالشكل المادي الخالص .

أما سلطان ولد فقد انضوى تحت عباءة صوفية متمثلة في فكر وأفعال مولانا ، بيد أنها مبهمة غير جلية كما أنه قد بذأباه في هذه الخلائق ، وكان أكثر شبهاً بجده من أبيه ، وإن هذا التمايز والاختلاف ليؤكد لنا أن الإنسان يكون على أسال من أبيه ، بيد أنه في الوقت نفسه ابن لمجتمعه وعصره المنسوب إليهما . لقد كان سلطان ولد

رجلاً نهائياً للفرص متزلفاً مدهناً ، منطقى التفكير مكيئاً رزيناً رابط الجأش ، نشطاً فعالاً مستفيداً أيما استفادة من نفوذ وتأثير مولانا ، ومن ثم فإنه كان من الناحية الفكرية مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالعربى بالمعتقدات الصوفية ومن المحقق الثابت أن ثمة تناقضاً وتضاداً بين الحياة المادية وبين الحياة الفكرية والخلقية ، وفى الحق فإنه لم يستطع أن يبث روح الطمأنينة فى ذات نفسه ، ومن ثم فقد كان لديه رغبة جامحة فى أن يكون ذا قدرة غريبة عجيبة غير مألوفة عن طريق تأثير التصوف . ومن خلأئه كذلك أنه لم يكن يساوى شيئاً قط فى شخصية مولانا وقد كان مرتبطاً بالطقوس والشعائر والنواميس وهذه الخليفة كان متقدمة سابقة على عقلية الصوفية ومما لا مرأى فيه أن الشدائد التى يمر بها صاحب هذه العقلية من قبيل التجربة والابتلاء ، وعليه فصاحبها يكابد كثيراً بغية الوصول إلى درجات النضج والكمال من طريق المناسك المتباينة ، ولهذا السبب فإنه سيرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمراسم والشعائر والطقوس .

ولما بلغ سلطان ولد العشرين إبان حياة أبيه أراد أن يدخل الخلوة كسائر الدراويش الآخرين ورغم أن مولانا كان يقول بوجوب الروحية لبعض الأشخاص إلا أنه لم يكن مناصراً للخلوة والرياضة على اعتبار أنها شىء أساسى (ترجمتنا للمثنوى ج ١ ، ص ٢٣ ، جزء ٢ ، ٢٣٢ - ٢٣٣ ، ص ٢٨٦ ، ١٥ ، ٢٨٧ ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ص ٣٤٣ ، ٤٥٩) ويقول فى ذلك ما ترجمته (لا رياضة عندنا بل لدينا شىء واحد هو اللطف والعطاء ، والهبة والإحسان والحب كله إنها الصداقة برمتها ، إنه الحضور والتألف والتناسق والتناغم ^(١٨) .

وبناء على هذه الرغبة فإن بهاء الدين كان يقول لسلطان ولد ، إنه ليس ثمة خلوة أو صومعة للتصوف عند المحمدين بل هما موجودان فى شريعة موسى وعيسى عليهما السلام ، وثمة أشياء ملفقة ومبتدعة فى ديننا بعد هؤلاء وإذا كان بهاء الدين يقول : إنه ليس ثمة حاجة ملحة لأصدقائنا وأولادنا للخلوة . فإن سلطان ولد كان يصر عليها ، ويقول : لزام على أن أدخل الخلوة أربعين يوماً فى أقل تقدير ونفذ رغبته التى رامها ، كان سلطان ولد لا يمتلك عشقاً عميقاً من أهل

الأناضول وذلك بالقياس إلى مولانا الذى يعانق الدنيا بأسرها^(١٩) وهذا ، أمر جد طبيعى فى رأينا ، فقد هجر وطنه ومحلته فى عصر صغير ، يحمل بين جوانحه خواطر مبهمة إلى هؤلاء وهؤلاء ، كما وفد مولانا إلى الأناضول كذلك عندما كانت تموج بالفتن والاضطراب من جراء تأثير الغزو المغولى وكانت الناس مع هذه الحالة المضطربة قد باتوا يكونون له حب الإنسانية المتأصل عميق الأغوار ويتوقنون إليه فى قرارة أنفسهم ، وأدى هذا بطبيعة الحال إلى إظهار الترفع والألفة والكبرياء .

أما سلطان ولد فقد ولد فى الأناضول ، وعرف محبيه فيها وفقدهم كذلك فيها ، واستقر به المقام فى أحد أركان الدنيا الثابتة الموحدة ، وقد تجلى عشق الوطن فى نفس سلطان ولد إبان عصر مولانا حضر سلطان ولد ذات يوم مجلس سماع فى بستان " مرام " وكان مولانا ينشد آنذاك رباعية فى ترجيع بند تتكون من سبعة بنود ويقول فى مفتتحها « أقبل يا سلطان السلاطين » ، وغشيت سلطان ولد فى ذلك اليوم غاشية من البشر والسرور ، وأمعن النظر مليا جهة قونية ، وعادة ما يرى بياض الرحمة يتنزل تحت الجليد .

نعم لقد كان مولانا يقول : إن قونية عظيمة التقديس ، ولقد وهبت لك هذه المدينة بشهادة الأصدقاء وكلما وجد ترابنا وعظام مولانا سلطان العلماء . وأصبح أولادنا وأحلافنا ثاوين فى هذه المدينة فإنه لا سبيل حينئذ إلى الزوال والفناء هاهنا كما أن خيول الغرباء لا قبل لها يسحق هذا المكان ، ولا تصيبه سيوف العدو بضرر أو أذى ولا بسفك دم هاهنا ولا سبيل إلى أن ينقض هذا المكان أو يخلى مما فيه .

ونجد عند مولانا أماديح تخص مدينة قونية ، بيد أنه ثمة أشعار لدى سلطان ولد يمدح فيها قونية أو غيرها من سائر المدن الأخرى ، بيد أن سلطان ولد هذا قد دبح ضربين من الشعر يمدح فيهما قونية على النحو الآتى :

« يا أهل قونية اعلموا أنكم ولدتم من روح هذه المدينة ، أليست هذه المدينة هى عش طائر العنقاء ، فلا تتشبهوا بطيور هذا الزمان وطيروا كالعنقاء فى عالم الخلق

وبين أظهر الخلائق ، ولئن اجتمعت المدائن كلها لتسندتم الذروة العليا فوق المدن أجمعين ، فماذا تكون هذه المدينة ؟ إن كل محلة ثاوية في هذه المدينة ، وإنها من ناحية القوة بمثابة قيمة عظمى لبضع مئتين من الأكوان . وكل واحد فيكم هو ذهب خالص مصفى . وماذا يكون الذهب ؟ فأنتم ألوف مؤلفة من الكنوز والمعادن « (الديوان : ص ٤٣٨ - غزلية ٧١١) .

ويقول في غزلية أخرى املئوا قونية بالجنود ، فأتم عرش دولة الأناضول ، وكل مدينة هي بمثابة أمير عظيم ، أما أنت يا قونية فسلطان المدن أجمعين ، وكل قلعة هي نجم متوهج لألاء ، وإنك تشبهين قمرا يسمو فوق النجوم . ألم يصطفك لتكوني سلطاناً علينا ، فأنت مكة المكرمة ، وأنت كعبة الله ، وقد توهجت وتلألأت أول الأمر بوجود الشيخ جلال الدين الرومى ، والآن فأنت آمنة مطمئنة في كنف قبره . أيا قونية إنك أنت الجنة والحورية ، أياقونية ! أنت السعادة والإقبال وأنت المنصب الرفيع ، وأنت الغطاء والرداء والقفطان والنطاق والقلنسوة ، وأنت سقيانا وشرابنا ، وأنت محلة الوصال ، وأنت الطريق ومدينة النشوة والسكر والمتاع ، وأنت أصل كل تأوه وبكاء ، وكم أنت يا مصر صغيرة أمام هذه المدينة ، وتشبهين كناسة التبن تماما بتمام ، ويوجد تحت جليد قونية ضياء يشبه النور الذى يثوى فى سواد العين ، لقد خلقك الله شاهداً ودليلاً على جمال خلقتك وجبلتك وحسنك ولطافتك . فامكث ياسلطان ولد مستريحاً قرير العين فى قونية وادفع عن نفسك التششت والوهن والابتئاس (ص : ٤٦٢ ، غزلية ٧٥٥) . وفى ديوانه أمدوحة فى كل من أق سراى وكوتاهية ويقول لأهل أق سراى : « إن كل واحد منكم عالم لمئات من الناس ، وأنت من ناحية البدن مشتقة من الأرضين ، ومن ناحية الروح آتية من السماء ، وأنت تثوين فوق التراب ، بيد أنك تتدفقين منثالة كالأنهار فى البساتين والحدائق الغناء . إن البدن تراب ، وسيكون فى النهاية لا محالة تراباً . أما أنت فتكونين برمتك روحاً دون أن تكونى ستر تراب . أنتم تقتلون لصوص وقطاع الطرق من أهل أق سراى وتجررون رءوسهم فوق التراب أنت تحكين وتقولين كم من الأنفس قد ذهبت فى لجة الصراخ والعويل من جراء ظلم الجنود ، ثم يقول : إنك قد رأيت وجه سلطان ولد ، وهذا

يعنى أنك تثوين فى لجة الأمن والطمأنينة أشهراً وسنيناً » (ص ٤٣٦-٤٣٧)
(غزلية ٧٠٧) .

ويقول فى حق كوتاهية : لا يتسنى لمدينة كائنة ما كانت أن تكون مثل كوتاهية
ياله من حظ ميمون لأهلها فكل ناحية فى هذه المدينة هى شمعة من مائة شمعة ،
وليس ثمة ظلمات تثوى وراء هذا النور ، فى كل ركن حديقة ومرج ، وفى كل جهة
جدول ماء ونهر ، وثمة قلعة جميلة شديدة الأسر والقوة ، إنها قلعة لم ير أحد مثلاً
فى الدنيا ، لقد أضاء جمال هذه المدينة سلطان ولد ، وهو يمدحها بوضوح وجلاء
فى لجة الدنيا بأسرها . ص ٥٥٠ ، غزلية ٨١٠) .

التوقير الذى تجلّى لسلطان ولد :

لقد قلنا فيما سلف إن سلطان ولد قد عرفه عشاق مولانا بداءة من عصر مولانا
وأحبوه حبا جما ، وعرف جيداً كيفية الاستفادة من تأثير أبيه ونفوذه عن طريق
الأفعال التى تتسم بالحكمة والتدبير وبعد النظر فى ذلك العصر الذى كان فيه ، يروى
فخر الدين ديودست فيقول : « شيد معين الدين يروانة مدرسة فى قيصرى ، وعين
فيها العالم الكبير قطب الدين شيرازى ودعا الناس قاطبة لحضور افتتاح المدرسة ،
كما دعا معين الدين سلطان ولد عن طريق علم الدين قيصرى ، وبعد أن قدم قطب
الدين درس الافتتاح قال لسلطان ولد : الآن جاء دورك ، وبدأ السماع ، وتوسل من
كانوا بالمجلس راجين من برؤانه التوسط بغية أن يقدم سلطان ولد عظة ، وحينئذ قال
سلطان ولد : إن علماء الظاهر لن يفهموا قولى ، بيد أنه لم يستطع تحمل إصرار
الحاضرين أو التذرع بالعلل والذرائع ، ثم اضطر فى نهاية الأمر إلى الصعود إلى
المنبر ، وطوى قلنسوته التى فوق رأسه ونحاها جانباً ، وبعد أن قرأ القرآن الكريم
جعل يدعو دعاء بليفاً ، ثم استهل حديثه قائلاً : يا شيخى وإمامى وقبلتى وقوتى
وسندى وعكازى وحمامتى الذى كان بمثابة الروح فى كيانى ، وتدبير حاجتى
فى يومى وفى غدى لا جرم أنك سلطان المتصوفة فى عليين ، وأنت سر الإله بين

ثنايا الحقائق ، وأنت الذات التي ألوذ بها وأستعين بها ، هذا ما قاله سلطان ولد في جلال الله والدين . ولما بلغ قوله هذا الحد ما انفك المتنكرون لمولانا والناظرون إلى وجه سلطان ولد أن بدءوا في العويل والصياح ، ومزق الشيخ براونة ثيابه وقال له وهو يقبل يده : يكفي أنك ابن مولانا وتكوينه حتى لو أنك لم تنبس ببنت شفة ألبتة .

وخلعت طائفة ممن كانوا بالمجلس الكرامة على سلطان ولد ، ورأوا أن هذا كان سببا في خلع قلنسوته وإذكاء سورة الحميا في نفوس جموع الحاضرين . كان آهى أحمد ينشد الأغان بصوت شجى جميل في جنازة أحد الصوفية العاشقين ، وأراد أحد المشيعين منعه قائلا بحرمة فعلته ، ومالبت أن نجاء سلطان ولد وقبل يد آهى أحمد مجيزا هذا الصنيع لهذا الرجل العظيم قائلا بوجوب أن يكون ثمة واحد أكبر منه حتى يمنعه من فعلته ، ولسوف يظل هذا الشأن بين العاشقين حتى قيام الساعة ، ثم قال له : لماذا ألقيت بنفسك إلى سيف المتصوفة العاشقين حينئذ اضطر آهى أحمد إلى السكوت ، وعندما سمع الشيخ صدر الدين بهذه الواقعة قال : هذا صواب ، ثم قال لأحدهم هل هو بايزيد العظيم ؟ ثم سألوا قائلين : أهو الجنيد ؟ ثم قال : فليجب واحد من هذين العظيمين ، وإن هذا ليشببهه لجأ أهل قونية إلى سلطان ولد عندما اشتدت وطأة المطر الوبيل في قونية ، فخرج من بيته حافى القدمين وهو يجهد بالبكاء ، وقدم إلى المقبرة وكشف رأسه وتضرع بالدعاء ، وإن هذه الأشياء كلها لتبين مدى نفوذ وتأثير هؤلاء الأقطاب في نفوس الخلائق أجمعين .

وفاته أولاده وخلفاؤه :

توفي سلطان ولد ليلة الجمعة العاشر من رجب لسنة ٧١٢ هـ عن ستة وثمانين عاما (١٣١٢ م) ، وورث الثرى في الجهة اليمنى لوالده ، ونعلم أنه لم يكن فوق قبره صندوق منفصل يميزه ، بيد أنه يوجد اليوم صندوق من المرمر ذو رأسين منصوب فوق كليهما (٢٠) : تزوج سلطان ولد بفاطمة خاتون ابنة قويومجى شيخ

صلاح الدين^(٢١) ، وبعد وفاتها تزوج بكل من نُصرت خاتون وسنبيل خاتون ، وأنجب من الأولى أمير شمس الدين عابد ومن الثانية صلاح الدين زاهد وحسام الدين واجد ، وتوجد رواية أدنى إلى التواتر تروج بين المولوية وتتعلق بما قدمته مطهرة خاتون إلى كرمياتلى سليمان شاه .

ويدون أفلاكي أن مطهرة خاتون قد أنجبت ولدين يسميان خضر باشا وبرهان الدين إلياس ، كما أنجبت شرف خاتون كذلك ولدين هما : أحمد باشا وأمير شاه ، بيد أننا لا علم لنا بزوجهما ، لم يتزوج مولانا سوى زوجة واحدة ، وكان يعارض استخدام العبيد والإماء^(٢٢) ، وكانت كلتا زوجتي أبني مولانا من الجوارى ويفيد كتاب (موضوعات العلوم والجواهر المضيء) أنه لم يتسن له التسرى بواحدة من المحظيات والجوارى ألبتة ، حتى إنه كان يريد إعتاق إحداهن ليتزوج بأخرى ، بيد أن الفتاة لم ترض من قبيل التبجيل والتوقير أن تكون جارية لسلطان ولد الذي يقول مبتسما : إنه يرى أن هذه اللذة ناجمة عن الوهم والخيال .

وإن الإحساس يسمو فوق الملذات والشهوات^(٢٣) ، وقد توفي صلاح الدين زاهد جلبي سنة ٧٣٤ هـ (١٣٣٣ - ١٣٣٤ م) ، وانقرضت سلالته .

أما شيوخ المولوية وهم : أولو عارف وأمير عابد وحسام الدين واحد فإنهم قد تعاقبوا مقام الطريقة الشلبيه في إثر بعضهم البعض ، كما كانوا يمثلون المولوية خبر تمثيل ، وكان لسلطان ولد عبد معتوق يدعى عبد الله أوغلو عثمان والذي اضطلع في سنة ٧٢٣ هـ ١٢٣٣ م بتدبيح نسخة المثنوى التي اتخذناها أساسا عولنا عليه في ترجمتنا^(٢٤) .

وعثمان أوغلو هذا هو كاتب الديوان الكبير المحفوظ في مكتبة متحف قونية والمدون تحت رقم ٦٦ وهو في جزأين اثنتين ، ويمكن الاعتقاد بأن هذا الشخص هو ابن الشيخ حسن^(٢٥) ، وقد اضطلع هذا الشخص بكتابة ديوان سلطان ولد (ص ٦١٦ F: uzluk basimi) .

اضطلع سلطان ولد بإرسال طائفة من الخلفاء إلى كثير من بقاع وأصقاع الأناضول ، ونحن نعرف زمرة ليست بقليلة من هؤلاء الخلفاء ، ومن بينهم الشيخ

سليمان تركمانى . وقد ورد فى مدح هذا الشيخ تقرير فحواه « هو الشيخ الأعظم قدوة الأصفياء والمتقين ، زبدة الأولياء والسالكين ، سلطان المشايخ والأوتاد وقطب دوائر الأقطاب والزهاد ، ومرشد العالم إلى سبيل الرشاد ، ظهر الواصلين وفخر الوالدين » وهذا يعنى أنه « شيخ وقطب عظيم ، طاهر الذيل نقى السريرة ، يستحى من الله ، وهو رجل اقتدى به واتبع سبيله أشخاص كثيرون ، وهو جوهر وكنه حقيقة المرتحلين مع المتصوفة ، وسلطان المتصوفة ، وهو مع المشايخ عمود الدنيا وركنها المكين وقطب دائرة الزاهدين والأقطاب ومحورها ، وهو مرشد الطريق المستقيم للعالم ، وهو زاد ونخيرة الواصلين إلى الحقيقة وهو الذى امتدحه السابقون (جواد تاريخ : قير شهر ، قرش سنة ١٩٣٨ م ، ص ٨٣) . وقد أسس فى شهر المحرم سنة ٦٩٧ هـ = ١٢٩٧ م زاوية مولوية فى الجهة الشرقية لمدينة قير شهر ، وذلك إبان حياة سلطان ولد ، ويوجد بجوارها قرية تحفها عشرون مزرعة مجاورة لناحية حاجى بكتاش ، وقد أوقف على تعمير هذه الزاوية مديراً يتعهد شئونها ويقوم بتقسيم المال الفائض على الشيوخ وإشباع بطون نزل الضيافة بها ولما كان هذا الشيخ من أرباب العبادة والخلق الكريم ، عارفاً باصطلاحات المولوية وأعرافها فقد جعل من بين شروط هذا الوقف أن يتضمن كذلك تخصيص ملابس لهؤلاء الشيوخ والنزلاء ، ونعلم كذلك أن صكوك هذه الوقفية تذكر كذلك الشيخ سليمان المولوى المنتسب إلى مولانا ، وثمة شخص آخر يسمى شمس الدين وهو ابن الشيخ حسين (وقفية : قير شهر المطبوعة سنة ١٩٣٨ ، بالحروف القديمة ، ص ٨٣ - ٨٥) .

ومما يؤسف له أنه لا توجد فقط سوى خلاصة لهذه الوقفية فى طبعة سنة ١٩٤٨ ، ص ٣٦ - ٣٧) ويخبرنا الكاتب المبجل رائف يلكنجى أن الإمام البغوى (ت ١١١٢ م) قال فى كتاب المصابيح سنة (٧١٠ هـ = ١٣١٠ م) إن ذلك الشيخ هو « عاليه بن موسى الولدى القر شهرى من الخدام المعروف الشيخ سليمان ولدى قدس الله سره العزيز » استانبول : فاتح DE - ١١٨٨) .

ولقد علمنا بوجود هذا الشيخ سواء أكان هو الشيخ سليمان ٧١٠ هـ = ١٣١٠ م ،
والذى كان موجوداً قبيل وفاة سلطان ولد بعامين اثنين ، أم أن اسمه قير شهرلى
على أحد المنتسبين إلى سلطان ولد فى هذه التكية ، ومن المحتمل أن يكون هذا
الشخص قد حل محل الشيخ سليمان (٢٦) .

أما مناقب العارفين فتنسبه إلى سلطان ولد كلية ، وذلك فى القسم الخاص
بالخلفاء والذى ورد ذكره فى مناقب العارفين ، بيد أن سبهسالر يقول : إن كلا
من الخليفتين أماسيه لى علاء الدين ولى حسام الدين يتنسبان إلى سلطان ولد .
ويبين أفلاكى أن هذا الشخص هو خليفة جلى حسام الدين ، ويخبرنا سبهسالر ثانية
أن سلطان ولد قد أرسله ليكون خليفة له فى منطقة أذربيجان (ترجمة : محمد
بهارى ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩) .

ونحن نعلم أن هذا الشخص هو ابن المدعو جلال الدين محمد منجم الذى
اضطلع بكتابة مقالات شمس تبريزى باسم شخص يدعى جوهر شاد (٢٧) .

مؤلفات سلطان ولد :

(١) الديوان :

يتضمن ديوان سلطان ولد طائفة من الأشعار جاءت على شكل القصيدة والغزل
والترجيع والقطعة والرباعيات ، وقد كتبت هذه الأشعار فى تسعة وعشرين وزناً ،
وثمة منظومات على حدة ، وقد رتب الديوان بحسب الحروف الهجائية كما هو الشأن
فى ديوان مولانا .

وهكذا ظهر الديوان الأسمى مؤلفاً من ديوان صغير يضم بين دفتيه تسعا
وعشرين قصيدة ويبلغ مجموع القصائد والغزليات والترجيع والأبيات الكائنة فى
المقطوعات ١١٨٠٩ بيتاً ، فإذا ما أضيف إليها أبيات الرباعيات فإن مجموعها
يبلغ ١٢٧١٩ بيتاً (F: zuzluk baslml) ويقول سلطان ولد فى ديباجة « ابتدائاه »

إن الديوان هو أول أعماله (ص ٣ : الأسطر الأخيرة) . بيد أن هذه الكلمة تفيد أن ثمة كلمة أخرى قد تفوه بها في هذا الصدد بغية إظهار اقتدائه بأبيه واتباع سبيله ، وذلك أن ديوان أى شاعر لا ينتهى قبيل وفاته .

فالشاعر يقول الشعر على الدوام . وقد انتهت الكتب التى دبجت على طرز المثنوى ، بيد أنه بعد ذلك كلما غشيته ثورة الانفعال وأصابته سورة الحميا مستلهما التعبير بالقديم ، فإنه حينئذ يفوه بالأشعار ويواظب على تدبيج الغزلية والقصيدة حيث يرى أن هذا شئ حتمى واجب مع ذات نفسه بصفة مباشرة . وهكذا يكبر الديوان ويعظم بصورة جيدة ، وإن تدبيج كتاب على شاكلة المثنوى ليثبت ويؤكد بقاء الإخوان فى استغناء عن قراءة الكتب التى تخص الآخرين^(٢٨) .

يقول سلطان ولد فى ديباجة ابتدأناه متبعا هذا السبيل « لقد أنشأ مولانا دواوين على أوزان متباينة الألوان والشيآت^(٢٩) ، كما نظم الرباعيات ، وأنا اقتديت به واتبعت سبيله ورتبت ديوانا ، وفى خاتمة المطاف قال الأصدقاء : إنك قد أنشأت ديوانا واتبعت سبيل مولانا ، بيد أنه يتوجب عليك اتباعك إياه فى طريقة المثنوى وطلبوا إلى تدبيج كتاب على شاكلة المثنوى ، ومن ثم فقد دبجت هذا الكتاب بغية التشبه به » .

ثم يقول إن هذه الكلمة هى تنمة الديوان ت، بيد أن تاريخ تدبيج ابتدأناه من عام ٦٩١ هـ = ١٢٩١ م) حتى عام الوفاة سنة ٧١٢ هـ (١٣١٢ م) وهذا يعنى أنه لم يتفوه بأية قصيدة أو غزلية أو رباعية مدة ثلاثة عشر عاماً .

وهو فى هذا يعبر عن وجود أشعار كثيرة حتى هذه الحقبة من الزمان وتشكل ديوانا شعريا ، وقد قلنا آنفا إنه بذ حمية وتقليد أبيه ومضى قدما بصورة مباشرة فى هذا السبيل .

وإن كثيراً من الغزليات الواردة فى الديوان هى نظائر لغزليات مولانا ، ولهذا السبب فقد ظهرت نشریات ودوريات لتثبيت هذه النظائر وتوكيدها ، وخلعت عليها أسماءها وعلى سبيل المثال : فقد رأينا فى مكتبة جامعة إستانبول ما يسمى « كتاب

مناظرة مولانا بسلطان ولد « وهى دورية مقيدة تحت رقم ١٢٠٥ وموجودة بين ثنايا المخطوطات الفارسية (٢٠) .

كما وجدت نظائر أخرى مكتوبة عام ٧٣٤ هـ = (١٣٣٣ - ١٣٣٤ م) وهى موجودة فى دورية النظائر ومكتوبة حتى فى حياة سلطان ولد ومحفوظة فى إحدى المكتبات الخاصة F: uzluk ، وأحطنا خُبرا بوجود دورية أخرى مدونة ضمن كتاب برتو باشا بالمكتبة القومية فى استانبول (الديوان - المقدمة ، ص ١ - ٤٢) .

(٢) ابتدائه :

هذا الكتاب هو المثنوى الأول لسلطان ولد ، وتفيد النسخة المدونة تحت رقم ١٣٨٠ ضمن المخطوطات الفارسية بجامعة إستانبول أنه يحتوى على ٩٤٣٥ بيتا من الشعر ، و ١٦٣ عنوانا كبيرا (٢١) ، وذلك فضلا عن الديباجة الموجودة فيه ، وقد سماه سلطان ولد فى الديباجة باسم « مثنوى ولد » « طبعة جلال همابى : ص ٢ » وإذا كانت بغيته من هذا الكتاب هو التنويه بذكر مولانا وسرد حكايات المتصوفة السابقين فى المثنوى ، فإنه مع هذا يشرح حاله ، ويسرد فى هذه الحكايات كذلك أحوال نُدمائِه ورفقائه من المتصوفة والمريدين أمثال : برهان الدين وشمس الدين وصلاح الدين وجلى حسام الدين ، ولكنه يقول إنه لم يتسن له ذكر بعض هؤلاء الأشخاص .

ثم يردف قائلا « لقد شرحت أحوال هؤلاء الأولياء وبينتها بجلاء فى كتابى ، وذكرت طرفا من سيرهم الذاتية ومايكتنفها من ملابسات إبان عصر مولانا ، وذكر كذلك كيف أنه يتوجب على المريد لبس الخرقة وقص الشعر والتزامه بسائر الأشياء التى تخص الطريقة وتتصل بها ، كما يلزمه كذلك المضى قدما فى طريق الشيخ والاستمسك بالخلائق والسجايا الإلهية متبعا سبيلها ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، ويضيف قول أبيه له : إنك على أسال منى وأكثر شبها بى من ناحية الخلقة والجبلية ومن ثم فإنه اصطفانى أنا من بين إخوتى والمريدين والعلماء أجمعين ، وعليه فقد

أفرغت وسعى وبذلت جهدي في التشبه به واتباع سبيله متمثلاً في ذلك قوله :
من شابه أباه فما ظلم .

أما مولانا نفسه فقد قال أشعاراً على أوان متباينة ، كما نظم الرباعيات وأنشأ
الدواوين الشعرية ، وأنشأت أنا كذلك ديواناً ، ثم قال أحد الأصدقاء بعد ذلك :
رتب ديوانك مقتدياً بأبيك ، ولزام عليك أن تتبع سبيل المثوى وتنتهج نهجه
في هذا المضمار .

وانهمكت في العمل وجعلته شغلي الشاغل بغية التشبه به ، ويقول « وعليه فإنني
شرعت في تأليف هذا الكتاب في اليوم الأول من شهر ربيع الأول لسنة ٦٩٠ هـ
(١٢٩١ م) ثم يقول في خاتمة الكتاب ما فحواه « صديقي ، لقد بُدئ تأليف هذا
الكتاب في اليوم الأول من شهر ربيع الأول لسنة ٦٩٠ هـ فلا تقل أنت إنه طويل
مسهب أيها الرجل الممدوح ، لقد انتهى الكتاب في الرابع من جمادى الآخرة »
(ص ٤٠٣) ، ويفهم من هذا الكتاب أنه قد كتب في ثلاثة أشهر على وزن : فاعلاتن
مفاعلين وفرغ من كتابته في أربعة أيام ، بيد أنه يوجد هاهنا شيء يشد النظر
ويسترعى الانتباه .

لقد بحث سلطان ولد في كتابه كما نوهنا آنفاً مسألة وفاة الشيخ بكتمور أوغلو ،
ولقد ورد في النقوش الموجودة على المقبرة المدفون فيها الشيخ كريم الدين أن تاريخ
وفاته هو ذو الحجة لسنة ٦٩٠ هـ = ١٢٩١ ، ومن ثم فإنه توجد فسحة من الزمان
مقدارها ستة أشهر على وجه التقريب بين شهر جمادى الآخرة وهو تاريخ انتهاء
الكتاب وبين شهر ذي الحجة وهو الشهر الأخير من السنة ، وعلى هذا فكيف يتسنى
البحث عن وفاة رجل لم يزل على قيد الحياة قبل ستة أشهر من هذا التاريخ ؟ ومن ثم
فلا سبيل أمامنا في حل هذه المسألة سوى طريقين اثنين لا ثالث لهما : الأول - أن
الشيخ كريم الدين قد توفي عقب الفراغ من تأليف هذا الكتاب ، ومن ثم فقد أضاف
سلطان ولد ما يراه مناسباً إلى مواضع الكتاب ، وكتب بعد ذلك فضلاً عن وفاة
الرجل ، وأقساماً أخرى تخص هذه الشخصية وتشير إليها ، بيد أن سلطان ولد
لم يتطرق إلى تواريخ الخاتمة والبداية الموجودة في آخر الكتاب ، ولا إلى تاريخ

البداية الوارد فى الديباجة ، وعليه فإنه رغم انتهاء الكتاب فى شهر جمادى الآخرة فإن هذه الأقسام قد أضيفت إليه بعد حين . الثانى - لقد توفى الشيخ كريم الدين قبيل انتهاء الكتاب ، بيد أن شاهد القبر قد شيد بعد ذلك ، وليس تاريخ الوفاة هو المدون عليه ، ومن ثم فقد دون التاريخ المعمول فوق شاهد القبر ، ونحن نرى أن الاحتمال الأول أشد قوة ورجحانا . وها هو ذا المثنوى الأول سلطان ، ولد الذى يسميه مثنوى ولدى « ويقول فى مطلع مافحواه : أبدأ باسم الله الذى خلق عالم الوجود والفناء ابتداء ميكنم ينام خدا : موجد عالم فتاويقا ويفهم من هذا علة تسمية مثنويه الأول باسم « ابتدائنامه » وقد دون سلطان ولد فى هذا الكتاب أصدق الأحداث والوقائع التى تتصل بمولانا على الخصوص ، وكذلك ما يتعلق بأولئك الذين لهم وشائج صلة بمولانا .

وإن تقديم أصدق المعلومات بشأن هؤلاء ذو أهمية قصوى فى هذا السبيل ، كما أنها تعد ولا ريب أول مصدر أساسى فيما يتصل بحياة مولانا وتاريخ المولوية على حد سواء وقد اضطلع المدعو « جلال همايى » بطبع كتاب « ابتدائنامه » فى سنة ١٢١٥ هـ = ١٩٣٦ م كما اضطلعت مكتبة إقبال بتهران بطباعته باسم « مثنوى ولدى بابحر خفيف معروف باولدنامه » وقد أضاف جلال همايى إلى هذا الكتاب كل ما يتصل بحياة سلطان ولد وأثاره ، كما زوده كذلك ببحوث تهتم اهتماما بالغاً بمولانا جلال الدين الرومى وولده ، كما تضمن الكتاب مقدمة ثرية تختص بفلسفة سلطان ولد وأفكاره ، وتعرض كذلك للخصائص اللغوية والحكم والأمثال المتعلقة بألفاظ هذه الحقيبة من الزمان والتى تختص باللغة الفارسية الواردة فى الكتاب وكذلك النسخ الرئيسية المطبوعة منه ، كما اضطلع جلال همايونى كذلك بترتيب فهرس يخص الأحداث والوقائع التاريخية فضلا عن الفهرس الذى يعتمد على العناوين الواردة بين غضون الكتاب .

وتحتوى هذه الطبعة القيمة على فوارق متميزة بالقياس إلى النسخ الأخرى ، فقد اهتمت هذه النسخة باستخراج الأبيات التركية الموجودة فى « ابتدائنامه » ومن ثم فإنها أصدق النسخ المطبوعة طراً ، أما النسخة الموجودة فى مكتبة المجلس فإنها

لم تختبر النص الصحيح الكامل بسبب عدم اتخاذها للنسخة الأصلية ، وكذلك عدم وجود فهرس فى النسخة المطبوعة ومع كل هذا فإن جلال همائى يستحق كل شكر وعرفان لهمته العظيمة وجهده الكبير .

(٣) رباب نامه :

هو المثنوى الثانى لسلطان ولد ، ومدون تحت رقم ١٣٧٥ ضمن المخطوطات الفارسية بجامعة استانبول ، وكتب فى أواخر المحرم لسنة ٧٤٦ هـ = ١٣٤٥ م ، يعنى بعد وفاة المؤلف بنحو ثلاثين عاما على وجه التقريب . ولما كان هذا المخطوط ذا أهمية قصوى فإنه يتضمن ٨٠٩١ بيتا من الشعر و ١٠٧ عنوانا ، فضلا عن ديباجته .

يقول سلطان ولد : إنه بعد كتابة مثنوبة الأول كان لدى أصدقائه رغبة عارمة بغية تدبج هذا المثنوى على نفس وزن مثنوى مولانا ليكون أكثر إلفا واعتيادا . أما الرياب فهى آلة عزف تنسب إلى مولانا ولما كانت هذه الآلة تحتوى على أشياء كثيرة غريبة كالجلد والشعر والحديد والخشب فإنها ليست ذات صوت واحد كالناى ، ومن ثم فإنه يقول إنه بدأ ديباجة المثنوى الثانى بالرباب لاشتماله على أصوات كثيرة شتى .

وقد ورد فى مفتتح هذا المثنوى بيت من الشعر يقول معناه « ألق السمع مليا إلى بضع سنين من الحكم المعبرة التى تخص العشق وتنبعث من تأوه ونحيب الرياب الباكية » .

بشنويد از ناله وينكر رباب : مكنها عشق ليدر صدكونا باب .

يذكر هذا المثنوى باسم « رباب نامه » لاستهلاله بهذا البيت سالف الذكر وقد ورد فى ديباجة الكتاب ما يأتى « الديوان التركى لسلطان ولد » كما ورد فى خاتمة الكتاب « لقد انتهى هذا الكتاب بفضل الله وإحسانه فى سنة سبعمائة من الهجرة ، والمعنى فلا بقيت شمس تحت غيم السحاب .

وقد تم الكتاب فى شهر ذى الحجة ، وبدأ فى اليوم الأول من شهر شعبان ،
ولزام على أن أتمه وكفى ، فإله يعلم أيها أكثر صدقا وصوابا ، وياصوفى الطريق
لقد كتبت هذا المثنوى فى السنة المذكورة وفى غضون خمسة أشهر :

شود تمام ازداد داداراین فى كتاب .: درسنة سبعة مائى بى ذولباب .

ورمه ذى احلجة شودههم این تمام .: تارنما تدير خورما تى تمام

عاره شعیان شود آغاز كتاب .: بس كنم والله أعلم بالصواب

درسنة فذكور اندرینج ماه .: شود تمام این مثنوى أى مردراه

(جمع هذه الأبيات : ولد جلى ، وصححها كليسلى رفعت استانبول

(١٣٤١ هـ - ص ٩٤)

أما فى نسخة الجامعة فإن بداية الأبيات توجد فى النهاية ، وهى تحتوى على
البيتين اللذين يكتبهما بعد الأبيات الثلاثة ، هذا ولا توجد فى رباب نامه أية معلومات
على الإطلاق تتصل بحياة مولانا .

(٤) انتهانامه (رساله النهاية)

هو المثنوى الثالث والأخير لسلطان ولد ، ومدون تحت رقم ١٠٠٩ ضمن
المخطوطات الفارسية لجامعة إستانبول ، واضطلع بكتابته شخص يدعى « غازان قر
المولدى » بمدينة حلب ، وذلك فى شهر ذى القعدة لسنة ١٠٢٠ هـ = ١٦١١ م ،
وتحتوى هذه النسخة على ٨٣١٣ بيتا ومائة وعشرين بحثا ، فضلا عن الديباجة التى
تصدرتها ، ويقول فى ديباجة هذا الكتاب الأخير « إنه كتبه على وزن مثنوى مولانا ،
وكتب سلطان ولد فى المثنوى الأول عن أحوال كل من مولانا وشمس وصالح الدين
وحسام الدين ، وجاء الكتاب الثانى على وزن المثنوى ، أما المثنوى الثالث فيتحدث فيه
عن الرباب فى مستهله ، ونجد بين ثناياه النصائح والإرشادات ، أما الكتاب الرابع

الذى بين أيدينا فإنه يذكر فيه سالكى سبيل الحقيقة بعدم اتباع سبيل النفس والشيطان والحرص على عصيانهما ثم يسوق النصائح للتأكيد على ما يقول (٢ - ١٠) .

ويقول فى هذا ما فحواه « أبدأ ثانية باسم الله لأسوق الحكم الزاخرة بالأسرار القليلة منقطعة النظير .

ميكى يانام حق أغزيار : انكتهابى نادريز أزيان .

وعليه فإنه يبدأ هذا الكتاب الأخير يمثل هذه الأبيات ، بيد أنه خلّو من أية معلومات تتصل بمولانا أو المحيطين به .

(٥) كتاب المعارف :

هو كتاب منشور مسهب يتكون من جزء جاء فى ستة وخمسين فصلا قصيرا ، أما لغته فهى لغة حديث متقنة بارعة جلية ، تشبه تلك اللغة الموجودة فى مقالات شمس وسيد برهان الدين ، كما تشبه كذلك كتاب المعارف لسلطان العلماء وكتاب « فيه ما فيه » لمولانا جلال الدين الرومى . ولا أثر فى ألفاظه لفكرة الفن المتكلفة المصطنعة ، أما بحوثه فإنها عذبة جميلة رقراقة ذات نكهة حلوة ومذاق لذى ، وهى متسقة مطردة ذات نظام بديع ، وإذا ما استطرّد فى الحديث فكأنه يفتح الأحاديث متعاقبة فى إثر بعضها البعض عند رجالات العلم .

وكتاب سلطان ولد هذا يشبه كتاب المعارف لجده سلطان العلماء ، وكتاب فيه ما فيه لأبيه جلال الدين الرومى وبعبارة أكثر صدقا فإنه كتب كتابه لأنه وجد كتب هؤلاء متفردة قائمة برأسها ، ومن ثم فإنه سمى كتابه باسم كتاب جده (المعارف) (٣٢) .

وليس ثمة فرق يذكر بين الأفكار الواردة فى كتاب المعارف وبين مثيلاتها فى كتب المثنوى ، حتى أنه يذكر الأبحاث بعينها فى مواضع كثيرة من كتابه ، ويوجد فى

الكتاب كذلك صلات ووشائج تتصل اتصالا وثيقا بخلائق وسجايا سلطان ولد ،
وتلمس كذلك بعض الوقائع والأحداث التاريخية .

وعلى سبيل المثال فإنه يقول فى أحد فصول الكتاب : لقد رأيت فى منامى أننى
موجود فى مدرسة مولانا وردهة هذه المدرسة غاصة عن آخرها بالأصدقاء والأخلاء ،
فقلت لهم بصوت جمهورى : إن الحياة التى تقدم الإحسان إلى الناس ما هى
إلا فيض وخير عميم ، بيد أن هذا الفيض يؤثر فى كل شخص تأثيرا مغايرا فقد جاء
إلى محمد صلى الله عليه وسلم نور وفيض ، وجاء كذلك إلى أبى جهل نور وفيض .

أما محمد فكان فى حالة متفردة وحيدة منقطعة النظير ، وأما أبو جهل فكان
فى حالة غريبة عن الحقيقة ، ومحمد قد سبق إلى حالة ترى الحقيقة وتعاينها ،
أما أبو جهل فقد عمى عنها ، وهكذا يكون فصل الربيع ، إما أن يتلأأ كل موضع
بنفس الشكل واللون ، وإما أن ينمو الشوك فى موضع ما ، وثمة فاكهة فى مكان ما ،
فبعض الفاكهة مر وبعضها حلو لذيد « جامعة استنابول - المخطوطات الفارسية
(١٨ ، ١٧ ، ٦٧) .

وفى الفصل الثامن عشر من الكتاب يحكى الكلمات التى قالها للسلطان مسعود ،
ويذكر بهذه المناسبة ضرورة الإحاطة بالأسباب فى الدنيا ومعانقتها (٣٣ ، A ،
وما بعدها) . ويقول فى فصل آخر : إنه يثير فى الذاكرة فظاظة وشراسة عائلة
نويان المغولية وما اتصف به سلاطين المغول من عظموت وجبروت ، وقد استقر فى
الأفئدة الثياب التى يرتديها نويان كانت فى الحقيقة ثياب رجل مسكين عديم الحيلة ،
حتى أن الناس لم يجدوا أية قيمة قط بين ظهراى المغول فأكرموه ووقروه ، فهل رأى
هذا الشكل وذاك اللبس الخاص ، ومن ثم فقد تحمل غطرستهم ووقاحتهم وسوء
أدبهم « وهو بهذه الألفاظ يبين ترويع وترهيب المغول الذى كان سائدا فى عصره (٣٣)
وفى الفصل عينه يسوق سلطان ولد بعض المعلومات التى تخص حال مولانا عقب
رحيل شمس (٣٤) ثم ما يلبث أن يسوق شواهد شعرية فى مواضع متباينة من كتابه ،
وهى مقتبسة من كل من الشاعرين سنائى وعطار ، وكذلك مولانا جلال الدين الرومى
على الخصوص .

وكتاب المعارف هو أثر يضم بين دفتيه إحدى وخمسين ورقة كبيرة وقد اضطلع المدعو مليحة طارق أخيا بترجمته إلى التركية ، ثم اضطلعت وزارة المعارف بعد ذلك بنشر الأثر العلمى فى تسعة عشر كتاباً. ضمن سلسلة الكلاسيكيات الشرقية الإسلامية .

وإذا غرضنا الطرف عن المعلومات التى تخص الوقائع والأحداث وتتصل بالذوات والأشخاص فإننا واجدون أنه لا سبيل إلى التماس فائدة ترجى من هذه الترجمة رغم احتوائها على فهرس عام (أنقرة ١٩٤٩) .

ولم يطبع من مؤلفات سلطان ولد أى شىء على الإطلاق سوى ديوانه ومثنوية ابتدائاته ، كما لم تترجم آثار أخرى إلى التركية سوف كتاب المعارف . ويحيطنا كاتب جلبى علماً بأن سلطان ولد قد اضطلع بنظم « الفقه النافع » شعراً ، وقد وضع هذا الكتاب أحد علماء الحنفية المتوفى سنة ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م ويدعى « ناصر الدين أبو قاسم محمد بن يوسف الحسينى المدنى قندى ، كما ترجم هذا الكتاب إلى الفارسية نظماً (كشف الظنون : طبع وكالة المعارف : إستانبول سنة ١٣٦٢ هـ = ١٩٤٣ م - ج ٢ ، ص ١٢٢) .

كما شهود هذا التسجيل كذلك فى F:uzluuk كما تم بحثه كذلك فى مقدمة ديوان سلطان ولد (ص : ٣٩) . وثمة ملاحظة فى شأن هذا الكتاب فى طبعة وكالة المعارف تفيد بأن هذا الأثر لم يكتب فى أسماء المؤلفين لصاحبه إسماعيل باشا وهذا يعنى أن هذه المسألة فى مسيس الحاجة إلى البحث والدراسة ، ونعتقد أنه لا وجود لهذا الكتاب فى مصادر المولوية وهو من الكتب الملفقة المزيفة مثل : عشق نامه وتراش نامه ورسالة الاعتقاد وغيرها (٣٥) .

الهوامش

(١) ديوان سلطان ولد طبعة أولق Uzluk ، المقدمة ، ص F. N ، ويقول إنه اقتبس هذا من السجل الموجود في الديوان الذي كتبه هدية خاتون زوج نظام الدين واخت فاطمة خاتون زوج سلطان ولد . ويظهر في المقدمة أن التاريخ الميلادي المقابل للهجري هو ٢٨ ابريل ، بيد أن قائق رشيد أونات ترجم التواريخ الهجرية إلى تاريخ ميلادي على النحو الآتي : يوم الجمعة الرابع والعشرون من ابريل (معارف ٧ - ١٩٤٣ ، ص ٤٢) ولتلق بهذا أن هذا التاريخ لا يطابق ما ورد في السجل الوارد بكتاب سيهسلر والذي يقول إنه عمر حتى بلغ ستا وتسعين سنة (ترجمه مدحت بهارى ، ص ٢٠٢) .

(٢) انظر : مولانا جلال الدين - الطبعة الثانية : ص ٧٩

(٣) نفس المصدر . ص ١٠٥

(٤) نفس المصدر : ص ١٠٧ - ١٠٨

(٥) أصله من تخواند ، ولد في بغداد ، وتمه طرق صوفية كثيرة ترتبط ارتباطا وثيقا بسلسلة نسبه ، ولهذا السبب فإنه سمي سيد الطائفة وتعنى دولة الصوفية ، وتوفى بين عامي ٩٠٩ و ٩١٠ هـ ، أو بين عامي ٩١٠ و ٩١١ هـ . (انظر : ترجمات النفحات : ص ١٣١ - ١٣٥) . أما معروف الكرخي فهو من مشاهير الصوفية : وانتشرت الطرق الصوفية المعروفة باسم « الذهبية » وذاعت في إيران ، وتمتد سلسلة نسبها إلى معروف الكرخي ، وتوفى سنة ٨١٥ هـ .

(٦) موسى وعيسى نبيان معروفان ، أما عمران فهو والد موسى ، والمتصور هو : حسين بن منصور الحلاج الذي شتى في بغداد سنة ٩٢٢ هـ بسبب عقيدته وكلامه المناهض للشريعة ، أما أدهم فهو ذلك الصوفي المشهور إبراهيم بن أدهم البلخي المستوفى في الشام بين عامي ٧٧٧ - ٧٧٨ هـ . وذو النون هو صوفي ينتسب إلى الطريقة الملامتية ، وتوفى في مصر سنة ٨٥٩ هـ ، وأحمد البلخي المتوفى سنة ٨٥٤ هـ ، وهو صوفي من أرباب الفتوة والطريقة الملامية . (انظر : كتاب النفحات وكتب الطبقات الخاصة بالصوفية) .

(٧) عرق اللؤلؤ : أم اللآلئ : مادة صلبة ناعمة قزحية اللون تشكل بطانة بعض الأصداف (المترجم) .

(٨) كرنزدكسان كريم بك بكتمورى : نزدك من ازدانشن بنيشن كويدري بك دريتيم تور درين جسم صدف : جاي دور صدف كه صد بهار دري (ربايه رقم ٤٥ ، ص ٦١٦ : F N : uziluk Basimir) .

(٩) الدبق هو الجير ، والغبيراء هي : رماد الجبل (المترجم) .

(١٠) تأتي هذه الكلمة بمعنى شجرة ، وهو اسم يطلق على الشهادة أو الإجازة الرأسية المكتوبة لسلسلة الطريقة التي تنحدر من شيخ إلى آخر حتى تنتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ويطلق عليها في الأزمنة المتأخرة اسم الشهادة أو إجازات نامة . وتطلق كلمة شجرة على الوثيقة التي تثبت نسب الأسياد من جد إلى جد حتى تصل إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

- (١١) المكث : هو الرزين الذي لا يعجل فى أمره ، ويعرف فى التركية باسم Temkinfi (المترجم) .
- (١٢) انظر : مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية : ص ١١٤ ، ١٣٠ .
- (١٣) ديوان سلطان ولد FN : uzluk basimi . ص ١٠ ، ٩ ، ٨٧ ، ٨٦ . تربه وهم مدرسه عمارات
ذكرم ١ كوفية وارة شيخ زهى يار ومريوى بس آرا (ص ١٠ ، بيت ١٢٧) تربت معمور شو دفير
تومحشور شد ١ سال تو ميمون بادماهى توفر صدة باد (ص ٨٦ ، بيت ١٧١٧) .
- (١٤) مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية : ص ٣٠ .
- (١٥) الطبعة الأولى من كتابنا المرسوم باسم « مولانا جلال الدين » وقد كتبنا تاريخ اعتلاء غيات
الدين مسعود العرش سنة ٨٨٢ هـ - ١٢٨٣ م معتمدين فى ذلك على كتاب « الدول الإسلامية (ص ٥
أسفل سطر : ٣) . وقد صححنا فى الطبعة الثانية ما صرح به سلطان ولد من ذكر اليوم والشهر والسنة
الذى ورد فى البيت الثانى من هذه القصيدة (: ٥) .
- (١٦) إذا كان شهاب الدين أوزلق يقول : أن تعمير السلطان مسعود للمقبرة يعتمد على هذه الكلمات
الواردة فى المعارف فإنه من المتعذر لدينا أن نفهم شيئاً من هذه العبارة (مقبرة مولانا ، احدى نشریات دار
الشعب بقونية سنة ١٩٤٦ ، ص ٥٤) .
- (١٧) جمع غار ، ويعرف فى التركية باسم Magara (المترجم) .
- (١٨) رياضت نيست بين ماهمه لطف است وتجايش ١ همة مهرست ودلدارى همة آسیاست وآسايش
(الديوان) ويدون سلطان ولد الصراع الأول من هذا البيت فى مقدمة رباب نامه (جامعة استانبول ،
فارسی ١٣٧٥ - ١٠٦٠ A) .
- (١٩) مولانا جلال الدين الطبعة الثانية : ص ٢٠١ اقرأ بداية من السطر التاسع عشر .
- (٢٠) انظر : مولانا جلال الدين الطبعة الثانية : ص ١٣٤ ويكتب سبهسالر أنه عاش ستة وتسعين
عاماً (ترجمة مدحت بهارى ص ٢٠٢) .
- (٢١) انظر : مولانا : جلال الدين : الطبعة الثانية : ص ١٠٩ - ١١٠ .
- (٢٢) انظر : مولانا : جلال الدين : الطبعة الثانية : ص ٢٠٩ - ٢١١ - ٢١٦ .
- (٢٣) طاشكبرى زاده - ترجمة كمال الدين محمد - استانبول - مطبعة أقدام سنة ١٣١٣ هـ - ص
٧٤٧ - ٧٤٨ - ١٠ - ط .
- (٢٤) انظر : ترجمة المثنوى : الصورة الفوتوغرافية فى نهاية الجزء الأول انظر كذلك : مولانا
جلال الدين ط ٢ ، ص ٢٦٦ ، والملاحظة رقم ٣٥ الموجودة فى نفس الصحيفة .
- (٢٥) انظر : محمد يوسف : المرشد المختصر لمتحف الآثار القديمة لقونية سنة ١٩٨٠ ، ص : ٧٣ .
- (٢٦) يوضح جاويد تاريم تاريخ وفاة الشيخ سليمان بعام ٦٩٢ هـ - ١٢٩٣ م ، وذلك فى اللوحة المثبتة
فوق الصندوق الكائن على قبره ، وهو محق فى تشككه فى هذا التاريخ ، حيث ورد فى الوقفية جملة تقول
« ورجل الله حلت بركاته علينا » وهى جملة تفيد أنه لم يزل على قيد الحياة .
- أما رائف بلكنجى فإنه يعتمد على كتاب « منطق الطير » لكلشهرى والذى يذكر اسم سليمان هذا ،
ويزعم كلشيهري أن هذا الشخص هو الشيخ سليمان ، ويتوجب علينا إسداء الشكر له بسبب الوثيقة التى
قدمها لنا ، ولزام علينا القول : إننا إذا تجاوزنا صراحة بعدم ورود ذكره قط فى واحد من هذه الأبيات التى

قرأناها ، وحتى أنه لم ترد إشارة واحدة قط تدل على هذا فإن هذا الادعاء خاطيء ولا أصل له ، وهو يشبه ادعاء عاشق باشا بشأن يونس أمره (انظر : عبد الباقي كلبنارلى : عاشق باشا شامع يونس وباطنية يونس - استنبول - مطبعة كنعان ١٩٤١ م) . ومن المتعذر عدم البحث فى الهدد وسليمان ومنطق الطير ، وإذا وجد أن اسم سليمان قد ورد فى أحد مخالصة كلشهرى من موضع إلى آخر فإنه لابقاء لمثل هذه المسألة ، كما أن البروفسور Ritter قد قبل هو الآخر برأى كلشهرى ونعتقد أن قد وقع بدوره فى خطأ جسيم ، وإذا قيل هذا فإنه يكون قد تردى فى هاوية الغفلة والنسيان .

(٢٧) انظر : مولانا جلال الدين - ط ٢ ، ص ٣٠ .

(٢٨) المصدر السابق : ص : ١١٧ - ١١٨ .

(٢٩) الأشعار فى الديوان الكبير مرتبة بحسب الحروف الهجائية وقالها فى كل ضروب النظم ، وهى

تجميع للدواوين الصغيرة : انظر : مولانا : ط ٢ ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨

(٣٠) وقد ورد فى هذه الدورية غزلية لمولانا يقول فى مطلعها « بارك أبوك سر الإله » ونظم سلطان ولد نظيرة مشابهة لها ويقول فى مطلعها « فليبارك ولدك سر الإله » وثمة غزلية أخرى وتحمل عنوان « الولده قدس الله سره » حيث جاءت عند سلطان ولد بنفس الألفاظ ، كم ورد على هذه الشاكلة نظائر سلطان ولد ، وهى نصف الغزليات وتتجاوز ٣٥٠ غزلية وردت فى هذه الدورية .

(٣١) وقد ورد فى صدر كل بحث وفى سائر الكتب الأخرى أن ثمة منظومات ومثنويات لسلطان ولد جاءت مشابهة كما هو موجود فى المثنوى ، وتفيد خلاصة هذا البحث بوجود قسم منفرد قائم برأسه مدبج بنثر شديد الوضوح والجلال ، وكتب هذه النثرية بمداد أحمر وبهذه المناسبة فإن هذه المقطوعات النثرية هى بمثابة أقسام للكتاب ، ويرد معنى « قيرمزي » فى الفارسية باسم « سرخ » .

(٣٢) لا جرم أن الصوفية يطلقون اصطلاح « المعارف الإلهية » على المعارف التى تخص معتقداتهم الدينية وعلى هذا فإن كلمة « معارف يمكن اعتبارها اسم جنس عام أكثر من كونها اسما خاصا .

(٣٣) عظمت وصلابت سلاطين ونويانان مغول در خاطره جوناان ينشته است ودررد لها باى شان أثر كرده كله اكرجه حقايقات ميدانتدكه ودرويش استويافوا ودرمبان مغولا قدرى نداد بامجرد أين صورت واین لباس اورا تعظیم ميكند (A : ٣٣) .

(٣٤) انظر : مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية : ص ٨٥ - ٨٧

(٣٥) نفس المصدر : ص ٢٦٩ - ٢٧٠

الفصل الثالث

السمة الفكرية لسلطان ولد

أسلوبه وشعره - هلى يوجد فكر متأصل عند سلطان ولد ؟ - الشىء الذى صنعه سلطان ولد .

أسلوب وشعره :

اجتهد سلطان ولد وصرف جل همته فى اتباع سبيل مولانا وتقليد أدائه وأسلوبه ، بيد أنه لم يكن ناقلًا للشكل والألفاظ بعينها الواردة فى آثار مولانا الشعرية والنثرية على السواء ، ومن ثم فإنه قدم هذا الشكل من جديد بنفس الأداء . كما أن قريحته الصوفية قد اضطلعت بدور كبير فى هذا التقليد ، وكانت أفكار مولانا واقعية حقيقية موسومة بميسم الوضوح والجلاء ، أما عند سلطان ولد فإنها ملفزة يكتنفها إلغاز صوفى غامض ولم يدرك سلطان ولد كنه الانفعال العاطفى وسورة الحميا لدى مولانا ولم يعرف حدها ، ومن ثم فإنه من المتعذر العثور على مثل هذا الضرب الحر من التفكير الذى يتأتى فى هذا السبيل .

وهذان مثالان بسيطان يمكن أن يقدمنا لنا فكرا يعتد به فى هذا السبيل : يقول مولانا فى المتنوى (استمع كيف بيث الناي شكواه ، وكيف يشرح لواجع الفراق والهجران) . فهو يبدأ بهذا القول ويقدم كلامه إلى الناي فى الحال ، ثم يجمع ويؤلف بينه وبين صرخته ونواحه وصرخة الناي وأنته وهذه الرغبة العارمة والشوق الجامح ، وهذا

الاحتراق مفعم ملائ بالدماء ، إنها عشق وحكاية الطريق التي لا تتقدم ولا تبلى ولا ترقد ولا تهدأ ، إنها مثيرة للمشاعر مهيجة للأحاسيس تُلحق إلى الروح أرواحا .

هكذا يبدأ مولانا حديثه مخاطبا المستمع على الدوام وعلى حين غفلة ، بيد أن المخاطبين هم الإنسانية ، ومن ثم فإنه يعجل بالولوج إلى أول حكاية إبان حديثه . إن سلطان ولد يبدأ مثنوياته باسم الله ، حتى إنه يقول إلى رسالة الرباب « ألقى السمع إلى بضع مئين من حكم العشق المنبعثة من نواح القيثارة » ثم يقول عقب هذا الاستهلال بيتاً من الشعر يقول فيه : « ياإلهى أنا دائما أنوح وأبكى ، يا إلهى يا إلهى » .

ثم يشرح النعوت والصفات الإلهية بإسهاب وتفصيل فى مثنوين آخرين له ، ويتحدث أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو عادة ما يتبع سبيل أسلوب الكتاب الكلاسيكى المخطوط حيث يبدأ الحديث ذاكرة اسم الله والنبى محمداً صلى الله عليه وسلم . لم يكن مولانا يقحم نفسه فى بحث المسائل الصوفية والأخلاقية بصورة مباشرة ، إنه يبدأ فى القص والحكى ، وعن طريق هذه العلاقة يتدخل فى الحديث متبعاً سبيل رحلة الحكاية متعقباً حركتها ، ثم ينتقل من القصة إلى الحس والشعور ، بيد أن هذا البحث يذكر بحكاية أخرى ، ثم تقضى هذه الحكاية بدورها إلى فتح سبيل آخر ، ومن ثم يكون هذا البحث سبباً يتجم عنه حكاية أخرى ، وهكذا يمتد الحديث ويمضى فى سبيله قدما ، وتارة يكون الموضوع مطرداً متسقاً ذا تتابع وانتظام وعندما يتضايق المرء فإنه ما يلبث أن يغير شجون الحديث على حين غفلة .

إن ذاكرة مولانا إما أن تكون ذات شعور إنسانى وحينئذ فإنه يبت فى تضاعيف الكلمة نبض الروح والحياة ، وإما أن يقتبس الكلمة من أحد الأشخاص الموجودين فى الحكاية وتكون ذاته هى هذا الشخص بعينه ، والألفاظ هى دمع العين وهى النار والدم . أما سلطان ولد فلا حكاية عنده ، حتى إذا وجدها فإنه ما يلبث أن يدرجها فى بحث صوفى أخلاقى خالص ، ثم يستمر فى البحث فيها بقوة واقتدار .

وهو يورد بين ثنايا حديثه حكاية الخضر وسيدنا موسى المعروفة ويظل يلوكها فى فيه كالعلك ، وهى ليست حكاية شعبية جليلة ذات حكمة معبرة ، ومهما يك من شئ فإنه يستهل حديثه بغية شرح وتجليه مبدأ صوفى ، ثم ما يلبث حينئذ أن يتعقب

ويتبع سبيل أسلوب أبيه وسرعان ما يزوج بنفسه فى أبحاث ومناقشات أخرى حتى يتسنى له التشبه بأبيه فى هذا السبيل ، ولكن مقدمة وخاتمة هذه الأبحاث والمناقشات تبين هذا بوضوح وجلاء ، ولا يتسنى لنا أن نجد فى هذه الأبحاث والمناقشات سلسلة متعاقبة بعضها فى إثر بعض ، فالبداية سرعان ما تنبئ عن الخاتمة . وهذا يعنى أن سلطان ولد لا قبل له بالانقصاص عن التسلسل المنطقى فى مؤلفاته .

أما عند مولانا فنجد المتناقضات والتسلسل والبدائيات والخواتيم ، وهو لا يتبع سبيل منطقنا ألبتة فالمنطق عنده تابع متقاد للشعور الإنسانى . ومولانا يسير ويسير ، ويشد ويجذب ، يبهر ويذهل ، يهز المشاعر ويأخذنا على حين غفلة . بيد أن سلطان ولد يحكى ويشرح ويقول ما سوف يشرحه منذ البداية ، فيوضحه ويجليه ويعلمه ، ومولانا شعبي برمته فى طريقة القص والحكى والفكر والأسلوب ، فهو يخاطب الشعب ، يكتب بطريقة شعبية ومن أجل الشعب .

أما سلطان ولد فيعتمد على العلم والمعرفة ، ويتحدث بالمعلومات أكثر من حديثه عن الشعب يعلم ولا يعلن ، أحدهما يعطى كل شئ للشعب وهو فنان الشعب والآخر فنان يعتقد أنه منقسم عن الشعب . لقد اقتدى سلطان ولد بأبيه واتبع سبيله فى الأداء والتعبير والموضوع ، وقد تجلى هذا فى سائر أعماله سواء أكانت فى ديوانه أم فى مثنوياته أو فى كتاب المعارف المنثور ، كما أنه اقتبس من أبيه ، واصطنع التكرار كما فعل أبوه واستخدم ألفاظه بعينها بيد أننا نتعذر أن نجد عند سلطان ولد الانفعال العاطفى وسورة الحميا والعشق الموجددين لدى مولانا ، ولنضرب بضعة أمثلة لتوضيح هذه المسألة وتجلية جوانبها ، يقول مولانا : « ذق لذة الروح فى معية الجماعة مصطبغة بنفس اللون ، وتعال إلى الحانة ، واشهد متجرعى الكئوس حتى الثمالة ، واكرع كأس العشق ولا تنظر إلى الفضيحة والعار ، ولأجل هذا لا تخجل إلى هذا الحد ، ودع هذا ، وأغمض عينيك عن هذين الرأسين وانتبه إلى هذه العين الخفية المستورة »^(١) .

هذا ويستخدم سلطان ولد الألفاظ عينها على نفس الوزن وذلك فى غزلية يقول فيها « يا خلى وحبيبى ، ما دمننا على أسال منه وقد أصبحت مولها بعشق الإلهى

مجنونا ، فاصطبغ بنفس اللون مع الجماعة ودع عنك هذا «^(٢) ويقول مولانا : « هل شهر الصيام ، ووصل لواء السلطان فكف يدك عن الطعام ، فقد حل وقت طعام الحبيب »^(٣) ويقول سلطان ولد في المناسبة عينها « حل شهر الصيام ، ووصل لواء السلطان ؛ فلتعم عين الشيطان قد حل حينئذ عشاق الحبيب »^(٤) . ويستهل مولانا إحدى غزلياته بقوله : « أيها العازف تفوه بأسرارنا ، وقص حكاياتنا مع المحبوب مبهج القواد »^(٥) .

ويقول سلطان ولد في البيت الأول من إحدى غزلياته : « ياعازف القواد تفوه بأسرار سلطاننا ، ولنر في هذه الليلة عالم اللامكانية بعينه »^(٦) ولنكتب هاهنا إحدى غزليات سلطان ولد التي جاءت نظيرة لإحدى غزليات مولانا دون الإكثار من إيراد الأمثلة في هذا السبيل . يقول مولانا : « لقد تحررت من هذه الصورة ، وما هي إلا هواء ، فحياة هذا العالم كرب وبلاء وموته كذلك ، فلاكن حيا أو ميتا فلا محلة لي ولا وطن بغير فضل الله وإحسانه .

أيها السلطان السرمدي ، لقد تخلصت من البيت والغزل وقتلتني : مفتعلن - مفتعلن مفتعلن ، فأين هي تلك القافية التي تتأتى دون مغالطة أو فكر خاطئ ؟ لقد حملها السيل ، وهي عبارة عن قشرة خارج عقول الشعراء ، وأنت أيها الصمت كلمتي المائلة في كياني ، وأنت جميلي وأنت ستر سرى الذي لا ند له ولا نظير ، وسكوني لا قيمة له ، إنه خائف وجل ، فأى شيء يرجو فهذا هو أدنى شيء من الإحسان .

من أى شيء يخشى الصامت ، فالخراج لا يجتبي من القرية المحطمة وأنا كذلك ثمل سكران ، منهدم خرب تباب ، وفي قولي بحث معقوف صادق مستقيم أى شيء يكون من أهل الكلام ومن السكوت الذي يشبه السكر ؟ من يدرى بحال الدمع ، إنه يابس جاف فأنا مرأة ، ولست رجلا متحدثا . إن سمائي في لون الأرض وفوق الأرض ، ولكنها لآلة وهاجة يلمع بريقها من الأرض ومن السماء ، وأنا لا أدارى عنك خرقتي ولا روحى .

هل جاء شيء من صاحبي وحبيبي ، فأنت نصفه وأنا النصف الآخر »^(٧) .

ويقول سلطان ولد : « إن سلطاني موجود في العالمين ، وهبت السلطنة إلى ذلك المسكين ودفعت عنه الضر والبلاء ، ومحوت عن البدن غياهب الظلمات .

وأصبحت نورا من فرعى حتى أخصم قدمى ، وجعلت العمر الفانى بفضل
الإحسان أن أبدا سرمديا وإكسير الأزل ماثل فى تضاعيفى ، وله تأثير جد عجيب ،
وبنظرة إلى الأحباب استحال النحاس ذهباً ، وجعلت الجهل معرفة وعلماً ، وبات
غضبه حلماً وجعلت حثالته صافية دون شائبة ، وعالجت ألمه برمته ، فلاقولن الشعر
من هذا الفن من أجلى ، ولدى فن آخر يختلف عن سائر فنون الشعراء .

فالشعر يشبه سحابة سوداء ، وأنا قمر أركض فى إثر هذا الغمام ، فاحذر
ولا تقل إن القمر منير فى هذه السحابة السوداء ، فإذا ما أردت رؤياى فانتزع سحابة
الأنانية والغرور واخلع من البدن ما يشبه تلك السحابة ، ولأضربن لك ضوء القمر ،
ووضع الكلمات على هذا الوزن هو شئ سهل ميسور ، فانظر ملياً إلى ذات نفسك
بمقياس هذا الترتيب ^(٨) .

وإذا ما قرأت أى شعر من أشعار ديوان سلطان ولد ، ألفيت فيه أداء مولانا
واستعاراته وكذلك الوزن والرديف اللذين استعملهما ، حتى إن الفكر هو فكر مولانا ،
وتتجلى هذه الحقيقة بعينها فى مثنوياته ، بيد أننا مضطرون إلى القول بأن ثمة شيئاً
فى مولانا لا وجود له عند سلطان ولد يمثل هذا الإتقان والبراعة والكمال .

وهذا الشئ هو : الانفعال العاطفى وسورة الحميا والتدفق السيل والسلاسة
ورشاقة الأداء والجاذبية والسحر والافتنان .

ورغم كل هذا فإننا نجد بين ثنايا ديوان سلطان ولد مثنوياته وكتابه ابتدائاً
ومعارفناً على الخصوص ما يجلى عصره ويلقى الضوء عليه ، ناهيك عن وجود
أشياء كثيرة تتصل بحياة مولانا وتصرف اهتمامها إليه ، وعلى سبيل المثال : فهو
يشرح فى ديوانه كيف يملأ أهل قونية الميادين وكأنهم أطفال فى يوم عيد ، وكيف أن
قسماً منهم يأخذون موائد الطعام إلى حيث النزهة والفرجة ، ويتجه قسم آخر إلى
جبانات الموتى فيرتدون أفخر الثياب ، ويعقدون مجلس السماع ليوقظوا أنفسهم من
سباتها ، أما الدراويش الذين يتخلفون عن حضور مجلس السماع فإنهم ولا ريب
محرومون من الفيوضات الإلهية (ص : ٩٤ - ٩٥ غزل : ١٢١) . ثم يقول
بعد ذلك : إن الناس يملئون الميادين بعد شهر رمضان ويتشيطنون ، ويشكون من

انقطاعهم عن مجلسه (ص ١٠٧ ، غزل ١٠٨) ويقول لأحد الحجاج : إن الحج صحيح ، ولكن هجرك لشيخك وتخليك عنه والذهاب إلى الكعبة خطأ جسيم . فالتيمم شرط عند عدم وجود الماء ، فإذا وجد الماء بطل التيمم .

ثم يسوق النصح قائلاً : عندما تحج فأنت تنال الثواب ، والثواب جميل ، بيد أن رضا الشيخ أسمى منزلة (ص ١٣٠ - ١٣١ - غزلية : ٢٢٣) . إن من يعرف الشيطان هو أعمى بغير نور ، ومن يعجب بنفسه فهو مغرور خسيس وضعيف ، إنه خنزير وكلب ، تافه حقير يظل في الشبهة والريب ولقد دفعت به من جانبي فذهب بعيداً ، لا يحبه أى شخص ، وهم يهجونه هجاء مقذعا (ص : ٣٣٨ - غزلية ٥٥٥) .

ويتضمن ديوانه كذلك أشعاراً تتحدث عن ذهاب وإياب وشهادة شمس ، كما كتب أشعاراً تدور حول وفاة كل من الشيخين حسام الدين وصلاح الدين ، وهذه الغزلية التى سنسوقها بعد قليل تظهر فى شكل جميل طبيعة شخصيته المصلحة ، كما أنها تخبر بجلاء أتم عن مدى ما كان يضيق به ذرعا من العراك والنزاع اللذين كانا سائدين إبان عصره .

يقول الله فى القرآن : « إنما المؤمنون إخوة » ويتوجب عليك أيها الأمير حينئذ أن تصلح بين هؤلاء وتوفق بينهم ، فالقتال هو من عمل الشيطان ، والسلام من عمل الملك ومن ثم فإنه يتوجب اختيار الصلح بغية تطهير الروح وتسكين روعها ، فهذا الصلح يوفق بين الأرواح الطاهرة .

وكما توحدت القطرات أصبحت نهراً وأنا بطل شجاع ، وبعد ذلك هل توحدت القطرات وانقطع الهجران ، وتصبح أمنة كذلك من خوف العدو ورهيبته ، وإذا لم تتوحد الدنيا من ذرات التراب ومن عدم فكيف يصير موطن الصغار مع هؤلاء الكبار ؟ فانظر ملياً وانتبه فإن هذا الجمال وذلك الاتحاد موجود فى مئات الموجودات ، وكائن كذلك فى العباءة والبساط والحصير والقماش الحريرى .

وكما اتحد التراب ونشأ على هذا النحو فإنه سرعان ما تتمخض أشياء من توحد الأرواح وائتلافها^(٩) وفى غزلية أخرى يوصى بعدم القتال وضرورة التصالح

مع كل شخص ، ثم يسوق النصح فى هذه الغزلية فيقول : « ألق السمع إلى نصيحة سلطان ولد واقبلها .

إن خوض غمار الحرب مدعاة للحقد والبغضاء والغطرسة والكبرياء ، وينهى الغزلية قائلاً : وانظر بلطف كذلك إلى وجه الأعداء (ص ٣٣٨ - غزلية ٢٠٠ - ٢٠١) ، ويقول سلطان ولد : « إن روح العطار وفؤاد سنائى هما عيناه ، بيد أننا القبله لكل من العطار وسنائى (١٠) .

ويذكر كذلك بفرط ولوعه وشدة ميله إلى كل من سنائى والعطار .

وقد فهمنا من مثنويات سلطان ولد مدى انشغاله بهذين الشاعرين . بيد أنه انشغل بمولانا أكثر من كل شخص ، ومن ثم فإنه اقتدى به واتبع سبيله رويدا رويدا ، وثمة أخطاء فنية كثيرة فى شعر سلطان ولد بيد أن هناك فرقا جوهريا بين شعر الشاعر وشعر العاشق ، وفى هذا الصدد يقول : إن شعر الشاعر هو نهاية الوجود .

أما شعر العاشق فإنه يتأتى من السكر والثلل ، وشعر الشاعر يتوهج بالكذب ويتلأأ به ، أما شعر العاشق فإنه يومض ويلمع بالصدق ، وهكذا يفرق سلطان ولد بين هذين الضربين من الشعر « ابتدئنا به . (ص : ٥٣ - ٥٥) ، ويرى كذلك أن ثمة فارقا جوهريا مميّزا بين أشعار طائفة من الشعراء أمثال : أنورى وظاهر فارابى ونظامى وبين أشعار ثلة أخرى مثل العطار وسنائى ويذكر كذلك أنه يوجد بين ظهرانى المتصوفة والزهاد والدرأويش من يميلون إلى دواوين سنائى والعطار وآثار مولانا (ص ٢١٣ - ٢١٤) .

ونريد فى خاتمة هذا البحث الإجابة عن هذا التساؤل : هل دبج سلطان ولد الشعر من أجل أبيه الذى دبج الشعر ، أم هو مرتب لديوان الشعر لأن أباه صاحب ديوان ، أم أنه منشئ لمثنوى من ثلاثة أجزاء لأن أباه صاحب مثنوى من ستة أجزاء؟ (١١) .

إن الكثرة الكاثرة من شعره الوارد في ديوانه ما هي إلا نظائر لشعر أبيه أم أنه ناقل للأفكار والمجازات التي استخدمها أبوه ، وهو مدبج لأشعار بالرومية لأن أباه له كذلك أشعار بالرومية^(١٢) ، أيكون سلطان ولد بعد كل هذا شاعرا شريطة عدم مقارنته بأبيه ؟ ولنجب دون تردد قائلين : إنه شاعر ، بيد أن ثمة سؤالاً يدور في الخلد هو : هب أن أباه لم يدبج الشعر ، هل كان سلطان ولد سيدبجه هو الآخر ؟ وإذا لم يكن سلطان ولد هو المعبر عن مجازات مولانا وهو الممثل الأول والأخير وآخر أستاذ للشعر الإنساني الذي لم ولن يأتي في عقبه واحد مثله في الأدبين الشرقي والإسلامي على السواء ، أيمن بعد هذا أن توجد مجازات تنتزع من الحياة وتكون نابضة بالروح والحياة ؟

ولنجب عن هذا السؤال كذلك دون تردد قائلين : لو لم يكن مولانا لما تسنى لسلطان ولد أن تكون له كينونة معنوية مثل كينونته المادية .

يقول جلال همایی في شأن الخصائص اللغوية لكتاب « ابتدائنا » : « ثمة قيمتان أدبيتان في هذا الكتاب : إحداهما - متمخضة عن النثر المكتوب في صدر كل جزء منه ، فإذا ما جمعت هذه المقطوعات النثرية فإنه ينشأ منها كتاب فصيح بالفارسية يضم التاريخ والتصوف ، ثانيهما - يرجع إلى النظم إذ تمخض عن العجلة في النظم أن جاء فاترا واهيا على غير اتساق وانتظام ، بيد أن هذا الأثر يموج ينبض الروح والحياة ، ويخص قدم الفارسية وفصاحتها وبيانها ، ويشتمل الكتاب سواء في نثره أو شعره على طائفة من الحكم والأمثال مدبجة بألفاظ صحيحة صائبة ولا ريب من كنوز أدب اللغة الفارسية » .

لا جرم أن هذا الأثر ذو قيمة أدبية عظيمة من الناحية اللغوية ، بيد أن العناوين المنتورة قد اتبعت سبيل التقليد للعناوين الموجودة في مثنوى مولانا ، كما أن جلال همایی راجع ولا ريب إلى العناوين الموجودة في المثنوى قبل أن يطالع العناوين الواردة في كتاب سلطان ولد ، ويقول سلطان ولد : إنه اقتفى أثر أبيه واتبع سبيله في هذا المضمار ، ثم يردف قائلاً : « خلاصة القول : إن الألفاظ التي تفوهت بها شديدة الوضوح والجلاء ، كما أنني لم أتفوه بكلام ملفز مبهم مستغلق على الأفهام » .

هل يوجد عند سلطان ولد فكر بديع أصيل ؟

لقد تعقب سلطان ولد أثر أبيه في كل صغيرة وكبيرة ولا سيما تلك الموضوعات التي اضطلع بها أبوه في نظمه ، كما قدم لنا سلطان ولد الموضوعات بعينها على نفس الضرب والشاكلة ، وجاءت هذه الأفكار كذلك مظلوماً لهذه الموضوعات ذات النهج المنفرد القائم برأسه ، ومن ثم فقد سيقّت هذه الموضوعات إلينا في حالة من الذبول والوهن وفقدان الروح والحياة .

يتحدث سلطان ولد عن الخضر وموسى كما فعل مولانا (ابتدائاً : ص ٢٣ - ٢٧) ، وهو كذلك يخاطب بكتومور أوغلو قائلاً : أنت بغيتي ومرامى من بين هؤلاء أجمعين ، وهو خطاب يشبه فيما يشبه خطاب مولانا في المتنوى إلى جليى حسام الدين (ص ٣٢٦) ، كما أنه ينشئ موضوعاً يتحدث فيه عن محمود وآيازى (ص ٢٩ - ٣٦) ، كما يروى قصص الأنبياء ، ويحكى أجزاء منها حتى إنه يقدر زناد فكره مثل شمس ومولانا ، وفي هذا يقول : إن دينك وصلاتك وعبادتك هي جميعاً ذات معنى تحيط به الخصائص والصفات ، ولا جرم أن الصلاة تتأني من هذا النور ، أما الأنبياء فإنهم قد جابوا الصلاة في أشكال وضروب متباينة ، وكل واحد منهم قد علم صلاة مختلفة ، وإن من يدرك كنه هذا لا ينخدع في منظر الصلاة وهيئتها ، فهو يقبل الصلاة إذا كانت فيها روح لأن الرجل الظمان يريد جرة بغية شرب الماء وإذا لم يكن في الجرة ماء فما الفائدة من عمله ؟ وكما أن الأنبياء يضطلعون بشرح ضروب متباينة من الصلاة للناس ويعلمونهم إياها ، فكذلك يصنع المتصوفة ، إذ إن صلاتهم الحقيقية هي السماع حيث يخبرون كل من في الأكوان عن طريق النثر والنظم في ضرب العرفان والسماع ، وإن من يعرف الطعام ويقتات به فإنه لا يرتكب إثماً ، ولا ينخدع بالطعام الموجود في القصاص ، وهو يعلم أنه إذا تغيرت القصعة فإن الطعام هو هو الطعام » (ص ٨٨٠) . لقد تمسك كافر الحلاج بما هو أسمى من التوحيد ، ويرى أن كل ما صنعه رجل الله هو شيء حسن صادق ، وإن صحبة الشيخ هي أسمى وأعلى من سائر العبادات (ص ٨٩) وأن معرفة الصوفية عنده لهي أشد

قوة من معرفة الله ، لأن كل واحد يخفى ذات نفسه بصفات متباينة متنوعة (ص ٩٠ وما بعدها) .

ولكن هذه المناقشات موجودة في المثنوى ، وعلى سبيل المثال فإن حكاية موسى والخضر الموجودة في ابتدائنا موجوده كذلك في المثنوى (ص : ٢٣ : ترجمة المثنوى - ج ٢ ، ص ١٨٦ وما بعدها) ، وكذلك مسألة تحطيم وتكسير أيازي للمجوهرات التي قدمها السلطان محمود موجودة كذلك في المثنوى (ص ٢٩ - ترجمة المثنوى ، ج ٥ ، ص ٣٣٤ وما بعدها) .

كل هذه الحكايات والموضوعات موجودة ومبحوثة في المثنوى ، ولقد اقتبسنا هذه النماذج من أجل تقديم هذا الفكر إلى القارئ ، وكل هذه الأبحاث موجودة في المثنوى سواء منها ما ورد في ابتدائنا أو ما هو موجود في المثنويين الآخرين ، وخلاصة القول إن كل قول وبحت مقتبس ولا ريب من المثنوى على الخصوص . أو مقتبس من مقالات شمس . لقد اقتدى سلطان ولد بمولانا واتبع سبيله في المثنويات الثلاثة ، كما اقتبس أبياتا من سنائي والشعراء الآخرين ، ومن ديوان مولانا مثنويه على وجه الخصوص . وبعد هذه الإيضاحات يتبين لنا أن ما جلاه سلطان ولد جاء مقابلا لآثار مولانا التي سبقت في شكل متباين تماما ، والتي جاءت كذلك برؤية إنسانية متقدمة وكأنها نظام صوفي مصبوب في قالب وعلى هذا فنحن سننظر مضطرين إلى شرح أحد مصاريع مولانا كما فعل جلال همایی « أي فرق كبير بين حسن هذا وحسن ذاك » « ولد نامه : المقدمة : ص ٢٤ . ترجمة المثنوى ج ٤ ، ص ١١٠ ، ١٢٦٨ » .

شعره بالتركية :

إذا كان لمولانا بعض الملمحات التي تضمنت بين ثناياها كلمات وأبياتا تركية وروسية ، فإن لسلطان ولد كذلك أشعارا مكتوبة في ضرب الملح ، وهي ذات أمشاج مختلطات من الألفاظ التركية والرومية^(١٣) ، ويتخلل بعض هذه الأشعار أحيانا بيت أو بيتان أو مصراع أو مصراعان أو جزء من مصراع ، أو كلمة أو كلمتان باللغة

التركية^(١٤) . ولما كان سلطان ولد فى الأناضول وتعلم التركية الأوغوزية الغربية فإن له عشرة أبيات من الشعر التركى مبنوثة فى ديوانه وذلك فضلا عما ألمحنا إليه آنفا^(١٥) ، كما أن له ستة عشر بيتا من الشعر فقط ينهى البيت الأخير فيها بجملة فارسية ويمكن اعتبار هذه الأشعار تركية من هذه الزاوية (ص ١٢ - ١٤) .

هذا وتوجد أبيات رومية وتركية كثيرة فى كتابيه : ابتدائانه وانتهانانه ، ولسطان ولد ما يدنو من مائة بيت تركى فى ابتدائانه ويقول فى هذا السياق ما فحواه : ما دام الأمر كذلك فأنت محروم من هذا الاصطلاح ، فاترك الكلمة التركية الرومية وتفوه بالفارسية والعربية فأنت فى كليهما وكأنك على حصان يطير فى مشيته ويثب متخطرا على عجل .

كزر ازكتف تركى ورومى .•• جون ازآن اصطلاح محرومى

ايك ازباريس ازتازى .•• جوكة درهرد وخوش هم تارى

وهو يقول هذا فى عودته ثانية إلى الفارسية (ص ٣٩٤) .

ولا نستطيع أن نرى سببا آخر سوى تقليده لأبيه واتباع سبيله فى التفوه بالشعر التركى والرومى ، ورغم أن سلطان ولد كان معاصرا للشاعر الكبير يونس أمره إلا أن أشعار سلطان ولد لم تدن قط من وزن الهجا ، حتى إننا لا نستطيع الاقتراب من مقارنة أشعاره ببعض أشعار يونس أمره التى تأتى أحيانا متدفقة سيالة متوهجة للأداء ، وتأتى فى أحيان أخرى أسنة ثائرة ، وأحيانا غائمة قاتمة ، وتارة تكون منطلقة على سجيتها رحبة الأفاق متسعة الآماد .

الشيء الذى اضطلع به سلطان ولد :

لقد بينا فى مناسبات متباعدة أن سلطان ولد كان مرتبطا بأبيه ارتباطا وثيق العرى ، ومن ثم فإنه بهذا الارتباط الوثيق قد انشغل بتنظيم وتنسيق صفوف أولئك الذين التفوا حول أبيه وأحبوه حبا جما ، وكان بنحيزته المداهنة المتزلفة ذا تأثير قوى

فى أمراء عصره وأمراء المغول وأزباب الوجاهة وسراة القوم ممن يجلون مولانا ويقدرونه حق قدره ، وكان تاج الدين معترز موجودا إبان عصر مولانا ، ومن ثم فقد أذعن خاضعا له بناء على رغبة سلطان ولد واضطلع بتشيد بضعة حجرات بإزاء المدرسة (١٦) .

يقول أفلاكى : لقد ورد فى بضع روايات أن تاج الدين معترز شيد قاعة اجتماعات ملحقة بالمدرسة (مسألة ٣٦) ، حتى إن مولانا كان يتسامر مع الأخلاء والأصحاب ويستمع إلى الرباب فى هذه القاعة ، وفى تلك الآونة قدم شيخ الشيوخ موصولو شرف الدين فى معين طائفة من الأمراء وأخبر بمجىء بروانه ، فما كان من الشيخ مركه لى خواجه مجد الدين إلا أن دلف إلى الداخل على عجل . ونعتقد أن قاعة الاجتماعات هذه هى حجرة الدرس والمطالعة الموجودة فى المدارس حتى العصور المتأخرة .

بيد أن أفلاكى يذكر أن هذه القاعة كانت تستخدم نزل ضيافة فى إبان عصر أولو عارف جلبى والصوفية الذين جاءوا بعد شمس (٢٣٢) ، وخلاصة القول : إن المدرسة التى كان يقيم فيها مولانا كانت تحمل اسم « تكة نويس » أى كاتب التكية . يقول مولانا : « إن تشييد تربة فوق المقبرة وتأسيس قبة فوقها معناه أن أصحابها غير مقبولين ، فانظر ودقق البصر ، فالمرء إبان حياته يتزمل بالأطلس ، وإن عقل الشخص يفكر فى زيادة هذا الحرير وذاك الأطلس ، فهل هو مصيب فى رأيه ؟ (المثنوى - ج ٣ ، ص ١٣ - ١٣٣ - ١٤٤) .

وورد عند أفلاكى ما فحواه : فليشيد الأصدقاء تربتنا عالية ، ومن يأت للزيارة يتقبل دعاؤه عندما يرى القبلة . (١٠٢) ويقول فى موضع آخر : لقد أصلحوا تربتنا وعمروها سبع مرات ، وفى النهاية ظهر أمير تركى فشيدها من حجر ذهبى وآخر فضى (١٠٢ ، ١٠٣) . وكان يوجد فى هذا المركز قراء القرآن والمصلون ، ومعلمو المثنوى ، وكذلك القائمون على خدمة منشدى الغزل ومرتلى الألحان فى مجالس السماع ، وتقيد إحدى روايات أفلاكى أن شخصا يدعى تبريزلى شيخ كمال الدين خادم كان من المكلفين بالإشراف على القائمين على خدمة المقبرة (١٠٧) .

كما سبق ذكر اسم سراج الدين مثنوى فى كتاب ابتدائنامة (ص ٣٩٧) ، وكان يعلم المثنوى فى المقبرة (١٨٥ - ١٨٦) وهو أستاذ أفلاكى (٧١) . ثم خلفه من بعده الشيخ أما يسلى علاء الدين الذى كان شريكا له فى الدرس (٢٢١ - ٢٢٢) وكان فيها كذلك المذكور بهاء الدين مهرى الملقب بكاتب الأسرار لكونه أحد كتاب أشعار مولانا (١١٤) . وأصبح إماما للمقبرة (١١١) . وكان من الميسور إعاشة هذا المركز وإطعام هذه الطبقة المستهلكة عن طريق أوقاف الأغنياء .

وقد أوقفت أوقاف غنية على هذه المقبرة منذ عصور مبكرة ، وكان يتوجب أن يكون اعتماد سلطان ولد فى المقام على الطبقة الغنية ونعنى بهم أولئك السلاجقة والمنتسبون إليهم ، وكذلك المغول والأمراء الذين انتشروا فى عصر النزاعات والاضمحلال بغية تأمين هذه الأوقاف وتكثيرها وإنمائها والقدرة على تكرار الإنفاق عليها .

ولأجل هذا فقد كان لزاما عليه الاهتمام بخير وشر هؤلاء على السواء ، ولم يهمل سلطان ولد هذا الأمر الذى اضطلع به . كان تنظيم أيولوجية مولانا وحدة متكاملة تعتمد فى المقام الأول على عناصر الوجد والسماع وال جذب والعشق والرقص والموسيقى ، كما كانت أفكاره الإنسانية ذات إطار قابل لأن يتضمن بين ثناياه وحدة مناسك جليلة ظاهرة المعالم بارزة القسمات .

وقد بدأ سلطان ولد هذا العمل بعقلية صوفية خالصة ، وسوف نجد مع مرور الزمان الأساس الذى وضعه عن طريق الإضافات والتعديلات ، وسوف تدفع أسباب متباينة هذه الأيدولوجية إلى أشكال مختلفة إبان السير فى هذا المضمار ، وفى نهاية المطاف سوف تأخذ هذه العقيدة والشعيرة شكلاً جازماً قاطعاً لا سبيل إلى تغييره أو تبديله ألبتة ، كان سلطان ولد معتمداً على القدرة والكفاءة بغية انتشار الطريقة وذيوع صيتها ، ومن ثم فقد نشأ خلفاء ذوو كفاءة واقتدار ، وأرسل بهم إلى كل حذب وصوب .

وخلاصة القول إنه لم يعتمد إلا على الشعب ، فكان محتضناً له معانقا إياه كما كان هو كذلك محتضناً معانقاً من الشعب ، كان يأخذ نصيباً من المال لقاء ما يضطلع

به من عمل ، بيد أنه مات مدينا ، وكان لا يجد في أكثر الأحيان ما يأكله في بيته ، ويرد إحسان السلطان ويوصى بعدم الأكل من مال الوقف الموجود في كل ناحية وأن يأكل كل شخص من عمل يده وبذل جهده وكان صاحب فكر حر طليق يخلو كلية من مراسم صومعة التعبد والرياضات الروحية .

هكذا أسس سلطان ولد طريقة إنسانية شعبية تحمل اسم مولانا جلال الدين ، ومع هذا فإنه يتوجب علينا القول : إن انتقال أفكار مولانا إلى هذا المستقبل في حقبة زمنية ممعنة في الفوضى والاضطراب وكذلك تأكيد مناقبه وإثباتها وعدم ضياع آثاره أو فقدانها كل هذا وذاك قد تأتى ولا ريب من مصادر أساسية ، ومن ثم فنحن مدينون اليوم لمولانا ولهذه الطريقة التي أدركنا أسرارها وسبرنا أغوارها .

الهوامش

- (١) نفس المصدر : ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .
- (٢) هم زيك جماعت شوتتا لذات جان بينى ١ دركوى خرابات درد كشان بينى
وركش قدح سودا جيل تانشوة روسوا ١ بريندو چشم سرتاجشم شهان بينى (الديوان) .
- (٣) أى أن كله جومايى در عشق خداشيدات هم رنك جماعات شوجلل تاكه شيوه رسوا (الديوان ص ٨٩ غزل ١١٥) .
- (٤) آمد شهر صيام صانجق سلطان ١ دست بيدار ازطعام مائدة جان رسيد (الديوان) .
- (٥) آمد شهر صيام صانجق سلطان سيد ١ يشكر انوارجان كورشيطان رسيد (ص ٥٢ - غزل ٦٧)
- (٦) مطرية أسرار ما ريازكو ١ قصة هاى جان فزاركو (الديوان) .
- (٧) أى مطرب دل ميكو أسرارشه مارا ١ تاجر خ زنا ايمشب بينم مه بيجاوه (غزل ١٣) .
- (٨) رستم ازين نقش هو ازنده بلامرده بلا ١ ازنده مرده وطنم ينسب يجوز فضل خدا (الديوان) .
- (٩) شه منم شه منم دريوسرا ١ ملك بى بخشم بكداد فع كتم رتج وبلا (ص ٤ - ٥ غزلية ١) .
- (١٠) مؤمنا نرا خواند اخوان در كلام خودخدا ١ بس بيايد صلح ثان دادن بهم أى كتخدا
(ص ١٧٦ - ١٧٧ غزل ٢٩٤) .
- (١١) عطار روح بود سنائى دو چشم دل اما قبل سنائى وعطار آدمم (ص ٢٧٧ ، ٥٧٠٠٠ : b) . وإن
نسبة هذا البيت إلى مولانا خطأ عظيم .
- (١٢) من المحتمل أن يكون سلطان ولد قد نظم مثنويه فى أجزاء ثلاثة لأن أباه ديج مثنويه فى ستة أجزاء ،
ومن ثم فإنه أراد أن ينشئ مثنوية ثلاثة أجزاء تقليدا لأبيه فى هذا السبيل ، بيد أن القدر لم يمهل ، ويتسنى
لنا أن نصدر حكما جازما إذا ما علمنا تاريخ تدبيج انتهانامه .
- (١٣) الديوان : ص ٢٥٩ - ٢٦٠ غزلية ٤٣٥ - ٤٣٦ ، ص ٣٠٥ غزلية ٥٠٤ ، ص ٥٣٦ غزلية ٨٨٥ .
- (١٤) الديوان : شعر ١٩٨ ، ص ١١٧ ، شعر ٢٤٩ ، ٣٨٢ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ، شعر ٤٤١ ص ٢٦٣ .
شعر ٢٢٠ ، ص ٥٥٦ ، وفى هذا الشعر جاءت الملمحات بالتركية والفارسية والرومية ، ص ٤٨ ، ٧٦٨ وفى
هذا الشعر بيت بالتركية وبيت بالرومية ومصرع بالعربية .
- (١٥) شعر ٥٥ ، ص ٤٤ حيث يوجد مصرع وجزء من مصرع بالتركية ، شعر ١٠٩ ، ص ٨٥
كلمة قانى تركية ، وكلمة seNi تظهر أنها تركية فى هذا الشعر ، وتوجد كذلك كلمة سنيه B 1696 ، الفهرس
ص ٩٤ ، شعر ٥٠٧ ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ ، ورديف تركى : شعر ٥٠٨ ، ص ٣٠٧

(١٦) شعر : ١٠٥ . ص ٨١ ، شعر ١٩٧ ، ص ١١٦ ، شعر ٢٩٩ ، ص ٢٣٨ ، شعر ٥١٢ ، ص ٣٠٩ -
٢١٠ شعر ٥٧٧ ، ص ٣٥١ ، شعر ٥٨٩ ص ٣٥٩ شعر ٨٢٩ ، ص ٥٠٥ شعر ٨٣٩ ، ص ٥١٢ ، شعر
ص ٥٢٢ ، شعر ص ٩٢٥ ، ص ٥٥٨
(١٧) انظر : مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية : ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

الفصل الرابع

أولو عارف جلبى

مولده ، طفولته وشبابه - العقائد وثيقة الصلة بأولو عارف جلبى - خلافة أولو عارف جلبى وسياحاته - أولو عارف جلبى والأمراء - شخصيته - نظرة على الطرق الأخرى - وقائع وأحداث قلب أولو عارف جلبى - خلفاؤه - وفاته - الشعر عند أولو عارف جلبى - الشيء الذى اضطلع به .

مولده ، طفولته وشبابه :

ولد أولو عارف جلبى فى يوم الثلاثاء الموافق للثامن من شهر ذى القعدة سنة ٦٧٠ هجرية (٧ يونيو ١٢٧٢ م) . أمه هى فاطمة هانم ابنة قويمجى شيخ صلاح الدين . ولما كان أطفال فاطمة هانم قبل أولو عارف جلبى لا يعيشون ، فإن كلا أبويه قد بدءا يحنون على هذا الولد الذكر حنوا عظيما ، وسر مولانا لمولده سرورا عظيما ، وكان صيارفة قونية الذين لا يرون الذهب يغيرون النقود وينفقونها على جهاز عرائس السيدات المطهرات ذوات الشرف والسؤدد ، كما نثر على رأس فاطمة قبضة من ذهب موروثة من الأب ومجلوبة من بلخ ثم يلفها حول قميص الطفل ، كما كان يثبت كذلك حفنة من الذهب على القميص .

وكان مولانا يضع الطفل أولو عارف جلبى داخل كفه ، وسماه باسم صلاح الدين وخلع عليه لقب (محمد جلال الدين فريدون) وكان يقول : « فلتنادوا هذا الطفل

قائلين : أولو عارف ، وتنادونى « يا أبى خداوندكار » ، وكان لا يتفوه باسمى ، ولقد لقبته بلقبى على سبيل الهدية المعنوية الخلقية^(١) ، ثم أنشد هذه الغزلية : « فليكن فريدون كالهالة الوضاعة ، ولتكن مفعما بالسكر حلو المذاق مثل مصر ، ولتنصرفن عن ميدان الخط الميمون ، ولتضربن كل زائغ منحرف ولتمتطين صهوة جواد السعادة الأدهم . إنه يولد من برج السعادة كالقمر المنير ، لأن فريدون هذا هو العشق برمته ، وهو بحذافيره الطهر والنقاء .

واقطع عنق دهاقين الأحزان بسيف الوقار والعزة والرفعة والسموق ، واحمد الله تعالى ، فقد زاد قدرك فى قصر السعادة ، وولد فى يوم الثلاثاء لسنة ٦٧٠ هـ ، فى الثامن من شهر ذى القعدة بعد انقضاء ساعتين على وقت الظهيرة ، وهو من سلالة خسروار ، وبات معشوقا مثل شرين .

وينحدر نسلك من ناحية أمك من سلطان عظيم وكذلك الشأن من ناحية أبيك . لقد جاء من الجنة وكان يشبه الحور العين ، ولما بلغ أشده واستوى رأى شعرى وأعجب به أيما إعجاب وتمنيت لو تعيش ألفا من الأعوام . ولتؤمن يا فريدون من روحك على هذا الدعاء » .

كان مولانا يحب أولو عارف جلى حبا جما ، وذات يوم ذهب قارئ المثنوى سراج الدين إلى مدرسة مولانا وفى معيته جلى حسام الدين ، وفتح باب الحديقة أثناء حديثهم مع مولانا ، وقد أركبوا جلى عارف عربة صغيرة وكانوا يجرونها ، فنهض مولانا من فوره وحمل العربة فوق كتفه وبدأ فى الجر قائلا : يمكن أن أكون أنا ثور أولو عارف ، ثم نهض جلى حسام الدين كذلك وأمسك بطرف العربة ، وهكذا طوفوا بفناء المدرسة بضع مرات ، وضحك عارف وغشيته نشوة فرح وسرور ، وقال مولانا : هذا هو ميراث المحمديين فقد قال عليه السلام « فليكن طفلا من عنده طفل » ، وكان عليه السلام يحمل الحسن والحسين على كتفه كالجمل ويطوف بهما يمينا ويسارا وهو يقول : أه أه ، حتى إنه عندما يراه أحد يقول له : ما أجمل مركبك ، فيقول عليه السلام : ما أجمل الراكبين .

و ذات يوم قال مولانا لسلطان ولد : يا بهاء الدين - إننى أرى نور سبعة أولياء فى هذا الطفل وهى أنوار كل من : بهاء الدين ولد ، وسيد برهان الدين ، وشمس صلاح الدين ، وجلبى حسام الدين ، ونورى ، ونورك وكان سلطان ولد يقول : إن أبى كان يردد فى شأن أولو عارف جلبى قوله : إن عارفا هذا هو ولدى ، إنه ولد الحال ، وبحر الفكر والرأى ، ولا جرم أنه بلغ أقصى درجات العلم والمعرفة وأصبح سلطان العارفين ^(١) ، يروى ما نقوله ، إنه يتحرك دائما بكل كمال وإتقان .

وكان جلبى حسام الدين كذلك ذا حذب وعطف شديدين عليه ، يحمله على عاتقه وينزله ويقبل يده ويعطيه الحلوى والسكر ، وكان سلطان ولد يقول : لو أعطانى إياه لأوصيت به له ، ففيه نور سبعة أولياء ، ويكون فى النهاية للأقطاب إماما ^(٢) . (٢٢٩) .

كان سلطان ولد يحب ولده حبا جما ، ويناديه عند مولده بالقمر الجديد ، وينظر إلى وجهه ويقبل عينيه ، وكان ينشد له مطلع غزلية لمولانا يقول فيها « لا تتوار ، فوجهك لنا جد مبارك ميمون ، ومشاهدتك مباركة للأرواح كلها ^(٣) .

كما كان يقول له : « يا شيخ الأرواح » .

ولما بلغ أشده واستوى عوده بات يشبه مولانا كثيرا فى مشيته وحركاته كانت شرف خاتون ابنة سلطان ولد موجودة فى مجلس ضم كلا من أختها مطهرة خاتون وأمها وطائفة أخرى من النساء ، وحينئذ قال أبوها : لقد رأيت شيخى شمس الدين وعزيزى سيد برهان الدين والشيخ صلاح الدين وخليفة الله حسام الدين ، وكثيراً من الشيوخ حيث أظهروا بشائى شفقة وحنوا عظيما ، ولكن سبحان الله فعارف هذا هو على شكل طائر ، وإن طيرانه مرتفع فى أعلى عليين ، هل رأيت ؟ لقد أصبحت فى حال متباينة تماما وإن هذا عندى لقسم عظيم ، وهى اسمى الأعظم ^(٤) .

وكانت أمه الكبرى كرة خاتون وعمته مليكة هانم يحنوا عليه حنوا كبيرا .

تزوج أولو عارف إبان حياة أبيه ، وبنى بدولت خاتون ابنة أمير قيصر تبريزي ، وأنجب منها ولدين وبناتا واحدة . ويقول أفلاكى : إن سلطان ولد سمي الذكرين : بهاء الدين أمير عالم ومظفر الدين أمير عادل .

ومن المحتمل أن يكون اسم البنت مليكة وقد ولدت عقب وفاة أبيها . كان أولو عارف يتحدث دائما عن مولانا ، ويتفوه بكلامه ، وينقل مناقبه وكراماته . وذات يوم قال سلطان ولد لعارف نفسه من أين رأيت مولانا ؟ تفوه بكلامى أنا ، قال جلبى نعم ، فما هو حد رؤية مولانا ؟ بيد أن هذا موجود ومولانا قد رآنى ، ومنح عينى القدرة لرؤيته . ويروى أفلاكى أن العلاقة بين سلطان ولد وأولو عارف جلبى قد شابها فساد ذات مرة أثناء شبابه ، حيث قال له سلطان ولد : اذهب إلى الشيخ بكى Beki وهو من أكابر متصوفة قونية ومن عظماء الأخيان ، واصنع ما استطعت إلى ذلك سبيلا وأحضر عارفا من المقبرة ولأولن لكم وليمة ، واسترضى الشيخ بكى Bekir عارفا وأحضره إلى سلطان ولد ، ثم بدأ أولو عارف جلبى يعزف القيثارة ويتغنى الألحان فى تلك الليلة وقضى الحاضرون الوقت فى نشوة وسرور وبشر وحبور .

المعتقدات الدينية التى فى حق أولو عارف جلبى :

بدأت المناقب تتشكل فى حق أولو عارف جلبى منذ طفولته المبكرة حيث كان مولودا فى عالم بموج بهبوب رياح تصوف سلطان ولد ، ويذكر فى الوقت نفسه بمولانا ، ويروى أن مولانا رفع غطاء مهد عارف وهو فى عمر سبعة أشهر ، وقال له يا عارف الله - الله - الله ، فقال له عارف - الله - الله ، مما أصاب السامعين بالوجد والهيام واعتبروا هذا تلقيا للذكر والخلافة ، وقالت أمه فاطمة هانم لقد اضمحللت وخارت قواى بعد وفاة مولانا ، ولم أستطع إرضاع عارف أياما ثلاثة ورأيت مولانا فى المنام فقال لى : لماذا تبكين ؟ إن كان البكاء من أجلى فأنا لم أرحل إلى أى مكان فأبحثنى عنى فى مهد عارف فأنا ثاؤ فيه ، واستيقظت وذهبت إلى مهد عارف وفتح عينيه أثناء رضاعه ونظر إلى قرأيت نور جلال الدين فى ناظريه وانخرطت

فى البكاء والعويل وغشيتنى نشوة وجد وانجذاب . لقد ازدادت قدرة العقيدة الصوفية تحت نطاق الوعى والشعور ، وانتشرت فى كل حذب وصوب .

ولما بلغ عارف جلبى الخامسة من عمره غلل رأس ثور بحبل ، وأخذ يجرجره ، وعندما سأل نفر عن سبب هذا ما لبث أن قتل بعد بضعة أيام ، ثم أحضر ترابا بذيلى ثوبه وشيد مقبرة ، فقال أحدهم ما هذا القبر ؟ ثم مات هذا الرجل فى الحقيقة بعد حين من الزمان ولما كان بين الثامنة عشرة والثالثة عشرة من عمره ذهب ذات يوم إلى مدرسة مولانا ووثب من فرجة المحراب ووقف إلى صلاة جنازة ، ولما سأل سلطان ولد قال : إننى أصلى صلاة شيخى حسام الدين ، فمرض جلبى حسام الدين فى هذا اليوم فى حديقته ومات بعد تسعة أيام .

وثمة شىء يشد النظر ويسترعى اليوم الانتباه فى هذه المناقب جميعا ألا وهو : أن ألعاب عارف جلبى متعددة متباينة أحدها : جرجرة رأسه على الأرض ، وتشيد المقبرة ، وإقامة صلاة الجنازة ، وهذه الألعاب تقدم لنا المعالم البارزة لشخصيته التى نضجت واستوت قبل أوانها .

ومما هو جدير بالتسجيل فى هذا المقام أنه ظهر ورم فى رقبتة وهو ابن سبعة شهور ، وبعد ذلك شق الورم وأنقذ المريض . وبعد أن مر بقبر مولانا مرض مرة أخرى فى أماسية ومرة أخرى فى قونية . واستمر المرض بضعة شهور .

وإذا كانت أمه تفكر فى أطفالها الذين ماتوا فإننا نكون حينئذ قد حللنا بادئ ذى بدء كيف ظهرت التطورات على هذه البنية العلية فى لجة هذا الجو الصوفى .

خلافة أولو عارف جلبى ورحلاته :

بدأ أولو عارف يمثل الطريقة المولوية عندما وافت المنية أباه ، وقد أمضى حقبة مهمة من عمره فى السياحة والترحال ، ومن الأماكن الرئيسية التى يمم وجهه إليها : لا رنده ، بش شهر ، أق سراى ، أقشهر ، قره حصارى ، نياده Niade ، سيواس ،

طوقات ، بيركى ، دكيزلى ، منتشه آليا ، أنطاكية ، بايبورت ، أرضروم ، العراق ، تبريز ، مرند ، سلطانية . كما رأيناه كذلك يطوف بسائر مدن الأناضول ، وامتدت رحلته حتى العراق وتبريز كما ولى وجهه مرتين شطر مدينة سلطانية التى كانت عاصمة الإيلخانيين .

هذا ورغم أن أفلاكى طوف فى معية أولو عارف جلبى فى جزء مهم من هذه الرحلات فإنه مع الأسف لم يقدم ترتيبا زمنيا كاملا لهذه الرحلات ، ولا نعلم على وجه اليقين طريق جولاته أو التواريخ التى شد رحاله فيها إلى هذه المدن ، وكم مرة ولى وجهه شطر هذه البقاع والأصقاع . ولكننا نعلم أنه ولى وجهه شطر مدينة سيواس إبان حياة أبيه سلطان ولد ، ولما قفل عائدا من إحدى مجالس السماع فى مدينة سيواس صادف فى طريقه رجلا ذا أظافر مستقذرة طويلة ، ، وعينين زرقاوين متلائتين ، وشعر ثائر وهيئة زرية ، وكان يجلس على قارعة الطريق ، ويكوم الفواكه حوله يأكل بعضها ويلقى البعض الآخر إلى الناس ، ثم ما يلبث أن يقف وهو يهذى بسفاسف القول وتوافه الكلام ، حينئذ سأل جلبى قائلا : من يكون هذا الرجل ؟ فقالوا :

إنه قطب العالم وسر العدم وشيخ أرضروم ، وإن أهل سيواس ليعتقدون فى هذا الرجل اعتقادا عظيما . حينئذ هم أولو عارف جلبى بالسير نحو هذا الرجل ولطمه ثلاث لطمات فى وجهه ، ثم ناداه قائلا : هلم انهض واجمع ما تتناثر من حانوتك . ولما رأى الناس هذا المنظر ثارت حفاظهم ونصبوا سوق العراك والنزال ، وأشهر المتصوفة سيوفهم وأحاطوا بأولو عارف جلبى من كل جانب ، وكان يوجد فى سيواس فى ذلك الإبان من يدعى « عرب تويان ولى ابن شماكر نويان » وكان يحب أولو عارف جلبى حبا جما ، فأسرع من فوره وجمع جنده وحشد طائفة من صوفية قونية وقيصرى بغية التدخل لإنقاذ حياة أولو عارف جلبى ، وحينئذ تدخل رجل حكيم عاقل يدعى « آهى محمد ديوانه » وقال للناس : إن هذا الشخص هو حفيد مولانا سلطان العالمين ، وقطب الصوفية والزاهدين ، وإن خواجة أرضرومى هو من صوفية الروم كما تعتقدون وتوقنون ، ثم قال أولو عارف جلبى لهذا الشخص : اجمع ما تتناثر من حانوتك وكان ثانى هؤلاء كذلك رجلا عظيما ، وكانت هذه نهاية الرحلة .

ولننظر ماذا ستكون النهاية ؟ وبناء عليه فقد سكنت ثورة الخلائق وهدأت نفوسهم ، أما أولو عارف جلبى فقد توجه إلى طوقات وهو مضطرب الحال مشبت الخاطر والمال ، ثم مات خواجه أرضروم بعد هذه الواقعة بسبعة أيام ، ولما أب أولو عارف جلبى مرة ثانية إلى سيواس أصبح كثير من المعتقدين بالشيخ أرضرومى مريدين للشيخ أولو عارف جلبى ، ولما عاد إلى قونية كان سلطان ولد قد سمع بهذه الواقعة فقال لولده أولو عارف : لو كنت ضربت هذا الأحق الحقيق بأى يد فأظهرها ولأقبلنها .

كان ذهابه إلى أرضروم وتبريز إبان عصر سلطان ولد وأثناء اعتلاء كازان خان سرير العرش وذلك فى سنة ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م) أو بعد هذا التاريخ بقليل ، وكان أفلاكي موجودا كذلك فى هذه الرحلة حيث حطا رحالهما على جدول ماء ، وحينئذ وفدت زمرة محتشدة من الناس وضربوا الخيام فى هذا المكان ، وكان رئيس هؤلاء القوم يدعى « حافىلا ووزاوغلو تومن بك » ويعمل رئيسا لصائدى الطيور عند الملك ، وكل بائعى الطيور تابعون له ، ويوجد بإزائه كثير من مشترى الطيور ، وعلى ذراعه صقر أبيض ، وقدم هذا الرجل لزيارة أولو عارف جلبى وبينما كانا يتجاذبان أطراف الحديث بعد الطعام ، أخذ أولو عارف جلبى الصقر من يد تومان بك وخلع القلنسوة التى تغطى عينى الطائر ثم طيره ، وضاع الطائر إبان عودته طائرا ، حينئذ مزق قلاووز أوغلو ثيابه قائلا : ماذا عسى أن أقول للملك ، فقد عانيت كثيرا بغية الاستحواذ عليه حيث أحضروه من مقاطعات عبر البحار ، وأرسلت إليه خبرا فبدأ فى الصراخ قائلا : لقد كان أملى ومرادى متمثلين فيه ، ثم قال جلبى : هل تريد ، فلتأت ولتكرر فقال قلاووز أوغلو نعم أريد ، إذا فلتأت وحيدا وأنا فداء لك بكل ما أملك ، ثم نهض أولو عارف جلبى خالعا قلنسوته وصاح ثلاث مرات قائلا : لا تتأخر عن تبجيل مولانا وتوقيره وسمع الصائد صوته أثناء الحديث ، وشوهد الطائر الأليف فى الهواء ، وأقبل وهو يتشقلب فى حركات بهلوانية ، ثم وضعه فوق القلنسوة التى فى يد أولو عارف جلبى ، ثم أمسك جلبى الطائر وقدمه إلى أمير زادة ثم ألبسه القلنسوة على رأسه .

وعلى حين كان قلاووظ أوغلو يعتقد أن ممسك الطائر سوف لا يتأخر ، ولكنه لما رأى هذه الحال تحير واندesh وأهدى جلبى ثلاثة أحصنة وألفى دينار ، وذهب فى

معيته حتى مدينة تبريز ، وأحضر الطائر للملك فغادر المكان ، وأنعم الملك على قلاووظ أوغلو بثلاثين جوادا وستين ألف قطعة ذهبية فأرسلها قلاووظ أوغلو جميعاً إلى جلبى ، ثم أخذ بعد ذلك يرسل الهدايا من عام إلى آخر حتى أخريات عمره .

وسمع كازان خان عن هذه الواقعة من تومن بك ، وطلب رؤية جلبى وأرسل رجلاً لاستدعائه ، ولما لم يكن جلبى مكتفياً بتضرعنا وتوسلنا له من بعيد فإن « التميزمش خانون » قد أعدت مجلس سماع واستدعت جلبى لحضوره ، وجاء جلبى إلى خيمتها وبدأ السماع وتلا القرآن وأنشد الغزليات ، وبدأ جلبى إبان السماع يقرأ رباعية سلطان ولد التى يقول فيها ما فحواه « لقد أظهرت التواضع ، ولكنى سامق الذرا ، رفيع المقام ، وأنا صاح مفيق عندما أكون ثملا سكرانا ، فانظر يا حبيبى إلينا بنظرة أفضل من هذه ، ولن يتسنى لك أن تكون ترابا ما دمت فى حال من الفتور والبرود » (الديوان ص ٦٠٩ ، رباعية ٣٩٨) .

وكان كازان خان يشاهد جلبى من بعيد فاستحسنه وأعجب به أيما إعجاب ، ولا جرم أنه كان أحد المعتقدين بمولانا دون أن ينعم برؤيته ، وكان يستفسر عن أحوال مولانا من كل من : قطب الدين شيرازى (ت ٧١٦ هـ = ١٣١٦ م) وهمام تبريزى^(٦) (ت ٧٨٢ هـ = ١٣٨٠ م) ، وحاجى رشيد الدين (ت ٧١٨ هـ = ١٣١٨ م) ، وياراق^(٧) ياب ، كما كان يفسر أبيات مولانا إلى هؤلاء أجمعين . وكان مجد الدين آتابك المولوى يقرأ غزلية مولانا التى يقول فيها : « هل قدم هذان العالمان وملا طاس الخمر من جرة المحبوب ، وتأخرت عن شغل عالم الغيب الخفى المستور ، وأنت لم تعرف الله وتخاف من التتار .

ومع هذا فقد أظهرت راية الإيمان من ديار التتار بضع مرات »^(٨) ، أما كازان خان فقد طرز هذه الغزلية ووشاها بالذهب على ثيابه ، وكان يلبسها فى أيام المراسم والاحتفالات ، ويقوم مادحا إياها : إن مولانا قال هذه الغزلية من أجلى ، وقد بات التتار إبان عصرى مسلمين . أما مجد الدين فقد جعل « فرامرزا أوغلوا علاء الدين

كيكباد « حاكما سلجوقيا مستقيدا من هذا الحب ، وصار هو نفسه أتابكا ، ومد يد العون والإحسان إلى كل من سلطان ولد وأولو عارف جلبي .

ويدون أفلاكي الرحلة الثانية ، ويذكر بهذه المناسبة رحلة تبريز وما رند اللتين حدثتا إبان صبوة وشباب أولو عارف جلبي وصحة وعافية سلطان ولد ، ويسجل كذلك أن من كانوا في معيته في هذه الرحلة كل من : محمد سكورجي ، كيجاتو ، جاجا أوغلو بولاد بك .

وطائفة أخرى من المقربين من كازان خان ، وقد توفي كيجاتو سنة ٦٩٤ هـ = ١٢٩٥ م ، وتوفي غازان محمد خان سنة ٧٠٤ هـ = ١٣٠٤ م . وقد تشاجر أولو عارف جلبي في هذه الرحلة مع واحد من أهل ميرند الذين يوقرون الشيخ المدعو إسحاق وجلده ، وتدخل أهل المدينة في القتال ، وأشهر رجال كل من محمد سكورجي وبولاد بك سيوفهم ، ودخلوا في حومة القتال واستتقنوا جلبي عنوة ، وبعد أيام ثلاثة كانت وفاة الشيخ إسحاق وسقوطه على الأرض إبان غشية الوجد الصوفي في أثناء السماع في سطح تكيته ، وثير الناس ، ولما عاد أهل ميرند من تبريز استقبلوا الشيخ أولو عارف جلبي بتجلة واحترام عظيمين ، وبات كثير منهم من المريدين له .

ثم مكث حقبة طويلة من الزمن في أرضروم إبان هذه السياحة ، وكانت باشا زوج كتجاتو تحب الشيخ أولو عارف جلبي حبا جما ، ولا تتركه إلا لماما .

أما سلطان ولد فكان يبعث إليه برسالة إثر أخرى تحثه على العودة والإياب . ولما قدم أولو عارف جلبي إلى مدينة بايبورده ماتت باشا خاتون ، وأسف جلبي أسفا شديدا لفراقها ، ولم يذق طعاما قط مدة ثلاثة أيام ، وبكى بكاء مرا ، ثم أخذ ينشد هذه الأبيات من المثنوى : « أواه أواه ، يا أسفى ، يا أسفى ، هكذا توارى القمر تحت الغمام » ج ١ ، ص ١٦٩ ، ميت ١٧٢٣ « لابقاء ملك إلى الأبد ، فاعلم يا قلب هذه الرؤيا » ج ٥ ، ص ٣٢٥ ، بيت ٣٩٢٧ « فاستحوذ على الشرف بأسره ، وافتح الغرب كله ، وكنت صاحب السلطنة في كل حدب وصوب وما دامت هذه السلطنة غير

باقية ، وهب أنك كنت لهذه السلطنة براقا وهاجا ، فلقد توهج ثم انطفأ » « ج ه ، ص ، بيت ٣٩٢٦ . »

وثمة واقعة أخرى يرويها أهى أمير وهو من الذين كانوا فى معية أولو عارف جلبى إبان رحلته إلى أرضروم ، يقول : مضت سبعة أيام على وفاة باشا خاتون ، ووضعوا التابوت فوق لوح خشبى ، فاحتضن جلبى التابوت وعانقه ، وجعل يتلو رباعيات يقول فيها ما فحواه : « تمحى كل التروس فى مواجهة سيف الأذل ، وإن هذه الأبهة وذاك الذهب والفضة حقيرة تافهة لا طائل من ورائها ، وانتبهت لى خير الزمان وشره ، فكل شىء صادر من العدم ، ويبقى شىء واحد فقط إننا الخير والأريحية والصلاح . »

ويقول أيضا : السلطان والوزير كلاهما شخص واحد فى يد الأجل وأمره المحتوم يسير تجاه كليهما ، ولا علاج ألبتة لألمه ، وأين ذلك السلطان الذى افتقرس والتهم مملكة كرمان وقضى عليها قضاء مبرما ؟ إن الدود يأكله اليوم . »

كما أنشد هذه الرباعية فى ذكرى الأربعين لخاتون هانم « لا تظنين نشوة أو سرورا ، فما العمر إلا كدر وأحزان ، فكل ذرة تراب قد عجت فى طينها كيكباد وجم ، وإن نهاية العمر قد استمرت طويلا بسبب بلوغ الآمال وتحقيق الأهداف . »

ولكنها جميعاً ما هى إلا محض رؤيا وخيال وخداع وبرهة من زمان^(٩) ، وقد تناهى إلى سمع سلطان ولد أولجاي تو محمد خدا بند الذى حل محل الحاكم المغولى كازان خان قد قبل مذهب الشيعة الباطنية ويريد استخراج أجساد كل من أبى بكر وعمر من جوار النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وأراد سلطان ولد أن يبعث أولو عارف جلبى إلى سلطانية حتى يتمكن من منع أولجاي تو محمد خدا بند ويحول دون تحقيق فعلته ، بيد أن هذه الرحلة قد أجلت بسبب موت سلطان ولد ، ولكن أولو عارف جلبى انطلق إلى هذه الرحلة فى معية أصدقائه بعد عامين اثنين من موت أبيه (٧١٥ هـ = ١٣١٥ م) .

ولما قدم إلى مدينة بايبورى مكث فى تكية أهى أمير بايبورتى وقضى فيها شهر رمضان ، ولما وصل مدينة أخلاط فى اليوم الأول من شهر ذى القعدة سمع بموت

أولجاي توحيد وافته المنية سنة ٧١٦ هـ = ١٣١٦ م ، وهذا يعنى أن رحلة جلبى استمرت عاما كاملا حتى مدينة أخلاط .

ولما بلغ سلطانية خرج فى استقباله الشيخ حيران أميرجى خليفة الشيخ باراق فى معية كوكبة من الشيوخ والعلماء ، وعندما رأى جلبى الناس والأمراء وقد غشيتهم حال من الحزن والحداد بدأ من فوره فى السماع فى معية أصدقائه ، ثم قال للمعارضين : إذا كان سلطانكم قد مات فنحن باقون . وندرك من هذه الرحلة التى رواها أفلاكى أنه كان أحد الذين ذهبوا فيها مع أولو عارف جلبى (٢١٦ ، ٢١٧) .

وفى سنة ٧١٨ هـ = ١٣١٨ م ، نرى جلبى يولى وجهه مرة ثانية شطر زاوية الشيخ سهرابى المولوى بمدينة سلطانية ، ويفهم من هذا أن هذه السفرة قد استمرت طويلا . (٢٢٥ ، ٢٢٦) ونعتقد أن رحلات جلبى التى جاءت بعد ذلك ترجع إلى أيام خلافته .

ويدون أفلاكى أن جلبى قد يمّم وجهه شطر سيواس ثلاث مرات (٢١٦ ، ٢١٧) . وقد التقى جلبى فى أماسيه بعلاء الدين الأماسيوى خليفة جلبى حسام الدين (٢٢٠ ، ٢٢١) .

ونعلم كذلك أنه أمضى مدة طويلة فى مدينة قره حصار (٢٢٣) ، كما عقد مجلس سماع للنسوة الموجودات فى مدينة طوقات (٢٢٤) . وعلى كل حال فقد مر إبان زهابه إلى سلطانية بكل من العراق وتبريز (٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥) . (٢٣٥) .

أولو عارف جلبى والأمراء :

كانت علاقة جلبى حسنة طيبة مع الأمراء المحليين مثلما كانت مع الأمراء المغول ، وكان جلبى ذا ناحية جسورة تتصف بعدم الاكتراث واللامبالاة ، وتمثلت هذه

الخليقة فى القوة والمقدرة اللتين ورثهما عن أبيه وجده ، كما كان الأمراء يرون فيه قدرة فائقة ونفوذاً عريضاً .

وكان منتش مسعود بك أحد هؤلاء الأمراء (توفى بعد عام ١٣٢٠ م) ، الذين يحبون جلبى حبا جما ، ويعقد مجلس السماع عند قدومه ، وكان يوجد هنالك واحد من هؤلاء الشيوخ الذين يظهرون تجلة واحتراما للسكان المحليين ، وكانوا يستدعونه ، وأمسك جلبى بهذا الشيخ أثناء السماع وخرجا سويا ، ثم جعلا ينشدان أثناء عودتهما رباعية تقول فحواها : « أخطو العاشقون خطوات نحو الفناء ، وهم قد استنقذوا أنفسهم من وجود المحبوب ومن سائر الموجودات ، وقد محوا الحياة الزائفة التى لا محالة لها ، وعبروا واثبين إلى حيث العشق » (١٠) .

وقد التقى جلبى مع كرميان يكى عيشير أوغلو يعقوب (كان على قيد الحياة قبل عام ١٣٢٠ م) ، وكان هذا الأمير جاهلا وعلى حين كان ينشغل بأسراره ويمن معه من الرجال أثناء قراءة القرآن وإنشاد الغزل إذا به يلمس جلبى فنهض من فورهِ رافعا عقيرته بالصياح مما تسبب فى خروجه للترحال .

وفى الطريق سلق عيشير أوغلو بالسنة حداد ، وحينئذ هبت ريح عاصف صرصر عاتية على حين غفلة ، فما كان من عيشير أوغلو ورجاله إلا أن ضربوا خيمة على سهل علم الدين بازائى ، فهدمت الخيام واقتلعت الجياد من أوتادها وفرت هاربة مستنفرة ، وظن عيشير أوغلو أن هذه العاصفة قد هبت بسبب حدة جلبى وغلظته ، ثم أرسل صهره أيدين أوغلو وقائد جيشه سعد الدين فايز لطلب الصفح والمغفرة وطلب القلنسوة التى على رأس جلبى لتكون دليلا على العفو والصفح ، حينئذ صفح جلبى عن جريرة يعقوب بك وأرسل القلنسوة ، كما بعث يعقوب بك قماشا إلى جلبى وشمله بعطفه وإحسانه هو ومن معه من المقربين منه .

ولما قدم جلبى إلى كوتاهية جاء يعقوب فى معية ابنته وصار من المريدين وكان لجلبى علاقة وطيدة وثيقة العرى مع عائلة أيدين أوغلو ، كما كان سلطان ولد يكن له حبا جما ، كانت إمارة أيدين أوغلو سنة ١٣٠٧ هـ ، ومات فى سنة ١٣٢٤ م ، وكان سلطان ولد يناديه قائلاً : يا سلطان الغزاة وسلطان الغازين « كما كان يطريه

ويثنى عليه من بين أمراء المغول والترك ، وكان يقول إنه تعلم منه الكرم والسخاء والشموخ والكبرياء ، وأطلق عليه لقب « مديرنا ورئيسنا » .

ولما قدم أولو عارف جلبى إلى مدينة « بيركى » لم يأخذ أيدين أوغلو مبارز الدين محمد إلى حيث هناك وكان عيشير أوغلو أحد رؤساء كرميان . وذات ليلة زار جلبى وأراد مساعدته ، وقال له جلبى : خذ هذه الهراوة واسحق بها رأس من يجابهك ويقف ضدك ، ثم بشره بأن الله سوف يمنحه هذه المقاطعات وغيرها من الأمم والبلدان ، فقبل محمد الهراوة ووضعها فوق رأسه ، ثم قال : سوف أضرب بها سنام رأسى أولا ثم رأس الأعداء بعد ذلك ، وكان لولديه أزمير بك وأومور بك (ت ١٣٤٧ م) علاقة وثيقة العرى بكل من مولانا وأولو عارف جلبى .

وكان لأولو عارف جلبى علاقة بأسرة « أشرف أوغلر » الذين دام حكمهم مدة وجيزة فى مدينة بيشهر ، وكان أشرف أوغلو محمد بك (الذى كان حيا قبل عام ١٣٢٠ م) يستضيف أولو عارف جلبى فى مدينة بيشهر ويكرم وفادته ، وصار ولده سليمان شاه (المتوفى قبل عام ١٣٢٧) مريدا لأولو عارف جلبى . وقد كان جلبى مناصرا للمغول إبان حكم القره ماينين على قونية كما كان القره مانينون يقولون له « نحن جيران لكم ، نحب مولانا كذلك ، فلماذا إذا لا تريدنا وتريد المغول ، وتتنحاز إلى جانبهم ، فقال جلبى : نحن كذلك دراويش ، ننظر إلى مطلب الله ومراده فيمن يريد ، وتنحاز إلى من يريد أن يعطى الله له الدولة ، وإن الله لا يريدكم الآن بل يريدكم ، فلقد أخذ الدولة من السلاجقة وأعطاهم لسلالة جنكيز .

كان جلبى يرى قدرة المغول وتفوقهم ، ويدرك شدة بأسهم ، ويعلم أن الأمراء المحليين سوف لا يستطيعون أن يظهروا عليهم . ورغم انحياز جلبى للمغول ومناصرتهم فإنه كان ذا نفوذ كبير فى نفوس سلالة القره ماينين ، وهذا ندركه بجلاء من خلال هذه الواقعة :

أهدى إلى تكية مولانا حوض مرمرى أبيض من كوتاهية ، وأثناء سفر جلبى أخذ الحوض رجل يدعى جلال كوجك من المنتسبين إلى أسرة القره ماينين ، وأحضره إلى

لارنده قره مان ووضعه فى قصرها ، ولما جاء جلبى ، ولم ير الحوض فى مكانه تضايق ضيقا شديداً ، فما كان منه إلا أن بعث برسالة إلى قره مان بك أمير بدر الدين إبراهيم « كانت إمارته سنة ١٣١٥ ، وتوفى عام ١٣٣٢ م » أعلمه فيها بما حصل ، ولما قرأ إبراهيم بك الرسالة عزل جلال كوجك من وظيفته ، ثم حمل الحوض على عربة وأرسله مع الهدايا وسأله العفو والمغفرة ، ولما سمع جلبى عارف بمجيء الحوض استقبله مع متعهدي المقبرة ثم خلع فرجة المقبرة وألقاها فوق الحوض ، ثم أحضره ووضعه فى مكانه ، حتى إن هذا الحجر لم يتجل لنظرنا ولم يستطع فهم كلامنا ، إنه منسوب إلى هنالك ولم يطق تحمل الفراق ، ولو أننا أحضرناه مرة ثانية إلى مكانه ، فهل نترك محبيننا بالروح والفؤاد ، ثم أنشد رباعية مولانا التى يقول فحواها : « أيها المحبوب إن الشمس والقمر والنجوم عبيد لك ، يا باب الكرم والعزة والرفعة والنور المنتور ، وأنت لن تجد بابا آخر سوى بابك ، فلتأتين إليه فقد أغلقت كل الأبواب ، أما بابك فإنه مفتوح ^(١١) » (٢٢٨) .

وكان جلبى ذا علاقة طيبة حميمة مع كل من أسرة صاحب آتا أوغولر والوجهاء والأكابر المنتسبين إليهم (٢٢٣) .

شخصيته :

لم يكن أولو عارف جلبى من الناحية الشخصية على آسال من أبيه سلطان ولد أو جده جلال الدين ، بل كان يذكرنا كثيراً بجده الأعلى سلطان العلماء وبالشيوخ شمس الدين تبريزى ، وكان كذلك من الصوفية العارفين بالتصوف والقائلين بتجلة الشعب وعظمته وكبريائه وفضلا عن هذا فقد كان عنيدا متوتر الأعصاب نزقا غضوبا ضيق الصبر قليل الاحتمال وقلنا من قبل إنه ضرب حاجى أرضرومى فى سيواس ، وتشاجر مع الشيخ اسحق فى « مرند » وغضب على عيشير أوغلو وغادر مجلسه ، ولنسجل فى هذا السياق بعض الوقائع الأخرى : كان يوجد فى قونية واحد من أكابر الصوفية والأخيان ، وهو رجل ترب ^(١٢) لأولو عارف جلبى واسمه آهى مصطفى وكان

طاغية يغلو في طغيانه ، مسموع الكلمة ذا أمر نافذ ، وقد أسدى إليه سلطان ولد النصيح غير مرة ، بيد أنه كان يقول : إن ثقافتكم وعلمكم شيء آخر ، وهذه الأشياء هي شيء جد مختلف ، وأنا أعلم هذا جيداً ، فلا تخط بين هذا وذاك وحينئذ دعوا سلطان ولد إلى مجلس السماع ، وعندما يكون سلطان ولد ورجاله مشغولين في مجلس السماع فإنه يتوجب عدم دعوة مولوية أكثر من هذا إلى هذه الوليمة ، ولما سمع أولو عارف جلبى هذا الكلام خرج ذات يوم في معية صحبه وقصد مجلس السماع و اتبعه الناس في أثره ، ثم ولى وجهه مباشرة صوب زاوية أهى مصطفى ، وأحكم فى أول الأمر غلق مزراب عين الماء ، ثم أخذ بعد ذلك يصب زيت القنديل الذى كان مشتعلًا ، وتجمد الصوفية من شدة الهلع والفرع ثم اختفى أهى مصطفى وهو يشاهد ما يفعله أولو عارف جلبى .

ثم بدأ جلبى يكرر السماع وقال : لم يعد للمولوية شغل بعد ذلك فى هذا البيت ، وجعل يقرأ رباعية لأبيه ، ثم خرج موليا وجهه شطر المدرسة وهو يردد السماع .

ولم يخجل جلبى قط من هذا الكلام ، وتحدث بحدة وحكمة معبرة ، فهو يثق بنفسه ويوقن بها كثيراً . وقد التقى جلبى بشخص يدعى قيرشهرلى علاء الدين الذى ينحدر نسله من علاء الدين بن مولانا وقال هذا الشخص : إننى من سلالة مولانا أيضا فلم لا يجلى ولا يوقرنى إنه لم يعطف على ألبته ، والولد لا يتحمل وزر أبيه ، وحينئذ قال جلبى : إنه لا علاقة لك ألبته بمولانا على أى وجه من الوجوه ، ما أنت إلا عضو مبتور من هذه السلالة ، وإنهم قد قطعوا غصنك من هذه الشجرة ، وقد نزلت فى شأنك هذه الآية الكريمة « إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح » (١٢) .

وحينئذ تصدى له علاء الدين قائلا : من تكون أنت حتى تتفوه بهذه الألفاظ التى تخص والمعرفة فى حضرتى ؟

إنك ترى نفسك أعلى منزلة منى ، وأجابه جلبى بقوله : أنا سيف مولانا ، فقال علاء الدين : أنت لست بسيف ما أنت إلا أسد عاثر الجذ مقطوع الرجاء ، ثم قال له

جلبى دون قلق أو ارتباك : كلا ، بل أنا أسد فأنا الأسد الثالث ، ومولانا هو الأسد الأول ، وسلطان ولد هو الأسد الثانى .

كان أولو عارف جلبى ولوعا بالخمير يشربها على الدوام ، يقول أفلاكى فى هذا « سقى الله قبرك بالرحمات ، وأسعد روحك فى مستقرها ، إنه جلبى عارف سلطان العارفين وهو واحد من أهل الحال ومن المتصوفة الكاملين ومن أكابر الزاهدين .

لقد اصطفت من بين السكارى لتتزع قيود أصحاب العقول^(١٤) » ، ونعلم كذلك أن دنيزلى كان يشرب الخمر فى معية أمير طواس شجاع الدين إلياس بك ، وقد نهض من قوره وجعل يتضرع بالرجاء والدعاء بغية سقوط المطر فى المدينة عينها ، بيد أن المطر لم يسقط أفعاله المناهضة للشرعية .

ويحكى بولاد بك بن جاجا أوغلو نور الدين بك أن أسيرة صاحب آتا أوغولر كانت تكرر الخمر مع الأمراء ويجلسون معهم فى قلعة قره حصار .

ويقول أمير نجم الدين محافظ قلعة « جاوالا » : إن أولو عارف جلبى كان يعقد مجالس الشراب مع القساوسة فى أحد الأديرة وذلك فى العشر الأوائل من شهر عيد الأضحى ، وكان يقول فى ذلك : إننى أرفع عقيرتى بالصياح وأفكر مليا وأقول إنه لصنيع سخيف أحرق منافق للعقل ، ثم ينشد هذه الرباعية « لا تتصد لعمل شخص يعمل فى سبيل الله ، ولا تفتح عينيك بغية رؤية عيوب الناس ، فالله يعلم سر كل قوم . فانظر إلى ذات نفسك ، ولا تنهض إلى الثرثرة والهذر من القول »^(١٥) ثم ألقى القدرح الملقى فى يده على الأرض ، وأخذت القدرح تلف وتدور حتى وقفت أمامه ولم ينسكب ما بداخله من خمر .

ثم قال : وبناء على هذا لو انسكبت وتحطمت فلأجل خاطر نجم الدين عزيز ، ويتوجب علينا أن نعى هذا جيداً ، ولقد عرفنا هذه الأيام العزيزة . ولقد خلقنا الله العظيم من أجل هذه الأيام العزيزة ومن أجل وجود هؤلاء الأشخاص الأعزاء ، ولولا هؤلاء لما بقى توهج الدنيا ووميضها ، ولا بقيت الدار الآخرة . ولا كانت قيمة المسجد ولا كانت الكعبة .

. ويحكى أفلاكى على وجه الخصوص فيقول : ذات يوم آخر كان دنيزلى يترك أطفاله للذهاب إلى المدرسة ثم يبدأ فى اليوم نفسه فى معاقرة الخمر مع أصدقائه وعددهم عشرون شخصاً .

وكان برهان الدين إلياس باشا سبط سلطان ولد يشارك فى سقاية الخمر ويشربها حتى منتصف الليل ، كما يزعج أفلاكى ويضايقه حتى يجد الخمر (٢٣٦) . ولكن عجباً ، لماذا أدمن أولو عارف جلبى الخمر ؟ كان أولو عارف جلبى ينشد هذه الأبيات التى تقول « أنا سكير ، خائن غدار ، أتجرع الخمر عيانا جهارا ، ولن أهجرها حتى لو ذهب عقلى وسلب لى ، هكذا تكون رائحتى ، وليكن ما يكون » (الديوان : ص ٦٣ ، غزل : ٨١ ، بيت ١٢٥٣) .

ويقول فى غزلية أخرى : « إن الخمر لى حلال ، لأننى من نور جلال ، وأنا ولد مفعم باللطف والرقّة والدلال فى طرق الله (ص ٧٤ - غزل : ٩٥ - بيت ١٤٦٨) . ويقول أيضا : « أرايت شيخاً مثلى ولوعا بشرب الخمر عيانا بياناً فى كل المدن وبجانب كل شاب وعجوز ؟ فسلم عليها ، وتناول القدح فى كل قول وحديث ، فلقد أسكرتها وتخلصت من قيد الفضة والقماش » (ص ١٥٦ - غزل ٢٥٣ - بيت ٣١٨٨ - ٣١٨٩) ، ومثل قوله « متى سأتحلر وأتخلص من يد رمضان ، وأستمتع بطيب الأنعم والملذات ، ولسوف أكل الكباب ، وسأضع القدح ملى بالخمر أمام ناظرى ، ولسوف أقف وأشرب مع السكارى فى حانة الخمر » (ص ٥٩٩ ، رباعية ٣٢٣) .

هل كان سلطان ولد كاتب مثل هذه الرباعيات يشرب الخمر ؟

يقول سلطان ولد « كل شىء طيب حسن جميل ، ولا كانت الحقارة والدونية دليلا على هؤلاء الأشخاص ، ولا سقطت الخمر فى يد هؤلاء الذين يقولون يمنعها ، وإن شرب الخمر وعزف الرباب والحب الجميل والسماع هى جميعا حلال للأشخاص المصطفين الأخيار وهى محرمة على هؤلاء الأشخاص الأرذلين »^(١٦) وهل كان مولانا يشرب كذلك؟ فربما كانت كل هذه الألفاظ تحمل معنى المجاز .

إنه من المتعذر علينا التفوه بشيء حازم قاطع فى هذا السبيل ، وهب أن هؤلاء يشربون ، فإنهم لم يشربوها عيانا بيانا كما فعل أولو عارف جلبى . لقد كانت هناك طائفة من اللائمين على جلبى بسبب فعالة المتناقضة وحركاته التى تتسم باللامبالاة وعدم الاكتراث ، ويأتى فى صدارة هؤلاء اللائمين أماسيه لى علاء الدين خليفة جلبى حسام الدين ، بيد أن سبهسالر يمدح أولو عارف جلبى يمثل هذه الكلمات « إنه كامل متقن من ناحية الكلام والحال ، وهذا ما يمدحه به المحققون المحصنون » أما أفلاكى فيقول عنه « إنه سلطان الخلفاء » ولما ذهب جلبى إلى أماسيه وسمع كلام علاء الدين دخل الخلوة ومكث بها خمسة عشر يوما دون طعام أو شراب ، وكانت أمه فى معيته إبان هذه الرحلة ، ولما علمت أن بنية ابنها أصبحت واهنة ضعيفة أخذت تتضرع وتتوسل هى ومن معها من الأصدقاء ولكن دون جدوى ، إنهم يحسبون أن طعامنا هو الخمر والكباب فقط ، ولا يعلمون أننا سكارى بخمر أخرى مختلفة .

وفى اليوم السادس عشر اجتمع كبراء القوم ووجهائهم وحلوا ضيوفا على فناء الزاوية، وبدأ السماع وأخذ علاء الدين فى تحريض الناس وحثهم على السماع ، واشتدت سورة حميا السماع وخرج جلبى على حين غفلة وصرخ صرخة ثم بدأ السماع ، وأخذ ينشد رباعية تقول فحواها : « أيها القادمون إلى القمر فى سماء السعادة والإقبال ، إن السلطان موجود فى خشبة شطرنج الملامة ، وإن من يدركون سر هذا الكلام يضلون بجانب الناس ، بيد أنهم فى الطريق المستقيم »^(١٧) . وبعد مدة تفوه بهذه الرباعية التى تقول « إن الراكضين فى أثر الشيطنة فى هذا السبيل ، لا فرق بينهم وبين الشيطان فى نظر الرجال المطهرين ، وإذا ما ذهبت مستقيماً فى هذه السبيل التى رسمها العاشقون فإنهم يكتبون فى صحيفتك سر آيتك »^(١٨) ثم ألقى بنفسه على حين غفلة من النافذة فى منطقة يشيل ابرماق ، ودب الضجيج والصخب بين الخلائق ، وما لبثوا أن ألقوا بأنفسهم من ورائه ، ثم سرعان ما خرجوا بصعوبة وهم يتضرعون ويتوسلون .

وأدرك علاء الدين بنفسه سبب ما فعله هؤلاء ، وتضايق كثيراً ، ولما خرج جلبى من النهر طلب قربة خمر حيث ظل لا يأكل ولا يشرب بضعة أيام .

وكانت فى حالة من عدم السكينة والاسترواح ومن ثم فإنه شرب قربة من الخمر على حين غرة ، وبدأ السماع ، وأخذ ينشد غزلية مولانا التى يقول فيها « لقد أحرقنا العشق والصبوة والجنون ، وابتلعنا موجات الدماء فى كل وقت وحين ، نحن نشرب جهنم ، ونحن نظراء السكارى الذين مزقوا قبة السماء ، وماذا يفعل الشمع المسكين فى كبد السماء وماذا عسى أن يكون لو علق القنديل فى هذين الاتجاهين المعكوسين ؟ فلأطوين وأقيدن أيدي لص الأحزان ، فلقد سرق عقل بضع مئين من المساكين ، ولأسكن الخمر المنسوبة إلى السلطان الطاهر المبرأ ، ولأنومن عالم العلوم ، وذلك العقل الذى يحيك الحيل والدسائس ، إن حيلته تجاوزت كل حد ، ولأسكرن التزوير ، ولأضربنه ضرباً مبرحاً^(١٩) كما كان ينشد هذه الرباعية « لا أكلن شيئاً آخر سوى ألم المحبوب كلما كان صحيحاً معافى ولن أتحث عن الشرف والفضيلة ، فلم أتألم بهذا الألم ، إن علمى وسؤددى وشرفى هو قدح الخمر .

بيد أننى لن أشربه إلا من يد السلطان^(٢٠) . وعندما كان طور مطاى أوغلو فى أماسية كان جلى محمد بك واليا عليها ، وعقد مجلس سماع بغية تسوية النزاع الذى كان بينه وبين علاء الدين ، ودعا علاء الدين وقرأ القرآن ، وأنشدت الغزليات ، ثم سأل علاء الدين عن معنى هذه الغزليات ، فقال جلى : لو سألت عن حالى ومقامى فإنك لم تفهم حينئذ ، ولو تدخلت فى الحديث بحسب مقياس حالك لأصبحت ساعتئذ وقد ترديدت فى أسفل سافلين .

ما هذا الخداع والتضليل يا علاء الدين ، أنت تقرأ مثنوينا ، وليس لك خطوة متقدمة فى إدراك سره وفهم كنهه ، ولا تحيط خيراً بمقصدك ومرامك ، ولعلك لم تقرأه . وإذا كان جلى صاحب قناعات قد تجاوزت كل حد ، فإن علاء الدين كان تابعاً منقاداً لتلك القيود التى فهمها وأدرك كنهها ، يقول سراج الدين قارىء المثنوى : كان علاء الدين يضطلع بخدمة جلى حسام الدين ، وكان يستمع إلى المثنوى كلما وافته الفرصة ، كما كان يقرؤه فى معيتى ، وأراد الذهاب إلى وطنه بعد حين من الزمان ، فقال له جلى حسام الدين : لم يحن الوقت بعد ، فامكث مع الأصدقاء بضع سنين ، بيد أنه لم يستمع إلى قوله .

وبناء عليه حرر له شهادة بذلك وألبسه ستترته ومنحه الخلافة وأرسله إلى أماسية ولما بلغها قال وأسفى لقد اصفر عنب هذا الرجل ، بيد أنه غير حلو المذاق ، وانسحب من الشمس سريعا وفر هاربا إلى الظل ، فأنا خائف وجل ، وصارت ذات يوم هدفا لسخط ونقمة هذا الرجل القوى .

وكان أولو عارف جلبى قد قفز إلى الماء ذات مرة وهو فى العراق ، وأخاف الناس أجمعين .

وتفيد رواية سلطان الخلفاء « آق شهرلى موسى » أن « آق شهر حاكمى خواص كريم الدين » كان تابعا لأشرف أوغلو ، ولم يكن يستحسن أحوال جلبى ، حتى إنه قد أعد العدة ذات يوم طالبا الذهاب من آق شهر إلى جلبى ، وتمنى أن يكون ذهابه فى معية المفيقين والسكرارى على حد سواء ، وسمع جلبى هذا الكلام ، وعندما صادف قمر الدين ذات يوم قال : إن الأصدقاء كانوا يريدون إبعادنا وطردها من هذه المدينة ولو أبعادونا فإننا سنأتى ثانية ، بيد أن طردنا وإبعادنا لن يجعلهم يستطيعون المجئ إلى عالم الوجود وسيصيبهم البلى والفناء والاندثار .

وثمة واحد من كبراء القوم ووجهائهم ممن كانوا يدينون على الدوام أفعال السكر وعدم الاكتراث التى يمارسها أولو عارف جلبى ، ويرى فيها كل شىء مباحا ، وذات يوم قابل جلبى فى جماعة من الناس ، ثم قال جلبى : ثمة درويش بين ثنايا الحديث ، ويمدد رجليه دائما فى الشوارع وفى مفترق الطرق ، وينام راقدا فى سكينة واسترواح .

ثم قال أحد العارفين : عندما نقول إنك على شاكلة الدراويش ، فماذا عسى أن يصنع الدراويش ؟ لقد سحبت يدى من الأشياء العابثة ، وأقلعت عن غرور الدنيا وطلب نفائسها ، ثم مكث راقدا متمددا فى سكينة وراحة .

ولما ذهب أولو عارف جلبى إلى سلطانية نادى سائس الخيل بسبب مسألة ما ، وشرع فى شتمه وسبه ، بيد أن شهاب الدين مقبولى وهو من رفقاء الطريق وأحد علماء تبريز كان يقول : أصحح أن هذه الحركات المتسمة بالجنون صادرة من هذا

الرجل ؟ إنه لم يأت للنزاع والقتال مع سفهاء الروم ، حينئذ زلت قدم جواده وهوى على الأرض وهو يدلى بهذا الرأى ، وما لبث أن أظهر تجلة واحتراما عظيمين لعارف جلبى ، كما أهدى نجم الدين دابه (ت ١٣٣٥ م) تفسيره المسمى ربيع الحقائق إلى أولو عارف جلبى ، وأعطاه جلبى بدوره إلى قسطنطينى مولانا علاء الدين ثم انتشر هذا التفسير وذاع صيته على هذا النحو فى أرجاء الأناضول .

(٣٣٤ - ٢٣٥) (٢١) . ولما ذهب مولانا كمال الدين للمرة الثانية إلى «دينزلى» منح مولانا محيى الدين الخلافة إلى تاج الدين قارىء المثنوى ، ولكن رواية أفلاكي تقول : إن سلطان الخلفاء القاضى نجم الدين قد أخذ الخلافة من سلطان ولد أو من جلبى حسام الدين ، وكان مخالفا لجلبى تمام الاختلاف ، حتى أن هذه المخالفة لم تكن لجلبى فحسب ، ولكنها اتجهت إلى الخليفة فى مدينة « نيابة » ، وهو رجل أمى يسمى ناصح الدين ، وكان لهذا الرجل كلب مما جعل ثلة من الناس ينكرون ما يفعله هذا الرجل وكلبه الذى يبول على ثيابهم وأمتعتهم وما يقدمونه له من طعام ، ثم أعطى ناصح الدين هذا الكلب إلى أولو عارف جلبى .

وقائع وأحداث فؤاد أولو عارف (وقائع العشق والغرام) :

مر جلبى ببعض أحداث العشق إبان حياة السكر والانجذاب المائجة بالحركة والاضطراب وكان عدم ذهابه إلى قونية كثيراً وذلك من قبل باشا خاتون زوج أولجاي تو محمد خدابند فى أرضروم ، ولما أنبئ بموتها وهوى فى مدينة بايبورت أسف لموتها أسفاً شديداً وبكى بكاءً مرا ، وقرأ أبياتا من المثنوى ، وارتحل من فورده وأحاط بتابوتها عند وصوله إلى أرضروم فى اليوم السابع من وفاتها ، ثم أنشد الرباعيات فى ذكرى الأربعين ، وإن مظاهر العشق و عباراته التى جرت بين أولو عافر جلبى وباشا خاتون غير مقنعة برمتها .

وكانت عين الحياة ابنة جورجو خاتون - والتي وصفها أفلاكي بأنها ملكة الدنيا ومليكتها - شغوفة شديدة الافتتان بأولو عارف جلبي ، وكانت تدعوه إلى قصرها الكائن في أرضروم وتسال عنه سلطان ولد إيان حياته ، وتستفسر عن أحواله من كل الموجودين في ضريح مولانا وكذلك من سائر الأصدقاء في المدرسة الواحد تلو الآخر ، كما كان صلاح الدين أديب المصاحب لأولو عارف يجيب عن أسئلة عين الحياة ، وذات مرة أمعنت عين الحياة النظر إلى جلبي وقالت : أريد الاستماع إلي هذا الشاب الفتى ، إنه يفيض رقة وجمالا ، ولكن لماذا لا يتحدث ، ولكن العارفين يقولون هذا الكلام في الخلوة ، وأتمنى أن يحين الوقت ، ثم قال إنها سوف تسمعني ، وبدون أفلاكي بأسى على هذا الكلام إن عين الحياة قد حرقها العشق وحطم فؤادها .

وعليه فقد ظلت ما بقي من عمرها مولهة بعشق أولو عارف جلبي . وإيان إقامته في قونية كانت هناك امرأة فائقة الجمال تسمى « أقريا قيرى » وقعت في عشق جلبي ، وتحترقت وتحطمت بغية بلوغ وصاله ، وعزف القيثاره ، وأحترقت قلوب العاشقين وأذابت حشاشة أفئدتهم ، وضحت ببستانها وحديقتها وبكل ما تملك في سبيل أولو عارف جلبي .

وشاعت الشوائع وانتشر القيل والقال بسبب لقاء جلبي بها وحديثه معها وذات يوم صدرت فعلة من « أقريا قيرى » وتآلم جلبي بسببها ، فنزع طرف عمامته ومضى إلى حال سبيله ، وأخذت هي تتضرع وتتوسل إليه ولكن دون جدوى ، ثم قالت : ماذا عساي أن أصنع الآن ، فأجابها جلبي : إن موتك واجب حتمي ، ولكن أكان هذا بسبب ذهاب جلبي إلى هنالك والعافية التي رآها ؟ أم أنه أراد أن يضع حداً للقليل والشائعات التي شاعت في كل مكان ؟ إننا لا نستطيع الجزم بشيء قاطع في هذا السبيل ، بيد أن هذه العاشقة المسكينة قد قتلها عبيدها في ذلك الإبان ، واحترق فؤاد جلبي لما آل إليه مصيرها ، وأنشد هذه الرباعية « لقد هوت في براثن الحزن والمناحة ، في قميص مخيط منسوج بيد الصبر على عجلة وذهب بالأمس وأخذ حياء نارها ، وفي النار ألف لون ولون ، ولم يترك هذا الجميل أثرا للحرارة واليوم صارت بيد الموت ترابا تطيرها الرياح وتذروها » (٢٢) .

وظل جلى مغاضبا يتميز غيظا قرابة أربعين يوما ، ثم شرع ينشد هاتين الرباعيتين من أجلها : « لا تجلسن بالغفلة فهذا الزمان عزيز غال ، وكل نفس أخذته ، وهو روح عزيز غالية ، والعمر الآتى لابد سيذهب ويرحل ، فانظري لا تضيعيه فإنه ضيف سام رفيع الشأن ويقول : « العالم فى معبدها مكان ضيق المجال - والدنيا قلب ونموذج للتغير من حال إلى حال . ولا سبيل إلى وجود إنسان فى هذه الدنيا منتبها يقظان - وما الدنيا إلا محض رؤيا وضرب خيال»^(٢٢) .

نظرته إلى الطرق الصوفية الأخرى :

كان أولو عارف جلى يعلم علم اليقين أن طريقة مولانا هى بعينها الطريقة الملامتية ، وأن المولوية انبثقت فى الوجود على أساس نشأة الشطار ، ثم انفصلت عن الباب العالى وهى فى معية أهل الفتوة وكانت ذات علاقة حميمة بالشيخ المعروف « باراق باباير » والطائفة المنتسبة إليه .

وكان كل من الشيخ باراق بابا دركاى شىخى وحيران أميرجى خليفة بترنق بابا ضمن المستقبلين له إبان زهابه إلى سلطانية . ومع هذا فإن « حيران أميرجى » قدم بعد ذلك إلى قونية وزار قبره ، وقال جلى فى مجلس السماع المعقود عند المقبرة إنه سيعانق حيران أميرجى العام القادم ، وأتمنى أن تعقد السماع سويا فى هذا اليوم ، وخلع قلنسوته البيضاء وألبسها على رأس « حيران أميرجى » ، وفى الحق فإنهما التقيا فى العام التالى ومكثا معا يوما كاملا وهما فى مجلس السماع سويا ، وثمة خلفاء من الأخيان ، وكان أولو عارف جلى علاقة ود ومحبة مع أهى أحمد شاه وهو من أكابر المدينة فى تبريز ، وقد احتضنه وعانقه فى مجلس السماع وكانا يشهدان السماع سويا وألبسه قلنسوته .

ولكن أولو عارف جلى لم ينظر بعينه قط إلى سائر الطرق الصوفية الأخرى . واجتمع الصوفية ذات يوم فى آق شهر فى اجتماع كبير مهيب حافل بالرسميات

والتشريفات والشعائر والطقوس ، ودعوا جلبى إلى هذا الاجتماع ويقول أفلاكى إن سلطان الخلفاء سأل أق شهرلى أهى موسى قائلاً : أى مظهر هذا لتلك الطائفة من الدراويش ، فماذا يكون حال هؤلاء ؟ وأجاب جلبى : إنهم قوم يتبعون المراسم والاحتفالات ويقتنعون بالمظهر والهيئة ، ولا خبر يذكر عن هذا السر ، إنها طائفة لا تعلم شيئاً عن الله وعن الحقيقة ، ولا عن قوله تعالى « وهو معكم أينما كنتم » (٢٤) .

وثمة كثير من العارفين يعرفون الله ويدركون كنهه ويدعونه ، أو كما يقول جدى « إن الفن هو أنك قد وصلت إلى القرب من الله ، أتحسبن أنك لم تنفصم عن الفنان ، كلا ألم تره حقا ؟ وثمة مئات الأعمال ومئات الكرامات فى قرب ووصال الذين يصلون إلى أولياء الله ، وعلى سبيل المثال : فقد استحال الحديد شمعاً فى يد داود عليه السلام ، وهب أن الشمع فى يدك وأن الحديد ينكسر ، فكل شخص متساو فى الخلق ومنح الرزق ووصال الله ، وتوجد هذه الصفات فى كل شخص ولكن هؤلاء الأكابر هم أصحاب قرب وإلهام لعشق الله .

وإن أبى فى مقام القرب والوصال مختلف تمام الاختلاف ، فالشمس تضرب الجبل والذهب .

بيد أن ثمة وجه شبه بين الشمس والذهب ، ولا خير يذكر قط عن سبك ولعك لكل هذا والغصن اليابس قريب من الشمس وكذلك الطرى الندى ، ولكن أقترب من الشمس عن كليهما ألبتة ، ولكن أين هو قرب الغصن الطرى الندى ؟ إنه يتمثل فى جمع والتقاط الفواكه الناضجة اليانعة وأنت تأكل هذه الفواكه الناضجة ، ولكن انظر إلى هذا .

واقتراب الغصن اليابس من الشمس لا يمنحه سوى اليبوسة والجفاف (ترجمة المتنوى - ج ٢ ، ص : ٦٤ ، ٧٠١ - ٧٠٩) .

فهؤلاء لا يحيطون خُبراً عن الاتحاد والوحدانية ، وقد ظلوا ظمأً ، بيد أنهم يبدون اقتناعهم بالماء كما أن مريديهم يعقدون فى هؤلاء ويظلون جميعاً محرومين من قرب المتصوفة الحقيقيين وأحوالهم .

كان فى مدينة طوقات صوفى ذو شأن عظيم ، وينكر على أصدقاء مولانا سجود بعضهم لبعض ، ويدين صنيعهم هذا ، فقال جلى لهذا الدرويش عندما قابله ذات يوم : إن سجودك لنا ليس بصحيح ولو فعلته حقا لكان هو الكفر بعينه ، ولكنك ترانا أناسا مثلك ، فنظرتك هذه نظرة شيطان ، ورأيك كذلك رأى شيطان ، ولما كنت حمارا فإنك لا تحيط خبرا بالنور الكائن فى باطن الشيخ .

أما عدم سجود بعضنا لبعض فإنه الكفر بعينه ، لأن الإعراض عن الله وتقليد مذهب الشيطان ما هو إلا من صنيع العميان ، وإن أصدقاءنا يتبعون أمر قوله تعالى « اسجدوا لآدم » من الأزل حتى أبد الأبدى^(٢٥) . إن هذه السجدة فى حق هؤلاء هى مئات الألوف من ضروب اللطف والإحسان .

وذات يوم كان أولو عارف جلى فى أماسية فقدم لزيارته سيدى أحمد كوجك رفاعى وفى معيته طائفة من الأحمدية الرفاعية ، فتجاذبوا أطراف الحديث مدة من الزمان ، وبعد ذلك اندفعت من الرفاعية على مجلس السماع طائفة أخرى يعزفون على صوت شرب النارجيلة .

وعندما قال سيد أحمد : التمس لهم العذر فإن دراويشنا يصنعون السماع بصوت النارجيلة ، قال جلى : نعم إن هذا شىء حسن جميل ، إنهم يصنعون السماع لكن بصوت النارجيلة الفارغة ، يصنعونه لنا بالنارجيلة الممتلئة وثمة بون شاسع بين كلا السماعين .

وعندما كان جلى فى طوقات عينت ابنته معين الدين بروانة شخصا يدعى شيخ بهاء الدين ليكون شيخاً على التكية التى تخصها^(٢٦) ، فكان جلى يعامل بهاء الدين هذا معاملة سيئة . وكان عارف جلى يقول فى إحدى رباعياته « نحن أهل تضرع ورجاء ، ولسنا بأهل صلاة فدع الصلاة واجعل التضرع والرجاء فى المقام الأول ، وانظر إلى التضرع والرجاء ثم أمعن النظر وانتبه وافتح عينيك الباطنة ، ويوجد بضع مئتين من القدس والحجاز ثاوية فى أرواحنا وأفئدتنا (رباعيات أولو عارف جلى : ص ١١٣ ، رباعية ٤٨) .

ولما كان أولو عارف جلبى من أهل الباطن فإنه يقول فى رباعية أخرى ما فحواه : « ما فى أفئدتنا سوى الخمر ، وفى باطننا كثير من اللهفة والشوق إليها ، ولا شيء يمحو الكلمة الناقصة أو الزائدة فى فمنا ، أيا ساقى العشق قدم خمرنا ، فلربما محت آلامنا وقضت عليها قضاء مبرما » (ص ١٠٩ ، رباعية ٥٩) .

ثم يبين أحد أسباب ولوعه بالخمر وشغفه بها فيقول : « أى خبر يمكن أن يكون عن علم رجل لم بخط حتى خطوة واحدة خارج إطار العظمة والكبرياء والأثرة وحب الذات ؟ والطائر الذى يطير ويمزق أحبولته فى سبيل الفؤاد ويتسنى له أن يخطف حبة علم ويأكلها » (ص ١٠٥ ، رباعية : ٧٤) وهو فى هذه الرباعية يبين فضل العلم الذى يهب الوجود للإنسان ، كما يبرز كيف بقدر الشيوخ والعلماء المدوحين بهذه المعرفة المتباينة .

خلفاؤه :

ورد فى مناقب العارفين أن لأولو عارف جلبى خلفاء هم : أهى أحمد باييو الشيخ اميربك آب كرمى^(٢٧) ، أهى موسى آق شهريى ومن خلفائه فى مدينة نيابة كل من : نصيح الدين صباغ أهى محمد بك ولدى قلمى ، ومولانا كمال الدين ، ومولانا محيى الدين ، وتاج الدين قارئ المثنوى ، ويقول أفلاكى : إن من بين هؤلاء الخلفاء كذلك : أهى محمد بك قلمى ، والذى أطلق عليه لقب الرجل الذى أطراه الخلفاء وقرظوه ، وأهى أحمد الملقب بسلطان الخلفاء ، كما منح الخلافة لكل من : مولانا كمال الدين ، مولانا محيى الدين ، تاج الدين قارئ المثنوى ، والشيخ دنيزلى ، كما أرسل الشيخ أهى محمد بكى إلى مدينة لارنده التى تعرف باسم قره مان ، وعندما أرسله إلى هنالك قال له : ستكون زعيما على هؤلاء القوم ، فاذهب واضطلع بهذه المهمة المنوطة بك ، وليكن شغلك هو العشق والسماع (٢٤٢) . ويفهم من هذا القول أن ثمة زاوية أسسها قلم أوغلو ويرقد فى مقبرتها كل من : مؤمنة خاتون أم مولانا ، وكذلك زوجته الأولى جوهر خاتون ، وأخوه الأكبر علاء الدين وثمة خليفة امرأة تدعى

« قونية لى عارفة خوشلقا » ، وهى من عشاق مولانا ومحبيه وكانت خليفة فى مدينة طوقات ، وانتسب إليها سائر أكابر القوم ووجهائهم ممن يقطنون طوقات وما حولها وتدرك من كلام أفلاكى أن ثمة تكية مولوية أسست فى مدينة سلطانية وتولى المشيخة فيها شخص يدعى سهرابى مولوى .

ويفهم مما أورده أفلاكى صاحب مناقب العارفين أنه هو نفسه كان أحد خلفاء الشيخ أولو عارف جلبى وكان يخاطبه بالشيخ أفلاكى .

وفاته :

هكذا كان مشهد وفاة أولو عارف جلبى الذى انقضت حياته وانتهت بفعال العاطفى وسورة الحميا ، لقد كان أفلاكى يحبه حبا جما ، وها هو ذا يشرح فى صورة شديدة الجمال نابضة بالروح والحياة ، ولربما غاص قلمه فى فؤاده ، وسطر بدم قلبه هذه الصفائف ، ونحن إذ نخصص هذا القسم بغية تجلية شخصية أولو عارف جلبى وعقيدته وسورة حمياه ، فإننا نضطلع بتلخيصه باذلين الجهد فى عدم إفساد الأصل أو تشويه صورته . لقد ارتحل أولو عارف جلبى فى سفرته الأخيرة من مدينة لارنده إلى مدينة أنقرة وقال ذات يوم إيان مكثه فيه : لقد رأيت رؤيا مساء البارحة فحواها : أن مولانا كان فى حديقة جميلة غناء ، ثم نظر إلى وقال : يا عارف ماذا تصنع ها هنا ؟ لقد انتهت مدة الإقامة ، وسوف نشد رحالنا ونجمع متاعنا إلى عنان السماوات ، وسوف نكرع قدح الجلال .

ثم أردف يقول : « لقد حان الوقت فلنتجرد من كل شىء ولندع كل شىء ، ولنكونن روحا برمتنا » (ترجمة المثنوى - ج ٦ ، ص ٥١ - ٦١٣) ويقول فى موضع آخر « عجل بذهاب صورة البدن ، فلست عبارة من هذه الصورة ، وكلما وقفت فإن الصورة لا تكون ناقصة » (ج ٣ ، ص ٣٧٩ ، ٣٩٣٤) .

ثم ولى أولو عارف جلبى وجهه شطر قونية فى اليوم الثانى من إخباره لهذه الرؤيا ، ثم مرض إيان وصوله إليها وخرج من البيت وقت السحر فى الجمعة الأخيرة من شهر ذى القعدة لسنة ٧١٩ هـ ، وأقبل ووقف على باب المقبرة ، وانتظر حتى

أشرق يوم جديد وارتفعت الشمس مقدار رمحين ثم أنشد هذا البيت : « إن الشمس تجري وتقف وكأنها كرة ذهبية ، لا جرم من يحمل صولجانها ومحجنها » (٢٨) .

ثم نظر إلى الشمس وقال : « إن المتصوفة العارفين هم شمس الشموس ، وإن الشمس لتنير بنورهم » (٣٠) .

ثم قال : وبعد مدة سئمت وضجرت من عالم الدنو والانحطاط ، فألى متى سوف أظل ثاوياً تحت الشمس بين غبار ودخان ؟ لقد حان وقت وطء ارتفاع السماوات والشروق فوق الشمس ، ثم أنشد هذه الغزلية لمولانا والتي تقول : « إن صوت العشيق ينبعث في كل نفس من اليمين إلى الشمال ، ونحن ذاهبون إلى القبة الزرقاء في كبد السماء فمن ذا الذي سيشاهد ويتفرج ؟ لقد كنا في السماء ، وكنا أصدقاء وأخلاء للملائكة .

إن مدينتنا برمتها هنالك ، فلنذهب إلى حيث هنالك ثانية ، لقد سمونا من السماء ونحن من الملائكة في أعلى عليين . فلماذا لا يتوجب علينا أن نعبر كليهما ؟ ونُزل ضيافتنا هو عالم العظמות والملكوت . فأين الجوهر شديد الصفاء والنقاء ، وأين العالم المخلوق من التراب ؟

لقد دنونا إلى أسفل ، ولكن أين هذا وذاك ؟ ولقد تنكبت حملنا ، وأخلأناهم خط ندى غرض فلا تُحبطن عملنا ، والمصطفى الذي مدح الدنيا هو قائد قافلتنا (٣١) ولما خرج جلبى رأه المجتمعون ، وعندما سمعوا هذه الكلمات بدءوا من فورهم في العويل والصراخ .

ثم قال لا حيلة ألبتة ، ولا مناص إلا الموت ، فلقد كنت أريد التطواف على الدوام في هذا العالم وأرى مواضع جديدة فيه ، بيد أن جسمي سكن عن الحركة ، وخارت قواي ، ولم يبق في الدنيا أحد قط يشاركني آلامي وعذاباتي ، وإن مولانا هو رفيق آلامي ، وكذلك أبي فلأرحلن إلى الدار الآخرة ولألحقن بهم ، ثم شهق شهقة عالية وانقلب راجعاً إلى داره وهو يمشى في عجب وتيه ، وما لبث أن انخرط في نوبة من

البكاء والحزن رويداً رويداً . ذهب أولو عارف جلبى بعد ذلك إلى المقبرة وهو فى حالة سقم وإعياء فى الجمعة الأولى من شهر ذى الحجة ، وبدأ السماع وهو فى لجة الوجد والهيام ، وأخذ ينشد هذه الرباعية : « إن الذهاب إلى جوار المحبوب يبذل من حال إلى حال ، ويتوجب التخلص من الوجود والفرار منه ، وليس من الصواب الذهاب بغير رسة ووقاحة إلى المحبوب الجميل الذى يشبه القمر ، بل يلزم الذهاب إليه بوجه شاحب شديد الاصفرار وعينين مغرورتين بالدموع » (رباعيات أولو عارف جلبى ، ص : ١٢١ ، رباعية ١٦) وحينئذ رقد طولا على الأرض بإزاء المقبرة وكأنه مدفون فى الأرض ثم نهض بعد مدة وقال : إن تراب الإنسان قد اقتبس من الأرض التى دفن فيها ، فادفتونى ها هنا .

وفى يوم السبت التالى اشتدت عليه علة المرض ووطأته ، ثم ما لبث أن وقعت مصادفة جد غريبة فى ليلة الثانى والعشرين من شهر ذى الحجة .

إذ حدث زلزال عظيم فى مدينة قونية مثلاً حدث قبل موت مولانا ، وتصدعت مداخل منازل كثيرة ، وتقوضت الجدران ، واستمر هذا الزلزال ثلاثة أيام بفواصل متقطعة خفيفة ، أما الشخص المجنوب الذى حل فيه أحمد^(٣١) فإنه لم يخرج من المكان الذى يقيم فيه مدة أربعين عاماً .

بيد أنه خرج عند وقوع الزلزال وبدأ يرفع عقيرته بالصياح وهو يقول : أواه أواه ، وأسفى ، إنهم يحملون نور قونية ، وستهدم الدنيا ولسوف أرحل أنا كذلك فى أثره وعلى حين استمر الزلزال بفواصل متقطعة كان جلبى يتفوه بكلام مولانا ، ثم قال : لقد جاعت الأرض وهى تأكل أجسادا وتشبع ، فهذا هو وقت الرحيل .

ثم أخذ ينشد ببب مولانا الذى يقول « عندما يتجرع تراب القبر بدنى مثل جرعة الخمر ، فإن الروح تخرج إلى عنان السماء ، وما ذلك إلا لأتنى نور مجسم »^(٣٢) ، ثم قال : سبحان الله ، لقد ظهرت الطيور ، ياله من شىء عجاب ، إنها تنظر وتتجمع فى حركات غريبة ، ثم قال : عندما يرفع الأخلاء عقيرتهم بالصياح فإنها لا ترجع إليهم

ولا تتجرع إلا الهموم والأحزان ، كيف يكون نزولنا من أجلك أنت وصعودنا كذلك من أجلك أنت ، ونحن على كل حال فى معيتك ، ولسنا منفصمين عنك . حينئذ قدم كل من أمير عابد وأمير زاهد وجلسا بإزائى .

ويقول أفلاكى : لم تكن بى طاقة بالتحمل ، ولم أستطع البكاء ، ثم قلت بلسان الحال : يا إلهى : اجعل الموت لى سعيدا ميمونا ، فقد حكم على حالى بعد الموت وأظهرت هذا الرحيل المبارك الميمون ، قلت لمن ستترك هؤلاء ، إنهم أمراؤك وحكامك وأنبيأت الأرض عن أحزانهم وآلامهم أو قلت أنا ، إنما أنا يتيم غريب مسكين ، فماذا عسائ أن أصنع وإلى أى وجهة سوف أولى وجهى ، فقال : امكث أنت فى المقبرة وتعهّد خدمة المقبرة ولا تذهب إلى أى مكان ، ثم قلت : هلم فاجمع مناقب الأجداد والأسلاف ثم اكتبها ، وإياك والتقصير والإهمال ، وليكن المتصوفة الواصلون عنك راضين ثم أغمض عينه فى أثناء الكلام .

وقال وهو يرتجف ، ماذا سيكون مصير كل شىء ؟ لأجل هذا يكون البكاء والنحيب . ثم فتح عينيه على حين غفلة ، وجعل يقرأ هذه الرباعية لمولانا : « أينها المحبوب الجميل الذى تشتاق كل حسان الدنيا إلى وجهه الصبوح يا جميل الحواجب ، أنت الجميل وقبلة الزاهدين ، أنت جميلى ، لقد تجردت من كل نعوتى وصفاتى بغية أن أسبح وأغوص عاريا متجردا من بحرك » (٣٤) .

وجعل يتفوه باسم الله ثلاث مرات وهو يتأوه ، ثم أخذ ينشد هذه الرباعية لمولانا : « عندما يكون بحر الكمال لى ذاتيا شخصا ، وعندما تتقطع كل ذرات البحر ، فإنها تضىء لى ، ولتكن كل أوقاتى فى سبيل عشقك وقتا واحدا ذا وجد وحال ولأنصهرن ولأذوين وأحترقن كالشمعة » (٣٥) ثم قرأ سورتي العصر والنصر بين وقتى الظهر والعصر فى يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر ذى الحجة لسنة ٧١٠ هـ - ثم رحل عن الدنيا بعد ذلك فى اليوم الخامس من شهر نوفمبر سنة ١٣٢ م .

وفى هذا العام اشتدت وطأة شتاء زمهرير مروع مفرع فى مدينة قونية وتجمد الجليد المتماطر ، وتجمدت كل الأرجاء والأنحاء . وفى يوم الأربعاء كان جلىبى محمولا بين صرخات وصيحات الأصدقاء ، ثم دفن فى المقبرة وفى الموضع الذى بينه

هو بنفسه . ويقول أفلاكي هاتين الرباعيتين في وفاة جليبي : لقد تخلص عارف جليبي من قيد الجهات والاتحاد ، ونظر إلى الذات العلية ، وتجرد من الصفات والخلال ، وإن روحه لتشبه النبي يونس عليه السلام ، إذ عجل بالقفز إلى ماء الحياة من سفينة الجسم التي تشبه السمكة ^(٢٦) . ونقول في موضع آخر : « لا ند ولا نظير لأولو عارف جليبي ، إنه منقطع النظير ، وهو كالكنز في زاوية الحياة ، بيد أنه لم يجد مكانا يلوذ إليه ويؤويه ، وأثر الرحيل عن الوجود والمكان إلى عالم اللامكانية ، ولا موضع له سوى هذا الموضع الذي خلق منه بالأمر ^(٢٧) . هذا ويوجد قبر أولو عارف جليبي في الجهة اليسرى من قبر مولانا ، أمام قبر الشيخ كريم الدين الذي يثوى في الجهة المقابلة ، وليس على قبره نقوش مكتوبة .

الشعر عند أولو عارف جليبي :

لأولو عارف جليبي ديوان شعر موجود بين ثنايا كتب نافذ باشا التي أوقفها على التكية المولوية في يني قابي (وتعرف اليوم بالمكتبة السليمانية) ، كما توجد كذلك منتخبات متفرقات من ديوانه موجودة في مكتبة الفاتح والمكتبة القومية ويخبرنا Fuzluk بوجود نسخة في مناقب العارفين مثبتة بين ثنايا كتب برتو باشا (رباغيات أولو عارف جليبي - المقدمة ، ص ٥ ، ٤) وقد رأينا نحن الكتاب الثاني ونعني به المنتخبات الموجودة على هوامش أوراق كتاب مناقب العارفين ، والمدونة تحت رقم ٥٠٩ قديما و١٥٧ حديثا ضمن كتب برتو باشا ، ويفهم من النسخ أن هذه المنتخبات قد دبت سنة (١٠١٨ هـ = ١٦١٠ م) ، كما يوجد في خلالها إحدى المراثي التي كتبت في موته ، ناهيك عن وجود اثنتين وثمانين غزلية وثمانين رباعية .

ولجليبي أشعار كثيرة هي نظائر لشعر مولانا ، وتتجلى في هذه الأشعار قناعته في وضوح وجلاء ، ومنها على سبيل المثال قوله :

« افتح عين الاعتبار ، وانظر إلى ذات نفسك ، ألك ند أو نظير في الروح والعشق ، أم أنت لذات نفسك رفيق الطريق ؟ » .

وقوله : « لا رجل فى الحرب سوى على كرم الله وجهه ، فإذا ما أدركت كنه سره فاترك الفضة والذهب وهلم ضح بحياتك .

وضح بروحك بحب وعشق وذلك إذا قرأت قوله تعالى « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون .

وأشعل بدنك وحرقه ، وإذا كنت ألمعيا أريبا صاحب فقه وفهم فاخرج من حكم الآية التى وردت فى شأن من لا قبل لهم بالفهم والإدراك . وهى قوله تعالى فى سورة التوبة (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون^(٣٨)) وقوله (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون)^(٣٩) وقوله (وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون)^(٤٠) ، وقوله تعالى فى سورة الحشر (لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون)^(٤١) .

وإذا ذبت فى الفناء ، هل أتممت الفناء إذا فقل إن الله باق ، فتعلم فقه الفناء ، وتعلم كلمة العدم التى يتفوه بها دون لسان ، وذلك لأن اللسان الذى فى الفم ما هو إلا ترجمان لما فى الفؤاد . فاعرف العشق والتصق به وابحث عنه واقرا العشق ، هكذا ينمو ويكبر الياسمين الكائن فى حديقة الروح وإذا لم تستطع تنفيذ هذا بنجاح فهلم غذ السير فى طريق شيخ الطريقة أيها الفتى الجميل نو الوجه الصبوح ، وكن ترابا على قدم الشيخ ، وما أعنيه بالشيخ ليس ذلك الرجل الذى يحتضن الزمان ويعانقه ، كلا إنه ذلك الذى بلغ سنام الكمال الخلقى إنه الشيخ الذى بلغ مقام الهداية والإرشاد^(٤٢) ويقول فى مفتتح إحدى ربيعياته (أقبل الربيع ثانية واستحالت الحقائق جنة فيحاء غناء ، فانظر إلى الفن واشهد الفنان ، أنعم به من سلطان صاحب الفيوضات)^(٤٣) ويقول فى شعر آخر : « تمن واطلب الربيع الذى يثوى فى فؤادك دون ند أو نظير ، وأمعن النظر إلى بلوغه والوصول إليه فأنت كل شيء فلا تعرضن عن ذات نفسك . فالضوء لا ينفصم عن الشمس فى أى وقت من الأوقات يا أياز أو غلو فضيل^(٤٤) إن الله لا ينفصل عنك » ويقول فى غزلية أخرى : « لو كنت معدما معوزا فإن كلمتك قد وصلت من مقام الحال ، فدع العزل ، وكن أيها الصديق عاشقا واترك العلم والعبادة » .

واستظهر العلم فى ملتك بغية الاستحواذ على منزلة سامية ، واعلم أن هذا هو ينبوع العلم ، وإن عبادة بلا روح ما هى إلا بدن لا روح فيه فلا تلق بالآ إلى الفكرة ، وأعرض كذلك عن كل رغبة^(٤٥) . وبهذه الكلمات يجلى أولو عارف جلبى أفكاره المتصلة بالعلم والعبادة كليهما وهو فى هذا المضمار مرتبط ارتباطاً وثيق العرى بمولانا . يقول أولو عارف جلبى : « إن سنائى والعطار كليهما قد صارا ساقين لفؤادى فى الخلوة ، وقد بات فؤادى ثملاً برائحة الخمر التى يقدمانها ، إن روح مولانا هى خلاصة وجوهر العالمين كليهما . وهو ينكر أن يكون عبداً للعالم الموجود بأسره »^(٤٦) ويقول فى موضع آخر « اضرب الطلبة بعشق مولانا مثل عارف باسم عدم المبالاة والاكتراث ، وشد الراية كذلك »^(٤٧) وهو فى هذه الأبيات يميّط اللثام عن إخلاصه .

إننا لا نستطيع أن نرى لدى أولو عارف جلبى فكراً جوهرياً متأصلاً ، ومن ثم فإنه ليس إلا ترجمانا لقناعات مولانا ، وإذا ما تصدينا لتحليل أشعاره ألفينا ريح التصوف تهب فى سائر منظوماته ، ولا تمت إلى الواقعية بأية صلة ألبتة ، ولا يقاس أولو عارف جلبى بالشعراء المجددين أمثال : مولانا والعطار وسنائى ، بل هو شاعر متوسط للأدب الشرقى الإسلامى الكلاسيكى القديم ، وله أشعار تفيض رقة وجمالاً وتجد الغنائيات مبعثرة فى خلال أشعاره ولا جرم أن الجماليات مبعثرة بين ثنايا رباعياته ، وها نحن أولاء نقدم ترجمات لإحدى غزلياته ورباعياته اقتبسناها من أشعاره التى نظمها كلها بالفارسية : « أيها الفؤاد ، أنت وجود دون اسم أو لقب أو شأن ، أيها الفؤاد ولم أنت فى حالة خفاء واستتار ، وأنت فى ميدان مفتوح منفسح الأرجاء ، أيها الفؤاد : إننى أبحث عنك فى العيون المفتوحة ، ولكنك أنت العين ، وأنت فى ميدان مفتوح على مصراعيه ، أيها الفؤاد كل شخص وكل شىء من يديك فى ثورة وسورة حمياً وانفعال ، وأنت ملحمة للدنيا ، لقد ارتبت كثيراً بيد أننى فى النهاية قد فهمت الأمر ملياً وعلمت أنك خارج عن إطار المكان ، أيها الفؤاد إننى أبحث عنك وضربت الدنيا بعضها ببعض بيد أنك أنت الروح والدنيا ، أيها الفؤاد : إن العاشقين فى التواء وانتناء واحتراق من وجهك وأنت غصة وبلاء للعاشقين ، أيها الفؤاد : لقد قلت لى إنك لم تشعر برائحة المحبوب بصفة مجانية ، ولا جرم أن نصف روح عارف قد طلبت ناوية فى الدنيا ، فاجلبها إذا ابتغيت وأنت تعلم ذلك أيها الفؤاد

ويقول فى رباعيته : « ثمة محبوب آخر ثاو فى عين أرواحنا وهمة أخرى ثاوية فى عقولنا وثمة رغبة جارفة أخرى للانشغال ، فأين عشقك ، ونحن سوف نقتنع بفضل الخريف ، ولا ربيع لنا سوى هذا الخريف » (رباعيات أولو عارف جلبى - ص ١٠١ رباعية : ١٥) .

الشيء الذى صنعه واضطلع به أولو عارف جلبى :

عرف أولو عارف جلبى كيف يستفيد استفادة جمة من تأثير ونفوذ كل من أبيه وجده على حد سواء، فقد ارتبط أبوه ارتباطا وثيق العرى بمحور ومركز العاشقين لمولانا ، وأوقف الأوقاف التى تؤمن هذا المركز وتشد من أزره ، كما انتشرت الطريقة المولوية من ناحية أخرى عن طريق إرسال الخلفاء إلى الأماكن الموجودة فى الأناضول ، وشاعت المولوية كذلك وذاع صيتها من ناحية أخرى عن طريق إرسال الخلفاء إلى الأماكن التى يوجد فيها المحبون لمولانا فى الأناضول ، كما تحقق هذا الانتشار بافتتاح الشعب التى ترتبط بالمركز الرئيسى وقد سلك أولو عارف جلبى سبيل هذه الطريقة بعينها حيث بدأ إبان حياة أبيه بالإقامة فى المقبرة ذاتها ، ويفهم من هذا أنه من المحتمل أن يكون قد شيد منزلا يشتمل على مقبرة فى المكان القريب من هذه المقبرة ، وفى الوقت الراهن يقيم مديرون فى المواضع الذى كانت فيه جناح أولو عارف جلبى ، وهذا يؤكد وجود الصوفية وحفظه المثنوى والقائمين على خدمة المقبرة ، كما شيدت بضع حجرات خصصت لإقامة هؤلاء جميعا ، لقد بدأ جلبى رحلاته وسفراته إبان حياة أبيه ، واستمرت حتى وفاته ، وكان يحمل بين جوانحه ذكرى مولانا إلى كل مكان يولى وجهه شطره ، وأثار الاهتمام بشخصيته الغريبة العجيبة وجلاله ونحيزته ونزعتة التى تمثل اللامبالاة وعدم الاكتراث ، وكذلك حماسه وشجاعته المتقدة بالعزيمة والإصرار ، كما كان مستمسكا بعلاقة قوية مع سلاطين المغول وأمرائهم ، وكان يحظى بالتجلة والتوقير من قبل الأمراء المحليين والطوائف القوية المقتدرة الذين كان يبتغون الهمة والعزيمة بغية توسيع واستمساك كل واحد منهم بأراضى الامبراطورية السلجوقية الواسعة والتى تقوضت أركانها قبيل زمن قليل .

هذا ورغم أن جلبى كان مناصرا ومؤيدا للمغول الذين لم يكن يعلم أنهم سوف ينسحبون وسيذهبون إلى غير رجعة فإنه لم يغضب سلاله القره مانين ، وكانت له علاقة حميمة مع بعض الأمراء وأبنائهم ، كما أنه منح الخلافة لكثير من الأشخاص .

وإذا ما أمعنا النظر إلى ما رواه أفلاكى عند قدوم شخص يسمى « أهى بولاد » من الحدود والأقاليم المجاورة إلى قونية ليأخذ الإجازة والقنديل من جلبى ، فإن القادمين كانوا يأتون حتى قدميه بغية طلب الخلافة والظفر بها .

ولما كان أولو عارف جلبى فى حال لا يعرف فيها ماذا سيؤول إليه فى الغد ، فإنه كان ذا رغبة عارمة تشبه فيما تشبه همة الأمراء وعزيمتهم وكان ينتسب إلى مذهب مؤسس على طريقة صوفية خالصة ، كما كان بمثابة سلوى الناس وتلهيتهم بالسلطة الأخلاقية المؤسسة فى عالم الوجد والخيال ، أما من الناحية المادية فلم يستحوذ فى يديه على الرفاهية ورغد العيش ، كما كان اجتهاده ينحصر فى الاستحواذ عليها بصورة أخلاقية ، فقد كان والده سلطان ولد وقورا رزينا رابط الجأش منطقيا ، وكانت هذه الخليقة من العوامل التى ساعدت أحد الممثلين للانفعال العاطفى وسورة الحميا من أمثال أولو عارف جلبى .

ونحن نعلم أنه كانت توجد إبان عصر جلبى إحدى الزوايا المولوية فى مدن كوتاهية والأناضول وسلطانية التى كانت تخضع لحكم الأيلخانين ، كما فتحت كذلك زاوية أخرى فى قره مان ، فضلا عن وجود امرأة تمثل المولوية فى مدينة طوقات ، وهذه حادثة قد استرعت انتباهنا إلى حد بعيد . فقد كان مولانا معاديا لانسحاب المرأة من المجتمع وفرض الحجاب عليها ، ومن ثم اهتم بها وما يتصل بشئونها ، كما كانت النسوة يغشين مجلس سماعه ، وقد كتبنا هذا فى الجزء الأول من مؤلفنا المسمى « مولانا جلال الدين » (القسم الثالث . الإصلاح عند مولانا ، مولانا وقضية المرأة - ص ٢٠٩ - ٢١١) .

وتكمل هذا الحديث بالرواية التى وردت عند مولانا ويقول فيها ما فحواه :

« كانت فاطمة هاتون خاتون والدة أولو عارف جلبى ذات يوم فى طوقات ، حيث أبدت له حينئذ توقيرا واحتراما تجاوز كل حد ، وخرت ساجدة له ، وقبلت يده ، فما كان من كومج هانم ومعها طائفة أخرى من النساء إلا أن وجدن أن توقير الأم واحترامها لولدها قد عداطوره وتجاوز حده ، حينئذ قالت فاطمة هانم : ماذا عسائ أن أصنع إذ لا خيرة لى فى أمرى ، إننى لا أنزله منزلة الولد ، إنه شيخى ، وهو عندى بمنزلة مولانا ، لقد تركنى مولانا له وكلما رأيته فكأنما رأيت مولائى ، ثم ما لبثت أن أعدت فى تلك الجمعة مجلس السماع ودعت إليه النسوة أجمعين ثم أخذ جلبى ينشد هذه الرباعية لسلطان ولد أثناء السماع وهو فى لجة الوجد والنشوة والهيام : « نحن أرواح لطيفة ، ولكن لا سبيل إلى النظر إلينا أو رؤيتكم إيانا . نحن نرى فى هذا المكان بيد أننا فى عالم اللامكانية . وإذا ما أمطنا اللثام الموجود بحثا عن وجوهنا فإن العقل سينطمس ثم ينمحي ويتلاشى ، وكذلك الشأن بالنسبة للمفكر والفؤاد (الديوان : ص ٥٨٧ - رباعية ٢٣٨) . وبعد مدة أخذ ينشد هذه الرباعية : « إن خميرة العشق تمتزج بخميرة الفؤاد ثم تعجن الأرواح معها . إن العشق ما هو إلا ريح لطيفة تهب من عالم الأزل ، وإذا ما وقع ظل العشق فى عقل أى شخص كائنا من كان فإنه ما يلبث أن يشبه الشمس ، وسرعان ما يستحيل روحا من رأسه حتى أخمص قدميه » وعلى كل حال فإن أولو عارف جلبى لم يكن وحده فى مجلس السماع ، بل كانت هناك طائفة من النسوة ممن يغشين هذا المجلس ، وإن ولوع جلبى بالخمير لم يكن يجعله يولى أهمية للقيود الطاهرة .

وإذا ما أمعنا النظر مليا فى صداقته بخليفته « باراق بابا » لتيقنا أن هذا يجلى لنا بوضوح تام أن المولوية قد اصطبغت بصبغة باطنية خالصة إبان عصر الانتشار وذيوع الصيت . وإن استكتاب أفلاكي أحمد لكتاب مناقب العارفين ليعد من أهم خدمات جلبى ، فكان يفكر فيه وهو على فراش الموت وتفوه بتمامه وكماله . وقد أثبت أفلاكي الوقائع والأحداث التى وقعت إبان حياة مولانا وحياة ابنه ، وهو يذكر أسماء الرواة فى كثير من الأحيان ، أما فى زمن أولو عارف جلبى على الخصوص فإنه كتب كثيرا من الأشياء التى رآها إبان رحلاته وجولاته .

ولا يجوز لنا أن نختتم هذا البحث دون أن نسجل ما يأتي : لقد فكر أولو عارف
جلبي مليا فى واحد من أتباع مولانا المقربين إليه بعد وفاته وقال إن سلطان ولد
لم يكن شيئا مختلفا ، ومن ثم فقد اجتمع سلطان ولد وسائر الخلائق حول جلبي
حسام الدين إبان حياة مولانا ، وبدأ سلطان ولد يمثل المولوية عقب وفاة جلبي
حسام الدين . وكانت هذه أول نواة لمقاة السلطنة الأخلاقية منتقلة من الأب إلى الابن ،
أو منتقلة من نسل وسلالة الكبير إلى الكبير ثم كان انتقال أولو عارف جلبي إلى هذا
التمثيل بعد رحيل سلطان ولد ، ثم أتم هذه النزعة على الوجه الأمثل ، وكانت تكية
مولانا مركزا للسلطنة الأخلاقية ثم أصبحت سلالة « خومكار أغولر » هم وحدهم
الممثل للسلطان الأخلاقى ، أما أصحاب المناقب فلم يكن لديهم شئ سوى إظهار
الرغبة فى عدم قدرتهم على إقناع الصوفية بهذا ومن ثم كان نصيب السلطنة
الأخلاقية عندهم مقتبسا من المادة ، أما من الناحية الأساسية فكانوا ينعتون مولانا
بلقب : مولانا الأعظم « مولانا بزرگ » أو سلطان العلماء ، وينسبونه إلى سلالة
الخوارز مشاهين ومن ثم كان زواج أبى بكر السرخسى بحفيدته ، وكانت هذه السيدة
ونعنى بها فردوس خاتون كانت مستفيدة من تكوين سلالة شمس الأئمة أبى بكر
محمد السرخسى ، وهذا يدل على أنها سلالة الخليفة الأول أبى بكر الصديق - رضى
الله عنه - وعليه فإن ابنه بهاء الدين قد تخلص بمخلص « ولد » بسبب احترامه
وتوقيره لأبيه وارتباطه به ارتباطا وثيق العرى ، ومن ثم فإنهم لم يبدؤوا بذكر
اسمه قائلين « سلطان ولد » وهكذا عضدت السلطنة الباطنية بالأصالة المادية ^(١) .

الهوامش

- (١) هو في الأصل أمير عارف وإن كلمة أولو LALA تقابل كلمة أمير في اللغة التركية .
- (٢) الأبدال هم : من يسمون بالصوفية الأربعين ، ويدعون بالسبعة في لغة الشعب ، وهم سبعة ، أو أربعون نفرا ، ولقبوا هذا اللقب لأنهم إما أن يكونوا قد بدلوا أرواحهم إلى الأشياء النفيسة ، يعنى أنهم انتقلوا إلى الأشياء النفيسة ، أو لأنهم استطاعوا أن يظهروا الأبدال لأنفسهم عندما تمنوا ذلك ، أو لأنهم كان يتسنى رؤيتهم في أماكن كثيرة في غضون لحظة من الزمان .
- (٣) الأقطاب : هم رؤساء طائفة الصوفية ، أما قطب الأقطاب فهو السوارث الحقيقي لحمد صلى الله عليه وسلم .
- (٤) بنهان شوكة روى توهرما مبارك أست .: نظارة توهرمه جانها مبارك است .
- (٥) هو من أسماء الله تعالى ، وهو أعظم الأسماء ، ويقبل هذا الدعاء الذي يذكر في هذا الاسم ويسمونه الاسم الأعظم .
- (٦) انظر : مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية : ص : ٢٤٠ .
- (٧) انظر : عبد الباقي جلبنارلى : حياة يونس أمره : استانبول س ١٩٣٦م ، مطبعة دار الكتاب ، وذلك للتعرف على باراق بابا الذى قتله السكان المحليون في جبالان عندما ذهب هناك سفيراً للمفول سنة ٧٠٧ هـ (١٣٠٧ - ١٣٠٨ م) .
- (٨) جويكى ساغر مردى ذى همايار برارم .: دوجهانرا ونهانراهم ازكان برارم .
- (٩) بوتبغ أجمل حمل سيرها هيچ است .: وأين محتشمى سيم وزرها هيچ أنت درينك ويد زمانه كردم نظرى .: نيك است كرميك است وتكرها هيچ است درست أجل كه نيست درمان أورا .: برشاه وزرعت مرمان أورا كون آن مليكى كه ملك كرمان ميخورد .: امروزهم خورد ندرمان أورا شاد مطالب كه حاصل عمر غم است .: هرذره ذى فاك كيكيبا دوجم است أسباب مراد وحاصل عمر دراز .: خواب وخیال قريب ودم است
- (١٠) عشاق قدم جو دوره نيست نهند .: ازهتي غيردوست كللى بيراهند زين زندكى مزورنا برجای .: فانى كر ندو آبكائه بيجهند . هذا وقد ورد خطأ في رباعيات أولو عارف جلبى : ص ١١١ ، رباعية ٢٨ ، وذلك في المصراع الأخير F. uzluk ، وجاء هذا الخطأ على هذا النحو « فانى كردند ودر بقای بانى نهند » وقد كتباه بالشكل الصحيح كما ورد في مناقب العارفين . ولما ترك هذا الشيخ حيناً من الزمان بسبب شيخوخته سقط هذا الرجل المسكين الذى لم يعتد الرجوع إلى الأرض ، وانبعث الإرغاء والإزباد من

فمه ، ثم ما لبث أن مات في اليوم التالي ، واعتبر مسعود بك أن هذا ضرب من المعجزات الخوارق ، ووهب جليبي خمسة عبيد وجارية وعشرة جياذ ، وعشر قطع من الجوخ الرقيق ، وثمانية غيرها من قماش صوف ، فضلاً عن مقدار كبير من الذهب والفضة ، وأصبح ابن هذا الشيخ ويدعى شجاع الدين مريداً للشيخ أولو عارف جليبي (توفي شجاع الدين بعد عام ٧٠٩ هـ - ١٣٢٩ م) (B ٢١٤ - A ٢١٥) وكان دكزلى أميرى شجاع الدين إيناج بك من الموقرين للشيخ أولو عارف جليبي « كانت إمارته بعد عام ٧٢٠ هـ - ١٣٢٠ م » وذات يوم كان الأمير ابنانج بك في معيه أخيه دوغان باشا ، ثم استدعى جليبي في حضور وجهاء المدينة وأكابرها ، وقد لبس جليبي في هذا اليوم قلنسوة بيضاء ، وبينما كان جليبي ممعنا في التفكير إذا بإبنانج بك يقول : لو أعطاني جليبي هذه القلنسوة ولبستها تحت الخوذة ، حينئذ نهض جليبي من مكانه ودنا منه وخلع قلنسوته ووضعها فوق رأسه ، وقال إن هذه أيقة حسنة وأنت ستلبسها تحت الخوذة في أيام الحروب (A ٢١٨) .

(١١) درهما همه لستند الأدرتو .: تارة تبرد غريب إلا برتواى ركرم وغزت ونور افشاني .: خورشيد دمه وستار كان شاكرتو .

هذا وتوجد هذه الرباعية الآن في حجرة مدير المتحف وفي حجرة أولو عارف جليبي المتاخمة لقبر مولانا ، وقد علقت على حائط فوق نافذة المدير نيازى عند قبر مولانا .

(١٢) ترب الرجل هو الذى ولد معه وعمره مساو لعمره ، ويعرف في التركية باسم Yas , IT المترجم .

(١٣) سورة هود : آية : ١٤٦ .

(١٤) قصة مشهور ودرميان خلقه صدور مذكور كه حضرت سلطان العارفين جليبي عارف روى الله رمسه ، وطيب نفسه ازكبار أبدال وكمل رجال حال بود ودرخراب عالم صورت سايه منو مخماره دردر جليباب جام جم وجادر سافر ساغراق استغراق شاهد معنى خودرازيديده نا محرمان مستور ميد شت .

(١٥) درره خدا تصرف ايناز مكن درعيب كسان دوديده باز مكن .

سردل هر بنده خدا ميداند .: در خودييني كر فضول آغاز مكن .

(١٦) هر جبر كه ون خوشست ، هي است ملام .: قامى نشود دليل ابن مردم آم .

ورنه مى وچنك صورت خوب وسماع .: برخاص حلال أست بر آم حرام

(١٧) آنهاكه برآسمان دولت ماه آند .: برتخه شطرنج ملامت شاه آند

وأنهاكه ذى سراى ابن نحن آگاه آند .: كم راه خلايق آند وجود برود آند

(١٨) اتان كه درين رده باى تلبيسند .: اندكه قطر أهل صفا ابليسند

درمستار عاشقان أكر راست روى .: در صفحه تو آبت سر بپوسند

(F 'uzluk ، رباعيات عارف جليبي . ص ١١٩ ، رباعيات : ٢٢) .

(١٩) يسوزانم سوداو جنونزا .: درم آشاميم هر دم موجه خونزا . (الديوان الاكبر)

(٢٠) تاجان يودم جرغم جان نخورم .: أى فضل تاله قم وغم أن نخورم

علم وهذ من قدح مدح باشد .: وأن ينر نجور ازكف سلطان تخورم

رباعيات أولو عارف جليبي : ص ١٠٠ ، رباعيات : ٥٨ وفي هذا الكتاب ثلاثة مصاريع كتبت خطأ على هذا الشكل وذلك يحسب رواية أفلاكي الصحيحة .

(۲۱) للمزيد من المعلومات عن نجم الدين دابه انظر : ترجمة النفحات : استانبول (۱۲۸۹ ، ص ۴۹۱ - ۴۹۲ - الطبعة الثانية من كتاب مولانا جلال الدين : ص ۲۳۹ - ۲۴۰ ، رسالة الملامتية ورسالة الفتوة وتفسير الحقائق لمؤلفه أبي عبد الرحمن السلمي . وقد استكتب مولانا المسمى فخر الدين ديود ستة لتفسير السلمي (أفلاکی ۱۵۲ - ۱۵۲ A ومولانا جلال الدين ط ۲ : ص ۷۵) .

(۲۲) هرکورتی که دست صبر حلاکتش کرد .: آزماتم ولنجه غم جاکشن کرد در

وزوی آب روی آکشن میبرد .: امروز کتون یاد اهل خاکشن کرد .

(۲۳) بر درکه وتک مجالست جیهان .: انموذج حالی ومجالست جیهان

بیدار کس داربن جیهان ممکن نیست .: دریاب که خواب وخیالست جیهان .

(۲۴) سورة الحديد : آية رقم (۴) .

(۲۵) ج ۲ ، ص ۳۴ ، ج ۷ ، ج ۲ ، ج ۱۸ ، ص ۵ ، ج ۲ ، ص ۱۱۶ .

(۲۶) من المحتمل أن تكون هذه التكية هي التي شيدها أبوها فخر الدين في العراق : انظر ترجمة

النفحات : ص ۶۷۲

(۲۷) آب کرم بمعنی ilgin أو معناها : السراب .

(۲۸) هي العصا المثنية ، وتسمى بالتركية Cevgam .

(۲۹) مطلع غزلیة لمولانا يقول فيها : دلبر بی دلی أسرارما أست .: کار کارما أست جون یا

رما أست

(۳۰) آفتاب آفتانید اولیا .: آفتاب از نور شان کیردحینا .

(۳۱) هو نفس أواز عشق میرسد أزجب یواراست .: ما به فلك میروم عزم تماشا کیراست

(۳۲) يقول أفلاکی : إن أحمد فقيه هو أحد الدراويش ، وقدم إلى قونية وأقام في موضع يسمى « باب

أحمد » وكان يرفع عقيرته بالصباح عند مرور مولانا ويقول : انفتح أيها الطريق فإن الكثر السائر قد أقبل ،

ثم يهم بالسجود (A 105) ونعلم من شاهد القبر الموجود على قبر فقيه أحمد بقونية أنه توفي في عام ۶۱۸ هـ -

۱۲۲۱ م أي قبل مجيء سلطان العلماء بسبع سنين وعلى هذا الرأي إما أن تكون رواية أفلاکی خاطئة ،

وإما أن يكون هنالك فقيه أحمد آخر ، والشئ الغريب أن أفلاکی قد كتب أن تاريخ وفاته هو ۶۱۸ هـ

وأن مولانا قد صلى عليه صلاة الجنازة (B ۱۰۵) .

(۳۳) جون تنمز ابخورد خاک لی جون جرعه .: برسر جزخ جهد جان که مجسم نورم

ای جرت خوبان جهان روی خوشت .: وی قیل زاهدان دوابروی خوشت

عریان کشتم ذی جملة أوصاف مرا .: تاکوته خورم بورهنه دری جوی خوشت

(۳۴) اون وقت کله بجر کل شود ذات مرا .: روشن کردد جملة ذرات مرا

اون میسوزم جو شمع تادرة عشق .: یک وقت شود جملة اوقات مرا

یس یونس روحی ومثال وما هی .: ازکی متن جست درآن آب حیان

(۳۵) عارف جلبی که رست از فیه حیات .: در ذات نظر کرد بیرون شود ذی صفات

(۳۶) عارف جلبی قوف همتاشن نیود .: درینج جیهان جوکنج لنجاش بنود

درکون ومکان به لا مکان نقل کیزید .: زیرا که دراین منزل قون جاش بنود

- (٣٧) آية : ٩٢ : سورة آل عمران .
- (٣٨) آية : ٨١ : سورة التوبة .
- (٣٩) آية : ٧٨ : سورة التوبة .
- (٤٠) آية : ١٢٧ : سورة التوبة .
- (٤١) آية : ١٣ : سورة الحشر .
- (٤٢) لا فتى إلا على باش دراین هیجا اکر .: سیم وزره فرلا کوی سرتوا نخوا بدن .
- (٤٣) بها ربازر سید وجو خلد کشت ریاض .: فکر ذی صنع یا صانع زهی شه فیاض
- (٤٤) هو صوفی مشهور ، کوفی خراسانی .
- (٤٥) کرتو فقیر حالی قول غزل هاکن .: عاشق شویی برادر علم وعمل رهاکن
- علم که بحر جاهست میدان که عینی جاهست .: بی جان عمل مته ، آمد فکر وعمل وهاکن (A 189)
- (٤٦) بی زن در عشق مولانا جو عارف .: به نامه لا ابالی طبل وسایمق (B 182) .
- (٤٧) جه بی نام وینشانی آبی دل آبی دل .: جه بیداونها فی آبی دل ایی دل (A 183) .
- (٤٨) در مایه ارواح یود مایه عشق .: باداست لطیف در ازل وایه عشق
- ما ننده خورشید همه جان گردد .: أون کس ته کله فنادر سرش سایه عشق
- ولا وجود لهذه الرباعية فی الديوان الكبير ، ولا فی دیوان سلطان ولد ، ويتوجب أن تكون لاولو عارف جلیبی .
- (٤٩) لم يقل مولانا لولده فی أي وقت من الأوقات « يا سلطان ولد » ويقول فی إحدى رباعيته « ما أجمل عادات محمد ، إنه لم يتركنا وحيدین فی لیالی الظلمات » ، وهكذا كان يناديه باسم محمد (انظر : عبد الباقي كلينارلی : رباعيات منتحبات ، الكلاسيكيات الشرفية الإسلامية . ج ١١ ، استنبول سنة ١٩٤٥ م ، ص ٢٤ ، رباعية XCID) ويقول فی رباعية أخرى ما فحواه .
- « أنت سلطان ولد من جهة اللقب ، بيد أنك أنعمت بالإحسان على الأرواح المنسوبة إلى السلطان الأبدی ، فحذ حذرك ، ولا تحطمن زجاجة الوفاء ، هل كسرت الزجاجاة وهي تغوص على قدم السكری والتملی » .
- أجرد هي أرواح سلطان ابد .: كرحه بالقب بها بی دینی وولد
- مكزار كه ساغز وفادر سيكتد .: جون شیشه شكست باية مستان بی خلد
- وهذه الرباعية موجودة فی نسخة الديوان التي عندنا (B ٣١٧) حيث يذكره بلقب بهاء الدين بصورة مباشرة . أما أفلاكي فميزه بقوله « مولانا ابن مولانا ولسطان المحققين ، ومظهر أسرار اليقين وولد بهاء الحق والدين . تورك الله بنوره الأبدی المؤيد » (A ١٩٧) . أما سببهسار فيقول عنه « إنه سلطان المحبوبين ، ومعشوق الأولين والآخرين » . بيد أن كليهما قد ذكره بلقب « سلطان ولد » فقط . ويفهم من هذا أن هذه الكلمة قد انبثقت فی الوجود بعد تأسيس السلطنة المولوية وتعقيد أعرافها وتقاليدها .

الفصل الخامس

الشلبيون بعد وفاة أولو عارف جلبى

شمس الدين أمير عابد جلبى - الشلبيون بعد أمير عابد جلبى .

شمس الدين أمير عابد جلبى :

أحل أولو عارف جلبى فى أخريات عمرة أخاه شمس الدين أمير عابد محله ، وأبلغه بانشغال المريدين وأعمالهم . وقد ورد بيت فى ديوان سلطان ولد يقول فى حق شمس الدين أمير عابد « هو أميرنا وشمس سماواتنا وسروة الحقائق » (ص ٥٤١ شعر ٥٩٤ ، ١١٤١٣) ثم يقول فى هذه الرباعية « أى شمس هذا ، إنه سر صاحب الجلال ، ياله من نور لطيف فى عالم اللامكان ، وهو فى النهاية شيخ وسوف يكون عظيما » .

إنه يمنح العلامات والآثار الدالة فى كل لحظة من عالم لا أثر فيه ولا علامة دالة وقد جلب من هذا العالم ألوفاً مؤلفة من الجوائز إلى عالم الشعب ، وهو ضيف كالقمر الوضاء فى كل ليلة يمد المائدة بنوره وتضىء الدنيا بنوره ، وهو المرشد والدليل لكل قافلة ، حيث يصل كل واحد إلى نزل ضيافته يقاسى من الهموم والأحزان ، ويتخلص منها ثم يبلغ النشوة والسرور وسوف يكون سلطان العالمين وسوف يراه الله ويراقبه بعين رعايته » (ص ٥٤٢ ، ١١٤١٧ ، ١١٤٢٣ ، ١١٤٣١) ومما لا مرية فيه أن هذا الغزل قد قيل فى حق شمس الدين أمير عابد .

وقد ورد فى مناقب العارفين أن أمير عابد جلبى قلتدرى المشرب والمذهب قد تخلص من قيود الدنيا وأصفادها ، ولم يتبع سبيل أهل التقليد ، وهو دائماً رفيق مصاحب لحال ذاته ونفسه ، وصاحب الإشارات السلطانية ، لا يتردد فى توبيخ المنكرين وسلقهم بالسنة حداد ، وكلما سمع اللائمين أنشد من فوره أشعار مولانا التى يقول فيها « أتعلم لماذا يكون نباح الكلاب قرية الرضا والقناعة ؟ إنها تخيف وترهب من هو عديم الأدب والعفة أو من هو رعديد جبان مخلوع الفؤاد . كلا ، إن كلاب الحى لا قبل لها بتحريك الفؤاد الذهبى لعاشق هذا الطريق ^(١) .

وثمة واقعة مدونة فى هذا الكتاب عينه تخص عابد جلبى وهى على النحو الآتى :

كان فى قونية شيخ يدعى شيخ باشا وهو من أهل الرياضات الروحية ، يعيش ويقتات بخبز الشعير ، وكان ينكر السماع .

وكان هذا الرجل يقبع مختفياً فى زاوية إبان عصر أولو عارف جلبى ، ثم ذاعت شهرته وانتشر صيته بعد وفاته وصادف أمير عابد جلبى هذا الرجل بضع مرات فى الطريق ، ولم يكن شيخ باشا يسلم حتى على أمير عابد جلبى ، مما جعل الأخير يضيق ذرعاً به فى إحدى هذه اللقاءات ، وما كان منه إلا أن ضرب رأس شيخ باشا ثلاث مرات بالسوط الذى فى يده ، وسرعان ما اعتلت صحة شيخ باشا الذى بلغ أرذل العمر ، ووهنت عافيته بسبب الرياضات الروحية وانعقد لسانه ، ولما هم رجاله بالتمرد ورفع راية العصيان ، وجد القاضى تاج الدين قلمشاه أنه موافق على تطواف أمير عابد جلبى على شيخ باشا بغية تسكين ثورة الناس وتهدة حالهم ، وجاء أمير عابد جلبى فطيب خاطر الرجل ، وعندما هم بالخروج كانت المنية قد وافت باشا ودفن فى سلطان باغجة .

وقد تحدث أفلاكى عن عدم قص أمير عابد جلبى لشاربه بحسب ماتقتضيه السنة ، إذ كان يغطى فاه بصورة تامة ، حتى أن أفلاكى ذهب لزيارته ذات يوم فى معية أمير ظاهر الدين ولد وتاج قيزيل ، ثم صعدوا إلى جلبى أفلاكى بحدة وغضب إلى شاربه الطويل وقال : أنت شيخ ولست فارساً ما هذه الشوارب الطويلة ؟ فأجاب

أمير عابد قائلًا : إن شواربى طويلة أما أنت ففى عينيك شعر وطمعك كثير إن تسوية الشارب سهل ميسور .

أما الشعرة الناتئة فى العين فإنها تشبه داء السل الذى لا سبيل إلى التداوى أو البرء منه .

خرج عابد جلبى قاصدا السفر والترحال إلى سلطانية فى أيام سلطنة أبى سعيد بها درخان ١٣١٦ م = ١٣٣٥ م) ، بيد أنه انكفأ راجعا من تبريز مغاضبا بسبب عدم الاهتمام به ، وقد دون أفلاكى إبان روايته لهذه الواقعة الرد الذى أجاب به مولانا عن سؤال معين الدين بروانه قائلًا : أما قولهم إنهم جنودنا فإنهم بهذا يهينون المغول ، ويقولون بزوالهم فى المستقبل القريب ، كما أنهم قالوا بزوال الإيلخانيين ومحوهم مع غيرهم من المغول ، وهذا يبين سبب غضب عابد جلبى واحتدام غيظه (٢٤٧ - ٢٤٨) . أما أبو سعيد بها درخان فإنه نزع إدارة حكم الأناضول من أحد أمراء جويان أوغلر ، كما منح الخلافة إلى تيمور طاش ، بيد أنه يفهم من تعبير صريح لأفلاكى أنه أخذ قونية من يد سلالة قره مان أوغلر سنة ٣٢٠ م وقد شرحنا فى مدخل كتابنا هذا كيف كان تيمور طاش شديد التعصب ، وقد اتبعه العلماء والمشايخ كلهم أجمعون ، حيث كانوا يفدون إلى زيارته كثيرا ، أما تيمور طاش فكان لا يغشى مجلس عابد جلبى إلا لماما ، ويفيد أفلاكى أن هذا كان سببا فى إهانة تيمور طاش لعابد جلبى ويتوجب أن نضيف إلى هذه الرواية كذلك أن العلماء والمشايخ كانوا يناهضون أمير عابد جلبى ويناصبونه العداوة والبغضاء بسبب إدمانه الخمر وغلوه فى نزوعه إلى اللامبالاة وعدم الاكتراث .

وفى النهاية صار تيمور طاش رجلا شديدا التعصب ، وبعد فرار أحد المقربين من تيمور طاش إلى مصر سنة ١٣٢٧ ، استمر تيمور طاش حاكما مستقلا على منطقة الأناضول ، وفى عام ١٣٤٣ انهزم جويان أوغلر ، ومهدت هذه الهزيمة إلى منح عهد من السكون النسبى الذى غشى أرجاء الأناضول واستمر حكم الأمير أرتانه حتى عام ١٣٥٢ ، ولقبه الناس بلقب Kose peygomber ومعناه النبى الأجرد قليل شعر اللحية ، وعهد إلى عابد جلبى بإرسال السفارات إلى الأقاليم المتاخمة .

وإذا كان الأمراء قد قبلوا دعوة عابد جلبى فإنه قد نجح فى الاستحواذ عليهم من الناحية الإدارية ، وإذا رفضوا دعوته فستكون دفة الأمور فى يده ، وسينأى جلبى عن قونية وسوف تنتهى الشائعات وينفذ القيل والقال ، وقد عهدوا بهذه المهمة أول الأمر إلى أفلاكى ، وإذا لم يقبل جلبى هذا فإنه سيضطر فى النهاية إلى الرحيل ، ونستخلص مما كتبه أفلاكى أن هذا الوضع كان أحد الأسباب لعدم بقاء أى شخص على الإطلاق ، ومن ثم كان هذا سببا فى عودة عابد جلبى إلى قونية ، وعليه فقد ولى الجميع وجوههم شطر مملكة الشام ، وكانت عودة أمير عابد إلى قونية بعد عام ١٣٢٧ (٢٤٦) وقد توفى أمير عابد جلبى فى يوم الأربعاء الخامس من شهر المحرم لسنة ٧٣٩ هـ - الموافق للثالث والعشرين من شهر يوليو لسنة ١٣٣٨ م ، ثم وورى الثرى بإزاء أخيه أولو عارف جلبى .

الشلبيون بعد رحيل أمير عابد جلبى :

آلت مشيخة الطريقة الشلبيه بعد وفاة شمس الدين أمير عابد جلبى إلى أخيه حسام الدين واجد جلبى ، وبدون أفلاكى أن واجد جلبى لم يمكث سوى مدة وجيزة فى هذا المنصب ، ثم أدركته المنية فى نهاية شهر شعبان سنة ٧٤٢ هـ (٧ نوفمبر سنة ١٣٤٢ م) ، وتقلد المنصب من بعده أمير عالم بن أولو عارف جلبى ، وخرج أمير عالم فى رحلة طويلة وظل يتكبد مشقة الغربة بضع سنين ، بيد أنه لم يأت إلى قونية ، ومن ثم فإنه لم يتسن له أن يتبوأ منصب المشيخة الشلبيه وشغلها الآن عابد جلبى نيابة عن أمه وأبيه وأخيه ، ولا يوجد قبر الأمير عالم جلبى فى الجبانة ، ومن ثم ظل ميتا فى الغربة ، ولم يتخلف عالم جلبى قط عن أى رحلة من رحلات أبيه لأى سبب من الأسباب ويسجل أفلاكى إبان بحثه فى حياة عابد جلبى أن عالم جلبى كان موجودا مع أبيه إبان مكثه فى تبرير وصحبته لخد أوندكار زاده ، كما أنه ذهب مع أبيه إلى التركستان عن طريق البحر من ميناء سينوب وذلك إبان قفوله عائدا إلى قونية .

ولكن لماذا لم يتخلف ولماذا ذهب إلى التركستان ، هل قلّد وظيفته هناك ؟

ولماذا لم يرغب فى العودة إلى قونية بعد ذلك ؟ أكل هذه أشياء مجهولة ؟ وتنتهى إلى هنا مناقب العارفين لأفلاكى ، ويأتى بعدها مصدر واحد موجود الآن بين أيدينا يتضمن معلومات فى حق الشلبية : فقد ظهر فى سنة ١٧٣٥ م كتاب يسمى « سلفية المولوية » فى ثلاثة أجزاء ، ألفه الشيخ الشاعر ثاقب مصطفى دده شيخ التكية المولوية فى كوتاهية (مصر - المطبعة الوهابية سنة ١٢٨٣ هـ) .

وقد كتب ثاقب مصطفى دده أن أمير عالم الثانى بن عابد جلبى قد حل محل أمير عادل جلبى المتوفى سنة ١٣٦٨ م ، وفى عصر هذا الرجل نشبت الحروب بين سلالة تيمور داش أوغولر بن الأمير ظاهر الدين ولد تاج قبزيل الذى لو كلف السلطنة آنذاك لم يكن ليقبلها (ج ١ ، ٢ ، ١٢٥) ولكن تيمور طاش لم يكن موجودا فى الأناضول بداءة من عام ١٣٢٧ م ، وكان علاء الدين آرتانة حاكما على منطقة الأناضول الوسطى والذى سماه الشعب « كوسه بيغمبر » .

وقد تقاتل آرتانه مع جوبا نلير فى عام ١٣٤٣ م ، وهذا يعنى أن أمير عالم قد هزم هؤلاء الموجودين بجوار سيواس دون الاستعانة بجلبى ، ثم أدركته المنية سنة ١٣٥٢ م قبيل خلافة الأمير عالم ، وحل محله ولده الأصغر غياث الدين محمد والذى قتل بدوره على يد الأمراء سنة ١٣٦٥ م . وأعلن ولده علاء الدين على أميرا على البلاد وكان خليل أوغلو علاء الدين هو أمير قره مان فى غضون تلك الحقبة من الزمان ، وأصبح هذا الشخص أميرا فى سنة ١٣٥٦ م ، وتزوج نفيسة سلطان ابنة مراد الأول من سلالة عثمان أوغولر ، وفى سنة ١٣٩١ ، هزم هزيمة نكراء فى الحرب التى نشبت بين العثمانيين فى إقليم كرميان ، وقتله طاش باشا .

ونحن نعلم كذلك أن ثاقب دده قد خلط بين كل من تيمور طاش باشا وجوران أوغلو تيمور طاش أمير المغول ، كما خلط كذلك الوقائع والأحداث التاريخية أما وظيفة السلطنة فقد بدأت من إبراهيم بن أدهم ، وتكررت عند سلطان العلماء كما توجد رواية ملفقة تتحدث فى حق كثير من الشيوخ وفى حق مولانا وديوانه محمد جلبى ، وهذه الرواية ترغب فى أن تكون السلطنة مادية خالصة عند الصوفية ، أو بمعنى أصح أنها

مقتنعة بأن السلاطين يستطيعون بلوغ مرتبة الولاية ، وهذا يعنى أن هذا شيء يتمخض عن الأصالة الدينية الخالصة .

ثم يقول ثاقب دده : إن أهل قونية هم الذين أطلقوا على عالم جلبى هذا الاسم وخلعوه كذلك على الأطفال المولودين حديثا ، وكان فى أثناء السماع يهب ثيابة للعازفين ، ويؤكد على عزفهم من جديد ، وثمة افتتاح يتصل بحل القضايا العلمية التى لا يتسنى فهمها عن طريق التوجه إلى قبره وتوفى أمير عالم جلبى سنة ١٢٩٥ م ، وحل محله أمير عادل جلبى بن أولو عارف جلبى وجاء عارف الصغير بعد أولو عارف جلبى ، ويفهم من هذا أن اسمه فى هذه الآونة كان عارف الثانى ، وصادف هذا استيلاء تيمور Timur على الأناضول سنة ١٤٠٢ م ، كما يصادف كذلك عصر علاء الدين أوغلو محمد الذى ينحدر من سلالة القره مانين .

يقول ثاقب دده : لقد كان هذا الشخص مولعا بالتطواف والتجول مثله فى ذلك مثل جده أولو عارف جلبى . وتوفى جلبى عارف الثانى سنة ١٤٢١ م ، وانتقل بير عادل جلبى بن أمير عالم الثانى إلى مقام الخلافة الشلبيية بعد وفاة جلبى عارف . وكان مفردا بين الشلبيين ، ومن ثم فإنهم كانوا يسمونه عادل جلبى أو أمير عادل الثانى أو عادل الصغير أو الشيخ عادل . وإن كان ثاقب دده يدون فى كتابه أن قونية قد احتلت من قبل عثمان أوغولر إبان زمن الشيخ عادل جلبى ؛ فإنها قد استردت عقب وفاة هذا الشخص بست سنوات أى فى عام ١٤٦١ م .

ثم يقول ثاقب دده : إن السلطان جلبى محمد منسوب إلى أمير عادل مثله فى ذلك مثل السلطان العثمانى الذى كان منتسبا إلى سلطان ولد ، حتى أنه يحيطنا علما بأن طائفة كثيرة من أكابر القوم ووجهائهم قد صاروا من المولوية ، كم أنه يسأل عن السبب فى إرسال محمد الأول الهدايا مقرونة بإحدى الرسائل عندما حل جمال الدين جلبى محل أخيه عادل فى الأزمنة المتأخرة ، ويدون ثاقب دده كذلك أن السلطان كان يقول : إن عارف جلبى هو شيخنا ونحن له من المريدين وكانت وفاة السلطان بعد بير عادل (ص ١٣٣ - ١٣٧ - ١٣٩) وكل هذا خطأ صريح ، لأن وفاة بير عادل كانت فى سنة ١٤٦٠ م ، أما وفاة محمد الأول فكانت سنة ١٤٢١ م .

ولقد اعتمد ثاقب دده على روايات شفاهية ، وخاض فى معلومات ملفقة مزيفة جمع مادتها العلمية من هنا وهناك . لقد انبثقت أركان وأداب المولوية فى الوجود نتيجة اتحاد وتألف أسس الجذب والعشق التى وضعها شمس بتأثير قواعد وأصول الطريقة النقشبندية معتمدة على النواميس والأعراف والتقاليد المولوية ، ثم ما لبثت أن وُضعت فى طريق التجلى والظهور إبان عصر بير عادل جلى ، كما أن ثاقب دده يذكر بضرورة حماية هؤلاء المولوية والذيات عن حوزة الطريقة ، وقد سبق أن جلينا آداب وأركاب ونواميس وطقوس المولوية ، وكانت هذه المعلومات من الضرورة والأهمية بمكان عظيم ، كما بينا كذلك السبب الذى من أجله لقب عادل جلى بلقب « بير » أى شيخ الطريقة .

إن عصر تأسيس المولوية وشيوعها وذيوع صيتها قد انتهى فى رأينا عند هذا الحد ، وكان ثمة دور فى الانتشار والذيع بعد هذه الحقبة المبكرة تمثل فى الشيوخ والشليبين الآخرين أكثر من شليبيى قونية ، ثم بدأت بعد فترة وجيزة من الزمان الصراعات الداخلية فى الطريق بسبب الأوقاف والطريقة الشلية ، وعليه فلم تُر بعد شخصية الحقبة المبكرة واسوف نذكر فى هذا القسم الأشخاص الآخرين الذين اضطلعوا بنشر الطريقة المولوية ، كما سوف نبحت وناقش بعد حين أحوال الشليبين الذى جاعوا بعد بير عادل .

الهوامش

(١) أنه المقبول ، هوزين المحافل المولوية ، وشيخ الجامع الأولية وناس موس حكم اليقين أوركان غبره البيان وآداب اللطائف ، وكان مصدر توحيد المعرفة لمجمع العظماء لطيف في كل آن ، محب للوطن وللخلة (ص ١٣٤) .

الفصل السادس

أسماء من اضطلعوا بنشر المولوية من غير شلبية قونية

ديوانه محمد جلبى - سلالة محمد جلبى - هل هو سلطان ديوانى ، أم سلطان ديوانه - حياة ديوانه محمد جلبى - نقد السفينة - مذهب محمد جلبى ومشربه - شعره - خلفاؤه - الشىء الذى اضطلع به - جلال الدين اركون جلبى - يوسف سينه جاك - الذين رباهم ونشأهم يوسف سينه جاك

ديوانه محمد جلبى :

تأسست المولوية على يد كل من جلبى حسام الدين وسلطان ولد ، ثم بدأت فى الذيوع والانتشار على يد أولو عارف جلبى ، ناهيك من هؤلاء الذين تبوءوا مقام الشلبية فى قونية إبان عصر الذيوع والانتشار ، يستثنى من هؤلاء كل من : سلطان ولد وأولو عارف جلبى ، وكان من بين هؤلاء من هم من أصحاب النفوذ القوى والدعاية المؤثرة ، ويأتى فى صدارة هؤلاء اثنان هما : ديوانه محمد جلبى وجلال الدين اركون جلبى .

أصل محمد جلبى :

يؤكد ثاقب دده أنه ينحدر من سلالة المولوية ، وهو ابن سليمان شاه الكرميانى ، وحفيد خضر باشا ، ثم يردف ثاقب دده قائلا : إن سليمان باشا شاه تزوج بابنة

سلطان ولد وتدعى مطهرة خاتون ، ونجم عن الزواج طفلان هما : خضر وإلياس باشا . أما ابن خضر باشا فيدعى بالى أو بالى محمد جلبى .

وقد ورد عند أفلاكى أن أسماء أحفاد سلطان ولدهما : خضر وإلياس باشا ، بيد أنه لا يوجد عنده ما يؤكد أنه زوج مطهرة خاتون بسليمان باشا وقد قلنا إبان بحثنا فى أولو عارف جلبى أنه التقى مع عlishير أوغلو يعقوب بك ، ويعقوب هذا هو جد سليمان شاه وكان يستحوذ على سائر الأراضى والطرق المستثناة والمساجد والجبانات فى الوقفية التى حددها (٧٩٥ هـ = ١٣٩٢ = ١٣٩٣) ومكتوب أنه أوقف أملاكه الكائنة فى هذه الأراضى على أولو عارف جلبى^(١) .

وتفيد النقوش أن محمد بك هو ابن يعقوب بك ، وتوفى بعد عام (١٣٦٨ م = ٧٦٩ هـ) كما يستدل من النقوش كذلك أن سليمان توفى قبل عام (١٣٨٧ م = ٧٨٩ هـ) وكانت مطهرة خاتون هى الزوجة الأولى لسلطان ولد ، وقد ولدت من فاطمة خاتون ابنة قويومجى صلاح الدين الذى كان على قيد الحياة عندما تزوج سلطان ولد بفاطمة خاتون ، وكان هذا الزواج قبيل عام من وفاته أى سنة ١٢٨٥ م - ٦٥٦ هـ^(٢) .

وإذا كنا لا نعلم على وجه اليقين تاريخ مولد مطهرة خاتون ، وأن ثمة رواية صحيحة تعتمد على التواتر تفيد بأنها ولدت قبل عام ١٢٥٨ م ، فإن هذا يوجب بأن يكون سليمان باشا قد عاش عمرا مديدا . ونستفيد مما أشار إليه أفلاكى بأنه على حين كان أولو عارف جلبى فى دنيز فإن برهان الدين إلياس باشا كان يعمل حينئذ بسقاية الخمر (٢٣٦) ، وعليه فإن كلا من الخضر وإلياس باشا قد ولد قبل وفاة جلبى أى فى سنة ١٣٢٠ م .

وقد دون فى متحف قونية تحت رقم ٢١٥٨ ، وكذلك فى نهاية الفصل السادس ، ونهاية الكتاب المنسوخ فى سنة ١٤٠٦٤ تحت رقم ٨٦٩ ، وكذلك فى الصفحات الأخيرة من كتاب مناقب العارفين ص ٦٧٧ - ٦٧٨ ، وما ورد فى شجرة النسب المكتوبة بخط مختلف متباين ما يأتى : يوجد شخصان آخران يسميان محمد باشا وأحمد باشا بين كل من خضر باشا وبالى جلبى .

ومحمد باشا هذا هو ابن خضر باشا ، وأحمد باشا هو ابن محمد باشا . أما بالى جلبى فهو ابن أحمد باشا ، وتوجد هذه الشجرة بعيثها مكتوبة على نفس الشاكلة فى النسخة الموجودة والمكتوبة فى رمضان سنة ٩٨٣ هـ = ١٢٧٥ م ، والمدونة تحت رقم ١٢٣١ ، وذلك ضمن المخطوطات الفارسية المحفوظة بمكتبة جامعة إستانبول (١٩٢) .

وهذه الشجرة مدونة تحت رقم ٢٢٠ ضمن كتب « حالت أفندى » بمكتبة السليمانية ، وتوجد نسخة مدونة تحت رقم ٤٦ فى قسم الملحقات الخاص بحالت أفندى (١٩٣) وذلك فى النسخة المملوكة للمدعو جلبى حسين (كانت خلافته سنة ١٦٦٦ - ١٦٦٧ - ١٠٧٦ - ١٠٧٧ هـ) ، وقد وجدنا هذه الشجرة كذلك فى طائفة كثيرة من النسخ (٢) .

ويتبين من هذه النظرة : أن شجرة النسب التى قدمتها السقينة خاطئة من أساسها .

ومن ثم فإننا مضطرون إلى قبول هذه الشجرة الصحيحة (٤) .

هل هو سلطان ديوانى ، أم سلطان ديوانه ؟

عينه بالى محمد جلبى شيخاً على التكية المولوية بقره حصار ، وظل شيخاً عليها مدة عام إبان عصر أبيه بالى جلبى .

أما اسم محمد جلبى فهو الذى تولى منصب المشيخة فى قره حصار مدة طويلة بعد وفاة أبيه ، وقد سبق أن بحثنا فيما سلف أن شجرة النسب تدلنا على أن اسمه ديوانه محمد جلبى ، وثمة صوان محفوظ (٥) فى مكتبة متحف قونية تحت رقم ٢١٤٧ حيث يوجد فى خانة الرسالة التيبداخلها E. 4. 10 مجلة بتاريخ ١١٦٥ هـ = ١٧٥١ م ، مكتوب فوق أحد أشعارها « حضرت سلطان ديوانه قدس الله سره ، وفوق شعر آخر « حضرت سلطان ضربات ديوانه أفندى قدس الله سره » ، ويوجد فى الوقفية التى اتخذناها أساساً لترجمتنا والتى اضطلع بكتابتها عبد محرر لسلطان ولد ، وهى وقفية كتبت سنة ١٩٤٥ م فى نهاية شهر جمادى الأولى من عام ٩٥٢ هـ ، حيث ورد

فيها توقيع محمد جلبى أحد الشهود عليها ، وجاء هذا التوقيع على هذه الشاكلة « محمد بن محمد المشهور بديوانه محمد جلبى^(٦) .

وبعد هذه القدر من الصراحة يفهم أن لقب سلطان ديوانى « محرف عن لقب ديوانه .

حياة ديوانه محمد جلبى :

تفيد أوثق المعلومات عن حياة ديوانه محمد جلبى أنه كان على أسال من أولو عارف جلبى من ناحية المذهب والمشرب ، وهذا ما ورد فى القسم الأخير من كتاب « كلشن أسرار » الذى دبجه أحد المنتسبين إليه ، ويدعى شاهدى .

ومما يؤسف له أن هذا الكتاب قد عني فقط بإثبات مناقبه وكراماته ، ولم يعتن بتدوين الوقائع والأحداث التى عاينها وشاهدها . وإذا كان هذا الكتاب قد كتب لهذه الغاية مثله فى ذلك مثل أفلاكي قلاننا سنكون حينئذ أصحاب معلومات كثيرة فى هذا السبيل^(٧) ولسوف نوجز فى هذا الصدد الأشياء التى رآها وسمعها شاهدى فى حق محمد جلبى سواء ما كتبه هو بنفسه أو تفوه به ، وفى هذا يقول :^(٨) لقد التقيت بالشيخ المولوى فنائى إبان كنت فى الرابعة والعشرين من عمرى ، وفى تلك الأثناء كان أحد أولاد مولانا باشا جلبى جالسا على عرش قره حصار^(٩) ، ثم جاء إلى اللانقية ، وحينما وجدوا أفضل الجياد من كل جنس هموا بإحضارها وبيعها لباشا جلبى وكان يتاجر بهذه الجياد التى يشتريها ، وكان الأمير علم شاه ابن السلطان بيازيد الثانى موجودا فى اللانقية ، وكان جلبى يجلب له الجياد .

ذهبنا إلى اللانقية ، وكان الشيخ فانى دده شيخا على التكية المولوية فيها ، وكان الشيخ شياد فى مدينك كوجك^(١٠) ، وذهبنا سويا إلى باشا جلبى ، وانتسبت أنا إلى الطريقة المولوية ، وفى تلك الآونة توجه إلى اللانقية بضعة أشخاص ، وبحثوا عن محمد جلبى ، وقال والى المدينة كرجى عالى : إن ما صنعه من غسل الخمر موجود فى هذه الجرار ، ويقول معرف أوغلو^(١١) فى كتابه المسمى « وحدت نامه » .

إن محمد جلبى كان يذهب ويسعى لتقبيل قدم فنائى ، ويروى فى حقه فحوى بيت مولانا الذى يقول فيه لقد أدمن المحبوب العزف والتغنى فى آخر الزمان وشغف بالمتعة والتسلية ، ولكن سريرته الباطنة كانت مشغولة بالمجاهدة الروحية الخالصة ، وهو فى مظهره الخارجى لا ينشغل بالتسلى واللعب أو بالأشياء التى ليس لها أصل جوهر ألبتة^(١٢) وتفيد هذه الرواية بأنه كان يطوف ويجول فى وديان قونية واقتدى به أربعون شخصاً ، يتدثرون بنسيج من وبر الجمال ، وذات يوم دخل مقبرة مولانا فى زمهرير الشتاء ، وامتطى صندوقه وقلنسوته فوق رأسه وفى إحدى يديه جرة الخمر ، وفى الأخرى قدح الشراب ، وجعل يصب ما فى الجرة فوق الصندوق والمقبرة ، ثم أخذ ينادى ويصيح : أواه ، أواه ، سيكون هلاكاً عظيماً من يلقى غضب مولانا ، ألم تروا مولانا ؟ ثم ها هم ينظرون ، إنه مولانا كائن فوق الصندوق ، لقد خرج مولانا من المقبرة وذهب مباشرة صوب الحمام ودخل أتونه ، ولم يصبه حريق ، ولم يمسه ضرر أو أذى أما أنا فقد رأيت الشخص السابع من الأربعين شخصاً وسمعت منهم روايات كثيرة واشتقت كثيراً إلى روايته ، وعشقتة من سويداء فؤادى ، وكان يلج فى منامى كثيراً ، وما رأيت أنه كان جلياً واضحاً ، وقد صرت فى ذلك الإبان شيخاً ومعلماً لأمير عادل بن باشا جلبى ، بيد أنه قد توجب على الذهاب إلى موغلة وإلى وطنى من أجل رؤية أمى . وذهبت وقال لى محمد جلبى ذات ليلة فى موغلة : هلم فانهض يا شاهدى ، فإن كنت تريد العثور على أو كنت عاشقاً متيماً لنا فكن حانة خمر ، وسمعت صوته فى وضوح وجلاء ، وطلبت من أمى الخمر وعرق البلح ، ووجدته وأحضرتة . وقلت إن قلبك لا يحمل شيئاً قبيحاً وانغمست فى الشراب . ولما انسلخ الشتاء كانت رغبة مثلى فى رؤية ديوانه محمد جلبى وخرجنا معا فى معية العالم بابا عجم لأنه كان يتحدث الفارسية ، وقدمنا إلى بورصة ومنها توجهنا لتقاء كوتاهية . وكان باشا جلبى قد أصبح مديراً على كوتاهية ، وعاد محمد جلبى كذلك من السعودية وحل ضيفاً محل باشا جلبى . ولما أتينا قال أمير عادل مخبراً أمه قائلاً : لقد جاء شيخى وأستاذى وأرسل من فوره سجادة وبسطها بإزاء محمد جلبى من أجل جلوسى .

وعندما رأيت محمد جلبى على باب الحجرة سلب لى وطارت بلابلى ، وانخرطت من فورى فى البكاء ثم قال محمد جلبى : أقبل ، لقد بسطوا هذه السجادة من أجلك ، وجلست بجانبه وأنا فى لجة الوجد والهيام ، وأغمضت عيني ، وكان كل شخص يقول لى : أهلا وسهلا أيها العزيز الغالى ، بيد أننى لم أستطع التفوه بأى شيء ، وجلست وأنا مرتعد الفرائص وجلا ، وكنت أبتغى المكث معه وحيدا .

ثم قال محمد جلبى لأحد الصوفية ويدعى موسى أبدال : أعندك حشيش ؟ فقال موسى أبدال : نعم لدى فقال له أحضره ، وأحضر موسى أبدال نار جيلة الحشيش ، ثم قال بصوت عال هذه فائدة الطريقة هى من أجل الأعزاء ، إنها علاج المرح والسرور والبشر والحبور .

ثم جعل يقدم النار جيلة إلى كل شخص ، فيشرب الشارب ، أما غير الشارب فإنه يلمس النارجيلة بإصبعه ويمسح بها رأسه ، ثم قال محمد جلبى لى « أنا شيخ صوفى من الآن » فقد غشيتنى سورة الحميا ، ثم أرغى السلطان وأزيد ، وأثناء الحديث خرج من كان فى المجلس واحدا تلو الآخر وهم يسلمون ، ومكثنا نحن وحدنا وأخذ بعد ذلك يتفوه ببضعة ألفاظ تركية وهو يتفوه بصوت جمهورى كالمجنون .

ثم غشيته حال عجيبة وجعل يزيد ويرغى ، وانهل الدمع الهتون من عينيه ، وشرح فى حلق شعوره وحواجيه ولحيته وشاربه بالموسى ، وهو يشرب الخمر حتى غشيته حال من السكر والثلث والمختالة والغش والخداع ، وكان يتوارى عن أعين الناس وهو على هذه الهيئة ، وصار بين الخلائق مفضوحاً ، وساعت سمعته وذكر اسمه بالسوء ، فى يده قدح الشراب على الدوام ، وليس فى وسعى أن أحكى عن كراماته التى رأيتها منه ، إنه يجعل الخمر شرباتا ، ويحول التراب الذى يمسكه تبرا ، وإذا فرغت جرة الخمر فى المجلس أعطاها للساقى فتمتلئ الجرة ، وتمتلئ الجرة الفارغة فى القارب بماء البحر ، ويستحيل الماء خمرا .

أما أنا فقد حلقت من أجله ، وصرت صوفيا من الأبدال ، وغصت فى بحر الفناء ، وأصبحت له عاشقا مفضوحا ، واقتديت به واتبعت سبيله ، أركض أمامه حافى القدمين ويأمرنى فأركب ويعطينى الحصان المعلق قدميه فى ركابه ،

وإذا ما ركبت فإنه ينزل بعد قليل ، ثم أخلع النعل من قدمي ، أما هو فيعطى جوادي لأحد الصوفية الأبدال ويقول : حذار فلا يركبن شخص قط ، ثم يشده من حبله ، حتى لا يستطيع المكث لحظة واحدة بدوني ، وكان يقول : اللطف يا شاهدي لماذا تجفوا على هكذا ، ولماذا تمشي راجلا ، ولماذا أنت حافي القدمين ، إن قلبي يتقطر وأتألم من أجلك ، أما أنا فكنت أقول : يا سلطان الولاية ، لا أستطيع أن أطأ قدمي في طريقك الذي تطؤه أنت ، ولما سمع هذا قال : أواه يا شاهدي ، لقد أحرقتني ، وكان يأخذ من كل مدينة يصل إليها نعلا ويقول البس ، فحتى لو ذهب الصوفية الأبدال حفاة الأقدام فإنهم يطئون الأرض بخفة واستحياء . وكان يقول : « إنك تركض كل يوم وتقف حتى وقت المساء ، أما أنا فقد غشيتني البهجة والسرور من جروح الأحجار التي تمس أصابعي ، وكان عندي قميص من وبر الجمل غير ذي أكمام ، باطنه مملوء بالقمل ، ولكنني لبسته ، لقد وهبني كثيراً من الألبسة ولكن أعطيها لأناس آخرين » ، ويتحدث شاهدي في الجزء الأخير من كتابه عن أحوال أبيه مع جده ، وكيف بدأ يحصل العلم مع الشيوخ الآخرين قبيل انخراطه في سلك المولوية ، ثم يروي كذلك التحاقه بالشيخ ديوانه محمد جلبى ويقول في هذا المعنى « لقد صرت مريدا للشيخ حتى أن كلبه الذئبي أفضل من الأسد وسكرت بالخمير التي يقدمها في الأقداح ، فأنا أطريه وأقرظيه وأحكي عنه وأروي ، ثم أمر عبده قائلاً : فانظم أيها السلطان ما رأيته منا ، إذ ليس في الإمكان أن هذا بصورة مفصلة ، فلقد أشممت الرائحة لعشاقه » هكذا ينهي أبياته على هذه الشاكلة^(١٣) ثم يقول أنا مادحه بالكلمات التي جاءت تتري متعاقبة ، وناقشت مسألة موته ، ويفهم بوضوح وجلاء من الكلام الذي تفوه به في مدحه أنه ديوانه محمد جلبى وكان حيا على قيد الحياة في السنة التي كتب فيها روضة الأسرار أي في عام ١٥٤٤ م وكان عمر شاهدي آنذاك ستة وسبعين عاماً^(١٤) وإذا ضربنا الصفح عن روايات المناقب التي سمعها شاهدي ، ألفينا أن هذه العبارات تعتمد على المشاهدة والعيان ، وحتى لو كانت هذه القضية مستغلفة مبهمة فإنها من الأهمية بمكان عظيم ، الآن يمكننا أن نميط اللثام قليلا عن حياة محمد جلبى موجزين المعلومات التي أدلى بها ثاقب دده في هذا الخصوص : كان محمد جلبى منشغلا في بواكير شبابه بالتطواف والتجول في الجبال والسهول

والوديان يرتدى عباءة قلندرية ذات تتورة مفتوحة الصدر^(١٥) وتوجد فوق رأسه أحيانا قلنسوة المولوية ، وتارة يلبس تاجا ذا اثنتى عشرة قطعة منسوباً إلى الشيخ شمس .

أما شعره فإنه ثائر ، وتارة يكون متشبهاً بالقلندرية ، وهذا يعنى أنه يحلق شعره وحواجبه ولحيته بالموسى . تخلص محمد جلبى بمخلص « سمائى » الذى خلعه عليه أبوه ، وعندما ذهب لزيارة مولانا ولج المقبرة وامتنى صندوقها كالحصان . وقد غشيته سورة حميا وانفعال عاطفى محموم ، ثم تناول بيده طيلسان العمامة الملفوف على القلنسوة الموجودة فى صدر الصندوق وهذا يعنى أن طرفها كاللجام ، وتركها ممتدة حتى خصره . مما أصاب الناس بالدهشة والانذهال^(١٦) .

قدم محمد جلبى إلى قونية وفى معينه أربعون درويشاً مولوياً إبان عصر عادل جلبى (١٤٢١ = ١٤٦٠ م) (٨٢٤ هـ = ٨٦٤ هـ)^(١٧) ، ثم توجه من هناك عن طريق قره مان ذاهباً إلى تكية حاجى بكتاش وأخذ معه أربعين صوفياً بكتاشياً ، ثم تحرك صوب العراق ، وبعد أن زار مدن : النجف وكربلاء وبغداد وسامراء وأثمة أهل البيت^(١٨) ولى وجهه شطر مدينة مشهد لزيارة الإمام الثمانين على الرضا (ت ٨١٨ هـ) .

وقد حظى محمد جلبى بعظيم التجلة والتوقير فى مدينة مشهد ، وأحبه قلندرية إيران حبا جما ، وقد أهدى إليه قسم من أطباق الوقف ومرجل كبير من مطبخ الإمام الرضا مع رايتين موجودتين فوق المقبرة ، وكان ينشد أثناء هذه الزيارة رباعية فارسية يقول فيها : « عين هاوية منفصمة عن باب الرضا حتى لو كانت عين الشمس فإنها بلا نور .

وليكن فى خدمته روح العبد أذنه ذات قرط ، وقد حشرت داخل دائرة الكرم والإحسان »^(١٩) .

ثم عاز محمد جلبى مدينة مشهد والمولوية فى معيته حيث كانوا عن يمينه والبكتاشية عن يساره ، وكانت إحدى الرايتين فى يد درويش مولوى يدعى محمد عن يمينه .

والراية الأخرى فى يد شخص بكتاشى يسمى على الرومى . ثم غادر خراسان قادمًا إلى بغداد مرة ثانية لزيارة أئمتها ، ثم غادرها متوجهًا إلى حلب ، وفيها نزل فى تكية أبى بكر الوفائى (ت ١٥٨٣ م = ٩٩١ هـ) وهو من الطريقة الوفائية ، وينحدر نسبة من نسل تاج العارفين أبى الوفا (ت ١١٠٧ هـ = ١٦٩٦ م) ثم جعل منه خليفة ، وحلق له شعره كالقندرية وأذن لهم بممارسة شتى طقوس الطريقة فضلاً عن السماع ، وتخلف ها هنا بابا بايرام وهو من محبى البكتاشية .

غادر جلبى متوجهًا تلقاه قونية ، وزار مولانا وفى الوقت نفسه دخل مسجد شرف الدين ، وشرب الخمر فى المحراب ثم نشرها على جدران المسجد^(٢٠) . غادر محمد جلبى قونية مولياً وجهه شطر قره حصار ، وبعد مدة من الزمان طوف بإقليم منتشه ، وعبر من هنالك إلى مصر ، وتأكد من إخراج المسجون إبراهيم كلشن من سجنه (ت ١٥٢٤ م) ، ثم أب عائداً من مصر إلى الشام ، ثم هم من فوره بزيارة قبر ابن عربى الذى لم تشيد تربته بعد (ت ١٢٤٠ م) .

وأدركه موسم الحج فى ذلك الإبان ولم يذهب لأداء الفريضة على رغم وجود من كلفوه بالذهاب إلى الأرض الحرام ولم يأتى كذلك لأولئك الذين أرادوا الذهاب لأداء الفريضة ولم يشد الرجال إلى ذلك سوى شخصين اثنين فقط . ثم أنشد هذه الأبيات التى يقول فيها : أيتها القافلة التى تبيع قماش العبادة ، إلى أين أنتم ذاهبون ؟ تعالوا إلى حيث حرم قبلة الحاجات ، وأسفى وأسفى ، حتى أن النجوم تدور حول محورها ، وأنتم لا ترونها .

وأنتم تركضون وتقفون فى دائرة الخيال منذ أربعين عاماً^(٢٧) . ثم قدم محمد جلبى إلى إستانبول إبان عصر سليمان القانونى ، وحل ضيفاً فى نزل ضيافة إسكندر باشا ، وأسس تكية مولوية فى غلطة ، وأوقف عليها الحديقة المجاورة لمنطقة قوله Kule ، ثم غادر إستانبول إلى بورصة ، ومنها توجه إلى كوتاهية ، ثم عاد فى النهاية إلى قره حصار ، وأدركته المنية بعد حين من الزمان وتقول السفينة : لقد توفى معه فى نفس هذا العام طائفة كبيرة ممن شاركوه فى أسفاره ورحلاته إلى العراق وخراسان .

سفينة النقد :

على الرغم من أن السفينة من ناحية الأصل تتفق مع المعلومات الواردة في روضة الأسرار ، فإن الواقع والأحداث الواردة في السفينة لا يمكن أن تتوافق مع التاريخ وقد كتب ثاقب دره رواياته على عجل دون روية ، وساق العبارة في شكل مصطلح ليس إلا ، دون إمعان أو تفكير ودون البحث عن الأصول والجذور . وهو يرى أنه لا سبيل إلى وجود الزمان والمكان .

وقد ورد في السفينة أن محمد جلبى قدم إلى إيران في أثناء الغزو المغولى ليأخذ الديوان الكبير ويجلبه من المقبرة ، ولقب من أجل ذلك بلقب « سلطان ديوانى » :

حتى أنه يقول : إن ميرزا صافى ابن الشاه إسماعيل قد توارى في خرقة جلبى في أثناء هذه الزيارة ، ثم ظهر بعد ذلك في قره حصار ، ولهذا الشخص أشعار تخلص فيها باسم خطائى وصار ميرزا مريدا لجلبى في أثناء هذه الرحلة ، وقدم جلبى إلى إستانبول إبان عصر سليمان القانونى ، وأسس آنذاك تكية مولوية في منطقة قوله قابى ، وفي زيارته الثانية إلى إستانبول التقى بالشيخ جيوى زاده أبى السعود حيث طلب منه عدم منع المساع ، ولكن لم يحالفهم التوفيق ، ثم توجه تلقاء مصر أيام عصر طومان بك بعد أن ذهب لزيارة إستانبول ، وكانت وفاته في سنة ٩٣٦هـ = ١٥٣٠م .

أما لقب « سلطانى ديوانى » فكان بسبب عدم استحسان لقب « ديوانه » ثم لفق واختلق بعد ذلك : أما أخذ الديوان وإحضاره فهي مسألة انبثقت في الوجود بعد ظهور هذه الرواية الملفقة المختلقة . عندما نقل الصندوق الكبير من قبل السلطان القانونى فوق مقبرة أبيه ، شوه هذا الصندوق على شاكلة رجل واقف على قدميه خلف مولانا ، وتسبب هذا في وجود منقبة هائلة في مخيلة الناس ، ولما جاءت جنازة مولانا تهض أبوه واقفاً على قدميه (انظر مولانا جلال الدين - الطبعة الثانية (ص : ١٢٧ - ١٢٨) .

أما خطائي فهو مخلص الشاه إسماعيل وليس ولده ، وصافى ميرزا المتوفى ١٦٢٨ م هو ابن الشاه عباس قتل على يديه ، أما ميرزا فقد اندرج فى خدمة آل عثمان بعد اثنى عشر عاماً من وفاة الشاه إسماعيل ، ثم قدم إلى إستانبول ، وقد سمع هذا فى هذه المناسبة فى الديار العثمانية فقط ثم انتقل بعد ذلك إلى التواريخ استمر حكم السلطان القانونى من سنة ١٥٢٠ - ١٥٦٦ م - ٩٢٦ - ٩٤٧ ، أما حديقته التى أوقفها إسكندر باشا فكانت مقاطعة أحد غلمان السلطان الفاتح وقد تأسست التكية المولوية فى سنة ٨٩٧ هـ = ١٤٩١ = ١٤٩٢ م^(١) .

وكان السلطان بايزيد ابن السلطان الفاتح وجد القانونى حاكماً فى هذا التاريخ ، ومن ثم فلم يكن أبوه قد اعتلى سدة العرش بعد ، وكان جيوى زاده شيخاً للإسلام فى تلك الآونة - أى فى عام ١٥٣٨ م - ٩٤٥ هـ ، وهو الذى أعلن الفتوى ضد السماع ، ومكث فى منصبه هذا ثلاث سنوات وتسعة أشهر ، ثم قضى البقية الباقية من عمره متقاعداً حتى أدركته المنية فى سنة ١٥٤٧ م = ٩٢٢ هـ .

ولم يكن ذا سلوك شديد إلى حد ما ضد الصوفية ، ثم أصبح أبو السعود ابن الشيخ بواسى شارح أورداد بدر الدين (ت ١٥١٦ م = ٩٢٢ هـ) شيخاً للإسلام فى سنة ١٥٤٥ م ، وقد توفى عام ١٥٧٤ م .

أما ثاقب دده فهو القائل بأن جلبى قدم إلى إستانبول إبان عصر القانونى ، كما كتب كذلك عن زيارته لمصر فى أثناء عصر طومان بك ، وقد استمر حكم طومان بك فى مصر من ١٥١٦ - ١٥١٧ م - ص ٩٢ - ٩٢٣ هـ قبيل اعتلاء سليمان القانونى للعرش . وليس ثمة إشارة حول وفاة جلبى وذلك فيما كتب فى روضة الأسرار سنة ٩٥١ هـ ١٥٤٤ م ، أما إذا أمعنا الفكر ملياً فيما صرح به عن حياته ، ودققنا الفكر فى شهادة صكوك الوقفية المدونة سنة ١٥٤٥ م لأدركنا من شخصيته الذاتية أنه لا سبيل إلينا إلى استنباط واختيار تاريخ وفاته من داخل الهيولى^(٢٣) الذى عرضه علينا ثاقب دده وثمة وثيقة أخرى تؤثق معلوماتنا التى أسلفناها وتجلى الحقبة التى عاش فيها محمد جلبى وهذه الوثيقة هى مكانته فى شجرة الخلافة المولوية .

واسوف نشرح فيما بعد الجانب الأساسى كما هو متبع فى سلسلة سائر الطرق الأخرى ونعنى بالجانب الأساسى سلسلتها ، فثمة قسم يتسلسل من شيخ الطريقة حتى يبلغ النبى محمداً صلى الله عليه وسلم . وهذا القسم هو الجانب الأعلى على وجه الخصوص ، وهو ملفق مختلق ، بيد أنه متواتر من شيخ إلى شيخ بدءاً من شيخ الطريقة ، وإن ديوانه محمد جلبى موجود بوجه صحيح فى هذه السلسلة ويتبين كذلك أنه أخذ الخلافة من واحد يدعى أحمد أفندى الذى أخذه بدوره من عبد القادر جلبى والذى أخذها هو الآخر من جمال الدين جلبى ، وجمال الدين جلبى (ت ٩١٥ هـ = ١٥٠٩ م) هو ابن بير عادل جلبى المتوفى سنة ١٤٦٠ م ، ووفق هذه السلسلة فإنه قد أخذ الخلافة عن مظفر الدين جلبى أحد خلفاء أولو عارف جلبى المتوفى سنة ٧٢٠ هـ = ١٣٢٠ م .

ومظفر الدين جلبى هذا قد مر ذكر اسمه فى السفينة ومن المحتمل أن يكون من شلبية كوتاهية (ج ١ ، ص ١٠٩ - ١١١) ، وقد اضطلع الشيخ حسين فخر الدين دده بترتيب وتنظيم هذه السلسلة فى شكل رسالة قدمها إلى بهارى ، ثم كتبت ثانية فى دورية حسين فخر الدين دده ، وقدمت إلى الشيخ « سيد عالى ملا » مولوى المدينة المنورة ، وهى نفس السلسلة التى وردت فى رسالة الخلافة التى قدمها شمس تربه دار أحمد داداه باسم رسالة الخلافة إلى سيد سليمان بلخى ، ثم أخذ الشيخ عثمان صلاح الدين « شيخ بنى قابى » الخلافة من سعيد همد جلبى وأصبح فى رسائل الخلافة بعد ذلك كل من : أحمد دده جد شمس .

وصفوت وعبد الواحد جلبى وخواجة إسحق أفندى ومحمد جلال الدين بن عثمان صلاح الدين أفندى ، تم منحت الخلافة بعد ذلك من قبل عبد الواحد جلبى إلى حاجى كمال أفندى بن عثمان صلاح الدين أفندى ، أما القسم العالى من الشجرة فهو واحد بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، وكلما نزلنا إلى أسفل وجدنا أن منح الخلافة معناه منحها إلى أشخاص كثيرين ، وتتغير الأسماء وتتبدل بصفة الحال ، وبسبب منح هؤلاء الخلافة إلى بعض الأشخاص . ونلاحظ من هذا أنه يوجد شخصان بين كل من :

جمال الدين جلبى (ت ١٩٥ هـ = ١٥٠٩ م) وبين ديوانه محمد جلبى ، ويتبين لنا من هذه الزاوية أن محمد جلبى كان على قيد الحياة فى النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادى ، وعلى كل حال فقد كانت وفاته إلى النصف الثانى من هذا القرن ، ولدينا وثائق كبيرة تتمم هذا وتؤكدده .

خليقة ومذهب محمد جلبى :

إن خليقة محمد جلبى تشبه إلى حد كبير خليقة أولو عارف جلبى ، حتى أنه أكثر منه جيشانا ومبالغة وتجاوز حد ، فكلامه مطابق لكلامه ، وكذلك خليقته وسجاياه ، وتتجلى سورة حمياه وجيشانه فى أشعاره كما يفهم من لقب محمد جلبى يزعم أنه قلندرى سالك سبيلهم ، وهو يرتدى أحيانا القلنسوة المولوية وينتقل تارة من أتباع القلندرية إلى البكتاشية ، وتارة يرتدى تاج الحسين ذى الاثنى عشرة قطعة منتسبا بذلك إلى شمس وإلى أتباع المولوية ، وأحيانا يسحق سنام قلنسوته من طرفيه ، ويجعلها على شكل حاد قاطع بتار منتسبا إلى ألف تاج البكتاشية (هى خوذة غطاء الرأس) . مرتديا إياها على هذه الشاكلة ، كما يلبس مريدوه هذه القلنسوة المختلفة التى تسمى سيفى Seyfi . وكان زوارا للشيخ حاجى بكتاش ، يذهب إلى خراسان وفى معيته أربعون مولويا وأربعون درويشا بكتاشيا .

وفى أشعار جلبى ما يدل على عظيم التوقير والتجلة للذين يستقبل بهما من قبل قلندرية إيران ومن هذه الأشعار قوله :

سه ودو حقدن عياندرديششرك

دورت كتاب ايجون بياندرديششرك

جداهرا ايجره كر نهاندرديششرك

حق بيلور حاميم دخاندرديششرك

هرد وكونك وارى جون دستكده در

بيست وهشتك جارى جون دستكده در

غمسكا ك زارى جون دستكده در

مصطفى نك جارى جون دستكده در

والمعنى :

اثنان وثلاثة من أسنانك هي من الحق ظاهرة بجلاء

وأسنانك للكتب الأربعة دليل وبيان

ولو أن أسنانك مختفية داخل الجوهر المكنون

فالله يعلم أن أسنانك هي حاميم (الدخان)

ووجود العساكين من أجل ما في يديك

والعشرون والثمانية والأربعة كلها من أجل ما في يديك

ومما في يديك مُذهب للغم والأحزان

وما في يدك هو من أجل غار المصطفى ونصادف مثل هذه

الرباعيات في معتقدات الحروفية (متحف قونية : دورية K رقم ٢٤٧١ ، ١٥ ،
د . ٨ - ١٥) .

ومقل قوله :

أون سكرنيك عالمك جسمنده جانيس يا على

حسن ايله ش مهره وماه آسمانيس يا على

سر محفیدر دهاتك حزداه دانيس ياعلى

شاه مردان سيزيردان بيشه وانيس يا على

والمعنى :

ياعلى أنت الروح الموجودة فى جسد الدنيا بأسرها

وأنت بالحسن شمس وقمر السماء

وفمك الرقيق هو سر مخفى مستور يا على

وأنت أسد الله وسلطان الرجـال

وهكذا يبدأ هذا البند ، ثم يمدح الأئمة الاثنى عشر بداءة من البند الثامن ،

وعلى حين تراه يكمل عشرين بندا فإنه لا ينتقل إلى أسماء الخلفاء الثلاثة الأولين ، ثم يقول فى النهاية :

أى سماعى قيل تولا وتبرا صدهزار

هرزمان كلزار مدحك سمع أولسون أشكا

دائما أولون يزيدك كسرد دبتده ذو الفقار

شاهمرو ان يزدان بيششوه سين يا على

والمعنى :

افعل السماع وكرر « تولى وتبرا » مائة مرة

وليكن شمع مدح روضتك ظاهرا فى كل زمان

وليكن سيف على فى رقبة يزيد على الدوام

فأنت قائد أسد الله وسلطان الرجال

ثم يكرر المربع الذى يشرح فى بنده الأخير معنى كلمتى تولى تبرأ ونرى كذلك فى هذه الأبيات عقائد الشيعة الإمامية ظاهرة بجلاء تام . ويكتب ثاقب دده أنه وجد مكتوباً فوق الأدعية أسماء الأطباق المهداة إلى محمد جلبى من خراسان ، ومنها هذه العبارة « وقف أستان على موسى رضا » أى وقف تكية على موسى رضا .

كما كان يقف عن يمينه وشماله صندوق الأعلام والرايات المشتعلة بالنار ويقول كذلك : أما عن الرجل الكبير الذى أوقفه الشيخ إمام رضا فكانت تطهى فيه العاشورة فى أشهر المحرم .

ومن الكرامات المنسوبة إلى ديوانه محمد جلبى أنه كان له سيف ، ولأجل ذلك كان بلقب يلقب « أبو السيف » .

ونقش فى قبضة هذا السيف اسم « ناد علياً » والذى كان يعتقد بما يوحىه جبريل إلى محمد فى غزوة أحد ، كما كان هذا النقش يقرأ من قبل القلندرية والبيكتاشية والعلوية (ص : ٥٨) (١٤) .

وعندما يضيف فى نهاية الأمر إيمان المخدرات والخمر إلى هؤلاء ، فإنه بذلك يميظ اللثام عن خلقه وسجايه .

وثمة ميول ونزعات باطنية ظهرت عند المولوية بداءة من أولو عارف جلبى ، واصطبغت بصبغة الشيعة الباطنية ، وذلك مثل قولهم :

نه عشقه صبر ايدر اولدم نه عقل الله يا ريم

نه كارى بأشعة جيقار دم نه بللوى كارم

بلای عشق ایله حقیقه که نه اولد یغم بیامم
بو آکلانور المهدن که عشاق زارم
سمائی کبی به اول بیخو دم که عالمده
نه کیف ایله متکبف نه مست وخوش یا ریم

والمعنى :

لا طاقة لى بالصبر على العشق وأصبحت بلا عقل يا حبيبى
ولا أتحكم فى عقلى وأصبحت خاوى الوفاض
لا أعرف يا إلهى ماذا أصنع بيلاء العشق
فهو يدرك من أمنى أننى عاشق متأوه حزين
فأنا مدهوش فى الدنيا أشبه السماع
فلا أنا معتمد المزاج ولا أنا ثمل سكران
وقولهم : تنكه ده سويرينه إيجر باده ولى
كوردك مى كافر بزجه انكاردون كلير
آزدره خاطر أولمه سمساع بى دله
مستانه دركه خانه خمارون كلير

والمعنى :

إنه يشرب خمر الولى فى هذه الآنية بدلا من الماء
أرأيت كافرا أقبل إلينا وأنكر ما نفعله ؟

لا تكن سماعاً مهوما ضيق القلب مضطرب الخاطر

إنه ثمل سكران قسام من حانه الخممر

أو مثل قولهم :

بنم أو مـحنت ودردله یا راولان عاشق

بنم اودرد ومحبيلته زار أو لأن عاشق

بنم أول عاشق کی تاروها راولان عاشق

بنم أول عشقی کی قرار أو لان عاشق

فغان وآهیم ايله یا شمیم أو لای تسکین

دیغ جائمه کججیدی فراق یارکوزین

والمعنى :

أنا عاشق للمحبوب مبتلى بالكدر والأحزان

وأنا عاشق متأوه بالألم والمحبة

وأنا عاشق مضمحل شريد مثل هذا العقل

وأنا عاشق كالعقل تائه حيران

ولم يهتدي دمع عيني الآهة والأحزان

وأسفى فلا طاقة لى بفراق الحبيب المستحسن الجميل

وبمثل هذه الأبيات تتجلى حالاتهم النفسية فى صورة جميلة ، أما صادقى فكان

خليفة لمحمد جلى ومرافقا له فى رحلة إيران ، وها نحن أولاً نقدم ها هنا ترجمة

لغزليته الفارسية التي قالها عند مشهد الإمام الرضا : « نحن القلندرية صقور
السلطان الأعظم وصاحب العدالة الذي اشترانا وصرنا قلندرية من أجل أولاد النبي
صلى الله عليه وسلم على وجه الخصوص ونحن قلندرية نقتدى ونتبع سبيل السلطان
قلندر ، وخلعنا ومحسونا من قلوبنا الصور والأشكال التي تخص الحاسدين
والحاسدين ، فقد طلق على الدنيا من أجل الله ، ولأجل هذا غدونا أحياء مخلصين
فى طريق حيدر (على رضى الله عنه) ، وأصبحنا حاسرى الرأس فى مكان مثل
أبدال الروم لفراق أولاد النبي محمد صلى الله عليه وسلم . ونحن القلندرية حفاة
الأقدام وكوينا أفئدتنا من أجل ثمانية وأربعة ، وصرنا قلندرية من أجل اثنين وستة
من الأئمة الطاهرين المبرئين ونحن أولئك القلندرية الذين نثرنا الدم من الأعين ،
وأصبحنا ضعافا تاحلين ذابلين شاحبين حزنا وحداد على اثنين وسبعين شهيدا .

نحن القلندرية الذين ندرك كيف نتفوه بالقول ونمدح الحيدرى (على كرم الله
وجهه) فى كل حلقات الصوفية فلنكن فى طريق الإمام الصادق وأتباع الحسين ،
ونحن قلندرية أوفياء لأحمد وحيدر^(٢٥) .

إن المعتقدات الموجودة فى هذه الألفاظ هى ذات قاسم مشترك بين ديوانه محمد
جلبى ورجاله ، وخلاصة القول : إن النزعة الباطنية بدأت عند المولوية متمثلة فى أولو
عارف جلبى ، ثم بلغت أوج كمالها ونضجها عند ديوانه محمد جلبى .

أما من ناحية العقيدة : فإن قسما من الطريقة المولوية قد اختلط وامتزج
بالبكتاشية والحروفية والقلندرية ، ومن ثم فإن صاحب « تبيان وسائل الحقائق »
حرير زاده أحمد (ت ١٨٨٢ م) ، قد بين أن القلندرية ما هى إلا شعبة من المولوية ،
كما أنه نسب إلى محمد جلبى تأسيس هذه الشعبة (مكتبة الفاتح - رقم ٤٣٢ -
ج ٣ ص ٧٤ ، ٧٧) . ويتوجب علينا أن نقول فى هذا الصدد ما يأتى :

إن ديوانه محمد جلبى الذى وجد يشرب الخمر فى محراب المسجد حتى طغى
وتجاوز الحد وكيف يحدث هذا إبان عصر السلاجقة الذى لا يعرف المسامحة
أو الصفح ؟ كما أنه لم يجد تعقيبا على هذا الأمر .

ونحن نعلم كذلك أن كلا من الحروفية إبان زمن الفاتح ، والقلندرية إبان عصر بايزيد الثانى ، والشيعية فى عصرى سليم ياوزو التانونى ، وكذلك القلندرية والحمزوية ، كل هؤلاء وأولئك كانوا يتعقبون آثارهم وينكلون بهم أشد التنكيل . هل كان لياذة بلقب « ديوانه » يمكن أن يلتمس له العذر فى جميع فعاله التى تجاوزت الحد ؟ وكيف تحملت المدرسة تقدم مجنون ما فى دراسته حتى بلغ هذه الغاية ؟ أم كان فى حقيقة أمره مجنوبا ؟

يكتب ثاقب دده فيقول : إنه قد استدعى إلى إستانبول بأمر من الحكومة بغية التحرى عن أحواله ، وقد خلف هذا الاستدعاء أثرا قويا فى نفوس كثير من مريديه ، ومن ثم فإنه لم يصطحب معه فى هذه الرحلة سوى شخص واحد (ص : ٣٩) . ولكنه لم يلق جزاء قط فى إستانبول ، بل وجد احتراما وتوقيرا ، وقد تجاوز الرواة حدهم قليلا فى هذا السبيل . إذا دار بأخلاقهم أن هذا العقو ما هو إلا تأكيد للأفعال والأشياء التى تتصل بحياته الخاصة . ورغم أن الخلائق كانوا زاهدين ، فإنهم كانوا يعدون هؤلاء الرجال المتباينين من الصوفية أهل تضرع ورجاء ، ومن ثم فإن الناس يبحثون عن حكمة خافية مستترة فى أفعال هؤلاء الرجال حتى أن ما يرد من هراء وسخف وهذيان فى ألفاظ السيكيويائيتين (مضطربى العقل) والمتهوسين ومن أصابهم مس من الجن ، والذين يندرجون تحت اسم المجذوب ، كل هذه الألفاظ يوجد فيها كذلك تلميحات تتصل بالدين والدنيا والمستقبل ، وثمة طائفة من المتصوفة الجاتشين المبالغين من أرباب سورة الحميا يظهرون أنفسهم على هذه الشاكلة ، ويخفون ويبدلون أحوالهم بالملامة .

وهكذا فحرى بنا أن نمنع الفكر مليا فى أحوال هؤلاء جميعا عند استبانة وتجلية أفعال ديوانه محمد جلبى . إذ هو فى الوقت نفسه لم يمكث وحيدا منفردا فى أى وقت من الأوقات ألبته ومن ثم فإنه كان محبوبا من المولوية أجمعين ، وموقرا منهم ، فى حين أنهم لم يخلعوا أى ضرب من ضروب التجلة والتقديس على شخص ملا خوانكار الذى ينحدر نسله من سلالة مولانا .

وفى نهاية الأمر فإنه رغم أفعاله المتجاوزة الحد تجعلنا نفكر مليا فى وجود هؤلاء الأشخاص الوقورين رابطى الجأش بين ثنايا المولوية مستفرقين فى حالة من العدم والفناء ، وتحيطنا علما كذلك بأن الطريقة المولوية لم تكن طريقة معروفة بالقبح والشين ونعتقد كذلك أنه لا سبيل إلى أن يدور بالأخلاق أن ديوانه محمد جلى قد اقتلع من الشريعة حجراً أما إدمانه الخمر فى رأينا فإنه قد تمخض عن العشق الذى كان يشعر به تجاه الطبيعة وانبثق من الوجد الذى استلهمه من السلوك المادى تجاه عقيدة وحدة الوجود ، كما أن هذا الإدمان حدث كذلك من جراء تأثير الحالات النفسية المتباينة التى ضاق بها ذرعا ، كما يعزى هذا الإدمان أيضا إلى النظرة الواقعية والتفكير الواقعى ، ومن الضرورات والرغبات الحقيقية الملحة والتى لم تتأكد أو تثبت بعد ، وفى مقابل هذا فإن انهماك الرجل فى الكيف والمزاج والوجد والحال والانشداه والاندھال ، أو ما يسمى بالتركية بالموجة ، وكذلك إفراطه فى المخدرات المدفونة فى عالم السراب ، كل هذا وذاك كان دون شك بمثابة ضغط قوى عنيف للمعتقدات الصوفية .

إن مع الخمر جيشانا وفوراننا وسورة حميا ، ونشوة وسرورا ، وتكريس النفس ونذرها للطبيعة والكائنات . أما مع المخدرات فإنه يغوص فى جوانياته ، ويكون حينئذ بمثابة إحياء للعالم الصوفى الكائن تحت نطاق الوعى والشعور . أما إدمان المخدرات الذى لم ير عند أولو عارف جلى فإنه يبين كم كان تصوف المولوية عند ديوانه محمد جلى .

لا جرم أنه رغم كونه رجلا مجذوبا جياشا متجاوزا للحد ، فإن الأعمال المتجاوزة للحد كانت بمثابة تعبير عن الحالات النفسية الصادقة ، وعلى حين نراه قد قبل شعار القلندرية فإنه كان غير موجود فى التصحية والفداء عن المولوية ، ومن ثم كان ديوانه محمد جلى بمثابة ظهور وتجلُّ لمولانا عند كثير من المولوية حتى آخر الزمان ، وهو بهذه الفعال قد صادف قبولا واستحسانا عظيما للحالة النفسية عند الخلائق ، وبهذا الصنيع الذى اضطلع به يكون قد قدم خدمة جليلة لانتشار الطريقة المولوية وذيوع صيتها ، ناهيك عن التيار الذى أحدثه ضدها .

شعره :

قبل ديوانه محمد جليبي التكنيك الفنى والوصف والجمال للأدب الديوانى ، وكان واحدا من أقوى شعراء الترك العثمانيين ، بيد أن مما يؤسف له أنه قد تعذر ترتيب وتدوين ديوانه بسبب نزعته وسلوكه الخلقى ، ولم يُظهر كذلك كتبه أسرارهِ من أقرب المقربين إليه ، كما لم يتسن الاستحواذ على كل الشعر الذى تفوه به ، ورغم وجود أشعاره اليوم فى صورة سلسلة فى المجلات إلا أننا نستطيع القول دونما تردد : إنه لم يتردد فى هوة التصنع كالشاعر باقى ويأتى شعره أحيانا جيدا متين السبك ، وتارة يكون متقد العاطفة مقعما بسورة الحميا كالشاعر خيالى ، بيد أن جوهره وكنهه مطابق لقوله ، ومن ثم فإنه يذكرنا دائما بأننا ماثلون أمام أستاذ شاعر بلغ من الشاعرية مبلغا عظيما ، ومن شعره قوله :

باشده كـلاه شـعله سـيـدر دود آهـمن

مولايى دركـه دركـاه خـنـكاردن كـليـر

والمعنى :

أن شـعله دخـان آهـتى قلـنسوة فى رأسى

وأن مولايى يأتى من صومعة تعبد السلطان

وقوله :

بحمد الله كـه بنام و نـيشـانـز آدـمز يوقـدر

دل ديرانه مـزـدن بر آبادـمز يوقـدر

ازلدن مظهر عشقـز بزم إيجـادمـز يوقـدر

المر جسمـله بزدندر أوكـا أو ستادـمز يوقـدر

بال دلدندر أول دلدار الندن دادمز يوقدر
كوكلدندر شكايب كيمسه دن فريادمزيوق

والمعنى :

نحمد الله : لا شأن لنا ولا رفعة ولا عزة
ولا عمران آخر لنا من قلب محطم فى يباب
ولا يكون وجودنا هو ومظهر عشقنا من الأزل
فلا أستاذ لنا فالآلام كلها تتأتى هنا
ولا عطاء لنا من يد المحبــــــــــــــــــــــــوب
فــــــــــــــــالآلم يأتى من الفــــــــــــــــوؤاد
ولا صــــــــــــــــراخ لنا من شــــــــــــــــخص
فــــــــــــــــالشكوى تتــــــــــــــــأتى من الفــــــــــــــــوؤاد

هذا هو اقتناعنا فى حق ديوانه محمد جلى الذى أبدع هذا المسدس المكرر
مستهلا إياه بهذا البند سالف الذكر . وحتى يحين الوقت الذى نضطلع فيه بتقديم كل
أشعاره إلى قرائنا فى خاتمة كتابنا ، فإننا على يقين بأنهم سوف يشاركوننا هذا
الاقتناع ، وإذا ما صنفت مقتطفات مختارة من الأدب التركى الديوانى ، فإنه مما
لا مرية فيه أن البيت المتكرر فى هذا المسدس المتكرر سيكون حينئذ من أجمل أبيات
هذه المقتطفات .

خلفاؤه والصنيع الذى اضطلع به :

نجد فى روضة الأسرار بعض أسماء خلفاء ديوانه محمد جلى أمثال : فنائى
وقانى ويرى « شاهدى » أن فنائى من بين خلفاء ديوانه محمد جلى ولما ولد جلى

قدم إليه فنائى وقبل قدميه وذكر شاهدى أن مولانا هو الذى بشر بظهور ديوانه محمد جلبى ولما ولد جلبى قدم إليه فنائى وقبل قدميه وذكر شاهدى أن مولانا هو الذى بشر بظهور ديوانه محمد جلبى فى إحدى غزلياته ، وإذا فكرنا مليا فيما سمعه شاهدى من معروف أوغلو فإن الأثر المسمى « وحدت نامه » بحسب ما يفهم من اسمه هو من قبيل الاحتمال أثر صوفى منظوم بالفارسية ، ولربما كان معرف أوغلو من أولئك المنتسبين إلى ديوانه محمد جلبى ، وهو من خلفائه فى هذا الطريق . وكان فنائى دده سالف الذكر شيخا للتكية المولوية التى أسست فى اللاذقية ، كما كان شيدايى درويشا صغيراً له ، وهذا يعنى أنه نشأ وترعرع فى كنفه وخدمته وتحت مظلة تربيته وعنايته . وقد التقى شاهدى بشيدايى الملقب بالدرويش شيدايى فى قرية « جيفار » Cikar الواقعة على مقربة من مدينة كوتاهية ، وحل فيها ضيفاً مدة ليلة واحدة ، وكان أهل القرية جميعاً من المولوية^(٢٦) .

وتعلم كذلك أنه عقب لقائه بشاهدى اعتزم الخروج للسباحة والترحال فى معية زمرة كبيرة من الصوفية والأبدال ومن هؤلاء : الشيخ أبدال الذى كان يتعهد بتقديم المخدرات إلى ديوانه محمد جلبى ، كما أنه وفى بالعهد مضطجاً بخدمة طقوس وشعائر المولوية ونواميسها . ويكتب ثاقب دده أنه بحث فى كتابة شخصية رجل صوفى يدعى محمد صوفى تخلص بمخلص « فدائى » ، ويقول ثاقب دده : إن ديوانه محمد جلبى هو الذى خلع عليه هذا المخلص ، وعينه شيخاً على التكية المولوية التى أسست فى منطقة « بوردور Burdur » ، وقد قدم هذا الصوفى إلى قره حصار فى معية شاهدى ، وزار قبر ديوانه محمد جلبى ، ثم أدركته المنية فيها سنة ١٥٧٧ م عن عمر يناهز الخامسة والثمانين . وإذا كان أسرار دده يسجل فى كتابه أن الشيخ فنائى دده شيخ المولوية فى اللاذقية قضى نحبه فى سنة ٩٠٩ هـ = ١٥٠٤ م ، فإننا لو أمعنا النظر فيما كتبه صاحب روضة الأسرار فى أحداث سنة ١٥٤٤ م ؛ حيث يذكر أن الشيخ فنائى قد توفى بعد هذا التاريخ ، ومن ثم فإن الحقيقة التى لا تقبل الشك أن أسرار دده قد جانبه الصواب فى تحقيق هذه المسألة . ويذكر ثاقب دده أن ديوانه محمد جلبى قد استخلف الشيخ « أبا بكر الوفائى » (ت ١٥٨٨ م) على حلب

(ص : ٢٤) ، كما استخلف الشيخ أحمد صفائي على مصر^(٢٧) . وأجاز لسائر خلفائه لبس القلنسوة وامتشاق السيف (ص : ٣٥) ، كما أنه استخلف الشيخ سينوبلو صفائي دده خليفة على تكية غلطة^(٢٨) .

واستخلف على مدينة أيوب ولي الدين بابا أحد المنتسبين إلى ديوانه محمد جلبى والذى كان يعمل بائعا للبنة^(٢٩) . أو اللين المصفى ، كما استخلف فى الجزائر الشيخ خضر دده والشيخ نور الله دده فى ساقيز ، والشيخ على الرومى فى مدينة إيرديره ، والشيخ الدرويش حامد فى مدينة ميدلى Midilli (ص : ٤٧) ومن خلفائه فى الأزمنة المتأخرة للشيخ شاهدى صاحب الوقارة ورباطة الجأش ، وكان شيخا على تكية المولوية فى مدينة « موغلة » Mugla .

وثمة طائفة غير هؤلاء ممن ورد ذكرهم فى تذكرة أسرار دده ومنهم على سبيل المثال لا الحصر : الشيخ عبيد الله دده وكان شيخا على تكية نور الله دده فى منطقة إيردير Egridire والذى استنسخ نسخة من المثنوى مكتوبة بخط حسام الدين فى سنة ٩٩٠ هـ = ١٥٨٢ م ، ثم قدم إلى قونية سنة ٩٩٥ هـ = ١٥٨٦ = ١٥٨٧ م حيث قضى نحبه فيها .

وهناك كذلك الشاعر صادق الذى كان فى زيارة لخراسان وحظى بتربية وتنشئة الشيخ فنائي^(٣٠) . ولا تنسى كذلك الشيخ صادق دده ، ثم الشاعر ملامى وواثق والشاعر محرمى ومنهم كذلك : الدرويش نكاى الذى ترك الخدمة عندما كان كاتبا ، وهو من الصوفية البارزين المتقدمين ومن أصحاب الوجاهة وسراة القوم .

وعندما شيدت التكية المولوية فى حلب عين كليسى فقيرى دده (ت ١٥٤٣ م) شيخا عليها ، ويقول أسرار دده : بأنه ابن أحد الخلفاء ، ثم يستطرد فى روايته فيذكر أن ثمة مجذوبا آخر يعرف باسم مجذوب دده (ت ١٦٤٠ م) وعلى كل حال فإن هذا الشاعر عاش الحقبة الأخيرة من عمره حتى عام ١٥٤٥ م ، ومن ثم فلا سبيل إلى تصديق الرواية القائلة بوجود فترة زمنية قريبة بين ديوانه محمد جلبى ووفاة هذا الشاعر المشار إليه .

ومن ثم فإن كلمة (سلطان ديوانى) الواردة فى المصراع تظهر لنا أنها ترجمت لقب ديوانى على هذه الشاكلة وذلك بعد وفاة محمد جلبى بقرن من الزمان ، وهكذا نرى أن ديوانه محمد جلبى هو أكثر الأشخاص الذين اضطلعوا بنشر المولوية وإذاعة صيتها بعد أولو عارف جلبى .

وإن تكايا المولوية فى كل من : حلب ، ويوردور وإيردر وصانديقلى وغلطة ومصر والجزائر وميديللى واللاذقية ، وكذلك التكية المولوية فى مملكة فارس إن صحت الرواية الدالة على ذلك ، كل هذه وتلك قد افتتحت جميعها إبان عصره وبفضل عزمته ومضاء همته .

جلال الدين أرجون جلبى :

يروى ثاقب دده أنه توفى قبيل عام ٧٨٩هـ = ١٣٨٧ م ، وهو ابن برهان الدين إلیاس باشا بن سليمان شاه ومطهرة خاتون ، وهذا يعنى أنه توفى قبيل جد بخمسة عشر عاما على وجه التقريب ، أى فى سنة ٧٧٤ = ٧٧٥ هـ = ١٣٧٣ م ، ويتبين من هذا أن ثاقب دده يغالطنا من أول وهلة ، حيث قال إن جلال الدين هذا تلقى فيوضات التصوف من عمه ومن الشيخ سلطان عبابوش والد « ديوانه محمد جلبى » ، ومن أولو عارف جلبى وأمير عالم وأمير واحد جلبى ، ومع هذا فإن أمير عالم جلبى لم يتسن له اعتلاء عرش مقام الطريقة الشلبيية فى قونية بالفعل وتوفى فى الغربية ، ثم اعتلى هذا المقام من بعده أمير عابد جلبى ، أما أمير واحد جلبى فقد توفى سنة ١٣٤٢م ، بعد أن قضى سنوات أربعاً فى منصب الخلافة الشلبيية ، ثم يروى ثاقب دده كذلك أن جلال الدين أرجون كانت له صداقات متعددة مع كل من يونس امره المتوفى سنة ٧٢٠ هـ = ١٣٢٠ م ، ومع معاصره جيكللى بابا Giyikli Balba^(٣١) ، كما كانت له أواصر ووشائج مع أهل كرميان بسبب تزويج السيدة نولت (سلطان خاتون) بالأمير بايزيد ، حيث أرسلت له عروسه إبان عصر مراد الأول ، ثم ذهب بعد ذلك سفيراً لماد الأول وفى عام ١٤٨٢ م عقد صداقة ود كذلك مع اسحق فقيه الذى كان على قيد الحياة فى ذلك الإبان^(٣٢) .

ومع آهى أورن الذى اضطلع بتنظيم وقفه سنة ٧٦٦ هـ = ١٣٦٦٥ م (٣٣) . وكان جلال الدين أرجون يخاطب مريده آهى أورن تارة بآهى لورن ، وتارة أخرى بآهى أنور ويقول ثاقب دده إن كلا من آهى مصطفى وآهى أرباصان BrBasan كانا من شيوخ الفتوة ، وأصبحا مريدين لجلال الدين أرجون جلبى (ص : ٦٠ ، ٧٦ ، ٨٥ ، ٨٦) . ويتجلى مما سلف ذكره أن ثاقب دده يدرج الرجال الذين عاشوا فى مختلف التواريخ ويسلكهم فى سلك واحد دون أن يتبع سبيل النقد التاريخى أو ينهج منهجه ألبتة . وإذا ما توجب تصديقه والتعويل عليه ، فإن إسحق فقيه الذى كان يعيش فى عام ١٤٨٢ م يكون حينئذ مريدا لجلبى المتوفى فى سنة ١٣٧٣ . وعلى كل حال فقد التقى شاهدى بديوانه محمد جلبى فى مدنية كوتاهية ، وإذا كان رجل مثل جلال الدين أرجون ذا نفوذ وتأثير وكان حيا فى ذلك الإبان لتوجب تدوين اسمه فى « روضة الأسرار » ، وقد سجل أفلاكى ما يفيد بأن أرجون جلبى ذهب مع أولو عارف جلبى إلى كوتاهية حيث مرض بها ورقد فى إحدى الزوايا ، وبعد أن دون أفلاكى هذه المعلومة نجده لم يبحث قط فى شخصية أرجون جلبى . وإذا كان صحيحا أن وفاة برهان الدين جلبى بن أرجون جلبى كانت فى عام ١٣٩٥ م فإن جلبى يكون قد توفى فى القرن الرابع عشر الميلادى ، ويستطرد ثاقب دده قائلا : أن شمس تبريزى أعطى أرجون جلبى تاجا ذا سبعة سُرُج ، كما أنه كان يرتدى قلنسوة المولوية فى كوتاهية أو تاج شمس تارة أخرى (ص : ٦٠ - ٦١) ، وكما عثر فى صندوقه على تاج شمس تحت قلنسوته المولوية (ص : ٦٢) . ويدون ثاقب دده شعرا ديجه جلال أركون جلبى يتألف من أربعين بيتا ومنظوما فى طرز المثنوى ، ويسمى هذا الشعر « كنج نامه » أى رسالة الكنز (ص ٦٧ - ٦٨) ، ويردف قائلا : إننا إذا تناولنا هذا الشعر بفصه ونصه ألفينا بين ثناياه بيتا يتحدث عن الإنسان الكامل حيث يقول : -

سزادر مولوى وشن رقص ابدرسه فسائزى هردم

كه سرى سربه مهردهره اولشن حامل ومحرم

والمعنى :

لو أن فائزى رقص كل حين مثل المولوى

أليق به أن يكون حاملا لسر محبة الدهر والزمان

(السفينة : ص ٦٧) . وهذا الشعر ورد فى شأن شاعر يسمى فائزى ، وهذا
يثير فىنا شبهة صحيحة لا مرأء فيها^(٢٤) ، وله أبيات أخرى يذكر فيها بجلاء أن هذا
الشاعر المشار إليه هو من المنتسبين إلى الشيخ « يوسف سینه جاك » أحد شيوخ
المولوية فى القرن السادس عشر الميلادى .

يقول فائزى فى شعره :

شكسته جرح تدبیرات ايله دهلیز صورتده

أولوب اينه دار شمس دين أفلاك سيسرنده

هلال سیبه جاك ابتدى يعنى فائزى نكاهى

خلافت بزمینه شمع سعاى أوجنك ما هی

والمعنى :

إن تدبیر الفلك الدوار كامن فى دهلیز الصورة

ومرآة شمس الدين تكون فى فلك الصورة

وهذا يعنى أن هذا فیض نظرة سینه جاك

وهو قمر أوج سعادة شمع مجلس الخلافة

ثم ينتقل إلى بیت آخر قبیل البيت الأخير من شعره ، وهو بیت إما أن يكون
مادحا به أرجون جلبى ثم غیر وبدل فیما بعد ، وإما ألا يكون ثمة وجود يذكر لهذا البيت
بین ثنایا أشعاره ، ثم انتحل وأضيف فیما بعد (ص : ٦٨) ، يقول هذا البيت :

بحمد الله خراب عشق مولانا أولوب اركون

جوشا دكنج كنجه تندن اولدى حاغز ممنون

والمعنى :

الحمد لله فقد تحطم ارجون بعشق مولانا

وأصحبت روحنا مسرورة من زاوية الكنز المفتوح

والأقوال الماثورة وهى جميعا تشرح التصوف والأخلاق بالعربية والفارسية

وحاشاه أن يترجم هذه الأقوال الماثورة بالأداء المصطلح عليه (ص ٦٨ - ٧٥) .

ونحن نرتاب فى نسبة هذه الأقوال الماثورة إلى أرجون جلبى والتى يقول ثاقب

دده عنها : إنها زاخرة بالمجازات والزخارف اللفظية ، وذات سجع مطرد ، متكلفة

مصطنعة مكتوبة بلغة مشوشة مضطربة ملقفة مزيفة كما ذكر ثاقب دده أن هذا

الكتاب يتضمن دقائق ومعلومات تخص طقوس وشعائر المولوية ، كما أنه ينسب إلى

جلال الدين أرجون جلبى رسالة تسمى « إشارة البشر مستنبطة من الحكم الثمانى

عشرة (ص ٧٧ - ٨٣) ولكن الأسلوب برمته هو أسلوب ثاقب دده ، وفضلا عن هذا

فإنه يدرك بجلاء تام أن هذ الرسالة قد دبجت وأخذت شكلها الأخير بعد مقابلته

مولانا ، ومن فهذه الرسالة لا تمت بصلة إلى أركون ، ومن المحتمل أن تكون

لشخص آخر غيره ، ولربما كانت أقدم رسالة ترجع إلى هذه المقابلة ، ولكن إذا

ضاهينا ما وقع فى أيدي ثاقب دده بلغة السفينة فإن أصلها حينئذ لا يعرف ألبتة ،

وقد ورد فى السفينة كذلك أن أركون جلبى قد أحل ولده برهان الدين إلياس محله

قبيل انقضاء أجله (ص ٩٧ - ٩٩) .

أما زين الدين جلبى بن إلياس باشا أوغلو شاه ملك فقد حل محل برهان الدين

إلياس جلبى الذى يعد شاعرا مجيدا من شعراء الديون (ص : ١٠٢) ، وأنشأ زين

الدين هذا التكية الأرجونية التي هي بمثابة المركز الثالث للمولوية بعد كل من قونية وقره حصار ، أما كوتاهية فإنها تتبوأ مكانة مهمة فى تاريخ المولوية .

يوسف سينه جاك :

هو سنان الدين يوسف سينه جاك من منطقة تسمى « يانى جوردار » وهو أخو الشاعر خير الدين ، ويقول عاشق وحسن جلبى كلاهما إنه انتسب فى أول الأمر إلى حاشنى ، ثم انضم إلى طبقة العلماء ، ثم انتسب بعد ذلك إلى الطريقة المولوية ، يقول فى بيت من أشعاره :

شه جلشنى به يوسف يلر له أوله ذلك قول

سلطان عشق أولوين كشف ايلمه دى رازى

(جامعة إستانبول ، رقم ٨٨٤ ، دورية ١٥٤) .

والمعنى :

لا تكن عبدا يا يوسف للشيخ جلشنى بضع سنين

فإنه لم يكشف بعد سر سلطان العشق

ويقول فى غزلية أخرى مبينا انتسابه إلى جلشنى (١٧١)

أوله بين كلشنى به جنان وكلدن بنده

مصر عشق ابجره بو يوسف كى سلطان والمز

والمعنى :

أنا لست عبد لجلشنى من الروح والفؤاد

فلا سلطان مثل يوسف داخل عشق مصر

وهو بهذا يبين صدق وصواب هذا الحكم ، أما تكوينه المولوى بعد ذلك ، وارتباطه الوثيق العرى بمولانا فيدرك بجلاء من سائر أشعاره التى فى حوزتنا . تقول السفينة : إن يوسف سینه جاك عين شيخا على التكية المولوية فى أدرنة وفى ذلك الإبان امتدت يد الوالى على أوقاف التكية المولوية ، ولما اعترض سینه جاك على ذلك ، أقدم الوالى على قتل أحد الأشخاص وألقى به فى التكية ، وحينئذ اضطر سینه جاك إلى الرحيل وولى وجهه شطر إستانبول ، وفيها حل ضيفا فى منطقة سولتجه Sultuce الكائنة قبالة منطقة أيوب حيث عاش فيها حتى أخريات عمره ، ثم توفى سنة ٩٥٣ هـ - ١٥٤٦ م ، ودفن فى الجهة اليسرى من الطريق المؤدية إلى المتنزه المسمى جعفر آباد^(٢٥) .

يقول عاشق جلبى : إنه فى اليوم العاشر من شهر المحرم لسنة ٩٥٤ هـ - ١٥٤٧ م قدم تلميذ سینه جاك ويدعى شورى فى معية المولوية .

وانطلقوا بقضهم وقضيضهم إلى جعفر آباد وطفقوا ينثرون النقود على أولئك المجتمعين من أكابر إستانبول ووجهائها .

ثم أخذوا بعد ذلك فى طهى الطعام والعاشورة وهم ينشدون السماع ، ثم انشغلوا بعد حين بحلق رءوسهم وتخطيط رءوسهم وصدورهم بالموسى وإراقة دمائهم ، ثم طفق الشعراء فى هذا المجلس يكتبون الأشعار من أجل حفر قبر سینه جاك ، ويحيطنوا عاشق جلبى علما بأن ثمة بيتا من هذه الأشعار كتبه شاعر يدعى عارف ، حاز إعجابه واستحسانه ويقول فى هذا البيت :

غريم ييم سيئه جاكيم دردناكيم

سراسر روح باكيم كرجه حاكم

والمعنى :

أنا سینه جاك الغرب المتألم الحزين

لا جرم أن روحى الطاهرة تحكمنى برمنى

ويدون عاشق جلبى ما يفيد بأن سيئه جاك كان له ولد فى أدنة يسمى جيهان
بالى يحبه حبا جما ، بيد أن أباه غرق فى لجة الحداد والأحزان لمقتل هذا الشاب
الفتى ثم نظم مرثية فى هذه الفاجعة ، ثم صار عاشقا لشيطان زاده حسين جلبى
عقب رحيل ولده جيهان بلى ويضيف عاشق جلبى قائلا : إنه قضى عمره بعد ذلك فى
السياحة والترحال .

وورد فى السفينة أن يوسف سيئه جاك مكث حيناً من الدهر فى تكية المولوية
بالقدس ثم ولى وجهه بعد ذلك شطر كربلاء ، وزار الأئمة الاثنى عشر واحدا تلو
الآخر ، ثم واصل سيره حتى بلغ مدينة مشهد بغية زيارة الإمام الرضا (ج ٢ ،
ص : ٢٠ - ٢١) . اضطلع سيئه جاك بتدبيق أثرين هما : جزيرة المثنوى ،
ومنتخبات رباب نامه ، أما جزيرة المثنوى فقد ألفت من مختارات المثنوى وبلغت
ثلاثمائة وستة وستين بيتا ، بيد أن هذه المنتخبات تضم بين ثناياها أفكارا جمّة من
ناحية الشرح والمعنى ، ومن ثم فقد جاءت على هذه الشاكلة أثرا صغيرا وكان هذا
الكتاب الملمع إليه معروفا ومشهورا بين ظهرانى المولوية منذ تاريخ تأليفه ، واضطلع
الشيخ البغدادي « علمى دده » شيخ التكية المولوية فى الشام (ت ١٠٧١ - ١٠٧٢ هـ
= ١٦٦١ م) بنشرها بالتركية ، ثم اضطلع الشاعر غالب دده شيخ غلطة
(ت ١٧٩٩ م) بشرحه مرة ثانية بالتركية .

كانت الشروح الأولى لجزيرة المثنوى بعنوان « لمعات بحر المعنوى بشرح جزيرة
المثنوى وكتب هذا الشرح سنة ١٠١٣ هـ = ١٦٠٤ م ، ومسجل تحت رقم ٢٣٣٤ بين
ثنايا المخطوطات التركية فى جامعة إستانبول ، أما الشرح الثانى لجزيرة المثنوى فهو
فى حوزة شخص يدعى عبد الحليم أحد خلفاء شيخ يسمى « سوارى مقابلة قلمى »
أحد المنتسبين إلى الشارح ، وكُتب هذا الشرح عقب وفاة الشارح بعام واحد ، وهو
مدون تحت رقم ٢٢٢٢ ضمن المخطوطات التركية بنفس الجامعة^(٣٦) وقد كتب جعفرى
(ت ١٠٦٥ هـ = ١٦٥٤ = ١٦٥٥ م) منتخبات من الجزاير سماها « شرح
الانتخاب » وشرح جعفر كذلك الأربعين بيتا التى اختارها فى خمسة أبيات تركية

وعلى نفس الوزن ، وقد طبع هذا الشرح بمطبعة « تقويم خاتنه أميرة » سنة ١٢٦٩ هـ
١٨٥٢ = ١٨٥٣ م باسم « حل التحقيقات » وثمة شرح آخر للجزيرة اضطلع به شارح
القصوص عبد الله المثنوي « ت ١٥٠٤ هـ = ١٦٤٤ م » وهو من كبراء الطريقة الملامية
الحمزية .

وهذا الشرح مدون تحت رقم ٥٢٨ ضمن كتب نافذ باشا أما أشعار يوسف
سبته جاك فتدل على أنه كان إنسانا متطرفا في عقيدة وحدة الوجود مستمسكا
بالعقائد الحروفية ، وهو علوى المذهب وسوف لا تصر كثيرا في هذا الصدد على
إيراد شعاره هاهنا لأننا سوف نقدم في خاتمة كتابنا أشعاره التي تسنى لنا جمعها
من مختلف الدوريات هذا وقد زعم عاشق جليبي أنه من الحروفية ، ويتوجب علينا أن
نذكر في هذا السياق أنه كان من شعراء الديوان الأكفاء من ناحية المقدرة الفنية
والوصف والجمال على حد سواء .

وهناك خطاب موجود بين ثنايا آثاره وفي تذكره أسرار دده ، وفي هذا
الخطاب ما يدل على أنه قد سار في طريق ديوانه محمد جليبي ، وبدونك ما ورد في
الخطاب شعرا :

بو غم بازار نيك رسواى عـامى

مـلامت بزمـستك بى نـنك ونامى

مـحبـت شـنـهـرتك فـرد غـريـبى

مـودت كلـشـنى نـك عـند لـيـبى

مـلامت خـائـفا هـى نـك مـقـيـمى

نـدامت بـادشـا هـتـيـك نـدعى

اـشـكـيـك ايلـزىـنـك خـسـار وـزارى

آتـك آبا غـيـك كـمـتـر غـبارى

باش أجيق باكين آياق ياقساس جاك

برایش كلمز الندن جهره س خاك

رده مهرنده شول بر ذره خاك ك

فقير وبى نوا اوسينه جاكك

والمعنى :

إن سوق الهموم فضيحة عامة

ومجلس الملامة لا شهرة له ولا شأن

هو رجل غريب فى مدينة المحبة

وعندليب روضة المودة

وأنا أحقر من غبار حصان قدمى

حاسر الرأس حافى القدم ممزق الطوق

وجهه مغبر لا يرجى منه خير

وذرة ترابك فى طريق المحبة

مقيم فى صومعة الملامة

ونديم سلطان الندامنة

محقر ذليل على عتبة الكلاب

وأحقر من غبار قدم جوادى

حاسر الرأس ، حافى القدمين ممزق الطوق

مغبر الوجه لا يرجى منه خير

إنه ذرة تراب فى طريق المودة والعشـق

إنه يوسف جاك الفـقير المـعدم

وله ألفاظ أخرى تتم عن مذهبه ومشربه ، وتذكر أنه كان قلندريا مولويا ، ومنها قوله « القلندرى موجود ، والعالم بأسره فان ، وقد تطهر ونقى من شعر الكون ، وهو كالفراشة طالب للفناء ، راغب تواق للهلاك ويقول أسرار دده : إنه قد ورد فى الخطاب المكتوب إلى جلبى إبان عصره ما يميظ اللثام عن شخصية سيـنه جاك الموسومة بالقناعة والرضا والاستغناء .

الطائفة التى نشأها ورباها يوسف سيـنه جاك :

ومنهم الشاعر جُناهى حسن الذى اتخذ من سلانك مستقرا له ، وهناك كذلك الشاعر عارفى (ت ١٥٥١ = ١٥٥٢ م = ٩٥٨ = ٩٥٩ هـ) ، وهو الذى دون تاريخ وفاة جلشنى ولا جرم أنه صاحب البيت الشعرى الجميل المنقوش فوق القبر ، وهو من أولئك الشعراء الذين نشأهم سيـنه جاك وتعهدهم بالتربية ، وممن ذكرهم عاشق جلبى أيضا « شهرلى شورى » الذى سلك سبيل أرباب الطريقة الملامتية ، وكان يمارس السماع عازفا للعود ، ويتغنى أحيانا دون عزف العود ثم خرج للسياحة والترحال ، وطوف بأرجاء مكة والمدينة ومصر والشام وحلب حتى بلغ درجة التمكين والوقار ورباطة الجأش فى أخريات عمره ، ثم تولى بعد ذلك مشيخة تكية المحبة بعد سيـنه جاك ، وهو من المنتسبين إليه .

وممن ذكرهم حسن جلبى كذلك : صولاق حسن الإستانبولى الذى كان جميل الطلعة إبان فنائه وشرخ صباه ، فابتلى بحبه كثير من الناس ، واشتهر بلقب صولاق حسنى ، لأن الذى نشأ وتعده بالتربية أحد العسران^(٢٧) Solaklar

وإذا ما نظرنا إلى رياضى صاحب التذكرة ألقيناه يقول : إن ثمة من يدعى استنانبول حسن الذى أصبح درويشا صوفيا إبان وجوده فى مدينة « ينى شرى » وبسبب مخلصه اختلطت أشعاره بأشعار ديوانه محمد جلبى ، وقد توفى إستانبولى

حسن سماعى فى سنة ١٥٨٥ - ١٥٨٦ م = ٩٩٣ - ٩٩٤ هـ ، ومن المحتمل أن يكون قد التقى مع يوسف سینه جاك وظل رازحا تحت تأثيره ونفوذه .

ومما لا مرية فيه أن شعراء المولوية قد قضوا شطرا مهما من أعمارهم فى السياحة والترحال ، ومن ثم فقد بات لهم تأثير كبير فى أولئك الذين يدركون هذا من شعرهم على وجه الخصوص ، كما أنهم نشروا المولوية وأذاعوا شهرتها وعرفوا بها فى المواضع التى يمموا وجوههم شطرها .

الهوامش

(١) وحمله ما لها منه الحقوق الداخلية فيها والخارجية منها ، سوى المقابر والمساجد والطرق ، وكانت أملاك الأمير عارف الواقف مخزن الأسرار الربانية ومعدن الأنوار الصمدانية محمد بن محمد بهاء الدين ولد ابن جلال الدين البلجي قدس سره العزيز تملك الأمير الخطير الأعظم والمستتر الأعدل الأفخم يعقوب خان بن كرميان عيشير نور الله مضجعه ، كذا شهد الشهود المذكورون (إسماعيل حقي أوزون جار شيلي : مدينة كوتاهية - نشریات : نظارة المعارف - إستانبول ١٩٢٢ - ص ٤١ . ويسجل أوزون جار شيلي في نفس الصحيفة أن المولوية كانوا يطلقون على هذا الوقف : سلطان ديوانى وقفى .

(٢) انظر : مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية . ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٣) الشق الثانى : محمد جلبى بن خضر شاه ديوانه محمد جلبى بن بالى حلبى بن أحمد باشا ابن محمد باشا بن خضر باشا بن مطهرة خاتون بنت سلطان ولد بن حضرت مولانا قدس الله سرهم . وقد اقتبست هذه الشجرة بعينها من النسخة المذكورة عندما كنت فى قونية ، بيد أننى أخطأت فى بعض المواضع نتيجة العجلة ، ولم أكتب رقم الصحيفة ، ورجعت فى ذلك إلى مدير المتحف السيد محمد زكى أوران فأجابنى من فوره قبيل مرور وقت طويل ، وتفضلوا وأرسلوا إلى أرقام الصفحة بعينها مدونا فيها أن المسمى كمال الدين قد التقى مع أصدقائه ، وإنى أزجى لهم خليل شكرى وجزيل عرقانى .

(٤) تذكر السفينة كذلك أن يعقوب بك بن سليمان شاه قد قتله العثمانيون بعد الغارة التى شنها بكتمور وأن ابنته تزوجت قبل حين بالسلطان بايزيد « يلدریم » الصاعقة (ت ١٤٠٣ م) وولدت له كلا من موسى وعيسى جلبى ، ولما كان نسب هؤلاء من ناحية الأم ينحدر من سلالة مولانا ، فإنهم كانوا يلقبون بلقب جلبى (ص ٥ ، ٤) ، ولكن يعقوب واقته المنية سنة ١٤٢٨ م ، أما البنت التى نكحت بلديرم فليست ابنة يعقوب بك ، بل هى شقيقته (نقش القبر - مدينة كوتاهية ، ص ٤٩) ، وهذه السيدة هى أم السلطان محمد الأول ، وتوفيت فى أواخر عام ١٤١٤ م ، أو فى أوائل عام ١٤١٥ م الموافق لشهر شوال لسنة ٨١٨ هـ . وهكذا نرى أن المعلومات التى قدمها ثاقب دده لا يمكن التعويل عليها .

(٥) هذه الأرقام ترجع إلى أيام إدارة يوسف آق يورت للمتحف .

(٦) ترجمتنا ح ١ ، سنة ١٩٤٢ م ، حيث يوجد توقيع جلبى بالصحيفة الموجودة لهذه الوثيقة بين ثنايا الصور الضوئية (الفوتوغرافية) .

(٧) هو شاهدهى المتوفى سنة ١٥٥٠ م - ٩٥٧ هـ ، وكتب روضة الأسرار فى سنة ١٥٤٤ م - ٩٥٨ هـ .

(٨) اقتبس أسرار دده اسم هذا الشخص من كلشن أسرار « ونقله فى تذكرته » .

(٩) تحتوى على شجرة نسب ديوانه محمد جلبى ، وتوجد سبعة فروع فى السلسلة التى بحثناها آنفا ، وتحمل عنوان « الشجرة الأولى من الشق الثانى ، وهامى ذى شجرة النسب :

« حيدر جلبى بن محمد جلبى بن عائشة خاتون بنت باشا جلبى ابن أمير عادل جلبى بن أحمد باشا ابن حضر باشا بن مطهرة خاتون بنت سلطان ولد بن حضرة مولانا قدس الله سريهم » ويتبين من هذا أن باشا جلبى هو والد ديوانه محمد جلبى أو هو ابن أمير عادل جلبى أخو بالى جلبى وكلاهما أولاد عم .

(١٠) سبق أن ذكره أسرار دده باسم درويش شياى ، ويسمى كذلك شيداى ، أما كلمة كوجك Kogek فإنها تطلق على الدرويش الموجود تحت التربية والذى يضطلع بخدمة الشيخ ، وعلى الدرويش الشاب الذى يتعهد بالتربية وينتسب إلى الشيخ حديثا ومن أسف أننا لا نعلم شيئا حتى الآن عن معرف أوغلو أو عن مؤلفه .

(١١) يار در آخر زمان كرى طرب سازلى - باطن وجد جد ظاهر بازای .

كان المرحوم رمزى أفندى هو آخر شيخ على التكية المولوية فى اسكوداد ، وقد كتب هذا البيت فى دورية الشيخ أنيس دده المولوى الموجود فى أدرنة (١٧٣٤ م - ١١٤٧ هـ) ، وقد أمر مولانا بكتابة هذا البيت فى حق ديوانه أفندى ومعناه : نحن نحس بالفقراء ، وقد كتبت هذه العبارة « بيرما حضر مولانا مرمود أبیه بيت درحق ديوانه أفندى » ازربان فقر أجونين شيدم .

(١٢) بيكشتم من مريدا ونجونان بير ١ سكه كوركينشن بخر باشداز شير

نيود ممكن حد تفصيل بيانشن ١ نمودم شمه با عاشقانشن

(١٣) رسيد أبى شاهدى ايام بيى ١ شوى هفتاد وششن ساله غير (B ، ٤) .

(١٤) سوف نبحت كلمة التتورة فيما بعد ، وهى لباس ذبولة ثقيلة واسعة طويلة ، أعلاها خفيف دون أكمام ، وهى جلاب مفتوح حتى السرة ، وهى لباس الحروفية والقلندرية ، تعتقد أنها بدون أكمام ومن شعر الغنم ، وتصنع كذلك من الكتان أو الصوف والشاعر نسيمى يسمى غزلية فارسية رديفها كلمة Kerepek كيه نك أى شعر الغنم (اللباد) ، (إستانبول : تقويم الوقائع سنة ١٣٢٠ م ، ص ٢٨) . وكان دقاقين زاده أحمد بك من القلندرية (ت ١٥٥٦ - ١٥٥٧) وتتكون هذه الغزلية من اثني عشر بيتا (النسخة المخطوطة التى فى حوزتنا ، ص ٦٤ - ٦٥) .

(١٥) رواية شرب الخمر فوق الصندوق هى ما سمعه شاهدى ، ولا وجود لها عند ثاقب دده ، ولربما أخفاها .

(١٦) تفيد الرواية أنه كان حيا فى عام ١٥٤٤ م ، ومن ثم فإننا نعتقد بوجوب أن تكون هذه الزيارة إبان حياته أى فى عام ١٥٤٤

(١٧) يرقد الإمام الأول فى النجف وهو على كرم الله وجهه (ت ٦٦١ هـ) والإمام الثانى فى كربلاء وهو الحسين (ت ٨٨ هـ) والإمام السابع فى بغداد وهو موسى الكاظم (ت ٧٩٩ هـ) ، والتاسع هو محمد التقى الجواد (ت ٨٣٠ هـ) والعاشر فى سامراء وهو على الهادى (ت ٨٦٨ هـ) والحادى عشر هو حسن العسكرى (ت ١٨٧٤ م) ، أما الإمام الثانى عشر حتى الإمام الأخير منهم جميعا فى قبر حسن العسكرى ، وكذلك سرداب المهدي المفقود .

(١٨) چشم كه اذی درگاه رضا مهجور است ١ كرجستم خورشید شودبی نوراست .

جانی كه باخديت سيورد خلعہ باكوش ١ دردائرة عين كرم محشور است

(السفينة ج ١ ، ص ٢٢٠) .

(١٩) يوجد هذا بين ثنايا الروايات التي سمعها شامدي، بيد أنه لم يذكر اسم الجامع

(٢٠) أي قافلة قلعة طاعت كما يد ١ اندر حرم قبله حاجات بيايد

سيارة باكر دسرو كردافوس ١ جيل حالة دريته خيالات شمايد

وهذه الأبيات نظيرة لإحدى غزليات مولانا . انظر : مولانا جلال الدين - الطابعة - ص : ٢٢٣ وملاحظة رقم ٦٤ . وقد أشارت السفينة إلى هذه الأبيات (ص : ٣٨) .

(٢١) ولي الدين أوغلو إسكندر باشا هو الذي أسس التكية المولوية في غلطة (قول قابيسي) ، وأوقف عليها حديقته ، كما شيد مسجداً في إستانبول بمنطقة صارى كوزل ، ودفن بمنطقة فيزه (حديقة الجوامع - ج ١ ، ص ٦٩) . أما وقفية هذا المسجد فموجودة في أرشيف الأوقاف ، ومدينة تحت رقم H-de ٨٩٧ (١٤٩١ م) في وقفية التكية المولوية في غلطة ، وثمة مزرعة بمنطقة قرية بوجوك وهي إحدى مقاطعات فيزه الملحقة بأذنة بمنطقة الروملی ، وهي مسجلة وموقوفة على التكية المولوية . وتوفي إسكندر باشا سنة ٩١٢ هـ (١٥٠٥ - ١٥٠٦ م) في البوسنة وورد في حديقة الجوامع خلط بين إسكندر باشا هذا وبين الإسكندر الموجود في بستان باشی الذي بنى مسجد قانليجة إبان عصر القانوني (ج ٢ ، ص ٤٢ ، ١٥٨) ، ولم يأخذ أحمد نوري أبو السعود كل هذه المعلومات ، ونحن مدينون للكتاب المسمى « التكية المولوية في غلطة من ناحية الملاحظات الأدبية والتاريخية في حق التكايا المولوية في إستانبول » (ما ورد في النسخة ذاتها ٤٣٠ وما بعدها ، الوقفيات الأصلية مع الوقفيات الأخرى ، ص ٢٢٥ وما بعدها .

(٢٢) هي بالتركية Kaos وبالإجليزية chaas ، وتعني الشواش ، أو اللا تكون وهي حالة الكون المختلط قبل تكوينه وهي المادة اللا متشكلة المفروض أنها سبقت الكون (المترجم) .

(٢٣) وأصله قوله :

ناد عليا مظهر العجائب ١ تجده عوناً لك في النوائب

كل هم وغم سيتجلى ١ بولايتك يا علي يا علي

وهذا ما رواه دعبيل الخزاعي المعاصر للإمام الرضا (توفي دعبيل الخزاعي سنة ٨٦٠ م) ، وقد أضافوا بعد ذلك إلى الأبيات ألفاظاً متباينة وكلمات ذوات تركيب فارسي لا يتفق مع العربية ، كما أضيفت كذلك أبيات تركية ، ويوجد اصطلاح « ناد عليها » ضمن الأوراد التي ينشدها البكتاشية صباح مساء . وفي إيران عندما يقولون لواحد من أهل الله لماذا لا تصلي فيقول « من ناد عليا ميخونم كه بدر نمازه » ومعناه : أنتي أنشد ناد عليا فإنه أبو الصلاة ، وهذه من نوادر الشعب .

(٢٤) ما شاهبا رحضرت أورقلندرم ١ خاص ازيرای آل بيغمبر قلندرم (تذكرة أسرار)

أما المقصودة بالثمانية والأربعة : فإنهم شعراء الإمامية الاثنا عشر ، ويذكرون هؤلاء الاثنا عشر على

هذا النحو هذه الأكثرية بسبب الوزن . أما اصطلاح اثنين وستة فهو إشارة كذلك إلى الأئمة الاثنى عشر ، وأما الاثنان والسبعون شهيدا فهم أولئك الشهداء الذين استشهدوا في كربلاء مع الإمام الحسين ، وعدد شهداء كربلاء مائة شهيد ، ولكن الظاهر منهم هو أسماء اثنين وثمانين شهيدا ، ورغم هذا فإن القول يقف عند كونهم « اثنين وسبعين شهيدا » .

(٢٥) ورد في حديقة الجوامع أن شيدا دده توفي سنة ١٨٣٠ م . وموجود بين ثنايا الراقدين في حياته التكية المولوية في غلطة ، وعلى كل حال فإن هذا الشخص هو شيدا دده (ج ٢ ، ص ٤٨) .

(٢٦) إذا كان أسرار دده يكتب أن صفائي أدركته المنية في عام وفاة ديوانه محمد جلبى أى سنة ٩٣٦ هـ - ١٥٢٩ - ١٥٣٠ م ، فإن هذا التاريخ خاطئ من أساسه .

(٢٧) ورد ذكر اسم صفائي عند أسرار دده ، ويكتب سهى في تذكرته أنه كان ماهرا في علم الخرائط والملاحة البحرية ، وكان شيخا على البحارة الذين كانوا يقدمون له النذر والهدايا ، وقد ألف مثنويا من عشرة آلاف بيت نظمها في الحروب البحرية التي خاضها كمال رئيس ، ومات عن عمر يناهز مائة وعشر سنوات ، ويسجل سهى كذلك أنه دفن في منزله على مقربة من الترسانات البحرية في مدينة غلطة (تذكره سهى : إستانبول - مطبعة أمدي : سنة ١٣٢٥ م ، ص : ٧٢) . ويذكر أسرار دده أن صفائي توفي سنة ١٥٣٣ م ولما كان منتسبا إلى إسكندر باشا فإنه أصبح في معيته درويشا للشيخ محمد جلبى الذى عينة شيخا على منطقة غلطة ، وعند وفاته دفن في المقبرة التى شيدها اسكندر باشا من أجل أخته . أما عاشق وحسن جلبى كلاهما ، فيكتبان أنه كان شيخا على التكية التى شيدها اسكندر باشا ، ويدون رياضى أنه توفي الأزمنة الأولى من عصر سليم الأول ، أى فى عام ١٥١٢ م ، أو فى الأعوام التى أعقبت هذا التاريخ . ويذكر كل من صاحب « المؤلفون العثمانيون » ، ومؤلف « فتح نامه » أن صفائي كان شيخا على التكية التى شيدها اسكندر باشا على مقربة من منطقة « أوق ميدانى » ويقولان بأنه دفن فيها دون التصريح بالمصدر الدال على ذلك (ج ٢ ، إستانبول - المطبعة الأميرية سنة ١٣٤٢ م ، ص ٨٠) ، وتذكر حديقة الجوامع أن قارىء المثنوى محمود دده صار شيخا على تكية غلطة بعد محمد جلبى (ج ٢٢ ، ص ٤٢ - ٤٣) . وورد هذا أيضا فى سلسلة النسب التى صنفها حسين فخر الدين دده ، وهذا يعنى أن محمد دده كان موجودا بعد ديوانه محمد جلبى وليس صفائي . أ يوجد حقا شخصان يحملان اسم صفائي ؟

وعلى كل حال فإن كلا من عاشق وحسن جلبى كانا مخطئين فيما صرحا به من وجود التكية فى غلطة .

(٢٨) هو بائع الزبادى Yogurtcu

(٢٩) وقفنا على ما ذكرته هذه النسخة من أن اسمه هو سوتلجة سعدى شيخى ظاهر أفندى .

(٣٠) من أجل الوقوف على أن هذا الشخص من البابيلر ، « انظر كتابنا » يوتس أمره وحياته ،

إستانبول سنة ١٩٣٦ ن ، مكتبة أقبال ، ص ٥٦ - ٦١ ، ١٠ ، ٦٥ - ١٣٩ - ١٩٢ - ١٩٦ - ٢٦٦ - ٢٧٠ - ٢٧٣

(٣١) انظر : إسماعيل حقى أوزون جار شيلى : مدينة كوتاهية : إستانبول ، مطبوعات الدولة سنة

١٩٣٢ النقوش الواردة فى الصفحة الأولى .

(٣٢) انظر : جواد تاريخ : تاريخ قيرشهر : مطبعة الولاية ١٩٣٨ ، ص : ١٧٦ .

(٣٣) هذا البيت يعنى : أن الشخص الذى يستحوذ عليه يكون فى مكانه مثل رقصة المولوية ، لأنه حينئذ يكون قد استحوذ على سر الزمان المبهم المغمز ، أعلاه مختوم ، ويكن أن يفهم كذلك .

أنه أصبح صفيه ونجيه على هذه الشاكلة ، وهذا فى رأينا توجيه بعيد ولا نعلم من يكون فائزى هذا .

(٣٤) شيد هذه التكية فى سوتلوحه واحد من رجالات سليمان القانونى يدعى جعفر ، وبهذه المناسبة سميت المنطقة المجاورة باسم جعفر آباد ، وقد أوقف القانونى على هذه التكية مراجل وأوعية قيمة ، كما يوجد على جدرانها نقوش وصور بلغت حدا فائقا من الروعة والجمال ، ونظرا لاسمها الإيرانى فقد كنا نعتقد أن النقاش أغا رضا قد اضطلع برسم صورة ظبى فائق الجمال على إحدى الصخور الكبيرة فى مكان مجاور لها ، ومن المحتمل أن تكون هذه الصورة حلية معمارية ناتئة (أوليا جلى : إستانبول - مطبعة أقدام سنة ١٣١٤ م - ج ١ ، ص ٤١٠) ، كما دفن الشاعر الإيرانى حبيبى بجوار هذه التكية إنقاذا لوصيته ، وهو من شعراء القرن السادس عشر الميلادى ومن أتباع المذهب الجعفرى ، ويقول أوليا جلى : إن القائلين بأنه دفن فى جعفر آباد يرجعون ذلك إلى كونه جعفرى المذهب (ص : ٤١١) ، ونذكر من حديقة الجوامع كذلك أن ثمة تكية شيدتها فى هذه الناحية شيخ الإسلام « داهاد زاده فيض الله » (ت ١٠٧٦١ م) ، ثم ألت هذه التكية بعد ذلك إلى يد اليكتاشية (ج ١ ، ص ٣٠٥) ، ثم شيد حاصرى زاده حاجى مصطفى عزيزى وهو من مدينة سعدية تكية سميت باسم هذه المدينة (نفس الصحيفة) . أما قبر يوسف سينه جاك فيثوى أسفل هذه التكية .

(٣٥) إذا كان قد قيل إن ليوسف سينه جاك قصيدة تسمى النظرية المحمدية (عثمانلى مؤلفارى ، ج ١ ، ص ٨ ، وهى مدونة فى مخطوطة قديمة بجامعة إستانبول تحت رقم ٥٧٠ ضمن المخطوطات التركية ، فإن اسم يوسف (٧ A - بيت رقم ٥) ما هو إلا اسم شاعر تخلص بأبدى (٢٨٢ ، بيت رقم ٣ من أسفل) ، وهو ينتسب إلى الطريقة الخلوتية (٣٧٩ B) ، وله كتاب يسمى « رهنما » يخص هذه الطريقة ، وكتاب آخر يسمى « أداب الطالبين » يخص أدابها (٣٧٩ A) ، وكتب هذا الكتاب شخص آخر من أنقرة (٣٧٩ B ، البيت الأول) ، وقد صنف هذا الكتاب مستفيدا من كتب الحديث والتفسير متخذا من المحمدية أساسا له ، وليس لهذا الكتاب أية علاقة بيوسف سينه جاك البتة .

(٣٦) العسران : جمع الأعسر ، وهو من كانت قوته فى شماله ، ويعرف فى التركية باسم Solak (المترجم) .

الفصل السابع

الذين نشروا المولوية بمؤلفاتهم وآثارهم

مجد الدين فريدون ورسالته - أفلاكي ومناقب العارفين - شاهدي - حياته -
آثاره - شجره وفارسيته - شراح المتنوى والذين اضطلعوا بوضع مقتطفات أدبية
مختارة من المتنوى .

مجد الدين فريدون ورسالته :

مما يؤسف له أنه لم يتسن لنا أن نحيط علما بسائر الدقائق والتفاصيل التي
تتصل بالسيرة الذاتية لمجد الدين فريدون ، وهو ابن شخص يدعى أحمد أحد القادة
العسكريين للدولة السلجوقية ، ويقول ثاقب دده : لقد كان مجد الدين إبان شبابه
يغشى مجلس سلطان العلم ولا يزايله ألبته ، ثم أصبح بعد وفاة أبيه رئيسا للجيش
إلى أن صار مريدا لمولانا نابذا خدمة الدولة وراء ظهره ، ويضيف ثاقب دده قائلا :
لقد كان اسمه مقترنا باسم آهى باشا الذى سلف ذكر اسمه فى شهادة الفتوة التي
تحمل تاريخ سنة ١٤٧١ م (جواد تاريم قير شهرى فى التاريخ ١٩٤٨ ، ص ٧٨ - ٨١ ،
وثمة صورة شمسية لشجرة النسب الملحقه فى هذه الطبعة طبعة الكتاب
سنة ١٩٣٨ م) .

كان لمجد الدين أصرة قريبي مع كل من : آهى تورك والد جلى حسام الدين ،
وتزوج فتاة من هاتين العائلتين (ج ٣ ، ص ٣) ويقول سبهسالر : إنه اضطلع بخدمة

مولانا بنفسه مدة أربعين عاما (ترجمة مدحت بهارى : ص ١١) ، وسبهبسالر هذا هو أحد الرواة الأساسيين لأفلاكى . ويقول ثاقب دده : إنه توفى فى السنوات الأولى من خلافة سلطان ولد ، يعنى بعد عام ١٢٨٤ هـ ، ولكنه على كل حال توفى قبيل عام ١٣١٢ هـ ، أى فى حياة سلطان ولد ، ودفن فى الجهة اليسرى لمقبرة علاء الدين جلبى بن مولانا جلال الدين الرومى ، وتكتب السفينة أن ولده جلال الدين انتسب إلى سلطان ولد قبيل وفاة أبيه (ص ٤ - ٥) وجمع سبهبسالر مناقب مولانا فى رسالته المكتوبة بالفارسية والمسماة « رسالة سبهبسالر ومناقب العارفين ، وعلى كل حال فقد اضطلع ابن أفلاكى بإضافة ذيل مختصر إلى هذه المناقب حتى عصر أمير عابد جلبى . واضطلع المستشرق جوانبور Gawnpor بطبع متن رسالة سبهبسالر فى طبعة حجرية سنة ١٣١٩ هـ ، وقد ترجم ما كتبناه فى القسم الثانى من الجزء الخاص بالمدخل إلى التركية مرتين اثنتين ، ثم طبعت هاتان الترجمتان ، واضطلع الشيخ حسن فخر الدين دده شيخ التكية المولوية فى بهارية بترجمة رسالة سبهبسالر شعرا منظوما فى عام ١٩١١ م . أما الترجمة التى رأيناها لبعض المقطوعات قديما ، فلا نعلم على وجه اليقين أين هى اليوم ولن تكون وما المصير الذى آلت إليه ؟

أفلاكى ومناقب العارفين :

لا جرم أن كتاب « مناقب العارفين » بالنسبة لنا بمثابة هدية ذات قيمة ثمينة ، ولا نملك معلومات تتصل بالسيرة الذاتية لأفلاكى ، وقد سجل هذا الكتاب مادة علمية أعانت على تأكيد وتثبيت السير الذاتية لأكابر المولوية ووجهائهم ، كما بحث بين الفينة والآخرى شئون كثير من الأمراء ، وعلى حين نراه يضطلع بذكر كثير من الوقائع والأحداث التى تجلى التاريخ وتميط اللثام عنه ، نراه يهمل نفسه ويجعلها نسبا منسيا ، حتى أنه لم يتسن لواحد من معاصريه الاضطلاع باستجلاء المعالم الأساسية لحياته فى أقل تقدير ، وعلى سبيل المثال فإنه لم يبرز اسم الكاتب على هامش نسخة مناقب العارفين .

أما ثاقب دده فقد أورد كلاما كثيرا فى شأنه بيد أنه ينأى عن التفصيل والإسهاب (ج ٣ ، ص ٥ - ٨) ويحيطنا ثاقب دده علما بأن أفلاكى هو ابن آهى ناطور ، وتلميذ بدر الدين تبريزى ، وله سياحات ورحلات قطعها فى سبيل تحصيل العلم ، ثم تخلص بمخلص أفلاكى لتقدمه وعلو كعبه فى كثير من العلوم ومنها علم الفلك على وجه الخصوص (ص : ٥) ، كما شاهد استعدادات جنازته بعد أربعين يوما من وفاة أولو عارف جلبى وحفر قبره بإزاء سيهسالر ، ثم تفوه بكلمة « هو » دون مرض أو رقاد ، وسرعان ما أدركته المنية ثم وورى الثرى فى المقبرة التى احتفرها ولا نستطيع أن نحمل أنفسنا على قراءة القسم الأخير من حكمه وأمثاله الفارسية التى استهلها بقوله « أى خطأ يتوجب على تصويبه » وهذا سبب صائب فى اتخاذ أفلاكى لمخلصه هذا هو ما نستشفه غالبا من بين ثنايا هذه المعلومة المشوشة المضطربة . وثمة رواية تقول إنه كان ثمة مرصد فى قونية فوق هضبة علاء الدين ، وأصبح أفلاكى مديرا على هذا المرصد ، أل هذا السبب تخلص أفلاكى بهذا المخلص ؟ أم أن هذه الرواية قد انبثقت فى الوجوه بسبب مخلصه هذا ، إننا لا نستطيع أن نحيط علما بهذا .

وقد ورد فى السفينة كذلك أن اسم آهى ناطور الذى سسمى به أبوه قد انتقل أيضا إلى أفلاكى ، وكان أبوه يعمل فى خدمة حمام بمنطقة كوكوجار Kunkuler وتوفى عن مائة وعشرة أعوام ، كما كان يروى مناقب بهاء الدين ولد المعروف بسلطان العلماء ، ويروى كذلك عن الشيخ محمود صاحبقران ، وكان الشيخ محمود يقول لقد كنا إبان ذلك أطفالا ولسنا فى حاجة إلى القول إن ثاقب دده لم يبحث فى مسألة اختلاف وتباين هذا الرجل عن أبيه ، وفى مقابل هذا فعندما توجه فى معية أولو عارف جلبى من آق شهر إلى مدينة سيواس ، توفى أبوه فى مدينة سراى أثناء وجوده بقصر مالك الأوزبك ، ولما سمع بأن أباه ترك ممتلكات كثيرة ذهب من فوره إلى سيواس دون أن يستأذن جلبى ، ثم حمل كتب أبيه مع بعض أمتعته واعتزم الإياب ، حينئذ استيقظ جلبى من نومه وصاح صيحة وهو يقول لا حاجة بنا إلى هذه الممتلكات ، وبناء عليه وضع أفلاكى رأسه فوق حافر حصان جلبى وقاب إلى ربه وأتاب ثم قال جلبى له : لا تتعقب أثر صيد ما دمت حيا ، ولأكن أنا صيدك . ويتبين

من هذا أن والد أفلاكي كان في قصر ملك الأوزيك^(١) ولكن ما اسمه وما عمله ؟ وهل كان أفلاكي من أهل هذه البلاد ؟ ، إن ثاقب دده لم يدل بمعلومات قط في هذا السبيل . ولا جرم أن البغية التي كان ثاقب دده يتغياها هي تفصيل القول عن عظمة وسمو قدر أولو عارف جلبى وكراماته ، ويحيطنا سببها سالر علما بأنه كان يشتغل بالكيمياء (ص ١٢٨ - ١٢٩) ، ومن المحتمل أن يكون أفلاكي قد تعلم منه الكيمياء ، بيد أن أفلاكي يقول : إنه كان أستاذًا لسراج الدين قارىء المثنوى ، وشريكا في الدرس مع أماسيه لى علاء الدين أحد خلفاء حسام الدين (٢٢١ ، ٢٢٢) . كان أفلاكي شغوفًا من حبة فؤاده بأولو عارف جلبى ويعد كل قول له من قبيل الحكمة ، وكل فعل له من باب الكرامة . وعلى حين كان يبحث بنفسه عن رحلاته وأسفاره ومناقبه فإنه في الوقت عينه لم يبحث عن قدرته وريادته ، كما أنه يدون أخطائه ويناقشها بشيء من التقصير والإهمال ، بيد أننا نعلم كذلك مدى الاعتقاد الجازم عند أفلاكي من هذه الوقائع الآتية :

ذات يوم جاء أحد الصوفية وحل ضيفا في نزل فرقة الانكشارية ، ويقول : إنه مكث مدة طويلة في القدس مضطلعا خلالها بخدمة مقام الخليل إبراهيم عليه السلام .

أما أفلاكي فقد حداه شوق عارم إلى رؤية هذه الأماكن وخدمة مقام خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ، وفي تلك الليلة رأى في منامه أنه دخل جنازة متوجهة إلى مقبرة ، فسأل قائلا من يكون المتوفى ، فأجابوه قائلين : إنه النبي إبراهيم الخليل وقد دفنوه تحت مكتب قراءة المثنوى في المقبرة . وذات يوم ذهب جلبى إلى الحمام ، وبينما كان أفلاكي يكنس حجرته أخذ درهما وجده تحت الوسادة ، ولم يستطع كبح جماح نفسه ، وبعد جهاد كبير أخذ يأكل حبة مشمش واحدة من كأس الخشاف الموجودة في الحجر ، وفهم جلبى كلا الأمرين معا ، وقدم إلى خادمه أفلاكي مزيدا من المال .

ثم يتحدث في رحلته إلى مدينة لادك Ladik بكلام غير منطقي ومناف للعقل .

ولما ذهب إلى كوثاهية ألت به الحمى ، ورقد فى أحد أركان الزاوية ، ولربما كان المرض الذى داهمه سببا فى الكلام الذى تفوه به . وفى النهاية جاء إلى فراش جلىبى الذى أظهر له اللطف والمجاملة ، وما لبث أفلاكى أن نقه من علقته وتحسنت صحته بفضل قوة الإيحاء والإلهام (٢٠٤) . كان لأفلاكى خصوم وأعداء ، وعلى سبيل المثال لا الحصر أننا نرى الشاعر آينه دار أوغلو قد عقد النية على قتله ، وأفصح عن هذه النية فى وجه أفلاكى وفى حضرة جلىبى ، ومن المحتمل أن يكون للحسد والغيرة تأثير مباشر فى هذه الكراهية ، ويفهم من مخاطبة أولو عارف جلىبى لأفلاكى قائلا له « يا شيخ » أنه أخذ الخلافة منه ولم يكن قارئاً للمثنوى فحسب .

ولم يمت أفلاكى بعد أربعين يوما من وفاة جلىبى ، بل مات فى يوم الإثنين وهو اليوم الأخير من شهر رجب لسنة ٦٧١ هـ ، أى بعد أربعين سنة على وجه التقريب ، وهو اليوم الموافق للخامس عشر من شهر يونيو لسنة ١٣٦٠ م ، ولم يدفن فى قبر مجاور لقبر سبهسالار ، بل دفن فى موضع آخر على مقربة منها ، وثمة شاهد قبر موجود فى المقبرة الكائنة بفناء منزل أحد الأشخاص ويدعى طوب باش فى موضع قريب من هذه المقبرة ، ولما تهدم المنزل سنة ١٩٢٩ م أخذت مديرية المتاحف هذا الشاهد ونقلته إلى المقبرة ، وما هى ذى الترجمة التركية للنقش الموجود على الحجر : « الباقي هو الله : هذا قبر أفلاكى العظيم ، الخبير بالمعارف والعلوم هو العالم وحيد عصره ، منقطع النظير فى زمانه والمنسوب إلى أولو عارف جلىبى الذى كان محباله ، فستر أخطائه ، وأبدى له العطف والرحمة ، وقد رحل عن دار الفناء إلى دار البقاء فى يوم الإثنين وهو اليوم الأخير من شهر رجب لسنة ٦٧١ هـ - تغمده الله برحمته ، وتجاوز عن سيئاته (٢) .

وإذا صحت الرواية القائلة بأنه كان قوى الإيمان ، فلماذا إذاً اشتغل بعلم الفلك وبالرياضيات التى هى أصل هذا العلم ؟ لا ندرى لهذا سببا ، وكل ما نعلمه أنه كان رجلا قد ألف الاعتماد على الفكرة الثابتة التى لا تتغير مما جعله يستند فى كثير من الوقائع التى حكاها فى كتابه « مناقب العارفين » إما على خبرته وحنكته الذاتية ،

وإما على روايات الأشخاص الذين يستق بهم ويعول عليهم ، لقد مكث أفلاكي في كنف مولانا وحضرته حقبة مديدة من الزمان ، وأدرك نفرا كثيرا ممن شاهدوا مولانا ، كما كان على مقربة بكثير ممن أدركوا عصر مولانا مثل سلطان ولد وابنته مطهرة خاتون وفاطمة خاتون والدة أولو عارف جلبي ، وقد زاد هذا من قيمة الحكايات التي رواها مستثنين منها تلك الروايات التي لا قبل للعقل بقبولها . وثمة وقائع استهلها بقوله « رويت عن الأشخاص الموثوق بهم ، أو عن الأصحاب الأقدمين » ، وعلى كل فقد كانوا غير معتمدين على رأي بعينه ، ويرجع هذا إلى أن الأشياء التي حكاها في معظمها مرتبطة برواية واحد بعينه أو ببضعة أشخاص بعينهم ، ولا أحد من هؤلاء الرواة يعد مجهولا أو متخيلا على أي وجه من الوجوه . وعلى سبيل المثال فإن جل المعلومات التي ساقها ما هي إلا روايات تتصل بأمراء الأناضول ، كما أنها تتفق مع النقوش من جهة ، وذات قيمة تاريخية واتساق مطرد من جهة أخرى . ويتضمن كتاب أفلاكي فصولا تخص كلا من : سلطان العلماء ومولانا وشمس وصلاح الدين وحسام الدين وسلطان ولد وأولو عارف جلبي . وإذا ما استثنينا بعض الفصول والألقاب والنعوت ألفينا لغة قصصية خالصة ، كما أنه نموذج رائع الجمال للنثر البسيط المتأصل للغة الفارسية . فرغ أفلاكي من تأليف كتاب « مناقب العارفين » في سنة ٧٥٤ هـ - ١٣٥٣ م ، وقد سلف أن قدمنا معلومات عن ترجمات الكتاب والمختصرات المقتبسة منه وذلك في القسم الثاني من الجزء الخاص بمدخل هذا الكتاب وعليه فإننا سوف نعيد تكرارها في هذا المضمار .

شاهدى :

حياته :

ثمة معلومات جد جميلة ساققتها التذاكر في شأن شاهدى إبراهيم دده . أما ثاقب دده صاحب السفينة فقد كتب ما سمعه عنه بطريقة منهجية منظمة ، ولكن لم يتسن له أن يقدم لنا شيئا قط بين ثنايا ألفاظه المحتشدة المتراكمة (ج ٣ ، ص ١٥ - ١٩) .

وقد وردت أخبار مفصلة فى روضة الأسرار تتصل بحياته وحياة أبيه ، ولما كان كتاب روضة الأسرار يتضمن عبارات صريحة تدور حول من يتعاطون المخدرات والمسكرات من المولوية وذلك بحسب ما سمعنا وتيقنا بعد قراءة هذا الكتاب ، فإن تبوء شهادى لمقام الطريقة الشلبيه إبان القرن السابع عشر الميلادى إما أن يكون قد تم محوه وإزالته من هذا الكتاب بأمر شفهى بعد حين ، وإما أننا لم نر شهادى فى هذا الكتاب المختفى ، حتى أننا لايتسنى لنا أن نكون ذوى معلومات جازمة فى حق ديوانه محمد جلبى .

هذا ويرد ذكر شهادى كذلك فى الجزء الأخير من كتاب روضة الأسرار ، وهو جزء لا تنيف أوراقه على ست وعشرين ورقة على وجه التقريب ، وتنحصر هذه الأوراق فى سرد السيرة الذاتية الخاصة به وبأبيه ، ولقائه مع ديوانه محمد جلبى (حالت أفلاكى : القسم الخاص بذييل الكتاب رقم (٧١ - ٧٤ - ٩٧) ويستشف مما روى عن شهادى أن جده كان فقيها حافظا للقرآن الكريم ، مشغولا فى الوقت نفسه بالحرب والقتال ، وانضم إلى كثير من المعارك فى منطقة الروملى وأخيرا ذهب إلى الإقليم العربى حيث حل ضيفا على قرية كافرة ، وفى منتصف الليل أقبلت فتاة بإزاء فراشه فأيقظته ، وسألته قائلة أنت مسلم ؟ وإذا ما قلت إنك مسلم فلسوف أغدو أنا كذلك مسلمة ، وإذا تفوهت بذلك فإنهم سيقتلوننى ، ثم أردفت قائلة : إذا لم تُهربنى من هناك فساكون خصما لك حتى يوم القيامة ، وما لبث جد شهادى أن نهض من فورهِ فأخذ الفتاة فامتطت صهوة جواده ووصلت مصر ، وولد من هذه الفتاة التى أخذها جده والد شهادى ويدعى خدائى صالح .

وهذه الواقعة أسطورية إلى حد ما ، ومن المحتمل أن تكون قد اصطبغت بهذه الصبغة حتى وصلت إلى شهادى . ومن المحتمل كذلك أنها رويت لأبيه على هذه الشاكلة ، بيد أن الحقيقة التى لا مرأى فيها هى كون جده قد اضطلع بتهريب فتاة مسيحية . توفى والد خدائى صالح وعمره نصف شهر ، وعثر المصريون على سيدة عجوز وقالوا لها : عليك برعاية الطفل وبعد كثير من الوقائع والأحداث آلت مملكة أبيه

إلى موعلة ، ثم ما لبث أن انتسب إلى سيد كمال ، ومن المحتمل أن يكون سيد كمال هذا قره ما نلى فى كمال أمى الذى ورد ذكره فى تذكرة لطيفى ، أو هو خلوت كمال .

وقد رأى سيد كمال فى خدائى مقدرة وكفاءة متميزة ومن ثم أرسل به إلى إيران بغية الدراسة وتحصيل العلم ، ولما أنهى خدائى تحصيله انكفاً راجعاً إلى وطنه ، ورأى محمد باشا وزير الفاتح (ت ١٤٧٤ م = ٨٧١ = ٨٧٩ هـ) خدائى وتحدث إلى الفاتح بشأنه ، وسئل عن رغبته الذاتية وما لبث أن عين شيخاً هناك ، ورغب فى مقام سيد كمال الموجود فى موعلة والذى أدركته المنية قبل حين . ويقول شاهدهى إن والدته كانت امرأة تهيم بعشق مولانا ، وذكر أيضاً أن أباه كانت له صداقة حميمة مع أحد تجار الحرير من الصوفية ، ولم يضطلع شاهدهى بالبحث فى شئون المولوية ، بيد أنه نظم غزلاً ينتسب فيه إلى المولوية ، ويقول فى مطلعها :

أى دل ايسترسك أكر كامل أوله نقصانك

سجده كاه ايت اشيكك حضرت مولاناك

والمعنى :

إذا كنت أيها الفؤاد تريد إكمال نقصك

فاسجد على عتبة مولانا

لا جرم أن خدائى كان محبا للمولوية ، وهذا شىء ثابت محقق فى أقل تقدير ، كما كان عالماً حاذقاً للفارسية ، وكان له طلاب كثيرون ، ولكنه سرعان ما مات بمرض الطاعون وكان ولده شاهدهى آنذاك فى العاشرة من عمره ، وكان لخدائى ولدان من الذكور وأربع فتيات فضلاً عن ولده البكر شاهدهى ، وأصيب إخوة شاهدهى جميعاً بالطاعون ، وذات ليلة توفى أخوه فى معية أخوين له بالمرض عينه . وأثناء احتضار أبيه مد يد شاهدهى إلى صديقه تاجر الحرير ، وأوصاه برعايته وعنايته والحدب عليه ، ولهذا السبب قدمته أمه خادماً وأجيراً لدى تاجر الحرير ، بيد أن شاهدهى لم يكن مولعاً بكل ضروب تجارة الحرير وصناعته وذلك بسبب رغبته الجارفة فى الدراسة

وتحصيل العلم ، أما أمه فإنها لم تكن لتتعجل فى ترك ولدها الجميل فى أماكن متباينة ، ولما بلغ أشده واستوى استأذن فى الخروج إلى الغرباء والترحال بغية طلب العلم ، ثم صار شاهدى بعد ذلك طالب علم دينى فى مدرسة الفاتح بمدينة إستانبول ويحكى شاهدى بكل صدق وإخلاص سمات وخصائص هذه الحقبة الزمنية فيقول : كنت إبان دراستى الدينية أخرج فى بعض الأوقات حاملا الجرار حتى كنت أذهب إلى منطقة جبزه ، Gebze وأشرب فى منطقة غلطة وأظل سكرًا ثملا حتى أهوى من القارب فى لجة البحر و يروى أنه رأى سيد كمال فى المنام وهو ثمل فى إحدى الليالى .

كان شاهدى ينشغل بالدرس وتحصيل العلم ، بيد أنه كان لا يتسامح أو يتساهل فى غرور العلماء بعلمهم ، ومن ثم صرف همه وبذل جهده فى النزوع نحو التصوف ، فقد كان مجتهدا مثابرا ، ولكن لا يروقه كثيرا مداهنة الشيوخ والتزلف إليهم كي يظهر أمامهم وكأته شخص ذو أريحية عن طريق الكذب والتملق كان شاهدى يقرأ كتاب « كنز الرموز » لسيد حسين (ت ٧١٨ هـ = ١٣١٨ م) فى تنور بأحد نزل ضيافة بايزيد الصاعقة ، وإذا بأحد التلامذة يسأله قائلا ما هذا ؟ فشرح له الموضوع قليلا ، ثم أوصاه شاهدى بترك الدنيا ، ثم ضحك وهو يقهقه وقال : إننى سوف أترك دنيا التلميذ بعد هذا العنت واللغوب ، ويلزمنى حينئذ منصب رفيع ، ولاكونن صاحب مال وملك عظيم ، وليكن هذا مقولة أبنائى ، ولكن التلميذ المسكين ما لبث أن غادر شاهدى وما إن دخل حجرته حتى ألم به الطاعون فقضى نحبه من فوره ، وكانت هذه الواقعة بمثابة نقطة تحول فى حياة شاهدى .

أما شاهدى الذى زهد فى الدنيا وفترحبه لها فقد هجر تحصيل العلم وانفلت آيبا إلى موعلة ، وقال لأمه : إنه لن يدرس أكثر من هذا ، ويرغب فى أن يكون درويشا صوفيا ، وفى موعلة ارتدى خرقة قديمة ، لا ينام الليل ، وفى ذلك الإبان كان يوجد شيخ بغير تكية هو الشيخ خير الدين الذى كان خليفة للشيخ وفا (ت ٨٩٥ = ٨٩٦ هـ = ١٤٩٠ = ١٤٩١ م) ، وكذلك الشيخ برداشى بدر الدين الذى لم تكن له معاملة قط مع المشيخة ومع التصوف والدروشة ، فضلا عن هذا كانت تكيته وحيدة ولها مريدون ، كما أنه أسس مجالس السماع والتوحيد ، وكان يظهر فى معية الأمراء

ويحظى بتوقيرهم ، أما خير الدين فقد ظل يضحك ساخرا أمام هيئته وعظمته ، كما أن شاهدى لم يكن يعجب به ومن ثم فلم يتسن له الانتساب إليه بسبب مشرب خير الدين النزاع إلى الملامتية ، كما أنه سكير الدنيا وسفيها ، وعليه فقد امتثل شاهدى لكلام أمه وانتسب إلى الشيخ بدر الدين الذى كان يريد أن يعلم المثنوى لشاهدى ، بيد أن الأخير كان أكثر منه علما بالفارسية ، ومن ثم فإنه كان يتعلم التفسير على يد بدر الدين وعلى رغم كل ما أومأنا إليه فإن هذا لم يؤكد انتساب شاهدى إلى الدروشة والتصوف ، وفى ذلك الإبان حل موسم الشتاء ، وذهب شاهدى فى معية بدر الدين إلى اللاذقية ، وذات يوم كان يقضى وقته فى هذه المدينة مشغولا بالصفاء والسماع ، وإذا بشاب ينشد لحنا ذا عذوبة ورواء ، وما لبث شاهدى أن غشيته نشوة واهتياج وخر ساجدا ، وتمنى فى نفسه أن يكون صديقا لهذا الشاب .

ولما عادت أمه إلى « موغلة » عقدت النية على تزويج أخيه الأصغر ، بيد أنها كانت خاوية الوقاض لا تملك مالا ، حينئذ أخرج شاهدى جرة ، ثم جعل من نفسه عابر سبيل وشيخا عجوز من أهل الوجدو الحال ، وبينما كان يطوف من قرية إلى أخرى غشيته حالة غريبة أثناء وضوئه فى يوم الجمعة بقرية قوزلق^(٣) ، حينئذ ظهر أحد المجاذيب هناك وقد غشيته غاشية من الوجد الصوفى والنشوة الروحية وما لبث أن يادر شاهدى قائلا له :

ألم تنظر إلى السماء أثناء الضوء ؟

لقد كانت الملائكة كلهم فوق رأسك جاثمين ، وقد أثرت هذه الكلمة فى نفس شاهدى أيما تأثير ، وما لبث أن صعد المنبر عقب صلاة الجمعة وبدأ فى الوعظ والإرشاد . وكانت من بين المستمعين إلى وعظه شيخ مولوى ذو خرقة صوفية قابع فى أحد أركان المسجد وهو ينظر إلى شاهدى وعلى رأسه قلنسوة ذات وشاح أخضر^(٤) أنهى شاهدى الوعظ ، وهرب الناس كلهم إلى المنبر مقبلين يده إبان نزوله من فوقه وهو يتضرع بالدعاء ، ولكن هذا الشيخ قدم من فوره ناحية شاهدى قبيل هؤلاء الناس ، ثم قال له : ما دمت على هذا القدر من العلم فلماذا لا توجد قلنسوة المولوية فوق رأسك ؟ حينئذ قال شاهدى لو وجدت شيئا فسوف ألبس قلنسوة المولوية من فورى ،

ثم قال هذا الشخص المتخلص بفنايى : ثمة رجل من سلالة مولانا قد قدم إلى اللاذقية ، فهيا نذهب إليه ، وذهبا معا إلى قرية « واقف » Vaklf وحلا ضيفين ليلة واحدة فى منزل فنايى .

وفى اليوم التالى وصلا إلى اللاذقية وانتسبا إلى فانى دده شيخ التكية المولوية الكائنة هناك ، ثم صار فيما بعد مريدين لباشا جلبى المنحدر من سلالة مولانا .

واتجها سويا بعد ذلك تلقاء مدينة « قره حصار » ، ثم شرعا فى التتلمذ على يد الأمير عادل بن باشا جلبى وهو الشاب الذى سمع شاهدى صوته قبل حين كان شاهدى وفائيا ، ثم صار من بعد مولويا ، وكان عمره آنذاك أربعة وعشرين عاما ، ولكن باشا جلبى لم يستطع الاطمئنان عليه رغم ارتباطه الوثيق العرى بالمولوية ، كما أن شاهدى كان عاشقا لديوانه محمد جلبى الذى سمع روايات كثيرة فى حقه ، واستطاع التفوه بهذه الأبيات عقب لقائه به فى مدينة كوتاهية :

بنده يرخر اباثم ——— ريدباده يم

قاشكى من دائما غواصى ولايدم باده يم

نك ونا موسى وقارو عارون من عاريم

زرق ونالوث وريا آلايشندن ســـــاده يم

علم وفضل وزهد وتقوى عاقله أولدى عقال

عاشق شويدة يم من فارغ وآزاد يم من بوكون

معشوق باقىنك وصالك بولشم

ضائمه أى زاهد بنى كسيم وعده فدا ايدى

شاهدى مولوى عارف كلسون برو

ايسسته ين سر خدائى من خدائى زاده يم

والمعنى :

أنا عبد لشيخ حانتى ، ومريد للصهباء
وليستنى كنت دائما غواصا عن الصهباء
فأنا عار متجرد عن الشرف والعرض والشهرة
وأنا غر لا أعرف النفاق والمداهنة والرياء
وأصبح عاقلا بالتقوى والزهد والفضل والعلم
فأنا عاشق هارب حر طليق خالى البسال
ولو وجدت اليوم وصال المعشوق الباقي
فلا تحسبنى أيها الزاهد موعودا بالتضحية والفداء
فليأتين فأنا شاهدى المولى من العارفين

فقد خلقنى الله حرا طالبا لسر الإله

سبق أن أسلفنا القول عن لقاء شاهدى بديوانه محمد جلبى ، ثم ولوعه باللامتية واعتناقه لها بعد حين وورد هذا فى سياق حديثنا عن محمد جلبى ، ومن ثم فلسوف لا نكرر القول فى هذه المسألة هاهنا . إن شاهدى على كل حال قد بلغ الوقار والرزانة ورباطة الجأش عقب وفاة ديوانه محمد جلبى ، ثم قبع فى زاوية التكية المولوية التى شيدها سيد كمال فى « موغلة » وظل فيها حتى أدركته المنية .

يقول ثاقب دده : إن شاهدى كان يذهب فى كل عام إلى قره حصار بعد وفاة ديوانه محمد جلبى ، فيزور مرشده ، ويمكث هناك أربعين يوما ، وفى زيارته الأخيرة اصطحب معه ولده الصغير « شهودى » لرؤية أسرار محمد دده ومكث هناك مائة وعشرين يوما ، ثم بعث به إلى موغلة مانحا الخلافة إلى ولده شهودى ، ثم توفى شاهدى ودفن فى المقبرة (ج ٣ - ، ص ١٨) وكانت وفاته سنة ٩٥٧ هـ = ١٥٥٠ م ،

ويثوى قبره فى الجهة الامامية لقبر ديوانه محمد جلبى بين ثنايا عبابوش ولى ، وفى
الجهة اليمنى من إلياس جلبى ، كما دفن فى هذه المقبرة بعد ذلك باقى جلبى المنحدر
من سلالة ديوانه محمد جلبى .

أما ثاقب دده فيرى أن قبر شاهدى الكائن فى موعة ما هو إلا قبر شهودى ليس
إلا (نفس الصحيفة) .

آثار شاهدى كلشن وحدت (روضة الوحدة) :

هى رسالة منظومة بالتركية فى ثمانية وأربعين وأربعمائة بيت من الشعر فى بحر
مجزوء الرمل « فاعلاتن فاعلاتن - فاعلات » صدرها بمقدمة تركية أسلمته بعد ذلك
إلى مقدمة فارسية بلغت ثلاث صحائف ونصف تحدث فيها عن حديث العنقاء مع
الطيور الأخرى الواردة فى كتاب منطق الطير لفريد الدين العطار ، ثم ما يلبث أن
يفصح عن غايته المرجوة من هذا الكتاب ، فيتحدث بنفسه فيه عن الشعر والوجه
واللحية والخال والعين والحاجب والفم ، وكان قصده من وجه الإنسان كونه موضع
ائتلاف واجتماع صوفية التوحيد ويعنى بالوجه أن محبوبه يضىء على المجلس نورا
وهاجا ، وبالشعر أنه يكون مدركا لسر التوحيد ، والعاشق يخفى هذه الأسرار
ويداريها ، أما القصد من اللحية أن يكون الزاهد مداريا للأسرار منصهرا فى بوتقة
الاتحاد ذائبا فيها ، وأما الخال أو طابع الحسن فإنه يجد السبيل من عالم التقليد إلى
عالم الحقيقة واليقين ، فيعرف نفسه ويشاهد محبوبه ، ويكون ساعته صوفيا عاريا
متجردا غير مكترث لا ببالى ، والعين تجعله ثملا حقا ، وليس فى عينه شىء آخر
سوى الاتحاد ، وبالحاجب تكون رفعة رجال الاتحاد الذين يحكمون العالم ويهيمنون
عليه ثم يذكر فى النهاية أنه يقصد بالفم القطب الصوفى ، ثم يميط اللثام فيقول :
إنه كتب هذا فى سنة ٩٤٣ هـ = ١٥٣٦ م مثبتا هذا التاريخ فى كتابه بيبيتين من
الشعر الفارسى .

وتأتى بعد هذا العنوان عناوين أخرى ، يعقبها عناوين فارسية شديدة الوجازة
والاقتضاب فالشعر يتنازع مع اللحية ، ثم تجيبه اللحية ، أما الخال فإنه يبحث عن

الاتحاد ، والعين والحاجب يتنازعان ، ويضطلع الفم فى خاتمة المطاف بحل هذه القضية وينقل شاهدهى بين الفينة والأخرى كلام « الخال » على هذا النحو : إن قطع الشطرنج ست قطع ، وهى على لونين اثنين ، تتقاتل أحيانا ، وتتشاجر مع بعضها البعض أحيانا أخرى ثم تتصالح وتتوافق وتتواعم ، بيد أنها جميعا تسمى فى الحال بالشطرنج . وعلى رغم ورود ذكر اسم العطار فى هذا الكتاب ، فإن المحقق الثابت وجود تأثير جلى لكتاب روضة السرار لمؤلفه محمود الشبستري^(٥) .

(٢) جلشن توحيد (روضة التوحيد) :

هو كتاب مديج بالفارسية على شاكلة المثنوى ووزنه ، ولا تتخلله مقطوعات نثرية ، ويختار فى مقدمته بعض الأبيات المقتبسة من المثنوى ، بيد أنه ليس ثمة أصرة بين ثنايا الأبيات من ناحية المعنى ، وبناء عليه فإن كل بيت ينشئ علاقة وثقى بين الأبيات مشروحا بعد ذلك بأبيات خمسة تضيف على الكتاب وحدة وتكاملا وهكذا يروى أن ستمائة البيت أضيف إليها ثلاثة آلاف بيت .

وقد دون هذا الكتاب عام ٩٣٧ هـ = ١٥٢٩ = ١٥٣٠ م ، ويبين عن هذا مسجلا هذا التاريخ بمصرع من الشعر^(١) .

ويتجلى فى هذا الكتاب التأثير البين لكتاب « جزيرة المثنوى » لصاحبة يوسف سينه جاك وقد اضطلع ابن شاهدى بنسخ كتاب « روضة التوحيد » ويفهم من مقطوعة شعرية فى خاتمة الكتاب أنه مسودة منسوخة كتبت سنة ٦٧٣ هـ = ١٦٦١ = ١٦٦٢ م ، ومدونة تحت رقم ١٠١٨ ضمن المخطوطات الفارسية بجامعة استانبول ، أما ابن شاهدى فقد دون فى آخر مصرع من هذه المقطوعات هذا التاريخ ٩٩٦ هـ = ١٥٨٦ = ١٥٨٧ م ، وأن هذا التاريخ هو تاريخ انتسابه واضطلع « أحمد نيازى » مفتش العدل بالموصل بطباعة هذا الكتاب فى المطبعة الطبية بإستانبول ، بيد أنه برمته زاخر بالأخطاء والأغلاط .

(٣) جلشن أسرار (روضة الأسرار) :

هو أقدم وأعظم أثر لشاهدي ، جاء على وزن : مفاعيلن - مفاعيلن - فاعلن ، مديج بالفارسية ، ورغم أنه سيرة ذاتية للمؤلف ، إلا أنه يتضمن بين ثناياه خلائق وسجايا « ديوانه محمد جلبى » وبعض خصائص وسمات المولوية ، ومن ثم فإن المولوية قد محوه ، أو أخفوه وواروه ، ولهذا السبب كانت نسخته من الندرة بمكان .

وثمة نسخة أخرى محفوظة بمتحف قونية تحت رقم ٢١٩٤ ، ٦ - ٥٦ ، ورقم ٢١٥٥ ، ونسخة أخرى وحيدة فى قسم الملحقات الخاص « بحالت أفندى » ، كما توجد نسخة أخرى تحت رقم ٧٤ ، ولكنه كتب فى الفهرس أنه يقول عن قصد وتعمد أن « جلشن أسرار » هو بعينه « جلشن راز » وذلك بين ثنايا محتويات الدورية المشار إليها ، واضطلع بنسخ هذه الدورية الصوفى إبراهيم أدهم سنة ١٢١٢ هـ = ١٧٩٧ م .

وهو تلميذ الشيخ عالى نطقى أحد دراويش « ينى قابى » ، والمتوفى سنة ١١٠٤ م) .

وقد كتب شاهدي فى مقدمة الكتاب أنه سبق أن ديج كتاب روضة التوحيد ، وحاز هذا الأثر الإعجاب والاستحسان ، وفى ذلك الإبان كان يضطلع بنفسه بتعليم كتاب « روضة التوحيد لأحد الفتية ويدعى « مريد عشق » ^(٧) . وذات يوم قال له هذا الفتى : ماذا عساک لو ديجت كتابا آخر سميته روضة الأسرار ؟ ومن ثم كان تدبيج هذا الكتاب بناء على هذه القالة .

ويردف قائلا : إن سبب كتابة روضة الأسرار يشبه فيما يشبه تدبيج حسام الدين للمثنوى ويذكر شاهدي أنه كتب هذا الكتاب سنة ٩٥١ هـ = ١٥٤٤ م ، وكان عمره آنذاك ستة وسبعين ^(٨) ، عاما ، ومن المحقق الثابت أن ثمة علاقة وثقى بين اسم الكتاب وبين ما يروى فيه عن شرب المخدرات التى كان يتعاطاها باشا جلبى مع ديوانه محمد جلبى فى مجلسه .

(٤) تحفة شاهدي (هدية شاهدي) :

هو معجم صغير منظوم ، ومترجم إلى التركية ، ويقول شاهدي فى كتابه روضة الأسرار إبان الحديث عن أبيه « لقد بذل المرحوم جهدا عظيما بغية تنشئتي وتربيتي ،

وها أنذاك قد استوى عودى وبلغت أشدى وأنشأت معاجم منظومة ^(٩) . ويتحدث شاهدى فى صدر معجمه عن تعلمه الفارسية على يد أبيه خدائى ، ثم يذكر فى نهاية المعجم تاريخ تدبيجه له وهو عام ٩٢١ هـ = ١٥١٥ م ، وكتب عن هذا المعجم ذائع الصيت نظائر وشروح كثيرة ، كما أنه طبع بمطبعة الطباعة الحجرية فى قلعة طوبخانه ، وثمة طبعات أخرى موجودة .

(٥) شرح الكلستان :

لم نر هذا الأثر فيما بحثه كل من عاشق وحسن جلى .

(٦) كلشن عرفان (روضة العرفان) :

اضطلع أسرار دده فى البحث فى مادة « شهودى » ، ويسمى هذا الكتاب « التأليف الغريب » ويذكر أنه كتب هذا الكتاب مخاطباً ولده شهودى ، أما كلمة « غريب » فتطلق مجازاً على المعنى الذى لا ند له ولا نظير وإزام علينا أن نقول : إن نسخة هذا الكتاب جد نادرة ، ومن أسف أننا لم نر هذا الكتاب رأى العين .

(٧) مشاهدات شاهديه :

لم يتحدث ثاقب دده سوى عن هذه الرسالة (ص ١٦ - ١٧) ، ويقول ما فحواه : كتب شاهدى فى هذه الرسالة عن الفيوضات التى تلقاها من مولانا وهو فى معية ديوانه محمد جلى ، وتحدث كذلك عن ضروب الشفقة والرحمة التى رآها بعينى رأسه ، وهامى ذى ترجمة تركية لإحدى المقطوعات الأربع التى اتخذها ثاقب دده نموذجاً ، ونعتقد أنها تقدم بين يدي القارئ فكرة تتصل بهذا الأثر عند كتابته باللغة العربية « لقد قطع مرشدى حلقومى ومت . ورأيت جسدى فوق المغسلة محترقاً

وخرجت أنا من جسدى كما تخرج البيضة من قشرتها ، بيد أنى كنت خفيفا جدا ، شديد الطهر والنقاء ، أطيّر كالطائر ، وبينما أنا أتحدث أصابنى نفور واشمئزاز صادر من جسدى ، وإذا بمرشدى يرقبنى ملها وينتبه إلى ما آل إليه حالى ، ومنعنى من هذا النفور والاشمئزاز ، ثم هويت خلف جسدى بأمر من مرشدى ، ونظرت ساعتئذ فإذا بى قد وصلت إلى عالم الانشده والذهول ، وإلى دنيا لا ند لها ولا نظير ، إنها نعمة ورحمة إلهية لا سبيل إلى شرحها أو إطرائها . توجد هناك قصور سامقات وقياب جميلى ومحبووى ، وتتدفق الأنهار ، وتتفتح الأزاهير ، وكل شىء متلألئ وهاج .

ثم قال مرشدى حينئذ : هاهنا إقليم المولوى إنه ثاوى فى هذا المثال . وها نحن أولاء قد ذهبنا لرؤية سلطان هذا الإقليم ، وعندما وصلنا إلى المعبود كان سلطان العارفين قد تجلى على مثال صورة مولانا ، وما لبث أن ألبسنى قلنسوة مولوية جميلة لامعة براقه ، ثم كبر ثم عاد وألبسنى خرقة مدهامة ^(١) شفافه تشبه الزمرد ، ثم عدنا أدراجنا وعطست إبان ذلك ، وفتحت عينى ، وأطبقت على قدم مرشدى (ص ١٦) .

وتفيد الرواية التى أوردها ثاقب دده أنه عثر بعد وفاته على أوراد مجلدة فى ختام رسالته إلا أنه أوصى بإخفائها وعدم كتابتها لأنها خلو من العون الروحانى . أما المقطوعات الأربع التى نقلها ثاقب دده فقد خرجت من هذا الكتاب وتمخضت عن كتابة الروايات التى تأتت فى شكل زاخر بالمصطلحات العربية وهى ولا ريب روايات تناقلتها الأيدى ، وشاعت بين الناس . ولربما كانت هذه هى رسالته ، بيد أن أسلوبها يفيد بأن ثاقب دده هو الذى كتبها ثانية فى الأعم الأغلب .

(٨) صحبت نامه (رسالة المحبة والوصال) :

لم يتحدث عن هذه الرسالة سوى ثاقب دده (ص : ١٧) ، ويحيطننا علما بأن شاهدى دبجها فى شكل رسالة ليشرح فيها آداب الصحبة والمسامرة بين المرشد والمريد ، ثم تحدث عن الأمراء الذين كانوا فى مدينة « مانيسه » ممن سمعوا عنه ،

ودعوه إلى مجالسهم ، كما أنه قرض بيتا من الشعر قدم فيه بشرى السلطنة إلى الأمير الموجود هناك ، ولما أصبح هذا الأمير سلطانا منح من فوره أوقافا كثيرة لكل شخص ولكل تكية صوفية .

(٩) الديوان :

لم تكن أشعار شاهدي مجموعة في ديوان يحتويها ويلم شتاتها ، وقريب إلى الصواب أن يسمى ديوانه دُويُون^(١٠) ، وهو محفوظ في دورية مدونة تحت رقم - 4 - D 37 بين ثنايا الكتب الموجودة في متحف قونية ، وقد رُتبت قصائده ترتيبا أبجديا .

ويلغ عددها اثنتي عشرة وثلاثين قصيدة ، واقتبسنا طائفة من أشعاره من الدورية المحفوظة عند عثمان أركين وإحدى هذه القصائد تخميس لإحدى غزليات خدائي ، والأخرى مؤلفة من قصيدتين محفوظتين في تذكرة أسرار دده ، وتضم بين ثناياها قصائد ثلاثا ، ومنظومة على وزن الهجا وإذا ما أضفنا إلى هذه وتلك القصائد السبع الموجودة في دورية على هيئة أجزاء متفرقة ألفينا حينئذ ثلاثا وأربعين قصيدة في حوزتنا ، ويمكن العثور كذلك على طائفة من الأشعار تخص شاهد الأدرنة لى « ويمدح فيها الأمير جم .

وعلى كل حال فإن شاهدي لم يرتب ديوانه ، ولم يضطلع أحد بترتيبه ، وأما ديوانه المرتب فقد ضاع ، وما بقي منه إلا شذرات متفرقات محفوظة لدينا أو ثاوية بين ثنايا الدوريات .

(١٠) شعره وفارسيته :

لم يستحسن عاشق وحسن جلبي كلاهما أشعار شاهدي ، ولم يحظ بإعجابهما . بيد أن حسن جلبي أصدر حكمه في ذلك قائلا : لا أثر للحلاوة والطلاوة في أشعاره ، إن هذا لشيء عجاب ثم أورد بيتا من شعره شاهدي يقول فيه :

والمعنى :

« كاه أولو ركسيه م طولار برير دونر بازارد »

كاه أولور خالي قالير بازاري بربر دوندير

والمعنى :

تارة تمتلىء كأسى وأهيم على وجهى ألف فى الأسواق

وتارة تكون الكأس خالية وتجعلنى أهيم وألف فى الأسواق

ثم يعلق على البيت بعد تقديمه إياه قائلا « لا جرم أنه قال قولا حسنا فى هذا البيت » أما نحن فنرى أن شاهدى وفق كثيراً فى أشعاره التركىة ، وإن الغزل الذى سجلناه إبان تفصيل القول عن حياته هو خير شاهد ودليل على هذا ، ولا جدال فى أنه يشبه أساطين الشعراء ، نعم إنه يدبج شعره بغية إظهار السؤدد والشرف والمكرمة وهو دائماً يعنى كثيراً بالدعاية الدينية فى أشعاره كما هو الشأن فى كتبه .

وإذا ما تصدينا لفارسيته ألفينا لغته مع الأسف رخوة لينة واهية : ومن ثم فقد تسنى له الكتابة إلى هذا الحد بالفارسية المتعلمة من الكتاب وقد تيقظت فى نفوسنا مرية توحى بأنه افتدى بمولانا ، واتبع سبيل أقطاب المولوية بعد اضطلاعه بكتابة الأشعار الفارسية ، ونحن نقول بالشك بغية اجتناب حكم جازم فى هذا السبيل ، ولربما كان هذا الشك فى رأينا أشبه باليقين ، ثمة منظومات مديجة على شاكلة المثنوى ، وثم كتابان آخران يسميان باسم « عشق نامه وتراشنامه وهذه وتلك تعزى جميعا إلى مولانا جلال الدين تارة وإلى سلطان ولد تارة أخرى .

ولكن أتكون هذه المؤلفات منسوبة إلى شاهدى ؟ ، لقد عثر فى متحف قونية على دورية مدونة تحت رقم De ٤٨٣ ، ٦ - ٧ D ، ومكتوب عليها « عشق نامه شاهدى » ، ومما يجذب النظر كذلك أنه عثر فى الدورية عينها على حاشية كتاب « روضة التوحيد » لشاهدى مقرونة ببعض الرسائل ومدونة تحت رقم K. de ٣٧ - ٤ ، وتم العثور كذلك على رسالتى تراش نامه وعشق نامه مقرونتين بدووين شاهدى^(١) .

إن طرائق أسلوب عشق نامه وتراش نامه وتراكب القافية وخصائص الوزن والوهن والضعف وهلهة النسج وعدم إحكام السبك فى اللغة ، ناهيك عن العجز والقصور الذى يثوى بين ثنايا الألفاظ ، وكذلك نزعة شهوى ومشربه ، كل هذا وذاك ليدل دلالة بينة على أن هذين المثنويين يخصان شاهدى ، وتلك حقيقة لا مرأى فيها .

(١١) شرح المثنوى والذين اضطلعوا بمختارات أدبية منه :

كان شرح المثنوى ومن فى معيتهم ممن اضطلعوا بانتخاب مختارات أدبية منه سببا فى انتشار المولوية وذيوع صيتها .

وها نحن أولاء نكتب فى هذا الصدد الشروح التى رأيناها ، أو التى سمعنا بها ، وذلك فى صورة متعاقبة متتالية :

(١) حسين بن حسن الخوارزمى :

هو كمال الدين بن حسن خوارزمى المتوفى سنة ٨٤٠ هـ = ١٤٣٥ = ١٤٣٦ م .
والذى لم تذع شهرته كثيرا بشرحه المسمى « كنوز الحقائق فى رموز الدقائق » ، وثمة نسخة مدبجة فى سنة ١٠٦٩ م بمكتبة جامعة إستانبول ، ويقع هذا الشرح فى أجزاء ثلاثة ، وقد دون فى مقدمة الجزء الثانى ما يفيد بأن بداية تأليف هذا الجزء كانت فى اليوم التالى من شهر رمضان لسنة ٨٢٣ هـ = ١٤٣٠ م (المخطوطات الفارسية رقم ٢١٨ - ١٩٨) .

هذا ورغم عشق خوارزمى الشديد لمولانا فإن أفكاره كانت ذات علاقة وثيقة العرى بأحكام مذهب الإمامية ، ومن ثم فإنه تصدى إلى الشرح وهو فى لجة هذا المذهب لا ينفك عنه ولا يزايله ، وكان من الطبيعى أن يقف مضطربا مشوشا مرتبكا فى مواضع كثيرة منه ، ومما لا مرأى فيه أن هذا الشرح الفارسى كان سببا فى وجود شرح خوارزمى فى الهند .

(٢) بحر العلوم آبدال على محمد لوكهنوى :

هو شرح كامل تام للمثنوى مدبج بالفارسية ، طبع طبعة حجرية فى ثلاثة أجزاء بمدينة لوكهنوف Loknov سنة ١٢٩٢ هـ ، وإذا كان قد تنهى إلى مسامعنا أن ثمة شروحا أخرى فارسية بخلاف ما ذكرنا ، فإنه قد اضطلع بتدبيجها كل من : حاكم مونلاهادى سبزارى (ت ١٨٧٢ م) ، وميرزا رضا ، وولى محمد أكبر آباد بيد أننا لم نر هذه الشروح رأى العين .

أما ميرزا رضا فيقول : لا جرم أنى فى حقيقة أمرى موظف ، ومن ثم فإنى أتممت حكاية الأمير الثالث التى كانت مبتورة ناقصة فى الجزء السادس من المثنوى ، ومع هذا فإن تمام هذه الحكاية وكمالها موجود فى مقالات شمس^(١٢) . أما أحمد عونى قونوق فيدون فى مقدمة شرحه طائفة من الكتب التى استفاد منها وذلك مثل : شروح كل من إمداد الله الهندى وعبد الله لوكهنوى ، كما أفاد كذلك من شراح الهند أمثال : الشيخ محمد أفضال ، وعبد اللطيف ، وعبد الفتاح ، ومحمد ميز ، ونور الله ومحمد أيوب ، وعلى القاضى ، ومحمد هاشم ، وحسن صاحب ، ونظام عبد الواحد ، وشاه حسين صاحب ومحمد شكر الله ، ومحمد نعيم ، وكريم الله (ج ١ ، ص ١٤) .

وندون باقتضاب فيما يأتى شرح المثنوى باللغة التركية :

(١) سرورى :

له شروح لكثير من الكتب ومنها : ديوان حافظ وكستان سعدى كما اضطلع كذلك بتحشية كثير من المؤلفات ، دبج كتابا يسمى « بحر المعارف » يختص بمجازات أدب الديوان . كما كان يُعلم المثنوى كل يوم عقب صلاة العصر بمدرسته الكائنة فى منطقة قاسم باشا ، واضطلع فى بعض الأحيان بتعليم الأمير مصطفى ابن السلطان القانونى .

وتوفي سرورى فى سنة ٩٦٩ هـ = ١٥٦٠ - ١٥٦١ م بمدينة إستانبول ، وُورى
الثرى بفناء المسجد الذى شيده فى منطقة قاسم باشا ، أما شرحه للمثنوى فهو
ذو أخطاء جمة من ناحية الفكر وعمق الفهم ورهافة الحس والإدراك .

(٢) سعودى :

بوسنوى الأرومة والمحتد ، ولا جرم كان يحذق الفارسية ، وشرح ديوان حافظ
شرحا متقناً بارعا ، وكان يتبلغ قوته من وظيفة تعليم غلمان سلطان مصر إبراهيم
باشا ، وأدركته المنية سنة ١٠٠٥ هـ = ١٥٩٤ = ١٥٩٥ م .

بيد أن شرحه التركى للمثنوى زاخر بالأخطاء من حيث الفهم ودقة التفكير ، ومن
ثم فلم تذع شهرته كثيراً .

(٣) شمعى :

شرع فى تدبيج هذا الشرح إبان عصر مراد الثالث ، وفرغ منه عام ١٠٠٩ هـ =
١٥٩٩ - ١٦٠٠ م ، وأسهم حسن أغا القيم على حفظ أسلحة السلطان مراد فى
انبثاق هذا الشرح فى الوجود ، ويقول شمعى فى ديباجة الجزء الخامس إنه أتم الجزء
الرابع فى يوم الأربعاء .

الموافق لغرة المحرم لسنة ١٠٠٠ هـ = ١٥٩١ م ، وبناء عليه استدعاه السلطان
مراد الثالث وأمره بإتمام الشرح فبدأ من فوره فى كتابة الجزء الخامس . وإذا كان
قد ورد فى ديباجة الجزء السادس والأخير ما يفيد بأنه شرع فى وضع هذا الشرح
إبان الأيام الأولى من شهر ربيع الأول لسنة ١٩٩٥ هـ = ١٥٨٧ م ، وفرغ من الجزء
الخامس فى أواخر المحرم لسنة ١٠٠٢ هـ = ١٥٩٣ م ، فإنه يذكر كذلك أنه اضطلع
بشرح الجزء السادس باسم السلطان محمد الثالث ، وذلك عقب موت السلطان مراد
الثالث ، ويضيف قوله : إن الجزء السادس ظل دون شرح طوال سبع سنين ، بيد

أن « جازان فر آغا » الذى يعمل خادما فى دائرة السنية السلطانية بالقصر قد تسبب فى شرح هذا الجزء ، ومن ثم فقد شرع فى شرحه سنة ١٠٠٩ هـ بالقياس إلى الجزء السادس ، وبديهي أن تكون وفاة شمعى بعد هذه السنة ، وثمة رواية خاطئة تزعم أن وفاته كانت سنة ١٠٠٠ هـ .

وإذا كان أسرار دده يقول : إن هذا الشرح التركى قد حظى بشهرة عظيمة وكانت توجد منه ملازم متفرقة فى حجرة كل صوفى مولوى ، فإن شمعى قد جانبه الصواب فى مواضع كثيرة من شرحه ، كما أن شرحه هذا برمته يغص بالأخطاء مثله فى ذلك مثل شرح حافظ وغيره من الشروح الأخرى . يقول عاشق وحسن جلبى كلاهما : إن شمعى كان ثملا سكيما ، وأصبح من صوفية الشيخ وفا كما كان يقيم فى جامع وفا أو فى تكيته ، وظل مدمنا للمكوث واللبث فى حانات الخمر ويقضى وقته مشتغلا بالفناء ، وكانت حياته تفتقر إلى النظام ولا تسير على طريقة مطردة مما نجم عنها تلك الأخطاء التى تردى فيها .

(٤) أنقروى رسوخى إسماعيل دده :

كان رسوخى فى أول أمره بايراميا ، ثم غدا بعد ذلك مولويا ، وعين بعد حين شيخا على التكية المولوية لقول قابى فى منطقة غلطة ، وتوفى سنة ١٠٤١ هـ = ١٦٣١ م ، وقد حظى شرحه المولوى بشهرة عريضة بين المولوية ، فرعوه حق رعايته ، ومن ثم اشتهر بلقب « حضرت شارح » ، والشارح الأنقروى ، أو بلقب الأنقروى ، وقد عثر غير مرة بين ثنايا الشهادات الممنوحة لتعليم المثنوى على تدوين يفيد بأن مناهج تعليم المثنوى قد اتبعت سبيل الشرح والتحقيق الذى اضطلع به رسوخى ، بيد أن هذه الشهرة لم تكن حقيقية فى أى من الأزمان ، لأن الأنقروى لم يقرأ المؤلفات الأخرى لمولانا ، وحتى لو قرأها فإنه لم يعتن بها حق العناية كما لم ينشغل قط بمقالات شمس ، ولهذا فإنه لم يحط خبرا بحكايات المثنوى التى سلف ذكرها فى المقالات وعلى سبيل المثال : فإنه على غير دراية ببيت واحد من المثنوى مشروح فى كتاب « فيه ما فيه » .

ولنغض الطرف عن هذا ونقل : إننا لم نر ضرورة حتمية للعثور على نسخة صحيحة صائبة بغية اتخاذها أساسا يعول عليه فى شرحه للمثنوى . كان المتن هو أس الأساس فى شرحه ، بيد أنه خطأ بحذفه ، ولذا جاء هذا المتن محرفا عن قصد فى مواضع كثيرة منه ، ولنعرض عن هذه الأشياء كذلك ونقول : إن الشارح فى أثره الذى شرحه لم يك على دراية تامة بأسلوب مولانا ، ولم يحط خبرا بفلسفته ، برهن على هذا بشرح الجزء السابع المزيف الذى لم يدبجه مولانا ألبتة . وتمخض عن هذا أن صار هدفا لاعتراضات شيوخ المولوية ممن كانوا فى عصره ، ومثال هذا ذلك الخير الذى أرسل به الشيخ « بنى قابى » ويدعى صبوحي وقال فيه ما فحواه « لقد شرح هذا الجزء المزيف الكاذب بطريقة أو بأخرى ، ولكن إذا ما نهض وانبرى لتعليمه فلأحطمن من فورى المنبر فوق رأسه » وهذه الرواية متواترة بين ظهرانى المولوية .

لقد شرح رسوخى مولانا متخذا من فلسفة ابن عربى مثالا يحتذى ويتوجب علينا أن نضيف إلى أوجه القصور والإهمال آنفة الذكر عدم معرفته بمصطلحات اللغة الفارسية ، أو بمعنى أصح أنه أضاف تكوين وتشكيل فارسيتها إلى فارسية الكتاب ، ورغم كل هذه الأشياء فإننا إذا قلنا إن شرح الأنقروى جيد السبك مقارنة بالشروح الأخرى ، فإننا نكون حينئذ قد جلونا الشخصية العلمية لشروح المثنوى وأمطنا عنها اللثام .

(٥) اضطلع الشيخ الطرابلسى جنك يوسف دده البكتاشى المولوى :

بترجمة شرح الأنقروى إلى العربية ملخصا بعض مواضعه ، ويحمل هذا الكتاب اسم « المنهج القوى فى شرح المثنوى » وطبع هذا الكتاب سنة ١٢٨٩ هـ بالمطبعة الوهبية بمصر .

(٦) عبد المجيد سيواسى :

هو من صوفية القرن السابع عشر الميلادى ذوى التأثير والنفوذ ، انتسب إلى فرع الطريقة الشمسية - إحدى شعب الطريقة الخلوتية - وتوفى سنة ١٦٣٣م = ١٠٤٨ = ١٠٤٩ هـ ، وشرح القسم الأول من الجزء الأول للمثنوى ، وثمة نسخة أخرى مخطوطة من شرحه عثر عليها قبيل وفاته بعامين اثنين ، ومدونة تحت رقم ١٩٦ ضمن المخطوطات التركية بمكتبة جامعة إستانبول .

(٧) صارى عبد الله :

له شرح للجزء الأول من المثنوى ليس إلا . وهو من الحمزية المتشعبة عن الملامتية البيرامية (ت ١٦٦٠ م = ١٠٧٠ هـ) ، وشرحه يسمى « جواهر بواهر المثنوى » . ورغم أن صارى عبد الله قد بذ الأنقروى وحاز قصب السبق أكثر منه فى مضممار التصوف ، فإنه كان يرى مولانا بنظارة ابن عربى ، واعتمد على روايات غير أصيلة فى توثيق المعلومات التى ساقها بخصوص حياة مولانا قبل تصديه لشرح المثنوى وتحليله ، وطبع هذا الشرح فى خمسة أجزاء بالمطبعة العامرة بإستانبول سنة ١٢٨٧ - ١٢٨٨ هـ .

(٨) بورصه لى إسماعيل حقى :

هو جلوتى إسماعيل حقى ، من أشد الغلاة المتعصبين للطريقة المولوية (ت ١٧٢٥ م = ١١٣٧ = ١١٣٨ هـ) وشرح الثمانية عشرة بيتا الأولى من المثنوى بغرض الاستحواز على اسم شرح المثنوى ، وهو شرح يحمل اسما مزعوما مثل « روح المثنوى » ، ويقع هذا الشرح فى جزئين اثنين ، وطبع كذلك بالمطبعة العامرة بإستانبول سنة ١٢٨٧ هـ .

(٩) شيخ مراد بخارى :

على رغم انتسابه إلى الطريقة النقشبندية ، إلا أنه انتسب إلى الحمزية ، وكان من أساطين العلم وأقطابه شيد ما يسمى « دار المثنوى » فى منطقة « أيوب نشانجه » بإستانبول ، حيث كان يمضى الوقت فى تعليم المثنوى واضطلع هذا البخارى (ت ١٨٤٨ م) بشرح المثنوى كله بطريقة شديدة الإيجاز والاقتضاب . ويقول فى الديباجة : إنه شرع فى هذا الشرح يوم الأربعاء السابع عشر شهر رجب لسنة ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) ، كما يصرح فى ديباجة الجزء السادس أنه أنهى الجزء الخامس ليلة الجمعة الموافق لليوم الثامن عشر من شهر ربيع الآخر لسنة ١٢٦١ هـ = ١٨٤٥ م ، كما يسجل كذلك بشروعه فى شرح الجزء الأخير ليلة الأحد الموافق لليوم السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر ، وهذا الشرح مسجل تحت رقم ٦٣٠٩ - ٦٣١٤ بقسم المخطوطات التركية بجامعة إستانبول ، وعثر على هذا الشرح مكتوبا سنة ١٢٥٦ هـ = ١٨٤٠ م ، ومن أسف أن هذا التاريخ دون بغير الاطلاع على مصادر أساسية ، وقد ترجح هذا الاحتمال لما ورد فى الجزء الأول من أن المقصود من كلمة « شيخ الدين » هو محيى الدين بن عربى ، ومع هذا فإن المقصود بهذه الكلمة هو مولانا شمس الدين (انظر : مولانا جلال الدين والطبعة الثانية ، ص ٥٢ ، وكذلك : الملاحظة رقم ٦ بنفس الصحيفة) .

(١٠) - عابدين باشا :

له شرح فى جزء واحد دبجه بغية تقديمه إلى القصر ، وصاحب هذا الشرح يدعى بروزلى عابدين باشا (ت ١٩٠٧ م = ١٢٨٦ هـ) ، وطبع طبعة مجلدة جد نفيسة بمطبعة ولاية سيواس ، ثم طبع سنة ١٣٠٥ = ١٣٠٦ هـ فى ستة أجزاء بإستانبول ولكن هذه الأجزاء لم تكمل شرح الجزء الأول من المثنوى ، وهى أكثر وضوحا من الشروح الأخرى وهو تكرر لهذه الشروح ولكن فى صورة أكثر سهولة ويسرا .

(١١) أحمد عوني قونوق :

هو آخر شراح المثنوى فى سنة ١٩٢٨ م ، حيث اضطلع بترجمة كتاب « فيه ما فيه » وعلى الرغم من أنه أنشأ شرحاً يُفضّل الشروح الأخرى ويبذلها ، فإنه لم يعتن بقراءة المصادر الأساسية الأخرى ، ونراه أحياناً يبذل الجهد ويفرغ الوسع فى تطبيق ألفاظ مولانا على المخترعات والمبتكرات العلمية ، بيد أنه لا يعرضها مصطبغة بالصبغة العلمية الحقة . ونسخة هذا الشرح غير مطبوعة ، ولم تكن ثمة ضرورة لطبعها ، وأرسل إلى مكتبة قونية إنفاذاً لوصيته .

(١٢) طاهر أولجون :

أذن لطاهر أولجون المولوى (ت : ١٩٥١ م) بتعليم وتدريس المثنوى بمسجد السليمانية فى الأيام الأخيرة ، ثم شرع فى إصدار تقاريره وبياناته على شاكلة كتاب ، وتسنى له أن ينشئ على هذا النحو شرحاً آخر للمثنوى وظهر هذا الكتاب فى ملازم متفرقات ، وهو شرح يسمى « دروس المثنوى » ويختص بالجزء الأول من المثنوى ، بيد أن هذا الجزء غير تام ، ونشر هذا الجزء الناقص بعد ذلك وصدر فى ثلاثة كتب مجلدة (مطبعة ايشيل بإستانبول ١٩٤٩ - ١٩٥٠) وفضلاً عن هذا الشرح فثمة شروح أخرى مبتورة مسجلة فى بعض الدوريات واضطلع بتدبيجها كل من : بيرى باشا (ت ١٥٣٢ م) ، وخدايى عزيز محمود (ت ١٦٢٨ م) وحسن دده (ت ١٩١١ م) ، بيد أننا لم نر هذه الشروح رأى العين ، ونعتقد أن ليس ثمة ضرورة لازمة لرؤيتها .

ترجمات المثنوى :

١- اضطلع نحيفى سليمان الحمزوى المولوى أحد شعراء القرن الثامن عشر الميلادى (ت ١٧٣٨ م) بترجمة المثنوى إلى التركية شعراً ، وحالفه التوفيق والنجاح

ثم أعقبه فروخ أفندى (ت ١٨٤٠) بطبع هذه الترجمة مشفوعة بترجمة الجزء السابع الغريب مقرونة ببعض التعليقات فى سنة ١٢٦٨ هـ = ١٨٥١ - ١٨٥٢ م ، وطبعت بمطبعة بولاق فى مصر .

٢- اضطلع عبد الله صلاح المتوفى سنة ١٧٨٢ م - وأحد المنتسبين إلى الطريقة الغشاقية - بترجمة المثنوى ، ويذكر بورصة لى طاهر فى كتابه (المؤلفون العثمانيون ج ١ - إستانبول - المطبعة العامرة - ١٣٣٣ هـ - ص ١٠٥) أن هذه الترجمة كاملة يشوبها نقصان قليل ، ولكنه لم يذكر أين عثر عليها .

٣ - كان خيرى بك (ت ١٨٩٠ م) صاحب دورية تسمى « كوتوك kutuk »^(١٣) ، واشتهر بسببها بلقب « صاحب كوتوك » لا ضطلاعه بنشرها ، وقد استنفد جهده فى سبيل ترجمة المثنوى إلى التركية نظما ، بيد أن نثر هذا الرجل أسوأ حالا من نظمه ، ونظمه أردأ من نثره ، وزعم أنه نقد وفند ترجمة نحيفى الذى اكتفى بترجمة المعنى ليس إلا ، وقال إنه سيضطلع بنفسه بترجمة المعنى مرة أخرى .

وقد ترجم قسما من الجزء الأول وجاء فى صورة سيئة مستهجنة وطبعت هذه الترجمة كذلك فى مطبعة محمد بك سنة ١٣٠٨ هـ .

٤ - يروون أن شخصا يدعى « ينى شهرلى عونى » (ت ١٨٩٢ م) ترجم الجزء الرابع من المثنوى حتى آخره نظما . ويقول المرحوم « سعود باواسى » (ت ١٩٤٨ م) إن عونى هذا ترجم الجزء الأول مع ربع الجزء الثانى ، ثم يردف قائلا : إنه عثر بنفسه على بضع صحائف ناقصة مبتورة من الجزء الأول .

٥ - اضطلع فيض الله ساجد أولكو بترجمة منظومة على وزن الهجا للجزء الأول من المثنوى ، وأصدرت مطبعة الشعب بقونية هذه الترجمات فى حلقات متسلسلة ، ونشرتها فى مجلة قونية (العدد ٣١ والأعداد التالية له) ، ثم اضطلعت دار نشر تركيا بعد ذلك بطباعتها سنة ١٩٤٥ م ، وإن القراء ليقدرون هذه الترجمة حق قدرها لفرط جمالها من ناحية الشكل والهيئة .

٦ - نعتقد أن المدعو « حافظ محمد أمين » شيخ مولوية « طوقات » قد ترجم الجزء السابع من المثنوى إلى التركية نظما ، وأهداه إلى غازى يوسف باشا « ت ١٨١٦ م » أحد وزراء السلطان سليم الثالث ، وثمة نسخة مودعة ضمن المخطوطات التركية بجامعة إستانبول مسجلة تحت رقم ٦٣٢٣ .

٧ - ترجم شاكر محمد الذى نشأ فى دار السلطنة العالية السنية وتوفى فى إستانبول ١٨٣٦ م المثنوى إلى التركية نظما ، ومن أسف أنه ألحق الجزء السابع إلى هذه الترجمة وهو يحسب أنها لمولانا ، وكانت ترجمة موفقة ناجحة .

وفى سنة ١٢٥١ هـ = ١٨٣٥ م وعثر بعد الترجمة بسنة واحدة على نسخة مدبجة جميلة مجلدة مذهبة ومسجلة بين ثنايا المخطوطات التركية المحفوظة بجناح المتحف بجامعة إستانبول ورقمها ٦٣٠٨ .

٨ - أما الترجمة المنتورة الكاملة فهى التى اضطلعنا نحن بترجمتها ، وهى آخر ترجمة للمثنوى وطبعت فى مطبعة وزارة التعليم بإستانبول ، ونشرتها الوزارة فى أول كتاب من سلسلة الكلاسيكيات الشرقية الإسلامية ما بين أعوام ١٩٤٢ = ١٩٤٦ م .
هذا وقد وضعت كذلك بضعة معاجم تخص المثنوى ومنها :

(١) أزهار المثنوى فى أنوار المعنوى :

اضطلع العبد المعتق لسلطان ولد ويدعى عبد الله أوغلو عثمان بجمع الأقسام المتفرقة من كتاب المعارف الذى دبجه والد مولانا سلطان العلماء محمد بهاء الدين ولد ، كما عمل كذلك على إبانة الجزأين الثانى والثالث من هذا الكتاب والذى اتخذناه نحن أساسا لنا فى التعويل على ترجمتنا للمثنوى ، وظلت فائدته حتى وفاته متمثلة فى نسخة المثنوى الذى كرس جهده له فى شهر ربيع الأول لسنة ٧٢٣ هـ = ١٣٢٣ م .

أما تقديم هذه الفائدة لكل شخص فذاك شرط آخر وضعه فيما بعد شريف على بن محبى الشيرازى^(١٤) . وبعد أن شرح على ديباجة الكتاب ، شرع بعد ذلك فى

ترجمة الألفاظ العربية والفارسية التي انتقلت إلى المثنوى مراعيًا في ذلك الترتيب الهجائي ، ومن أسف أننا لم نر هذا الكتاب الذي أنبأ به كاتب جليبي (كشف الظنون : النسخة التي أعدها كل من : شرف الدين يلتقيا ورفعت بيلكه ، وزارة المعارف ١٩٤٣ م ، ص ١٥٨٨) .

(٢) مظهر الإشكال :

كتبه شخص يدعى محمد شعبان آزاد ، وهو معجم تركي يضم بين دفتيه مصطلحات المثنوى على الخصوص ، واستمسك فيه باتباع الترتيب الهجائي .

وما هذا الكتاب إلا نسخة مكونة من تسع وثلاثين ومائتي ورقة ، وانبرى لكتابته « يحيى أوغلو داود » سنة ١١١٣ هـ = ١٧٠١ م ، وكان يعمل بمدرسة « شاه قولو » بإستانبول وهذه النسخة مدونة بمكتبة حالت أفندي تحت رقم ٥٦٥ .

وإذ ما أمعنا النظر في هذا الكتاب ألفيناه مكتوبا باسم الوزير الأعظم حسين باشا ، ويلزم آنذاك أن يكون حسين باشا هذا بعينه « أوهريلى حسين باشا » (ت ١٠٣١ - ١٠٣٢ هـ - ١٦٢٢ م) الذي شيد تكية المولوية في بشكتاش ويفضى هذا إلى وجوب أن يكون مؤلف هذا الكتاب قد وضعه قبيل هذا التاريخ .

منتخبات مستقاة من المثنوى :

ثمة طائفة كثيرة من المنتخبات مقتبسة من المثنوى ، كما برزت كذلك إضافات ملحقة بتلك المنتخبات لشرح الأبيات المستغلقة على الفهم والتي يكتنفها اللبس والغموض في هذا الكتاب .

ومما لا مرية فيه أن المثنوى هو من أكثر الكتب دراسة وبحثا وإمعان نظر بعد الكتب المقدسة وثمانية منتخبات أخرى مستقاة من المثنوى ديجها كل من : علاء الدين مصنع فك ، سنة ١٤٧٠ ، ومن الشعراء الإيرانيين : الجافى سنة ١٤٩٢ م ، والشيخ

حسين واعظ سنة ١٥٠٤ م ، ويوسف سينه جاك ١٥٤٦ م ، والشيخ سبوحى أحمد دده شيخ التكية المولوية فى قابى « سنة ١٦٤٧ م ، والشاعر جورى (١٦٥٥ م) ، والشيخ عبد اللطيف المولى (١٦٨٨ م) وخواجه زاده سيد محمد راسم (؟) ، وسيد حاجى محمد شكرى بن أحمد آتا آماد جلنبوى ناهيك عن المنتخبات الأخرى لأشخاص آخرين شرح رسوخى إسماعيل دده الأنقروى الثمانية عشر بيتا الأولى من المثنوى ، ثم تصدى بعد ذلك لشرح الأبيات العربية وبعض الأبيات المستشكلة والمستغلفة على الفهم مقرونة بشرح للأحاديث والآيات القرآنية التى ورد ذكرها فى المثنوى ولحسين واعظى منتخبان اثنان للمثنوى ، يسمى أولهما « قتال اللباب المعنوى فى انتخاب المثنوى » ، والآخر « جواهر الأسرار وظواهر الأنوار » ، وثمة شخص لا ندرى من يكون ، ويسمى « راسم » شرح الأبيات التى اختارها وسمها : « شرح راسم على المثنوى » وهى محفوظة بين ثنايا المخطوطات التركية بجامعة إستانبول ورقمها ١٦٥ أما منتخبات « سيد حاجى محمد شكرى » « فتسمى « منتخبات مثنوى » ، وتقع فى سبع وأربعين ومائة صحيفة مطبوعة بمطبعة شمس بإستانبول سنة ١٣٢٨ هـ وهناك فضلا عن هذا وذاك ثبت بشرح الغزليات المنسوبة إلى المثنوى وضعه أمير بخارى سنة ١٥١٦ م (مسجل برقم ٦٣٠٦ ضمن المخطوطات التركية بجامعة إستانبول) .

ويمكن أن نضيف إلى هؤلاء هؤلاء تلك الشروح التى دمجها : جلشن توحيدى ويوسف سينه جاك ، وكذلك الرسالة التى وضعها عبد الغنى النابلسى وسمها « الصراط السوى فى شرح ديباجة المثنوى » حتى إن آخر شيوخ تكية المولوية فى اسكودار وهو المرحوم أحمد رمزى قد وضع بدوره كتابا يحوى بين دفتيه المناجاة الواردة فى المثنوى ، وطبع هذا الكتاب سنة ١٩١٧ م أما آخر وأكبر منتخب مستقى من المثنوى فذلك الذى اضطلع به فضل الله رحيمى (ت ١٩٢٤ م) ، وهو أحد المنتسبين إلى السيد عبد القادر البلى (ت ١٩٢٣ م) ، وهو منتخب بالتركية يضم خمسا وخمسين حكاية من المثنوى ، ويحمل عنوان « جزار حقيقت » « أى » « روضة الحقيقة » وطبع هذا المنتخب فى أجزاء ثلاثة وفى شكل أنيق قشيب بمطبعة المدرسة

العسكرية بإستانبول ويقع الجزء الأول فى تسع وأربعين ومائتى صحيفة بخلاف
الفهرس ، أما الجزء الثانى فيقع فى أربع وأربعين وثلاثمائة صحيفة .

وإذا استثنينا الجزء الخاص بالحمزية ، ألفينا الكتاب برمته لا يعتد بمعتقدات
الإمامية ، أما الجزء الثانى فيبحث فى اصطلاحى « تولى وتبرأ »^(١٥) ، (ص ١٢) كما
كتب كذلك فى السيرة الذاتية للإثنى عشر إماما (ص ١٦ - ١٠١) ، ويذكر الإمام
المهدى على أنه الإمام الثانى عشر ، ويقول فى هذا الصدد « إنه يعتقد فى ظهور
الذات الشريفة للمهدى المنتظر ، وهم ينتظرونه ونحن كذلك تنتظره » (ص ١٠١) .
ولرحيمى طائفة كثيرة من الأشعار المؤلفة المتسقة التى لا تخص مولانا ، بيد أنها تنم
عن غيرته وحميته المتصلة بمذهبه وعقيدته ونزعته الدينية ، وسجل هذه الأشعار باسم
مولانا (ص ٣٦ - ٣٨) ، كما اقتبس من ديوان عبد القادر البلخى تسع قصائد على
شاكلة المثنوى بنفس الحمية والغيرة (ص ٣٩ - ٤٧) ، وليس فى هذا الكتاب أية
قيمة علمية تتصل بتلك المعلومات التى ساقها بشأن حياة مولانا .

وعلى رغم كل أوجه القصور والإهمال ، فإن كتاب « روضة الحقيقية » هو كتاب
دعاية دينية ليس إلا ، ولما كان هذا الكتاب قد دمج بلغة سلسة ساحرة جذابة ، فإنه
عمل كان مُنتظرا فى حينه وصيغ فى صورة متقنة بارعة .

ومما لا مرية فيه أن « فضل رحمى » صاحب أثر علمى مثله فى ذلك مثل شراح
المثنوى بل كان أشدهم عشقا لمولانا ، وأكثرهم تعلقا به . وثمة طائفة ممن تدخلوا فى
هذا الأمر بغية التذكير بعلو كعبه عن سواه والتدليل على كفايته واستحقاقه وإدراجه
فى سلك الفضلاء وتلقيبه بلقب « الشارح » .

ونحن نعصد هذه الفكرة بعينها فيما يتصل بالمنتخبات التى اقتبسها من المثنوى
ويحتتم علينا القول فى هذا الصدد :

إن الشروح التى أُضطلع بها فى الشرق لم تكن فى الكثرة الكاثرة منها تهدف
إلى فهم وإدراك النص الأصيل والتصدى لشرحه وتفسيره أو تجليته وإمالة اللثام
عنه ، بل كانت ناقعة فى تصعيب وتعسير فهمه وكنهه ، وحجبه بالمصطلحات ، حتى
إن الشارح لا يرى ثمة ضرورة حتمية إلى فهم وإدراك كنه ما يريده صاحب النص

الأصلى وماذا يعنى بما يقول ، كما أن الشارح ينأى بالقارئ كلية عن الغاية التى يتفياها صاحب النص الأصلى والذى يكون القارئ قد اتخذها أساسا لفهمه ، أو بمعنى أصوب أساسا لمذهبه ونزعته الدينية وعقيدته التى ارتضاها .

إن الترجمة هى دليل الجهل وبرهانه ، فالنص الأصلى يُشرح بشكل مطلق حتى أنه يتسنى كذلك تدبيج شروح على الشروح ، وهذا ما حدث بعينه فى شروح المثنوى ، وما من شارح قط يتصدى لشرح المثنوى إلا وهو غير متناقض مع فكر مولانا وأثاره الأخرى ، ومن ثم فإن « فضل رحمى » لم يقرأ المصادر الأساسية ذات الصلة الوثيقة بفلسفة مولانا وحياته التى تتوافق تماما مع معيشته وأفكاره ، ومع هذا فتمة فصول تشرح الآيات الواردة فى كل من المثنوى وكتاب « فيه ما فيه » الذى يتضمن ديوان مولانا وحكاياته والأفكار الواردة فى المثنوى ، أما مقالات شمس فهى من أهم المصادر الأساسية لمولانا . وعلى رغم كل هذا فإن سائر هذه الشروح والمنتخبات قد عجلت بانتشار المولوية فى حقبة الانتشار وذيوع الصيت ، كما أنها عضدت وشدت من أزر بنية الطريقة وشدت الانتباه إليها فى عصر الفتور والركود . ولنوجز فى هذا السياق الدراسات التى وضعت فى الغرب وتدور حول المثنوى ونوردها على التوالى :

(١) جاكوس دى ويلينورج Jacques de dewaallenbourig

اضطلع بترجمة المثنوى فى صورة بلغت غايتها من الروعة والجمال ، وإذا كانت هذه الطبعة قد أعدت فى عام ١٧٩٩ م ، فإن قسما كبيرا من هذه الترجمة قد أحرق فى الحريق التى نشب فى حى بى أوغلو Beyagtu فى نفس التاريخ كانت جاكوس هذا من أهل فيينا ويعمل مترجماً بالسفارة النمساوية بإستانبول ، ومن ثم فإنه من المؤكد أنه لم يضطلع بهذه العمل مرة ثانية .

(٢) جورج روسين :

اضطلع بترجمة معنى ثلث المثنوى إلى الألمانية ، وطبعت الترجمة فى ليبزج Leipzig سنة ١٨٤٩ م تحت عنوان « المثنوى للشيخ مولانا جلال الدين الرومى » .

(٣) ترجم « ردهاوس » Reditause

الجزء الأول إلى الإنجليزية نظماً وطبع في إنجلترا سنة ١٨٨١

(٤) اضطلع مترجم روضة الأسرار ويدعى « هو ينفلد » whim Field

بترجمة مختارات من الجزء السادس نثراً ، وبلغت عدد أبياتها خمسمائة وثلاثة
ألف بيت من الشعر على وجه التقريب ، وطبعت في إنجلترا سنة ١٨٨٧ م باسم
« المثنوى المعنوى » ، وكان المرحوم « نيكلسون » Nicholsom شديد الإعجاب بهذه
الترجمة .

(٥) اضطلع ويلسون wilson بترجمة الجزء الثانى :

إلى الإنجليزية نثراً ، وقد امتدح نيكلسون Nichotson هذه الترجمة وقرظها ، ثم
طبعها في إنجلترا في جزأين سنة ١٩١٠ تحت اسم المثنوى The masnawi

(٦) اضطلع الأستاذ ، ريولد نيكلسون ، Reynal Nichakon

بطبع النسخة الموجودة اليوم في مكتبة متحف قونية وهى فى ستة أجزاء، واتخذ
هذه النسخة أساساً للنسخة الأصلية التى كتبت بعد وفاة مولانا بخمس سنين ، وقد
تمت المقابلة بينهما وبين نسخة جلبى حسام الدين فى حضور سلطان ولد ، ثم
ترجمها ، وشرحها معتمداً على شرح الأنقروى . وقد اضطلع وقف جب Gibb بنشر
هذه الكليات فى إنجلترا بداءة عام ١٥٢٥ م ، ولم يتسن لنيكلسون أن يحيط خيراً
بنسخة قونية ، أو بما هو موجود فى الجوانب الرئيسية من الجزء الأول من المتن
الأصلى ، أما القول الصائب فى هذا الصدد هو أنه اتخذ من المخطوطة أساساً يعول

عليه ، بيد أنه فى خاتمة المطاف اعتمد على نسخة قوتية التى يظهر فى أجزاء منها فروق النسخ البارزة بجلاء فى النواحي الرئيسية منها .

وأهم من هذه الترجمات كلها الترجمة الألمانية التى اضطلع بها « روكر تولوجق » Rückelr Tholuck ، وكذلك الترجمة الألمانية الأخرى لصاحبها Rosenzweig وثمة ترجمات أخرى من المثنوى الفرنسية اضطلع بها Baudry ، وهذه الترجمات هى ما استطعنا رؤيته بأعيننا رأى العين ، وما تسنى لنا أن نسمع عنه .

وقد اشتغل نيكلسون بالبحث فى الديوان الكبير ، وترجم الأشعار الثمانية والأربعين لمولانا ، وطبعها مقرونة بنصوصها وعنون لها بالإنجليزية (قصائد مختارة من ديوان شمس تبرير ، مطبعة جامعة كمبردج سنة ١٨٩٥ هـ) . بدأ فى إيران كذلك الاضطلاع بدراسات وبحوث جادة تدور حول مولانا جلال الدين الرومى ، وتأتى فى صدارة هذه الدراسات نسخة المثنوى المطبوعة التى اتخذت من طبعة نيكلسون أساسا يعول عليه ويحتذى به وثمة دراسة قيمة اضطلع بها بديع الزمان فرد زانفر وبحثناها فى الجزء الثانى من كتابنا « ولد نامه » مقرونة بمقدمة قيمة ، ويأتى فى هذه الصدارة كذلك كتاب « شخصية مولانا » « لصاحبه » « حسين شجرة » وكذلك كتابه الذى لخص فيه كتاب مناقب العارفين (طهران - المطبعة الاتحادية : سنة ١٣١٦ هـ) .

الهوامش

- (١) كان ملك الأوزيك حاكماً على آلتين اردو (القبيلة الذهبية) ، ويتوجب أن يكون هذا الشخص قد استمر حكمه فيما بين أعوام ١٣١٢ - ١٣٤٠ م . انظر : الدول الإسلامية ص : ٣٦٣ .
- (٢) « الله الباقي » انتقل من دار الفناء - الصدر الكبير والخير الخبير ، فريد دهره ، وحيد عصره المرحوم المعفوله أفلاكي - العارف ، تغمده الله بغفرانه ، وذلك في يوم الإثنين آخر رجب من سنة إحدى وستين وسبعمائة من الهجرة « تفضل السيد المحترم زكي أورال مدير متحف قونية بهذه الصورة الشمسية لشاهد القبر ، ونحن مدينون بالشكر والعرفان .
- (٣) من المعلوم أن هذه القرية على مقربة من اللاذقية .
- (٤) هو شريط ووشاح من الصوف مشدود فوق قلنسوة المولوية ، عرضه مقدار شبرين يتدلى من الأمام حتى الظهر ويسمى « استوا Istiva » ، ولصوف نبخته فيما بعد .
- (٥) للتعرف على محمد الشبستري : انظر : عبد الباقي كلبنارلي : ترجمة روضة الأسرار إحدى بنشريات وزارة المعارف : الكلاسيكيات الشرقية والغربية : المقدمة ص A - H .
- (٦) هم نوييشتم أون زمان تاريخي ١ بلبل كوكلشن توحيد جو (ص : ٢٣) والمعنى : أنا أزيد من تاريخ عشرة عصور ١ والبلبل هو الذي يرغب في البحث عن روضة التوحيد .
- (٧) مما لا ريب فيه أن هذا الشاب كان أحد طلابه ، وهو أمير عادل جلبى ابن باشا جلبى
- (٨) ازين مصراع تاريخشن همجوى ١ بيا ازكلشن أسرار كل بوى والمعنى : قلنبحث تاريخه من هذا المصراع ١ وتعال من روضة أسرار الورد ذى الرائحة
- رسيد أى شاهدى أيام بيرى ١ شد هفتاد دوششن ساله تميرى (4) والمعنى : يا شاهدى لقد رحلت أيام الشيخوخة ١ فإنك لا تموت ستة وسبعين عاماً .
- (٩) بامن سياية بليغى كرد مرحوم ١ لغتها كرم باورزن منظوم والمعنى : لقد جاءنى بليغ المرحوم ١ فضعت ألفاضاً على وزن منظوم
- (١٠) مدهامة : أى خطر تضرب خضرتها إلى السواد وتسمى فى التركية yemyesil .
- (١١) تصغير ديوان ، وفى التركية يسمى : DivanCIK .
- (١٢) اضطلع بترتيب هذه الدورية الصوفى إبراهيم فى سنة ١٠٣٣هـ - ١٦٢٢ - ١٦٢٣ م .
- (١٣) انظر : مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية . ص ١٠٠
- (١٤) كلمة تركية معناها : الجذع .

(١٥) انظر : مولانا جلال الدين - الطبعة الثانية ، ص ٢٣ - ٢٤ ، وانظر كذلك : الصورة الشمية الأولى فى خانة الجزء الثانى من ترجمة المثنوى سنة ١٩٤٢ م .

(١٦) تولى وتبرأ : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب آل البيت ، ويحب من يحبهم ومحبي من يحبونهم على التوالى ، ومن ثم فقد أطلق على من يقتدون بهم ويتبعون سبيلهم اصطلاح « تولى » ، وعلى من لا يحيونهم ويظلمونهم اصطلاح « تبرأ » ، وهذا الاصطلاحان هما من فروض الدين عند الإمامية (المترجم) .

الفصل الثامن

الشليبيون ومقام الشلبية

الشليبيون - عصور الشليبين - الوقائع والأحداث التي تتصل بالطريقة .

قلنا فيما سلف إن مولانا لم يكن مؤسس طريقة ، وكان قطبا في طريق العشق والملازمة ، ولم يكن في طريقة مولانا مشيخة ولا دروشة ، ولا منازل ولا درجات ، ولا تكية ، ولا لباس خصوصى ، ولا مراسم أو طقوس ، أما والج طريق العشق ومرتحل هذا الطريق فإنه يقبل ويرتضى به على هيئة جد بسيطة ، ناهيك عن أنه يبلغ مقام الإنسانية الحقة ، ويتغير ويتبدل حسه وشعوره وعلمه ومعرفته ورؤيته من يوم إلى آخر حيث يتسنى له فى هذه الطريقة غشيان مجالس الموسيقى والسماع ، وينعم بصحبة الأصدقاء ، ويرتبط ارتباطا وثيق العرى بقطب عظيم .

لم يقبل مولانا شخصا آخر بعد التقائه بشمس ، وبعد شمس ترك مولانا هذا العمل المقبول البسيط لصالح الدين ، ثم لحسام الدين من بعده . وقد أكدوا هذا بعدم تفريق وتشيتت المجتمع المؤتلف حول مولانا ، فضلا عن القدرة على ضم وإلحاق عاشقين جدد إلى هذا المجتمع . اشتهر حسام الدين بعد مولانا بأنه قطب صوفى ، ولم ينحدر من نسل مولانا الجوهري والمادى (أى من صلب مولانا) . ثم كان تبوء سلطان ولد لهذا المقام بعد حسام الدين ، أعقبه تأسيس التكية والمقبرة على هذه الشاكلة ثم جاء فى عقب سلطان ولد بنه أولو عارف جلبى ، تلاه بعد ذلك أخوان ، أحدهما فى إثر الآخر وهم جميعا يمثلون المولوية خير تمثيل كان تأسيس الطريقة يتم

تدرجيا فى تلك الحقبة عينها ، وكان هذا سببا فى إيجاد مقام مخصوص لنسل مولانا ، وفى تكيته الكائنة بقونية ، وقد اضطلع جلبى بهذا إبان حياته فى تلك الحقب المبكرة من الزمان حتى يتفادى النزاع المحتدم حول تبوؤ مقام الخلافة ومن سيكون جلبى من بعده .

كان جلبى مؤسسا للطريقة وممثلا لمولانا خير تمثيل أما لقب « مولوى » ، فكان يطلق على أولئك الواصلين إلى مقام مولانا إبان الحقب المبكرة وكذلك لقب « ولد » الذى كان يخلع على أولئك المنتسبين إلى سلطان ولد ، ومن ثم أطلق على كل من أولو عارف وعابد لقبا : أولو عارف جلبى وعابد جلبى ، حتى أنه أطلق على أولئك المنتسبين إلى أمير عالم وأمير عادل ألقاب : عارفى ، عابدى ، عالمى ، وهذا ما تظهره الوثائق وتجليه . وهذا هو قطب الشليبين الأولين فى هذه الحقبة بعينها من الزمان ، وهو الوريث المادى والمعنوى لمولانا ، فثمة تغيير وتبديل فى الاسم ، بيد أن الحقبة واحدة .

وبعد هذه الحقبة من الزمان تضاعف النفوذ المعنوى للشليبين وتقلص رويدا رويدا ، ثم ما لبثت أن تفشت حالة من الطمع والمنافسة بين ظهرانى سلالة مولانا ، تمخض عنها نشأة طائفة من الشيوخ فى تكايا أخرى غير تكية قونية ، وفى أماكن أخرى غير مدينة قونية ، وكان لهؤلاء الشيوخ نفوذ أسمى وأبلغ من نفوذ الشليبين أنفسهم ، وأوجب هذا التعرف على أقطاب آخرين من أولئك الذين احتلوا مقام الشلية وتسنموا ذروتها ، وهكذا استيقظ هذا العرف والتقليد من غفوته وأفاق من سباته ، وأطلق لقب « مولوى » على أولئك الذين يندرجون فى سلك المولوية ويعتدون بطريق مولانا بغض النظر عما ينتسبون إليه . أما لقب « جلبى » فقد اشتهر به الرئيس فى المنظمات المادية للطريقة ليس إلا كان الشليبيون يضطلعون بتعيين شيوخ التكايا ، كم كانوا يصوبون رغبة أولئك الذين يبتغون منح شهادة الإجازة إلى الشخص الذى يريد أن يكون شيخا . أما مقام الشلية فهو ذلك المقام الذى يحقق ويؤكد المركزية المولوية من الناحية المادية والجوهرية الخالصة ، وقد أوجب هذا انتقال هذا المقام دائما من الأب إلى الولد ، وتمخض عن ذلك تأسيس وتقعيد هذا المبدأ تلقائيا من ذات نفسه فى تكايا المولوية ، وكان هذا عملا مهما فى تفسخ الطريقة وتقويض أركانها حتى أنه تسبب كذلك فى ظهور التنافر والخلاف والشقاق بين بعض الشيوخ ومقام الشلية .

الشلييون :

هاهم أولاء الذين تبوءوا مقام السلطنة الروحانية بدءا من مولانا :

- ١- مولانا جلال الدين (ت ١٢٧٣ م)
 - ٢ - جلي حسام الدين (ت ١٢٨٣ م)
 - ٣ - سلطان ولد (ت ١٣١٢ م)
 - ٤ - أولو عارف جلي بن سلطان ولد (ت ١٣٢٠ م)
 - ٥ - شمس الدين عابد جلي بن سلطان ولد (ت ١٣٣٨ م)
 - ٦ - واجد جلي بن سلطان ولد (ت ١٣٤٢ م)
 - ٧ - أمير عالم جلي بن أولو عارف جلي (ت ١٣٥٠ م)
- وهذا الشخص لم يتبوء فعلا مقام الشلية
- ٨ - أمير عادل جلي بن أولو عارف جلي (ت ١٣٦٨ م)
 - ٩ - أمير عالم جلي بن عابد جلي الثاني (ت ١٣٩٥ م)
 - ١٠ - عارف جلي بن أمير عادل جلي أوغلو الثاني (ت ١٤٢١ م)
 - ١١ - بير عادل جلي بن أمير عالم جلي الثاني (ت ١٤٦٠ م)
 - ١٢ - جمال الدين جلي بير عادل تجلي (ت ١٥٠٩ م)
 - ١٣ - خسرو جلي بن قاضي محمد باشا (ت ١٥٦١ م)
 - ١٤ - فرهود جلي بن خسرو جلي (ت ١٥٩١ م)
 - ١٥ - بستان جلي بن فروخ جلي (ت ١٦٣٠ م)

- ١٦ - أبو بكر جلبى بن فروخ جلبى (ت ١٦٣٨ م)
- ١٧ - عارف جلبى الثالث بن ولد جلبى (ت ١٦٤٢ م)
- (وهو من نسل مولانا من جهة الأم)
- ١٨ - حسين جلبى بن حسن بن فروخ جلبى (ت ١٦٦٦ م)
- ١٩ - عبد الحليم جلبى بن عبد الرحمن جلبى (ت ١٦٧٩ م)
- ٢٠ - بوستان جلبى الثانى بن عبد الحليم جلبى (ت ١٧٠٥ م)
- ٢١ - صدر الدين جلبى بن بوستان جلبى (ت ١٧١١ م)
- ٢٢ - محمد عارف جلبى بن عبد الرحمن جلبى (ت ١٧٤٦ م)
- ٢٣ - أبو بكر جلبى الثانى بن عارف جلبى (ت ١٧٨٥ م)
- ٢٤ - حاجى محمد جلبى بن اسماعيل جلبى (ت ١٨١٥ م)
- ٢٥ - سعيد همدى جلبى بن حاجى محمد جلبى (ت ١٨٥٨ م)
- ٢٦ - صدر الدين جلبى الثانى بن همدى جلبى (ت ١٨٨١ م)
- ٢٧ - فخر الدين جلبى بن همدى جلبى (ت ١٨٨١ م)
- ٢٨ - مصطفى صفوت جلبى بن همدى جلبى (ت ١٨٨٧ م)
- ٢٩ - عبد الواحد جلبى بن همدى جلبى (ت ١٩٠٧ م)
- ٣٠ - عبد الحليم جلبى بن عبد الواحد جلبى (ت ١٩٢٥ م)
- ٣١ - بهاء الدين ولد جلبى بن مصطفى نجيب جلبى (ت ١٩٥٠ م)
- ٣٢ - عامل جلبى بن يعقوب جلبى (ت ١٩٢٠ م)
- ٣٣ - محمد باقير جلبى بن عبد الحليم جلبى (ت ١٩٤٣ م)
- ٣٤ - شمس الواحد جلبى بن عبد الواحد جلبى

عصور الشلبين والوقائع والأحداث المتعلقة بالطريقة :

إذا كنا نعتد بمولانا ، فإننا بحثنا فى القسم الخامس من هذا الكتاب السير الذاتية للشلبين الذين جاءوا وذهبوا حتى عصر بير عادل (جلى الحادى عشر) وناقشنا كذلك الوقائع والأحداث التى كانت إبان عصورهم .

تبوأ جمال الدين جلى مقام الشلبية بعد أبيه بير عادل جلى ، وتفيد السفينة أنه كان شديد الكرم ، عظيم الجود والسخاء ، وقد بشر جمال جلى الفاتح بمولد بايزيد ، ومن ثم فإن بايزيد الثانى أبدى له ولولانا عظيم التجارة والتوقير ، كما اضطلع كذلك بتجديد الصناديق الموجودة فى المقبرة ، وأرسل بقماش قيم ثمين بغية ستر وتغطية أعلاها (ج ١ ، ص ١٣٩ - ١٤٤) .

واضطلع بايزيد فى الحقبة عينها بتشيد وتعمير ما فى المقبرة ، ثم تولى المولى عبد الرحمن بن محمد الحلبي نقش النقوش فوقها ، وهذا ما ندركه من النقش الموجود أسفل النافذة الموجودة ناحية القبلة التى يرقد فيها سلطان ولد^(١) .

ثم حل محله بعد ذلك خسرو جلى ، وظل فى مقام الشلبية طوال العهد المبكرة للسلطان بايزيد الثانى وعصور السلطانين سليم الأول وسليمان القانونى ، وقد وهب سليم الأول (ياوز) أوقافا كثيرة إلى تكية مولانا وجلب الماء إلى المقبرة وشيد لها فسقية أهدى حوضها من كوتاهية إلى أولو عارف جلى ، واضطلع المولى بتدوين تاريخ تركيب هذا الحوض فى عبارة فحواها « إنه حوض جنان الجنات » « قام سليمان القانونى كذلك على خدمة مقبرة مولانا ، وشيد المسجد ودار السماع ثم اضطلع فى تلك الآونة بتشيد صندوق مرمرى من أجل مولانا وولده ، ونقل كذلك صندوق مولانا وجعله فوق قبر بيه سلطان العلماء^(٢) .

هذا وتفيد شجرة النسب أن خسرو جلى هو حفيد جمال الدين جلى ، أما أبوه فهو قاضى محمد باشا ، فمن يكون إذا هذا القاضى محمد باشا ؟

يوجد فى السفينة حشد متراكم من الأقوال ، بيد أنه ليست معلومة واحدة تشفى الصدور بين ثنايا هذا الحشد المتراكم من الكلام . بيد أنه تقلد لقب قاضى باشا نظراً للفتاوى التى اضطلع بها ، كما أنه حاز قوة محكمة قوية الشكيمة غير قابلة للنقض والإبرام .

كما كان يستحوذ على أوقاف فى قره حصار ، ويمكن أن نعلم كذلك أنه عند مماته وورى الثرى فى تكية ديونه محمد جلبى (ص ١٢١ - ١٢٢) . وقد ورد فى ترجمة السيرة الذاتية لخسرو جلبى أن قاضى باشا قد تزوج بإحدى حفيدات خضر باشا بن مطهرة خاتون بنت سلطان ولد ، وتمخض هذا الزواج عن ولادة خسرو جلبى (ص ١٤٣) .

وورد فى ذيل الشقائق أن قاضى محمد باشا ينتسب إلى شخص يدعى جيوى زاده ، وعمل نائباً له عندما تولى منصب قاضى مصرى ثم اشتغل بالمحاسبة ، ثم بوظيفة التدريس فى بورصة وأدرنة كوتاهية ، وفى خاتمة المطاف تقلد مناصب القضاء فى كل من مصر وأدرنة ، وفى سنة ٩٧٧ هـ = ١٥٦٩ م عزل من منصب القضاء فى آخر خدمة له بمدينة إستانبول ، وتوفى قاضى باشا سنة ١٥٧٠ م ودفن فى فناء مسجد عابد جلبى ، ويوجد كذلك شاه محمد قره حصارلى الذى ينحدر نسله من سلالة من مولانا ، ويكتب عطائى أن شاه محمد هو عادل أوغلو محمد خرم ، وثمة ترجمة ذاتية مدونة عند عاشق جلبى (ج ٤ ، ص ١١٩ - ١٢٠) .

ويسجل عاشق جلبى تاريخاً منسوباً إلى شاه محمد جلبى عندما كان قاضياً على مصر .

ويدون كذلك أن شاه محمد كان فى أدرنة عندما هم بكتابه تذكروته ، ويسجل عاشق جلبى أن لشاه محمد غزليتين ، وتدون حديقة الجوامع أن هذا الشخص توفى سنة ٩٠٣ هـ = ١٤٩٦ - ١٤٩٧ م . وذلك إبان بحثها عن مسجد عابد جلبى الذى ينحدر نسله من سلالة مولانا مع كل من أمير بخارى وبيرداش وورد فى الحديقة كذلك أن الشاعر « نادرى » (١٦٢٦ = ١٦٢٧ م) مدفون فى نفس الموضع ، وتشير الملزمة رقم ٩٧٨ هـ إلى القاضى شاه محمد جلبى (ج ١ ، ص ١٥٢) .

حقاً ! فمن يكون هذا الشخص الموسوم باسم قاضى باشا ؟ هل تضيف السفينة خطأ أكثر فتقول إنها سمعت بأنه من قرّة حصار ومات فيها ودفن كذلك فى تكية مولانا فى قرّة حصار ، وهذا الخطأ يسجله ذيل الشقائق ويقول فيها إنه والد محمد جلبى وكان قاضياً على خرم ، وهذا ما يسجله عاشق جلبى ، ولا غرو أننا لا يتسنى لنا الإحاطة علما بسيرته الذاتية وقصارى ما علمناه أنه خرم جلبى^(٢) .

وإذا فكرنا ملياً فى أن محمد شاهين توفى سنة ١٥٧٠ م أى بعد وفاة خسرو جلبى بتسع سنين فإن ثمة احتمالاً قوياً بأن يكون قاضى باشا هو قاضى خرم جلبى والد محمد شاه ونعتقد أن عادل جد قاضى خرم هذا ، هو بعينه عادل جلبى المتوفى سنة ٨٧٠ - ٨٧١ هـ = ١٤٦٦ م .

وقد عثر خسرو جلبى على أشعار نظمها قاضى خرم ، كما كانت له أوقاف كثيرة زادت بمرور الزمان وأوصى بها فى حياته كالأمرء إلى مقام الشلبية فى تكية مولانا ، وورد فى السفينة كذلك ما يضمن ديمومة حياة الترف والنعيم إلى خلفاء الشلبيين . ويفيد ثاقب دده بأنه كان يخفى هذه العطايا والهبات ويداريها بنفسه .

أما فروخ جلبى الذى تبوأ مقام الشلبية وحل محل خسرو جلبى فقد كانوا يأتون به إلى مدرسة قرّة طاي ليضطلع فيها بتدريس ما يتصل بمولانا على مرور الأيام .

وتقول السفينة : إن الشلبيين اضطلعوا بالتدريس فى هذه المدرسة فى ذلك الإبان أو بعبارة أصح « إن أولئك الذين لم يضطلعوا بتقديم وعظ مولانا كانوا يتقاضون راتب التدريس فضلاً عما يأخذونه من حق المواريث الذى يتول إليهم من الأوقاف .

وقد أدرك فروخ جلبى الأزمنة المتأخرة من عصر سليم الثانى وعصور السلطانين مراد الثالث ومحمد الثالث ، أما مراد الثالث فقد اضطلع فى عهد فروخ هذا بتوسيع تكية المولوية وتشيد غرف الدراويش^(٤) . كانت حياة فروخ جلبى أشبه بحياة الأمرء والباشوات ، كما كان يغشى بيوت الأكابر وسراة القوة ويتقاضى

النذور من كل شخص ، كل هذه الأشياء مهدت السبيل إلى شيوع الشوائع وذيوع القيل والقال إبان عصر فروخ جلبى ، ومن ثم فقد شب أول نزاع بين ظهراى الشلبيين ، نقول إنه أول نزاع لأنه لم يسجل قبل ذلك أى نزاع شامل عام لا سبيل إلى إخفائه أو مداراته ولا نعلم كذلك ماهية هذا النزاع وطبيعته ، فهو نزاع لم يتمخض عن حياة جلبى فقط ، بل نجم عن إنفاق الوقف ، أو نقول بجلاء إنه تولد عن الوقف ذاته .

ويرى ثاقب دده أن الخلفاء ونعنى بهم « الشلبيين » قد تصدوا للخلف ، ونعنى بهم أولاد مولانا ونجحوا فى هذا التصدى (ص ١٥٠ - ١٥٢) ، وتفيد رواية ثاقب دده أن فروخ جلبى ظل معزولا مدة ثمانى عشرة سنة وهذا يعنى أن يد الحكومة لم تتل من مقام الشلبيه حتى ذلك الإبان ، ومن ثم فقد عزلت بن ملا خونكار لأول مرة ، وهذا يوجب القول بأن ثمة ثمانى عشرة سنة قد سقطت من خلافة فروخ جلبى والذى تبوأ مقام الشلبيه مدة ثلاثين عاما (١٥٦١ ، ١٥٩١ م) بيد أن هذه الثمانية عشر عاما تصادف أية حقبة من هذه الثلاثين عاما ؟ ومن يا ترى كان هو جلبى فى غضون تلك الحقبة ؟

وما هو أصل هذه الواقعة ؟ لا يرى فى سلسلة النسب المولوية خليفة آخر بين فروخ جلبى وبستان جلبى ، ولا توجد معلومات قط تتصل بهذا الشأن أو تتعلق بتلك التواريخ ، ويفهم من هذا أنه ليس نزاع صديق بل هو نزاع على تبوء المناصب فى العادة ، وهو شىء لا يستحق الذكر ألبتة .

وفى الوقت عينه فقد دُبجت بسبب هذه العزلية غزلية أخرى اضطلع بها « فروخ جلبى » الذى كان شاعراً أيضاً . وتقول السفينة : إن هذا الغزل يسمى « غزل العزل » ، وهذا مطلعها :

يا رب بزه بر تسليت خـاطـر أولورمى

يوقـسـه بوفـتـور ايله دم آخـر اولورمى

والمعنى :

يارب ألا تسلى خـــــــاطرنا ؟

أليس لهذا الفتنور آخر أو نهـاية

هذا وتفيد السفينة كذلك أن بستان جلبى الذى حل محل فروخ جلبى قد ولى وجهه شطر استانبول إبان عصر السلطان أحمد ، واشتغل بأعمال الوقف ، ثم نجح فى القول عائداً إلى قونية ، وذهب إلى المقبرة وهو يترنم بالسماع فى الطريق، وتدون السفينة بصفة خاصة : أن السلطان أحمد كان يحب بسان جلبى حباً جما ، وبالع فى الحذب به ورعايته وذلك بسبب رؤيا رآها فى منامه .

وتبين غزلية السلطان أحمد الأول فى وضوح مدى إخلاصه لمولاتا « وردت هذه الغزلية فى دورية محفوظة لدينا ترجع إلى القرن السابع عشر ، وهذا يعنى أنها كتبت فى عصر السلطان أحمد » وتقول الغزلية :

مثنويسك ايشيدوب حضرت مسولانك

كشوار أولدى تولا غيمده كلاً آنك

دف ونى ناله قيلوب مولويلر اتيدى سماع

ايله دك ينه صفاسينى بوكون دوراتك

امر مسولا ايله برهمت ايده مسولانا

كله آيا غيممه كسيم كلر كله أرى آدانك

جدا علا لريمه همت ايده كلمشدر

بن ده أومسم نه عجب همتك أول سلطانك

بختـيـه يه بنده أول دركاه مسولانك

تخت ما ينده أودريا دشاهاى دنيسانك

والمعنى :

ألقى السمع مليا إلى مثنوى مولانا
وكلامه فى أذنى سورة الحمىا بجش
وأجرى المولى المساع يتأوه بالدف والنأى
وقمنا هذا اليوم بصنع السرور والصفاء
فلنقم بخدمة مولانا بأمر من المولى سبحانه وتعالى
ولنجلبن عند قدميه رءوس الأعداء
ولنسع دائمًا لخدمة جد عائلانا
ماذا جرى لو تمنى هممة وعزيمة ذلك السلطان
ويكون حظى أن أكون عبداً لعبتبه مولانا

إنه سلطان الدنيا والعرش المنيع
وهناك من يعدون بستان جلى من أرباب الطريقة الملامتية ، كما كانوا يعتقدون
كذلك أنه اتبع سبيل الزيغ والضلال لما حققه من انتصارات فى مضمار القنص
والصيد ، وقد كثر مريدوه وبرز فى ميدان الحرب وهو يقاتل بالأت الحرب والقتال ،
وقام بتغيير لباسه وتبديله كما غير عمامته وأكابر القوم الذين يصاحبهم ، وكثرت
وجوه إنفاقه فى سبيل الخير والإحسان كما كانوا يعتقدون أيضاً بأنه سوف تحدث
أمراض معدية لو أصابته المتاعب أو قدم صدقة وكانوا يستفهمون من بستان جلى
إذا حدث وتلقى خبراً من أحد أو ارتاب فى أن الخبر المتلقى ليس صحيحاً .

كان فروخ جلى لا يقيم فى التكية ، بل كان يقضى الوقت فى كوخ صغير كان
قد شيده فى حديقة منزله الذى ولد فيه ، ولهذا السبب فإنهم كانوا يقولون : إنه كان
يجلس فى هذا البيت مع صوفية الغيب^(٥) .

وتلك واقعة حدثت في زمان بستان جلبى تبين عن شخصيته ، وأنه كان يهب كل ما يستحوذ عليه وتملكه يداه إلى الدراويش والفقراء المترين المعوزين . زار أحد الوزراء تكية المتصوفة وأعطى بستان جلبى ما مقداره ألف دينار لتكون ثمناً لأدعية الدراويش .

وكان في التكية ثلاثمائة درويش ، وسمعوا بما حدث ، فنهضوا من فورهم لوداع الوزير وعندما رآهم الوزير قال : إن هذا القدر غير كاف ، وأراد أن يقدم المزيد من المال فقال بستان جلبى : إن هذا كاف ، ولما رحل الوزير أخذ جلبى قلانس الدراويش كلها ، بيد أن صابونى دده وقاراتال دده اللذين نما إلى سمعهما إحسان الوزير ، ورأيا بعينى رأسيهما نهوض الدراويش ووداعهم للوزير ما لبثا أن ذهبا إلى مدينة « مراد » لأنهما لم يستحسنا هذه الفعلة ، ولم يعجبهما هذا الصنيع ، ولما أقبل قدم جلبى المال إلى كليهما ، فما كان من هذين الصوفيين إلا أن تضرعا متوسلين ، وعرضا المال على أعين الناس لعلمهم يشهدون .

وبعد انقضاء ثمانية عشر يوماً قدم صوفية آخرون ليتشفعوا بشأنهم ، ثم كرر جلبى التكبير على قلانسهم ، وتجاوز عن تقصيرهم ، ثم أنفق هذا المال على الطعام المطهى في الاحتفال (ص ١٥٨) .

ذاعت المولوية وانتشرت انتشاراً في عصر بستان جلبى ، وشيدت تكية للمولوية في الشام وكانت قبل زاوية صغيرة ليس إلا . وطُلب إلى بستان جلبى أن يكون شيخاً عليها ، ولكنه أرسل قارتال دده بدلاً منه ، وكان محمد دده الموجود في مدينة « أغازه » (ت ١٦٥٣ م = ١٠٦٣ هـ) . منتسباً إلى بستان جلبى كما شيدت تكية المولوية في غاليبولى من أجل هذا الشخص ، وشيدت في عصر بستان جلبى تكية من أجل كمال أحمد دده خليفة خسرو جلبى في إستانبول (تت ١٦٠١ هـ = ١٠٠٩ - ١٠١٠ م) ، وشيدت كذلك تكية المولوية في « ينى قابى » لتكون تكية المولوية الثانية في إستانبول بعد تكية غلطة وذلك في عام ١٥٩٧) .

وكان شارح المثنوى أنقره لى رسوخى إسماعيل كذلك خليفة لبستان جلبى ، وقد كتب غزليته لنعى بستان جلبى (تذكرة أسرار) ، والتي يقول فيها :

باغبان روح برور يعنى مولانابى روم
 نوبهار ايتىدى ينه باغ دم ودورانى
 تازه لندى ذوق وشوقى كهنه بزم عالمك
 شك فردوس ايلوس بيسرامن بستاننى
 دستان بوستانى خوش دماغ عطر ايدوب
 قوت جانى عدم ايتدى نكهت عرفاننى

والمعنى :

إنه مولانا الرومى بستان الروح
 هو ربيع ندى وبستان العصر والأوان
 جدد مجلس الصحبة القديم بالشوق والصفاء
 تحسده الفردوس على طرق بستانه
 وأبهج أصدقاء البستان وعطرم بالرائحة الزكية
 هو رجل قوت الروح ونكهة العرفان
 وتسجل السفينة أن عدد المنتسبين إلى بستان جلبى ثمانية ألف مريد ، وتردف
 قائلة : إن الشلبين الذين تفرقوا وتوزعوا فى قرى الوقف إبان عصر فروخ جلبى
 بمقاطعات قره حصار وغيرها من المدن الأخرى قد انكفئوا راجعين إلى قونية فى
 عصر بستان جلبى (ص ١٦٣ - ١٦٤ م) .

حل أبو بكر جلبى محل أخيه بستان جلبى الذى انقضى عصره بفوضى
 واضطراب ضرب أطنابه فى كل مكان وإذا توجب علينا تصديق ثاقب دده بأن
 السلطان الذى انتهب وسيطر على « قاضى زاده » كان مثل هؤلاء عدوا لدودا

للتصوف والمتصوفة ، وأراد أن يدخل ضريح مولانا بحذائه إبان حملته على بغداد ، ولكن خادم الضريح حال بينه وبين فعلته .

كان هذا السلطان سليط اللسان على كل شخص ، وأمسك بيد خادم الضريح متعللاً بتقييلها ثم ما لبث أن شد عليها ضاغطاً إياها يريد كسر عظامها ، ولكن خادم الضريح فطن إلى هذا وشرع يشد ويضغط على يد السلطان قائلاً : الرحمة يا إلهي ، ثم عاد السلطان بتحريض طلاب العلم الديني فقذف سُبْحته الدرية من فجوة كائنة على حافة تابوت المقبرة ، ثم ألقى بها تحت أرض المقبرة التي دفن فيها مولانا ، ثم أمر أبا بكر جلبى بفتح الباب الذي يلج إلى تحت الأرض ، بيد أن أبا بكر جلبى قال : إننى لا قبل لى بالاضطلاع بهذا الأمر ، فغضب السلطان مراد الرابع وقام بنفى أبى بكر جلبى إلى إستانبول ، ثم زجوا بواحد من صغار الشليبين إلى داخل الباب ، ولكنه خرج وارتم منه وهو معقود اللسان (ص ١٦٥ - ١٦٩) .

ولنمعن الفكر ملياً فيما قاله ثاقب دده ، ولنفتح نحن صفحات التاريخ : كان قاضى زاده بن أحد القضاة يسمى باليق اسيرلى دوغانزاده ، تلقى تعليمه على يد برجوى محمد (ت ١٥٧٣ م = ٩٨٠ - ٩٨١ هـ) ، وبعد وفاة برجوى أراد قاضى زاده أن يتبوء الإسلام مكان الصدارة وذلك عن طريق الكتاب المسمى « الطريقة المحمدية » والذي اضطلع بشرحه زمرة من أساطين العلماء وأن قراءة قصيدة المولد للرسول صلى الله عليه وسلم ، وإقامة مراسم يوم الأربعين على الميت ، وصنع الفطائر والحلوى من أجل روح الميت ، وتلاوة القرآن كالأغاني بمقام موسيقى منغم ، كل هذه الأشياء ليست من الدين فى شيء وإن الدين ليعارض هذه الأشياء بشدة .

كان برجوى خوجة ابن شبابه يعيش فى معية أرباب الطرق وكان يرى ما هم عليه من نقائص ومعايب ، كما كان يعلم كم من المال يتكلف المدرسون من أجل التنشئة والتربية فى المدرسة .

كان هذا الرجل وهابى المذهب فى دولة آل عثمان ، وكان يريد الإصلاح فى صورة تقهقر ونكوص إلى الوراء ، وليس انقراضاً وهجوماً مندفعاً متوثباً إلى الأمام ، إنه يريد عصور الإسلام المبكرة ، ولا يريد قتال الصحابة أو لعنهم أو سبهم .

هكذا كان قاضى زاده الذى تربي ونشأ على يد أستاذ ، وبذل جهداً فى الارتباط بالطريقة ما بين الفينة والأخرى ، حتى أنه كان منتسباً كذلك إلى شيخ من الحمزيين يسمى إدريس محتفى (ت ١٦١٥ م = ١٠٢٤ هـ) ، ثم كان درويشاً للشيخ ترجمان شيخى (٦) .

وكان قاضى زاده ذا روح ناقدة وفكر ضيق ، ومن ثم فإنه لم يعجب كثيراً بالتصوف والدروشة ، بل كان على خلاف ذلك عدواً لدوداً للصوفية .

وها هو ذا مطلع قصيدة له قدمها إلى السلطان مراد الرابع فى عام ١٦٣٠ م .

ويقدم فيها شعراً بلغ حداً بعيداً من الجرأة والجسارة ، يقول قاضى زاده :

خواب غقلندن أوبان أى آل عثمان بيلمش أول

آج كوزك الدن كيدر تخت سليمان بيلمش أول

والمعنى :

أفيقوا من سباتكم آل عثمان وكون على علم ويقين

واقترحوا أعينكم واعلموا أن عرش سليمان ضائع مفقود

وهو فى تقديمه هذا الشعر إلى السلطان كأنه يغوص فى لجة صفاء وسعادة أهل إستانبول ولكنه فى الظاهر لا يسمع صوتاً آخر سوى التأوه والصياح ، ويذكر أن الشعب راض كل الرضا عن ظلم أصحاب الإقطاع وعن أن يكون حتى أسيراً للكفار .

ويحكى فى قصيدته كذلك عن أهوال التحريق والتدمير اللذين حلا بناحية بولو Bolu ، وكيف خرج الناس إلى الشعاب والجبال ، وامتلاء مملكة خراسان عن آخرها بأهل السنة .

كما يتحدث عن أوباش الإنكشارية ورعاعهم الذين تمردوا على جدهم وشقوا راية العصيان ، ويبين كذلك كيف تصدى الجند الأغبياء فى وجه طائفة الصناع

والحرفيين الذين لا يعرفون سعراً محدداً ثابتاً حتى بلغ الحال بالفلاح أنه لا يستطيع غرس بذرة كما أن القضاة لا يتمسكون بما يقولون ، ولا يكفون عن الارتشاء ، ويتحدث كذلك عن اللواط والخمر والأفيون والدخان وما شابهها من الأمراض المعدية التي غشيت كل مكان وأحاطته من جميع أكنافه ، ويذكر كذلك أن المقاهي باتت وكراً للفسوق والعصيان ، وكان يريد إنشاء المجالس الديوانية الطارئة التي تعقد في حضرة السلطان .

كان قاضى زاده واعظاً في مسجد السلطان سليم باستانبول ، ويجذب أنظار الناس بخطابته وشجاعته وصراحته المعهودة في الحديث ، فهو شيخ سطع نجمه وذاع صيته ، وأصبح واعظاً لمسجد آيا صوفيا ، أما المقتدون به المتبعون سبيله والمهتمون بفكره فقد شرعوا يلقبون باسم « قاضى زاده ليلر » أى أتباع قاضى زاده .

أما أشد منافسى قاضى زاده وألد منازعيه فهو الشيخ عبد الحميد سيواس الخلوتى الذى كان واعظاً بمسجد أحمد وقرض الشعر وتخلص « بيشخى » (ت ١٦٣٩ م = ١٠٤٨ = ١٠٤٩ هـ) .

وكان المنافسان كلاهما يفتندان بعضهما البعض ، ويدحضان أفكار كليهما بالحجة والبينة من فوق منبر الوعظ والإرشاد .

توفى قاضى زاده سنة ١٦٣٥ م ، وخلفه فى منصب الوعظ بمسجد آيا صوفيا واعظ آخر شغل مكانه واشتهر بلقب « الأسطوانى » ، وكان هذا الرجل عربياً ، وقتل رجلا فى المملكة العربية السعودية ، ثم فر هارباً ، فهل هذه الرواية صحيحة ؟ أم أن أعداءه اختلقوها وزيفوها ؟ هذا غير معلوم ، ولكن هل كان هذا الرجل ذكياً ألعيا فطنا حاضر البديهة مثل قاضى زاده ، وهل كان ذا مقدرة فائقة مكنته من أن يجرجر الناس من خلفه ويتعلقون بذيله . ومن المؤلف كذلك أن أصبح كل من : بائعى الحلوى وخدمة الدائرة السنية السلطانية وغللمان الحرس السلطاني والعاملين بقصر السلطان عبيدا لهذا الرجل . كما انضم معلم السلطان ويدعى « ريحان.آغا » إلى أتباع قاضى زاده ، أو كما يقول الناس إنه أصبح من الفقهاء .

وقد انضم إلى الشيخ أسطوانى كل من : دركن المعلم المخلص والمرشد الأمين لرؤساء طائفة الإنكشارية ، وكذلك الشيخ ولى واعظ مسجد الفاتح ، والشيخ واعظ خورشيد المعروف باسم جاوش زاده ، والشيخ عثمان واعظ مجسد السليمانية ، ومعلم الغلمان الذين يعملون بخدمة السلطان ، والشيخ محمد شيخ تكية « اربه لى » كل هؤلاء وأولئك قد انضموا إلى الشيخ أسطوانى وصاروا فى معيته . وكان هؤلاء جميعا يقولون إنه كان يكفر أرباب الطرق الصوفية فى وعظهم وإرشادهم ، كما كانوا يقوون كذلك إنه كان لا يصلى فى موضع تكية تخربت وانهدمت بفعل الزمان وصروف الحدثان ما لم يتم إلقاء بضعة أذرع من تراب أساسها المحفور فى لجة البحر . كان الفقهاء لا يجيزون الاشتغال بالعلوم العقلية والرياضية ، ويقولون إن الخضر لم يكن نبيا فى الحياة ، كما لا يريدون كذلك قراءة القرآن منغما ، ويرون أن الصلاة على النبى فى أثناء الخطبة والتفوه بقول « رضى الله عنهم » من قبل واحد سوى الخطيب عند ذكر أسماء الصحابة هو من قبيل البدعة المحرمة وهذا يعنى أنها أشياء اختلقت بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، وليست من الدين فى شىء لقد تفوه ابن عربى بكلمة تناقض الدين وتناهضه عندما جهر بقوله : إن فرعون قد مات على الإيمان .

لا جرم أنه يوجد من لا يتبعون سبل الدين ولا يعتدون به فى أفكار بن عربى الواردة بين ثنايا ألفاظه ، وكان هو نفسه زائغا منحرفا عن جادة الصواب ، لا يصلى التراويح والصلوات غير المفروضة فى جماعة ، وكذلك الشأن بالنسبة للصلوات التى تصلى فى الجمعة الأولى من شهر رجب وليلة النصف من شعبان ، ويرى أن لعنة يزيد بن معاوية ليست صحيحة صائبة ، وزيارة القبور إثم عظيم . أما تقبيل اليدين والقدمين والانحناء عند السلام فهو شرك مهما يكن الشخص الذى تقابله . كان الفقهاء يتفقون جميعا على منع التبغ والدخان ، وقد منح الخليفة من لا يعلم بحرمة ، ويقولون إن الشارب الذى لا ينصاع للأمر ولا يتمثل له يكون مذنبا أثما ، كما كانوا يعارضون الرشوة بشدة فى غير هواة ، وكانوا يتجاوزون حدودهم ويعدون طورهم فى الحدود والصلاحيات رويدا رويدا حتى حازوا قصب السبق فى هذا المضمار .

إنهم سوف يحرقون التكايا ، وسوف يتركون مئذنة واحدة فقط لكل مسجد كبير ، ويبتوا النية على إزالة كل شيء لم يكن موجوداً في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

قال أحد فقهاء الترك : ألا من الشخصير والسروال^(٧) . اللذين كانا موجودين في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم حتى يلبسه هذا الرجل حسن الخلق ، ألا يتوجب عليه لبسهما ، وما لبث ترك أحمد أن أجاب قائلاً : بلى ! فليتمنطق بمنزر شعبي ، وليزملن ظهره بمنزر آخر . فقال الرجل : هذا شيء حسن ، لم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ملعقة فماذا عسانا أن نصنع ؟ قال لماذا تغل اليد في أي يوم ؟ فليأكلوا باليد .

حسن يا سلطاني ، ولكن ماذا عسى أن يصنع صناع الملاعق ، وبأي شيء يتقوتون ؟ فليصنعوا السواك والسبحة . ولم يستطع الرجل التحمل ، ثم قال الرجل : أتريد أن تجرد العالم وتعريه وتدخل الصحراء على هيئة أعرابي ؟ حقاً أكانت هذه المعتقدات صحيحة صائبة ؟ ألم ينسق هؤلاء الرجال وراء التلهف على المنفعة ويتصنعوا المداهنة والرياء ؟ فلنقلب إذاً صفحة التاريخ ، ماذا يقول التاريخ ؟ وماذا تحكي الكتابات ؟

كان لواحد من أثرياء الفقهاء علاقة خسيصة مع واحد من أجمل الفتيان ، فما كان من الفتى إلا أن رفع عقيرته بالصباح وقد تجعد وجهه من أثر الاغتصاب والإكراه ، ثم نادى قائلاً : أجمع تكتك الحريرية ، ولا تمس الشيء المحرم بجسدك المبارك .

وكان واني محمد (ت ١٦٨٥ م) من رفقاء نفس هذا الطريق ، يرتدى فراء من السمور^(٨) . وكان شديد الشغف والولوع بالدر والمجوهرات ، وقد جرت بينه وبين أحد الأشخاص هذه المحاوره :

أيا سلطاني : إنك تمنع الناس من مختلف هذه الأشياء ، بيد أنك غارق حتى أذنك في المجوهرات ، كما تغوص في لجة فراء السمور . فقال الفقيه : أيها الجاهل أنت لا تعلم شيئاً ، هذا حرام عليك ، حلال على فأنظر واستمع .

مثلاً : إنك تأكل شيئاً ما ، وتخرج اللحم الباقي بين أسنانك بالقوة والخلة ، ثم تبتلعه ويكون طعامك هذا حراماً . أما أنا فأخرج هذا اللحم بلساني وأبتلعه ويكون حينئذ حلالاً ، وإن الأشياء التي أكلتها وشربتها ذات شك وريبة ، وقد اشتريها بمال مخلوط بالحرام ، ومن ثم فإنها حرام . أما نحن فنشتريها بالدين ثم نسدد ديوننا في أول الشهر من مالنا المشكوك فيه .

ويكون حينئذ حلالاً^(٩) . كان لنفوذ الفقهاء تأثير شديد قوى في إجراءات الدولة وأفكارها السياسية . ففي عام ١٦٣٧ م كان الفقيه قيصري أمير شيخ ذا محلة في منطقة اسكوادار ، وكان يقص على السلطان رؤى ملفقة مختلفة ولا سيما ما يكون منها ضد الإنكشارية .

وقال السلطان « قد بات مهما محوك وإزالتك يريح تسمى القلنسوة واللباد وتوجد إشارة وتنبية من عالم الغيب من أجل هذا الخصوص .

وعلى إثر هذا قتل أمير شاه القيصري الذي ضايق السلطان وأزعجه »^(١٠) .

كان قاضي اسكيشهر في مدينة ايلكين إبان حملته على بغداد سنة ١٦٣٨ م ، وجاء إلى الجيش واشتكى الشيخ أحمد المعروف باسم سكاريا شيخى والذي يقول بالمهدى المنتظر ، وما كان من الشيخ أحمد إلا أن أرسل ما بين سبعين إلى ثمانين درويشاً من الرجال إلى مدينة اسكى شهر ودعاهم إلى التمرد وشق عصا الطاعة ضد دولة الشعب ، بيد أن طائفة من الرجال قد صاروا خُلصاً له في خضم هذه الثورة وذاك الاهتياج ، وما لبث السلطان أن أرسل بهذا الشيخ إلى الأمير . وأردار على باشا درويش ، كى ينكل به ويسيمه صنوف العذاب .

ولكن سكاريا شيخى وقف ضد السلطان وفي معيته ما بين سبعة إلى ثمانية ألف وانهزم الجيش ، وفي خاتمة المطاف أتى إليه أحد محبيه ويدعى عثمان أغا فخدع الشيخ وقبض عليه ، وجيء بالشيخ إلى قونية ثم سأل السلطان قائلاً : أحقاً أنك قلت بعصيانى وشق عصا الطاعة على حينئذ رد الشيخ قائلاً : إننى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن المنتظرين للمسيح عليه السلام ، ثم أمر السلطان بقتله ، واجتمع

مريدوه ، ولم يؤثر السلاح فى الشيخ ، ثم سلخوا جلد صدره وكتفيه كى يثبتوا خطأ عقيدته ، ثم قطعوا أصابعه واحداً تلو الآخر حتى مفصل يديه ، ولكنه لم يتأوه مرة واحدة ، وقال للجلاد قره على : ألا تعجل على يا سيدى الجلاد .

ثم أركبوه حماراً وطوفوا به بين ثنايا الجيش وكان عارياً فوق رأسه عمامة كبيرة سوداء ، وقد سلخت كتفاه ، أما هؤلاء الذين لم يکنفوا بالتعذيب والتنكيل فقد عمدوا إلى جدد أنفه وبتك أذنيه وتقطيع يديه ورجليه ، ثم ألقوا به فى لجة الجيش حتى مات بعد حين من الزمان^(١١) .

أما روميا شىخى محمد الذى كان يقيم فى ديار بكر فقد كان له ألوف مؤلفة من المريدين فى كل من إيران وأرضروم والموصل ووان وحل ، وقد خنق لأسباب غريبة جداً أنه كان يقسم بعزة الشيخ وجلاله^(١٢) . وقد سرُ الفقهاء من هذا الإجراء وكانوا يعدونه ميزة حسنة غير متعمدة . ونأتى الآن على ذكر أبى بكر جلبى :

لا جرم أن السلطان مراد كان يريد رؤية الموضع الذى يثوى فيه مولانا ليقف ملياً على من حفروا قبره وأفسدوه والذين لم يخربوه ويفسدوه . كما أن أبى بكر جلبى لم يتسن له الاضطلاع بهذا الأمر عن جسارة واقتدار .

ولكن ألهذا السبب ثم نفيه إلى إستانبول ؟ لا فهذا لم يكن ، فقد تحدث المؤرخ بچوى Pecevi عن طمعه ، كما أن المؤرخ نعيما شرح معلومات مسهبة بطريقة موجزة ، ونعيما يكتب الأخبار بشكل أصيل حقيقى موثوق به ويعول عليه . فلننظر إلى قونية فى العالم قبيل النظر فى أحوال جلبى ، ثم نمعن النظر فيه هو بعد ذلك .

عين واحد يسمى ماجروبك MagrioBey وهو من أهل جورجيا أميراً على منطقة قره مان لما أبداه من شجاعة وبسالة إبان الحملة على إيران . وكان هذا الرجل يعمد إلى خلق شعور الفتيات مثل الصبيان ، ثم يُركبهن الجياد ، ويطوف بهن فى المدينة ، وقد تجاوز حده وعدا طوره فى البغى والظلم ، وانهمك فى العنت والجور والاضطهاد ، فكان ظلوماً متعسفاً غشوماً حمل الناس على الضجر والسامة لما كان يطلبه ويريده منهم وأخيراً تاهب قونيه لى سيد إبراهيم آق كشمير أوغلو إلى تضيق

الخناق عليه والالتجاء إلى استخدام السلاح وتبعه أهل قونية واقتفوا أثره ، وحطموا خيام الجورجيين وسجنوا أمراءها فى قلعة قونية .

وذهب الشاكون إلى الصدر الأعظم خسرو باشا ، ولكن ما جرو Magrav هذا فر حيثئذ هارباً ، ثم قبض عليه فى حلب وقتل مع ولده^(١٣) . وكان هذا العام هو العام الذى تبوأ فيه أبو بكر جلبى مقام الشلبية ، ولم يكن لجلبى صوت مسموع فى تلك الواقعة أو الوقائع التى أعقبته ، ولم يشعر حتى بنفسه وكان له تأثير ونفوذ عظيم فى قونية . كان الحكام والقضاة لا يؤدون عملاً دون قهر أو تنكيل .

وقد مهد هذا النفوذ لعاقبة جلبى ، وأحيط السلطان علماً بقدرة ملا خنكار أوأغلو .

وقد مر السلطان على قونية إبان حملته على بغداد سنة ١٦٣٨ م .

وذهب إلى بساتين مرام Meram ، وكان رجلاً سادياً^(١٤) يبحث عن وسيلة لسفك الدماء .

وعثر على الشعب وعلى الوسيلة . وأعطى جلبى للحاكم بضعة جياد بسبب مجيء السلطان .

وقدم لكل واحد من الوكلاء هدايا قيمة وتأكد خادم الفقراء من صحة هذه الأخبار . ومع كل هذا فقد قوبل إحسان مراد الرابع بالإحسان فأعطى جلبى فراء السمور وقطعاً ذهبية ، ثم خصص ضرائب النصارى التى فى تلك الناحية لمقام الشلبية وذلك عوضاً عن نفقات تكية المولوية التى كانت تنفق عليها .

ثم انظر ماذا يتعشم أهل قونية المحاويز المساكين ، فما كان منهم إلا أن لاذوا بجلبى واستغاثوا به لأنهم علموا أنه سيلتقى بالسلطان ويبدى له كل تجلة واحترام ، وقال السلطان لجلبى : إن أهل قونية متربون فارفع عن كاهلهم التكاليف الزائدة التى تجاوزت كل حد ، ثم أضاف قائلاً : إذا نجحت فى هذا الشأن فلسوف تمنحك بضعة أحمال من العملة الفضية .

كان الرجل محققا تماما ، ولكن لماذا بضعة أحمال من العملة الفضية ؟
فلتترك هذا الأمر جانبا ولما رأى جلبى بعينه إحسان السلطان لم يدر بخلده الخبز
الذى تأكله قونية .

أما النصارى والقرويون من أهل صوغلة Sogla وهى إحدى قرى السهوب فإنهم
لم يؤدوا العشر الموقوف عليهم ، أو ربما لا يقدرّون على أدائه ولم يفوت جلبى هذه
الفرصة ، فكان يأخذ من هذه القرية كل عام حملا من العملة الفضية ، ثم يلتمس من
السلطان المساعدة وكان السلطان يقبل رجاءه ويمنحه أمرا سلطانيا فى يده ، وهكذا
بلغ جلبى ما كان يصبو إليه وثأر لنفسه ، ولما أحيط السلطان علما بالمال الذى
يأخذه جلبى من صوغلة ثم يضمه إلى المال الذى يدخره ، أمر مراد الرابع من فوره
بتفتيش داره .

وفى الحق أن المال الذى أخذه قد وجد فى أكياس مختومة . وعندما أمر
السلطان مراد الرابع بشنق جلبى أنقذ من الموت بفضل شفاعة شيخ الإسلام الشاعر
يحيى (ت ١٠٥٤ هـ = ١٦٤٤ م) . ثم نفى إلى إستانبول وعين قره حصارلى عارف
جلبى المنسوب إلى مولانا من جهة الأم شيخا على مقام الشلبية .

ولم ينته الأمر عند هذا الحد ، بل إن الذين لا يحبون أبا بكر جلبى كانوا يقولون
إن أمواله المصادرة قد تجاوزت حدها .

أما مراد الرابع فقد استدعى زوجته شيرزاد خاتون ، فمثلت فى حضرته ثم
سألها : أيتها المرأة : لقد بقيت الفراء التى أعطاه صاحب السعادة خونكان إبان
حملته على روان ، وأضاف قائلاً : لقد أصدرنا أمرا بمنح هذه الفراء .

قدم أبو بكر جلبى إلى إستانبول وحل ضيفا فى قصر الوزير بإيرام باشا حيث
عاش البقية الباقية من عمره ، ثم وافته المنية قبيل وفاة بإيرام باشا بسبعة وعشرين
عاما ، أى فى ربيع الأول سنة ١٠٤٨ هـ = ١٦٣٨ م ودفن فى التكية المولوية الكائنة
فى ينى قابى ، أما الأشياء التى نقلها ثاقب دده فلم تكن بحاجة قط إلى التفوه بحكاية
أبى بكر جلبى . وفى ذلك الإبان كان ندم السلطان مراد وأسف أسفا شديدا لرغبته

فى إرسال أبى بكر جلى مرة ثانية إلى المقام ^(١٥) الشلبية ، بيد أن جلى لم يقبل هذا ، وأثر الانزواء فى عزلته بمكان ضيق فى حجرة فى غياهب الظلمات ، وكانت وفاة قاضى زاده ، ثم أعقبها وفاة أبى بكر جلى سنة ١٦٤٢ م ، أما عارف جلى الذى انتقل إلى مقام الشلبية مكرها إبان حياة أبى بكر جلى ، فقد مكث فى هذا المقام ثلاثة أشهر ثم قضى نحبه فى نفس السنة ، كل هذه الأشياء وغيرها كانت تلفيقا وتزييفا ، ولم تكن سوى حفرة لسقوط الشيخ الذى لم يسقط من قبل (١٦٤٢ م) وقد ورد فى سلاسل النسب المولوية أن أبا أبكر جلى توفى سنة ١٠٥٢ هـ - ١٦٤٢ م ، وعلى كل حال فقد بينا أننا أن روح أبى بكر جلى قد تخلصت من التهلكة بفضل شفاعته كل من بإيرام باشا وياليه أفندى ، ثم غادر قونية بعد ذلك ، وحل ضيفافى نزل بإيرام باشا تنفيذا لوصيته ، وتوفى أبو بكر فى هذا النزل ، ودفن بمقبرة دوغانى أحمد دده (ت ١٦٣٠ م) الكائنة بتكية المولوية فى ^(١٦) « ينى قابى » .

تبوأ كوجوك عارف جلى المعروف باسم عارف الثالث مقام الخلافة الشلبية ، وحل محل أبى بكر جلى ، ومكث فيها أربع سنين . وإذا كان ثاقب دده قد أدرج بين ثنايا كتابه رسالة بالعربية من ثلاث صحائف ، فإن أسلوبها ولا ريب هو أسلوب دده نفسه . ونحن لانعتقد أن تكون هذه الرسالة تخص عارف جلى من قريب أو بعيد ، فصدق أو لا تصدق ^(١٧) .

انتقل مقام الشلبية بعد عارف جلى إلى حسين جلى بن حسن جلى بن فرخ جلى وتصادف عصر حسين جلى عصر كل من إبراهيم ومحمد الرابع .

ويكتب ثاقب دده فيقول : لقد أصبح النفاق سنة متبعة بين الشلبيين إبان عصر حسين جلى ، حتى أنه جدت طائفة كانت تريد إقصاءه عن مقام الشلبية ، ثم يضطلعون بصنع رجل آخر يسمى « درويش جلى » وأرسلوا درويش جلى هذا إلى إستانبول ليرفع شكايته ومظلمته بيد أن غايتهم ذهبت سدى وخاب سعيهم . ومكث درويش جلى مدة فى إستانبول ، ثم عين بعد حين شيخا على التكية المولوية فى غلطة calata ، وفى نهاية الأمر اشترك فى الحملة على قامانيجه Kamanice إبان عصر السلطان محمد الرابع ، ثم أدركته المنية فى موضع يسمى جاجى أوغلوا بازار صيفى

(ج ١ ، ص ١٧٥) . أما حديقة الجوامع فتبين أن مشيخة درويش جلبى كانت قبيل عام ١٠٧٤ هـ = ١٦٦٤ م ، ثم عزل عن هذه المشيخة فى هذا التاريخ ، وأعيدت المشيخة إليه ثانية فى عام ١٦٧١ م ، واشترك فى الحملة على قاماينجه ١٦٧٢ م (١٠٨٢ = ١٠٨٣ هـ) ، وتلقوا الحقيقة : إنه مات فى حاجى أوغلو بازار جيفى ، بيد أن عطائى يذكر أنه لم ينصب فى المشيخة مرة ثانية (ج ٢ ، ص ٤٣ ، ٤٤) وإذا صدقنا ثاقب دده وعولنا على ما أورده ، فدعنا إذن نتحدث عن جنون إبراهيم .

فقد قيل إنهم استدعوا حسين جلبى إلى إستانبول فى حضرة السلطان ليكبر على قلنسوته ، ولكن عندما دخل جلبى إلى حضرة السلطان أمر بالتكبير على قلنسوة الأمير محمد ، ففسر جلبى هذا على أنه انتقال للسلطنة إلى محمد (ص ١٧٦) .

ويروى ثاقب دده : أن حسين جلبى اشترك بنفسه فى التمرد على أباطة حسن باشا (ت ١٦٥٨ م = ١٠٦٨ هـ) . وتحدث معه فى هذا الأمر ، وأمن دخول أباطة إلى قونية وكان حسين جلبى هذا من قراء المثنوى بعد مقتل أباطة ، ثم قدم إلى إستانبول فى معية درويش آخر وألبس أباطة القلنسوة ومد له يد العون والمساعدة ، وأمعن فى الظلم والتعسف فإذا ظهر أنهما يكذبان فى دراسة هذا الأمر فإنهما سيخنقان بحبل واحد .

ويذكر فرائض جينزاده محمد سعيد فى كتابه « روضة المعارف » أن إسماعيل باشا استدعى ثمانية من دراويش المولوية إلى حضرته فى قونية ، وأمرهم بتطهير البقية الباقية من سلالة أباطة ، ثم أحضروا المثنوى ، وشرع أحدهما فى قراءته وانشغل الآخر بعزف الناي وانشغل اثنان آخران بالسماع ، أما الأربعة الذين خلفوا فإنهم اتخذوا شكل ومظهر المولوية حين لم يتسن لهم فعل شئ وأدركوا أنهم سيقتلون ، ويستشف من هذه الرواية أنها على قدر قليل من الصواب رغم رقص ثاب دده لها (١٨) .

كان عصر عبد الحليم جلبى الذى حل محله حسين جلبى قد صادف عصر الحظ الميمون للصدر الأعظم « وانى محمد » . كما كان الفقهاء موجودين فى ذلك الإبان واستصدروا فتوى من شيخ الإسلام آنذاك بهانى أفندى (ت ١٦٥٤ م) بتحريم

الرقص فى تلك الحقبة من الزمان ، كما بيتوا النية كذلك على شن غارات على تكاياهم وتكليف الدراويش بحسن الإيمان ، بيد أنهم أخفقوا فى خطتهم .

ثم اجتمعوا فى مسجد الفاتح إبان الأيام الأولى من حكم الصدر الأعظم كوبريلى محمد باشا (ت ١٦٦١ م) وشرعوا فى الجلبة والصخب عاقدين على تحطيم التكايا وتقويض أركانها ، ثم رفعوا عقيرتهم بالصياح قائلين لتأتين أمة محمد من فورها غدا بمعدات الحرب والقتال .

بيد أن كوبريلى أمر بقتل أولئك العصاة المتمردين بعد مشاورته العلماء ، ونفى كلا من أسطوانى ، وتورك أحمد ، وديوانه مصطفى إلى قبرص ، وهدأت الثورة المشتعلة الأوار (١٩) .

كان ظهور محمد وانى فرصة لبروز الفقهاء من جديد ، وكان الصدر الأعظم كوبريلى زاده فاضل أحمد باشا (ت ١٦٧٦ م = ٩٨٧ هـ) شديد الافتتان بوانى محمد .

ولكن محمد الرابع أطبق على خناق ذلك التعصب الدينى المزيف ، وفى عام ١٦٦٦ مر ذات يوم على منزل وانى وهو متنكر فى زى خفى (٢٠) وكان هذا أمانة تدل على أن نجم هذا الشيخ فى سبيله إلى البريق واللمعان ، وغدا هذا أمرا واقعا ، وبعد قليل فاز « وانى » بنصيب مشيخة خنكار ، وذهب إلى القصر مرتين فى الأسبوع ، ومنح حق الوعظ والإرشاد وتعليم الدروس (٢١) ، ثم كانت هزيمة موقعتى سنكوتار وختن ، وانتصار جان سوبيسكى Jansobyski ، ولم يأت فى عقبهم المفسدون ، أما المتمردون فى الداخل فإنهم لم يتناسوا الجدل الصوفى والطالب الدينى الذى كان يدور حول العرش ، وكذلك النزاع الذى كان ناشبا فى الأناضول ، ولم يكتف هؤلاء بهذا ، إذ ما لبث سيد عبد الله أوغلو محمد أن أعلن عن موالاته وتحزبه للطريقة المهدية بمنطقة بجوار الموصل فى سنة (١٠٧٦ = ١٠٧٧ هـ) .

وقبض عليه بعد حرب شعواء ، وجيء به إلى إستانبول ، ولكنه سرعان ما أنكر المهدية ، وعفى عنه لأنه من سلالة النبی محمد صلى الله عليه وسلم وانضم إلى خدمة حجرة الكنوز (٢٢) .

وفى نفس العام أعلن يهودى من إزمير يدعى سباتاي سوى sebetaysevi النصرانية فى مدينة القدس وكتب أوراقا يعلم فيها اليهود أجمعين ، وكان يصدر رسالته بقوله : إن المسيح هو ابن الله وهو أول مخلوق منقذ ومخلص إسرائيل ثم بدأت الطوائف اليهودية المحلية فى كل من سلانيك وإزمير فى شن حملة ضد سباتاي هذا ، أما علماء الشريعة فدبروا له مكيدة لإيذائه والإيقاع به .

حيث قبضوا عليه وجاءوا به إلى إستانبول ، وحبس فى روملى حصار ، واعتنق الإسلام فى المجلس الشرعى الإسلامى ، وأدى فريضة الحج وسمى بالشيخ محمد ، بيد أن طائفة من الناس كانوا يعتبرونه دجالا . ولهذا السبب فإنه كان يعتقد فى مهدية مهدى الأكراد^(٢٣) . استمر حكم طاتون TaTun فى إستانبول إبان تلك الحقبة من الزمان ، حيث كانوا يجرفون المنازل ويدمرونها . كان طاتونت يقدم فى وعظه نماذج براقية ومعلومات سوقية عابثة متبذلة ، ويشرح أسباب المرض واحدة تلو الأخرى ، كان الناس يؤمنونه فى مدينة باب اسكى ويقبلون حجره وترابه ويقدمون له النذور والقرايين ، ويحطمون مقبرة قنبر بابا بإرشاد وتوجيه من وانى^(٢٤) .

أصبح السعد الميمون لوانى بمثابة سلسلة متتالية من المصائب والملمات بالنسبة لأرباب الطرق ، فقد منع الرقص والسماع فى هذه السنة ، وكان سماع المولوية يثير حنق وغضب المتعصبين الدينيين ، ودون الدراويش تاريخ سنة ١٠٧٧ هـ على أنه عام « المنع السيئ » . ولكن التعصب كان سيجد وسيلة للمصائب والملمات الداخلية والخارجية ، ففي عام ١٦٧ م = ١٠٨١ هـ هدمت حانات الخمر بأمر من السلطان ، وألغيت الخمر ، وفى سنة ١٦٧٧ م انشعبت من الخلوتية شعبية الطريقة المصرية ، وكانت تزعم بنبوة الإمامين الحسن والحسين رضى الله عنهما . وقد حمل نيازى المصرى (ت ١٦٩٤ م) على كل من وانى وفاضل أحمد باشا .

وشن عليهما هجوما عنيفا ، ثم نقى على أثر ذلك إلى ليمنى Limni^(٢٥) . وفى عام ١٦٩٧ م كان هناك قره باش عالى (ت ١٦٨٦ م) صاحب الطريقة الشابانية المتشعبة عن الخلوتية .

وتم نفيه إلى ليمنى Ilmni^(٢٦) وفى عام ١٦٨٠ م قبض على رجل يهودى له علاقة جنسية مع امرأة يهودية ورغم أن الجريمة لم تثبت بشهادة الشهود كما تقضى الشريعة إلا أن كليهما قد دفنا فى هوة محفورة فى قاع عمود على شكل ثعبان موجود فى ميدان السلطان أحمد ، ثم قتل رجا بالحجارة وشهد عذابهما طائفة من الخلائق بمن فيهم^(٢٧) السلطان .

وفى سنة ١٦٨٥ م اجترأ شخص من الطريقة الخلوتية يدعى أن بازارى عثمان فضلى (ت ١٦٩٠ م) فى حضرة السلطان ، ثم أخذ يشرح أحوال العالمين بإسهاب وتفصيل ، بيد أنه يذيع ما يقول وهو فى حالة من التشتت والارتباك ، ولكنه ما لبث أن نفى من قوره إلى مدينة شُمنو وهى مسقط رأسه ثم بدأ وانى ينهض رويدا ليكون ضد ذلك الحديث ، ويدين الوزراء وينحى باللائمة عليهم حتى أن ظهيره الكبير كوبريلى زاده قد استأصلت شأفته وقضى عليه قضاء مبرما . كان وانى فى ذلك الإبان واعظا للجيش أثناء حصار مدينة فيينا حاضرة النمسا فى سنة ١٦٨٣ م ، ثم ما لبث أن فقد اعتباره وأقل نجمه بعد الهزيمة النكراء التى منى بها .

ونفى إلى كستلة إحدى قرى بورصة ، وكانت له فيها مزرعة ومات بها فى سنة ١٦٨٥ م^(٢٨) . ويقول ثاقب دده : إن ما يقرب من ألف مولوى قد تم قتلهم عند خروجهم للسياحة وذلك بسبب منع السماع وتحريمه (السفينة : ج ١ ، ص ١٨٠) .

حل حليم جلبى الذى تخلص فى أشعاره بمخلص حليم محل عبد الحليم جلبى ، وأطلق عليه قره بستان جلبى لأنه كان شديد سواد البشرة ، وكان قد أجزى له السماع قبيل عام واحد من وفاة وانى (١٦٨٤ م) . للمزيد من المعلومات بشأن بشير أغا ، انظر : عبد الباقي جلبنارلى : الملامية واللامية : نشریات : معهد التركيات - جامعة إستانبول سنة ١٩٣١ ، ص ١٥٨ - ١٦٠ .

وقد دونت هذه الواقعة المقدسة فى التاريخ باسم نعمة ١٠٩٥ هـ^(٢٩) .

كان بستان جلبى مشغولاً بأعمال وقف التكية قبيل انشغاله بمقام الشلبية ، وفى عصره كان هناك إمام من قونية بلقب خشاف ، وكان فى صدارة الذين اشتكوا من

عدم دفع ضريبة منطقة جلبى ، وكان قد كتب التماسات وعرائض شكوى إلى إستانبول ضد بستان جلبى ، بيد أنه لم يستطع الاستحواذ على شيء ألبتة وفى تلك الآونة ظهر واحد من الذين لهم شكوى ضد الإمام .

ووجد القاضى الإمام فى حالة نشوة وسكر بين مع أحد الرجال بأحد البساتين ، ثم شنىق بأمر الشرع (السفينة ج ١ ، ص ١٨٣ - ١٨٤) .

وقد تنازع قاضى قونية ويدعى لهومى على مع بستان جلبى ، وكانت هناك حديقة فى حوزة أحد الطهارة الكائنة فى التكية خارج مسجد السليمية ، وكانت هذه الحديقة موضعا للقليل والقال ، وقال متعهد الوقد بعدم وقف هذه الحديقة ، ومن ثم ظل جلبى مضطرا إلى دفع المال الذى يخص مدة تملك هذه الحديقة ، ولكنه أحس من إستانبول بالواقعة فتغير الأمر وتبدل ، وفر لهومى من قونية هاربا واضطر إلى البقاء فيها ، أما متعهد الوقد فقد أخر الأموال المأخوذة (ص ١٨٨ - ١٨٩) .

أمر أحمد الثانى بنفى وإبعاد قره بستان جلبى ليقطع دابر الشكايات التى جاءت فى عقبه ، وقد جعله هذا الأمر يكتب على طريقة من يرغب فى الذهاب إلى الحج فى هذا العام وقد حج الناس بناء على أمر بن مولانا الذى استدعى الإنسان إلى حقائق الكعبة ومن صورة الكعبة .

فى تلك الآونة امتدت الأيدي إلى أوقاف التكية ، ورفعت الحصنة المقدسة الممنوحة للشلبيين ثم منحت للعلماء والقائمين على التدريس فى مدرسة سلطان ولد وقره طاي ، ثم عاد جلبى من الحج ونفى بعد حين مطرودا إلى قبرص لحضور تنصيب والى قره مان .

وإذا كان جلال جلبى عم قره بستان جلبى قد حل محله إبان وجوده فى المنفى ، فإنه قد عزل من منصبه بعد ثمانية عشر يوما بسبب عجزه ، وحل محله صدر الدين جلبى بن بستان جلبى (السفينة ص ١٨٩ - ١٩٢) .

مكث بستان جلبى فى قبرص أربعين يوما ، ثم عاد إلى مقامه ثانية بعد أن عفى عنه واستقبل باستعراض عسكري مهيب ، وكان ثاقب دده بين المستقبلين (ص ١٩٢) .

وقع زلزال فى السنوات الأخيرة من عصر بستان جلى وأحدث خرابا شديدا فى منطقة يشيل قبه وعندما هم جلى بإصلاح وتعمير هذه المنطقة من ماله الخاص ، وعرض الأمر على القصر قائلا له إنه أثر من آثار السلاطين ، ثم أمر السلطان مصطفى الثانى بتعميره وإصلاح ما تهدم منه .

كان الصدر الأعظم أميجه زاده حسن باشا (ت ١٦٩٨ م) قد لبس القلنسوة مع أبيه حسن آغا وذلك من الشيخ ينى قابى والشيخ قارىء أحمد دده (ت ١٦٧٩ م) وطلب إلى السلطان راجيا منه أن يكون ظهيرا لهذا الشيخ وفى عونه ومساعدته . وكانت المساعدة ثمانية عشر كيسا من الدراهم ، ثم أرسل ثلاثة أكياس أخرى إلى الدراويش لتتفق فى سبيل خرقة التصوف ، وكان قره بستان جلى يقول : إذا كان هؤلاء يبذلون الخدمة بالمال فنحن نبذلها بالبدن ، ونضطلع بها فى وجوه الإحسان والإصلاح والتعمير ، وعند الاضطلاع بتشبيد القبة دون ثاقب دده هذا المصراع فى سنة ١٦٩٨ م حيث يقول فيه :

« كورن كامل ده أولشن نوح قباب الطف مينا (ص ١٩٤ - ١٩٥) .

والمعنى : انظر ، فقد اكتمل بناء قباب نوح مطلية بالمينا .

حل صدر الدين جلى محل أبيه قره بستان جلى للمرة الثانية ، ثم ما لبث النزاع أن احتدم واشتد حول هذا المنصب . ويفيد ثاقب دده أن مالطه جى محمد باشا (ت ١٧١١ م = ١١٢٢ هـ) كان منتسبا إلى صدر الدين جلى ، وإذا أمعنا النظر فى كلام ثاقب دده وجدنا أنه يكبر على قلنسوة الأمراء الذين يندرجون فى سلك المولوية ، وأهملت هذه العادة إبان عصر السلطان أحمد الثالث ، ثم أرسلت بعد ذلك قلانس حريرية من أجل التكبير ، وكان جلى يقول : يتوجب أن تكون القلنسوة من اللباد .

وبناء عليه دعى إلى إستانبول ، بيد أن المرض داهمه إبان قدومه إلى آق شهر ، ثم انكفأ راجعا حيث قضى نحبه فى قونية (ص ١٩٧ ، ١٩٥) . حل جامى محمد عارف الرابع محل صدر الدين جلى ، ثم تبوأ منصب الشلية من بعده أبو بكر الثانى ،

وتنتهى السفينة هاهنا . وتعلم أبو بكر نظم الشعر من أسرار وتخلص فى أشعاره بمخلص « غريبى » ، ونرى فى تذكرته غزليات ثلاثاً ، ويدون هذا الأثر أن له ولدين اثنين ، مات كلاهما فى حياته ، وللشيخ غالب دده تشطير خمس وهى إحدى غزليات أبى بكر جلى (الديوان - مصر - مطبعة بولاق سنة ١٢٥٢ هـ ، ص ٩١) .

وقد اضطلع الشيخ غالب بتسجيل تاريخ وفاة كل من أبى بكر جلى وولده عارف جلى (جامع التواريخ : ص ١٣٣ - ١٣٤) . وعندما كتب تذكرة الأسرار كان يوجد فى مقام الشلبية كل من : إسماعيل جلى أوغلو وحاجى محمد أمين جلى . ولا يوجد من الآن فصاعداً مصدر واحد يمكن الاحتفاء به حتى ولو كان ذا ماء أسن . ومن ثم فلم تبق وسيلة أخرى سوى الاعتماد والتعويل على ما نراه بأعيننا ونحسه بأنفسنا مما هو موجود فى الدوريات وسجلات الأرشفة .

وهاهى ذى وثيقة موجودة بين أيدينا تتصل بتعيين حاجى محمد جلى ، تقول فحواها : « لما كانت سلسلة الشلبية قد انقرضت ، وكان جلى أفندى يسكن قونية فى يوم الأحد الموافق للثالث عشر من شهر رجب الشريف لسنة ١١٩٩ هـ ، وكان هناك قارىء مثنوى فى قونية ينحدر نسله من سلالة أهل البيت ، ويوجد كذلك قره مان شيخى أفندى وإسماعيل جلى أوغلو شيخ الحاج محمد أفندى ، وهؤلاء ينحدر نسلهم جميعاً من ناحية الذكور ، فضلاً عن وجود ثلاثين أو أربعين رجلاً ، قدم كل واحد منهم إلى إستانبول بدعوة من المشيخة ، ووجد كذلك الصدر الأعظم فى حجرة العرض ليضطلع بأعمال المرافقة ، وروملى قاضى عسكر عارف ملا ، وقاضى إستانبول مكى أفندى ، ودعى ثلاثتهم ، ودعى كذلك الخصوم ومنهم مثنوى خوان أفندى وفى معيته قره مان شيخى ، وحضر المرافقة ، وخاطب الصدر الأعظم شاهين على باشا (ت ١٨٧٩ م) مثنوى خوان قائلاً له : أنت مالك للمال الكثير ، وذو طبيعة تميل إلى التكف وسؤال الناس بغية جمع المال ، أنت لم تكن كذلك ، ثم خاطب شيخ قره مان قائلاً : أنت من زمرة الطلبة ، وأنت ممن لا يطيعون أولى الأمر ، فمن هؤلاء الواقفون فى الخلف ، أكان مثنوى خوان أقره شيخى ، فكلاهما من الذكور ، وشهادتها تدل على أن إسماعيل جلى أوغلو هو بعينه الشيخ الحاج محمد أفندى ،

وقال له أنت مستحق لهذا ، ثم ألبسه الفرجية (القباء) ، ثم ولى وجهه شطر الشلبية ، وخرج من بين الخاضرين طائفة المؤيدين لثنوى خوان فى حجرة الديوان كانوا بالأمس شيوخا لوالده ، وأصبح مثنوى خوان فى اليوم التالى من المتفوهين بأشياء سخيفة مضحكة منافية للعقل ، ثم نفى إلى مغاسية فى معية أعونه ^(٢٠) ويتبين من هذا أنه عندما يخلو مقام الشلبية فإن طلابه الساعين إليه ليسوا ثلاثة أو خمسة أشخاص فحسب ، بل كانوا ثلاثين أو أربعين شخصا ، ولسنا فى حاجة إلى القول بأن هذه الجاذبية تأتى من الوقف ، ولاسيما الوقف الغنى .

ويقابل هذا أيضا سائر المصارف الأخرى المخصصة للإعمار والتي تأتى بدورها من حصص المواريث ووظيفة التدريس وقراءة المثنوى . وثمة أعمال أخرى منفصلة مثل إشعال القنديل والكنس والتنظيف والتي تضطلع بها طائفة من الشلبية يمارسونها براحة تامة دون غضاضة منهم .

وهناك كذلك الأمراء وأصحاب الوجاهة والأعيان الذين يصدرون الأوامر ويقضون أوقاتهم فى التسلية ، ولا يفكرون فى شيء سوى الراحة ، ويقولون : سيدى الرائع وسيدى الغادى !

مكث محمد جلبى فى مقام الشلبية ثلاثين عاما ، صادفت السنوات التسع الأخيرة منها عصر سليم الثالث ، وقام فى هذه الحقبة بحملات حازت قصب السبق .

وكان صاحب مقدرة مبدعة خلاقة تتسم بالحس والشعور ، ومحمدجلبى هذا هو حفيد مولانا وكان يريد تحطيم أغلال القوالب الجامدة التى تفيد النشوة الصوفية والعشق المنبعث من حبة الفؤاد ، وأراد كذلك القضاء على العقلية العقدية الجازمة المتمثلة فى منذته المدرسة ولهذا كان محمد جلبى مثالا للتخلف والتقهقر الرهيب فى عصر سليمان الثالث ، وكان لا يتورع عن إهانة هذه التهمة التى لصقوها به .

وها هو ذا شيخ غالب دده ممثل المقدرة الفنية للشعر المولوى وأدب الديوان فى إستانبول يثنى على السلطان سليم الثالث فى بيت من الشعر يقول فيه :

مجددا أولديغى سليكم دين ودينايه

نمايدندر بونو بوشيده سندن قبر مالايه

والمعنى :

هو السلطان سليم مجددا الدنيا والدين

وهذا ظاهر بجلاء من نوع غطاء قبر الملا

وكان محمد جلبى هو ممثل المولوية فى قونية إبان مناصرته وتأييده لهذا النظام الجديد ،

حيث كان مناهضا ومعارضاً لهذا النظام القديم بصفة كلية^(٣١) .

هذا وتبين لنا الوثائق المخفوظة فى المديرية العامة لأرشيف مجلس الوزراء بإستانبول أن محمد جلبى كان له نشاط قوى مؤثر مناهض للنظام الجديد .

وتحمل أولى هذه الوثائق تاريخ ذى الحجة لسنة ١٢١٨ هـ - (١٨٠٤ م) ،
وورد فى الخطاب المكتوب بصفة مباشرة إلى محمد جلبى أن ثمة طائفة من بعض
الأرذليين بدأوا فى التحرك ضد أمر السلطان ، ثم كتب جلبى رسالة إلى عبد الرحمن
باشا أمير قره مان بغية تأديب هذه الشرذمة وإخضاعها للنظام والطاعة .

وعليه فقد وافق على ذهابه إلى قره حصار أو إلى قونية حتى لا يكون فى
المدينة إبان هذا النزاع والشجار المحتدم ، وكتب له رسالة فى هذا الصدد ، ودهش
لعدم ذهابه ، ومن ثم فقد أوصى بذهابه إلى إحدى المدينتين اللتين سلف ذكرهما كى
يظل بمنأى عن ذلك التمرد الذى عُرِى إليه ويكون كذلك بعيداً عن أمر السلطان
(رقم ٣٤ - dolap - صندوق ٣٤) أما الوثيقة الثانية فأرسلت إلى عبد الرحمن
باشا (ت ١٨١٨ هـ) فى الثامن من شهر ذى الحجة وتذكر هذه الوثيقة أن
جلبى المفتى كان فى مقدمة هذا العصيان وأرسل طائفة من الجند كما كلف جبار
زاده سليمان بك بتقديم العون والمساعدة للمتمردين (رقم ١٥ - صندوق ٤٩) .

والوثيقة الثالثة مكتوبة إلى عبد الرحمن باشا وإلى قره مان ، وتخص التمرد الذى وقع ضد النظام الجديد ، وكان عبد الرحمن باشا ضد ما كتب لجنود قونية فى نفس الخطاب الذى كتب فى ٢٩ ذى الحجة من نفس السنة .

ثم نفرت فرقة وتأهبت للقتال ، وكان لجلبى تدخل كبير فى هذه الحملة ، ومكث عبد الرحمن باشا فى قرية قواق Kavak على مسافة ساعتين من قونية ، ويفهم هذا أنه أراد نفي وإبعاد محمد جلبى من قونية وإصدار الأمر بتأديب النبلاء ووجهاء القوم ، وورد فى الخطاب المكتوب ردا على هذا وفيه يقول : « إن جلبى أفندى هو مسبب الثورة ولذا يتوجب دفع المشار إليه عن قونية أولا بأولا ، وأن يكتب إليه خطاب بخصوص الذهاب إلى قره حصار أو كوتاهية دون أن يصيبه أذى لكونه من السلالة الظاهرة لمولانا ، وأرسل كذلك أمرا إلى المفتى من شيخ الإسلام ، وبناء عليه كان من المناسب دخوله إلى قونية دون حرب أو قتال وذكر أن تحركه سيكون صعبا إذا تعذر عليه هذا .

وثمة وثيقة أخرى تحمل تاريخ ٩ ذى العقدة ، ورد فيها أن بعض الأشخاص قدموا فى معية صاحب الطريقة دده قاصدين إستانبول حاملين بعض الشكاوى ، بيد أن هؤلاء قد استأصل شأفتهم وتم نفيهم وجُمع جندهم . ونفهم من هذه الوثيقة التى وردت فى نفس التاريخ أن جلبى أرسل شكايًا مع هؤلاء الرجال ، كما أرسل الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا (ت ١٨١٨ م) رسالة إلى جلبى بشأن ذهابه إما إلى قره حصار وإما إلى كوتاهية وعدم الزج بنفسه فى هذه الشكاية ، وتوجد وثيقة أخرى مكتوبة فى ذى العقدة وتتصل بهذه المسألة عينها .

ونذكر من وثيقة محررة بتاريخ الخامس عشر من ذى الحجة أن أهل قونية لم يأخذوا عبد الرحمن باشا إلى المدينة ، كما أرسل الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا رسالة إلى جبار زاده فى هذا الخصوص (رقم ر : ٨١ ، صندوق ٤٩) .

وثمة وثيقة أخرى تحمل تاريخ ٢٥ ذى العقدة ورد فيها تذكرة مكتوبة إلى أغا قصر السلطان يتصل بتوظيف جبارزاده فى قونية واضطلاعه بأمرها (رقم ٥ صندوق ٤٩)

وهناك كذلك وثيقتان أخريان تحملان تواريخ ٢٠ ، ٢٩ رمضان ، وتدوران حول نفس التمرد والعصيان (رقم ١٠٦ ، صندوق ٤٩ ، ورقم ١٩٨ صندوق ٤٩) . ولا نغفل في هذا المقام ذكر وثيقة أخيرة محررة بتاريخ ٢٤ شوال ١٢١٨ هـ (١٨٠٤ م) تخاطب المفتى بواسطة خادمه « آله داغ آيان » ونستشف منها كذلك الأمر المرسل بشأن مساعدة النبلاء ووجهاء القوم (رقم ١٥٨ - صندوق ١٥٨) .

وقد استمر هذا العصيان مدة عام كامل^(٢٢) .

ولكن ما هو السبب الذي دفع محمد جلبى إلى ارتكاب مثل هذه الأفعال ؟ بتوجب علينا حينئذ البحث فى وثيقتين اثنتين حتى يتسنى لنا الإجابة عن هذا السؤال :

نعلم من الأمر الصادر فى ٦ ربيع الآخر سنة ١٢١٦ هـ (١٨٠٨ م) أن محمد جلبى كان يريد أن يأخذ من عام إلى آخر خمسمائة وعشرين قرشا من قريتى سيلة وطات sille - TaT اللتين أقيمتا فوق الأراضى الموقوفة على مسجد السلطانين سليم وعلاء الدين ، معتمدا فى ذلك على قوة نفوذه وتأثيره فى الشلبية ، كما كتب بوضوح وجلاء أن يعين أهل هاتين القريتين خداما لهذين المسجدين ، إذ ليس فى حوزتهم ممتلكات أو أراض يمكن أن تؤدى الضرائب المفروضة ، وهناك شروط بين وقف تكية مولانا فقط تنص على أن يقدم هؤلاء ما مقداره خمسين عربة حطب إلى مطبخ التكية من عام إلى عام . وقد ذكر السلطان أنه لا يحق لشلبى طلب شىء آخر من هؤلاء بعد تقديم العربات الخمسين ، هذا وقد أمر جلبى والى قره مان بمنع تدخله الذى كان سببا فى تخريب القرى بأسرها^(٢٣) .

وفضلا عن هذا فقد تحرك جلبى وكأنه أمير إقطاعى يتبوأ منصبه بالقوة ، فاستحوذ على قرية صوغله Sogla .

وقد كتبنا أنفا أن المال المغتصب من هذه القرية كان سببا فى تمهيد السبيل إلى العاقبة الوخيمة التى حاقت بأبى بكر جلبى الأول . كما أن هذا المال المسلوب من هذه

القرية قد أحدث بعض وجوه من السلوكيات والتصرفات . وثمة مقالة محفوظة في أرشيف مجلس الوزراء بتاريخ ١٠٧٦ هـ = ١٦٦٦ م . نقول فحواها : إن أراضى هذه القرية قد أصبحت « خاصا » ^(٣٤) أى ملكا خاصا ، كما أن السلطان مراد الرابع أمر بمنح التكية كل عام مائة وخمسين ألف أقجة مخصصة لإطعامها ، ونعلم كذلك أن عبد الحليم جلبي أخذ هذا المال فى السنة الأولى التى تبوأ فيها مقام الشلبيه من أمين صوغلة وصاحب إقطاعها عثمان آغا (ورد فى تذكرة سنة ١٠٢٨ - ١٠٧٦ هـ = ١٦٧٣ م أن حساب المائة وخمسين ألف أقجة المأخوذة كل عام كانت تلقى الرعاية من قبل محاسبة الحرمين .

بيد أن بعض المال الذى كان يجتبى كل عام كان يبقى فى يد كل من جلبي وأجيجى باشى ولهذا السبب كان هذا يبين وجود عذر لدى الدراويش ، وعليه فقد كان متعهد الوقف « صالح » يأخذ هذا المال حيث يصرف فى موضعه ، ويؤمر بالألا يختلط بشئ آخر سواه (١١٢١٠٨٥) .

ويفهم بوضوح وجلاء أن جلبي كان يريد التحرك بحسب ما يزيد ويشتهى وكان لا يحجم أو يتردد فى تشكيل جبهة ضد النظم التى تمنعه أو تحول دون تحقيق مآربه ، ومن المحتمل أن مبادرات السلطان سليم الثالث كان مؤقتة غير ذات أصل متين ، ومن ثم كانت اللفتة على المنفعة هى السبب المباشر لإيثار الفوضى وعدم النظام ولكن سليم الثالث لم يصنع شيئا ألبته لجلبي ، بل تركه فى مقام الشلبيه .

هذا ورغم هذا القدر من التحفظ والتردد فى كبح جماح وتأثير ونفوذ جلبي فإنه كان يوجد قدر آخر من ضعف الروح الإصلاحية التى كانت تهدئ الأعصاب وتسكين ثورتها بأنغام الموسيقى الشرقية العميقة لمولانا الموجود لدى السلطان سليم الثالث وخاصة فيما بينه وبين الشيخ غالب دده ويتجلى هذا الضعف كذلك فى أنه كان أهم الأسباب فى بقاء المبادرة عقبة غير ذات جدوى . وفى أخريات عصر محمد جلبي منح الخلافة لولده محمد سعيد همدى الذى كان فى التاسعة من عمره ، ومن ثم فإنه حل محل أبيه فى هذا المنصب ، ولكى يكتسب هذا التعيين الصفة الرسمية فقد بعث برسائل إلى كل من حالت أفندى والشيخ البكتاشى يوسف أفندى (ت ١٨١٧ م)

والشيخ قازانجى درويش أحمد ، وقد ورد فى الخطاب المرسل إلى يوسف دده أن عطفه ورعايته فى هذا الصدد يشبهان عطف أمه ورعايتها إياه ، وقد اضطلع كل من يوسف دده وقازانجى درويش أحمد كلاهما بزيارة حالت أفندى بغية توفيقه ونجاحه فى هذا العمل ، كما أن حالت أفندى كان يرجو تأكيد رضاها عن كيفية هذا التعيين وذلك عن طريق الانفاق مع شيوخ تكايا المولوية .

ولا جرم أن محمد جلبى قد وافته المنية بعد فترة وجيزة من تاريخ هذا الخطاب (١٨١٥م = ١٢٠ هـ) ، ثم قدم سعيد همدى جلبى إلى إستانبول فى معية تسعة من الشلبيه ومكث هو نفسه فى تكية المولوية البكتاشية ، وحلت زمرة أخرى من الشلبيه فى نزل ضيافة « حالت أفندى » ، كما حلت طائفة أخرى ضيوفا فى تكية المولوية فى غلطة ولم يكن هناك قادمون آخرون بناء على ما ورد بتذكرة شيخ الإسلام وتقرير الصدر الأعظم للسلطان محمود الثانى ، وتقرر منح ما مقداره ألف وخمسمائة قرش كل عام من مقاطعة قونية وتوزيعها على كل الشلبيه المنتسبين إلى مولانا والمنحدرين من نسل بابا وتنظيم براءة منفصلة إلى كل واحد منهم ، وعدم أخذ الخراج من شيوخ المولوية الموجودين فى إستانبول كما تقرر منح عطية مقدارها ألف قرش إلى سعيد جلبى ، وعطية أخرى مقدارها ثلاثة آلاف قرش إلى الشلبيه الآخرين الذين قدموا إلى إستانبول ، ويؤخذ هذا المال من الدفتردار ويتم إرسالها إلى شيخ البكتاشية يوسف أفندى بغية توزيعها .

وقد استدعى سعيد جلبى قبل حين إلى الباب العالى لإلباسه فراء سمور لتأكيد ذهابه إلى قونية ، وصدر أمر سلطاني بهذا الخصوص ، وقد ورد فى هذه العريضة التى كتبت إلى السلطان وينص فيها على تعيين ألف وثلاثمائة وخمسين قرشا كل عام من مال المقاطعة وتمنح إلى أولئك المنتسبين إلى سلالة مولانا من جهة الأب ويكون منح هذا المال إلى سائر الشلبيه أو يستفسر عن رأى بشأن تقسيم هذا المال على الأشخاص التسعة الذين قدموا إلى إستانبول (خطاب محمد جلبى إلى يوسف دده ، الأمر السلطاني للسلطان وأراضى الصدر الأعظم : أرشيف مجلس الوزراء رقم ٤١٧٦٨) .

ولى سعيد همدم جلبى وجهه شطر مقام الشلبية يوم الجمعة فى السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر لسنة ١٢٣٠ هـ = ١٨١٥ م وقابل الصدر الأعظم فى اليوم التاسع والعشرين من السنة نفسها ، ثم ألبس فراء سمور ، كما ألبس طريقته حسن دده المسمى فروخ جلبى فراء سنجاب ، وكان فروخ جلبى يرعى شئون الطريقة وأمور التكية ، وعين مديرا لهما ^(٣٥) . كما أرسلت فراء سنجاب إلى الشلبية الآخرين ، ومنحت ألف قرش أخرى إلى همدم جلبى وثلاثمائة قرش إلى الشلبية الآخرين وتم تخصيص ألف قرش مقتطعة من مال قونية الحكومى لتقسيمها على أولئك المنتسبين إلى سلالة مولانا من جهة الأب كل عام وتكون بمثابة مال عمارة ^(٣٦) .

مكث همدم جلبى مدة شهر فى إستانبول ، ثم انتقل بعد ذلك إلى اسكو دار .

وحل ضيفا على زاوية فيها ، ثم توجه منها ممتطيا صهوة جواد حتى بلغ مدينة أيرىلق جشمه ، ثم مر فى طريقة بكل شيوخ ودرأويش المولوية أجمعين ، وقبلوا يده ، ثم جعل يتضرع ويلهج بالدعاء واستأذن جلبى أولئك المتخلفين الذين مربهم ، ثم أرسل إلى قونية ممتطيا الهودج ^(٣٧) .

نيججه أقطاب نيججه عارف بالله كلور

دركاه بيسره ولى بن كى همدم كلمىز

والمعنى :

جاء كثير من الأقطاب والعارفين بالله

ولكن لم يأت رفيق الطريق إلى صومعة الشيخ مثلى

هذا وقد أرسل تسعة درأويش إلى إستانبول للانضمام إلى الجب الروسية

(١٨٦٥ - ١٨٦٦ م) ثم عين الشيخ بورصة لى صالح دده وكيلا له ، وأعد لهذه

الحركة ، وثمة واحد وعشرون شخصا مولويا كانوا فى معية القادمين من قره حصار

وبورصة ، وقد صاروا موظفين فى معية نور الله باشا (ت ١٨٤١) ، وهو ابن خليل

حامد باشا (ت ١٧٨٥ م) كما حلوا ضيوفاً على نزل ضيافة عارف بك شقيق نور الله باشا^(٢) .

كان السلطان سليم الثالث مولوياً ، وحدث أن تدخل محمد جلبى فى حركة تمرد وعصيان ضد النظام الجديد ، ورغم أن جلبى كان الرأس المدبرة لهذا العصيان فإن السلطان سليم الثالث لم يقف ضد المولوية حتى أنه لم يعط الفرصة لمعاملة محمد جلبى معاملة سيئة ، فقد قضى على الإنكشارية قضاء مبرماً سنة ١٨٦٢ م .

وتوجب إلغاء البكتشاية الذين كانوا ضالعين فى حركة التنكيل التى بلغت أوجها والتى تعقبتها الحكومة إثر التمرد والعصيان الأخير لفرقة الإنكشارية والوقوف ضدهم ، ومن ثم فإنهم أعدوا لعاقبتهم الوخيمة من جراء مساعدتهم للإنكشارية وكان البكتشاية فى مملكة عثمان أوغلو مثل المولوية سواء بسواء . وسرعان ما ظهرت البكتشاية طريقة صوفية ذات تأثير ونفوذ فى نفوس الشعب وخاصة عندما قبلت الحكومة الطربوش ثم بدأت بعد ذلك تولى أهمية للمولوية على وجه الخصوص وذلك عن طريق الاضطلاع بتعمير وإصلاح كل ما هو قديم ، وتشيد التكايا والمساجد والأسبلة وتعمير أضرحة وقبور الصحابة المكشوفة بغية إثبات وتأكيد عقيدتهم الدينية^(٣٩) .

وقد استفاد همدى جلبى فائدة جمة من سياسة الحكومة . كان السلطان عبد المجيد كأبيه يحب المولوية حباً جما ، ولهذا السبب فإنه لم يخالف جلبى أو يجادله فى كل قول يقوله ، وقد طلب جلبى إلى الصدر الأعظم فى الخطاب الذى أرسله إليه سنة ١٨٥٦ م أن يمنح لقب رئاسة المقاطعة إلى كل من صهره راسخ وحسين أفندى . وقد نفذ طلبه فى الحال .

ثم قدم جلبى إلى إستانبول فى نفس السنة وزار الخرقة الشريفة ونال القيود والرضا من السلطان ، وحل ضيفاً فى مصيفه وتلطف به مفيد بك فرفع من شأن رتبته وزاد فى راتبه (إيرادات الداخلية رقم ٢٥٢٠٨) . وفى سنة ١٨٥٨ م عين عثمان أفندى شيخ ينى قاربى والذى يحبه كثيراً وكيلاً فى مكانه عند زيارته قونية ،

وأرسل رسالة إلى الصدر الأعظم عالى باشا لتكون دليلا على رجائه والتماسه لإذن ومساعدة السلطان .

ولكن لماذا كانت توجد ضرورة حتمية لإذن السلطان ومساعدته ؟ يجيب عن هذا التساؤل وثيقة موجودة فى الأرشيف : فلقد منح عطية سلطانية نفيسة قيمتها خمسة وعشرون ألف قرش من أجل هذه الرحلة وزيارة عثمان أفندى (١٨ ذى الحجة سنة ١٢٧٤ هـ - إيرادات الداخلية رقم ٢٦٨٦٣) .

وفى نفس العام دفعت بأمر من السلطان نفقات إنشاء منزل جلى الموجود فى قونية وذلك من قبل نظارة المالية (إيرادات الداخلية رقم ٢٦٧٩٣) .

كان لمحمد سعيد همدم جلبى خلافة عظيمة جلية لا سبيل إلى نسيانها ، ولم تكن هذه الخدمة من أجل المولوية فحسب ، بل جعلها فضلا منه ومعروفا من أجل عالم العلم والأدب برمته ، كان همدم جلبى حتى ذلك الحين موجودا تحت تصرف وتدبير الشلبية ، ومما لا مرية فيه أنه أوقف كثيرا من الأموال من أجل تسجيل وتدوين كثير من الكتب المعرضة للتلف والضياع وبهذه الطريقة أسست مكتبة داخل التكية . ومن يدرى أن تكون هذه المكتبة قد دارت بخلد الشلبين أول الأمر ، ولسوف يكونون أصحاب كتب نفيسة قيمة (٤٠) .

ولما وافت المنية همدم جلبى توجه ولده محمود صدر الدين ليتولى مقام الشلبية فى ٩ رمضان سنة ١٢٧٥ هـ - ١٨٥٩ م (دوسيه أوراق المتحق ، رقم ٦٤٢ ، دوسيه ١٥ ، الأرشيف العام لرئاسة مجلس الوزراء) . وتوفى صدر الدين جلبى فى سنة ١٨٨١ م .

وكان الشلبية كلهم موظفين شيوخا فى التكية ، وفى تلك الآونة قدم أخوه الكبير إلى قونية ببرقية من شيخ الإسلام لتعيين مانيسه شيخى إبراهيم فخر الدين جلبى ، وعين فخر الدين فى مقام الشلبية فى نفس العام .

بيد أنه مكث فى هذا المنصب فترة وجيزة ، وبعد موته ولت الشلبية وجهها شطر أخيه مصطفى صفوت جلبى (برقية شكر مرسلة إلى رئيس قلم الكتاب ، ١٢ شوال

سنة ١٢٩٩ هـ - أوراق يلديز ، تذكرة صادرة بتاريخ ٢٤ شوال ١٣٠٠ هـ يلديز
أوراقى) .

ثم مات صفوت جلبى فى سنة ١٨٧٧ م وحل محله أحد أبناء همدم جلبى ويدعى
عبد الواحد جلبى ، ويصادف عصره عصر السلطان عبد الحميد الثانى ، وكان
عبد الواحد جلبى صاحب معتقدات علوية مفرطة وقد ذاعت شهرته بسبب كرمه وجوده
وتقاء قلبه فكان كل صاحب حاجة يلجأ إليه ويلوذ به ، ولم يرجع أى شخص قط من
بابه خاوى الوفاض ، وكان يسمى « أبو الفقراء » .

أحبه الناس حبا جما ووقروه حق التوقير والتبجيل ، كان يطوف كل شهر على
المحاويج والمعوزين الذين يعرفهم فى خفية واستتار ويقدم لهم العون والمساعدة ،
ويترك مقدارا معيناً من المال لكل واحد منهم ، وقالوا عند موته لقد خلف من بعده
مائة بيت جائع فى قونية . حل عبد الحليم جلبى محل أبيه عبد الواحد جلبى ، ومكث
فى مقام الشلبية قرابة ثلاثة أعوام بيد أنه مهد السيل لطرق التزوير والتدليس فى
الحياة الخالصة ، وتم عزله سنة ١٩٠٩ م وعين بدلاً منه محمد بهاء الدين ولد جلبى
بن نجيب جلبى^(٤١) .

أسست فرقة عسكرية شجاعة من المولوية إبان عصر ولد جلبى الذى صادف
نشوب الحرب العالمية الأولى^(٤٢) . وكانت تحت إمرة وقيادة ولد جلبى^(٤٣) . وقد
توجهت طائفة من هذه الفرقة للاشتراك فى عمليات القتال ومكثت بالشام . وثمة طائفة
من شيوخ المولوية اشتدت عليها وطأة المرض فقضت نحبها ، وولدت زمرة أخرى من
شيوخ المولوية وجهها شطر مكة والمدينة لزيارة الأماكن المقدسة ، وتمخض عن هذه
الحملة إعلان ما يسمى الجهاد الأكبر بغية إثارة وتهييج الشعور الدينى عند جماعة
الاتحاديين ، بيد أنها لم تسفر عن أى نتيجة قط سوى خسارة الإنسان وإصابته
بالضرر والأذى ، وبعد موت محمد رشاد والهزيمة التى حدثت فى الحرب العالمية
الأولى ، تم عزل ولد جلبى رجل الاتحاديين بسبب تخلى حكومة الاتحاد والترقى عن
الحكم ، ثم عين عبد الحليم جلبى مكانه للمرة الثانية ، واستمرت مسألة هذا
التعيين طويلاً .

اضطلع ابن رسوخى بيقره بن سميى الشيخ المرحوم عبد الباقي بمديد العون والمساعدة إلى لتيسير وتهوين المهمة التى أنا بصددھا إبان تدبيج هذا الكتاب ما استطاع إلى ذلك سبيلا إذ تيسر له آنذاك أن أمدنى بمسودة خطاب من صحيفتين اثنتين كتبه بالقلم الرصاص عبد الحليم جلبى .

وهانذا أكتب الخطاب ها هنا بنفسه ونصه : « أعرض فى هذا المقام أننى وأرث مستحق بالإرث لمقام المولوية أبا عن جد منذ ما ينيف على ستمائة سنة . وكنت شريكا فى مساعى تأسيس الدستور فى تركيا برفقة الأتراك الشبان وذلك منذ واقعة ٢١ مارس وقد ظلت صادقا وفيا لعهد وميثاق دستور السلطان السابق عبد الحميد الثانى ، مبينا أن نقض هذا الميثاق كان من قبل جمعية الاتحاد والترقى ، وقادراً فإنه لا يجوز بقاء السلطان فى سدة الحكم بعد نقض هذا العهد .

وعندما كنت فى مقام السلطنة بقونية قالوا بعدم جواز بقاء السلطان فى مقام الحكم بناء على نقض العهد عن طريق حركة قائد الجيش ورئاسة مجلس الأعيان والمبعوثين ، وقد أهدى سيف إلى هؤلاء من حضرة جناب سلطان ولد ثم بعثوا برقية لنزع هذا الحق المشار إليه عن طريق القوة وقدمت فتوى إلى حال المشار إليه ووجدت رغبة فى عرض هذا الطلب وقد تملك هؤلاء مقام السلطة المشار إليها آنفا « (٤٤) .

وبعد تحرير رسالة حضرة المشار إليه جلبى السلطان محمد الخامس على سرير العرش وتمنطق بالسيف من قبل طرفى العزيز ، وإذا كانت الأمة بأسرها قد تنفست نفساً عميقاً فإن هذا الوضع لم يدم كثيراً ، وكانت جمعية الاتحاد والترقى غير ذات حنكة أو تجربة فى إدارة زمام الدولة ، وكانت الأمة والوطن فى يد القهر والبطش وألت الأمور والأحوال على ما شاهدتموه بأعينكم . وقد خمنا آنفا ما ستؤول إليه الحال ، وقد اطلعت فيما بعد على البرامج التى تهدف إلى محو وإزالة العناصر المسيحية والقضاء على سياستها ، وكأنتى عدت من فورى لأكون ضد هذه الجمعية الظالمة بفك الارتباط معها ، وحضرت طائفة من العروض للمرحوم صاحب الذات السلطانية (محمد رشاد) فى شأن هؤلاء القوم الظالمين وقد اتخذ قرار بإعدام طائفة كبيرة منهم ، بيد أن خدمتى كانت موجهة إلى أبناء جنسى البشرى .

ولما لم أكن موافقاً لسياستهم المجنونة ومنافعهم الذاتية فإنهم حاكوا ضدى الافتراءات وقدموها للذات السلطانية محمد رشاد ، ومن ثم فقد عزل الشيوخ من مقامهم فى حالة غير مسبوقة من قبل ولا مثيل لها فى حكم شرعى أو قانونى ، ولم تكن ثمة علاقة له قط من أى نوع تتصل بموقعى ويفهم من هذا أنهم قد عينوا بعد ذلك ولد جلبى المنتسب إلى تلك الجماعة .

لم يكن فى جمعية الاتحاديين أشخاص عارفون بالقانون أو مطلعون على التاريخ السياسى للدولة والأعراف والعادات والتقاليد ، ولما كانت هذه الجماعة شرذمة شريرة تائهة فإنها تستحى كل من يوافقها ويجاريها ،

وتمحو من يخالفها أو يعارضها ويقف فى سبيلها مهما كان شأنه ، أما أنا فكنت من الصوفية غير ذوى الغلظة والفظاظة ، وقررت بعيداً عن اعتبارات العادات والتقاليد ، وكان ولد جلبى متفقاً مع الاتحاديين فى الفكر .

ولم يكن منضبطاً فى سلوكه وعجز عن إدراك ما سيكون عليه مستقبل الحقيقة وعصر الحق الذى لا زيف فيه . ومن ثم فإنهم عجلوا بتعيين المشار إليه على هذه الشاكلة . فلقد جهزوا لولد جلبى فرقة عسكرية بغية اشتراكنا فى هذه الحرب المجنونة ، ثم أمر بالذهاب إلى فلسطين والشام من أجل فتح مصر ، وسميت فرقته « لواء المولوية المتطوعين » ، ولما وجد ولد جلبى فى هؤلاء إخوة صادقين مخلصين أعد الفرقة ونفذ ما عهد إليه من أوامر ، وتوجه صوب الشام وفلسطين ، أما جمال باشا الذى ولى هارباً فقد اشترك فى هذه المظالم .

كانت طريقتنا العلية المولوية هى أس الأساس إذا امتشقت السيوف ، بيد أنها لم تشترك فى حرب من أجل قتل رجل واحد ، بل كانت على خلاف ذلك إذا اضطلعت بتقديم خدمة جليلة إلى عالم الإنسانية على اختلاف أجناسها ومذاهبها ، وقدمت بذلك خدمة علمية وإنسانية ، أما ولد أفندى فهو رجل لم ينشأ من الطريقة ولم يتسن له فى أى وقت من الأوقات أن يعرف أساس طريقتنا ، فهو رجل ذو نشأة تبحث عن قضية الصحافة والرقابة على المطبوعات ليس إلا ، وإن المولوية لم تكن حتى الوقت الراهن

قد اشتركت في حرب من الحروب قط ، وقد أعدت فرقتنا دون تمحيص وتدقيق نظر ومن ثم فإن أساس أحكام طريقتنا قد انقلب رأسا على عقب في نظر الكائنات كلها .

وهكذا كانت أركان حكومة الاتحاديين التي لم تستطع الهروب قد أخذت في استجواب واحتجاز الجالسين على العرش ، ولكنها لم تستجوب المشار إليه حيث كان يعيش بروح الاستبداد مناصراً للحكومة مشايعاً لها ، وهذا دليل قاطع يؤكد أنه لن تكون هناك حكومة قانونية في أي وقت من الأوقات . لقد كان أساس طريقة كل أجدادى وأسلافى من الصوفية وال دراويش هو الاضطلاع بخدمة قضايا الإنسانية برمتها ورعايتها حق الرعاية ، وأخذوا العناصر المسيحية في كنف العرش ورعايته ، وأنقذوهم جميعاً من مظالم كثيرة ، ولم ينحرف جدى ومريدوه عن جادة هذا الطريق ؛ وكنا نصدق في وضوح وجلاء سائر عناصر النصارى الموجودين في عصرنا .

أريد أن أعرف سبب عزلى من قبل الحكومة الاتحادية الحاضرة دون سبب شرعى أو قانونى ، فلقد لاذ أهل قونية واستعانوا بالحكومة بغية استعادة مقامى ، وأصدرت الحكومة قراراً في هذا الصدد وعرضته على الذات السلطانية وحدثت طائفة من المشاكل حيث أمر السلطان بأن يكون تعيين جلى عن طريق الانتخاب ، وهذا أمر غير مسبق ، ونفذت الإرادة السلطانية ، ولم يمنع حصولى على الأغلبية من إعادتى ، والآن فلتكن الانتخابات من قبل شيوخ المولوية على العموم ، وكأننا قد تركنا في مواجهة تكليف مغاير كلية لأحكام طريقتنا ، وابتليت أنا بهذا الظلم المهين ، وإذا كنت قد حققت الحصول على الأكثرية بمنح الكريم ، فإن السلطان المشار إليه سيصدر تكليفاً جديداً ، ولسوف يتفضل بإعادة حقى الصريح باسم الحق والإنسانية ونتوسل في هذا السبيل إلى أهل العدل في الدولة المعظمة للدفاع عن الحق في الدنيا على وجه العموم ، وأطلب حقى من الحكومة العثمانية والموافقة على توسلى المكتوم ، وأتضرع متوسلاً راجياً من الذات النبيلة الأصيلة .

وقد كتب هذا الخطاب مخاطباً القيادة التي احتلتها إنجلترا ، وفهم هذا من أول قراءة له . فهل قدم على أنه مسودة جميلة مموهة ؟ لا قبل لنا بمعرفة هذا . ثم انتشرت بعد ذلك صور أمر بتعيين عبد الحليم جلى محل ولد جلى وعزل الأخير من

منصب الشلبيّة ، وقد ورد هذا فى صحيفة الوقائع تحت رقم ٢٥٦٥ الصادرة بتاريخ ٤ رمضان ١٣٣٧ هـ = الموافق لسنة ١٩١٩ م . أما تاريخ الأمر فيرجع إلى يوم سابق على النشر ومن المحتمل أن يكون ثمة تأثير لهذا الخطاب بغية الالتجاء إلى مقام الشلبيّة .

مكث عبد الحليم جلبى فى هذا التعيين الثانى مدة عام واحد بمقام الشلبيّة ، ثم عين فى هذا المقام سنة ١٩٢٠ م ، ولما مات عامل جلبى جلس عبد الحليم جلبى للمرة الثالثة فى مقام مولانا ثم عزل مرة ثانية سنة ١٩٢٥ م وعين ولد جلبى مكانه للمرة الثانية ، وأغلقت التكايا إبان عصره . انتخب عبد الحليم جلبى وولد جلبى كلاهما فى عضوية البرلمان التركى ، ولا سيما ولد جلبى الذى استمر مدة طويلة فى عضوية البرلمان عن مدينتى يوزجات وقسطمونى .

وبعد إعلان الجمهورية فى سنة ١٣٤١ هـ شاعت تكهنات وإرهاصات على حدود الجمهورية بأسرها توحى بإلغاء الطرق الصوفية برمتها وهى : المشيخة والدروشة والمريدون والشلبيّة والبابية والأميرية والنقبيّة والمشعوزون والعرافون والكهانة وغيرها . وصدرت عناوين الصحف تدعو إلى إغلاق هذه المؤسسات جميعها وعدم الوفاء بكسوة وخدمة تلك الزوايا والتكايا ، وإغلاق الأضرحة ويعاقب بالحبس مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر أولئك الذين يرتدون الثياب التى تخص تلك الطرق ويلحق بهم من يفتحون الأضرحة والتكايا وكذلك من يضطلعون بأعراف ونواميس الطريقة ، ومن يهتمون بأمور التكايا وما يتصل بها من مراسم وأعراف ونواميس ، فإن لم يسجن ، فإنه يتعرض لدفع غرامة مالية لا تقل عن خمسين ليرة أما الشيخ الذى لديه تدبير مالى خاص فيعد وقفا على سبيل التملك ، وأما من يبقى له حق التملك والتصرف من أصحاب الزوايا والتكايا التى أسست بطرائق أخرى فإنها تغلق بصفة كلية ، وقد عرضت لائحة قانون إلى مجلس الأمة تتحدث عن المساجد المستخدمة ، وقد تم قبول هذه اللائحة واكتسبت الصفة الرسمية . ويكون هذا القانون سارى المفعول من تاريخ نشره بهذه الصورة ، وقد نشر وأعلن فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٤ م (رقم القانون ٢٤٣ ، رقم القيد ٦٧٧ - مطبعة الدولة بأنقرة سنة ١٩٤٤ م ، ج ٧ ، ص ١١٣) .

وبعد وفاة عبد الحليم جلبى اضطلع ولده محمد باقير جلبى بتأسيس مقام الشلبية فى مدينة حلب وحالفه التوفيق والنجاح فى ربط تكايا المولوية الكائنة خارج حدود تركيا بهذا المقام ، بيد أن نشاط هذا المقام كان يعمل لصالح تركيا بسبب قضية « خطاي » الواقعة على الحدود بين سورية وتركيا ، ومن ثم وصفته الحكومة السورية بالتجسس وعاد إلى تركيا سنة ١٩٢٧ ولم يؤذن بالعودة إلى سورية ، ووكّل أخاه شمس الواحد جلبى عند حتى وفاته ، ولما أدركت المنية محمد باقير جلبى فى سنة ١٩٤٣ م لم يوجد واحد جلبى فى مقام الشلبية ، ثم تشكلت الحكومة السورية بعد حكومة الانتداب الفرنسية واتخذت بعد ذلك قرارات بشأن التكايا والزوايا وهكذا انتقل مقام الشلبية مع المولوية سوياً إلى ذمة التاريخ وسوف نشرح فيما يأتى هذا الموقف الأخير .

الهوامش

- (١) هدمتُ ظلة هذا المسيل الحبوب في عصر أحد المديرين السابقين ، ويدعى محمد يوسف آق ، وظل أعلاه مفتوحا ، أما الحوض فكان منغمسا في التراب والقانورات وهذا هو تاريخ المسيل .
سلطان سليم بن بايزيدا ولدوره دينده صاعد
- (٢) رحلة أوليا جلبي - مطبعة إقدام ١٣١٤ ، ج ٣ ، ص ٢١ - ٢٦ .
- (٣) ورد في الشقائق أن ثمة شخصا يدعى « خرم » وينحدر نسله من سلالة جمال الدين آق سراي (١٣٨٧ - ١٣٨٨ م) ، وتوفي خرم هذا سنة ١٤٦٤ - ١٤٦٥ م ، وكان مدرسا في مدرسة بصوفيا ، وهو أحد عبيد صوفي محمد باشا ، وتولى وظيفة التدريس والقضاء ، وتوفي بالشام في نفس التاريخ (ج ١ ، ص ٢٧ - ٢٨) . ومن المحقق الثابت أن كلا الشخصين ليسا قاضي خرم جلبي الذي ينحدر نسله من سلالة مولانا .
- (٤) يوجد في الوقت الراهن هذا النقش على سائر الأبواب :
- شبه سلطان مراد خان بن سليم خان .
أولار موليبلر بونده ساكن .
كورو ديل بو بناي ددي تاريخ .
والمعنى : هو السلطان مراد بن سليم خان .
والمولوية في هذه التكية ساكنون .
قال التاريخ إ ، الفؤاد رى هذا البناء .
وهو معمور يشبه بيوت الجنات .
- (٥) هم طائفة من الأولياء الصالحين والمتصوفة الزاهدين ، يوجدون في كل عصر ، يتصلون بالله ، ويتحدثون مع بعضهم البعض بدون كلام (المترجم) .
- (٦) انظر : عطائي : ذيل الشقائق : ج ٢ ، ص ٦٠٢ - ٦٠٣ ، وارجع كذلك إلى ما ورد في شأن ترجمان شيخى عمر المتوفى في شعبان ١٠٣٣ هـ - ١٦٢٤ م) وذلك في نفس الجزء والكتاب ، ص ٥٧٩
- (٧) هو ضرب من السراويل ، ويعرف في التركية باسم Caskir (المترجم) .
- (٨) اسم حيوان ذى فراء جميل ، ويسمى في التركية Samur (المترجم) .
- (٩) اقتبس كل ما كتبناه من تاريخ نعيما المطبوع في المطبعة الأميرية سنة ١٢٨٢ هـ (روضات الحسين في خلاصة أخبار الخافقين) ح ٥ ، ص ٥٩ ، ج ٦ ، ص ٢٢٧ - ٢٤١
- (١٠) تاريخ يغما : ج ٣ ، ص ٣٢٣
- (١١) المصدر السابق ج ٣ ، ص ٢٣٦ - ٢٣٨

- (١٢) المصدر السابق : ج ٣ ، ص ٤ - ٩
- (١٣) نعيما : ج ٣ ، ص ٤ - ٩
- (١٤) السادى : المبتلى بالسادية : وهو انحراف جنسى يتلذذ فيه المرء بإنزال صنوف العذاب بمحبوبة أو هو الابتهاج بالقسوة (المترجم) .
- (١٥) نعيما : ج ٣ ، ص ٢٣٨ - ٢٤٠
- (١٦) المصدر السابق : ص ٢٤٠
- (١٧) السفينة . ج ١ ، ص ١٧١ - ١٧٣
- (١٨) روضة المعارف : مطبعة تقاويم الوقائع سنة ١٢٥ هـ - ج ٢ ، ص ٨٨٤
- (١٩) نعيما ج ٥ : ص ٥٤ - ٥٩ - ج ٦ ، ص ٢٢٧ - ٢٤١
- (٢٠) راشد : ١٢٨٢ هـ - المطبعة العامرة ج ١ ، ص ١٣٤ - ١٣٥
- (٢١) نفس الكتاب ص : ١٦١
- (٢٢) ترجمة هامر ج ١١ ، ص ١٥٥ - ١٦٨
- (٢٣) نفس الكتاب ص ١٧٢ - ١٧٣ ، راشد ج ١ ، ص ١٣٩ - ٤٢٠ .
- (٢٤) راشد : ج ١ ، ص : ٢٥٠ .
- (٢٥) راشد : ج ١ ، ص ٣٣٩ : كانت الأفكار الرئيسية لنيازى المصرى شديدة القائر ببدر الدين ومحيى الدين بن عربى ، ويدرك هذا تماما من الكتاب الذى دبحه بالعربية والمسمى (موائد العرفان) وهى النسخة الأصلية التى أملاها خليفته الشيخ على المسمى قواله شيخ مصطفى ، ويوجد هذا الكتاب تحت رقم ٢٣٧ ضمن كتب خدائى بمكتبة سليم أغافى اسكودار .
- (٢٦) هو مدون تحت رقم ٧٤٢ بمكتبة ملكت بإستاتنبول ، واضطلع بتربية شخص يدعى حقى ، ويشرح قرة باش على فى هذه الدورية قوله بأن الله موجود فى كل شخص كالبنديق ، وهى رسالة مدبجة بالتركية ، ويشكو فيها كذلك من نفيه وإبعاده وعدم قتله ، كما يورد أيضا الادعاء الذى زعمه نيازى المصرى بنبوة الإمامين الحسن والحسين ، ثم سجل فى خاتمة هذه الرسائل أنه قتل بوضع السم له بناء على فتوى من شيخ الإسلام ترياقي فيض الله وكان ذلك فى مدينة ليمنى Limini .
- (٢٧) راشد ج ١ ، ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .
- (٢٨) أهل الطريقة : وهم المولوية مع الحمزية على وجه الخصوص ، ولم يذهبوا إلا إلى موضعين اثنين فى إستاتنبول هما : قاضى كوى قبزى ، واثى كوى ، وفى سنة ١٦٦٢ كان بشير آغا اللبان قد اشتهر بأنه قطب الصوفية ، وذهب فى معية الحمزية إلى قيز ، وقتل فى عمر متأخر وكان قد ناهز التسعين ، وفى اليوم التالى روجع شيخ الإسلام فى شأن أربعين مريدا آخرين كانوا على نفس العقيدة ، ومن ثم خنقوا فى بئر ودفنوا بجواره ، وقد شيد قبائى محمد مقاطعة فانى كوى التى تسمى فانى جانى ، ولم يذهبوا إلى الموضع الأول بسبب اللعنة ، وهم بسيون وينكرون أفعال واثى .
- (٢٩) دونت تواريخ كثيرة بشأن الترخيص بالسماع وإجازته مرة ثانية ، ويسجل الشيخ ناجى أحمد دده شيخ يكى قابى هذا التاريخ فى هذا البيت من الشعر :
- جوش جانه ملهم غيى ددى تاريخى .: مولويلر دوندى حانه عشق مولانا ايله
والمعنى : يقول تاريخه إنه ملهم الغيب وسورة حميا الروح .: ويعشق مولانا استرد المولوية الروح

(٢٠) دورية مسجلة تحت رقم ٥٨ فى صحيفة ٢٠ ضمن الكتب المخطوطة بمكتبة الجمعية التاريخية التركية وقد سجلنا هذه الوثيقة بصورتها الأنفة الذكر كما وردت فى الدورية التى تضمنت توضيحاً بيانياً للأحداث التى وقعت إبان عصرى عبد الحميد الأول وسليم الثالث ، وقد أخبرنا بهذه الوثيقة مقالة بعث بها اسماعيل حقى اوزون جارشيلى فله الشكر والامتنان .

(٢١) هذا البيت من ترجيع بند لمحمد جلبى (الديوان ص ٦٣ - ٦٤) وهى السترة أو الكسوة التى كان السلطان سليم يرسلها إلى ضريح مولانا ، وهذا يعنى أن هذا البيت من الأشعار المكتوبة من قبل الشعراء ، وهو مطرز فوق الغطاء الموجود فوق تابوت الضريح وقد اختبر هذا البيت المستحسن وطرز فوق الغطاء . أما كسوة وغطاء ضريح مولانا فى الوقت الحاضر فهى غطاء صنعه السلطان عبد الحميد الثانى .

(٢٢) تطف إسماعيل حقى اوزون جارشيلى بإحاطتنا خبراً بهذه الوثائق ، فله الشكر والعرفان .

(٢٣) انظر : الصورة الفوتوغرافية للأمر السلطانى الذى قدمه السيد رسوخى بيقرة بن سميى المرحوم الشيخ عبد الباقي آخر شيخ للتكية المولوية فى ينى قابى .

(٢٤) هو اسم يطلق على الأراضى التى تخص السلطان .

(٢٥) دورية تخص الشيخ سيد ناصر عبد الباقي دده شيخ التكية المولوية فى ينى قابى ، وتسمى هذه الدورية دورية الدراويش وقد قدم إلى وثائق الأرشيف السالفة الذكر رسوخى بيقرة ، فله الشكر الجزيل .

(٢٦) نفس الدورية A ٤١ - B ٤٠ .

(٢٧) نفس الدورية B ٤١ .

(٢٨) نفس الدورية A ٦٠ .

(٢٩) انظر : أس ظفر لصاحبه شيخ الإسلام أسعد أفندى (ت ١٨٤٧ م) بغية التزود بمعلومات بشأن العلاقة بين البكتاشية والانكشارية وكذلك القضاء على هذه الجماعة الأخيرة وإلغاء البكتاشية بكل ضروبها وفعالها .

(٤٠) كتبه الدكتور نافذ أوزلق فى كتابه المسمى ورياعيات أولو عارف جلبى ، لا ريب أن ورثة أبى بكر الثانى كانوا كثيرين عند وفاته ويدون كذلك أن هذا الخطاب لم يكن لشخص جلبى ، بل كان بشأن الكتب التى اشتروها وأرسلوها إلى تكية إسمتانبول (ص : ٥ - ملاحظة) .

(٤١) يقولون إن معظم المولوية وخاصة الشليبيين منهم كانوا فى المقدمة ، وكانوا من شعبة ولد جلبى ، وهذا يعنى أنهم ينتسبون إلى سلالة مولانا من جهة الأم ، ولهذا السبب فإن ولد جلبى قد طبع على بطاقة كبيرة ما يتضمن شجرة نسب إلى مولانا ، ومن مولانا حتى أبى بكر ، وذلك بغية إثبات أن ولد جلبى هو جلبى من ناحية الأب ، أما إذا صح أنه ينحدر من سلالة مولانا من ناحية الأم فإنه على هذا الاعتبار يعد الشليبي الثانى الذى تبوأ هذا المنصب من فرع إيناس بدءاً من سلطان ولد .

(٤٢) تخطى الوثائق التى بين أيدينا من يعتقدون أن هذه كتيبة المولوية ، وتوجد وثيقة قدمت للشيخ عبد الباقي أحد شيوخ تكية المولوية فى ينى قابى ، وتحتوى هذه الوثيقة على معلومة فحواها : « هذا عدد فرقة لواء المولوية المجاهدين من مقام مشيخة حضرت مولانا » وقد وقعت هذه الوثيقة بتوقيع ولد جلبى من أعلاها وأدناها ، كما يوجد فى وسطها خاتم مرسوم عليه قمر ونجم وعليه كتابة تقول : « قيادة فرقة المولوية المجاهدين » .

(٤٣) زارت هذه الفرقة فى حفل مهيب قبر فاتح مصر السلطان ياوز سليم وذلك فى ٣١ يناير ١٣٢١ هـ - ١٩١٥ م ، ثم تحركت بعد ذلك من إسمتانبول وكان المولوية آنذاك تحت قيادة الشيخ عبد الباقي شيخ

التكية المولوية في ينى قابى ، وقد تحدث نايزان توفيق فى مقطوعة له تتضمن دعاية وحكمة معبرة يصف فيها ذهابهم إلى الشام عن طريق قونية - حلب ، ويقول فيها:

فأله دى بيننده أصحاب طريقين اختلاف .: أهل حقى بربرينة طوبلايب بركيتيلر

شيخ باقى رهيرا ولدى يوسفده هبسينه .: بن صوفيانى زيات ايجون تاشامه كيتديلر

والمعنى : لم يبق ثمة اختلاف بين أصحاب الطريق .: واجتمع أهل الله وتألفوا ببعضهم البعض

وأصبح الشيخ باقى هو الدليل لهم جميعاً هذه المرة .: وذهبوا حتى الشام لزيارة بن الصوفية

(العذاب المقدس : الكتاب الأول : إعداده : إحسان آده : إستانبول - مطبعة الأخوة - ١٩٤٩ م ، ص :

١٧٤) . وكان الإنسان العظيم نايزان موجوداً أثناء تشكيل هذه الفرقة ، كما كان على فؤاد صاحب صحيفة

خيال الظل بشرح هذا عندما رأى ولد جلى يمر فى معية دراويش المولوية المسلحين ، وبين دهشته مكرراً

كلمة مولانا وسلاح بضع مرات .

(٤٤) إن الرواية الواردة فى شأن منح سلطان ولد سيفاً إلى عثمان مؤسس دولة عثمان أوغولر

وتمنطقه إياه هى رواية ملفقة مختلفة برمتها .

القسم الثانى

المولوية

الفصل الأول

الطريقة المولوية

كيف كانت المولوية طريقة ؟ كيف كان الانتساب في عصر مولانا ؟ المولويون المولوية والطرق الأخرى - اقتناعات الطرق الأخرى في حق المولويين - سلسلة المولوية - شخصية الطريقة المولوية والتقسيم والتوزيع في هذه الطريقة - اختلاف الرأي الذي نشأ عند كلا المنشأين - الاتحاد الموجود عند أرباب المذاهبين : الظرف والرقعة - رأى الإنسان والأدب - النزعة العلوية عند المولوية .

كيف كانت المولوية طريقة ؟

انقسم المتصوفة إلى طائفتين كبيرتين كما بينا إبان تفصيل القول عن كيفية نشأة التصوف في الإسلام وعند جلال الدين الرومي ، وبأى الأسباب والعوامل كانت هذه النشأة ، ثم كانت هناك عقيدة وحدة الوجود عند كلتا الطائفتين ، هذا ورغم وجود هذه العقيدة المشتركة بينهما فإن الطائفة الأولى تقول بأن أسماء الله الحسنى موجودة في عدد معين ، ويتوجب ذكرها في مرحلة الرحلة المعنوية والخلفية بغية الوصول إلى الحق سبحانه وتعالى ، وهناك الزهد والنافلة فضلا عن العبادات المفروضة ، وهذا يعنى القيام بالعبادات غير المفروضة مثل الطعام القليل والكلام القليل والنوم القليل والرياضة الروحية عن طريق الانسحاب من الدنيا ونعيمها ، ثم التزام الخلوة أربعين يوما ولمرات كثيرة ، وهذا يعنى أن تكون العبادة منفردة قائمة

برأسها فى حجرة مشيدة من أجل هذا العمل ، ولتكن ضيقة محدودة فى أغلب الأحوال وفى نفس الوقت فإن الصوفى يتخذ من رؤياه وإيحائه وكرامته أساسا ، وتسمى سائر الطرق المعتمدة على هذا الأساس فى حينها « الأسماء » ، ويعنى أولئك الذين يستمسكون بطريق ذكر أسماء الله تعالى .

أما الطائفة الثانية فإنها ترى أن الاستمسك بأشياء مثل الخلوة والرياضة والذكر والتكية وضروب الملابس الخاصة ما هى إلا رياء منقسم عن الشعب ، ويرى أرباب هذه الطائفة أن الوصول إلى الله يكون عن طريق العشق والجذب اللذين ما يلبثان أن يمحو وجود الإنسان نفسه ووجود الكائنات كذلك . وهكذا يكون الوجود شيئا واحدا مطلقا وهو ذات الحق سبحانه وتعالى ، ويكون الوجود بكل صورته وأشكاله بمثابة مظهر للوجود المطلق ، ولا يتأتى هذا بطريق العلم والمعرفة ، وإنما يتجلى عن طريق الرؤية والفطنة والإدراك والشعور والنضج والكمال ، وعادة ما تكون الموسيقى والرقص كلاهما فرضا على المرتحل الحقيقى بغية حدوث الجذب واهتياج العشق . وكان أهل هذه الطائفة يسمون برجال خراسان أو صوفية خراسان بسبب تركزهم فى هذه المدينة فى ذلك الإبان ، كما كانوا يسمون كذلك باللامتية لعدم اهتمامهم بعلاقة الناس وإدانتهم واقترافهم الأفعال التى يلامون عليها وملامتهم وتحقيرهم وازدراؤهم لأنفسهم . وقد اتخذ هؤلاء من الأسماء مثالا يحتذى ، ولقبوا بالعراقيين بسبب تركزهم واستقرارهم فى العراق ، وكانوا لا يترددون فى الاضطلاع بالأفعال التى من أجلها يلومهم الناس ، وكان أرباب الملامة هؤلاء طائفة مساعدة للباطنية وبينما كانوا يمثلون هذه الأيدلوجية فإنهم كذلك تناولوا أهل الفتوة التى كانت من ناحية الاقتصاد بنية هذه الأيدلوجية الداخلة بين ثنايا الشعب . وهكذا فإن الفتوة موجودة فى عصر الساسانيين بدءا من العصور المبكرة ، كما أنها كانت مؤلفة ملتزمة مع أرباب الملامة . ثم انبثقت فى الوجود مع مرور الأيام الطريقة القلندرية ، وانشعبت منها الطريقة الحيدرية ثم الطريقة الجامية المنسوبة إلى الشيخ أحمد ناميقى جامى (ت ١١٤١ م) ، ثم الطريقة الأدهمية التى أسست باسم مؤسسها إبراهيم بن أدهم (ت ٧٧ هـ - ٩) ، ثم الطريقة الكبروية المنتسبة إلى الشيخ نجم الدين كبرى (ت ١٢٤٠ م) والذى اضطلع بترتيب عصيان عظيم ضد

الامبراطورية السلجوقية إبان القرن الثالث عشر الميلادي ، وانتسبت هذه الطريقة في نفس العام إلى بابا اسحق ، ثم أعقبتها الطريقة المعروفة بالبكتاشية والمنتسبة إلى الشيخ بابا بكتاش (ت ض ١٢٧٩ م) وهو خليفة بابا اسحق ، كما ظهرت كذلك زمرة أخرى تسمى صوفية بدر الدين اعتقت عقائد الشيخ بدر الدين (ت ١٤٢١ م) ابن قاضى سيماونه ، وثمة فرق جوهرى فى أساس العقيدة بين الملامتية التى اتخذت طريق الأسماء وبين الطرق التى انبثقت عنها وتأسست من خلالها ، وحدثت جهود ومساع حثيثة بغية الإبقاء عليها مرة ثانية . وبعد مولانا ظهرت طائفة واحدة تسمى المولوية مؤسسة باسم مولانا ، وانبثقت هذه الطائفة من الملامتية ، وكأن صاحب نشأة الملامتية كان بواسطة كل من : سلطان العلماء والد مولانا ، وخليفته سيد برهان الدين محقة ترمزى ثم حدث بعد ذلك انقلاب عظيم بواسطة الشيخ شمس انفصل على أثره ممثل نفس النشأة الثائر صاحب سورة الحميا . لا يعرف للطريقة التى أسسها مولانا سجل مدون قط ، ولم تكن تابعة لطقس أو شعيرة وهذا يعنى أن المولوية قد امتزجت بالرؤية الإنسانية لمولانا ويتصوف فلسفته الإنسانية ولسوف نرى فيما بعد أن هذا كله لم يتأت فى شكل الخلوة والرياضة الروحية وصومعة التعبد فحسب ، بل تأتى فى شكل الخدمة وأداء الواجب المنوط بها ^(١) .

كيف كان الانتساب إبان عصر مولانا ؟

يفصل أفلاكى القول فى مناسبات متباينة ومواضع مختلفة من كتابه بأن المنتسبين إلى مولانا كانوا يعمدون إلى الحلق (٥٥ ، ٧٥ ، ٩٩) .

وهم ينفذون هذه الشعيرة عن طريق قطع بضع شعيرات بالمقص من الشعر والشارب واللحية والحواجب ووسط الحاجبين ومما لا ريب فيه أن حلق الشعر والحاجب والشارب واللى بالموسى قد مر ذكره عند القلندرية ، بيد أن هذه الشعيرة قد انتقلت من نفس المصدر وكذلك إلى البكتاشية عن طريق الطريقة السهروردية ، كم توجد بعد روايات تدور حول إلباس الخرقه ، ولكن هذه الشعيرة موجودة فى واقع

الأمر فى سائر الطرق الصوفية على وجه العموم ولانصادف شعيرة أو سقطا غير هذا إبان عصر مولانا .

وإن صنع مولانا لهذه الشعيرة يعود بادیء ذى بدء إلى حقبة قدوم شمس تبریزی ، لأن مولانا نفض يده من سائر المراسيم والطقوس بعدم قدوم شمس ، وبعد شمس تعرف بعشاقه ومنهم صلاح الدين ، وبعد موته كذلك على الشيخ حسام الدين ، وبهذه الطريقة فإنه تأكد من اتحاد هؤلاء جميعا .

تحدث أفلاکی عن خلیفتین لمولانا هما : الشيخ بدر الدين مادنى فى مقاطعة « لولوه مادنى » ومولانا مجد الدين ولدى جاغه فى ديار الروم . ويقوم أفلاکی : إن هذين الشخصين كليهما بمثابة شجرة النسب التى قدمها وكتبها مولانا .

ولقد رأينا فى السيرة الذاتية لأولو عارف جلبى أن الشيخ سوهراب المولوى صار شيخا فى زاوية المولوية الكائنة بمنطقة سلطانية ، ومن المرجح كذلك أن يكون ثمة أشخاص هم خلفاء لمولانا فى العصور المبكرة وهم : الولديون المنتسبون إلى سلطان ولد ، والعارفيون المنتسبون إلى أولو عارف جلبى والعابدون المنتسبون إلى عابد جلبى ، ولما كان مولانا غير مشغول قط بهذه الأشياء بعد رحيل شمس فإنه منح الخلافة إلى هؤلاء الخلفاء الثلاثة قبيل مجىء شمس تبریزی .

المولوية والمولويون والطرق الأخرى :

شرحنا الطريقة التى أعقبت مولانا وجاءت فى إثره ، كما أن مولانا جلال الدين لا يعد طريقة صوفية (٢) .

ويرى المولوية أن الطرق الأخرى تختلف اختلافا بينا عن طرقهم وتتمايز عنهم ، ويقول عن الطرق التى تتخذ الأسماء أساسا يحتذى إليها الطرق الصوفية ، وشيوخها شيوخ الصوفية ودراويشها دراويش الصوفية ، وتكايها تكايا الصوفية .

ومن النادر جداً ذهاب المولوية إلى تكايا الصوفية ، كما يتندر كذلك ذهاب شيوخ الصوفية و دراويشهم إلى صوامع وتكايا المولوية ، بيد أن تبوء الشيخ المولوى لمنصب صوفى يكون بمناسبة اجتماع يدعى إليه الحضور إنشاد مولد نبوى أو مرثية .

وعندما يذهب المولوية إلى تكايا الصوفية فإنهم يكونون فى غرف سماعهم ، يعنى فى طقوس اللف والدوران ، وفى أماكنهم المشيدة للطقوس والشعائر ، ثم يجلسون بإزاء مقام الشيخ بيد أنهم لا يشتركون فى الذكر . وإذا ما انتصب هؤلاء وقوفاً فإن الضيف المولى سرعان ما ينتصب هو الآخر واقفاً ، وإذا ما جلسوا يذكرون فإنه يجلس مثلهم . وثمة فرق عن المتفرجين الآخرين فهم لا يكونون فى خارج حجرة السماع ، بل بداخلها . وعندما يبدأ الصوفية فى ذكر اسم الله فإن الضيف المولوى ما يلبث أن ينهض من فورهِ فلا يتضرع فى المحراب ولا يفتح الذراع شريطة أن يكون فى موضع مناسب ، ويمسك بالصارى (العمود) ، وهذا يعنى أنه لا يمشى وإنما ينشغل بالسماع بناء على وجوده فى هذا المكان . أما المتضرع الجديد ونعنى به المولوى الجديد فإنه ينبه المتضرعين الجدد - وهم المبتدئون فى السماع - ألا يذهبوا إلى تكايا الصوفية حتى لا يفسدوا عليهم سماعهم أو يعكروا عليهم صفوهم . ولكن شيوخ الصوفية يرغبون فى الذهاب إلى تكايا المولوية للشعور بنشوة وسعادة مختلفة فى طقوس المولوية وشعائر سماعهم . وإذا ما ذهب شيوخ الصوفية إلى تكية المولوية فإنهم يدخلون إلى قاعة السماع ثم يجلسون فى الطرف العلوى للدراويش وفى الموضع الذى يلى الشيخ وفى عصر سلطان ولد يعنى قبيل السماع ، كانوا يجلسون فى جهتين متقابلتين فى مقام الشيخ ، ويتضرعون ويدعون وهم ينظرون فى وجوه بعضهم البعض شريطة أن يطوفوا ثلاث مرات حول قاعة السماع ، ثم يشتركون فى هذا الطواف سواء علموا أم لم يعلموا . ولما كانوا لا قبل لهم بممارسة السماع فعندما تبدأ طقوس لف ودوران المولوية الأساسية فإنهم سرعان ما يقفون على أقدامهم منتصبين فى موضع وقوفهم ، ثم يشاهدون السماع ويتفرجون عليه .

أما فى الأزمنة المتأخرة فكانوا يستأذنون قارئ المنثوى بغية تعلم المنثوى وحب المولوية ثم يمنحونه قلنسوة ذات عمامة ضيقة الأطراف على سبيل التبرك ، أما معلم

المتنوى فهو شخص يعرفه بعض شيوخ المولوية ويذهبون إلى تكايا أرباب الملامتية مدثرين أنفسهم بالملابس الصوفية ، ثم يذهبون بملابس سماع المولوية ويتأهبون لممارسة طقوس السماع . وكان سيد عبد القادر بلخي (ت ١٩٢٣ م) يرى فى صورة الشيخ نقشى فى دار المتنوى ، كما كان الشيخ مراد بخارى موجودا كذلك فى منطقة أيوب تشانجى وذلك فى معية كل من حمزوى ملا قطبى والشيخ رفاعى كُنان (ت ١٩٥١ م) شيخ تكية أمى كُنان ، كم كان يوجد كذلك على وجه اليقين طائفة من المولوية فى تكايا سيد عبد القادر بلخي (ت ١٩٢٢ م) ، وتتكون هذه الطائفة فى العادة من ثلاثة إلى خمسة من ذوى الثياب المولوية أو من خمسة إلى عشرة وأحيانا من خمسة عشر إلى عشرين وذلك فى أيام طقوس شعيرة الف والدوران ولياليها ، ولم يكن ثمة شىء قط سوى ديمومة واستمرار هذا العرف السائد عند المولوية ، وكذلك آراؤهم المناهضة للطرق الصوفية الأخرى ، وكان مولانا نفسه ضد صدر الدين قونيوى . ت ١٢٧٤ م) ويعتبره من طائفة الأبدال ويرضى بقبوله على أنه من أهل التصوف ، وقد علمنا أنه لا يعد من أهل التصوف فى شىء^(٣) ، أما أولو عارف جلبى فهو من أهل التصوف واشتغل بأسماء الله الحسنى ، وقد قلنا أنفا إبان الحديث عن شخصيته أنه يعد من طائفة المتصوفة دون أن يدري ، وكان المولوية على اقتناع تام بأنهم يتفقون فى الفكر مع أرباب الملامتية ، وكان الملامتية البيرامية الذين يمثلون الملامتية القديمة يسمون الطرق الأخرى (الطرق البرزخية) وهذا يعنى أنهم يعتبرون الطريقة برزخا بين الحقائق المتمثلة فى باطن الدين وخارجه المتمثل فى الشريعة ، وهم يعلمون كذلك أن صوفيتهم ماهى إلا طائفة ظلت شغوفة بالأسماء والخلوة والرياضة الروحية والنباس^(٤) . ولا نملك فى حوزتنا أية وثيقة ترجع إلى العصور المبكرة للمولوية ، وكيف كان المولوية يوضحون طرقهم ؟ نحن لا نعلم هذا على وجه اليقين . ومن المحقق الثابت أنه لا أصل للرسالة العربية التى نسبها ثاقب دده إلى جلال الدين أرجون جلبى ، وهذا ما قلناه آنفا فى ترجمة سيرته الذاتية . ويبدأ أيدينا رسالتان قديمتان ترجعان إلى الوقت الراهن . إحداها منظومة والأخرى منشورة ، وكلتا الرسالتين منسوبتان إلى ديوانه محمد جلبى .

وتبدأ الرسالة المنظومة ببيت من الشعر يقول :

ديدى بردرويششـــــه أول برباد شـــــاه

نه در رخرقهـــــه وهم باشده كـــــلاه

والمعنى :

قـــــال السلطان لذلك الدرويش

ما هذه الخرقـــــة والقلنسوة التى فى الرأس

ويأتى فى إثر هذا البيت بعد ذلك اثنان وخمسون بيتا ، وقد دبجت هذه الرسالة على شاكلة المتنوى وتنتهى بأبيات منظومة مثل قوله :

أول جـــــمـــــالك نور ونه بروانه يم

كـــــيـــــجه كـــــوندوز يناريم ديوانه يم

والمعنى :

أنا فراشـــــة لنور هذا الجـــــمـــــال

وأنا مـــــجنون أحـــــترق ليل نهـــــار

وكلمة « ديوانه » تنتقل من البيت الأخير إلى البيت الأول ، ونعتقد أن هذا يبين بجلاء أن هذا الشعر يخص محمد جلبى الذى يشرح هذه الأشعار فى تلك الرسالة المنظومة فى طقوس وشعيرة اللف والدوران عند المولوية ، وسوف نتحدث عن هذه الشعيرة عند تفصيل القول فيها وذلك خلال الرسالة الموجودة فى صوان بمتحف قونية لسنة ١٠٩١ م ورقمها ٤٩ ، أو ما ورد فى الدورية الموجودة بتاريخ ١٠٦٠ هـ ، وكذلك ما ورد فى المنظومة الموجودة فى دوريات المولوية الأخرى .

أما الرسالة الثانية المكونة من ثلاث صحائف فهي مدونة بمتحف قونية برقم ٢١٨٨ ، ج ٢ وتحمل عنواناً يقول « طريقة المعارفين آل سلطان الدين قدس سره المولى » ، ونعتقد أن هذا العنوان خاطيء وصحته على النحو الآتى « طريقة المعارفين لسلطان ديوانى » ثم يبدأ المؤلف فيقول بعد الحمد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم : « أيا طالب العلم اللدنى وجوهر الكلام ! اعلم وكن على ذكر أنتى إذا كنت أفضل لك الطريقة فهذا واجب حتمى ، إننى أرغب أن تعرف وجودك وذاتك فى وقت من الأوقات ، ولسوف أبين لك المراد من هذا بأتنى برىء من علائق الدنيا وزخرفها وبناء على هذه الطريقة فسيكون هذا سببا فى بلوغ جميع المرادات ولتحصلن على جملة المقاصد والمرامى ، لأننى سأحرر لك هذا التقرير يروحنى وحببة فؤادى إنه طريق العشاق وطريقة الشطار لأن أكثر السالكين يذهبون من طريق الوجود المطلق وهكذا فإنهم يبلغون البغية المقصودة بطول الزمان ، ثم يذهب السالك بهذا الطريق من طريق الفناء ، وسرعان ما يصلون إلى بغيتهم فى زمن قصير ، لأن هذا هو طريق خاص الخاص والسبيل إلى طريق النعم » .

ثم يقول « لقد أصبح العاشقون لأصفة لهم ولا لون ، ويذكر أن ثمة شيوخا آخرين يشتغلون بالذكر قبل السالك ، ثم يذهب ليحرق عن طريق الذكر النفايات الكائنة فى الفؤاد ، ثم يتطهر عن طريق الإيحاء والإلهام باسم آخر ، ثم ما يلبث هؤلاء فيستعدون لوضع الزيت والفتيل فى المصباح ، بيد أنهم لا طاقة لهم بالاشتعال ، وبحسب هذا القول فإن طائفة العشاق تكون على وشك الخروج إلى عالم السياحة والترحال فيتفرجون ويشاهدون ، ثم يمسخون القنديل ويضعون الزيت والفتيل وسرعان ما يشتعل ويكون نوره وهاجا » . وبحسب هذه الرسالة فإن السالك يحب أشخاص الموجودين فى الحياة من حبة فؤاده ، ويكون اعتماده على واحد ممن هم موجودون فى الحياة أو من الذين غبروا مع الزمان ، وعلى سبيل المثال فإن محبى الدين عبد القادر بايزيد البسطامى قد عقد صلة وثيقة العرى بواحد مثل مولانا جلال الدين ، ثم كتب اسم الله فى ورقة ووضعها فى موضع مرتفع قليلا ، ثم توضأ واكتسب من الحلال ، وارتدى ثيابا نظيفة طاهرة ، وصلى ركعتين وتنفس ، وهذا يعنى أنه ينظر إلى هذا الاسم شريطة الاشتغال بالذكر من قلبه دون أن يتنفس كثيرا .

ثم يداوم على هذا الاسم وينظر إلى الله حتى لا يكون ثمة صاحب اسم غيره ، ثم يبدأ فى ختام الممارسة فى رؤية الاسم فى كل موضع ، وينشأ عن هذا رؤيته وتكوينه . ثم يأتى بعد هؤلاء مثنويان يسميان : كتاب العشق وكتاب الخلق ، ونعتقد أنهما من ناحية الأسلوب ينتسبان إلى شاهدى .

أما كتاب العشق فيتكون من واحد وتسعين بيتاً ، وجاء على وزن : فاعلاتن - مفاعيلن - فاعلن - ونستطيع تلخيص ما ورد فيه على النحو الآتى :

« كان العشق مستورا خفيا ، ثم أبان على حين غفلة عن وجهى ، بيد أنه لم يتسن له أن يجد لذات نفسه شخصا لائقا مناسبا ، فهتك العشق الستور ، ولم يعبأ بالثواب والعقاب ، ثم ما انفك يصطاد الناس الذين هم جماعة التششيت والتبديد ، ويكون المجنون حينئذ عاقلا ، ثم يغفل أهل الغفلة ، ويكون الكافر مسلما ، ويهب الإيمان للكافر ، ويكون خفيا مستورا عن الأعين ، ووهقا فى لجة الروح ، إن العشق يشبه « ذو الفقار » (سيف على كرم الله وجهه) وهذا مقصد كل نبي وولي ، إنه موسى ، وهو طريق الجنيد والحلاج ، ورفيق طريق بايزيد البسطامى ، وهذا هو عرفان حواء مع آدم فالعشق هو الحج الحقيقى ، وهو الزكاة ، وهو نفسه ماء الحياة ، وهو معنى الصوم والصلاة ، وهو المسافر والطريق ، وهو نافذ الحكم والأمر على الملائكة والسلطين ، إن العشق منسوب إلى ذات الله وهو سرمدى لا نهاية له ، والعشق هو اسم الله دون كيفية ، لا يحيط بالجسم والعرض ، ويكون قائما بالذات وذاته هى صفاته ، إنها ولا جرم ذات الله وصفاته ، ويكون الله دونما احتياج ، وهو واحد لم يلد ولم يولد ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، والعشق هو الأصل والأساس ، وكل ما سواه فرع » .

ثم يُطرى هذا المثنوى مرتحل العشق وأساس طريقه ، ويفيض فى هذا الإطار ما استطاع ذلك سبيلا ، والروح هى الحاكمة المهيمنة فى المثنوى ، وهى روح مناسبة ومطابقة بحذافيرها للملامتية وطريق الشطار .

وإذا كنا نقول إن رسالة الحلق « تراشنامه » تتكون من واحد وثمانين بيتا من الشعر وجاءت على وزن المثنوى - فاعلاتن - فاعلاتن - فاعلات ، فإنه يتحدث كذلك

عن فرضية الصحبة ووجوب اتباع السنة لمن يلبسون ثياب التصوف ، ويقول فى
فحوى ذلك :

« إن الوضوء أربعة فروض : غسل اليدين والوجه والرجلين ومسح الرأس ، إن
الصوفى يدير وجهه عن كل شىء ما سوى الله ، وينفض يده عن الطمع واتباع
الهوى ، وينبذ عن فكرة الأثرة والأنانية ، فإذا وطئت قدماه طريق الله فسيكون حينئذ
قد توضحاً الوضوء الحقيقى وساعتئذ يكون وجه الشيخ فى المحراب . »

ثم يتحدث بعد ذلك عن لباس التصوف ، وفى النهاية يسهب فى شرح أركان
الحلق بهذه الكلمات : « الحلق على أربع ضربات : أولها اللحية ، يعقبها الشارب ،
يتلوها الرأس ، ثم يأتى فى إثرها الحاجب ، ولكل واحد منهم معنى : فحلق اللحية
معناه التخلّى عن حب الدنيا وحلق الشارب معناه هجر الأثرة والأنانية ، وحلق
الحاجب معناه إخراج كل الأحبة من الفؤاد ما سوى الحق سبحانه وتعالى ، أما حلق
الشعر فمعناه أنه أصبح بمثابة تراب قدم أمام الخلائق » ولنتحدثن قليلا عن الفتوة
والمُنطقة التى يتمنطقون بها ^(٥) : الفتوة تستر العيوب والمُنطقة تمسك كلام الخلائق ،
وبعد ذلك يعتمد على طريق الله واثقا به ، وهكذا فإن المسافر الحق يرتبط ارتباطا
وثيق العرى بسبع خلائق وتتفتح هذه الخلائق السبع ويرتبط ببخله وريائه ، ثم يتفتح
الكرم والسخاء ويرتبط بالكبر والغلظة ، ثم يتفتح الحلم والأدب ويرتبط بالحرص
والطمع ، وتتفتح القناعة وترتبط بالجهل ، ويتفتح العلم ويرتبط بالشهوات ، وتتفتح له
الملذات ويرتبط بشكه وارتياحه ، ويتفتح له اليقين ، ويتوجب عليه بعد ذلك أن يهجر
أربعة أشياء : « ماله ومنصبه ووجوده وكل شىء » .

وهو فى رسالة الحلق يذكر بين ثنايا كلامه الألفاظ الموزونة لمولانا جلال الدين
التي يقول فيها : « هلم يا أهل الحال ، هيا غدوا فى سيركم ، واعتمدوا على الله
فلا ارتعشت أيديكم ولا أرجلكم ، فلسوف يأتىك رزقك » .

وتكون عاشقا له أكثر من هذا ^(٦) . ويفهم من موضوع هذه الرسالة أنها
فى الوقت نفسه تلخص رسائل الفتوة ، وهى من هذه الزاوية تحمل بين طياتها
خصائص وسجايا الفتوة ، وإذا ما صدق اقتناعنا فقد كانت هاتان الرسالتان

تخصان شهودى ، وإن النصوص التى بين يدينا تجزم بذلك وتكون هذه النصوص المبكرة بعد تأسيس المولوية راجعة جميعا إلى أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر الميلادى ، وبعد هذه المصادر المبكرة اضطلع رسوخى (ت ١٦٢١ م = ١٠٤٠ = ١٠٤١ هـ) بتدبيج رسالة غير مطبوعة تسمى « الرسالة المختصرة فى مفيد أصول الطريقة المعهودة من يد يقين جناب مولوى قدس سره الجلى » ، ثم طبعت فى خمس صحائف بعنوان « منهاج الفقراء » . ثم كتب جوموش أياق « (ت ١٧٠٣ م = ١١٥ هـ) رسالة بعنوان : رسالة سلوك الطريقة المولوية ، وكتب عبد الغنى النابلسى (ت ١٧٣١ م) رسالة بعنوان « العقود اللولية فى طريق السادة المولوية ، وكتب طرابزونلى كوسج أحمد دده (ت ١٧٧٧ م = ١١٩١ هـ) .

رسالة بعنوان « التحفة البهية فى طريق المولوية ^(٧) » ، ثم اضطلع شيخ غالب (ت ١٧٩٩ م) بكتابة شرح عربى لهذه الرسالة بعنوان « الصحبة الصافية » وكتب أسرار دده (ت ١٧٩٧ م) الرسالة المباركة (الديوان ١٢٥٧ هـ ، ص ١٥٨ - ١٥٣) .

وثمة رسالة صغيرة كتبها نقشى شيخى فيض الله (ت ١٨٦٧ م) بعنوان « الإشارة المعنوية ، وكتب كل من شيخ التكية البكتاشية والشيخ نظيف (ت : ١٨٦ م) والد حسين فخر الدين دده شيخ الطريقة البهارية رسالة بعنوان (طرائف السلوك) ^(٨) .

وهناك غير هذه الرسائل رسائل أخرى من التى رأيناها أو لم نرها ، وكتبت جميعها متخذة من هذه الرسائل المبكرة مثالا يحتذى .

يقول رسوخى : « يتوجب على الشخص الذى يريد أن يكون مولويا أن يقص بالمقص بضع شعرات من شاربه ومن بين حاجبيه ، ثم يأمره الشيخ بعد ذلك بذكر اسم الله ثلاثة آلاف مرة عقب صلاة الصبح ومثلها فى وقت الضحى وبعد العشاء وبعد صلاة الليل ، ويضيف رسوخى : إن فى السلوك اثنى عشر مقاما .

ولهذا السبب فإن اسم الله يذكر اثنتى عشرة مرة فى اليوم ، وينمحي وجود السالك نفسه ووجود الكائنات كلية فى المقامات السبعة الأولى من المقامات الاثنى عشر ، ثم يصل إلى مقام الفناء فى المرتبة الثانية عشرة ، وحينئذ يدرك ويعى

ويشعر تماما بسر الاتحاد ثم يستطرد رسوخى قائلا : إنه على حين ينتقل السالكون بالزهد قبيل شمس ، سواء أكان ذلك فى طريق مولانا أم غيره ، فإنه قد ابتلى بالعشق والسماع بعد شمس .

وكل شخص لديه قابلية للحسن والقبح على السواء ، بيد أن كل شخص يؤمر بالاشتغال بعمل واكتساب قوته من صنع يديه ، وترك الدنيا والتخلى عنها ، ويكون مولانا آنذاك هو المرشد الحقيقى حيث يضطلع بشرح رسالته وإتمامها ^(٩).

وعلى حين يضطلع رسوخى فى كتابه « منهاج الفقراء » بشرح شعيرة اللف والدوران ، فإنه يفصل القول كذلك فى المعاناة التى تتضمنها هذه الشعيرة ، شارحا كذلك شعر ديوانه محمد جلبى المنظوم على شاكلة المثنوى ، أو شرح الرسالة المنظومة بعينها ^(١٠).

وبعد ذلك تتجلى له مرتبة السلوك ، وتذكر الصفات العشر فى كل مرتبة ، وهذا تعبير عن رأيه وفكره بطريقة مباشرة لا التواء فيها . كان عبد الغنى النابلسى شيخا قويا بقدر ما كان صوفيا ذا مقدرة فائقة ، وكان يقول فى كتابه « العقود اللولية » : إن شعيرة اللف والدوران المولوية تشتمل على : أداء الصلاة وقراءة القرآن ونقل الحديث وإسداء النصيح للإخوان ، وتعليم المثنوى ، والسماع والدعاء ، وتتضمن كذلك الأشياء التى تخص الشرع والوجد ، وهو يشرح كل هذه الأشياء فى عشرة فصول وما يتصل بالوجد والتواجد على وجه الخصوص كما أنه يصر على أن السماع غير ممتنع .

فى الشريعة ^(١١) . كان صاحب العقود اللولية فى أول أمره شيخا على التكية المولوية بمنطقة بجوى Pecoy ثم قدم إلى منطقة فيليبس قبيل استيلاء النمساويين عليها ، ثم أسس تكية مولوية ، وبعد ذلك اضطلع « عارف أحمد دده » شيخ التكية المولوية فى بنى قابى « (ت ١٧٢٤ م) .

بترجمة العقود اللولية إلى التركية . وثمة نسخة مدونة تحت رقم ٢١٢٨ موجودة بين ثنايا المخطوطات التركية بمكتبة جامعة إستانبول . ثم اضطلع مستقيم زاده سليم سعد الدين (ت ١٧٨٨ م) - والمشهور بمؤلفاته الكثيرة - بشرح هذه الرسالة .

ويوجد في كتاب (الصحبة الصافية) للشيخ غالب شيء لا وجود له في الرسائل الأخرى يقول شيخ غالب « تكثر الآداب والطقوس الموجودة في طريقتنا، فيا إلهي ، أثرتنا بنور الفيوضات ، وهأنذا في معية شمس الدين تبريزي وبالأسرار الإلهية . لقد جاء سيد سردان محققى الترمذى ، أما هم فقد أخذوه كذلك من الكوبرية والهمدانية ثم ورثه سلطان ولد وشمس عن أبيه ، ثم انتقل من كليهما على حين غرة ليورثوه إلى هؤلاء وهم يتلقون فيوضات جد متباينة^(١٢) وعند حديثه عن لبس الخرقة يقول : « فلتهنئنا الطريقة الكوبرية والهمدانية وأهل خراسان بالأسرار الإلهية ، لقد اتخذوا سلسلة الخرقة من طريق آخر ، ووصل هذا حتى كميل بن زياد ، وليتكرم بواسطة وجه الله ، ويصل إلى على رضى الله عنه ، أو إلى الأئمة المعصومين^(١٣) » .

ثم يبحث بعد ذلك في شئون هاتين الطائفتين ، وإن أولى هذه الوثائق تعد صادقة جدا بالنسبة لنشأة الصوفية المولوية في خراسان ، أما الوثيقة الثانية ونعنى بها ذات الصلة الوثيقة بنشأة الهمدانية فإنها تبحث في سلسلة النسب المولوية .

ولسوف نقدم إحدى الروايات التى سوف نشرحها بغية توثيقها وتأكيدتها والتحويل عليها^(١٤) . أما رسالة « أسرار دده » المسماة « الرسالة المباركة » والتى دمجها أسرار دده على شاكلة المثنوى فإنه اضطلع فيها بشرح وتفصيل أسرار شعيرة الف والدوران المولوية وكانت رسالة (الصحبة الصافية ومنهاج الفقراء بمثابة المصدرين اللذين استقى منهما مادته فى هذا السبيل ، كما كان أشعر ديوانه محمد جلبى على شاكلة المثنوى . كما أن فيض الله أفندى قد اضطلع فى رسالته « الإشارات المعنوية » بتلخيص الإيضاحات الواردة فى كثير من منظومات ديوانه محمد جلبى ، بيد أن كل الإيضاحات الواردة فى رسالة تعريف السلوك « للشيخ نظيفى قد جاءت على سبيل التعميم ، ولا سيما أن أهل البيت وحب على كانا من الموضوعات التى تصدرت هذه الرسالة وحظيت بالرعاية والاحتفال .

وثمة قاسم مشترك فى كل هذه المصادر القديمة والحديثة على السواء ، حتى ما ورد فى رسالة رسوخى التى اتخذناها أساسا يحتذى فى هذا المقام ، ويتجلى هذا القاسم المشترك فى أن طريق المولوية يتمثل فى الجذب والعشق كليهما ، بيد أن وجود

هذا الجذب لا يكون سببا في ترك الدنيا والتخلي عن زخارفها ولكنه جذب يصبو إلى بلوغ العرفان كما قال « غالب دده » بوضوح وجلاء .

لقد أصبحت المولوية طريقة منبثقة عن الخراسانية ، ويفهم هذا بجلاء تام رغم كل الإضافات التي ألحقت بها .

آراء الطرق الأخرى التي وردت في شأن المولوية :

إذا كان المولوية يرون أنفسهم منفصمين تماما عن الطرق الصوفية وسبل المتصوفة وأرباب الأسماء فإنهم يزدرون ويحقرون دائما أولئك المنتسبين إلى الطرق التي تتخذ من الأسماء والرياضات الروحية أساسا يحتذى وسبيلا يتبع ولم ينشأ هذا المفهوم بعد تأسيس المولوية ، كما أن أرباب الملامية لا يعدون أنفسهم من الصوفية ، ويرون أن طرقهم تتسنى درجة أعلى من التصوف وفي مقابل هذا فإنه يوجد عند المتصوفة مفهومان اثنان : الأول هم أولئك المنتسبون إلى الملامية ويصرفون همته إلى هذه الطريقة ويعتبرون الملامية أرفع وأسمى مقاما .

ومن ثم فإنهم مرتبطون بالتصوف ارتباطا وثيقا العرى ، كما أنهم يعتبرون الملامية وأهلها أدنى منزلة من التصوف والمتصوفة^(١٥) .

أما أبو بكر عبد الرحمن السلمى (ت ١٠٢١ = ١٠٢٢ هـ) صاحب رسالة الفتوة ، وكذلك ابن عربى (ت ١٢٤٠ هـ) صاحب الفصوص ، فإنهما يعدان الملامية والفتوة أرفع وأسمى مقام صوفى ، كما أن شهاب الدين السهروردى صاحب « عوارف المعارف » وشيخ الطريقة السهروردية (ت ١٢٣٤ = ١٢٣٥ هـ) . فكان شيخ فتوة تابع للخليفة الناصر (ت ١٢٢٥ هـ) ورغم أن كليهما قد كتب رسالة الفتوة فإنهما ارتبطا بالتصوف ارتباطا وثيقا العرى ، وكان هذا أساسا ركيئا في وجود التصوف عند أهل العراق واستمسكا بما هو أسمى وأرفع منزلة من الملامية والفتوة .

كما أن السهر وردى يعتبر التصوف جزءاً لا يتجزأ من الفتوة^(١٦) .

وهكذا فإن الحكم الذى أصدرته المولوية فى حق الطرق الأخرى ، وكذلك رأى الطرق الأخرى فى حق المولوية ، كل هذا وذاك ليس سوى شىء متخمس عن ديمومة واستمرار للأعراف والتقاليد القديمة الكثيرة . فالذكر لدى أرباب الملامتية ليس بالشىء الأساسى ، ورغم هذا فإننا لا نستطيع القول بصورة جازمة بأنهم لم يمارسوا الذكر ألبتة . وحينئذ فإن من قبيل المستحيل التفوه بشىء إذا فكرنا ملياً فى التداخل الذى حدث بين كل من التصوف واللامتية . وها هو ذا عبد الرحمن عسكرى أحد التابعين للطريقة البيرامية الملامتية يفيض فى شرح الأفكار المتصلة بالذكر فى رسالته فيقول ما فحواه :

« يقول أرباب السلوك والمشايخ العظام والأولياء الكرام قدس الله أرواحهم ، إن الذكر يأتى على ثلاثة وجوه : أولاً - ذكر اللسان ، ثانياً - ذكر القلب ، ثالثاً - ذكر الروح .

أما ذكر اللسان فهو خاص بالأخيار ، وذكر القلب خاص بالأبرار أما ذكر الروح فخاص بالأنورين وأما العطف والشفقة الذى يقولون عنه فى اصطلاح المشايخ فإنه مخصوص بالأولياء الحقيقيين ، ويعرفه كذلك العاشقون الموجودون فى سلسلة الإنسان الكامل ، أما الذكر الصامت يقول « الله » فإنه خاص بالأولياء .

ويحدث هذا أحياناً إذا لم يكن هناك نطق بالكلمات فى مجلس مفاخر الأولياء والعارفين لسيدنا على كرم الله وجهه.

وحدث ذات مرة أنه أمر بذكر الله فى صمت فما كان من الجالسين والواقفين إلا أن سكروا أرواحهم كلية^(١٧) .

ويذكر لإله زاده سيد عبد الباقي (ت ١٧٤٦ م = ١١٥٩ هـ) فى كتابه « حكاية الملامتية » أنه يصل بعد ذلك إلى حال القلب لوجه الله ويتوجه إلى لطف الله وإلى طلوع محبة الله ، ويظهر حينئذ إلى كلام الدنيا ولسانها وفكرها .

وهم يضطلعون بذكر الله وبالتوحيد الشريف مقتربين بكمال الجلاء والاستجلاء ، وبعد ذكر الله ينشغل كل شخص بالدعاء ، وهو يجلس على الأرض بناء على قواعد الطريقة واتباعاً لمنهجها ، ثم يخبر أحياناً عن اصطلاحهم بمجلس الذكر بألفاظ معينة (١٨) .

ويتبين مما ورد هاهنا أن الذكر ليس أساس السلوك وجوهره ، ويكون أحياناً شيئاً مصطنعاً ، ومع هذا فإن الذكر عند المتصوفة هو أساس السلوك وجوهره ، وفي بعض الخلوات والطرق كانوا يتفوهون أول الأمر بقول « لا إله إلا الله » يعقبها قول « الله » ، ثم يأتى فى إثرها قول « هو » ، ويقبلون للنفس سبع مراتب ، متمثلة فى سبعة أسماء تذكر على هذا الترتيب المسلسل « لا إله إلا الله ، الله ، هو ، حق ، حى ، قيوم ، قهار » ويدرك الشيخ المرحلة التى تجاوزها ومقدار درجتها من خلال الرؤى التى يراها السالك من كل واحد من هذه الأسماء السبعة ، ويخبر عن العدد الكائن فى الذكر . ويوجد فى بعض شعب الطريقة الخلوتية ما يسمى عندهم « أصول أسماء الله الحسنى » ويضاف إلى هذه الأسماء السبعة أربعة أو ستة أسماء أخر .

وعلى حين نرى أن الذكر عند المولوية يكون بذكر اسم الله ليس إلا ، فإنه حينئذ لا يكون أساساً للسلوك ألبتة ، وقد شددت هذه المسألة النظر واسترعت الانتباه إبان عصر مولانا ، وثمة زمرة من الشيوخ الأقدمين كانت تذكر الله قائلة « لا إله إلا الله » ، وطائفة أخرى من دراويش التركستان يذكرون الله قائلين « هو ، هو » وبعض آخر يقول « إلا الله » ، والبعض الآخر يقول « لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » .

وثمة قسم آخر يذكرون الله قائلين « سبحان الله العظيم وبحمده » . وقد سئل مولانا كيف يكون الذكر فى طريقتكم ، فقال : « الله ، الله ، الله » ، فنحن منتسبون إلى الله ، أتينا من الله وذاهبون إلى الله ، ثم تلا رباعية يقول فحواها « لقد ولدنا من الذات ، ونحن أبناء لذات ، وذاهبون إلى الله » (أفلاكى ٦٦ ط) .

كما يقول فى المثنوى كذلك « إذا اعتقد الشخص الذى يبتلى بعشق الأسماء أنه عاشق للذات قلن تتأتى له الذات التى يحبها ، وهذا ضرب من الوهم ، وما يقدمه من أسماء وصفات فهو محض وهم وخیال » ج ١ ، ص ٢٧٤ - بيت رقم ٢٧٥٧) .

ولكن الخيال سوف يتولد من الاسم والصفة ، كما أنه يمكن أن يكون دليلا للوصول إلى الحقيقة وحيث يكون الدليل يوجد المدلول ، ويقول حينئذ : يتوجب على صاحب الاسم أن ينتقل من الاسم والحرف ليجد المدلول (ص ط ٣٤٣ - الأبيات ٢٤٥٤ - ٢٤٥٨) . كما أنه يخبرنا بأن الذكر الذي يخص الجسم لا يكون شيئا سوى خيال ناقص (ج ٢ ، ص ١٥٩ ، ١٧١٨ ط) .

ثم يفصح عن رأيه بشأن الخلوة بهذا القول « يتوجب الاضطلاع بالخلوة بعيدا عن الأغيار وليس من الأحباب ، فالفراء ينفع لشغل الشتاء ، ولا يفيد صيفا (ص ٣ ، ٢٥ ط) ويرى مولانا أن الذكر يجلب الفكر إلى الحركة ليس إلا ، ويفيد في هذا ، بيد أن الجذب هو أساس الشغل وعماده (ج ٦ ، ص ١١٨ ، بيت ١٤٧٧ - ١٤٧٨) وهو الفيض الكائن في النظرة (ج ٢ ، ص ٣٣٢ ، بيت ٣٥٨٧) . وقد علمنا من السفينة أن الصوفية لم يقبلوا ذكر المولوية بصفة أساسية ، كما أنهم أنحوا عليهم باللائمة قائلين : إنهم اقتصروا على لفظ الجلالة ، وما يعنى أنهم رأوا أن يذكروا الله فقط ، كما أنهم ظلوا ماكثين في الاسم الثاني (ج ١ ، ص ٢٧ - الترجمة الذاتية لجلبى صلاح الدين) .

أليس الله هو الاسم الثاني وهو يخص المرحلة الثانية من السلوك ، ونعنى بها النفس اللوامة كما أن المولوية لا يذكرون بعد هذا الاسم أسماء أخرى ، وحينئذ فإنهم يظلون ثابطين في الاسم الثاني وفي النفس اللوامة . وليس ثمة فرق يذكر بين كل من منطق الصوفي ومنطق طالب العلم الديني ، فنقطة الحركة واحدة عند كليهما ، وسوف يصل كلاهما لا محالة إلى نفس المكان بسرعة واحدة .

وكان هناك شيوخ يقولون : إن حمزة بالي والحمزويين الذين قتلوا إبان عصر القانوني قد ظلوا ماكثين في الاسم الرابع^(١٩) . وعلى كل حال فإنهم كانوا يشعرون بذكر اسم الله الحق ومن المستغرب في هذا المقام أن أوزون فردوسي الذي كتب « ولایت نامه حاجی بكتاش » .

قد توصل إلى وجود وجه شبه كبير من البكتاشية والمولوية ، وأن هؤلاء البكتاشية قد غضبوا على أولئك الزهاد الموجودين عند المولوية عندما أظهروا خلفاء حاجي بكتاش لكل من مولانا وشمس تبریزی .

ولسوف نبين فيما بعد أن « ولد قولو » الذي يعد ممثلاً للزهد كان ضد السلطان ولد وكان يقول له « ليكن مشهوراً أن زوال الطريقة إلى الأبد سيكون في معيتك ، بيد أن أصول الطريقة لن تكون بالهمة والتعليم مثل الفن ، ولا كان صديقك في الطريقة ، ولا كانت الهمة والعزيمة عندك وعند فقرائك » وهو يخبر بهذه الكلمات ، وهذه هي وجهة نظر الطريقة الأخرى التي لا تحب البكتاشية ألبتة .

كان أوزون فردوسى مؤسساً لشعبة الطريقة الهاشمية المنبثقة عن الخلوتية ، وأصبح في نفس الوقت منتسباً إلى الطريقة الحمزية ، وشرع يمارس طقوس وشعائر المتصوفة مستلهما إياها من قطب الأبدال حسن بابا (ت ١٧٥٦ = ١٧٥٧ م) والذي كان شيخاً للتكية البكتاشية في منطقة قصر العينى بمصر .

وفى تلك الآونة كان هاشم بابا الأسكودارى (ت ١٧٨٣ م) قد عمل شيخاً للطريقة البابية مدة أربع سنوات فى تكية حاجى بكتاش ، ودرس كتاب ابن عربى « عنقاء المغرب » وأظهره فى الوجود وأضاف إليه تعليقا سماه « عنقاء المشرق » ، ويعد مجنوباً بمولانا جلال الدين ، وأعان حاجى بكتاش على مساعدة عثمان لتأسيس مملكة عثمانلى أوغلر (اسكودار : مكتبة سليم آغا ، كتب هاشم باشا ، مجلة رقم ٦٠ ، ورقة ٢٦ - ٢٤) .

ومحصلة هذا أنه إذا كان المولوية اللذين لم يتواءموا مواضع الطرق الصوفية ، وظلوا معرضين للوم وتوبيخ طلاب العلم بسبب السماع ، فإنهم قد باتوا كذلك معرضين للوم الصوفية بسبب طرقهم وهم من هذه الزاوية يثبتون اصطباغهم بالصبغة الملامتية .

سلسلة المولوية :

تطلق كلمة سلسلة فى الطرق الصوفية على سلسلة البيعة التى تنتقل من شيخ إلى آخر ، حتى يعتقد أنها تصل إلى النبى محمد صلى الله عليه وسلم . هذا وتقبل أعراف وتقاليد الطرق الصوفية سلسلتين أساسيتين : تعتمد أولاهما على سيدنا

على كرم الله وجهه - والأخرى على أبى بكر الصديق رضى الله عنه ثم تصعد
كلتاهما إلى النبی علیه السلام بواسطة هذين الطريقين ، ويرى المتصوفة أن النبی
صلی الله علیه وسلم قد لقن علیا كرم الله وجهه الذكر الجلی الجهوری العلنی ، ولقن
أبا بكر الصديق الذكر الخفی فی الغار إبان الهجرة إلى المدينة ، ومن هذه النظرة
فإن الطرق التي تتخذ الذكر الجهری أساسا لها تسمى سلسلتهم بالعلوية ، أما من
يقلون بالذكر الخفی فيسمون (بكرية) .

ولا وجود للمذهبين الشيعی والسني على الإطلاق فی كتب الحديث التي يعتد بها ،
ولقد قبل أرباب الطرق الصوفية دون شك هذه الروایات المكذوبة والتي اضطلع بها
رجال الحديث فی كلا المذهبين اعتبارا من لحظة هذا التزييف والتلفيق . أما ما يقال
عن تلقين النبی صلی الله علیه وسلم الذكر لآل البيت أو حتى لواحد من الصحابة فهو
محض تزييف وتلفيق وافتئات ، وهكذا الشأن بالنسبة إلى إلباسه الخرقة التي حظيت
بمكانة عظيمة فی رسائل الفتوة ، وكذلك تقليد التاج الذي ورد فی كتاب « التحفة
البهية » لكوسة أحمد دده ، وشرح الشيخ غالب دده ، وما يروى عن نزول التاج من
السماء إلى أربعة أنبياء .

ويتجلى بوضوح مدى تأثير الشيعة فی أولى هاتين السلسلتين ، وتأثير السنة فی
ثانيهما . ووجدت بعد ذلك سلاسل أخرى وصلت إلى بكر وعمر والصحابة الآخرين ،
وذلك بفضل حمية وغيرة واجتهاد أهل السنة . إن الحلقات سائلة الذكر والمرتبطة
بالنبي محمد صلی الله علیه وسلم بواسطة هؤلاء قد احتوت على أسماء سلاسل
الطرق أو أسماء الصوفية الأولین المعروفين ، ولكن الحلقات التي جاءت عقب الشيخ
صحيحة صائبة ، لأن كل شيخ يعرف شيخه ، وترتبط الحلقات من شيخ إلى آخر .

أما السلسلة العلوية فإنها تنتقل حتى تصل إلى الجنيد الذي يسمونه « سيد
الطائفة ومملكة الصوفية » ، وتأتى هذه السلسلة على النحو الآتى :

سيدنا محمد ، على كرم الله وجهه (ت ٦٦١ م) ، الحسن البصري (ت ٧٩٩ م) ،
حبيب أعجمي (ت ٧٦٨ م) ، داود الطائي (ت ٨٠٠ م) معروف الكرخي (ت ٨١٥ م)
سرية ساقاطي (ت ٨٥٥ م) الجنيد البغدادي (ت ٩١٠ = ٩٠٠ م) .

وقد حظيت هذه السلسلة بقبول حسن من قبل كثير من الطرق أمثال :
الخلوتية والسهوردية ، والمولوية . بيد أن ثمة فرقا زمنيا يقدر بثمانية أعوام
وتسعة عشر يوما بين استشهاد على كرم الله وجهه وبين الحسن البصرى بحسب
التاريخ الميلادى المين أنفا ، ولا جرم أن التقاء على بالحسن البصرى أمر
مشكوك فيه .

وعلى حين نجد على القارى (ت ١٦٠٥ م) يرفض الرواية الملفقة التى تدور حول
إلباس النبى صلى الله عليه وسلم الخرقه للصحابه ، فإننا نراه يشير إلى هذه
النقطة على وجه الخصوص (الموضوعات الكبرى - إستانبول - المطبعة العامرة ،
سنة ١٢٨٩ هـ - ص ٦٢ - ٦٣) .

وثمة ألفاظ تفوه بها تناهض الحقيقة التاريخية ، وتعصد احتمال التقاء الحسن
البصرى بعلى كرم الله وجهه ، إن التعبير بالحيل المنطقية لا يتأتى له أن يمضى قدما
ضد الاستحالة التاريخية ، أو فى مواجهة ضعف الرواية ووهنها .

وهب أننا قبلنا هذا اللقاء رغم كل هذه الآراء ، فإنها لا تميز بين الخير والشر
عندما التقى به فى هذا العمر والأقرب إلى الصواب أنه لم يلتق به ، ويمكن أن يكون
قد رأى عليا ، وممن قالوا بلقائه بعلى طائفة أخبرت بأنه كان معارضا لعلى . أما ابن
أبى الحديد (ت ١٢٥٧ م) الذى اضطلع بشرح كتاب « نهج البلاغة » الذى ضم
خطب ورسائل الإمام على ، فذكر أن الحسن البصرى كان لا يحب عليا ، وتدد بقدمه
إلى الكوفة ، ولم ينهض لمساعدته ، حتى أن عليا رآه يوما يسرف فى الماء عند
الوضوء فقال له : أنت تصب ماء كثيرا فقال البصرى لعلى وأنت سفكت دماء كثيرة
من المسلمين . بيد أن ثمة روايات تقول : بأن البصرى كان من المحبين لعلى ، وثمة
مناصرين يؤيدون هذه الأفكار ويروجون لها . (نهج البلاغة - طبعة حجرية - تهران
١٣٠٤ هـ - ج ٤ ، ص ٢٧) .

ولسوف يكون هذا مقرونا بفكرة الاستحالة التاريخية التى تنكر اللقاء بين على
والبصرى ، وقد انضم كميل بن زيد (ت ٦٩٩ هـ) إلى بغض ما ورد فى السلاسل
التي تشير إلى العلاقة بين على والحسن البصرى وأنه يحبه حبا جما ، وثمة سلسلة

لدى البعض الآخر ارتباط بعلى ارتباطا وثيق العرى بواسطة الكميل بطريقة مباشرة (إسماعيل حقي : سلسلة الجلوتية ، إستانبول - مطبعة مستشفى حيدر باشا ، سنة (١٢٩١ م ، ص ٣٥) .

أما معروف الكرخي فهو الإمام الثاني عشر في هذه السلسلة ، وقد ظل الصوفية رازحين بصوة أكثر تحت تأثير التشيع بسبب قبول الكرخي الإسلام على يد علي الرضا الإمام الثامن ومكوته في خدمته ورعايته^(٢٠) .

هذا وتتوالى السلسلة على النحو الآتي :

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - الإمام علي - الإمام حسن بن علي - المجتبي (ت ٦٧٨ هـ) الإمام الحسين بن علي الشهيد (ت ٦٨٠ هـ) الإمام علي بن حسين السجاد (ت ٧١٢ هـ) - الإمام محمد بن علي الباقر (ت ٧٣٣ هـ) الإمام الكاظم (ت ٧٩٩ هـ) .

الإمام علي بن موسى الرضا (ت ٨١٨ هـ) - معروف الكرخي - سارية ساقاطي - الجنيد البغدادي ، وقد قبلت هذه السلسلة الطريقة الذهبية ذائعة الشيوع والانتشار في إيران^(٢١) .

ويتوجب علينا أن نقول في هذا ما يأتي : إن أئمة أهل البيت كانوا يعارضون التصوف ويناهضونه بكل حزم وشدة وعلى سبيل المثال فإن الإمام الرضا عندما انبرى للتصدي للبحث في شؤون المتصوفة فإنه لم يكن منا ، إذ لم ينكر معتقداته بلسانه أو بقلبه .

أما منكر هؤلاء فإنه يشبه رجلا يتقاتل مع الكافرين في حضرة نبي الله ، وعندما يرى الإمام العاشر العلي النقي الهادي (ت ٨٦٨ هـ) المتصوفة الذاكرين في المسجد ، فاحذر ولا تعتقد في هؤلاء الماكرين المحتالين إنهم خلفاء الشيطان ، وقد هدموا أساس الدين واستمسكوا بطريق الزهد بغية التماس الراحة لأبدائهم .

وانشغلوا بالعبادة والصلاة في جوف الليل من أجل اصطبياد الحيوانات ، ثم يدين رقص المتصوفة وسماعهم ويقول : إن كل من يمد يد العون والمساعدة إلى هؤلاء

يعد كمن يعيد ويظاهر معاوية ويزيد وأبا سفيان ، وعندما يقول أحد المقربين إليه أنهم يعترفون بحقكم ، فإنه يقول له : دع عنك هذا : إن الذين يعترفون بحقنا لا يعصوننا ، ألم تر هؤلاء ؟ إنهم هم الصوفية وهم أدنى الطوائف وأرذلهم وأحطهم شأنًا ، فهم جميعا مناهضون لنا ، وطرقهم لا تتبع سبيل طريقنا ، إن هؤلاء هم نصارى هذه الأمة ومجوسها ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (سورة الصف آية ٨) .

ومن ثم فإنه أوجد مذهباً مشيناً يسمى « التصوف » وأقر عن طريق هذا المذهب عقيدة قبيحة ^(٢٢) . أما كتب الحديث للشيعة الإمامية فإنها زاخرة بالأحاديث المروية عن الأئمة .

وكلها تناهض التصوف وتعارضه ^(٢٢) . وتسير سلسلة المولوية بعد الجنيد على النحو الآتي :

جنيد بغدادى - أبو بكر شهابى (ت ٩٤٦ هـ) - محمد زجاج (ت ١٠٩١ هـ) -
أبو بكر النساج (ت ١٠٩٤ هـ) أحمد حاطبى جد سلطان العلماء (ت ١١٣٣ هـ) -
شيخ الأئمة السرخسى (ت ١٠٩٠ هـ) - محمد بهاء الدين ولد ابن مولانا
(ت ١٢٣١ هـ) - سيد برهان الدين محقق ترمذى - مولانا جلال الدين محمد بلخى .
أما أفلاكى فيدون هذه السلسلة على النحو الآتى (٢٥١) .

من مولانا إلى شمس الدين تبريزى ، ثم إلى سلطان ولد بن مولانا ، ثم إلى
جلبى حسام الدين فى معية سلطان ولد ، ثم إلى أولو عارف جلبى ، ومنه إلى شمس الدين
أمير عابد ، فصلاح الدين زاهد ، ثم حسام الدين واجد جلبى ، ومن أمير عابد جلبى
إلى مظفر الدين عادل جلبى .

كان محمد بن الحسن الشيبانى يعرف بشمس الأئمة وتوفى عام ٨٠٢ = ٨٠٣ هـ ،
واضطلع بشرح الجامع الصغير ، كما كان أبو بكر محمد أحمد أبى سهل السرخى
صاحب مؤلفات كثيرة ، بيد أنه لم تر رواية واحدة عن علاقة كليهما بالتصوف .
وكانت فردوس خاتون بانه شمس الأئمة هى حماة سلطان العلماء والد مولانا

جلال الدين ، وأصبح خليفة لصهره شمس الأئمة المتوفى سنة ١٠٩٠ هـ ، وحينئذ فإنه تلقى فيض سلطان العلماء من هذا الذي توفى فى سنة ١٢٢١ هـ وهذا من قبيل المستحيل ، بيد أن الصوفية يجدون من فورهم سهولة هذه المتناقضات التاريخية المتباينة .

وهل يوجد فرق زمنى جعل التقاء الرجلين أمرا متعذرا ؟ إن حل هذه المسألة هو من السهولة بمكان إنه جاء بعد ذلك وتلقى الفيوضات المعنوية والروحية التى انقضت قبل ذلك الزمان ، كما أن بايزيد البسطامى المتوفى سنة ٨٧٤ - ٨٧٥ هـ منتسب كذلك إلى روحانية الإمام جعفر الصادق المتوفى سنة ٧٦٥ هـ ، وكان أيضا بمثابة المرشد المعنوى والروحى لأبى حسن خرقانى المتوفى سنة ١٠٢٣ هـ لقد روعيت هذه القواعد والأصول من سلسلة المولوية . ويقول سبهاى : إنه تلقى الفيوضات من والد مولانا ، أما أحمد حاطبى فكان خليفة لأحمد الغزالى (ص ١٥ ، ٢٠) .

وإذا نظرنا إلى السلسلة التى تعتبر سلطان العلماء خليفة لنجم الدين كبرى فإنها تتكون بحسب العرف والتقليد على النحو الآتى :

مولانا - سلطان العلماء - نجم الدين كبرى (ت ١٢٢١ هـ) - عمار ياسر - أبو النجيب أبدال قاهر سهروردى (ت ١١٦٧) - وجيه الدين قاضى (ت ١٠٥٠ هـ - أو ١١٠٩ هـ) - محمد ياقبرى (ت ٩٩٠ هـ) محمد دين أوراى (ت ٩٠٨ هـ) - ميمشادين أوراى (ت ٩١١ هـ) الجنيد البغدادى أما كتاب طرائق الحقائق فيسجل أن أبا النجيب سهروردى قد صلب أحمد الغزالى ، ومن ثم تسير السلسلة على النحو الآتى :

أبو النجيب - أحمد غزالى - أبو بكر النساج - أبو قاسم جرجانى - أبو عثمان مغربى - أبو على الكاتب - أبو على روضه بالى - الجنيد .

وتعد هذه السلسلة كذلك سلسلة الخلوتية ، لأن الشيخ قطب الدين أبهارى (ت ١٢٢٨ = ١٢٢٩ هـ) هو شيخ الطريقة الأبهريّة ، وهو خليفة للشيخ أبى نجيب سهروردى ، ثم بلغت السلسلة أوج كمالها بواسطة ركن الدين وشهاب الدين تبريزى

(ت ١٣١٢ هـ) وخليفة جمال الدين تبريزي وبواسطة إمام الخلوتية المسمى إبراهيم زاهد جيلاني (ت ١٣٠٥ هـ) .

وقد اضطلع زاهد جيلاني بالجمع بين الخلوتية والقلندرية والتوحيد بينهما . واضطلع الشيخ سيد اسحق صفى الدين أردده بالي (ت ١٣٣٤ هـ) بتأسيس طريقة تسمى : الصفوية أو الأرده بالية ، وقد قام بتمثيل الطريقة من بعده كل من ولده موسى صدر الدين (ت ١٣٩١ = ١٣٩٢ هـ) ثم أعقبه ولده خوجه علاء الدين عامي (ت ١٤٢٧ هـ) وابنه شيخ شاه إبراهيم (ت ١٤٤٧ هـ) ، وانتقلت السلسلة من الوالد إلى ولده واشتهر كل من شيخ جنيد (ت ١٤٧٢ هـ) والشيخ حيدر (ت ١٤٨٨ هـ) بآئهما من صوفية أردده بيل ، ثم أسس الشاه اسماعيل الصفوي (ت ١٥٢٣ هـ) الدولة الصفوية معتمدا في ذلك على النفوذ الذي ورثه عن أجداده .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد ظهر كذلك علاء الدين عالي بن موسى صدر الدين ، أو هو أبو حامد الدين آق سراي (ت ١٤١٢ هـ) خليفة أبيه إبراهيم طبقا لبعض الروايات وظهر في الأناضول كذلك حاجي بايرام ولي (ت ١٤٢٩ - ١٤٣٠ هـ) ثم أسست بهذه الصورة بعد ذلك الطريقة البيرامية التي انقضت عن فروع الملامية .

أما الملامية البيرامية فكانوا في فرط سرور وحبور نتيجة اتحاد السلسلة الولوية بالسلسلة الخلوتية ، وكانوا عادة يزعمون أنهم من المولوية ، وقد قلنا فيما سلف إن اسماعيل رسوخى يعتبر المولوية منبثقة عن الخلوتية ، وهذا هو سبب في سوق هذه الفكرة على وجه الخصوص ، وهذا هو تكوين ونضج الشيخ البيرامي نفسه قبيل المولوية ولقد التقى الشيخ أحمد الغزالي الموجود في سلسلة المولوية بأبي على فارميدى (ت ١٠٨٤ هـ) أما الشخص المشهور يوسف همداني (ت ١١٤٠ هـ) والذي يعد من سلالة « هاجا كان » ، قبيل تأسيس الطريقة النقشبندية ، فقد اضطلع بتوحيد هذه السلسلة وربطها بسلسلة النقشبندية وهذا هو سبب قول شيخ غالب دده في كتابه « الصحبة الصافية » بمجيء المولوية من الهمدانيين في معية الخراسانيين .

أما ثاقب دده الذى يجل شيخ غالب ويطريه كثيرا فيقول فى السفينة فى سياق حديثه عن السيرة الذاتية للشيخ عادل جلى : إن آداب المولوية وطقوسها قد تأسست فى عهد هذا الشيخ ، ثم اهتمت النقشبندية بعد ذلك بهذه الآداب والأركان والطقوس ورعتها حق رعايتها ، ومن هذه الآداب قوله : « إن العناية بالوقت وإمعان النظر فى النظر (٢٣) ، ومكتك فى وطنك هو سفر معنوى ، ووجودك فى معية الخلق تكون خلوة مع الله وملاحظتك للاتحاد فى كل آن ، والانقصاص عن الثنائية هى رؤية لله فى كل شىء » يقول ثاقب دده : إنه عن طريق هذه القواعد والأصول نشأت عند شمس أصول وقواعد الوجد والجدب والعشق والسماع .

أما غالب دده فيسير فى نفس الطريق ، بيد أنه يهوى قليلا فى لجة الشكليات ، ولا يمكث طويلا للاضطلاع بشرح وتفصيل هذه القواعد والأصول .

وهو يتدخل أحيانا فى تطبيق الأسماء السبعة للخلوتية على شعيرة الف والدوران المولوية ويرى أن قراءة المثنوى أو الجهر بدعاء « لا إله إلا الله » أو بالنعته « الله » أو بتقسيم الناي « هو » أو بعزف الطبل (قاله) هو بمثابة الأوبة الأولى ، و (حى) هى الأوبة الثانية ، و (قيوم) هى الأوبة الثالثة ، وهى إشارة إلى أسماء القهار (جامعة إستانبول - المخطوطات العربية رقم ٢٤٠٨) .

ولا حاجة بنا إلى القول بأن كل هذه الأشياء ملفقة مزيفة ، وهى تشبه التزييف والتلفيق الموجود فى السلسلة ، وخلاصة القول : إن سلسلة المولوية قد ظهرت فى الوجود نتيجة لاتباع العرف والتقليد كما هو الشأن فى سائر الطرق الأخرى ، أما حلقات هذه السلسلة التى تأتى من لدن مولانا حتى تبلغ الجنيد فهى ولا ريب ضعيفة واهنة غير متصلة الأجزاء مع بعضها البعض ، وفى الحق فإن هذه السلاسل مرتبة بحسب كتب طبقات الصوفية ، ومن ثم فإنها مرنة متمغطة إلى الحد الذى يجعلنا قادرين حتى على تأسيس سلسلة جد جديدة .

ولقد ورد فى « سلسلة الطرق العلية الصوفية » التى اضطلع بترتيبها « محمد شكرى » سنة ١٣٣٤ هـ = ١٩١٦ م ، والمدونة تحت رقم ١٢٢ بين ثنايا كتب خدائى المحفوظة بمكتبة سليم آغا بأسكودار حيث يقول فيها « إن السلسلة التى وردت فى

شأن مولانا والتي تلاها صدر الدين ما هي إلا سلسلة قد اتبعت سبيل رواية ملفقة بحذاقها .

وهي من ناحية أخرى وصلت إلى القادرية عن طريق ابن عربي ، وثمة نقطة مضبوطة صائبة في سلسلة المولوية كما هو الشأن في سلاسل الطرق الصوفية الأخرى ، بيد أن ثمة سلسلة في ختام تأسيس الطريقة .

خصائص الطريقة المولوية والثنائية الموجودة في هذه الطريقة :

بدأت المولوية إبان عصر سلطان ولد في تأسيس بنيتها وانتشارها وذيوع صيتها ، ثم ما لبثت أن طبقت شهرتها الأناضول حتى بلغت منطقة سلطانية ، ثم بدأت تشبه صاحب شخصية باطنية خالصة بداءة من أولو عارف جلبي ، وتتجلى هذه النزعة بجلاء بأشعار مولانا في حياته وفي معظم أشعار سلطان ولد ، بيد أنه كانت ثمة حاجة ماسة لحماية الطريقة ووقايتها عند كليهما .

أما أولو عارف جلبي فيقول عنه أفلاكي دون مواراة : إنه كان يشرب الخمر علانية ، وجاء بأفعال أثارت حيرة العقلاء وطيرت بلايلهم حتى إنها تسببت في اعتراض أماسية لى علاء الدين خليفة جلبي حسام الدين ، وكان على اقتناع تام بأن الغيث لا ينزل على الخلائق بسبب أفعال أولو عارف جلبي ، وإن مثل هذه الأفعال لا تعير قيود الشريعة اهتماما .

وكان كل هؤلاء يقولون إنه من الأبدال ، ومن ثم فهذه الأفعال ليست إلا أشياء يمكن تأويلها ، وتفسر انجذابه وذلك بسبب المفاهيم المتباينة لكلمة آبدال ، وكان لأولو عارف جلبي صلات وعلاقات بالأمراء ، ولم يُغضب المغول أو يثر حفائظهم ، كما أن أشد أفعاله غلوا وتجاوزا للحد كانت مرفوضة من قبل الطلبة المتدينين والمتعصبين من أصحاب الطريقة من المستمسكين بالدين ، أما هو فلم يعط فرصة لمثل هذه الأشياء ، فهو ليس مجنوبا ضد الأحكام الشرعية ، حقا إنه لم يكن في قرارة نفسه غير قادر على اتباع الأوامر الشرعية ومن ثمن فإنه لم يستطع الاضطلاع بمهمة الهداية

والإرشاد ، ومع هذا فإنه كان مرشداً في اعتقاد كثير من المعترضين ، ومن هذه النظرة فقد قلنا أننا إن أولو عارف جلبى يقول : إن الإنسان لم يخلق من أجل الأيام العزيزة الغالية ، بل إن الأيام العزيزة الغالية قد خلقت من أجل الإنسان ، ويذكر كذلك أنه يقدس غاية الوجود . ومن ثم فقد كان ملامتياً بحذافيره في كل أفعاله وحركاته وفي مشربه الموغل في الطفيان وتجاوز الحد ، وإن النشوة الباطنية كانت موجودة في معتقداته ، كما كانت مستقرة في أفعاله وحركاته ، إنها جليلة بينة إلى درجة يتعذر معها خفاؤها واستتارها ، ونحن نرى هذه الأفكار والآراء بعينها لدى أمير عابد جلبى الذى تبوأ مقام الشلبية بعد أولو عارف ، فقد كانت شواربه طويلة ، لا يتبع سبيل أهل التقليد ، يشرب الخمر ، ويرى اللائمين الموبخين بمثابة كلب مسعور ، وفي النهاية يرسله تيمور طاش إلى حدود الأقاليم في معية السفارة ، وهذا يعنى أنه تم نفيه وإبعاده عن قونية ، وبعد هذه الحقبة المبكرة فإن أفلاكى لم يكن بالشخص صاحب المصدر الوحيد الذى نقتبس منه معلومات مؤلفة محكمة تميظ اللثام عن سجايا وخلال الشلبين بعد أمير عابد جلبى ، أو بعبارة أكثر صواباً ما يتصل كذلك بشخصية المولوية ومن يمثلونها حق تمثيل . ومن ثم فنحن مضطرون إلى جمع معلوماتنا من ثاقب دده وغيره من سائر المصادر المتباينة .

يشرح ثاقب دده في ترجمة السيرة الذاتية لجلبى صلاح الدين أن شاه ملك كان من أحفاد أمير عابد جلبى وكان قارئاً للمثنوى في صومعة مولانا ، هذا وقد ظل هؤلاء الأحفاد من أهل الطريقة فى الاسم الثانى للمولوية ، ويتوجب إظهار سلوك أرباب الطرق الأخرى إلى هؤلاء كما أنهم يقولون : إن الإرشاد قد انقطع فى سلاسلهم ، وقد تأثر الإخوان من هذا ، وكتبوا هذه المسألة ذات مرة فى إحدى الأوراق ووضعوها فى منبره ، وطارده هؤلاء إبان تدريسه للمثنوى (ج ١ ، ص ٢٠٧) .

ومما يسترعى النظر فى هذا المقام ما يقوله ثاقب دده أثناء بحثه فى شخصية جلبى أبى الصمد أحد أحفاد مظفر الدين أحمد ابن شرف خاتون الذى اضطلع بتأسيس زاوية فى أتش باز ، حيث كان يوجد فى صومعته زمرة من أجمل الفتية والشباب ، مما أثير حوله طائفة من الريب والظنون (ص ٢١٢ - ٢١٣) .

ثم يبين ثاقب دده فى السفينة أن جلى عبد اللطيف الذى ينحدر نسله من عبد الواحد جلى الذى اضطلع بتشيد صومعته فى ارزينجان تحمل اسم سلطان ولد أوغلو قد قرأ الخطبة بالعربية فى استهلال إحدى عظامه لئسمعها لأولئك الذين ينكرون المثنوى (ص ٢١٣ - ٢١٤) .

ويقول ثاقب دده إن المدعو الشيخ محمد زنجير سكن والذى ينحدر نسله من خسرو جلى قد أرسل به لتولى الخلافة فى صومعة أنطاليا وقد أبدى توقيرا واحتراما عظيمين من أجل هذا الغرض ، إلا أنه كان ملامى المشرب والمذهب ، ويلازم بسبب طول شواربه (ص ٢٢٧ - ٢٢٩) .

هذا ونجد بين كل هذه الوثائق والمستندات أن شخصا مثل لطف الله جلى الذى ينحدر نسله من عبد الكريم جلى أحد أحفاد أمير عادل بن سلطان ولد ، وأنه يمثل الملامتية خير تمثيل فى هيئته ومظهره على حد سواء ، وكان هؤلاء يعيشون عالم الجذب الصوفى ويتجولون حفاة الأقدام وهم يرتدون البتورة (ص ٢٣٢ - ٢٣٣) .

وفى النهاية فإن الدراسات التى توفرت لدينا فى السيرة الذاتية لديوانه محمد جلى تفيد بأنه قد عمد إلى خلق شعوره وحاجبيه وشاربه ولحيته ، وخلق المنتسبون إليه على نفس هذه الشاكلة وسمى المتصوفة الذين فى معيته الأبدال أو الأبدال المولوية ، وكان موسى أبدال يحضر النارجيلة فى حضرة ديوانه محمد جلى ، ثم ينادى قائلا (هذه مائدة الطريقة من أجل الأعداء ، إنها علاج الظرف والرقعة والوثام) ويكون هذا النداء عن طريق ترجمان ، ثم تشرب النارجيلة بدعاء مرتب معين ويأداب الطريقة .

اضطلع ديوانه محمد جلى بزيارة حاجى بكتاش ، ثم زار بعد ذلك بغداد والنجف وكربلاء وخراسان وأظهر قلندرية إيران توقيرا عظيما له ، وكان فى معيته أربعون درويشا مولويا وأربعون أبالا بكتاشيا ، وقدمت إليه هدايا من ضريح الإمام رضا وهى رايات وأعلام وأطباق من التكية وبعض الأوعية ، وقد طرز قبضة سيفه . بنقش مكتوب عليه « ناد علياً » كما أنه يمدح الأئمة الاثنى عشر فى أشعاره ، ويظهر

ديوانه محمد جلبى ارتباطا وثيق العربى بسيدنا على كرم الله وجهه وهو عادة ما كان يؤلف ويوحد بين المولوية وكل من القلندرية والبكتاشية .

وكان يرتدى أحيانا قلنسوة المولوية ، وأحيانا يلبس قلنسوة على شكل سيف أو يرتدى تاجا قلندريا مسرجا ، ويهتم البكتاشية كثيرا بهذا التاج ، وهو منسوب إلى شمس .

هذا ونذكر من كلام ثاقب دده أن جلال الدين أرجون جلبى كان أحيانا يلبس تاجا ذا سبع قطع ويخبرنا كذلك أن الشيخ فى صومعة الأرجونية كان يضع هذا التاج تحت القلنسوة الكائنة فى صدر صندوق أرجون جلبى كما أن جلبى كان يرتدى بمرور الوقت هذا التاج ذا القطع السبع .

وقد كنا نحتفل بالحروفية ونهتم بها إبان القرن الخامس عشر الميلادى ، وكانت ترزح تحت نفوذ القلندرية وتذكر من بين المنتسبين إليها . جانى شاه وجانى بابا وحسام شاه ، ونعلم كذلك أن آق يازىلى سلطان هو الذى اضطلع بتأسيس البكتاشية فى القرن السادس عشر الميلادى وكان ممثله المشهور أوتمان بابا يرتدى تاجا ذا سبع قطع^(٢٥) .

وقد اطرء التوافق والتلازم بين المولوية من جهة وكل من القلندرية والبكتاشية من جهة أخرى ، وأية ذلك أن أوزون فردوسى الذى كتب ولايتنامه لحاجى بكتاشى ولى سنة ١٤٤٠ هـ ، يعد خليفة لكل من شمس مولانا وحاجى بكتاش (جامعة إستانبول - المخطوطات التركية رقم ٤٨٢٠ ، ص ١٦٨ - ١٧٨) ووجدنا فى هذا الصدد ضرورة البحث والتنقيب عن مصدر آخر .

كان « وحيدى » من شعراء القرن الخامس عشر الميلادى ، وقد دبح كتابا يسمى « الشمسيات » يضم بين دفتيه مقطوعات منشورة مزينة مقرونة ببعض المنظومات الشعرية ، وتسمى هذه المقطوعات « مناقب خواجه جيهان ونتيجة جان » . وقد كتبه بمناسبة فتح السلطان سليمان القانونى لرودس فى الأيام الأولى من الحملة عليها والتي انتهت فى ستة أشهر سنة ٩٢٠ هـ = ١٥١٤ م .

وقد جلى لنا وحيدى ما يخص كل طائفة مقرنا بتشبيهات وخیالات نابضة بالروح والحياة ، كما يفصل القول كذلك فى حلق هؤلاء الشمسیین للحیة والشعر والحاجبین والشوارب .

ولبسهم الصوف الأسود والأبيض ، وسكرهم وإدمانهم الخمر والمسکرات ، وكيف أنهم یلبسون قلنسوة من اللباد ، أعلاها منفرج مبسوط ، وهم یطوفون ویجولون فى حالة مجتمعة مؤتلفة بالأعلام والرايات والطبول ، كما یزعمون أنهم صاروا عبیدا لعلی والحسن والحسین (المخطوطة التى عندنا ، ٦٥ - ٧٢) .

كما أن واحدی یذم ویهجو بشدة كلا من شمس وجامی وقلندری وبكتاشی وغيرهم من الصوفیة من أصحاب العقائد الشیعیة الباطنیة ، بید أنه یمدح المولویة ویطریهم بمثل هذه الكلمات : « فلتکتحل أعینهم ولتخضعن الوجوه لآثار أقدامهم ، رموشهم طويلة مجمدة ، وبموجب الشریعة غیر متدلّية یرتدون الجبة والثیاب الغلیظة بأمر الشریعة ، یمکرعون خمر الصفاء » .

فمن یا ترى یكون هؤلاء المسمون بالشمسیین الذین یهجوهم ویذمهم ؟ أهى طائفة تحمل اسم شمس وتتنسب إلیه ؟ وإذا وجدت هذه الطائفة فلم یرد ذکرها فى مصدر آخر ؟

فهل هؤلاء هم طائفة من المولویة ؟ وإذا كنا قد وجدنا وثيقة أخرى تحمل فى مواضع متباینة منها ما یخص القلنسوة المبسوطة المتفرجة ، فقد كان الحال كذلك عند أتباع محمد جلیبى وصوفیة یوسف سینه جاك ، وهذا یعنى أنهم كانوا یخلقون الشعر واللحیة والحاجبین والشوارب بالموسى ، ویلبسون قلنسوة المولویة التى تسمى « سیفى » أعلاها منبسط السطح ، أو یرتدون تاجا ذا سبع قطع كما عند جلال أرجون أو ذا اثنتی عشرة قطعة كما هو عند دیوانه محمد جلیبى وتسمى عند البكتاشیة « قلندریة » و « جلالی » ، وعند المتأخرین « حسینی » ، ونعلم كذلك أن المنتسبین إلی قایغو سز أبدال وهو من شعراء صوفیة القرن الخامس عشر المیلادى یسمون هذه القلنسوة « تاج شمس » .

ورغم رفض بعض المولوية حتى الأزمنة المتأخرة ، فإنه قد تم البحث فى الشعبتين اللتين تسميان « شعبة شمس » وشعبة ولد ، أو بمعنى أصح أنه يتوجب علينا كذلك ألا ننسى أن المولوية قد انقسمت على نفسها من ناحية المشرب والمذهب إلى شعبتين اثنتين ، وكم كان هذا الانقسام والتمايز قديما وعاما ، ومما لا ريب فيه أن ثاقب دده كان بمثابة ترجمان لهذه الفكرة إبان القرن السابع عشر الميلادى ويقول : إن طقوس المولوية وشعائرها ونواميسها قد تأسست إبان عصر بير عادل جلبى كما يشرح كذلك أن هذه الطقوس والنواميس قد تحررت من أغلال السماع والصفاء والوجد والحال التى تعد أساس سلوك السلاطين وتمخض عن كل هذا أن أصبح طريق المولوية يوحد ويؤلف بين الزهد والعشق الجذب^(٢٦) .

ونرى أن كلمات ثاقب دده تظهر الاختلاف البين عند المولوية ، أو بتعبير آخر فإنها كافية لتجلية ضربين من السكر والنشوة عند المولوية ومدى قبولهم لهما . ويمكن أن يكون هنالك من لا يرون الوضوح والجلاء المبتغى فى عبارة ثاقب دده ، بيد أنه يزيد هذا الأمر وضوحا وجليا إبان حديثه عن عبید الله دده فى ترجمة السيرة الذاتية لفدائى محمد دده أحد المنتسبين إلى ديوانه محمد جلبى وفى هذا يقول ثاقب دده : « هو مظهر الآثار القدسية من رجال الطريقة العشقية الشمسية » .

ويتحدث كذلك عن لقائه بالرجال المنتسبين إلى طريق عشق شمس فى المولوية ثم يؤكد ثاقب دده هذه الفكرة بعينها فى سياق حديثه عن شهودى بن شاهدى . حيث يقول فى شأنه ما فحواه « هو المنتسب إلى الأسلاف العالية ، ثابت القدم ، والذيل المسعود الميمون للطريقة العشقية المولوية » (ج ٢ ، ص ١٨) . وقد مدح قبل صوفى أحمد دده (ت ١٦٤٧ م) . وهو شيخ بنى قلبى ، ملامى المذهب والمشرّب ، وينتسب إلى قاسم دده من الطريقة البكتاشية (ج ٢ ، ص ٧٦) .

ويقول شيخ غالب (ت ١٧٩٩ م) إن المولوية انبثقت فى الوجود عن طريق صوفية خراسان وعن طريق الطريقتين الهمدانية والكبروية ، ثم يذكر بعد ذلك أن هذه الشعبة الثانية هم أصحاب سلسلة تختلف اختلافا بينا عن أتباع الجنيد ، ثم يردف

قائلا : « وليس ثمة أساس صحيح قط لهذا الهذر من القول بين الجاهلين الذى يلف ويدور ويقول بوجود فرق بين شعبة كل من شمس وسلطان ولد .

وقد ورد فى مناقب العارفين ومثنويات وسلطان ولد أن هذا الأخير قد انتسب إلى شمس قبل والده ويأمر منه ، ثم يوضح كذلك بأن سلطان ولد قد بات تابعا ومقتديا سبيل أبيه بعد ذلك ، حتى إن شمس تبريزى قال ذات يوم : إئننى أفضيت بسرى إلى سلطان ولد ، وجعلت نفسى فداء لمولانا جلال الدين إذا فكيف يمكن التفكير مليا فى أن تكون طريقة سلطان ولد ، وجعلت نفسى فداء لمولانا جلال الدين إذا فكيف يمكن التفكير مليا فى أن تكون طريقة سلطان ولد مناقضة لشمس ؟ وقد قلنا مرارا وتكرارا إن المسالك والمشارب والمذاهب كثيرة » . وبهذه الكلمات ينكر شيخ غالب رافضا فكرة هذا التباين والاختلاف الذى يعبر عنه بشعبة سلطان ولد وشعبة شمس ، ولم تكن هذه الفكرة سائدة بين الجاهلين فحسب ، بل كانت رائجة كذلك بين المولوية أنفسهم وذاعت كذلك بين ظهرانى العلماء حتى الأزمنة المتأخرة (٢٧) .

أما أسرار دده المتوفى فى سنة ١٧٩٧ م فيبين اختلاف وتباين هذا المشرب لدى المولوية عن طريق التأويل . ويرى أن المولوية يذهبون من هذين الطريقتين ، فثمة قسم يرى بال جذب الثانى ، وآخر يتبع سبيل مضمون العشق والأدب على كل حال ويتدثر بلباس الشريعة . والسائرون فى الطريق الأول يتلقون الفيوضات من ديوان مولانا ، أما المستمسكون بالطريق فإنهم يجعلون المثنوى مرشدا لهم ودليلا ، بيد أن كلا الطريقتين يستنيرون بنور العشق الحقيقى ذاته (٢٨) .

وهذا تأويل جد صعب وعسير . لأننا سبق أن قلنا فى كتاب « مولانا جلال الدين الرومى » أن ليس ثمة فرق بارز بين ديوان مولانا وبين المثنوى فكثير من الحكايات التى ورد ذكرها فى المثنوى قد مر ذكرها كذلك فى غزلياته ، أما الفكرة فهى بنصها وفصها ، كما أن الغليان وسورة الحميا الموجودة فى غزلياته فإنها ظاهرة بجلاء فى مواضع متفرقة من المثنوى . ومهما يك من أمر فثمة ضربان من السالكين فى هذا الطريق من الذين صدقوا بالمولوية واعتقدوا فيهم ، فهناك قسم من المولوية هم من صوفية اللامتية ممن تجاوزوا طورهم وبلغوا سورة الحميا . أما القسم الثانى فهم

الزهاد . وإن العرف والتقليد المرتبط بسائر هذه الروايات جميعها يجعلنا مضطرين اضطرارا إلى قبول الطائفة التي قال عنها واحد أنها قسم من المولوية . هذا ورغم قول واحد بأن قص شوارب المولوية هو اتباع للسنة ، فقد كتبنا فيما سلف نقلا عن أفلاكى أن أمير عابد جلبى لم يقص شاربه ، وأنه سلقه بالسنة حداد لهذا السبب ، كما أن الشيخ محمد زنجير سكن قد أصابته العاقبة الوخيمة لنفس السبب ، ونعلم كذلك أن شيوخ المولوية من الزهاد كانوا جميعا لا يقصون شواربهم دون استثناء . ولننقلن فى هذا الصدد تلك الحكاية التي سمعناها من الشيخ باقى أفندى شيخ تكية ينى قابى (ت ١٩٣٤ م) دون الوصول إلى نتيجة فى هذا الشأن : تقول الحكاية : حل غالبونى شيخى ضيفا على صومعة « ينى قابى » إبان سياحته فى إستانبول ، وكان الشيخ آنذاك هو جلال الدين دده والد باقى أفندى (ت ١٩٠٨ م) ثم اقترب المساء وحل وقت الكراهة^(٢٩) ، وبدأ غالبولى شيخى فى التثاؤب والفتور ، بيد أن المشرف على شعيرة الف والدوران نادى على الشيخ دده بظرف ورقة فى علانية دون إظهار علاقة دالة على ذلك ثم قال « أيها الصوفية أه لو صنعتم السلطة وأكلتم الطعام فقال الدرويش : أى والله ، ثم خرج من الحجرة ، وبعد فترة وجيزة كان فى يده طبق سلطة كبير وغاص بداخله وطواه كأنه جمرة أمام الشيخ وعندما قال الدرويش ما هذا ؟ قال صوفى إنها السلطة التى أمرتم بها ، ولم يطق غالبولى بشيخى فقال للدرويش : إذا كنت قد أقمت الصلاة فى « ينى قابى » وفكرت مليا فى الصيام وذهبت إلى بهاريه لتعلمت حينئذ صنع السلطة ، ولا جرم أن تكية البهارية المولوية كانت مشهورة بالمذهب العلوى والأبيقورى^(٣٠) .

وكان الشيخ نظيف (ت ١٨٦٠ م) علويا متطرفا من البكتاشية . وكذلك ولده الشيخ حسين فخر الدين دده (ت ١٩١١ م) على نفس المذهب والطريقة . وكان نظيف وولده كلاهما يشربان الخمر . وإذا كانت منطقة ينى قابى مشهورة أول الأمر باللامتية الأبيقوريين فإنها كانت فى زماننا مشهورة بالزهد والورع .

سألوا أحد المولوية ذات يوم قائلين له : لماذا تكون قلنسوتكم طويلة إلى هذا الحد ؟ فقال إنها أسرارنا ونغطي بها أعلى زجاجة الصوفية عندما يأتى الأغيار والحاسدون ، ولقد سمعت هذه الحكاية نفسها من المرحوم نظيف أفندى .

ولنوضح فى هذا المقام ما كتبناه حتى الآن :

كان أولو عارف جلبى خليفة سلطان ولدا مشهورا بالأبيقورية وإدمان الخمر والسكر والملذات ولهذا فقد كان أماسية لى علاء الدين خليفة جلبى حسام الدين معارضا لهذا الوضع ساخطا عليه كما كان أفلاكى يذم ويهجو علاء الدين بصفته ترجمانا فى مسجد المولوية .

وكان أمير عابد جلبى يسلك مسلك أولو عارف جلبى بحذاقيته ، كما يسلكها كذلك كل من ديوانه محمد جلبى وصوقيته ، ويوسف سينه جاك ورفقاء طريقه .

يكتب عاشق جلبى فى السيرة الذاتية للشاعر صفائى فيقول إنه كان شيخا على زاوية اسكندر باشا فى غلطة وعلى تكية المولوية بمنطقة قول قابى ، « وفى ذلك الإبان كثرت المتنزهات وزاد عددها وكذلك أماكن القصف واللهو والزوايا وصوامع التعبد . وكان يوجد فى تلك الأماكن الأكابر والأعيان وسراة القوم والوجهاء وأرباب الطرق والديوان والشعراء وأصحاب العرفان حيث يمارسون الفرجة فى مجالس المنادمة والمسامرة وشرب الخمر والسكر ، ثم يعزف صوت ناي العشق الذى يشنف الأذن وهو قريب من درجة الاستعداد ويعتصر القلب ألما من صوت الصفير الذى يشبه فيما يشبه صوت الرباب ، وكان غلام المرحوم سينه جاك خاملا فاترا ، ثم اشتغل بقراءة الفارسية ، ثم شرع فى تلاوة المثنوى ، ثم أميط اللثام بعد ذلك عن أسرار العشق والروحانيات على الملأ ، ثم خطا بعد ذلك خطوات إلى ناي وطبلة المملأ الكائنين فى التكية ، ويكون السماع الحقيقى كدائرة تشبه الدف فى الصومعة ، وهذا أليق بالشوق ولوعة الحب ويتقلص الصخب والضجيج ، ثم تنشد الأشعار وتتلّى الغزليات . »

ثم جاء « شاه رافنا فلك زاده » بعد سینه جاك ، حيث أصبح شيخ مهابة صومعة التعبد ، وكان يسير على طريقة الملامتية ، ويجلس على الأرض فى الوقت الذى كان يجلس فيه كذلك فى الطرق وفوق آثار الأقدام ويطوف وهو ينشد هذا البيت :

مسارانه غم تترك ونه اندیشه نامست

مذهب ما نامسوس حرامست

والمعنى : لا غم لنا ولا همسوم

فمذهبنا أن الشرف يكون حراما

وهو ينشد هذا البيت فى مجالس المنادمة والمسامرة والعرس والأفراح والمجتمعات ، حتى ولو كان هذا الإنشاد مقرونا بالطبل والمزمار أو المزهرة أو العود أو الناستور أو الكمان أو القيثار أو القانون ، أو كان من يعزف كل هذا هو موسيقارنا^(٣١) . أو آلات ذوات نفخ وأوتار وإذا عزفت هذه الآلات جميعها فإنها فى النهاية تؤدى السماع . والنغم الناتج عن كل أوتار العزف يكون مرتبطا ارتباطا وثيق العرى بأصول النغم وقواعده .

ثم يتراقص على أنغام القيثار ، ثم ما يلبث أن يغلبه المقام الموسيقى فيلعب بون آلة العود ، ثم يعود بعد ذلك فيلف ويدور أمام ريح النغمة مثل دوامة البحر ، ثم يرجع سماعه إلى الشهود ومزاجه إلى الحقيقة ثم يميل وينزع بعد ذلك إلى صلاح الحال^(٣٢) .

وفى خاتمة هذه الأسطر تسجيل لعودته فى النهاية إلى حالة الصلاح ، وهو تسجيل يشد انتباهنا ويسترعى أفكارنا ، ويقول حسن جلبى فى حق الشاعر « شورى » .

(كان فى أول حاله مولويا ومن أهل الهوى لا تد له ولا نظير ، منغمسا فى الملذات والشغف والسرور والصفاء بيد أنه تاب فى آخر عمره توبة نصوحا ورجع

إلى طريق الحق وسبيل التوبة والإنابة » فقد رأى حسن جلبى أن هوى الشاعر متعلق بالمولوية .

بيد أنه ليس ثمة شيء آخر سوى التعبير عن أنه لم يستطع أن يجد علاقة قط بين التوبة والإنابة وبين أصول وقواعد الطريق (٢٣) .

وهكذا نرى أن ثمة نتيجة مستخلصة من كلام هذين العالمين - عاشق جلبى وحسن جلبى - تفيد بأن المولوى يعيش فى عالم النأى والسماع والحشيش والنشوة والسكر والصفاء ، ويغشاه الجذب حتى أنه يرقص نون عزف ، ثم ما يلبث أن يثوب إلى الطريق المستقيم ، ألا وهو طريق التوبة والإنابة ، ومن ثم يجب وصف المولوية بإيابهم من هذه الأحوال ، ولكن واحدى يتحدث بخلاف هذا إذ يعتبر المولوية صوفية سالكين طريق السنة وفى الحق فإن رسوخى (ت ١٦٣١ م) ، على بسبيل المثال كان وقورا رزينا زاهدا ، حتى قيل إنه رفض أن يدبج مسودة للجزء السابع من المثنوى نون علم أو دراية ، ونأى بنفسه عن هذا قائلا « أنا لا أعرف كيف يتوجب على أن أتفوه بشيء عن ثقافة وعرفان مولانا ، ولهذا السبب فإن صبحى أحمد دده شيخ ينى قابى (ت ١٦٤٧ م = ١٠٥٧ هـ) كان يقول لرسوخى إنه أخطأ كثيرا فى شرح هذا الجزء الكاذب ولكنه عندما هم بتدريسه أرسل خبرا قال فيه إنه سيحطم المنبر فوق رأسه ، وهى رواية شاعت بين المولوية .

أما الصوفى فصيح (ت ١٦٩٩) الذى كان يجلس فى حجرة تكية الزاهد رسوخى فكان يرى كل مساء منغمسا فى اللذات والشهوات . خلص روحه بصعوبة من مصائب ونكبات وبلايا الشباب (٢٤) .

كان فصيح هذا يسكر فى حانة الخمر كل مساء فى منطقة « غلطة باليق بازار » ، ثم يخرج إلى الصومعة على هذه الشاكلة وهو يترنح متمايلا من أثر السكر، متغنيا بصدر هذا البيت من الشعر « إن السير المتأنى هو من أداء مولوى » (٢٥) ، ثم يجلس قبالة مسجد شاه قوله على مقربة من الصومعة ، ثم يقول للإمام الذى ينتظر صلاة المغرب « سلام عليك يا إمام » ، بيد أن الإمام يتفرج بحذر وحيطة على حال

هذا الدرويش المولوى الذى يرتدى فوق رأسه قلنسوة وعلى ظهره خرقة ، ثم ما لبث الإمام أن يهز رأسه محوقلا^(٣٦) . ويتلقى سلامه كرها . وأقبل فصيح ذات يوم آخر على نفس الشاكلة ، بيد أن الإمام قرر ألا يلقي السلام وعاند ونفذ قراره .

أما هذا الإمام فقد رأى فى منامه أنه أصبح ضفدعة ، وبينما هو يتهادى فى مشيته إذا بعقاب ينقض نازلا من الهواء ، ثم ما لبث أن طار فى الهواء وقد علق الإمام فى برائنه وفى هذه الآونة نظر الإمام إلى أسفل وإذا بمكان مجذب زاخر بصخور ملساء ، ثم صاح قائلا : أواه ، لو أنقذت من بين برائنه فلسوف أتحطم وألقى حتفى ، وإذا لم أسقط فإنى عاقبتى لا محالة ظاهرة ، وفى تلك الآونة فتح العقاب مخليه وهوى الإمام بسرعة ، ولكن ماذا رأى بعد سقوطه ؟ كان الشيخ فصيح فى أسفل المكان ينتظر فاتحا أطراف ثوبه ، ثم هوى فى طرف ثوبه واستيقظ واجلا سابحا فى لجة من العرق إنها كرامة من ثمل مخمور فكيف يكون هذا الشيء ؟

ثم جعل يفكر مليا ، وفقد قدرته على النوم حتى اقترب الصباح فجدد وضوءه ، وذهب إلى المسجد ، وأنسته رؤياه التى رآها جلبة النهار وضجيجه ، وجلس على كرسي من الحصير غير ذى ظهر فى انتظار صلاة المغرب أمام المسجد ، وبينما هو يتربص منتظرا إذا به يرى الشيخ فصيحاً ، فأقبل عليه متجها صوب مكان عال وهو يتميل فتذكر الليلة الليلية ، وخفق فؤاده .

ولما هم فصيح بالكلام أقبل بإزاء الإمام وقال وهو يلوك الكلام فى فيه : سلام عليك يا إمام ، أرأيت لو لم يكن طرف ثياب فصيح فى الليلة البارحة لكنت مستويا بالأرض تماما !

وكان اسكودارلى نصوحى (ت ١١٢٩ هـ = ١٧١٧ = ١٧١٨ م) مؤسسا لشيعة الطريقة النصوحية المتشعبة بدورها عن الطريقة الخلوتية ، وهو من الذين لا يروقههم الشيخ فصيح كثيرا ولا يعجبون به ولكنه رأى فى منامه ذات ليلة أن حراس السلطان كانوا يدفعون الناس فى منطقة « ديوان أوغلو » قائلين لهم : تنحوا وانزوا بعيدا فى أحد الأركان ، وما لبث طائفة المنسحبين أن لانوا من فورهم بالتوسل والتضرع

والرجاء ، وانسحب كذلك نصوحى إلى أحد الأركان ، بيد أنه لم يتضرع إلى السلطان ولم يتوسل إليه ، ومن ثم دفعته رغبة جارفة وفضول زائد لمعرفة ذلك القادم وسأل واحدا عن ذلك ، فقال رجل : إن مولانا قادم ، فما كان من نصوحى إلا أن غشيته حالة من التضرع والرجاء ، وشوهد مولانا بعد وقت قصير ، ثم امتطى صهوة جواد رمادى اللون ، وانسحب فصيح والجواد ، واستيقظ فى اليوم التالى وكان يوم الجمعة ، ثم ذهب إلى تكية المولوية بغلطة وذهب إلى حجرة فصيح ، ولم يكن قد ذهب إليها قط حتى ذلك الحين ، وبعد أن التقى بأصول الطريقة وقواعدها ، قال فصيح هذه المقولة لأول مرة : أيا نصوحى أفندى : إنك لم تأت نون أن ترى سائس مقود الجواد ؟ فأصبح هذا الرجل الزاهد حسنا طيبا بعد تلك الرؤية التى جرت فيما بين نصوحى وفصيح ، وكانت قد ماتت قبله ما بين ثلاثين إلى تسعين قطة فكفنها ودفنها فى جبانة الصومعة ، وبعد ذلك دفن فصيح فى معية قطته السوداء التى مات فى معيتها ، وكان قد أوصانى قبيل موته أن يغسل نصوحى نعشه ، وأرسل شيخ لاستدعاء نصوحى حيث أعلمه بهذه الوصية وقابل المتصوفة على قمة منطقة « دوغانجير » وأخذ من حافتها هراوة ونزل نصوحى وهو يضرب الأرض بها .

ثم يقول بعد ذلك : لقد أتينا وتلقينا الأمر ونحن ننظر إلى الشيخ الواقف للتضرع والرجاء ، أما فى الأزمنة المتأخرة فقد رأينا كلا هذين الشخصين الثملين المرحين ، وقد ألمعنا فيما سبق أنفا أن التكية المولوية فى بهارية كانت بمثابة المركز الأبيقورى للمولوية أما ينى قابى فكانت مستقر الزهد ومقامه ، وكانت تيجان البكتاشية موضوعة كذلك تحت قلنسوة الصوفية الموجودين فى منطقة قاسم باشا مثلما هى موجودة تحت قلنسوة أرجون جلبى تماما بتمام ، ولكن المرحوم شمس الدين شيخ مولوية بورصة كان شيخا مختون الشاربين ، ونعته واحدى بقوله : إنه كان لا يطاء الأرض فى ينى قابى بغير وضوء ، واعتاد الصلاة فى بهارية ، ويذكر حافظ صديق إمام الصومعة قائلا عنه : إنه زنديق فلا تسألن عن صومه ، فصوماط الشرف ملغى فى أوقات النهار^(٣٧) والمريدون يذهبون إلى الإفطار فى أوقات المغرب ، ولكنه فى أوقات النهار تسدل الستور الموجودة على نوافذ حجرات الصوفية ، وقد ورد

بخاطري شيء آخر ولن أغادره دون أن أشرحه : كان المرحوم مصطفى دده أحد الجالسين في حجرة قاسم باشا واشتهر بالطرب والغناء ، ويحب الطماطم حبا جما ويصنع سلطة الخيار بخشوع أو بشهوة دنيوية وهو أُمى لدرجة أنه لا يحيط خبرا عن العلم الرسمي ، بيد أنه كان صوفيا عارفا إلى حد بلغ فيه درجة النضج والكمال والإتقان ، ويقول : إن الصوفية تغشاهم أحيانا سورة الحميا ، ولقد التقينا مساء البارحة بالحبيب الكامل ، إنه عارف صوفى ، مطلع خبير ذو روح شفافة . أما الذين لا يعلمون ما يقوله مصطفى دده فإنهم كانوا يسألون عنه من يعلمونه بشغف وسرور . ثم يقول من هو سلطان روحى ؟ إنه هو الذى تغشاه سورة الحميا قليلا ، ثم يستطرد قائلا : إنه الخبير المطلع على أسرار الطريقة ، والنجى الحافظ لسر الحقائق ، وسالك الطريقة بتمامها ، أما الذين لا يعلمون فإنهم يظنون أنه التقى بأحد رجال الله أو رجال الغيب أو أحد الأقطاب وهم جميعا فى شوق وتوق شديدين ، متضرعين متوسلين .

فمن هو ذلك السلطان إلى عشق الشيخ الصوفى ؟

إنه من الرجال الكمل ، ومن أهل التوحيد والنور الخالص .

فقل يا شيخى ، ماذا يكون السر بحق ؟ ويرفع الشيخ رأسه ، ويلقى القلنسوة وراء ظهره ويقطب حاجيه ، ثم يودع السر ويلقيه : إنه الدرويش خرستو الخمار فى منطقة باليق بازار !

وفى أحد الأيام اغتاز الشيخ دده وشرع يقول : يزيد ، بليد مرود نمرود من هؤلاء الصوفية ؟ إنه خائن لاعن ، لاحظ له من الإنسانية ، أولئك كالأنعام فمن هؤلاء يا هو ؟

إنه المنافق ، مُنْبِتٌ عن سر التوحيد ، ومظهره فى أسفل سافلين ، لقد فهمنا جيدا ، ولكن من يكون إنه فلان شيخ طريقة الصومعة ، العارف بالله « فمشان أفندى » أما اتباع جلبى حسام الدين فقد عُرِفوا عند مولانا بالقبح والشين ، رغم ما اشتهروا به من الزهد والثناء عليهم ، أما الأشخاص الذين حققوا ذائع صيت بالعبادة فقد تذكرناهم .

وتذكر كذلك مصطفى دده دون خيرة منا عندما هجوناهم بقولنا : إنهم طائفة من الفاسقين (الطبعة الثالثة ، ص ١١٧) .

الفرق في الرأي الذي تمخض عن هذين الثملين :

لقد رأيت هذين الثملين ، أو المتجاوزين للحد ، ورغم أنهما كانا يبدوان أحيانا وكأنهما مجنوبان فإنهما كانا في نشوة وصفاء دون سكر . هل قرأتم في كتاب مولانا جلال الدين القسيمي المعنويين وهما « تصوف مولانا ، والإصلاح عند مولانا ؟ » (الطبعة الثالثة ، ص ١٦٨ - ٢١٧) فاقروا حينئذ هذين الباحثين مرة أخرى إن كنتم تريدون شرحهما بكلام مولانا ، واستمعوا مرة أخرى إلى تلك الكلمات النابضة بالروح والحياة من فم لا يعرف القبح والشين ، ومن شفاه لا يصيبها الذبول والشحوب ، ودققوا وأمعنوا النظر على وجه الخصوص في بحث بعنوان (سجايا وخلال مولانا) (ص ٢١٨ - ٢٣١) .

ولسوف ترون ساعتئذ أن من المتعذر أن تكون ثمة علاقة قط بين النشوة الثانية لمولانا وبين عدم السكر ، فلقد تسنم مولانا ذروة الأديان والمذاهب ، وتحرر من سائر القيود والأغلال ، بيد أنه لم يغفل عن وجه الأرض وما هو موجود فوق ظهر الغبراء ، والتف حول الشعب دون أن يفكر في التفريق بين دين أو مذهب ، وتعقب دون خوف أو وجل إثر كل ضرب من الحركة والمقاومة ضد السلطان والوزير ، متفوها بالأشياء التي يتعذر التفوه بها ، وزج بنفسه في مجتمع النساء ، ويفكر مليا في الآخرة وهو في الدنيا ، ويقدس الحياة ، كما كان مؤسس دينيا إنسانيا يشرع بسجود الإنسان للإنسان .

بيد أنه يتسامح ويصفح عن الضعف البشري كلما سنحت له الفرصة بذلك ، كما أنه لا يمحو مسئولية الإنسان وإرادته ، ولا يتردد في التضحية بالفرد بغية سكينه وطمأنينة المجموع ، لم يصطنع لنفسه مركزاً يتضمن وجوده ويحتويه ، إنه مفكر عظيم انتقل من فرديته وانتشر وذاع في الوجود ، ومن المستحيل كذلك اعتباره

مرتبطا ارتباطا وثيق العرى بفكرة ضيقة أو بمراسم أو طقوس أو زهد ، واستطاع
بفلسفته وعرفانه ورأيه فى الدنيا أن يملك فى حوزته كل من هم ليسوا مثله ، ومن
لم يتسن لهم أن يكونوا مثله ويصبغهم بالصبغة الصوفية الخالصة ، واستطاع كذلك
أن يكون فى حال من الوجد والنشوة المتجاوزة للحد ، وتسنى له أن يتزمل بعبادة
باطنية خالصة .

لقد كان جلال الدين الرومى يريد تحطيم وتقويض أركان مراسم وطقوس
الشعائر التى تتشدد فى الاحتفالات الدينية بفكر استبدادى داخل فى إطار ضيق من
التفكير وقد تحطم فى ذات نفسه ، وبدأ يمارس طقوس وشعائر المولوية مستلهما
إياها من نوق وصفاء مولانا وإحساسه ورأيه ، وعليه فإنه لم يتسن له أن يكون
متعصبا دينيا مستمسكا بالشرعية ، ولا هو تلميذ دينى من أهل القرية ، ولربما كان
هذا سببا فى جرأته قليلا ، بيد أننا نرى أن روحه قد اكتسبت جمودا وتصلبا باقتراحه
بكل من سلطان ولد وأولو عارف جلبى الذى جاوز حده وعدا طوره ، كان يشرب
الخمير عيانا جهارا واصطدم مع آماسيه لى علاء الدين ، وبينما نراه إنسانا قد تجاوز
فرديته ، فإنه كان يعتبر أن عدم سجود الإنسان للإنسان ضرب من الكفر ، وكان نور
مولانا يرى متوهجا للألاء فى قوله وجوهره ونفسه ، ولربما كان يريد الاضطلاع
بأشياء كثيرة ، بيد أنه تعذر عليه شرح أفكاره ناهيك عما يريد الاضطلاع به ، وكان
أولو عارف جلبى يقدم الخمير بنفسه أو يمسك بها أو ينطلق بها إلى « يشيل أيرماق » .
ونعتقد أنه يتوجب علينا تحليل انفعالاته وانجذابه وسورة حمياه هناك انطلاقا
من هذه النظرة . نعم إننا لم نستطع أن نجد فى المولوية نوق مولانا ورأيه وشعوره ،
وتجلت فى حالة متصلبة جامدة مقترنة بالمراسم والطقوس .

وها هو المرحوم « لطفى جان » أحد موظفى البلدية المتقاعدين والمنتسبين إلى
بهارية يضطلع بشرح هذا فيقول : قدمت ذات يوم إلى منطقة ينى قابى ، وعندما
هممت بالوضوء وضعت قلنسوتى فوق دكة خشبية على حافة ميزاب الماء ، وما لبث
أحد الدراويش الموجدوين هنالك أن خطف قلنسوتى وكأته قانص طير ، ثم شرع
من فوره فى المسير ، ولم أستطع أن أفهم ماذا جرى فركضت فى أثره قائلا :

قلنسوتي ، قلنسوتي ، ماذا يصنع بها وإلى أين هو ذاهب ثم جرت فيما بيننا هذه المحاورة بدأها قائلاً لي : إنك ضال بلا طريق ولسوف أحمل قلنسوتك وأسلمها إلى الشيخ فقلت لماذا لقد وضعتها بعيداً حتى لا تمسها يدك ، حسن ، ولكنني موظف ولست شيخاً صوفياً .

وعلى حين كان يذهب إلى المقاطعة مكث في المنزل ، أما أنا فمكثت وحيداً أذهب إلى التكية وألبس قلنسوتي ، ثم جاء رجل مدني وخلع القلنسوة هناك ، وكانت توجد كذلك طائفة من المحبين الذين يرتدون التنورة والخرقة ، ثم جاء الشيخ والقلنسوة في يده ، وبينما كان يقف متحيراً منذهلاً هممت بخطف القلنسوة من يده . وعندما ذهبت إلى بهارية حكيت هذه القصة على حسين أفندي فقال لي : « لقد قلت : لا تذهبن إذالم يكن باب مولانا هناك » ويحكى غالب دده (ت ١٧٩٩م - ١٢١٣ هـ) في كتابه (الصحبة الصفية) قائلاً : كان فقراء المولوية لا يخلعون قلانسهم أثناء حلق رعوسهم بل كانوا يثنونها جانباً ، وهكذا كانت القلنسوة تلف وتدور وتثنى وتثنوى وتلتوى حتى يكتمل حلق الرأس (جامعة إستانبول - المخطوطات العربية ، رقم ٣٤٠٨ ، ٧) . وثمة واقعة أخرى حية وقعت لي وهي تبين بجلاء سذاجة أرباب التصوف وتلمذة الطرق الصوفية : من المفروض أن يوجد في حجرة السماع خط يمتد من أمام عمود الشيخ حتى يصل إلى الباب ويسمى هذا الخط « خط الاستواء » ، لماذا سمي بهذا الاسم فهذا ما سنشرحه فيما بعد .

وذاث يوم كنت في حجرة السماع في صومعة أخرى غير بهارية وكنت آنذاك طفلاً لا أعى شيئاً قط ولا قبل لي بتقدير الأمور حق قدرها فهل أظأ هذا الخط بقدمي ؟ وبعد شعيرة اللف والدوران التصق أحد الشيوخ بصماخ أذني وقال : أنت الدرويش باقى وأنت ضال بلا طريق قلت لماذا ؟ فقال : لقد وطئت خط الاستواء ، فلم أفهم وشرح هو ، وحسبت أنني اقترفت جرماً عظيماً ، وحزنت لذلك أياماً عديدة ، وكان أولو عارف جلبى رغم أنه من المولوية يعتقد بأن من يخلع القلنسوة هو ذاك الضال الذي لا طريق له . وكان أولو عارف جلبى يخلع قلنسوته عند الدعاء ويكشف رأسه كما كان يلبس قلنسوته للأشخاص الذين يحبهم ويظل هو حاسر الرأس ، وكان ديوانه محمد جلبى يتجول بعض الأحيان مكشوف الرأس ويمارس طقوس السماع وهو على هذه

الحال حتى أنه لا وجود كذلك الاسم حجرة السماع ذات الخط الاستوائى . وكان السماع يمارس فى مجالس الدعوة . وإذا ما تجاوزنا عن ذكر اتباع حسام ديوانه^(٣٦) لقيود الطريقة ونواميسها ، لرأينا أنه كان يقرأ فى الصلاة بيتا من الديوان الأكبر بدلا من سورة القرآن ويتبع هذا بصدق وإخلاص ، ولأنقلن فى هذا الصدد هذه الحكاية بعينها من مجلة حسين فخر الدين والتي تناقلتها الألسنة عبر العصور : « عندما شرف الملا الجانى مدينة قونية والتقى آنذاك بوحد من أهل الحال ومن الشلبية يدعى حسام ، ولما حان موعد الصلاة ، وكان حسام هذا يؤم الملا جامى فى الصلاة ، وأدى كلاهما ركعتين اثنتين وفى الركعة الأولى تلا الشيخ حسام هذا البيت الشريف :

هيج ميدانى جه ميكردى دل افغارمن

روى بنمودى وشىد آتشن برستى كارمن

والمعنى : أتعلم ماذا صنعت بفؤادى ؟ وأظهرت وجهك وبات شغلى الشاغل هو عبادة النار ، ثم تلا فى الركعة الثانية هذا البيت^(٣٩) .

ثم يختتم الصلاة بعد ذلك بقراءة جهرية مقرونة بسورة قرآنية . وثمة رواية شفهية ورد فيها أن أحدهم سأل بعد الصلاة قائلا : أكانت هذه هى الصلاة ؟ فأجاب الجامى قائلا : إن الجماعة مثلى ولو كان هناك إمام مثل جلبى حسام لذهب إلى حال سبيله^(٤٠) .

ولم يكن للزاهد المولوى حسام أن يتسنى له الالتجاء واللياذ إلى مضجع طائفة السكارى مثل البهارية الذين لا يرعون الأعراف وقواعد السلوك المرعية ، بيد أن هؤلاء السكارى يثوون فى صوامع مقام الزهد ، كما عرفوا كذلك السبيل إلى ستر أنفسهم وإخفاء نواتهم . وكان العارفون بهذه الحال على قيد الحياة ، ولكنه ذهب إلى مصر عندما تم غلق تكايا الجالسين فى الحجرة فى « ينى قابى » .

وسمعنا بموته هنالك ، ولربما كان على دده لم يغادر جوار التكية ، فإن حقى دده لاذ بسقيفة بأحد الدهاليز ، وذهب إلى هناك مسترخيا منكمشا صامتا فى

سكون ، وذات يوم ذهب على وحقى كلاهما إلى كنيسة « باليقلى » ، ولأفتمحن فى هذا الصدد عالما آخر أمام أعين القراء : كان اليوم يوم خميس ، وبعد شعيرة اللف والدوران خلعت خرقتى وتنورتى فى حجرة على دده ولبست خرقتى الخارجية ، وبعد احتساء القهوة قال على دده : أنا لا أعلم ما هو يوم « باليقلى » فلنذهبن ولنأخذن حقى دده ، ونهض ثلاثتنا ، والقلانس على الرعوس والخرق فوق الظهر وذهبن من خارج السور إلى « باليقلى » ونحن مشغولون بالتحدث واللقاء ، أما هو فكان يداوم على الشعائر والطقوس ، ثم قام على دده أول الأمر بالانحناء على صورة عيسى المصلوب ، ثم تبعه حقى دده .

كان رهبان كنيسة « باليقلى » يوقفون زيت الزيتون على تكية المولوية فى ينى قابى من عام إلى آخر .

ثم أخذونا عن طريق أحد المساعدين إلى مكان على مقربة منهم وكنا نلقى السمع مليا إلى أناشيدهم الإلهية التى يرتلونها فى لجة من الصمت والخشوع . لا جرم أن حقى دده كان عالما مختلفا عن غيره ، ففى شعيرة اللف والدوران ما يسمى بسلام الرأس وهذا يعنى أنه حل محل توقف السماع ، ولكن دده لم يستمع ولم يفهم سلام الرأس .

ثم ذهب وجعل يعانق رأس مقدم السماع حتى أفاق إلى نفسه بصعوبة وهو يتنهد فى حضنه بنشيج وتأوه ، ولقد رأيت أنا فيه ذلك الوجد الذى يحدثه السماع . ماذا يتوجب علينا أن نراه على حين غفلة ؟ لقد زج حقى دده بنفسه فى السماع ، وانفتحت ساحة الناس وقال على دده هلموا وهو ينحنى خضوعا وخشوعا أمام تمثال عيسى عليه السلام ممسكا بالياقة اليمنى لخرقته بيده اليمنى ، ثم أحنى رأسه فوق كتفه الأيمن ، ثم ولج إلى الساحة موليا وجهه شطر الجهة اليسرى ، وتبعه العالم فقيرى ، ثم اندفعت بدورى من خلفهما ، ماذا كانت الطقوس والشعائر ؟ لا أعلم ، بيد أن التشهد والنشيج والصياح والصراخ كانت جميعها تطن فى صماخ أذنى ، من يدرى ؟ كم انقضى هذا الوقت من الزمان ؟ وبعد مدة وجيزة رأيت حقى دده يأتى رويدا إلى المكان الذى كان موجودا فيه آنفا ثم جئنا أنا وعلى دده ووقفنا فى أماكننا

وقد أحنينا رعوينا خشية وخضوعاً . وبدأ بعد ذلك يمرر علينا الإنجيل ويطوف به داخل صندوق فضى ، فإذا ما جاء الإنجيل أمام أى شخص فإنه يسرع من فوره بالانحناء والتقبيل ، ثم جاء الدور على على دده ، وأراد الشاب الذى يمرر الإنجيل ويطوف به أن يعبر ، فما كان من الرجل العجوز إلا أن أمسك بيد الشاب وانحنى عليه وقبله ثلاث مرات : أنا أعلم أنه يحب الله ومحمداً وعشق علياً كرم الله وجهه ، ولكن لك أن تتصور أى عالم هذا الذى كانت ، إن حقى دده وأنا من بعده وقد رأينا فى الإنسان العالم الميتافيزيقى ، وهكذا قبلنا الكتاب الذى يتوج التسامح الإنسانى بالآلام والعذابات ، وانتهت الشعيرة ، ودعينا إلى حجرة الرهبان ، وجاعنا طعام حلو منمق فى طبق فضى على صينية من الفضة ، وأمر الراهب بإحضاره وتفوه بأشياء .

وبعد ذلك حل موعد السكر ونحن بسر ، فسكرنا بنشوة عيسى ونشوة مولانا ، فلا فرق ولا تميز بيننا فى الدين وفى رأى . وذات يوم ذهبنا فى معية على دده إلى غرفة الحاخام اليهودى وكان « يغوم أفندى » هو الحبر الأعظم فى الغالب ، كما كان إسحاق الغازى هو شيخ المؤذنين أهو على قيد الحياة ؟ لا أعلم وكان يأتى كل جمعة إلى « قوله قابى » ويستمع إلى شعيرة الف والدوران فى لجة من الوجد والاستغراق ، ومرت بضعة أيام لم يستطع الشيخ أحمد جلال الدين أفندى خلالها الاضطلاع بهذه الشعيرة بسبب مرض ألم به ، فكان يرتل الشعيرة فى حجرة « أمين أفندى رئيس عازفى الناي » (ت ١٩٤٥ م) ، ويشترك معه إسحاق الغازى ، وعندما رأنا هذا الرجل الإنسان أخذنا وجاء بنا إلى موضع الحاخام الذى يشبه محراباً مرتفعاً قليلاً ، ولما فتحت الستارة ظهر من داخلها شمعدان نو ستة أو سبعة فروع فكيف استمعنا إلى المنشدين ، وكيف شرح لنا إسحق الغازى ؟ ولما انتهت الشعيرة ذهبنا إلى حجرة الحبر الأعظم . لقد محا مولانا التمايز والاختلاف هاهنا ، وأحاطنا جميعاً وطوقنا بالعشق الإنسانى .

ثمّة جمهرة غفيرة من المولوية هم شعبة شمس ، وشعبة سلطان ولد ، أو بمعنى أصح أنه صوفى ثمل مولوى ، أو هو تلميذ دينى مولوى بيد أن كلتا الشعبتين تتحدان وتأتلفان فى شىء واحد ألا وهو الرقة والظرف ، إنه الرأى الإنسانى والأدب الجم .

لقد قلنا إنه عندما كانت التكية المولوية أول الأمر فى « بنى قابى » ذات منبع ومصدر ملامتى ثم أصبحت فيما بعد مستقرا للذهب ومقاما له ، وهى خليفة لسائر المولوية فى هذا الصدد ، وكان آخر شيخ لهذه التكية هو سميى الشيخ عبد الباقي عثمان أفندى (ت ١٨٨٧ م) ، ورغم ما اشتهر به من عرفان ووقار وصلابة أخلاقية ، فإنه كان شيخا مولويا كاملا ذا حياة سياسية ، معروفا بتعصبه الدينى ورعايته واحتفاله بآداب المولوية وسلوكها ولقد سمعت الكثير عن باقى أفندى وعن غيره الكثير .

وذات يوم التجأت طائفة « جينجينر » إلى التكية يطلبون صيحة مضاعفة ، وكانت توجد صيحات مضاعفة ، بيد أنها غير كافية ، ويلزم واحدة زيادة ، وجاعوا وهم يقولون إنها توجد هاهنا وكانوا يرجون منحهم إياها شريطة حضورهم فى المساء ، واندesh الشيخ الذى خوطب بهذه الرغبة الملحة كيف لا يندهش ؟ إن الجهلاء يقولون بصرخة مزبوجة ، وكأنهم لم يكتفوا بهذا التقصير والإهمال فلسوف يأخذون هذه الطيلة الشريفة ويخرجون من الصومعة ، وحينئذ يكون باقى أفندى قد ذهب إلى مكان ما ، فلقد أحس بهذه الرغبة ، وقال للشيخ : أحضر هذه الطيلة الشريفة ثم أعطاها الطائفة جينجين ، ثم قال عثمان أفندى الذى رأى بعينه حيرة وارتباك الشيخ دده : أيها المتصوفة لا تأسوا ولا تحزنوا ، إن الصرخة المضاعفة المزبوجة قد ظهرت خارجا ، وعندما يأتى بها هؤلاء فإنهم يدخلون من سائر الأبواب وحينئذ يكون القدوم الشريف هو ظرافة ورقة الشيخ المولوى ، وكان الشيخ راتب دده أحد أعضاء مجلس شورى الدولة ونشأ فى بهارية ، وهذا يعنى أنه هو بعينه كان لدى الشيخ المولوى التمل . كان الشيخ راتب ذات يوم ذاهبا إلى مكان ما ، وكان من عادته أن يمشى أمامه رجلان ، أحدهما شيخ عجوز معمر والآخر فتى شاب يافع ، وهو فى الحقيقة جميل إذا قيس بقوامه وهندامه ، وتوجد كذلك امرأة مثل طائر التدرج^(٤١) ، بائلة الطول تفيض رقة وفتاء . وكان راتب بك يراعى قواعد الأدب وأصوله ثم مرت من أمام هؤلاء بحمية وهى مرتابة مرتعدة قائلة : لقد رأيت أحدهما ، ولكن الرجل العجوز توقف فترة وجيزة وخلف هؤلاء وراءه وضاعت روح الشيخ راتب دده ذرعا ثم عادت المرأة ثانية ومرت بحمية وغيره وبعد مدة مرت النسوة كذلك ، ولما تكررت هذه الحالة

عدة مرات أسرعت امرأة شابة بغنج ودلال قائلة : على أى شاكلة يكون هذا الرجل ؟ إنه يقف ويلف حولنا ، حينئذ أجاب راتب بك من فورد : هل فانتك هذه الحكمة المعبرة من هذا ؟ ما هو شغل الفراشة ، إنه الوقوف واللف والدوران حول الشمع ، ثم قالت المرأة الله ، الله إننى لم أر قط شمعة تضىء بالنهار فقال راتب بك هكذا وجدت المرأة أجمل حكمة معبرة . ثم أردف يقول :

يا سلطانى : أنا المسجد ، ولا أستطيع القول إننى قنديل التكية ، إنه قنديل الأم مريم يضىء ليلا ونهارا .

فالأدب فى الطريقة الصوفية هو الأشياء التى يتوجب الاضطلاع بها ، وهذا الأدب موجود فى كل شىء فى المأكل والمشرب والقعود والنهوض والمشى والنوم والحديث والعبادة .

كان الشيخ باقى يتحدث عن ذكرياته مع المولوية فيقول :

« إننى أتذكر طفولتى ، أه لو كنت سرت قليلا على عجل ، أو كنت وطئت الأرض وضربت بها بقدمى غير مغاضب ولا معتف ، فماذا عساك أن تصنع يا باقى وأنت تقتنع وتشرح وتفصل القول وكيف كانت هذه الجولة ؟ يا عزيزى توجد روح لكل شىء ألم يتضرر العرش السلطانى ؟ فانظر مليا ، فلقد طوف بنا فوق الأرض الممهدة المفروشة ، ألا يتوجب توقيرنا له واحترامنا إياه ألا نصيبه بضر أو أذى ؟ إننى لم أستطع أن أنبس ببنت شفة أثناء الطعام ، وكان يكفى نظرات الشيخ إلى وجهى لا سبيل إلى خروج صوت من أى شخص عند الطعام ألبتة ، وإن خروج الصوت عند وضع الكوب على الأرض يعد إثما معيبا ، كم يجب كذلك ألا يؤذى الكوب أو المكان الذى يوضع فيه ، وهذا يعنى أن شرب الماء من الكوب يكون دون حديث ودون ملامسة إحدى حافتى الكوب أما وضع الكوب فى موضعه بعد الشرب دون التحدث فيعد شيئا جد قبيح ، فهم يقولون إن الشيخ يخدمنا ويتوجب علينا كذلك توقيره واحترامه ، فهو ينام كل ليلة ، ثم يستيقظ فى الصباح ليقبل وسادتى ويشد اللحاف فوقى أو أتحدث معه وألقى باللحاف من فوقى ، ولا يتحدث فى منزلنا وهو يصيح . كانت نعال القادمين إلى التكية لاتقلب جهة الباب ، وإنما تقلب فقط تجاه الداخل وإن تقلبها

تجاه الباب يعنى أن القادمين أكثر ، ثم يخرجون من الباب دون الارتداد إلى الخلف ، فالركن الأساسى فى هذه الآداب جميعها يتمثل فى تكوين ونضج الروح فى كل شىء .

وهذا غير منفصم عنا ألبتة ، فهذه الآداب تميّط اللثام عن الوجود المقدس للإنسان ، فلا يُلطم وجه ولا يُسب أمرؤ بأى وجه من الوجوه ، ومن ثم فإن كل شىء فى الإنسان يعد مقدساً ، حتى إن الشعر الذى يتساقط على الأرض أثناء الحلاقة فإنه يجمع ولا تمسه القدم ، ثم يدفن فى التراب .

لقد كان للمولوية والكتاشية فى حقيقة الأمر طائفة من الحلاقين العموميين بوجدون دائماً خلف « ينى جامع » « والمسجد الجديد » ، وكان « حاجى هاشم » من أحبة البكتاشية ، وهو رجل ماهر متمرس يقوم على رعاية هذه الشعائر والآداب . وخلاصة القول: إن هذه الآداب قد ألحقت بالأحكام الشرعية لتلامذة المولوية ، ثم أخذت بعد ذلك صفة الفرض الواجب ، بيد أن صوفية المولوية الفقراء الذين لا هوية لهم فقد كانوا يخلعون القنسوة من فوق رءوسهم ، كما كانوا يخلعون على هذه الآداب خليفة إنسانية وأدبية متفردة متميزة قائمة برأسها ، ولهذا السبب فإنهم كانوا يرعون هذه الآداب حق رعايتها .

وحرى بنا قبل الوصول بهذا المبحث إلى نهايته أن أقدم لك أيها القارئ مثالا آخر يفيض بنبض الروح والحياة ، وأعتقد أن هذا المثال يشرح بصورة بليغة كيف تكون الإنسانية الفياضة للإنسان المقتدى بهذا الآداب المتبع سبيلها : « قلنا إبان حديثنا عن الطريقة الملامية وأربابها : إن الحمزية والمولوية كانتا طريقتين صوفيتين يقوم مريدوهم بزيارة قبر « حمزة بالى » ويطل هذا القبر على شارع يقع على يمين الطريق القادم من باب التكية المولوية والمؤدى إلى منطقة « سيليرى قابى » وعلمت من كتاب « ضيابك » المسمى « إستانبول ومرفق الميناء » أن هذا القبر يخص شخصا آخر يدعى « قاره بالى » ، (دائرة المعارف العمومية للتأليف والترجمة ، عدد ٨٤ ، المطبعة العامة : إستانبول ، سنة ١٣٣٦ هـ ، ص ١٠٥) .

ويقول مستقيم زاده فى كتابه « رسالة الملامية الشطارية : إن « حمزة بالى » قد دفن فى الجهة اليمنى من الشارع القادم من « سيليرى قابى » والمؤدى بدوره إلى تكية « سيد نظام » ويدون كذلك أنه دفن على مقربة من الشاعر « طفلى » (ت ١٦٥٩ = ١٦٦٠ هـ) ، وهو من الحمزية .

كنت أطوف فى هذه الأماكن فعثرت على حجر أسطوانى فى الموضع الذى يرقد فيه الشاعر « طفلى » إبان البحث عن علامة تدل عليه ، وفى تلك الآونة ذهبت فى معية المرحوم « أحمد حمدي طافية لى » الذى كان يعمل فى أرشيف رئاسة الوزراء كى نتقب ونبحث عن قبر « حمزة بالى » فوجدنا قبراً يطل على الشارع القريب من مدفن « طفلى » فى موضع خاو من أى نقش أو كتابة ، ووجدنا أيضاً قبراً آخر ذا حجم كبير .

كان « أحمد حمدي طانيه لى » يرسل أثناء الليل من التكية شمعة داخل مصباح إلى ضريح حمزة بالى ثم قال : فلنذهبن ولنسألن ، واتجهنا إلى التكية وطرقنا باب جناح النساء (الحريم) وسُمع من الداخل صوت امرأة ذو صخب وضجيج ، كانت المرأة تويخنا وتعنفنا بصوتها ، ثم قالت : من الطارق ؟ فصاح أحمد حمدي قائلاً : هؤلاء ليسوا بمستأجرين ألبتة إننا نسأل عن الشيخ فقالت المرأة : إنه فى الناحية الأخرى ، فرد عليها : بلى ، وذهبنا إلى جناح الرجال (السلامق) وولجنا الحديقة من كل الأبواب ، ثم طرقنا الباب فرد صوت مؤنس من الداخل قائلاً : من الطارق فقلنا : إننا نسأل عن الشيخ ، فقال : أنتم ؟ إن باقى ذهب إلى ربه ، فقلنا إننا نسأل عن ابن الشيخ فقال : أنتم ؟ إن باقى قد ذهب إلى ربه ، فقلنا : إننا نسأل عن ابن الشيخ فقال صوت المرأة المؤنس : لقد أغلقنا هذا الباب ، ثم تأوهت بأهة قائلة : أليكم مشكلة مستعصية ؟ إن كان الأمر كذلك فاجلسوا على الأريكة الموجودة فى الحديقة ، وسيأتى لأن الشيخ فقير ، وجلسنا ، وأقبلت بعد مدة امرأة متوسطة العمر ومعها فنجان قهوة فوق صينية بيدها ثم قدمتها لنا ، وجلست قبالتنا وقالت أهلاً وسهلاً وشرحنا متاعبنا ، ثم قالت يا إلهى ! وأسرعت بإرسال مصباح إلى المقبرة الكائنة شمال الطريق المؤدى إلى « سيليرى قابى » ، بيد أننى عجزت عن معرفة

القبر ، ثم تحدثنا قليلا وطلبنا المساعدة فأحضرتنا حتى الباب ، وكان هذا الصوت المؤنس يتفوه من خلفنا بهذه الكلمات :

وداعا ، إلى اللقاء . صحبتكم السلامة ولكم الحظ الميمون ، وتفضلوا ثانية إن شاء الله .

ثم رجع إلى أحمد طانية لى وقال : هناك الشريعة ، وها هنا الطريقة .

النزعة العلوية فى الطريقة المولوية :

تحدثنا عن قيود مذهب مولانا ، وشرحنا هذا بإسهاب من خلال كلامه وذلك فى كتابنا المسمى « مولانا جلال الدين » ، وقلنا إنه تحرر وتخلص من الأغلال والقيود الدينية وعندما تطرقنا للبحث فى سلطان ولد بين ثنايا كتابنا هذا قلنا إن « محمد خدابنده » قد عقد النية على استخلاص نتيجة فحواها أن سلطان ولد لم يكن خارجا على أبى بكر والنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، بيد أن أولو عارف جلبى كان مناقضاً للشريعة مناهضا لها وكان انفعاله وسورة حمياه قد مهدت السبيل إلى الباطنية ، وألفينا هذا الحال بعينه لدى عقبة أمير عابد جلبى ثم وجدنا فى خاتمة المطاف تألفا وتوافقا تاما بين كل من جلال أرجون وديوانه محمد جلبى من ناحية والبكتاشية والقلندرية من ناحية أخرى ثم كانت الزيارات التى اضطلع بها كل من : محمد جلبى ويسوف سینه جاك إلى كل من بغداد والنجف وكربلاء وخراسان ، كما يتجلى لنا كذلك ظهور النزعة الباطنية والعلوية القوية لدى طائفة من المولوية .

لا جرم أن « شاهدى » كان يشرب الخمر وأصبح سكيما ، ثم تردى فى هاوية المبتلين بعشق الله وانقصم عن الزهد والتقوى ، وهوى فى هاوية حانات الخمر ، وكان الناس ينفرون منه ومن أمثاله . بيد أن هذا العاشق رضى بهذه الملامة وكان يقول : « إن هؤلاء لم يتدنسوا برجس الإثم وعليهم أن يطهروا أنفسهم ويخلصوها ، فالعاشقون هم الذين يتحررون من أغلال الضعف والوهن ، وهم يذهبون إلى حانات الخمر حتى يتسنى لهم إلقاء أنفسهم فى لجة هذه القيود والأصفاد » .

وعلى حين نراه يتفوه بهذه الألفاظ التى تتواءم كثيرا مع الباطنية ، فإن طائفة الرافضية ينكرون الصحابة المصطفين ، مثلهم فى هذا كمثل الكفار لهم نار جهنم خالدين فيها أبدا ، فمن يكون عدوا للصديق الأكبر (أبى بكر) فهو أدنى وأحط من الكلب الملعون ، ومن كان عدوا للفاروق عمر فإن له نار جهنم خالدا فيها أبدا ، ويلقى نفس المصير كل من كان ذا عداوة وبغضاء لعثمان رضى الله عنه ومن كان عدوا لعلى - كرم الله وجهه - فيكون أقبح وأسوأ من الكلب والخنزير على حد سواء .

ويقول شاهدى إن الرافضى الذى يحسب نفسه صديقا لعلى لا يدرى أنه سيكون عدوا لدودا أشبه ما يكون بالكلب ، وقد ذهب شاهدى إبان تلمذته الدينية إلى مقاطعة « جيزة » وحل ضيفا فى إحدى نزلها ، ودبج بيتا من الشعر الفارسى يقول :

أنا أحب عليا ، وهذا العشق شعارنا ، وهذا هو شغلنا ومبعث قوتنا ، ولتسمل أعين من يكون عدوا لنا .

ثم يكتب بإزاء هذا البيت بيتا آخر يقول فيه ما فحواه :

« لا يكون الأعشى عاشقا للخلفاء الراشدين ، فهم جميعا أصدقاء لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهم جميعا صديقون مخلصون . وها هو ذا محمد جلبى يدبج مربعا يكرر فيه بندا يستهل به شعره ويمدح فيه عليا والأئمة الاثنى عشر :

أون سكر بيبك عالمك جسمنده جاتسك يا على

حسن ايله سن مهر وماه آسمانسن يا على

سر مسخفید دهانك دانسك يا على

شاه مردان یزدان بیـشـشـواسن يا على

والمعنى :

أنت يا على روح فى جسد الدنيا بأسرها

وأنت بالحسن يا على شمس وقمر السماء

وفمك يا على سر خفى عارف بدقائق الأشياء

وأنت قائد وملك الرجال وأسد الله

ويقول فى آخر بند :

أى سماعى قيل تولى وتبرأ صد هزار

هرزمان كلزار مدحك شمع أولسون أشكار

دائما أولون يزيدك ك ننده ذو الفقار

شاه مردان شير يزدان ييشواس يا على

والمعنى :

قل السماع واجهر بتولى وتبرأ كثيرا

ولتكن روضة مدحك شمعاً ظاهراً بجلاء

وليكن سيف ذى القفار دائماً فى عنق يزيد

فأنت ملك الرجال وأسد الله أيها القائد على

وهو فى هذا المعنى يبحث فى مسألة « تولى وتبرأ » ، وهذا يعنى حب أولاد محمد وفاطمة والأئمة الاثنى عشر ، وكذلك حب صديق الأربعة عشر المعصومين ، ويلعن من يكون عدوا لهؤلاء المحبين ويقول فى مدح آخر :

وجودم جونكه رشح نيل نسل يار غارندر

ي نيجين لب خشك جلم كوثر يا رسول الله

والمعنى :

إن جسدى يتفصد من نسل الصديق أبى بكر

لأنك يا رسول الله كأس الكوثر للشفاه اليابسة

ويقول أيضا :

عجب می خاک بای بو ترابی توتیا ایتسم
کسه ره خدقنده کان یرتد ریا یارسول الله
ازلدنباش آجیق آب عباتک سینه جاکیدر
آبدازاد دشمس جاکریند ریا رسول الله

والمعنى :

آه لو كنت غبار قدم أبى تراب (على) فتراب قدميه حجر يكتحمل به
وإن « سینه جاك » كان منذ الأزل عبدا صوفيا لآل العباء ، هو خادم لا يقبل
الحرية حتى أبد الآبدين . وهذا صادق دده أحد دراويش ديوانه محمد جلبى يقول فى
غزلية فارسية إبان زيارته للإمام رضا ومعبرا عن حبه لأهل البيت فيقول « نحن
الصقور الظافرون يحب الرجل صاحب العدالة وأصبحنا قلندرية من أجل الرسول
صلى الله عليه وسلم وأولاده ، ومحونا صور الأغيار الحاسدين من صحيفة الفؤاد ،
وهوينا فى إثر سلطان القلندرية .

ولأجل هذا طلق على كرم الله وجهه الدنيا من أجل الله وآل البيت ، ونحن
قلندرية فى طرق حيدر (الإمام على) ، نمشى حفاة الأقدام حاسرى الرأس فى كل
حذب وصوب بألم فراق أولاد النبی صلى الله عليه وسلم ، مثلنا مثل صوفية وآبدال الروم .
وفى صدورنا جراح غائرة بسبب عشق الاثنى عشر ، وأصبحنا قلندرية من أجل
هؤلاء الأئمة المعصومين .

إننا نحن القلندرية نبكى متأوهين دائما بمناحة الاثنى وسبعين شهيدا ، وتبالت
أعيننا بالدموع المدماة ، ونحن شعراء نمدح حيدر (على كرم الله وجهه) ونطريه من
بين سائر المتصوفة أجمعين فسر أيها الصادق فى طريق الحسن والحسين ، فنحن
قلندرية موفون بالعهد لأحمد وحيدر .

كان عاشق جلبى على آسال من ديوانه محمد جلبى ، إذ اضطلع بزيارة النجف وكربلاء وخراسان ثم قصد الأراضى المقدسة لأداء فريضة الحج ، ومرغ وجهه فى المدينة المنورة على أعتاب قبر النبى محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الأئمة الآخرين .

وقد ورد فى ترجمة السيرة الذاتية ليوسف سينه جاك الذى اعتنق الطريقة الجلشنية ثم صار مولوياً بعد ذلك ، أن المولوية كانوا يرتحلون نفس السبيل الذى سلكه كل من شورى وجناهى فى اليوم العاشر من المحرم لسنة أربع وخمسين وتسعمائة ، كما كانوا يطبخون العاشوراء ، ويجتمعون فى الجبابة التى دفن فيها « سينه جاك » بمنطقة سوتلوجه « ويعقدون مجالس السماع ، ويعمدون فى النهاية إلى حلق رؤوس طائفة كبيرة من الخلائق ويجعلونهم يشقون رء وسهم وصدورهم بالموسى فى سبيل عشق الإمام الحسن وتشوقا إلى الإمام رضا سلطان خراسان ، ويروى كذلك أن غير المحلقين رءوسهم من المتسللين الهاربين يعيشون بدورهم فى مناحة مدماة^(٤٢) . وهذا ما نقله أوليا جلبى من شعائر وطقوس مناحة أرباب المذهب الشيعى فى مقاطعة « درجوزين »^(٤٣) . وتحيطنا السفينة علماً بأن ديوانه محمد جلبى كان يطبخ العاشوراء إبان شهر المحرم فى كل مرجل كبير فى التكية الموجودة فى « قره حصار » ويهديها إلى مقبرة الإمام رضا . (ج ١ ، ص ٥٦) .

وقد وردت فى منظومة « رسالة الفتوة » لأسرار دده - الديوان - ص ١٥٢-١٥٩ « أبيات فى عشق على وآل البيت ، وهو يبدو فى هذه الأبيات مولياً شديد الإيمان والاعتقاد ، ويتذكر فى كثير من أشعاره عليا وآل الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم يتحدث كذلك عن مناقب حيدر (على رضى الله عنه) ويقول فى هذه الأديات :

من بنده أحباب رسول الله

نه خارجيين ، نه شيعى كم راهم

هم بنده بوبكر وعمر عثمانم

هم خـاك ره على ولى الله

واسمى .

أنا عبيد لأحباب رسول الله
فأنا زائع ضال لست بشيعة ولا خارجي
وأنا عبيد لأبي بكر وعثمان وعمر
وتراب طريق علي ولي الله

ثم يقول في أبيات فارسية أخرى :

كان عمر وعثمان بن عفان كلاهما وليين
وإذا أردت الإنصاف فالولى شيء آخر لا محالة
وعلى شيء آخر ، واسمع هذا المصراع لتفرق بينهما

فنسلية الولى شيء ، وتجلي النور شيء آخر^(٤٤) .

ثم تجلى هذا المعنى فى مقطوعة فارسية يستمسك فيها برأيه بأن عليا هو أسمى منزلة وأعلى درجة من الخلفاء الآخرين . ومما لا مرية فيه أن العشق عند أسرار دده ما هو إلا إحياء واستلهاهم من الشيخ غالب دده الذى أنشأ خمسا يتضمن بين ثناياه مصراعا مكررا وضعه « قبودان دريارامز عيد الله باشا » (ت ١٨١١ م) يقول فيه :

همان عيني محمد له على در شمس ومولانا

والمعنى :

أن محمدا وعليا كليهما مقتربان بشمس مولانا

أما غالب دده فيقول فى خمسه :

ايتدگده خد اجهار يارى موجود

هربرينه ويرمش شرف نا معبود

آساكسه جناب مرتضى در حقه

جون مصراع آخر رباعى مقصود

والمعنى :

إن الله هو الذى خلق الخلفاء الأربعة

ومنح كل واحد منهم شرفا لا يحصى عددا

ولكن حصة المرتضى ولى الله

وهذا هو المقصود من آخر بيت فى الرباعى

وهو فى هذه الرباعية لا يستمسك بالرأى الذى يقول بأن عليا أسمى منزلة من
الخلفاء الثلاثة الأولين (الديوان - بولاق - ١٢٥٢ هـ - ص ١٤٨) .

ثم يقول فى موضع آخر :

أى بادشاه « من أنا مولا » على

خورشيد جمال أحمد ماه على

بيل راض وتضى ومرضى كيمدر

والله على ثم بالله على

والمعنى :

أيها السلطان من كنت مولا فهذا على مولا

فقمر على موجود فى شمس جمال أحمد

فَسَاعِلِم مَن يَكُون الرَاضِي والمرْتَضَى

إِنَّه وَالله عَلَى ثَم بِالله عَلَى

ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عند عودته من آخر حجة له « من كنت مولاه فهذا علي مولاه » (٤٥) .

كما يروى أنه أوصى بتعيين علي في مكانه ، ويذكر غالب دده في رباعيته الأئمة الاثنى عشر فيقول في نفس الصحيفة :

أَي مَظْهَر وَهَم مَظْهَر أَسْرَارِ عَلَى

اثنَا عَشَرَ ك خَيْلِنَه سَرْدَارِ عَلَى

أَتَارِكْه حَسِين وَمَوْسَى وَجَعْفَر دَر

اِيكِي حَسَن أَوْج مَحْمَد وَجْهَارِ عَلَى

والمعنى :

يَا مَظْهَر وَمُظْهَر أَسْرَارِ عَلَى

هو على القسائد الخيل الاثنى عشر إماما

ثم يجذب الانتباه برباعية فارسية فيها ما فحواه :

إن محمدًا هو الآداب ، وعلي هو الأركان

ومحمد هو القرآن ، والبرهان علي

وقد تجلّى الشيخ الصوفي إلى أسرار محمد عليه السلام

بيد أن عليا جلي الأسرار بنور شمس الله

مكتوب في حاجبك ذاك السيد وآل الاعتبار

لا فستي إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار

يتبين من كل هذا أن شيخ غالب مولوى علوى المذهب والمشرّب ، وقد دبج أشعارا كثيرة على هذه الشاكلة ، وفيها على وجه الخصوص هذا المسدس الذى يقول فيه :

لا تحسبن أننا غواة النفوس معقودو اللسان

فنحن مصطفون وتراب قدم آل العباس

لا نخاف من الأمراء ولا من الأعراب

منتسبون للمرتضى راضون بحكم القضاء

وهبنا رأسنا لما أقررناه ، وللعهود أقوياء

ونحن عبسيد لسلطان الولاية علويون

أليس الاثنا عشر إماما أبراج العالمين

أليس كل واحد منهم رأس الشمس وتاج القمر

أليسوا جميعهم هدفا لسيف الظلم المبين

أليسوا محتاجين إلى دعسوة المحبة ؟

وهبنا رأسنا لما أقررناه ونحن للعهود أقويا

عبيد لسلطان الولاية علويون

وأسرعنا بمحو نقش الرغبة من صفحة الفؤاد

وبلغنا بالطهر هذا النسب الشريف

وذهبنا إلى اسماعيل وصرنا للإمام قريانا

وأتينا منذ الأزل عن مجالس الصحة والمحبة

وهبنا رأسنا لما أقررناه ونحن للعهود أقوياء

عبيد لسلطان الولاية علويون

إننا أعــداد ألداء لأعــوان يزید

نلعنه بإیمان روحنا وفــــــؤادنا

فهذه الرباعية تميط اللثام عن مذهبه ومشربه إلى الحد الذي لا يدع مجالات للمناقشة (الديوان - القصيدة والتراكيب ، ص ٧٩ - ٨٠) .

ولسوف نرى بعد ذلك مذهب ومشرّب غالب دده وكيف أنه ورثه عن أبيه .

ويتوجب علينا القول في هذا المقام : أن العلوية كانوا غلاة متجاوزين للحد ، ولم يفعلوا شيئاً في مسألة « تولى وتبرأ » ، وهناك رواية ملفقة تتصل بانحدار مولانا من نسل أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، وهناك طائفة ممن استمسكوا بطريق كل من أولو عارف جلبى وديوانه محمد ويوسف سيته جاك ، بيد أنهم لهذا السبب يتجاوزون الحد في مسألة « تولى وتبرأ » ، حتى أنهم أنشدوا المذائح في أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، وكانوا دائماً يرون علياً أرفع درجة وأسمى منزلة ممن سواه .

ورأينا في الأزمنة المتأخرة كلا من عبد الواحد جلبى (ت ١٩٠٧) ، والشيخ نظيف شيخ التكية المولوية في بشكتاش (ت ١٨٦٠ م)^(٤٦) ، وكذلك ولده حسين فخر الدين دده (١٩١١ م) ، وعبد الحليم (ت ١٩٢٥ م) ، وكانوا جميعاً من الموغلين في العلوية يقول الشيخ لطيف :

باسم الله أولوب شـــــهـــــر علوم

نقطة سى أول شـــــهـــــر ايجون باب السلام

اولدى رمز ســـــرى أحـــــمد له على

نكتـــــه ســـــبع المشـــــالين مـــــرام

والمعنى :

أصـــــبح مـــــحمد مـــــدينة العلوم

وباب السلام هو مـــــركز هذه المدينة

وصار أحمد وعلى هما رمز الأسرار
وهذا هو المقصود من حكمة السبع المثاني
ويقول في بيت آخر :

اختيار ايتمك اريجون خدمت مولانا بي
واقف سسر على ايله دي مسولاناى

والمعنى :

كنت أرغب في إيثار خدمة مولانا
فمولانا مطلع عارف بأسرار على
وله مربع آخر يتخذ شعيرة دينية ، ويلحن ولكن لا سبيل إلى قراعه أو إنشاده
دويدم مى عجب نى دن اسرار على بي
بيدك مى نظيف نكته فيض ازلى بي
عارف زوله يم درس اكسر خافى بي
الله ايجون الله ديه ليم هو ديلم هو

والمعنى :

أسمعت يا ترى أسرار على من الناي
وهل علمت يا نظيف الحكمة من الفيض الأزلى
فلاكن عارفا إذا قلت السر الخافى
فلا تفوهن بذكر الله هو واحد لا شريك له (الدورية التى بين أيدينا).

ويختتم الشيخ نظيف شعره بهذا البلد :

أى جـراغ جامع دنيا إمام أوليا
وى سـراع مطلب أقصى همـام لا فتى
خلعت من كنت مـولاه على مـولاه ايله
أولـدك أى شاه ولايت انس وجنه مقـتدى
عقد كل حيران جاهـكدر سـكاد غمز بشر
مهر اوج اهـتد اسـك ماه برج اصفـيا
مدحه تك ممكن كـلدرك بيان حال ايله
ذاتنى ايجسون أربعون شاننده نازل هل أنى
ابن عمى فخر عالم همسر ذات بتول
مجمع بحرین سراوليا وانـبـيا
هى نه بحرین أول كه بردرلول ومرجان مثال
جوهر خلف حسن سر حسين كـربـلا
سـريـك آگاهى قيل قلب نظيفى تا ابد
يا على با أليا يا مرتضى يا مجبـتبـى (٢)

والمعنى :

أيا مصباح مسجد الدنيا وإمام الأولياء
يا مُنية كل مراد لافـتى إلا الـهـمـام

يا خلعة من من كنت مولاه فعلى مولاه
فاقتد به فإنه سلطان ولاية الإنس والجان
لا يتفوه البشر فأنت محير العقول والألباب
وأنت شمس أوج الإهداء وقمر برج الأصفياء
لا سبيل إلى مدحك فأى بيان يفصح عن حالك
لأجل تبجيل ذاتك وشأنك أنزل الله « هل أتى ^(٤٧)
ابن عم النبي فخر العالم وقرين ذات البتول
مجمع البحرين وسيد الأولياء والأنبياء .
أى بحر هذا ملئ بالدر واللؤلؤ والمرجان
جوهر خلق الحسن وسر حسين كربلاء ..
فكن عارفاً بالسرى قلب نظيف حتى الأبد
يا على يا إلیا یا مرتضى یا مجتبی
وتبين هذه الأبيات أن علياً هو الولي المقتدى للجن والإنس ، ويجلى الشيخ نظيف
إحدى معتقدات البكتاشية ذاكراً علياً باسم « إلیا » وهو الاسم الذى لا يستطيع
البشر التقوه به ^(٤٨) .

وهناك مسدس آخر لتنظيف يقول فيه :

زاهده حقى ايجون اول شاهين كه جود اكمل
أحمد مختاره وحى ايتدى كتاب منزل
مولویم أحمد یم حیدریم من یلی
بكا بسدر بر خدا ویرنبی وبرولى

لا إله إلا هو الله العلي المنجلي
 لاني إلا محمد لافتي إلا على
 مجلس روز ازله جـونكه اقرارم بودر
 دين وایمانبودر کو کلمده اسرارم بودر زنده اولد قجه
 و جـودم دلده اذکـارم بودر
 جان قدا ایتد کجه هم آخرکه گفتارم بودر
 لا إله إلا هو الله العلي المنجلي
 لاني ألا محمد لافتي إلا على
 مانع حکم رسول جـونكه اذعان ایلدم
 ای محمد امتی بن بویله ایمان ایلدم
 لا إله إلا هو السلي المنجلي
 لاني إلا محمد لافتي إلا على
 جویلر طاشلر آغسا جرکو هلر هو ما تـلر
 نوح ملک جن و ملک بحر و سمک نوع بشر
 ساکنان عرش و فرش و انجم و شمس و قمر
 هب لسان حال و قال ایله بویستی ذکر ایدر
 لا إله إلا هو السلي المنجلي
 نبی إلا محمد لافتي
 إلا علی ملتم اهل حقائق خالقم ریم خدا
 مذهمـره محبت شرط ایمانم فتا

قبيله م ايروى محمد درامام مرتضى
 دين اسلام آشكاره درنه لازم اخبتفا
 لا إله إلا هو العلى المنجلى
 لانى إلا محمد لا فتى إلا على
 نبده آل عبايم حيدر
 أى نظيف بو يولده قربان ايلرم جان وسرى
 حاصل بر مقتضاي شرب بيغمبر
 اعقادم بويله در « نحن قسمننا دن یری
 لا إله إلا هو العلى المنجلى
 لا نبى إلا محمد لا فتى إلا على (الدورية التى عندنا)

والمعنى :

بحق الله يكون الجود الأكمل لهذا السلطان
 أوحى الله الكتاب المنزل لأحمد المختار
 أنا مولوى أحمد حيدرى
 ويكفينى إله واحد ونبى واحد وولى واحد
 لا إله هو الله العلى المنجلى
 لا نبى إلا محمد لا فتى إلا على
 لأن هذا إقرارى فى مجلس يوم « ألت بربكم
 وهذا دينى وإيمانى وأسرارى التى فى فؤادى

وهذه أذكاري في قلبي وكياني مادمت حيا
وهذا آخر قولي موضحيا بروحي ووجودي
لا إله إلا هو الله العلي المنجلي
لا نبي إلا محمد لا فتى إلا على
وأذعنت خاضعا لأحكام رسوال الله
وشئت الوهم والخوف الموجود في القواد
وأعلنت في الآفاق مذهب عرفاني
هكذا آمنت يا أمة محمد
لا إله إلا هو الله العلي المنجلي
لا نبي إلا محمد لا فتى إلا على
تنطق بها الأنهار والأحجار والأشجار والجبال والفاوز
وفلك نوح والجن والملك والبحر والسمك وجنس البشر
وسكان الأرض والسماء والأنجم والشمس والقمر
ويذكر هذا البيت كل لسان وحال ومقال
لا إله إلا هو الله العلي المنجلي
لا نبي إلا محمد لا فتى إلا على
أهل الحقيقة أمتي ، وخالقي هو الله ربي
ومذهبي طريق المحبة ، وشرط إيماني هو الفناء
قبلي هي حاجب محمد ، وإمامي هو المرتضى
فدين الإسلام ظاهر جلي ، ولا ضرورة للاختفاء

لا إله إلا هو الله العلي المنجلي
لا نبي إلا محمد لا فتى إلا على
أنا عبد آل العباء وحيدري
يانظيف لقد ضحيت بالروح والرأس في هذا الطريق
فمذهب النبي هو الحتم الضروري
وهذه عقيدتي منذ أن قال الله « نحن قسمنا بينهم »^(٤٩).

ويمضي الشاعر « نظيف » في مسدسه المتكرر فيذكر أن كلمة شاه (سلطان)
تعني أتم وأكمل وجود وسخاء لعل كرم الله وجهه ، وأن عليا هو الكتاب الذي نزل
على أحمد المختار صلى الله عليه وسلم وسرعان ما يعمد الشاعر إلى تكرير بيت
يقول فيه :

ليس هناك رسول سوى محمد ، ولا رجل سوى علي .

أما كلمة « علي » الواردة في البيت المتكرر فيعدها الشاعر من أسماء الله
الحسنى ، كما أن المقصود من قوله لا نبي سوى محمد ، فتعني أن سائر الأنبياء
أجمعين هم ظهور لمحمد في الحقائق ، ويكون محمد هو مظهر الكمال المتباين لكل
الأنبياء ، وقد أدركت ضرورة التأويل الواردة في هذه العبارة ، أما الشيخ نظيف فإنه
يقول لأولئك الذين يريدون الانتساب إليه بسبب أشعاره المتباينة وغلوه في المذهب
العلوي : « إن هذا الطريق جد صعب وعسير ، وإذا قلت إنك سوف لا تعرف أحدا
إلا الله فهل يمكن أن تكون راضيا عن هذا » وهذا هو دبدن الشيخ نظيف في تفوهه
بالألفاظ على هذه الشاكلة مما عرضه للذم والهزاء من زهاد المولوية بسبب غلوه في
نزعته العلوية .

يقول الشيخ نظيف :

بول درد دل بی کسسیف وکمیت منم

نه صدفنده در شهواری کران قیمت منم

صورتہ بر ذرہ یم ما نیدہ آما آفتاب
جملہ ذرات جہانہ تابیشن صورت منم
شمس ومولنا محمد له علینک سری یم
برمطلسم کنزیر دردانه حکمت منم
مشرق شمس کما عشق مولانا أولوب
انس وجنه ناشیر أنوار انسیت منم
فی فروشم کاسه مختوم المسک ایلہ
ساقی کوثر علی المرتضی سیرت من
والمعنی :

یا للعجب إن غصة فؤادی لا کیف لها ولا کم
فأنا در ثمین قیم موجود فی تسع صدقات
أنا ذرة فی الصورة ولا یحول بون أن أكون شمسا
وأنا صورة لا معة وهاجة لكل ذرات الدنيا
وأنا سر علی محمد وشمس ومولانا
أنا کنز معنی وحبہ در الحکمة
أصبح عشق مولانا مشرق شمس الکمال
وأنا ناشر أنوار المحبة والصداقة بین الإنس والجان
أنا بائع الخمر بکأس مختوم ختامه مسک
وأن أكون مع ساقی الکوثر علی المرتضی
هذا ویضمن شعره أبیاتا شبيهة لما تقدم ، وثمة تلحین لأشعاره الأخری علی

سبيل الشعائر والطقوس ، ولأن بعض الشيوخ لاجئين إلى مقام الشلبيه ، ثم أوقف قراءة هذه الشعيرة الملحنة بأمر صادر من مقام الشلبيه .

ومما لا مرية فيه أنه إذا كان الشيخ نظيف قد جاء فى هذه العصور حاكما للمدرسة الدينية مستحوذا عليها استحوذا تاما ، فإنه يقول من فوره إنه انتزع حجرا من الشريعة ، ثم انشغل بعد ذلك وانضم إلى فرقة المتصوفة القدائين . وكان حسين فخر الدين دده ابن الشيخ نظيف على آسال من مذهب أبيه ومشربه وكتب بيات يقول فيه :

هربرى برصورت خاصى ايله ظاهر در ولى

برحقا يقدر رسول الله مولانا على

والمعنى :

لكل واحد صورة خاصة ظاهرة

ولكن الحقيقة الواحدة هى أنا عليا رسول الله

وله رباعية أخرى يقول فيها :

إن القلب يحمل بين جوانحه دائما عشق أهل البيت

ولا شك أنه بالغ مرامه لا محالة

أما من ظل بعيدا عن أولاد المصطفى صلى الله عليه وسلم

فاللعنة على روحه حتى قيام الساعة

ويقول فى رباعية أخرى :

لقد أمر الرجال بعشق المرتضى ، أما من لا يحفلون بهذا الحب فإنهم يعبدون الله

ولتعلمن يا فخرى أن هذا هو الطريق المستقيم

فـالـله ومـحمـد وعـلى نور^(٥٠)

هناك داء مشهور يسمى « دعاء الصباح » وهو موجود في « رسالة الشيعة الإمامية » لصاحبها « حسين فخر الدين دده » ، ويوجد هذا الدعاء كذلك في سائر كتب الإمامية ، ويستهل هذا الدعاء ^(٥١) بقوله « اللهم يامن دله لسان الصباح منطلق تبلجه » ، ثم يكتب قائلًا : « هذا حزب الفلاح لسيدنا على عليه السلام » .

ثم يسجل بعد هذا الدعاء أمثلة منظومة في الإثنى عشر إماما وقصيدة « نادر عليا » ، حتى إنه منح محمد صدر الدين جلبى بن كمال الدين جلبى شهادة ترخيص له قراءة هذا الدعاء ، وكتب صورة هذه الشهادة في دورية . ولنسجل في هذا المقام تلك السطور التي كتبها بخط يده في الدورية نفسها : « أعقد العزم على ذكر الله ، لقد سألوا قائلين : ماذا تقول لأمرنا وحاكمنا مراد الثالث ، وماذا تقول في حق حضرة على عليها السلام ؟ فأجاب قائلًا : إذا سألت عن قوله ، قلت « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » ^(٥٢) وإذا سألت عن حاله قلت « كل يوم هو في شأن » ^(٥٣) وإذا سألت عن صفاته قلت « قل هو الله أحد » ^(٥٤) ، وإذا سألت عن اسمه قلت « هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم » ^(٥٥) ، وإذا سألت عن ذاته قلت « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » ^(٥٦) .

أما ظاهر أفندى بن محمد أليف حصير زاده (ت ١٩٤٦ م) شيخ منطقة « سوتلوجه سعدى » والذي قرأ هذه السطور فإنه لا يستطيع الاعتماد على شخص ظريف عارف مثل حسين أفندى الذى اضطلع بنسبة هذه الألفاظ إلى مولانا ، ومن المؤسف جدا أن تكون كتابته في هذه الدورية بالقلم الرصاص بيد أنه دبج طائفة من الجمل تصطبغ بالصبغة الأدبية ثم وضعها داخل إطار هذه الدورية .

وكان بعض السالكين طريق حسين فخر الدين يحلون هذه الكلمات محل السجود في الصلاة وسمعنا كذلك أنهم كانوا يقدمون خاتما مصنوعا ومصبوبا في قالب معجون ومأخوذ م جوار قبر الإمام الحسين حتى يتسنى لهم وضع جباههم عليه أثناء الصلاة . وعلى كل حال فقد تلقن هؤلاء أصول وقواعد مذهب الإمامية في الصلاة ولم يبق الأمر على هذه الحال فحسب ، بل إن المولوية أصحاب المذهب العلوى لم يكتفوا فقط بإظهار مشاربهم ونزعاتهم والإفصاح عنها فحسب ، بل إن ثمة طائفة

من الشعراء استخدموا مخلص « شمس » مثل شمس وشمس طابه واضطلعوا
بتدبيح أشعار منظمة متسقة باسم مولانا ، وألحقت بديوانه ، وتسمى هذه المجموعة
التي ظهرت باسمه « الديوان الصغير » .

ويعتقد بوجود الأسرار الحقيقية لمولانا في هذه الأشعار المنقولة والتي تناقلتها
الأيدي ، وصار لها ذبوع وشيوع على الألسنة ، ومما ورد فيها قوله : لقد كنت صقرا
مستلهما الوحدة اليقينية بفيوضات مرتضى على ، وأحسن الله على باليمن
والسعادة بفضل فيوضات المرتضى على « ويقول في غزليات ذات رديف يقول « ازدم
مرتضى على »

أن عليا هو تجلى العين التي ترى حقيقة كل شيء
يا عليا يا أمير الرجاء
فليصل سلام الثملى والسكرى إليك
يا عليا يا من شئت شمل الصفوف
وفرقت جمعهم فى ميدان الوغى
إن الثملى يسلمون عليك
وله غزلية أخرى يقول مطلعها :

كان على موجودا فى صورة الدنيا
كائنا موجودا قبل خلق الزمان والمكان^(٥٧)

وهذه الأبيات من مستزاد له تخلص فيه باسم « رومى »

وقد وردت أشعار تركية فى دورية تتضمن « روضة التوحيد » لشاهدى و « حل
التحقيقات » لجورى ، ومدونة تحت رقم ٨٨٤ ضمن المخطوطات التركية بجامعة
إستانبول ، وهذه الأشعار من الديوان الصغير ، وهى منسوبة إلى مولانا ، ومنها
قصيدة بعنوان « كلام مولانا جلال الدين مؤتلاى روم » .

أولا ركبه نبده خاص خدادر
 مسحب خانانه دان مصطفی در
 حقایقات كعبه نك قبله كاهی
 أمام بشو امیسز مر تضي در
 أول ایکی قرة العینك أنه سی
 یقین بیل فاطمه خیر النسادر
 حسن سلطان وشاه اهل جنت
 حسین شاه شهید کربلادر
 دون وكون وجهه قیلر عبادت
 حسین أوغلو زین العابد
 محمد بكر وجمع فر كاظم
 أمام هشتم علی موسی الرضادر
 تقی و یانقی شاه عسکری هم
 محمد مهدی شاه اولیادر
 اوقوك لعنت حمار و خوك و حرصه
 أو لاكیم دشمن آل عبادر
 تبراقیل آیا مولانلای رومی
 تبراقیلمه بین کره بلادر (۱۶B - ۶۷) .

والمعنى :

هو عبد خاص من عباد الله
 مسحب لسالة المصطفى عليه السلام

وجـهـه قـبـلـة كـعـبـة الحـقـائق
إنـه المـرتـضـى إـمـامـنـا وقـسـائـدنا
واعـلـم يقـسـينا أنـهـا فـاطـمة خـيـر النـسـاء
أم الحـسـن والحـسـين قـرة العـيـن
فـالحـسـن سـلـطـان ومـلـك أهـل الجـنـة
والحـسـين مـلـك وشـهـيـد كـربـلاء
يُعـبـد وجـهـه آنـاء اللـيـل وأطـراف النـهـار
وابـن الحـسـين عـلـى زـين العـابـدين خـيـر أهـل العـبـاء
ومـحـمـد بـكـر وجـفـفـر الكـاظم
وإـمـامـى عـلـى مـوسـى الرـضـا
والـتـقـى التـقـى مـلـك الجـنـود
مـحـمـد المـهـدى مـلـك الأـولـيـاء
فـلـعـنـة الحـمـار والخـنـزير والطـمـع
لـمـن يـكـون عـسـدوا لأهـل العـبـاء
قـبـراً مـن هـؤـلاء يـا مـولـانا مـوئـلا رومـى
فـلـمـن لا يـتـبـراً مـنـهـم بـلاء عـظـيم^(٥٨)

وثمة طائفة من الدين يقبلون تلفيق هذه المنظومة وتزويرها باسم مولانا رغم أنها دبجت بلغة تركية مشينة رديئة . وإذا ضربنا صفحا عن التفكير مليا فى عدم استخدامه قط لمخالص : رومى ومونلاى رومى ومولانا ، فإنهم لم يفكروا ولم يمعنوا النظر فى تلك اللغات التركية التى لا وجود لها فى ملمعاته التى دبجها ، ولا حاجة بنا

إلى القول بأن ألقاظ : حمار وخزير وطمع الموجودة فى البت الثامن من هذه المنظومة لا تعنى إلا الخلفاء الثلاثة الأولين الراشدين^(٥٩) ، وبسبب هذا الاعتقاد فقد ورد بيت فى المتنوى يقول :

يا على المرتضى ، أمت اللثام عن القضاء والقدر الحسن والجميل

والذى يأتى عقب القضاء والقدر المشين

ويكون معنى القضاء والقدر اللذين مر ذكرهما فى هذا البيت هو الخلفاء الثلاثة الأولون ، حتى أنه يوجد من يؤولون بأن عليا هو القضاء والقدر الجميلان ، ويرى هؤلاء أن عبارة « جاريار باصفاء » التى مرت فى الدعاء بخاتمة شعيرة الف والدوران مقترنة بدعاء مقام المشيخة ما هى إلا ضرب من التقية ، والمقصود من الأحبة الأربعة هم الذين اتبعوا سبيل على ، ولم يبايعوا أبا بكر الصديق .

أما ما يفهم من قول الأمامية « الأركان الأربعة » أو العمد الأربعة فهم سلمان الفارسى وأبو ذر الغفارى والمقداد وعمار بن ياسر^(٦٠) .

أما عبد الواحد جلبى وهو من الشلبيه المتأخرين (١٩٠٧ م) فلقد كان موغلا فى العلوية راكبا متن الشطط فيها ، وهو من المولوية المشهورين بهذه الخليقة التى جبل عليها ، كما كان انتسابه إلى البكتاشية فى تلك الحقبة عينها ثم أخذه الخلافة من البكتاشية وانخرط كثير من شيوخ المتصوفة فى البكتاشية مقتدين به ومتبعين بسبيله ، ثم كان زهاب شيوخ البكتاشية إلى صومعة مولانا ، وكانت مراسلات عبد الواحد مع حاجى بكتاش .

وخلاصة القول أن اتحاد وتآلف المولوية مع البكتاشية جعلها تصطبغ بصبغة ذات قوة عظيمة وكان هذا بمثابة نذير شرهيا أساسا متينا لتهافت الصحفيين ووجل القصر من هذا التآلف والتحالف وجلا شديدا .

ولقد تناهى إلى سمعنا أن عبد الواحد جلبى غادر مدينة قونية بغية زيارة حاجى بكتاش وبينما كان فى طريقه مر ببلدة تهران ، وإذا بأحد الصحفيين يسرع بإرسال برقية فحواها أن عبد الواحد قد ذهب إلى حاجى بكتاشى عن طريق إيران من أجل

نشر وإذاعة المذهب الشيعى بين طهرانى المولىة ، أما كلمة تهران الوردة فى البرقىة فإنها تذكر القصر بأنها عاصمة الحكومة الإيرانىة وأصاب القصر اضطراب عظم وهلع كبرى وأرسلت قوة والى قونىة لتأمين سائر المقاطعات وإجبار عبد الواحد جلى على الإقامة الجبرىة ، أما عبد الواحد جلى فقد كان ثاوىاً آنذاك بمنطقة (ايلجىين) فأسرع من فوره إلى رئىس المقاطعة وأيقظه فى الحال وبعث به إلى قونىة ، وتسلم البرقىة بصفة رسمىة بعد الفعلة التى فعلها عبد الواحد جلى ، وبهذه الصورة كان جلى موجوداً وذهب إلى قونىة ناهيك عن أنه صار لا قبل له بالتحرك من هنالك إلى أى موضع ألبقة .

عثر بين الأوراق الرسمىة المعروضة فى أرشىف قصر يلدىز على رسالة مكتوبة إلى كبرى مساعدى السلطان دروىش باشا ، ومختومة بخاتم على سرورى والى قونىة ، وهما نحن أولاً ننشرها كاملة بنصها :

« إلى حضرة دروىش باشا المساعدة الأكرم لحضرة السلطان صاحب السعادة:

إن الشرف الوارد إلينا والمؤرخ بتاريخ ٢٠ ذى الحجة لسنة ١٣٠٦ هـ ، والذي حرره حلمى أفندى صاحب المقام العالى يحيطنا خبراً بدخول الشلبىة إلى المذهب العلوى ، وأقسموا الأيمان على اتفاقاتهم رغم العهود والمواثىق التى أخذوها على من دخلوا فى هذا المذهب العلوى ، حيث وقعت بعد ذلك حوادث شتى بين طهرانى الخلائق ، وإذا كنت صورة الوضع الحالى صحىحة بموجب هذا البىان العالى ، فإنه يتوجب أن توجد معلومات تامة فى هذا البىان بشأن عبىدك ، وأىما كان السبب عن حقائق الأحوال ، فقد بوذر إلى كىفىة عرض الحقائق على الوجه الآتى وىصورة مفصلة بأمر من إشعار الإرادة السلطانىة ونفاذ أمرها : لا جرم أن عبد الواحد جلى المشار إليه قد انهمك بسبب الجهل فى الشراب ، وانغمس فى الملذات وكل ضروب الفسق والفجور حتى إنه أدخل فى مذهب الشىعة الباطنة منذ نعومة أظفاره ، وقتله غلاة البكتاشىة بالسسم ، ووسع من دائرة طرىق الغولىة والضلال متوسلاً فى هذا آىة بقوة تبوئه لمقام التكىة المولىة ، باذلاً جهده فى تكثىر أفرادها وكان من الضرورى اضطرار ثلاثىن أو أربعىن من الشىوخ الشلبىن إلى الخضوع له والخنوع لأمره ، وأخذ

إلى دائرة الاتفاق فى الضلال خمسة أو عشرة أشخاص من سائر الجهلة والفاسقين ، فانقادوا له وأذعنوا لأمره وأخذ عليهم الموائيق والأيمان المغلظة والطلاق^(٦١) بالثلاثة على كل أمر يجريه عليهم مهما يكن شأن هذا الأمر وختم المعاهدة بأمر صادر منه ، واستحدث إجراءات باطلة للأصول المرعية لطقوس وشعائر المجتمع وفعل كل هذا باسم السلطان ، ويقدم أوراداً وأذكارا مخصوصة للمعاندین من مردة الغواية والضلالة^(٦٢) كما أنه علم الأرواح المقدسة الأسباب والشتائم بصورة لا يستطيع أن يتجرأ بها لسان الزنادقة ، كما كان يدعو مفتى قونية وعلماءها على مائدة إفطار رمضان الشريف ويجهر بسب ولعن الذكور والإناث كبيرهم وصغيرهم .

ولقد اضطلعت أنا العاجز الضعيف بدعوته إلى طريق الشريعة والحقيقة ، واتخذت إجراءات التهديد والتنبيه والتحذير بشأن إقلاع عقول أهل الجهل عن الفساد ،

بيد أنه لم يقبل الإصلاح ، بل كان على خلاف ذلك إذ سلك طريق الضلال المغاير للعقيدة الإسلامية ، وأصبح خطرا ، ولم يتأثر كذلك بنصائح واقعة عبيدى فياظل القدرة وحضرة مسند الخلافة فإننى إن كنت عملت بشتى السبل من أجل عدم تهية الفرصة لترويج الأعمال الباطلة للمشار إليه ، فإنه لا يجوز بحال من الأحوال إهمال هذا الوضع عاجلاً أو آجلاً ، فالأمر والنهى لمن له الأمر ، ٢٩ سؤال سنة ١٤٠٧ هـ - ٥ يونيو ١٩٠٦ م ، وإلى قونية : على سرورى . وقد استشاط عبد الواحد جلبى غضبا وتميز غيظا بسبب هذا التقرير ، وما لبث أن أرسل خطابا إلى درويش باشا دافع فيه عن نفسه داحضا التهم الواردة فى خطاب على سرورى ، وبذل جهده فى اصطناع التقية ويتجلى هذا فى إخفاء عقيدته الدينية ، وإظهار نفسه على أنه صاحب عقيدة جد متباينة ، ويرجع هذا فى المقام الأول إلى شيوع رواية صحيحة ذائعة بين ظهرائى المولوية تقول بأنه كان بكتاشيا ، رغم أنه لم يكن محبالهم أو منتسبا إليهم ، ومن ثم فإنه شيخ صوفى مرخص له من هذه الطريقة . كان عبد الواحد جلبى يغشى مجالس المقهى الموجودة فى منطقة « جوزتبه Goztepo » وكان يوجد فى ذلك الإبان « توفيق دده » منشد المدائح النبوية والذى كان يقضى فترة العبادة والزهادة فى صومعته ، وقد تلقى عبد الواحد نصيبه من الفيوضات فى إزمير على يد الشيخ روحى بك بابا الإزميرى^(٦٣) ، ثم تلقاها بعد ذلك على يد محمد حلمى دده الذى تبوأ مقام المشيخة

الصوفية الصومعة البكتاشية الكائنة في حي « مريدوان كولى » بإستانبول ، وبعد أن حصل على شهادة الخلافة والمشايخة من الشيخ حلمى دده ، دار الحديث حول إحضاره إلى قونية عن طريق الشيخ أحمد الذى كان شيخا على الصومعة ذاتها. ثم انتسب بعد ذلك أستاذنا المرحوم « ناي زن توفيق » إلى طريقته البكتاشية ، ويحيطنا علما بأبوته ، ويخبرنا كذلك عن دخول ولده عبد الحليم جلبى فى الطريقة البكتاشية وانحراطه فيها . وقد رأينا الشيخ عبد الواحد جلبى الذى أحدث الورد الذى يقول « ناد علياً ، وذلك من خلال رؤية » رسوخى بيقرة « بن المرحوم الشيخ عبد الباقي ثم تحدث إلينا بعد ذلك ، وقد نفى عبد الواحد جلبى مدة طويلة وظل فى هذا التوتر النفسى وتنغيص العيش بين أنحاء إستانبول بسبب مقام الولاية . وفى اليوم الثانى من شهر المحرم لسنة ١٣١٦ هـ أجبر على الاستقالة بسبب عداوة الوالى . وتخلّى عن التدخل فى شئون الرواتب وذلك فى الخطاب الذى كتبه إلى الشيخ عثمان « صلاح الدين دده » شيخ الطريقة المولوية فى « ينى قابى » ، وفى صباح يوم السبت الموافق للعشرين من شهر المحرم لسنة ١٣١٦ هـ أمر شيخ الإسلام بنقل محل إقامة عبد الواحد جلبى إلى ولاية « أدين » .

ووجد فى ذلك تصرفا مناسبا ، ثم أبرق برقية واحدة فى هذا السبيل إلى رئاسة الكتبة والصدر الأعظم ، ولما كان اليوم التالى هو عيد ميلاد السلطان أسرع عبد الواحد جلبى بكتابة رد يدور حول التعب والمشقة اللذين يكابدهما وكأن رسالته تلك كانت بمثابة رد على تذكرة الدعوة الآتية له من الولاية ، وعليه فلم ينضم إلى الاحتفال ، ثم بعث برقية تهنئة إلى دائرة رئاسة الكتبة ووقعها بهذه العبارة « القائم على مقام مشيخة حضرة مولانا السابق » وروى أنه قد عثر على كتابة تقول « إلى حضرة جلبى أفندى » موجودة فوق الخطاب الذى أرسله للرد والإجابة . ووفق ما سمعنا فإنه قد ورد فى البرقية التى أبرق بها عبد الواحد جلبى إلى الدائرة السلطانية عبارة تقول فحواها : « نحن موجودون فى حجرة المحلة مع سائر العائلة المولوية بمقتضى الأمر السلطانى » (تكية المولوية فى ينى قابى . ص ٢٨٢) . بيد أن القصر الخائف من هذه الاستقالة ومن اعتزم الهجرة لم يقبل الاستقالة مستمسكا بإدارة المصلحة على الوجه الصحيح . كانت هناك طائفة من غلاة المولوية وأصحاب

الفكر المتطرف يقولون بأن علياً هو الله ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد كان هناك دون شك من هو مستمسك كذلك بالمذهب السنن بحذافيره وظل رازحا تحت تأثير رد الفعل الذى ظهر ضد هؤلاء الإخوان الذين اعتنوا عناية فائقة بالعقائد المتباينة الأخرى ، حتى أنه ظهر كذلك مولوية من نوى التعصب الدينى ، وكان يوجد كذلك الشيخ عزمى أفندى شيخ التكية المولوية فى مصر ووالد المرحوم الشيخ « أحمد جلال الدين بيقرة » آخر شيخ على التكية المولوية فى « قول قابى » . واضطلع الشيخ عزمى ببحث مسألة الخلافة فى رسالته التركىة المسماة « رفع الشقاق » ويقول فى هذا الصدد : « إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد انتقل إلى الرفيق الأعلى دون تعيين خليفة حتى أن علياً لم يكن يعرف أمور السياسة وتدبير شئون الحكم إبان خلافته ، ومن ثم فقد نصف الأرض التى كانت تحت يده ، كما ذهب النصف الآخر من يدولده بسبب الإهمال والتقصير فى السياسة وتدبير الأمور ، ولو أن علياً صار خليفة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم لاضمحلت الحكومة الإسلامية وأصابها الدثور والتفرق والشتات » (٦٤) .

كما أن عزمى أفندى يقول بأن تكوين الشيعة عند الإيرانيين قد تنشأ بسبب زواج الإمام الحسين من ابنة آخر حكام الساسانيين ويدعى « يزدرجر » ، ويكرر اقتناعه بأن منح الإمارة كان تحت تأثير القومية أكثر من الديانة وكانت مأخوذة من فاطمة إبان عصر أبى بكر الصديق ، ثم هى معطاة إلى أولاد على مرة ثانية فى عهد عمر بن الخطاب ، ثم استحوذ عليها عثمان تارة أخرى ، وامتلكها مروان ، ثم تجلى الظلم الذى وقع على فاطمة فى مسألة « أيكة نخيل فذك » وخلاصة القول فإنه لا يقال رضى الله عنك لمعاوية ، ومع هذا فإنه يتغاضى عن ذكر اسم والى الشام ، ويقول فى شأن موقعى الجمل وصفين : إن عدم حصر السبب فى طرف بعينه يوجب المحاكمة ، ولكنه يتحدث عن وقائع المهدي المنتظر بكلام جد ضعيف .

وها هو يكرر الأشياء بعينها فى رسالته المسماة « دفع النفاق » ويرى أن علياً مقصر ، وعلى حين كان من الممكن توقيع الإمام الحسين لمعاهدة تتعلق بعدم التدخل فى السلطنة ، فإنه لم يضطلع بهذا الأمر ، ويبين جهله التاريخى منتقداً تحركه صوب الكوفة ، ثم يتصدى عزمى للدفاع عن يزيد بن معاوية بعد بضعة قرون ويميط اللثام عن عقيدته .

بهذا الحكم الذى يقول فيه « لقد أمر الله بالاستعاذة من إبليس المطرود من رحمة البارئ ، ولم يأمر بسببه ولعنه ، وإذا قارنا بين هذا وبين جرأة البعض على تكفير طائفة من أهل القبلة السابقين فى صدر الإسلام فإنه يتوجب الحذر من تجاوز حد الأدب ، وغنى عن البيان أن يكون الأولى حينئذ قضاء مدة العمر فى الدار الفانية عن طريق تصفية القلب وتزكية النفس . »

وخلاصة القول أن عزمى أفندى هو معلم سوف يقبله من جبهته دهشة وإعجابا كل أولئك الذين يرتبطون ارتباطا وثيق العرى بمعاوية والذين لا يتفوهون بكلام عن يزيد بن معاوية . أما المتعصبون من المولوية فهم على أسال من العلويين ، إذ اندفعوا بصنيعهم هذا إلى أقصى درجة ممكنة .

أما ما قصة مولانا فى البيت الأول من حكاية « معاوية مع الشيطان » والواردة فى الجزء الثانى من المنتهى فلم تكن مؤيدة لمعاوية قط ، وهم يحرفون معنى هذا البيت ويسوقونه على هذه الشاكلة .

يروون أن معاوية خال المؤمنين : ينام داخل قصر فى فراش . وهم فى عناوين هذه الحكاية يداهنون ويتملقون أخوالهم ، ويكتبون عبارة « رضى الله عنه » بعد ذكر اسم معاوية ، وإذا تجاوزنا عن أن مولانا لا يتأتى له التردى فى هوة المكابدة والمعاناة بمثل هذه الأشياء ، فإن كلمة « Bester » مذكورة هاهنا على أنها اسم لمكان ما ، ولا تأتى بمعنى « كلشن ستان أو خوارستان » ، ولا تأتى كذلك بمعنى « بسترستان » ، كما أن شخصا مثل مولانا كان من أرفع أساتذة اللغة الفارسية شأننا حتى أنه أنشأ لغة أدبية فارسية رفيعة بعد أن كانت قبل ذلك زاخرة بألفاظ مغولية وتركية مع قدوم الغزو المغولى ولا سبيل إلى التفوه بكلمة أخرى فى هذا السياق .

هذا وقد اضطلع رجل يسمى عثمان بكتابة النسخ المنسوبة إلى سلطان ولد والتي كانت بمثابة الأساس الذى عولنا عليه فى ترجمتنا للمسنوى ، وإذا ما قارنا بين هذه النسخ والنسخة الموجودة فى متحف قونية والمكتوبة بعد وفاة مولانا بخمس سنين وجدنا البيت فى النسخة المصححة والتي قرأها جلبى حسام الدين فى حضور سلطان ولد حيث جاء على هذا النحو متضمنا ما يأتى :

در خبر آمد که أون معاویة

خفته بر در قصر اندر زاویة

والمعنى :

يُروى خبر يقول إن معاوية

كان ينام فى قصر أسفل زاوية

هذا ورغم عدم وجود جملة « فليرض الله عنه » مقرونة باسم معاوية فى أى من العناوين الواردة فى هذه الحكاية فإن من قبيل المستغرب أن رسوخى الأنقروى الذى اضطلع بدور عظيم فى شرح المثنوى يدرك بضرورة الرجوع إلى النسخة الصحيحة من المثنوى ، واتخذ من النسخة الخاطئة التى بين يديه أساسا يحتذى ، وقد أدركنا كذلك أننا لا قبل لنا بالتفوه بكلام صعب عسير لا يتسنى لنا كتابته وذلك ردا على عبد الواحد جلبى الذى قال بأن مولانا تفوه قائلًا بأن معاوية هو خال المسلمين .

إن النزعة العلوية التى عند المولوية وكذلك التعصب الدينى الذى يناقض هذه النزعة ويناهضها هما ضربان من التعصب لم يكن لهما وجود عند مولانا ، وهذا إفراط وتفريط ، فهذان لوانان من النشوة والسرور موجودان عند المولوية ، أو هما كما قلنا آنفا نتيجة متمخضة عن الشعور بالنشوة والسعادة أو عدم الشعور بكليهما معا .

فالعلويون هم أولئك الذين يعتبرون أنفسهم فرعا لطريقة شمس ، ويندرج بين ثناياهم أولئك الذين يصرفون همتهم إلى عشق وحب أهل البيت على سبيل المعرفة والإدراك الروحى ، وبسبب هذا العشق فإنهم يبسطون أسننتهم بالسوء إلى هذا وذاك ، كما أنهم غواصون فى لجة الجهل إلى الحد الذى يجعلهم ينسبون إلى مولانا سفساف القول وهراء الكلام ، وثمة طائفة أخرى من نوى التعصب الدينى تصدنا للبحث فى شئونهم فى الجزء السابع من المثنوى والديوان الصغير ، كما يوجد كذلك

كثير من طلبة المدارس الدينية ممن نترحم على أرواحهم ، بيد أنهم يناقضون هذا التعصب الدينى وبناهضونه ، ونحن مضطرون فى خاتمة هذا البحث إلى تكرار ما يأتى : إن ثمة طائفة من المولوية أوغلوا كثيرا وركبوا متن الشطط بسبب عشق على وأهل البيت ، أما المناهضون لهم والبقية الباقية التى جاءت فى عقبيهم من المولوية فقد ظلوا بدورهم بعيدين كل البعد عن ثقافة مولانا واستكناه معرفته الروحية .

الهوامش

(١) ولأجل فهم هذا القسم جيدا ، اقرأ « الجزء الأول من كتاب مولانا جلال الدين للمؤلف ، ولا سيما الفقرة المعنونة بعنوان « صوفية شمس في أى قسم يكونون ؟ ص ٥٩ - ٦٦ . وقرأ كذلك الأبحاث الواردة فى القسمين الثانى والثالث بعنوان التصوف والإصلاح عند مولانا .

(٢) مولانا جلال الدين : الطبعة الثالثة . مطبعة انقلاب سنة ١٩٥٩ م ، ص ١٦٨ وما بعدها .

(٣) انظر مولانا جلال الدين - الطبعة الثانية ، ص ٢٣٢ .

(٤) ولدينا نسخة من رسالة عبد الرحمن العسكرى الذى ينتسب إلى بير عليه آق سراى (ت ١٥٢٨ م ٩٤٤ - ٩٤٥ هـ) والد أوغلان شبح إسماعيل معشوقى (ت ١٥٢٩) من أتباع الطريقة اليرامية الملامية ، وتتضمن هذه الرسالة مقطوعات منظومة فى مواضع متباينة منها ، ونسخة هذه الرسالة هى إحدى المصادر الرئيسية لكتاب « ثمرات الفؤاد » لصاحبه « صارى عبد الله » وهى مسجلة تحت رقم ٢٠٣ ضمن كتب مهرشاه سلطان بمكتبة خسرو باشا بمنطقة أيوب ، وهذا اقتباس من الكلام الصوفى لصاحبها ، وغلانلر شيخ إبراهيم ، ورد ذكره فى رسالة « صحبت نامه » فى النسخة الموجودة لدينا ونصه « جاء صوت ذكر الله من القلب ، وهو موجود فى مراسم وطقوس البرزخية ، وهو الذكر المراد ، وينشغل الحاضرون بالاستماع إليه » . هذا من كلام تصوف أوغلانلر شيخ إبراهيم (ت ١٦٥٤ - ١٦٥٥ م - ١٠٦٥ هـ) صحبت نامه : النسخة الموجودة لدينا) .

(٥) بلنجج Palheng وبله خنج palaheng ، تأنيان بمعنى حبل ووهق ومنطقة ، وتأتى فى هذا السياق بمعنى القيد المصروع من الكتان أو الصوف الذى يربط به أهل الفتوة خصورهم أما كلمة الشد فمعناها . الارتباط بسبع خصال ، ثم انفتاح هذه الخصال بعد ذلك ، وثمة مشاعر مشتركة فى كل رسائل الفتوة . انظر : عبد الباقي جلنبارلى الفتوة فى الممالك التركية والإسلامية ، تنظيمها ومصادرها : جامعة إستانبول - مجلة كلية الاقتصاد ، ج ١١ ، عدد : ١ - ٤ ، إستانبول - مطبعة إسماعيل آق كورن سنة ١٩٥٢ ص ٣ - ٤٥٤ ، وانظر صحائف : ٢٨ - ٥٧ - ٧٠ - ٧١ - ٨٢ - ٨٥ على وجه الخصوص .

(٦) كفته موزون مولانا جلال .∴ ازيراي اين بوداي أهل حال

روتو كل كن ملرزان باودست .∴ زرق تویر توذی توعا شقنرست

وفهم من هذا البيت أن مؤلف الكتاب يقول إن مولانا جلال الدين لا يذكر فى كل شعره بمولانا ، بل يستخدم مخالف مثل : جلال ورومى ، وهو يتذكر ويذكر بألفاظ فى حق توكل مولانا ، وثمة معلومات مفصلة فى شأن التوكل موجودة فى الجزء الأول من المثنوى وذلك فى حكاية الأسد والأرنب ومن المحتمل أن يوجد فى عاشقنامه بضعة أبيات لمولانا تتصل بالتوكل بعد هذه الأبيات .

(٧) أحمد دده هذا مدفون في الجهة الخلفية للمقبرة الكائنة بالجبانة الموجودة خارج المقبرة المسماة « حديقة الأرواح » ، ويوجد على شاهد القبر قلنسوة ذات عمامة مكونة من أربع طيات ملتوية ، وها هو ذا النقش المكتوب عليها : طرا بوذاته شيخ أحمد - ١١٩١ - سنة - يا هو . أما التاريخ واسم الرسالة اللذين ورد ذكرهما في كتاب المؤلفون العثمانيون « فهو خطأ (ح ١ ، ص ١٥٤ - ١٥٥) .

(٨) طبع تعريف السلوك سنة ١٢٧٦ هـ وشرحة (خيري) وهو أحمد مريدي الشيخ نظيف .

(٩) توجد هذه الرسالة بمكتبة متحف قونية تحت رقم ٢٨ ، ٢ de رقم ٢١٠١ ، وثمة نسخة أخرى مدونة بمكتبه حالت افندي برقم De ٢٥١ .

(١٠) مصر بولاق - ١٢٥٦ هـ - ص ٢ - ٧٦ .

(١١) الوجد (extase) وهو حالة شعورية تتمخض عن الشعور الإلهي ، ويتحلى هذا بأشياء مثل السماع والرعدة والقشعريرة والصياح وتمزيق الثياب ، وإذا لم يكن الصوفي صاحبنا لهذا الشعور وتظاهر بأحوال الوجد فإنه يسمى حينئذ تواجد ، ويرى التواجد جيدا من أجل الوصول إلى الوجد الصوفي والتواجد هو حال كائنة في معرفة وعلم الصوفي ، أما الوجد فيكون في مراتب الرؤية والإدراك الوعى ، أما من يبلغ مرتبة النضج والكمال فيعبر عنه بكلمة « وجود » .

(١٢) أقول إن أكثر الآداب في طريقنا من حضرة شمس الدين تبريزي نورنا الله بأنوار فيوضاته ، ومن حضرة السيد سردار محقق الترمذي قدسنا الله بأسراره ، وكلاهما قد أخذاه عن الكبروية والهمدانية وأخذه سلطان ولد عن حضرة شمس ومن والده جمعا وفردا (مكتبة جامعة إستانبول - المخطوطات العربية رقم ٢٤٠٨ ، ٨٧) .

(١٣) لأن الكبروية والهمدانية المشهورين برجال خراسان والخواصكان قدس أسرارهم فأخذوها عن طريق آخر ينتهى إلى كميل بن الزياد ومنه إلى على كرم الله وجهه وإلى الأئمة المعصومين (A - B - ٧) .

(١٤) انبثق هذا الرأي من الرواية التي وردت في شأن سلطان العلماء أحمد غزالي ، والذي كان يتلقى الفيوضات الإلهية في معية أبي بكر النساخ ، وكذلك ما ورد في حق خواكندان يوسف همداني (ت ١١٢٩ - ١١٤٠ هـ) قبيل ظهور النقشية . أما الطريقة الهمدانية التي يقول عنها الشيخ غالب فليست هي الطريقة المنسوبة إلى عالي ميرسيد على همداني المتوفى في كشمير سنة ١٢٨٤ هـ ، والمدفون في خوتلنه ومؤلف هذه الرسالة المسماة « أسرار النقطة » ، وشارح فصوص الحكم والقصيدة الخمرية .

(١٥) انظر : مولانا جلال الدين - الطبعة الثالثة : ص ١٤٠ - ١٥٢ .

(١٦) انظر في هذا الصدد : مقالنا المنشور بمجلة كلية الاقتصاد ، ج ١١ ، عدد ١ - ٤ ، إستانبول ١٩٥٢ م ، وخاصة ص ١١ - ٢٦ ، وص ١٠٣ - ١١٤ ، ويتضمن هذا المقال معلومات بشأن الفتوة لشهاب الدين السهروردي وكذلك كتب الفتوة الأخرى والمسائل التي نحن بصدد البحث فيها .

(١٧) انظر ملاحظة رقم ٤ في هذا القسم .

(١٨) نسخة مجهولة مكان وتاريخ الطبع .

(١٩) لاليزاده سيد عبد الباقي : حكاية الملامية . ص ٣٩ - ١٥٩ .

(٢٠) انظر : ما ورد في حق معروف الكرخي في كتب رجال الشيعة الإمامية ، ولاسيما الكتب التي جمعت النقد والتحليل مثل كتاب : تنقيح المقال للحاج الشيخ عبد الله المناقاني ، ج ٢ ، مادة معروف الكرخي (النجف - المطبعة المرتضوية ١٣٥٢ هـ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩) .

(٢١) للوقوف على الذهبية انظر : الرسالة الفارسية المسماة « جواهر الكلام ومفتاح المرام التي دمجها آقا برديز سالماسي رأس الذهبية في أذ ربيعان (تبريز سنة ١٢٣٥ هـ - صحيفة صغيرة ، ص ١٨٦) هذا ورغم أنه كتاب دعاية غير علمي برمته ، فانظر « مقالات الحنفاء في مقامات شمس العرفا ، أوزند كان شمس العرفا » الذي وضعه « سيدعبد الحجة بلاغي » وذلك لأجل الوقوف على الطرق الكائنة في إيران ، وكذلك بعض المصطلحات الصوفية العامة المتعلقة بالتيار الصوفي (١٢٦٩ هـ - تهران - مطبعة مظاهري - صحيفة ٢٩٢) .

(٢٢) هو كتاب غير مطبوع لسيد سليمان البلخي (ت ١٨٧٧ م) والد سيد عبد القادر البلخي القطب الحمزي ، وقد اقتبس سيد سليمان هذه الأحاديث من مسودة كتاب (غبطة الأمال ، وهو بخط اليد ، كما اقتبس كذلك من كتاب « قرب الإسناء » لصاحبه قوليا الكافي (ت ٩٢٩ هـ) ابن يانويه الكومي (ت ١٩٩١ هـ) ، وكذلك من « كتاب الفصول التامة » لسيد مرتضى (القرن الثاني عشر الهجري) .

(٢٣) هو كتاب « بحار الأنوار » لصاحبه « مجلسي » (ت ١٦٩٩ م) ، ثم اضطلع الشيخ عباس كوفي بتلخيصه في جزئين اثنين . انظر « سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار » النجف الأشرف سنة ١٢٥٥ هـ - ج ٢ ، ص ٥٨ - ٦٤) .

(٢٤) النظر في علم الفك ، ويسمى كذلك « نظير السميت » ويعرف في التركية باسم Ayakucu .

(٢٥) وثمة شعر مبارك موجود فوق مؤخرة التاج المخيط ، ويمتد هذا الشعر تحت التاج مقدار قبضة واحدة . (أوتمان بابا : ولایت نامه سي) النسخة التي أرسلها إلى مدير المكتبات المرحوم حسن فهمي ونسختها بصفة خاصة من النسخة الكائنة بين كتب حاجي بكتاش ، ص ٤٤ ويعد كتاب ولايتنامه ذا قيمة علمية قيمة إذ يضم بين دفتيه شرحا وتفصيلا للحالة الاجتماعية والدينية لمنطقة الروملی على الخصوص ، والأناضول إبان عصر الفاتح ، وكتبه أوتمان بابا كوجوك أبدال المتوفى في الثامن من شهر رجب لسنة ٨٨٢ هـ - ١١ أكتوبر ١٤٧٨ سم ، وهاهي ذی أبيات نظمها أجرى بوزلو في كتابه « رسالة الفصيلة يقول فيها ما ترجمته :

عندما هاجر في سنة ثمانمائة وثمانين .: وارتحل هذا السلطان من لحظة الفناء

وكان اسم هذا السلطان هو حسام .: وكان بعض الناس يقولون عنه إنه جاني بابا

هو نو كسوة معلمة بالسبع المثاني .: وحل محله القطب إبراهيم الثاني

فاقنهم هذا من هجرة الرسول .: وظهر هذا في سنة تسعمائة وواحد

هو الآن في العالم قطب الروح .: واسعه القطب سلطان آق يازيلي

ويفهم من هذه الأبيات أنه يشبه أوتمان بابا وأن آق يازيلي يحتفل به البكتاشية ، كما يؤكد أوتمان بابا وحدة الدراويش الصوفية (استانبول - مطبعة جبهان ١٢٢٧ - طبعة أحمد خضر ، ص ٨٣) .

(٢٦) الجزء الأول ، ص ١٢٤ ، اقتبست هذه الجملة ملاحظات بعينها واردة في ترجمة السيرة الذاتية لبير عادل جلبی ، وقد كررنا هذه الفكرة إبان شرحنا لسلسلة المولوية معتمدين في ذلك على السفينة ومغولين عليها .

(٢٧) وأما الترهات السائرة بين الجهال مثل الفرق بين الشمسية والمولوية فلا أصل لها قطعاً كما صرح في المناقب والمثنويات لولدي ، وأن سلطان ول قد أخذ الطريق من حضرة شمس ابتداء

نون أمر من والده ، ثم أخذ عن والده ، فكيف يتصور أن يكون طريق الولدى على خلاف الشمسى ، لكن المسالك والأطوار كثيرة كما قلنا غير مرة (مكتبة جامعة إستانبول - المخطوطات العربية ، ٢٤٠ ، ٨٠٧) .

(٢٨) ليكن معلوما أن فقراء المولوية ومن تبعهم هم عبارة عن جميع الشعراء وهم على هذين المذهبين : الأول هم طائفة جالاق التابعون لسر سزده متبع الحقائق الذى يتأتى من الجلية والجدال ، وشرب مجلسه طهور ، ولولة عشقه دون نهاية ، وأما الآخرون منهم المدركون الفطنون لأحوال القلب ولطائف الحقائق وطريق العشق كله ، وليكن له التمكن لكتاب ماء الحياة من سبيل الأدب والمسلك الأول ، أما المسلك الثانى فهو الذى يعكس السر القادر للديوان الشريف لحضرة الشيخ قدس الله سره ، فهو مقتبس من المثنوى الذى يحتوى على المعرفة ، ثانيهما : فإنى ظاهر جلى وضياء شمس الحقائق (فى الترجمة الذاتية لصباحى أحمد دده) ويرى أسرار دده أن صباحى هو من الذين اقتبسوا الأنوار من حضرة مولانا الملقب بديوان الحقائق قدس سره الأسنى .

(٢٩) ترى بعض المذاهب الفقهية أن الصلاة مكروهة عند شروق الشمس وعند غروبها ، وفى أوقات زوالها ، ويسمون هذه الأوقات أوقات الكراهية ، وعندما تغرب الشمس يبدأ مدمنو المسكرات فى شربها ، ثم يذكرونهم بوقت الكراهية ووقت الشراب .

(٣٠) Epicur eayism أو الأبيقورية : هى مذهب الفيلسوف الإغريقى أبيقور الذى قال بأن المتعة هى الخير الأسمى وكذلك الانغماس فى الملذات الحسية (المترجم) .

(٣١) Belaban : هى آلة عرف يترنم بها بواسطة اليد والشفة كليهما (غيات اللغات - الطبعة الهندية ، سنة ١٨٢٠ م ص : ٧١) ويحتمل أن تكون هذه الآلة وفق هذا التعريف شبيهة بالناي والمزمار والفلوت .

(٣٢) يوجد هذا فى سطور النسخة المدونة برقم ٢٤٠٦ والمحفوظة بين المخطوطات التركية بجامعة إستانبول وقد كتب على هامش إحدى أوراقها هذه العبارة « وصف مولوى » (B ٢٢١) .

(٣٣) النسخة المخطوطة بخط يده المخطوطات التركية بجامعة إستانبول رقم ١٧٣٧ ، B ١٦٩) .

(٣٤) اقرأ القسم الذى يحمل عنوان « حكاية » فى ترجمة السيرة الذاتية الواردة فى تذكرة سالم - مطبعة إقدام ، سنة ١٣١٤ هـ - ص ٥٣٤ - ٥٤١ .

(٣٥) هذا هو الصراع الأول لإحدى غزليات الشاعر المولوى وهى المتوفى فى مصر سنة ١٧٧٠ م .

(٣٦) قائلا : لا حول ولا قوة إلا بالله .

(٣٧) الصوماط : هو منضدة طويلة يوضع فوقها الطعام وتستخدم فى محافل الصوفية على الخصوص .

(٣٨) هذا الشخص والصوفى عبد الجميل جلى أحد أتباع علاء الدين جلى ، وأحد أحفاد صلاح الدين أمير زاهد بن شمس الدين بن أمير عابد بن سلطان ولد ، ويحتمل أن يكون هو الدرويش حسام وهو على هذا القياس ليس الشلبية (السفينة ج ١ ، ص ٢١٠ - ٢١١ ، ج ٣ ، ص ١٩ - ٢٠ ، وص ٢٠٩) .

(٣٩) أي كيوترى بربام برى مينو يسم ازخون دل أنجه برى

المعنى :

أيا حمامة إذا انتقلت وطرت من فوق سطح قصر هذه الحورية

فقد كنت بدم القلب خطابا ، فمعجلى وأحضره إلى هنا

(٤٠) لا تتفق مع الجامى فى هذه الرؤية الواسعة بأى وجه من الوجوه على الرغم أنه فى شعره كان مثل حافظ الشيرازى مستمسكا بالأداء الثمل المسكر فى شعره ، فإنه كان موعلا فى التعصب ، ويفصح عن هذا بأداء قوى فى منظومته «سلامان وأبسال» (انظر . سلامان وأبسال ، كلاسيكيات المعارف والشرق والإسلام ، عدد ٧ - ترجمة عبد الوهاب ترزى ، إستانبول ١٩٤٤ م ، ص ٧ ، أبيات ٧٣ - ٨٠) وورد فى نفحات الأنس أنه لم يتخذ وليا قط ينتسب إلى الشيعة الإمامية ، حتى أنه يكذب على الشيعة ويهاجمها بالسنة حداد ، ومن هذه النظرة فإن من المستحيل قراءة أبيات من المثنوى لتحل محل آيات القرآن ، وإذا كانت هذه الحكاية صادقة فإنها ضرب من الرياء ، وعليه إعادة الصلاة بصورة مطلقة (للتعرف على تعصب الجامى وفهمه حق الفهم اقرأ : الخطاب الوارد فى المؤلف المسمى « الجامى » وفهمه حق الفهم اقرأ : الخطاب الوارد فى المؤلف المسمى « الجامى » لمؤلفيه المرحوم : العلامة محمد القزوينى وعلى أصغر حكمت ، تهران ١٣٢٠ هـ ، ص ٢٣٥ - ٤٠٧) .

(٤١) هو طائر ذيال شبيه بالخجل (المترجم) .

(٤٢) جامعة إستانبول : المخطوطات التركية . B ٢٤٠٦ ، ١٣٢ .

(٤٣) إستانبول : مطبعة إقدام سنة ١٣١٤ هـ ، ص ٣٥٥ - ٣٥٧ .

(٤٤) اكرجه بن عفان وعمر هردو ولى بوند . . . ولى كر منصف البت ولى ديكر على ديكر

مبائين تفاوت تكته بشينوازاين مصراع . . . تجلى ولى ديكر تحلى ديكر (ص ١٣٣)

(٤٥) انظر المراجعات التى تمخضت عن المكاتبات التى جرت بين آية الله العلامة سيد عبد الحسين شرف الدين وشيخ الأزهر الشيخ سليم . ولسوف ترى فى هذا الكتاب طرق تخريج الحديث ومصادر رواته من الشيعة وأهل السنة ، وقد جاء كل هذا بطريقة مقارنة مع سائر المصادر التاريخية (الطبعة الثانية - بغداد - ١٩٤٦ م ، ص ١٩٧ - ٢٢٢) .

(٤٦) هو الذى شيد تكية المولوية البكتاشية الموجودة فى مكان قصر « جراكان » فى طريق أورطه كوى ، ثم نقلت إلى التكية المشيدة فى « ماجقه » أثناء تشييد القصر . ثم نقلت بعد ذلك إلى بهارية الكائنة على شاطئ نهر « كاغدخان » وإبان هذا النقل تم إحضار عظام الشيخ نظيف إلى بهارية .

(٤٧) هى سورة الإنسان التى ورد فيها قصة على مع الأسير والمسكين وابن السبيل .

(٤٨) يقول العلويون والبكتاشيون أنه قد ورد ذكر على في الكتب المقدسة الأربعة ، إذ ورد في التوراة باسم إيليا وتفيد التوراه أن إيليا هو اسم نبي قد جذب إلي السماء قبل الموت . انظر ترجمة العهد القديم إستانبول ١٩٠٨ - الملوك الثالث ، الباب ١٧ ، ٢٢ ، ص ٤٣٢ - ٤٤٢ ، الملوك الرابع باب ٨ ، ٢ ، ص ٤٤٣ ، ٤٤٢ ، الملوك الرابع ١٢/٨ ، ص ٤٤٣/٤٤٥ . وقد ورد ذكر هذه العقيدة بعينها في بيت ورد في إحدى الإلهيات التي نظمها « حافظ بك » المعاصر للشيخ نظيف كان يعمل شيخا للتكية البكتاشية في منطقة « أيوب قار ياغدى ويقول في هذا البيت أوقودم اسمكى جونكه بى ريا . دم وداورا ثم سك إيليا با على (الدورية التي عندنا) .

والمعنى : قرأت اسمك دون ريا . فأنت ملكى ومدارى يا إيليا على

(٤٩) إشارة إلى قوله تعالى « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا » سورة الزخرف آية ٣٢.

(٥٠) مردان باوالى بى مرتضى مأمورند . أنان كه جوين نيانداز حق نورند

فخرى توبقين دان كه جوين . الله ومحمد وعلى يك نورند

(٥١) انظر على سبيل المثال : شيخ عباس كُمي : مفاتيح الجنان ، نهران ١٣٥٩ - ص ٦٠ - ٦٢

(٥٢) سورة ياسين : آية رقم ٨٢ .

(٥٣) سورة الرحمن : آية رقم ٢٩ .

(٥٤) سورة الإخلاص : آية رقم ١ .

(٥٥) سورة الحشر : آية رقم ٢٢ .

(٥٦) كتبت هذه الآية خطأ ، فهي ليست العليم ، بل البصير ، وصحتها « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير سورة الشورى رقم (١١) .

(٥٧) تاصورت بيوندجهان لود على بود . تانقش زمين بو دوزمان بود

امارضا قولى خان هدايت الذى قدم مختارات من ديوان مولانا سماها « ديوان شمس الحقائق » فقد اقتبس من هذه المنتخبات هذه الغزلية الأخيرة ومستزادا ، وكذلك بعض الأشعار التي لا تمت إلى مولانا بصلة البتة (طبعة تبريز - ١٢٢٣ هـ - ص ١٧٤) ، وللتزود بمعلومات بشأن الأشعار التي لاتخص مولانا ، انظر في هذا الأثر القيم المتمثل في الرسالة التي دبجها الأستاذ بديع الزمان فروزان وعنوانها « رسالة في تحقيق أحوال وحياة مولانا جلال الدين المشهور بالمولوى » نهران : ١٣١٥ - ١٦٨) .

(٥٨) حتى أن هذه المنظومة تدخل بين ثنايا النعوت المولوية (مكتبة جامعة إستانبول - المخطوطات التركية - دورية الطقوس والشعائر والنعوت رقم ٢٠٨٤ - ص ٦٧) . وقد اقتبس فضل الله رحمى المقطومتين اللتين تصدينا لبحثهما أنفا ، وقصيدتين أخريين لا تخصان مولانا ، كما اقتبس كذلك تلك المنظومة الموجودة في روضة الحقيقة (ج ٢ - ١٣٢٦ - ١٣٢٨ هـ - ص ٣٦ - ٣٨) .

(٥٩) هذا ضرب من الغلو والتطرف لدى قلة من المولوية نوى النزعة العلوية ، وهو كلام غير مقبول (المترجم) .

(٦٠) هم على رضى الله عنه فى إحدى المعارك بقتل أحد المشركين ، وحينئذ بصق الكافر فى وجه على ، ولما سأله الرجل عن السبب فى عدم قتله قال له على : لقد اغتظت عندما بصقت فى وجهى ، ولو كنت قتلتك آنذاك فإن قتالى هذا سوف لا يكون من أجل الله ، ولما سمع المشرك هذا الكلام أعلن إسلامه ويفهم بوضوح أن الشرك القبيح الذى فى البيت هو الشرك والكفر ، أما القضاء الحسن الجميل هو أن يكون المشرك مسلما ، ولأجل فهم الأركان الأربعة انظر : كتب رجال الشيعة الإمامية .

(٦١) لا وجود لما يسمى بالطلاق الثلاثة عند الشيعة الإمامية ، ويعنى بهم الجعفرية ، والآية القرآنية تقول « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » البقرة آية ٢٢٩ ، وتقضى هذه الآية بأن من يطلق زوجته يستطيع إعادتها فى مدة العدة ، والشأن كذلك فى المرة الثانية ، بيد أنه لا يتسنى له إعادتها بعد طلاقها فى المرة الثالثة ، وعلى هذا فإن الذى يقول لزوجته أنت طالق ثلاث مرات فلا اعتبار لقوله ألبتة ، حتى أن طلاقه لا يقع بهذه الكلمة . وعلى هذا فليكونوا فداء لعلم درويش باشا القاتل لعبد الواحد جلبى أنت الجاهل .

(٦٢) هى التى تسمى ترجمان العلوية والبكتاشية ، وتطلق على الادعية التى يرتلها الشيوخ وال دراويش بصوت مرتفع ، وجلها منظوم ، وهم يبدعون هذه الادعية باسم شاه (الملك) والذى يأتى عندهم بمعنى اسم على أو سلطان الولاية .

(٦٣) كان يتعيش بالمحامة ، واضطلع بتحقيق شهرة عظيمة فى إزمير ، وله أشعار وجدها « روحى بابا » وتوفى سنة ١٨٩٨ .

(٦٤) النسخة الموجودة من الأصل الموجودة فى حوزة أحمد جلال الدين : ٢١ شوال سنة ١٣٥١ هـ ، تم اضطلع محمد أشرف بنسخ هذا الكتاب باسم « بنده مولانا بند كان المولوى » وهو الذى سماه عزمى فى هذا الدفتر « التأويلات المهمة » ، وهى رسالة تتكون من ثلاث وعشرين صحيفة ، أما رسالة « رفع الشقاق » فهى دفتر يقع بين صحائف ٢٧ - ٤٢ ، بيد أن رسالة « دفع النفاق » تقع بين صحائف ٤٥ - ٧٩ ، وثمة قسم صغير يتضمن فكرا ماسونيا لا دينيا بين صحائف ٨١ - ٩٦ ، وهناك رسائل أخرى مسماة باسم « مهم البيان » مكتوبة ضد البكتاشية وهى رسائل بالتركية . ويتضمن كتاب عزمى المسمى « التأويلات المهمة » أشياء مهمة مثل قوله إن الظالم الذى لا يقاسى العقاب فى الدنيا فإنه يورث نسله هذه العقوبة ، ثم يوضح الأشياء التى تتوافق مع العصر مثل : تلقين الميت والحيوان الذى يذبح فى عيد الأضحى ، ومرور الإنسان على الصراط ، وما يؤخذ من الأرض التى يدفن فيها الإنسان ، وفى كتابه « رفع الشقاق » يتحدث عن إحدى الجوارى المتخيلات من أحباب أهل البيت إبان عصر هارون الرشيد .

الفصل الثانى

المولوية على مدار التاريخ

(أ) ذبوع المولوية وانتشارها وخمود شهرتها (ب) وماذا حدث بسبب الوقف ؟

يقول مولانا جلال الدين الرومى :

« أقسم بالله أنه كلما كان وعاء المذيق^(١) أمام ناظرى ، فإننى لا أفكر فى عمل ألبتة ، ولو التوت أذننى بالموت وبقيت دون مؤنة أو طعام لما بعث الحرية بالرق^(٢) .

ولقد كتبنا فى كتاب « مولانا جلال الدين » كيف كان يعيش وكيف التف حوله وأحاطوا به من كل جانب وكيف كان ديدنه وسلوكه تجاه السلاطين والأمراء ، وخلاصة القول فى هذا أنه كان رجلا شعبيا ذا فكر حر منطلق الآفاق^(٣) .

أما الذين التفوا وأحاطوا بهذا المفكر العظيم فكانوا من العمال وأهل الفن على وجه الخصوص كما كان يوصى الطبقة الشعبية التى تتعيش بكد عملها أن تتفوت دائما من عمل يدها . هكذا كان مولانا يسع هؤلاء جميعا بروحه الشعبية التى كانت تسمو وتترقى رويدا رويدا ، مضطلعا فى هذا السبيل بصنع حوارى وأتباع دين الإنسانية ، متوسلا فى ذلك بالموسيقى والرقص والوجد والجذب ، ومجردا من الأثرة والغرور والكبرياء .

أما هؤلاء الحواري والأتباع فقد عانقوا واحتضنوا مولانا في سويداء أفئدتهم لأنه حررهم وأنقذهم من تعصبهم . أما سلطان ولد الذى خلف مولانا والذى أعلى من شأن صومعة التعبد والتكية عن طريق مؤسسات الوقف فإنه لم يحول هؤلاء القوم عن هذه القبلة التى يمم مولانا وجوهم شطرها . وكان أولو عارف جلبى يتذكر مولانا لما ، وكان جيشانه وسورة حمياه يثيران ويحفزان رغباته الإنسانية .

ومن المحتمل أن يكون أمير جلبى على غير وفاق مع كل من ظهير الدين ولدى تاج قيزيل وتيمور طاش . وكان هذا سبباً فى نفيه وإبعاده إلى الأقاليم والمقاطعات القاصية ، وزاد هذا بالطبع فى نزعة الخلائق نحو المولوية . كان المغول والقره مانىون والأمراء المحليون الآخرون يحبون أولو عارف جلبى ، ثم كان انفصام الشليبين الأولين عن الشعب بعد أمير عابد جلبى مما أثر فى نفوس الناس أجمعين .

هذا ولم يضطلع السلاطين والباشوات والأمراء فحسب بتأسيس التكايا فى مختلف الأماكن إبان عصر سلطان ولد وأولو عارف جلبى فى العصور المبكرة التى أعقبت هؤلاء ، بل أسسوا كذلك خلفاء المولوية . فقد تأسس خلفاء للمولوية فى شتى البقاع والأصقاع ومنهم على سبيل المثال :

علاء الدين الذى كان خليفة لجلبى حسام الدين على تكية أماسية ، وكان الشيخ سليمان خليفة لسلطان ولد فى مقاطعة « قير شهر » وأهى محمد بك خليفة لأولو عارف جلبى فى منطقة « قره مان » ثم كان حسين حسام الدين خليفة لسلطان ولد فى مقاطعة « ارزينجان » ، حتى إنه قد نصب شخص يدعى « سهراب المولوى » فى منطقة سلطانية وكان خليفة لمولانا عليها ، وقد أقيمت على هذه الشاكلة تكايا مولوية مؤسسة فى مواضع أخرى .

لا جرم أن الأوقاف كانت تؤمن وتقوى عقب تأسيس التكية ، وفى الحق فقد كان الشيوخ بسبب هذه الأوقاف يعتمدون على زمرة غنية تأتى فى صدارة الشليبين ، كما كانوا يتدخلون ويقحمون أنفسهم فى المشاحنات والمنازعات ، ويتنازعون مع بعضهم البعض ، ولكن التأسيس المبكر للتكايا كان يتم على هذه الشاكلة ، ومن المحتمل كذلك أنه كانت توجد طائفة غير واعية بشئون الإدارة وتستعيز فى ذلك

بمساعدة ومؤازرة بعض الإخوان ممن هم ثاؤون بين ثنايا التكايا ، ومن المرجح كذلك وجود طائفة من الشيوخ ممن لم يخطر ببالهم مراجعة الوقف أو الاعتماد على هذه المؤسسة الوقفية البتة .

أسلفنا القول أن ثمة تكايا قد تم فتحها بفضل همة وحمية « ديوانه محمد جلبى » وذلك باستثناء تكية المولوية الكائنة فى قوله قابيسى « بمنطقة غلطة ، والتي اضطلع سائر خلفاء المولوية أجمعين ، وإن « شاهدى » صاحب كتاب « روضة الأسرار » ليحيطنا خبراً بشئ هو من الأهمية بمكان عظيم .

وتوجد فى الوقت الراهن قرى مولوية شعبية تشبه فيما تشبه القرى العلوية ، ناهيك عن وجود تكايا مولوية فى المقاطعات الصغيرة ، وعلمنا من كتاب « روضة الأسرار » ذى الأهمية العظمى أن مدينة « موغلة » كانت تغص بالمولوية إبان القرن السادس عشر الميلادى مثلها فى ذلك مثل مدينة « قونية » ، ومن ثم كانت مركزاً صوفياً . وقد افتتح سيد كمال صومعة صوفية فى « موغلة » ونصادف كذلك فى هذه المنطقة صوفية الشيخ « القونيوى » (ت ١٤٩٠ - ١٤٩١) ، والذي كان ينشد السماع مثله فى ذلك مثل المولوية ، وممن استقر بهم المقام كذلك فى « موغلة » الشيخ خير الدين صاحب النزعة الملامية وخليفة الشيخ وفا صاحب التكية وكذلك الشيخ بدر الدين الذى كان يوقره الأمراء وحكام الأقاليم .

كانت اللاذقية كذلك مركزاً صوفياً وبها تكايا مولوية ، كما كانت قره حصار وكوتاهية كلتاهما محلة للمولوية منذ عصور كل من سلطان ولد وأولو عارف جلبى ، أما قرية « جاقير » فكانت على مقربة من كوتاهية وهى مولوية برمتها ، كما كانت سيكه Sikke الكائنة فى بورصة مولوية خالصة ، وقد ورد ذكر لأسماء هذه القرى فى كتاب « روضة الأسرار » .

ولا مرأى فى وجود قرى مولوية أخرى . وهناك مخطوط فى أرشيف رئاسة مجلس الوزراء بتاريخ ١٩٣٧ هـ - ١٥٣٠ م يبين أن ثمة تكية مولوية ملحقة بمسجد مقاطعة « خوجه إبراهيم » فى إقليم « آياص لوغ » ويذكر هذا الأرشفة كذلك أنه

توجد تكية مولوية باسم « كجه جى على » موقوفة على العلماء والصالحين فى قرية « اده كوى » التابعة لمقاطع « آياص لوغ » (دفتر تحرير طابو - الرقم الجديد ١٦٦ ، ص ٤٣٧) .

هذا أحد أسباب ذبوع وانتشار المولوية حتى ربوع القرى ، ولربما كان السبب الثانى هو عدم انفصام شيوخ المولوية عن الشعب ، إنها الطريقة التى تلتهم الإنسانية ، وليس هذا بالشئ المستغرب على الإنسان ، ولا سيما ذلك الإنسان المتألم ذو الغابات .

فالإنسانية تحب بعضها بعضا ، وتتواعم سداها ولحمتها ملتحة فى نسيج واحد لا تنفصم عراه فالمولوية هى السجود فى ذات الإنسان للإنسانية جمعاء ، ووجودها هو الله ، وهى شاهدة ظهور الله لأولئك الموجودين لا ترى تميزا بين الدين والمذهب ، إنها فى خاتمة المطاف : سماع وموسيقى ووجد حقيقى وعشق طاهر بغية بلوغ أوج النضج والكمال .

لا جرم أن شيوخ المولوية لم يهتموا كثيرا بنزعة أولو عارف جلبى إبان القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ، وكان هؤلاء الشيوخ فى بادىء الأمر - بناء على رغبة ديوانه محمد جلبى - يُعلمون ويُعرفون بأنفسهم وطرقهم عن طريق رحلاتهم وسياحاتهم بصورة واسعة وطريقة محكمة ، وعرفوا أنفسهم كذلك للمدينة والقرية وسائر المقاطعات وسكان المناطق جميعا . ولم تكن ثمة صعوبة فى طريقهم إذا لم يكن السماع تابعا لشروط أو قيود كما هو فى الأزمنة المتأخرة ، بل كان فى العادة ضربا من الرقص كما يعرفه كل شخص ، إنه رقص ولكن كيف ينبعث من سويداء الفؤاد ؟ لم تكن هناك ألحان معينة ، وحتى لو بدأت الألحان فإن قيود السماع مع ذلك لم تكن على جهة التعميم ، وبعد ذلك كانت القيود الدينية شديدة الحرية والطلاقة لدى صوفية المولوية الملامتية ولم يكن الحشيش الذى يُغيب الإنسان عن وعيه ممنوعا فيجعله آنذاك مستغرقا فى عالم صوفى بخر تحفز وتشير الإنسانية الكامنة فى الإنسان .

وعلى كل حال فإن الشيخ فى التكية المولوية الموجودة فى القرية سوف يشرح
المتنوى بطريقة يتسنى معها أن يفهمها القروى ويدرك كنهها وبعد ذلك يكون السماع
ثم يؤذن للصلاة مرددا ما ينشد فى مجالس محمد جلبى مثل « إن منضدة الطريقة
هى علاج للظرف الرقة » ثم تقدم بعد ذلك نارجيلة الحشيشة فتشرب الخمر ، ومن
المحتمل وجود النسوة فى هذا المجال ، بيد أن أفلاكى يذكر أنه كان يوجد مريدون
كثيرون « لشرف خاتون » ابنة سلطان ولد وانتشرت كذلك فى مدينتى « طوقات »
طريقة « عارفة خوشلقا » خليفة المولوية ، وكان أكابر ووجهاء طوقات مريدين لها .

وكان جد أولو عارف جلبى يعقد مجلس السماع فى مجالس النساء ، أما خلفاء
المولوية من النساء اللاتى لا تكايا لهن فقد كان يتسنى لمريديهن من الرجال الاشتراك
دون ريب فى هذه المجالس بصورة خاصة على أقل تقدير وذلك بعد أن تبوأ هؤلاء
النسوة منصب المشيخة . وهناك غير هاتين المرأتين اللتين سلف ذكرهما خلفاء مولوية
كثيرون رجالا ونساء ممن لا تكايا لهم ، ومن ثم فقد كان هؤلاء يذهبون ملبيين الدعوات
ومنظمين مجالس السماع فى المنازل والبساتين كما كان الحال إبان عصر مولانا ،
ويعقدون كذلك هذه المجالس مضطلعين بنشر المولوية وإذاعة صيتها . ولا ريب أن
شيوخ المولوية كانوا سببا فى نشأة قرى مولوية وامتداد رقعة المولوية واتساعها حتى
ربوع القرى وأصقاعها ، ولم يكن زهاد المولوية يلحقون قيود الطريقة المدهشة
العظيمة بقيود الشريعة وأحكامها ، وليترنح أماسيه لى علاء الدين وليتمايل فى
زهده ، أما أولو عارف جلبى فكان يترنم بقيثارته وكلامه ، يترك الخمر فى العشر
الأوائل من شهر ذى الحجة ويستترعى النظر أكثر وأكثر بوجوده فى كل وقت وحين ،
وهذا بمثابة انتشار للمولوية وذيوع لصيتها ، ويتبين من هذا أن هذه الضروب المتباينة
للمولوية لا تختلف اختلافا بينا قط عن العلوية .

ولكن المولوية ما لبثت فى أواخر القرن السادس عشر الميلادى أن بدأت
الانسحاب من قرية إلى مقاطعة ومن مقاطعة إلى مدينة ، ثم شرعت فى قبر ذاتها
والانطواء على نفسها ، أما مؤسسة الوقف فقد ظلت فى أول عهدها رازحة تحت نفوذ
وسيطرة زمرة عالية بناء على رغبة المولوية وصومعة مولانا ، ثم تطورت مؤسسة
الوقف لتكون فى مواجهة الفكرة الأرثوذكسية الشرقية الموجودة فى الدين المسيحى ،

وإذا كان إصلاح مولانا فى حقيقة أمره زاخرا ببعض التصحيحات وإنكار الذات فإنه كان بمثابة حركة نشطة ممتدة إلى الشعب بيد أنها قد أصيبت بعد ذلك بالشلل .

لقد كان الشعب يتنفس فى مجالس السماع وينسى عذاباته ويتجرد من فوارق الدين والمذهب بينما يدرك فى ذلك الإبان إنسانيته ويفهمها حق الفهم فى لجة الطقوس والنواميس الموجودة فى التكايا ، ويتجلى هذا فى نظرات العشق والدلال لأولئك السادة الأشراف الذين يصغون إلى هذه الألحان وفى نشيج وتنهيدة الأمراء وفى جُشاء^(٤) المرفهين فى موائد الطعام .

ولقد اضطلع الأمراء والوزراء بتشبيد التكايا بعد انقضاء القرن السادس عشر الميلادى ، فعلى سبيل المثال لا الحصر : شيد غازى حسن باشا سنة ١٦٦٥ م التكية المولوية فى بجوى Pegoy أما بايرام باشا فشيد سنة ١٦٧٥ م تكية المولوية فى ولاية « قيصرى » ثم كانت التكية المولوية فى « كليس » Klls التى شيدها وجهاء القوم وأشرافهم سنة ٦٧٦ هـ ، ثم قام على آغا بتشبيد أول تكية مولوية فى « ينى شهر فئر » .

وتبعه حاجى أحمد الذى شيد فى نفس العام تكية أخرى (الأرشيف المفهرس لرئاسة الوزراء - شوال سنة ١٠٩١ هـ تصنيف بايى أصافى على أميرى بدون رقم ، محمد الرابع سنة ١٩٨٦ ، رقم ٣٣٥٩ ، ٣ صفر سنة ١١٧٠ هـ ، تصنيف على أمير ، عثمان الثالث رقم ٣٣٠ ، وباب أصافى سنة ١٠٨٧ هـ) .

ونعلم من خلال سجلات الأرشيف أن تكية المولوية فى سلانيك كانت بناء شيده وزير يدعى أحمد باشا (٢٢ صفر ١٢٨٦ هـ) ، ثم شيد « ينجرى كانبى ملكوج بك » التكية المولوية فى منطقة « ينى قابى » بإستانبول ، وشيد « أوهريلى حسين باشا » التكية اليكتاشية المولوية ، وشيد « سلطان زاده نومان دده بك » زاوية اسكودار .

كما كانت توجد فى ذلك الإبان تكايا اضطلع بتشبيدها شيوخ المولوية كما هو متبع فى قديم الزمان ، ومنها على سبيل المثال :وتوجد فى مدينة بورصة تكية مولوية أسسها « جنونى دده » فى بورصة سنة ١٦١٥ م وكذلك تكية « طاوشانلى المولوية التى أقامها « أسيف محمد دده » (ت ١٧٣٣) وهناك أيضا من جعلوا منازلهم تكايا مولوية .

بيد أنهم بضعة رجال متفردون لا نصادفهم فى قرى المولوية وتكايها المتناثرة فى هذه القرى^(٥) . هكذا رزح مقام المشيخة تحت سيطرة المولوية ونفوذها بسبب الوقف ، ولم يكن كافيا إرسال شيخ جلبى إلى أحد الأماكن ، وبينما كان من غير الضرورى تصديق جلبى على تعيين أحد الخلفاء المولوية فى مكان ما ،

فإنه قد أصبح مشروطاً فيما بعد التصديق على مقام المشيخة العليا وكذلك مجلس المشايخ بعد ذلك . أما تدخل مشيخة الإسلام فلم يكن من زاوية محو وإزالة المعتقدات المولوية ، بل نشأ هذا التدخل بسبب الوقف . وإذا كان الأمراء والوزراء قد اضطلعوا بتشديد التكايا وصوامع العبادة فإن ترميمها وإصلاحها قد اضطلع به من الخزينة بأمر السلطان . وعلى سبيل المثال فإن تكية المولوية فى غلطة والتي احترقت فى حريق شب فى « طوبخانه - دار الأسلحة والذخيرة » قد أعيد تشييدها بأمر من السلطان مصطفى الثالث ، وتم تعيين « بنى شهرلى عثمان أفندى » متعهد البناء أميناً عليها ، ثم أعيد افتتاحها ثانية سنة ١٧٦٥ م ، ثم أعيد ترميمها وإصلاحها مرة أخرى فى حقبة صادفت عصر الرفاهية والازدهار « لحالت أفندى » ، كما أعيد ترميم وإصلاح التكية المولوية فى « غاليبولى » سنة ١٧٧٦ م ، وقد ورد هذا فى تقرير التقويم والتقدير والإصلاح والتعمير المحفوظ فى أرشيف رئاسة الوزراء (تصنيف دفاتر المالية القديمة ، الرقم المؤقت ٣١٦٠ ، الدفتر المؤرخ لسنة ١١٧٨ = ١١٨٢ هـ = ص ٦١٨) .

وكانت تكية المولوية فى « فيليببه Filibe على وشك الانتهاء من ترميمها وإصلاحها ، وقد طُلب هذا التاريخ من زبور أفندى (زيور باشا ت ١٨٦٠ م) ، ولما تأخر مجيئه اضطلع بتدوين التاريخ واحد من مصححي المطبعة الأميرية ، وأرسل به إلى السلطان من أجل العرض والتقديم ، ويظهر التاريخ على أنه سنة ١٢٦٥ هـ (الأرشف رقم ٢٠٣١٠ داخلية) . وكان المدعو « أجوب Agop ناظر الخزانة الخاصة يريد طلب مهندس خاص ليعاين العيوب ووجوه الإهمال والتقصير حتى يفهم سبب عدم الموافقة على ترميم وإصلاح المسجد الملحق بصومعة شمس فى قونية وكذلك تكية شمس ، ويدرك كذلك رفضهم ترصيص^(٦) . القبة وإعادة بنائها

(سنة ١٣٠٥ ، ربيع الآخر ٢٦٠ ، بلديز أوراقي - المعروضات الخاصة) . وقد اضطلع السلاطين بتعمير وإصلاح صومعة مولانا بضع مرات متباعدة (انظر : شهاب الدين أوزلوق - ضريح مولانا ، قونية - مطبعة ينى كتاب سنة ١٩٤٦ م) . أما تكية المولوية المحترقة فى بهارية فأعيد بناؤها مرة ثانية إبان عصر السلطان محمد رشاد الخامس وقدم بنفسه إلى حفل الافتتاح المهيّب الذى أقيم فى سنة ١٩١٠ م ، وكان مؤلف هذا الكتاب فى أول عهده بالتصوف ومن ثم كان يجلس فى هذا اليوم بين منشدى السماع فى شعيرة اللف والدوران^(٧) .

وخلاصة القول أن المولوية كانت بمثابة مؤسسة الدولة بدءا من القرن السابع عشر الميلادى ومن ثم فقد صرف الوزراء والسلاطين همّتهم إلى رعاية هذه المؤسسة حينما فحينا ، أما الأتباع الذين اتبعوا سبيل نفوذ وتأثير هؤلاء فقد تدفقوا وانتالوا فى جماعات تترى إلى المولوية ، وكان الصدر الأعظم صوفى محمد باشا (ت ١٦٤٩ م) والموصوف فى كتاب « حديقة الوزراء » بأنه الباطل العظيم شديد الظلم والفساد ، يقف فى الصلاة ليحول دون إنقاذ حياة من يؤمر بقتله مهما كان المشفع فيه ، وكان هذا الرجل ينتسب إلى « دوغانى أحمد دده » شيخ ينى قابى (ت ١٦٣٠ م) ، ثم لقب بلقب « صوفى » بسبب مكوثه مدة طويلة فى تكية المولوية إبان الحقبة التى عزل فيها شيخه « دوغانى أحمد » من منصبه ، ويقول المؤرخ « نعيما » فى هذا الشخص « لقد ارتكب كثيرا من الظلم والفساد ، لا يرى فى وجهه أثر التصوف ، لا يتورع عن إلحاق المضرة بأموال الناس وأرواحهم وكان صلاحه وتقواه هما أحبولة التزوير والرياء » ولم تكن هذه المقولة مقصورة عليه فحسب ، بل هى أمر مهم لكونها تساعد فى تجلية وإظهار التصوف فى تلك الحقبة ، من الزمان^(٨) .

كان الموسيقى والشاعر المولوى السلطان سليم الثالث ذا شغف عظيم بالشيخ غالب ، ورغم أن محمد أمين جلبى كان يناهض هذا النظام الجديد ويقف ضده ، فإنه اضطلع بالإعداد للتمرد الذى نشب فى قونية ، إلا أن ارتباطه الوثيق بالمولوية لم يصبه بالضعف والوهن والاسترخاء ، ولقد تبوأ المولوية أرفع مقام لها بين ظهرانى الزمرة المستنيرة إبان عصر السلطان سليم الثالث ، فعمرت تكايا المولوية

وازدادت الأوقاف وكثرت مصارفها ، وكان الشيخ غالب دده يفكر مليا ويتفوه بقصة الحب العاطفية اليائسة المتعلقة بمن تدعى « بيهان سلطان » .

وكان هذا الشاعر والشيخ المولوى قد أيقن أنه ذاب شوقا من أجل هذا العشق الذى بات أسطورة تلوكها ألسنة الناس ، ومن ثم فإنه كان يذهب إلى القصر كثيرا . وتفيد رواية مولوية أنه لما كان جسد بيهان سلطان أبيض اللون مجردا من الشعر فإنه يفصح عن هذا فى رسالة وجهها لها بقوله « شيخى القطنى pamuk seyhim ^(٩) » .

وكان غالب دده يحظى بفيض من المجاملة وضروب من الحنو والشفقة يغدقهما عليه السلطان وبينما نرى السلطان ينفق ثلاثة آلاف قطعة ذهبية من أجل تذهيب ديوان الشيخ غالب دده ، نراه يلحن مقطوعة موسيقية من مقام « سوزدلارار Suzidllara » ثم يلحقها بالمقام الموسيقى ^(١٠) الثالث بين ثنايا الرباعيات والأبيات التى اختارها من ديوان مولانا ، وهو بصنيعة هذا قد أضاف مقطوعة موسيقية إلى الموسيقى المولوية ، وكان السلطان سليم الثالث يذهب كثيرا إلى تكايا المولوية ويبذل وجوه الخير والإحسان إلى الشيوخ والدرأويش ، وكان هذا الارتباط الوثيق العرى للسلطان بالمولوية يجذب سراة القوم ووجهاءهم إلى التكايا المولوية .

كان أحمد آغا المولوى (ت ١٧٩٤ م) ملحنا مشهورا فى تلك الحقبة من الزمان ومصاحباً للسلطان سليم الثالث ، واضطلع بتلحين مقطوعات موسيقية متفردة من مقامات الحجاز والنهوند والصبا وشرع ينشدها ويرتلها فى تكايا المولوية .

أما السلطان محمود الثانى (ت ١٨٣٩ م) فكان يكن كل تجلة وتوقير للمولوية ، وكان هناك أيضا فى تلك الحقبة المبكرة المشهور « حالت أفندى » صاحب التأثير والنفوذ والكلمة النافذة التى لا ترد فى الدولة ، وكان هو الممثل الوحيد للمولوية ، وكانت إستانبول آنذاك قد استحالت بفعل الحرائق إلى كومة رماد ، كما كان الوهابيون فى الجزيرة العربية ، والزيدية فى بلاد اليمن ، والدولة تموج بالفتن وفى حالة قتال ونزاع ، ناهيك عن انتشار قطاع الطرق فى مدن : وان Vam وديار بكر وحلب ، أما محلة « حالت أفندى » فكانت مثالا للأمن والدعة والسكون .

وحالت أفندى هذا هو ابن « قيريملى قاضى حسن » عمل إبان شبابه مساعداً
لأمين الختم والكاتب الخصوصى لرئيس الكتاب ، كما عمل فى رئاسة القصر
والاقطاع والخدم لنائب مدينة ينى شهر ، واشتغل كذلك فى بعض الشئون والوظائف
الكتابية ، وذهب إلى باريس بصفته سفيراً للدولة العثمانية ثم رئيساً لمكتب المحفوظات
بالقصر السلطانى ، وقضى بعد ذلك حياة النفى فى مدينة كوتاهية لمدة عام ، وفى
خاتمة المطاف تيوأ « حالت أفندى » منصبا فى الديوان السلطانى واعتمد كثيراً على
فرقة الانكشارية فى تلك الفترة التى كانت تموج بالقلق والفتن والاضطرابات وكان
ذا نفوذ وسطوة نافذة على السلطان وبذل جهده فى القضاء على أعدائه حتى يتسنى
له بوقدة ذكائه إطالة أمد هذا النفوذ .

ثم أقدم فى عام ١٨٢٢ م على إعدام « تبه دن على باشا » خشية من سطوته
وجبروته ، بيد أن الاضطرابات قد اشتدت حدة وأوارها أخيراً فى منطقة مورِه Mora ،
ولكن اليونانيين كانوا ذوى شعور قومى ، مما دفعهم إلى التمرد وإعلان العصيان فى
كل حدب وصوب ، وفى بداية الأمر اشترك المحافظون الذين عينهم حالت أفندى فى
كل من « أفلاك وبغدان » بهذا التمرد مما جعله يهوى فى لجة التحير والارتباك .
وأقدم على شتى بطريك الروم الموجود فى إستانبول أمام باب كنيسة « فنر Fenar » ،
ثم طفق يمزق أجساد جميع سكان الساحل من أهل الروم فى منطقة « أورطه كوى »
العليا ويقطعها إرباً كالغربال ، وأقدم كذلك على تقتيل أثرياء الروم دون النظر إلى
كونهم مذنبين أو أبرياء .

كما لقى أساقفة ومطارنة مدن : قيصرى وأزميت وتراپيا « نفس المصير الذى
سبقه إليهم بطريك الروم السابق والذى كان يقيم فى مدينة أدرنة .

ولقد أصدر « حالت أفندى » أوامر بخصوص الانتفاضة المسلحة لأهل المدينة
حتى يتسنى له الوقوف فى مواجهة أى خطر قد يحيق بهم ، كما كان الفتية المتمردون
المستأسدون يخالون تيتها وعجبا وهم يطلقون البنادق على الحشود المزدحمة المتراكمة
وهم يخبطون خبط عشواء فيما يفعلون أما الموظفون الذى حنكتهم تجارب الحياة
فإنهم قرءوا عن الحرب فى الكتب .

ورأوا السيف معلقا على الحائط ، ويأتى من بعدهم الشيوخ والعجائز الذين لا قبل لهم بالوقوف على صهوة الجواد مما جعلهم يذهبون إلى سائسيم بالحصان الذى يمتطونه من أجل اضطلاعهم بأداء الخدمة التى توكل إليهم فى حالة الضرورة مستندين على خدامهم من الجهتين ، فإذا ما هموا بالذهاب إلى ميادين التعليم فإنهم يثيرون ضحك الناس عليهم . أما « حالت أفندى » فإنه ينشغل فى خضم هذه الجلبة الصاخبة بالقضاء على أعدائه واستئصال شأفتهم ، ثم يعمد إلى قتل رجل ما بغية تخويف الناس وترويعهم ، وكان يقول : فلنضرب أعناق البربرة الكائنة فوق رماة السهام ، وليكن الترويع والتفريغ لسائر الخلائق أجمعين ، وليقطعن دابر الأكاذيب والأراجيف .

ثم التقى بأحد الموجودين فى المجلس فقال الرحمة يا إلهى ، هذا هو بربرى أنا وأسرع حالت أفندى بتغيير أمره دون أن يقاطعه أحد ، وقال للرجل ليس هذا الأمر خاصا بك ، بل المقصود هو ضرب عنق البربرى الذى فى الجهة الأخرى^(١١) .

وذات يوم آخر أمر « حالت أفندى » بإعدام ابن واحد من أعدائه وسمع واحدا يقول : وأسفى إنه شاب فتى ماذا عليك لو أدبت واحدا غيره ، وحينئذ سخر منه « حالت أفندى » ثم قال له أنت تأسف على قتل الشاب والعجوز على حد سواء ، إذا يتوجب علينا البحث عن رجل متوسط العمر حتى يقتل فى كل زمان^(١٢) .

وكان « حالت أفندى » هو الذى منع السلطان محموداً الثانى أول الأمر من القضاء على الانكشارية وفى النهاية ازدراه وحقره وأمر بنفيه وإبعاده إلى مدينة بورصة ، ثم أرسل به إلى قونية بناءً على رجائه واستعطافه ، بيد أن أمر الإعدام قد وصل قبيل يوم واحد إلى قونية بناءً كانت قلنسوة المولوية على رأسه وبينما هو جالس فى محلة جلبى دخل عليه عارف جلبى الذى أحضر أمر الإعدام ثم خنق حالت أفندى بحمالة سيفه ثم جز رأسه ، وتحرك بها صوب إستانبول سنة ١٨٢٣ م ، ودفن جسده فى الساحة الكائنة فى الجهة الإمامية لقبر مولانا جلال الدين الرومى ، أما رأسه فدفنت فى المقبرة التى أعدها بنفسه فى تكية المولوية بمنطقة « قول قابى » .

ويدون « على لطفى دده » شيخ ينى قابى بين ثنايا خواطره الموجودة فى كتاب « دفتر الدراويش » « باب إرسال مفتاح المدينة المنورة إلى إستانبول » ويكشف فى

هذه الخواطر ذكاء وألمعية هذا العصر الذى يميظ اللثام عن الشوكة وقوة المنعة التى يتمتع بها عصر حالت أفندى .

ولا جرم أننا من هذه الزاوية نكتب هذه السطور الآتية بفصها ونصها مقتبسة من تلك الوثيقة النابضة بالروح والحياة .

« وصول المفتاح للمدينة المنورة شرفنا الله تعالى بشرفها ، فى سنة ١٢٢٨ هـ وفى شهر المحرم وكان فى استقبال المفتاح فرقة عسكرية قادمة من منطقة تسمى « زيتين بورونو » Zeytin Burnu وأحضر هذا المفتاح من داود باشا إلى حضرة خالد بن زيد وتشرف بالحضور لاستقبال خالد بن زيد ملاذ العالم السلطان محمود خان ، وكان فى هذا الدعاء والثناء ثم أخذ المفتاح منه ، ودخل من حى « طوب قابى » والمفتاح ملفوف داخل كيس من السندل^(١٣) الأخضر .

وقد وضع فى صندوق فوق صينية من الفضة الخالصة ، ثم وضع بين يدى وكيل الدولة ومعتمدها « حالت أفندى » فعانقه واحتضنه ، ثم نقل من ديوان « يولى » إلى القصر السلطانى ، وكانت هذه الليلة ليلة مباركة ميمونة الطالع حيث قرعت الطبول فى القصر السلطانى ابتهاجا ببشرى تشريف المفتاح الشريف ، ثم أطلقت المدافع عقب صلاة الفجر ، وكان يوم عيد حيث كان صوت دوى المدافع مسموعا لبضعة أيام ، وكان الشتاء شديد الزمهرير والجليد يساقط فى يوم تشريف الفرقة العسكرية والاستعراض ، وكان لزاما أن يسقط الجليد فوق رعوس أصحاب هذه الفرقة العسكرية الاستعراضية ، بيد أن الجليد لم يصب الصينية المغطاة المحمول فوقها المفتاح الشريف ، حتى إن الندى لم يصب الصندوق وهذا أمر مرئى للعيان ، وهو سر جد عجيب ، وشوهد وكيل السلطان الذى يحمل المفتاح ومن فى معيته ولم بمسسهم الجليد بضر أو أذى ألبته .

خرجت منطقة « زيتين بورونو » على بكرة أبيها لاستقبال المفتاح ، وسمع من أحد الثقات أن ترتيب الاحتفال كان فى أول الأمر يتمثل فى خروج الاستعراض العسكرية من دار الذخيرة حيث يصل إلى القصر السلطانى ولكن ريحا عاصفا هبت

من البحر فى الليلة التى جاء فيها متعهد دائرة الملابس إلى دار الذخيرة وخرج إلى منطقة « باغجه قابى » ، ثم قدم بعد ذلك إلى نزل الضيافة عند باب وكيل السلطان ، وسرعان ما وصل فى الصباح الباكر خفية إلى داود باشا الذى هم باستقباله ، ولم يأت السلطان لاستقبال حضرة خالد بن زيد وشوهدت فى إستانبول فرقة عسكرية قادمة من مزرعة القصر وهى تمشى فى صرامة وحزم ، ثم شرف المفتاح حيث جاء إلى القصر السلطانى ، عندها خرج المتعهد بخصيان القصر السلطانى لاستقبال المفتاح حيث أخذه داود باشا وقبله وجاء به إلى داخل القصر .

كان اليوم هو الخميس الثانى من شهر صفر حيث أطلقت المدافع مدة سبعة أيام وكأنة يوم عيد (مكتبة نظيف باشا ٥٢٠ - ٥٣) .

وها هى بضعة أسطر تخص الواقعة نفسها ومدونة بمناسبة هذه الحفلة عينها ، ومدونة عند كل من رسوخى وكتاب دفتر الدراويش ، وتقول هذه الرواية : « إن هذا لشئ عَجَاب ، حررت هذه الرسالة بمناسبة وصول المفتاح الشريف إلى المدينة المنورة شرفنا الله بشرفها ، فلقد جىء بالمفتاح إلى سيدنا خالد بن زيد ، ثم وضع المفتاح والصندوق كلاهما بغية الدعاء والثناء ، وكان ثمة فسطاط للصندوق الشريف ، ثم ظهر الحاضرون ، ثم جىء بالصندوق إلى الخارج خفية والحضور مشغولون آنذاك بتلاوة القرآن الكريم ، وهذه الرواية مروية عن الثقات ، وبات هذا من الأسرار الخفية المستورة ، وسمع أيضا أنه لم يفش هذا السر إلى أى شخص ، وحدث كل هذا فى سنة ١٢٢٨ هـ .

هذه إنجازات حالت أفندى وعاقبته الوخيمة التى آل إليها ، ففى سنة ١١٩٣ هـ - ١٧٧٩ م نراه يلبس قبعة من اللباد ألبسها له الشيخ على نطقى دده شيخ يتى قابى (ت ١٨٠٤ م) ، ثم ألبسه بعد ذلك قلنسوة المولوية^(١٤) فى سنة ١٢٠١ هـ = ١٧٨٧ م .

وكان هناك فى سنة ١٨١٨ م شيخ يدعى « دباغ درويش محمد » الذى أحضر معه شهادة التخرج إلى « دولابجى درويش محمد » الذى أسس التكية المولوية فى قصر إدريس بمنطقة أيوب ، وذلك حتى يتسنى له الاضطلاع بمقام المشيخة وممارسة شعيرة الملف والدوران عند المولوية ، كما منح دباغ درويش مقام الشلبيه إلى حالت

أفندى ، وكان هدم جلبى آنذاك فى الثانية عشرة من عمره ، أما حالت أفندى فكان يقف معهما تحت غطاء وصندوق ضريح مولانا مدة اثنى عشر يوما مكبرا^(١٥) . وهذا يعنى أن دباغ درويش محمد قد أحضر له تصريحاً بارتداء القلنسوة معمة .

وتفيد إحدى الروايات بوجود اثنين من دراويش المولوية ذوى تنورة قبالة الحجرة التى يقيم بها حالت أفندى فى محلة مقامه ، وكانا يقفان متوسلين متضرعين ، وقد جىء بهذين الدراويشين لخدمة المتصوفة .

ولهذا السبب فقد كان المدعو ناصر عبد الباقي دده يطرئ ويقرظ حالت أفندى ويقول عنه إنه اضطلع كذلك بخدمة المولوية الموجودين فى مستقر إقامته رغم أنه لم يتسن له الحصول على شهادة التخرج .

أما حالت أفندى فقد أجبر المتصوفة على هجر أبواب الأولياء ، وجعلهم يألفون أبواب الأغنياء ، ويضيف ناصر عبد الباقي دده قائلاً : إن حالت أفندى لم يكن يخجل قط من الاضطلاع بخدمة المولوية أصحاب القلنسوة والتنورة الذين كانوا يعيشون بين ظهرائى الأحباب والحساد على حد سواء ، وليس ثمة مولوى رافض لما قاله ذلك الرجل ، إذ كان المولوية يعرفون كذلك أن حالت أفندى هو وكيل الدولة ومعتمدها ونائب الطريقة ووكيلها من لدن عصر جلبى حتى أحبابه المقربين .

كان « رجب حسن حسنى » من شيوخ ينى قابى (ت ١٨٣٠ م) وأرسل كتابه « رسالة المشيخة سنة ١٨٢١ م مباشرة من قونية إلى حالت أفندى الذى استدعاء وذهب به إلى « أجيجى باشا » ثم اصطحب معه بعد ذلك كلا من قاسم باشا وعلى أفندى وذهبوا من فورهم سوياً إلى شيخ الإسلام الذى قرأ الرسالة وأعطاهما الشيخ ، ثم أقيم بعد ذلك احتفال تنصيب المشيخة^(١٦) .

لم كان المولوية مستمسكين بحالت أفندى إلى هذا الحد ؟ ودونكم طائفة من الوقائع والأحداث نعتقد أنها تجيب عن هذا السؤال : لقد اضطلع حالت أفندى بدور فى تعمير وإصلاح التكيى المولوية فى ينى قابى إبان عصر السلطان محمد الثانى ١٨١٥ = ١٨١٦ م ، وعندما شرع فى ذلك الإصلاح والتعمير الذى أنفقت الدولة عليه

٣٣٤٧٥ قرشا ، ما لبث أن ظهر حجر قد ربط بحبل خارج المبنى القديم ، فأمسك
حالت أفندى وفى معيته أمين المدينة بطرف الحبل ووضع الحجر فى موضعه ، فدعا
الشيخ لهما وقرأ لهما الفاتحة ، ثم شرع فى الصلاة والدعاء ، وبهذه الصورة ثم
وضع الأساس لهذا الاحتفال^(١٧) .

وهذه الواقعة تنهض دليلا وبرهانا على ما اضطلع به حالت أفندى بتعمير
وإصلاح تكية المولوية فى غلطة ، وفى سنة ١٨٢٠ م أعاد حالت أفندى تشييد مقبرة
رسوخى المصنوعة من الخشب وجعل رأسها من المرمر المصمت غير المجوف .

ثم أقدم بعد ذلك على تشييد سبيل ونبع ماء فى الجزء الذى يطل على التكية ،
وتشيد فوقها مكتبة ثم اشترى القهوة المطلة على الشارع وهدمها وأعد لنفسه لحدا
فيها . أبدى حالت أفندى همة عالية وعزيمة قوية فى سبيل تعمير وإصلاح يشيل قبة
(القبة الخضراء) الموجودة فى قونية^(١٨) .

وكان حالت أفندى فى أثناء هذه الإنجازات جميعها يقدم الأعطيات والنذور إلى
المولوية وتكايها واستطاع نفوذه فى نفس الوقت أن يجعل المولوية طريقة ذات شوكة
قوية ومنعة وشدة بأس ، ويتجلى من هذه النظرة أن استمسك المولوية به كان أمرا
موضوعا فى نصابه جيدا ، ولكن لماذا كان حالت أفندى يحب مولانا جلال الدين
الرومى حبا جما ؟ ولماذا كان يستمسك بالمولوية ؟ يرجع السبب فى هذا إلى أنه كان
لا يتردد فى سفك الدماء ولا يعف قط عن أعدائه ، يتمتع بشخصية تتصف بالصلف
والأنانية ولاغرور ، يكاد يشعل الدنيا نارا فى سبيل منفعته وزيادا عن مصلحته ، إنه
رجل حقوق مروع مفزع ، وإذا ما رأينا إنسانا بهذا القدر من الارتباط الوثيق بالمولوية ،
معتمدا على أسس ومبادئ إنسانية وغير إنسانية ، ألفيناه على الفور غير مختار ومن
ثم نضطر إلى مخاطبة رأسه المقطوع ووجهه الأرجوانى بهذا البيت الذى يقول :

كسوز لسن ، بى بدل س ، طرز وطورك هب مسلمدر

نه جاره بى وفاسين ، آه انسانيك يوقدر

والمعنى :

أنت جميل لا ند لك ولا نظير ، والكل يسلم بسلوكك وخصالك

ولكن ما السبيل وأنت بغير وفاء ولا إنسانية ؟

وعندما تبحث فى هذا الخطاب فإنه يرد على عقل الإنسان مولوية السلطان سليم الثالث ، إذ كان استمساك هذا السلطان بالمولوية ضرورة حتمية لمواجهة طائفة الانكشارية بسبب النظام الجديد ويرد على البال كذلك انتهاج السلطان محمد الثانى نفس السبيل الذى اتبعه أبوه سليم الثالث ، ويتجلى أيضا أن هذا هو أحد الأسباب المتمثل فى الارتباط الوثيق بحالت أفندى ، ولربما كان أهم هذه الأسباب طرا .

اضطلع على نطقى دده باستجلاء ما للمولوية من فضل فى إظهار الشعر الديوانى فى الأدب والذى انفصم عن الشعب ، وكذلك إدخال الموسيقى الشرقية الكلاسيكية فى الموسيقى ، ناهيك عن اهتمام المولوية كذلك بالذوق المستنير فى الفن والأدب كليهما .

وبخلاصة القول أن المولوية كانت تحمل التبعة المنوطة بها بالنسبة للطبقة العالية ، وها نحن أولاء نكتب عن طائفة من أولئك المنتسبين إلى المولوية فى مكتبة نظيف باشا :

« جاء بعد ذلك بوستانجى باشا فى سنة ١٢٠٣ هـ = ١٧٨٨ م - والذى أصبح وزيرا فيما بعد - كما وجد كذلك فرها داغا المتوفى فى أوائل عام ١٠١٣ هـ = ١٧٩٨ م ، وظهر من الشعراء كل من خيرت أفندى وحالت أفندى » ويوجد كذلك كتاب دفتر الدراويش الذى يخص سيدنا ناصر عبد الباقي دده (ت ١٨٢١ م) والذى ورد ذكره عند رسوخى ببقيرة . وهذا الكتاب يجلى لنا الكثير فى هذا السبيل .

وها هم أولاء الذين لبسوا قلنسوة اللباد إبان عصر كل من عبد الرحيم دده (ت ١٨٣١ م) وعثمان صلاح الدين دده ، ومما ورد ذكره كذلك أسماء كل من :

(خسكى مصطفى آغا أوغلو حسين ، والتزامجى اسماعيل آغا أوغلو يان يالى محمد شريف أفندى ، وصالح أفندى أوغلو أحد أتباع حالت أفندى وزوجة سعيد

أفندى مرتب التقويم والمحاسب الأول فى قلم مخزن الذخيرة ، وإبراهيم أدهم ابن محمد أفندى أحد كتاب مستخلف منجم باشى فى طوب قابى وأحد أتباع الطريقتين الرفاعية والسعدية ، ومن الزعماء : يانلى سيد يوسف ، وحسين ابن بواب « صماتية » ، ويد ستان دللالى عثمان أوغلو محمد توفيق ابن حضرة سيد أفندى ناظر دار الذخيرة ومستودع البرود ، وأحمد رفعت بن سليم آغا أحد أتباع حاجى صائب أفندى دار المدفعية ، وجميل بك بن رضا أفندى ، ورضا بك محمود محمد توفيق ، ومحمد صالح محمود جلال الدين بن سليم آغا أحد أتباع حاجى صائب أفندى ناظر دار المدفعية ، وصلاح الدين بك مخدوم ، وحضرة زيور أفندى مدير الخزانة العامة ، وسيد محمد صادق بن حاجى سيد عمر آغا رئيس خزانة ملابس سعيد أفندى ناظر الأوقاف وخديجة توفيق كريمة مصطفى عاكف أحد خلفاء مكتوبى دفترى ، وأربا أمين زاده أحمد نظيف أفندى ، وعالى بن محمد سعيد أفندى كاتب وكيل السلطان فى آغا قابى وحسين أحد كتاب ديوان القلم ، وهاجكان بن معزول نمان أفندى رئيس قلم المحاسبة ومحمد رشيد من خلفاء مكتوبى ، وحسن فهم أحد كتاب ديوان القلم ، وخوجة كاندان أحمد ، وسماعى محمد أفندى كاتب ديوان قبودان باشا ، ومحمد آغا ضباط النظام فى القصر السلطانى ، ومحمد آغا أحد ضباط الداخلية ، وكيرلى سيد عبد الرحمن آغا أحد خدام الدائرة السنوية السلطانية ، ومحمد أفندى أحد كتاب الانكشارية ، ومحمد عزيز أفندى من الكتاب ، وأساد أفندى كاتب الترسانة البحرية ، وإبراهيم نظيف آغا معاون رئيس القلم ، وأبوبكر باشا والى « أغربوز » وراتب أبوبكر ابن زاده عزت شفيق نائلى باشا ، كل هؤلاء جميعا كانوا من المولوية .

لابسو القلنسوة :

وهم « راجى أفندى من الكتاب ، ومن رجالات الدولة : حاجى أفندى وكيل حاجى صائب أفندى ومصطفى آغا طوبجى ، وأمدجى مصطفى آغا ، ومؤذن على أفندى ، ومحمد راسخ بك ، وعمر أفندى وهما من خلفاء رئيس قلم المحاسبة ، ودرى بك صهرحمام زاده إسماعيل دده المشهور باسم باسته كار بيوك دده ومحمد بك من

جند الفرسان ، وعبد الحميد أفندى ابن شقيق كرسى زاده درويش نوري ، وصالح أفندى بن عمر أفندى كاتب دار الأسلحة والذخائر ، وعبد الحميد أفندى إمام جامع أورطة ، وحسن أفندى ناظر الصرافة في الجمر الكبير بإستانبول ، وفي طوب قابى نجد كلا من :

أحمد باشا خيامى وسليمان أفندى قوزات ومحمد نافع بن كريم زاده شاکر أفندى شيخ آيا صوفيه ومصطفى باشالى سيد أحمد آغا ، ومحمد سكينز أفندى ابن أحمد أفندى ، وآت كاتبى ابن خواجه كان ، ومن الزعماء : كوتاهية لى خليل آغا وياغليقجى سيد أمين آغا ، وياغليقجى سيد أحمد آغا وخواجه كاندان سليمان ابن مصطفى باشا الوالى الأسبق لولاية مادين ، ومن المدرسين : عالى أشرف أفندى ابن ابنة محيى زاده أفندى من الموالى ، محمد أمين أفندى المدرس بمدرسة الهندسة البحرية ، ونای زن صالح أفندى من كتاب قلم الاستقبال ، وعثمان أفندى من كتاب قلم مرتب التقويم ، ونجم الدين عالى أفندى بن عبد الحليم أفندى كريم زاده أحد خلفاء قلم الاستقبال الذى أصبح فيما بعد من تلامذة القلم المذكور .

وقد ورد فى دورية أسرار دده المسجلة تحت رقم ٦٧٦٥ فى قسم المخطوطات التركية بجامعة إستانبول أن روحى دده هو الذى خلف الشيخ غالب ، ثم يدون أسماء لابسى قلنسوة اللباد إبان عصره على النحو الآتى :

« إبراهيم آغا اوغلو رئيس طهارة القهوة لأم السلطان ، ورشيد أفندى أوغلو كاتب أخشاب الترسانة البحرية وقاسم باشالى محمد عارف أحد حراس فرقة الانكشارية بمصنع المدافع ، وروحى كريا سلطان بن بايزيد كريا سلطان ، وطاهر آغا وكيل نوتية اسكودار ، وخوجة السيد عبد الرحمن أفندى والمهندس درويش أبوبكر ، والحلاق أحمد آغا ، وطوبجى قهوجى خليل باشا ، وقاسم باشالى مهندس سيد اسماعيل ، ومصطفى أفندى باشا من خلفاء الانكشارية فى سوق يوم السبت ، وأمين أفندى من قوزات ، وحسين إبراهيم أفندى كاتب الترسانة البحرية ، ومحمد آغا باشا وكيل مصنع الأسلحة ، وجمالى زاده سيد عبد الباقي ملى من كتاب القصر السلطانى ، وإبراهيم أفندى رئيس طهارة القهوة لأم السلطان ، وعثمان آغا المتعهد

بدخان سفير الدولة العثمانية فى فرنسا حالت أفندى وعبد الرحمن خيرى أفندى من خلفاء قلم وكيل السلطان ، ومحمد آغا أحد الذين يجهزون أمور السفر للدائرة السنية السلطانية ، وكاهية زاده محمد أمين آغا ، ومحمد أمين آغا من أتباع إبراهيم أفندى وكيل الصد الأعظم ، ومصطفى نجيب ابن مصطفى آغا آزاده محمد بك الرئيس الأسبق للحرس السلطاني ، وعارف آغا أحد كبراء تجهيز السفر للدائرة السنية السلطانية ، ومحمد عارف آغا أحد أشرف غلطة سراى ، وسماعى مصطفى أفندى أمين الختم والكاتب الخصوصى ، وعبد اللطيف خزينة دارى عارف أفندى رئيس الحرس السلطاني الخاص ، وعيسى بايزيد مصطفى بك ناظر البوغاز ، وخالد آغا أحد أتباع حالت أفندى ، ومحمد نورى آغا معاون الختم والكاتب الخصوصى لحالت أفندى ، وبه عمر آغا أحد أتباع حالت أفندى ، وشكرى آغا مدخن حالت أفندى وحافظ نعمت أفندى أمين الختم والكاتب الخصوصى لحالت أفندى ، ومحمد عارف بك من الفرقة الخاصة المسلحة (٤٢ ، ٤٣) .

ومن لابسى قلنسوة المولوية كذلك:

« سيد يحيى أفندى أحد كتاب المحاسبة للحرمين الشريفين وابن أخت قريمى أنور بك ، والسيد عبد الرحمن أفندى القره مانى الأصلى الأسكودارى ، والمرحوم مصطفى يابى زاده محمد سليم بك أمين دار سك العملة ، ومصطفى أفندى الإمام الدينى للرئيس حالت أفندى ، ورئيس الكتاب محمد سعيد أفندى (لابس قلنسوة التبرك فى ١٥ رجب سنة ١٢٢٢ هـ = ١٨٠٧ م) .

ويوجد ضمن هذه الأسماء التى اقتبسناها من هذا الجزء طائفة أخرى من الأطفال الذين بوركوا بلبس قلنسوة اللباد مدة يوم أو شهر بمجرد ولادتهم ، وماذاك إلا لأن آبائهم كانوا من المنتسبين إلى المولوية ، بيد أن الأمر الجاذب للنظر والمسترعى للانتباه هو ما يأتى :

إننا ندرك من خلال هذه الأسماء أن المحبين للمولوية والمنتسبين إليها كانوا من الطوائف الآتية :

النساء وكتبة الديوان والموظفين الرسميين والولاة ، وأشخاص من سراة القوم ووجهائهم وذوى المناصب الرفيعة ، والأمراء وأبنائهم ، وثمة صنف آخر من الأتباع

وهم رجال من الذين اتبعوا سبيل أسيادهم وأمرائهم حتى بلغ هذا الحب الإمام الخاص لحالت أفندى ، أما المنتسبون إلى الطبقة الشعبية بين هؤلاء جميعا فكانوا شديدي الذیوع والانتشار .

ولقد ورد فى كتاب ضيا بك « تكية المولوية فى ينى قابى » باب بأسماء الدراويش المنتسبين إلى المرحوم الشيخ عثمان أفندى ، وها نحن أولاء ندون أسماء من وردت أسماؤهم فى هذا القسم :

« السيدة أمنية وبهية هانم زوج المرحوم الصدر الأعظم الأسبق كجى زاده فؤاد باشا ، من خدامها الكرام كل من : ناظم وكاظم وهما من الأمراء ، ومن أحفادها حكمت ورشاد بك ، ومنهم كذلك عروس الصدر الأعظم المشار إليه ، ونعمت هانم أفندى وهى من نساء المرحوم نظام بك ، والصدر الأعظم الأسبق على باشا ، وكذلك صاحب ملا بك أفندى الذى كان يتبواً مقام المشيخة ثم رحل فى النهاية إلى دار البقاء ، ومنهم الشيخ المرحوم اسحق أفندى وهو من فحول علماء الإسلام والمرحوم زيور باشا شيخ الحرم النبوى الشريف والمرحوم على باشا زاده صلاح الدين بك وحرمة سعادات هانم ، وكنعان بك الذى توفى فى مجلس رئاسة الكتاب ، وعلى شفيق بك والد زهدى بك الذى كان يعمل فى رئاسة ديوان المحاسبة ، وعارف باشا والد والدة زهدى بك المشار إليه أنفاً والناظر الأسبق للقصر السلطانى ، وأبوه ممتاز أفندى ، وحفظى باشا من المولوية العارفين العاملين فى النيابة الشرعية للسلطان ، وحقى باشا الرئيس السابق لدائرة البوليس ، ممدوحة هانم وكريمة مدحت باشا (١٩) .

وكل هؤلاء أسياد وأمراء وسيدات عريقات الأنساب ، وفى مقابل هذا يوجد كذلك المنتسبون إلى عائلة المولوية وغالب دده مثل : همامى إسماعيل دده ، وكذلك العشاق الحقيقيون المنتسبون والمقبلون على مرحلة المعاناة والنصب فى صومعة التصوف ، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر :

دونسىز محمد قونيوى ، ودرويش أبو بكر قونيوى ، وإسماعيل درويش على دونسىز وأخوه درويش إسماعيل ، قيصرلى درويش حسن ، درويش مصطفى الإستانبولى ، وعثمان آغا ، واسكى زاغزالى سيد عمر ، الحوذى سيد عمر ،

والحوذى سيد محمد أغاقرة حصار درويش أحمد ، وأدره متلى سيد محمد ، وهم أشخاص منتسبون إلى طبقة الشعب ، ولم يكونوا من ذوى الأصالة والنجابة وكرم الأرومة وعراقة النسب ^(٢٠) . ولا حق لنا أن نسيء الظن بأى إنسان ألبتة ، ومن ثم فإننا نضطر إلى الجهر بهذا القول لأننا لم نشاهد هذه الطريقة من الخارج ، بل خبرناها وأحطنا بأحوالها من الداخل ، فهؤلاء بحسب التعبير المولوى قد ارتبطوا ارتباطا وثيقا العرى بطقوس وشعائر المولوية ، وهذا يعنى أنهم طائفة من أولئك الدراويش الذين زجوا بأنفسهم فى صومعة التعبد لقضاء أربعين يوما من الترهين والعزلة ، وقبلوا طائعين عشق مولانا وواظبوا عليه بغض النظر عن الطبقة التى ينتمون إليها ، وعلى سبيل المثال فإن الماء الذى كان يفيض ويستفاد منه حتى تل « قاريغدى » أصبح يفيض كذلك إلى المنازل المجاورة حتى لاتنفصم عن التكية المولوية ، وهناك بناء واحد اليوم للتكية البهارية ، وكان بهاء الدين أفندى (ت ١٩٣٧ م) هو آخر شيخ فى هذه التكية ويقيم فى جناح الرجال (السلاملق) ، ثم سلم التكية بعد ذلك إلى زوجته ، وكانت تنام وتصحو هاهنا ، وتتمرن على السماع فى معيتى مع مرور الأيام ، ثم جاء فى عقبى المرحوم على دده الجريتلى الذى خرج إلى السماع ، وكان متعذرا عليه البحث عن لهفة المنفعة ، ولكن بعض الشيوخ قد ولجوا هذا الطريق لأنهم عجزوا عن أن يزحزحوا عن كاهلهم عبء الحياة ثقيل الوطء ، ولا سبيل إلى إنكار هذا ألبتة .

وكان بين هؤلاء من تمرن على الناي وطقوس المولوية وشعائرها ، ثم ما لبث أن سار قدما فى هذا الطريق وحقق انتشارا وذويع صيت .

ومنهم من حاز قصب السبق بعلمه وثقافته وعرفانه الصوفى وانشغاله بالمشئوى ثم أصبحوا فى النهاية شيوخا على التكية ، ومنهم كذلك الذين هاجروا بأرواحهم فى لجة أعراف وتقاليد التعليم الدينى ، وظلوا كذلك حتى نهاية أعمارهم دون أن يكتبوا شيئا عن نظام الطريقة ومنهجها .

وفى الحق فإن الشاعر « شيخى » (ت ١٤٢٢ - ١٤٢٣ م) سار على نفس الدرب ونسج على المنوال حيث انخرط فى سلك طقوس الطريقة وشعائرها منتسبا إلى مولانا ، وله فى مدحه شعر يستهله بمصراع فارسى يقول فيه :

مسا هست نمیدانم خورشید روها ت بأنه
بو آیریلق اودکسه جانم يتججه بريانه

والمعنى :

أوجهك قمر أم شمس لست أدري ؟

كم احتسرت رقت روحى بنار الهـجـران

وذات يوم غضب أحد دراويش ينى قابى على شيخ آخر ، وقال له لقد بلغ بك
الجهل حدا بعيدا لأنك لم تظن إلى معنى « أنا لا أدري أهو قمر » ثم تفرق بالشيخ
الذى خاطبه بهذه القالة ، ثم قال أنا لا أعلم ما يقوله الصوفية الصادقون ، فالمخالفة
كائنة لى ، فلهم عجل بهذا القول إلى الشيخ فقير .

حينئذ فسر له الشيخ المعنى المراد وقال له : إن « ما » بمعنى نحن (Biz)
وهست بمعنى Varmiyiz أى تكون ، ونميدانم بمعنى أنا لا أعلم ثم أسرع الشيخ بعد
ذلك وذهب باكيا إلى شقيق الشيخ جلال أفندى قائلا له : يا سيدى : لقد كنت على
باب مولانا حقبة طويلة من الزمان ولم أحط بالفيوضات ولما سأل كمال أفندى شقيق
الشيخ وعلم سبب حزنه وتأثره قال له : إن الصوفية قد أحسوا بالمعنى الذى عرضه
عليهم الشيخ الآخر ، وأنت لست المعنى بهذا أما هو فلم يتسن له تلقى الفيوضات
وأنت لست وحيدا فلا تعباً ولا تهتم .

لقد حققت المولوية كثيرا من الامتيازات تتجلى فى اهتمامها بالطبقة العالية حيث
كثرت الأوقاف وعظم قدرها ، وزادت محتويات التكية وما تشتمل عليه من أثاث وغيره ،
وعمرت التكايا التى أصابها اليباب والخراب وأخنى عليها الدهر ، وأعيد كذلك تشييد
ما أصابه الحرق والهدم .

أما فقراء المولوية المقيمون فى التكايا المولوية فقد آلت إليهم تركات أولئك الموتى
الذين لم يتركوا من خلفهم وريثا شرعيا ، ولما ظهرت طائفة ممن لا يراعون هذا
الضرب من التعامل والسلوك صدر أمر بخصوص عدم المساس بهذه التكية المتباينة
أو إلحاق الضرر بها (أرشيف رئاسة الوزراء - ١٣ رجب سنة ١١٠٧) .

كان سيد عبد القادر دده قيما وأميناً على زاوية المولوية الموجودة في مسجد نسيمة بمدينة حلب وسرعان ما جاز بالشكوى لأن بيت المال وضع يده على تركة أحد دراويش المولوية بعد موته وبناء عليه أمر الأمير سالف الذكر في سنة ١٧٠٥ بآلا تمس التركات التي من خلفهم دراويش المولوية ممن لا ورثة لهم ، ولا يلحق بها ضرر أو أذى (١٠ جمادى الآخرة سنة ١١١٧ هـ دفاتر المالية القديمة - دفتر المهمات ، رقم ٣١٣٧ ، ص : ١٢٦) كما أمر في عام ١٦٦٧ م بعدم جباية رسوم أو ضرائب من الملاحات الثماني بمنطقة « بشن جينار » والتي توجد بها تكية المولوية في سلانيك (٢٢ ، صفر سنة ١٠٨٦ هـ) ، كما كان هذا الأمر يخصص مالا من مقاطعة حلب للإنفاق على التكية المولوية في منطقة « عنتاب » وكان هذا في عام ١٦٢٦ م (باب دفتر - سجل الخلاصة ، ١٠٤٢ ، رقم ٢١٠) ، ولما اعتلى السلطان سليم الثالث سرير العرش أمر بفرض قيود على من يمدون أيديهم إلى وصايا الوقف الذي يخص المشيخة وزوايا وتكايا المولوية والذين يناهضون النظام القديم ويقاومونه كما أمر كذلك بتجديد حقوق الامتيازات المملوكة لهؤلاء إذا كانت تخصهم وذلك وفق ما هو وارد في رسائل المشيخة (دورية أسرارده) . وجدير بالذكر أن كل الشلبيين كانوا يستثنون من الخدمة العسكرية كما كان يحدث منذ زمن قديم ، وبناء عليه فإن عبد الواحد جلبى قد أخبر سنة ١٨٧٨ م رئاسة قلم الكتبة عن طريق البرق بما يأتى : (على كل المستضعفين والمديونين من سلالة مولانا ذكورا وإناثا أن يسرعوا من فورهم سويا إلى مقبرة الشيخ ونحن موجودون في المواظبات الدائمة وهذه دعوة مفروضة بطول العمر لحضرة الشوكة ومسند الخلافة ونرفع هذه الدعوة إلى عتبة الخالق الوهاب) . (أوراق يلديز - المعروضات الخاصة - قسم لم يوضع له رقم بعد) .

وكان رئيس العسكر ضيا باشا ضد السؤال عن عدم إعفاء سلالة عبد القادر جيلانى من الجندية من ثم فقد كان عبد الواحد جلبى يخبر عن طريق الحاشية السلطانية بأن هذا الإعفاء يخص أولاد مولانا لأول مرة وذلك اعتبارا من يوم ١٩ مارس لسنة ١٢٨٧ هـ . (٢٩ ذى القعدة لسنة ١٣٠٩ هـ - يلديز أوراقى - بدون رقم) وفضلا عن كل هذا فإن الأعطيات السلطانية ونذور الأغنياء لم يصبها نقص ألبتة .

وعلى سبيل المثال : فقد جاءت إلى ناصر عبد الباقي دده عطية سلطانية قيمتها ألف قرش وذلك فى عام ١٨٠٠ م = ٢٩ ربيع الآخر لسنة ١٢١٥ هـ (نظيف باشا دفتر الدراويش ١٨) .

وفى عام ١٨٠٠ م استقبل كل من صاحب الطريقة محمد دده فى معيته الدراويش إسماعيل همامى بيوك دده فى القصر السلطانى ، ومنح كليهما مائة وثلاثين قرشا (نظيف باشا - دفتر الدراويش ، ١٨) .

وفى نفس العام قدم السلطان إحسانا قدره تسعمائة قرش إلى شيخ أماسية بغية إصلاح وتعمير التكية (نفس الورقة) ، وقد قدم شيخ « ارمناك » عريضة حال من أجل تعمير بيته وحظى بدوره بعطية سلطانية (نفس الورقة) ، واضطلع السلطان سليم الثالث بتعمير تكية بشكتاش وأتت حجرات محلة الشيخ باثنى عشر مقعدا ، وفى اليوم الخامس من هذه المقابلة تفضل السلطان بالإنعام على شيخ التكية المولوية بإستانبول وعلى الشيوخ الأربعة المسافرين ومنح كل واحد منهم خمسين قرشا كما أنعم على شيخ بشكتاش بفراء (Ace) . وفى سنة ١٨١٠ م ذهب السلطان محمود الثانى إلى التكية المولوية فى غلطة وشعيرة الف والدوران ، ثم منح الشيخ قميصا من صوف الغنم وأنعم عليه بالعطايا والإحسان ، ناهيك عن الهبات والصدقات التى تفضل بها على الدراويش الآخرين الذين كانوا فى معية شيوخ المولوية .

وفى سنة ١٨٥٨ م أمر السلطان عبد المجيد بمنح الشيخ على رضا دده شيخ التكية المولوية فى قاسم باشا عطية سلطانية بناء على استرحامه واستعطافه (أرشيف رئاسة الوزراء - الأوامر - الإدارة الداخلية - ٢٩ شوال رقم ١٢٧٤ وفى نفس العام خصص السلطان عبد المجيد شيخ نظيف دده شيخ تكية بشكتاش راتبا قدره ألفان وخمسمائة قرش (٢٦ رمضان ١٢٧٤ ، الإدارة الداخلية رقم ٢٦٥٩٣) .

هذا ونستطيع العثور على أمثلة كثيرة حتى حقبة متأخرة من الزمان ، وتتصل جميعها بمختلف ضروب هذه الاستثناءات والأعطيات و الهبات ووجود الإحسان ، وعلى سبيل المثال فإن أرباب الطريقة عامة والمولوية منهم خاصة كانوا إبان زمن الاتحاديين لا يدفعون قيمة عبور الكبارى الجسور ماداموا يتزبون بزي الدراويش .

ولا نعتقد أن أمرا رسميا قد صدر في هذا الخصوص بيد أنه كان على كل حال ضربا من التعامل يتم بناء على أمر شفهي ، أما موظفو الكوبرى من قادة الجنيب^(٢١) فإنهم يركضون في إثر من لم يؤدوا حق جواز الكوبرى من غير المولوية الذين لا يأخذون منهم مالا ، بل يسلمون عليهم .

لا جرم أن المولوية كانت تحصل الأوقاف ووجوها الإحسان والأعطيات والهبات والامتيازات التي تضطلع الطبقة السامية الرفيعة بتكاليفها ، أما من انفصموا عن الشعب فقد انحسر انتشارهم وذيوع صيتهم بسبب هذا الانفصام ، ومن ثم فقد انطفأت جذوة نشاطهم وفترت قوتهم وبدعوا يشعرون بالوهن وخوار القوة والتفسخ والتفكك والتفرق ، وباتوا عباديد أباديد في الأرض ، وتسبب هذا الاجتياح المالى فى غلق كثير من التكايا ، وبات من المتعذر الاضطلاع بشعيرة الف والدوران وتنشئة المريدين وتربيتهم لأن وجود منشد السماع قد بات قادرا عزيز المنال ، ولعدم وجود منشد الطقوس الدينية وضارب الطلبة وعازف الناي فى تكايا المولوية الكائنة فى الأقاليم والمقاطعات . والسماع والضرب على الطلبة فقط ، فإن هؤلاء كانوا قادرين على الاضطلاع بشعيرة الف والدوران بطريقة أو بأخرى .

خلاصة القول أن المولوية أصبحت طريقة مصطبغة بالصبغة الأسرية الخالصة فعرفها وتقليدها لا يأتیان من البيت بل من الأسرة ، ناهيك عن أنه كان لا يجوز انتساب شخص من عائلة ما دون أن يكون مولويا .

وكما هاجرت طائفة الأقدمين المستنيرة والمستجدين فى معية الأغنياء ، فإن المولوية تكون حينئذ قد ألفت بنفسها فى لجة الحياة مولية وجهها شطر الغرب بفكر ورأى جديدين ، وشرعت كذلك فى الانفصام عن هذه الطائفة والتنائى عنها وسرعان ما دُفنت فى باطن ذاتها رويداً رويداً ، وهكذا فإن إلغاء الطرق الصوفية وغلق التكايا قد تم إبان عصر المولوية ، وكانت هذه هى النتيجة الطبيعية التى واجهت هذه المؤسسة التى آلت إلى حال تعقب سيرها الطبيعى وأثر فى بيناتها . وإن القانون الذى صدر بإرادة الأمة لم يكن إلا بداية النهاية التى صدرت تلقائيا من ذات نفسها .

ما الذى حدث بسبب الوقف ؟

لم تكن مؤسسة الوقف هى المؤسسة الوحيدة فقط التى يملكها الإسلام ، بل كانت الأعمال الخيرية ذات الفائدة الجمة فى أصل نشأتها تستفيد من أن تكون موجودة فى حالة دائبة عامة متحررة من أصفاد الزمان ومن قيود الفردية المطلقة بيد أن هذا الأساس الجميل لم يعد يحظى بالتفكير وإمعان النظر مع مرور الزمان ، ونجم عن هذا أن بات الوقف بمثابة وسيلة يُتوسل بها إلى تهريب المال من الدولة بصفة منصفة عادلة ، ولم يتعرض الوقف للمصادرة كآته لا قبل له بالدخول فى دائرة حق المطالبة المالية ، فإذا ما اقتضى حق المطالبة فإن طلب المال يكون حينئذ إما من أشخاص الدولة المعروفين بوفرة المال والثراء العريض ، وإما ممن يعتقد أنهم أغنياء .

بيد أن المصادرة كانت شيئاً مروعا مفزعاً ، يتعرض الوزير أو الوجهة لغضب السلطان ويخنق بعد ذلك بإشارة سلطانية ، ونقطع رأسه وتوضع على حجر العظة والاعتبار ، ولا ينتهى الأمر عند هذا الحد فحسب بل أنه يُستنطق فى حال حياته ، ويعترف عن طريق التعذيب بسائر الأموال الظاهرة التى قد تكون مدفونة فى موضع ما ، وإذا وجدت بعد موته أشياء منقولة وغير منقولة فإن البقية الباقية من السلب والنهب تتول إلى الدولة . أما المذنب المرتكب للجريرة فإن يقاسى صنوف العذاب حتى يشفى على الموت ، ثم ينقذ ويخلص ولكنه يلقى الجزاء الأوفى ، إن هؤلاء هم البقية المتخلفة ، إنهم يساقون إلى الشوارع أيديهم فى خواصرهم دون مال أو مأوى ، فلا وطناً ولا عشاً يؤويهم ، ولا يأمن أحد منهم على غده ، هذا شئ حسن ، ولكن ماذا عساه يصنع ؟ كيف يتوجب عليه أن يؤمن وسيلة التعيش لعائلته ؟ لا حاجة لأدنى تفكير ألبتة .

إن الوقف يجد الوسيلة الناجعة « فشرط الوقف كالنص الشرعى » ، وهذا يعنى أن شرط وأضع الشرط يشبه فيما يشبه الأمر الإلهى للنبي ، فهو باسم الله ولا سبيل إلى تغييره أو تبديله ألبتة ، ولا قبل لأى شخص أن يمسه بضر أو أذى ، ويشيد بمال الوقف المدرسة والتكية والمسجد والأسيلة .

وتوقف عليه الحوانيت والحدائق والبساتين والمزارع بغية حفظ وصيانة مصارفه ووجوه إنفاقه ، وعلى كل حال فإنه يتم كتابة شرط ضرورى هو صك انتمان لهذا الوقف الموضوع . يكون أمين الوقف هو المتعهد به حتى الممات وبعد الوفاة تتول هذه الأمانة إلى أكبر الأبناء وأرشداهم عقلا وتكون من ناحية الرجال ، ثم تستمر على هذا المنوال ، فإذا لم يبق من سلالة الرجال ولد ذكر تتول الأمانة إلى جهة الإناث من الكبرى إلى الصغرى ، حتى إذا لم يبق من جنس الإناث واحدة ألت فى بعض الأحيان إلى العبد المعتق المحرر ، وتظل تنقل من الكبير إلى الكبير فى الأولاد الجوارى .

ولا أعلم كم سهما يخصصها أمين الوقف من الواردات لكل من الإمام والشيخ والخدام ، وكم سهما تقسم على التعمير والإصلاح ، وفى النهاية تمخض عن التفكير وإعمال العقل أن الوقف بهذا القدر من الأسهم ينزل مرة واحدة كل عام ، أو مرات كثيرة عند ختم القرآن على روح فى شهر رمضان . أما البقة الباقية من الأسهم وهى أزيدها طبيعة الحال فإنها تخص أولاد الوقف ، وثمة بقية منها ترد إلى أمين الوقف باعتبارها حق التولية ولا يموت مغموما إذا وافته المنية ، ومن ثم فإنه يترك من خلفه وسيلة تعيش لأولاده ويعمر آخرته .

وطبيعى أننا لا نستطيع تعميم هذا الحكم ، ومما لا مرأ فيه أنه يوجد بين أصحاب الوقف من يضطلعون به بفكرة دينية وإنسانية خالصة ، ولاشك أن أغلبهم يزجون بأنفسهم فى هذا الأمر خشية المصادرة . إن من أهم المحظورات التى نجمت من جراء الوقف هو ظهور طائفة من الطفيليين ، حتى أنه لم يدر بخلد الفكرة الدينية الأخلاقية التى أسست هذه المؤسسة أن يظهر فى يوم من الأيام مثل هذه الزمرة المتطفلة ، ولا جرم أن من يترك عمله وطاقته ويقضى وقته فى الطعام الجاهز والعبادة وهو شىء لا يقبله الإسلام ألبتة ، هذا ما كان يحدث فى كنف الوقف وحمايته ، وثمة إشاعة ذائعة بين ظهرانى المولوية تقول : إن شيوخ المتصوفة كانوا يشتغلون بأمر من الأمور . لا جرم أن أكثر الأشياء التى بين أيدينا والتى وقعها المولوية هى مايتأتى :

العويسيات^(٢٢) التى تحمل قلنسوة المولوية المعمة المنتفخة المنتقشة ، ومقطع الإبراء والخلال^(٢٣) والملاعق والمحسات^(٢٤) ، وأشياء محفورة ومنقوشة وفناجين مصنوعة من الطين وأطباق وفناجين وأوعية وسُبح وأشياء من العاج ، والكتب التى استنسخها المولوية وأشياء أخرى . ينشغل كل شيخ فى حجرته بشىء من شئونه الداخلية الخاصة ، ثم يبيع الأشياء التى يصنعها ويجلب المال إلى التكية ، ثم ينفق هذا المال على الخلائق ، وهذا يعنى أن المولوية يتقوتون ويتعيشون مثلهم فى ذلك مثل إخوانهم من أرباب الفتوة .

أما الوفرة الوافرة من الأوقاف فينتج عليها بعد ذلك معاش أولئك الشيوخ المتطولين الذين لا يضطلعون بعمل أو وظيفة .

ونحن لا نصدق هذا الكلام أو نعول عليه دون قيد أو شرط ، وحتى يثبت لدينا هذا الاعتقاد فإنه يتوجب ألا يكون هناك صاحب لمثل هذه التكايا فى أى حقبة من الزمان ، وعلى سبيل المثال فإن الوقف يبدأ فى قونية بمجرد تأسيس المقبرة ، وقد كتبنا فى السيرة الذاتية لسلطان ولد أنفا أنه اضطر إلى أن يظل فى جدال ونزاع بغية كبح جماح قرية « قره أرسلان » وإعادة الوقف الذى كان موقوفا على ضريح مولانا .

وكانت كل تكية تؤسس بعد ذلك فإنها تؤسس عن طريق الوقف ، وعلى هذا فهذه إشاعة مبالغ فيها ، ونحن على اقتناع تام بأنها ملفقة من أجل حماية الطريقة ضد أولئك الذين يعيشون حالة على نفقة غيرهم إبان تلك العصور المتأخرة من الزمان . ولربما كانت هذه الإشاعة لا أصل لها البتة . وعلى هذا التقرير فإن معيشة هؤلاء الإخوان كانت جارية فى القرى والمقاطعات ولا سيما تلك التى لا وقف لها والتى كان يضطلع خلفاء المولوية بتأسيسها .

وإذا ما انفصلت المولوية عن الشعب فإن مصير هذه التكايا يتول إلى شيئين اثنين ، فهى إما أن تغلق وأما أن ترتبط بالوقف ، أما الأشياء التى يضطلع بها المولوية فتأتى على ضربين اثنين : إما أن تكون محصلة صفاء وسرور يملأ الشيوخ

بها أوقات فراغهم بصورة مباشرة ، وإما أن تكون بمثابة مشغلة للمولوية ومحبيهم الذين لا يقيمون فى التكية .

ويذكر شيخ غالب دده فى كتابه « الصحبة الصفية » ليس صحيحا أن تكون معيشة الشيوخ الذين لا يقيمون فى التكية من مال الوقف ، ويتوجب القول أن هؤلاء كانوا مشغولين بعمل ما بصفة مطلقة ، يذكر كذلك أن الوقف كان مقصورا فقط على أهل التوكل ، ثم يضيف : إن الشيوخ الذين كانوا يعيشون على التطفل كانوا ظاهرين بجلاء فى التكايا .

إن وجود الوقف قد نجم عنه أنذاك مجال للخلاف والشقاق بصفة دائمة ، وكان من عناصر النزاع والجدال والمشاكسة ، فإذا كان أمين الوقف شيخا فإن له حق التولية فى داخل الأسرة بسبب ادعائه للمشيخة ، أما إذا لم يكن كذلك فإنه يحدث بينه وبين الشيوخ وال دراويش نزاع يدور حول شروط رعاية الوقف وعدم رعايته ، وقد استمر هذا النزاع طوال بضعة قرون ، ولا ضرورة إلى إثبات وتأكيد هذه المنازعات والمناوشات التى حدثت فى كل التكايا ، بيد أننا ذكرنا فى أثناء سردنا للسيرة الذاتية للشلبيين أن فروخ جلى ظل معزولا مدة ثمانية عشر عاما فى أواخر القرن السابع عشر الميلادى ، وكان يوجد كذلك من يرغبون فى تنصيب درويش ليحل محل حسن جلى ، وتحديثنا عن حالة أبى بكر جلى وعن المال المأخوذ من منطقة « صوغله » إبان عصر حليم جلى ، وبقاء هذا المال فى حوزة كل من جلى ورئيس الطهارة ، ولهذا السبب فإن أمين الوقف أصدر أمرا بمصادرة هذا المال وإنفاقه فى محله .

وحدثت تدخل فى شئون الوقف فى عصر « قره بوستان جلى » ، كما وقع حول تبوء مقام المشيخة إبان عصر « صدر الدين جلى » وذلك فى أخريات القرن الثامن عشر الميلادى ، وكلما وقعت واقعة كتبنا ما يتصل بها من قريب أو بعيد ، وحدث نفور بين كل من عبد الحليم جلى والمرحوم ولد جلى ، وانقسم المنتسبون إلى طريقتهما إلى قسمين ، وكان يعتقد بوجود نية حاكمة جازمة خالصة تخص الطريقة الخالصة المحضة ، ناهيك عن وجود فكرة جد صائبة فى هذا السبيل .

لم يكن هذا يحدث فى تكية مولانا ، إذا نظرنا إلى أية تكية مولوية ووجد الوقف ، فإننا سرعان ما نرى هذا النزاع ليس عند المولوية فحسب ، بل ألفيناه موجودا إذا ألقينا نظرة على أى طريقة من الطرق الصوفية الأخرى .

وعلى سبيل المثال فقد حدث تدخل فى شئون وقف تكية أم لسلطان « مؤمنة خاتون » ، وعهد بالحكم فى هذا الأمر إلى رمضان جاويش بغية منع هذا التدخل والحيولة دون حدوثه (بخط الوزير - أرشيف رئاسة الوزراء ، مهمة : ٧٩ ، حكم ١٩٢) ، وأعيد هذا الحكم فى منطقة آميد بديار بكر وأيد بالحكم الذى أصدره رمضان جاويش وجاء على نفس الشاكلة (مهمة ٧٩ ، حكم ١٩٣ - ٢ من شهر ذى الحجة لسنة ١٠٩ هـ) وقد شيد بعض الخلائق حديقة وبستانا فوق مياه مصب النهر المتدفق إلى نفس الزاوية إلى منطقة قره مان ، من ثم نقص الماء ، ويات الناس فى شدة وعنت وضيق ، كان من الطبيعى أن يجأر الناس ذوو الصلة بالتكية بالشكوى ، وبناء عليه عهد بالحكم فى هذا القضية إلى رمضان جاويش من أجل منع هؤلاء الناس (مهمة ٧٩ - حكم ٩١٤) .

شيد جنوبى تكية مولوية على رأس كوبرى دجلة بمدينة بغداد ، بيد أن الناس انتهكوا أرض التكية واعتدوا عليها فصدر حكم لمنع هؤلاء الناس والحيولة دون فعلتهم (مهمة ٧٩ ، حكم ٩٢٩) حتى إنه منع السقائين من المرور والجواز من هذا الكوبرى (٧٩ ، حكم ٩٢٤) ، ونذكر من خلال كتاب « دفتر الدراويش » الذى وضعه رسوخى بيقرة أن أمين تكية المولوية فى ينى قابى كان يعين تارة من الدراويش المقيمين فى التكية وتارة أخرى من الشيوخ ، وأحيانا من الأجانب يعنى من أولئك الذين لا علاقة لهم بالطريقة ، بيد أن الأجانب كانوا يتولون أراضى الشيوخ بصورة مطلقة ، ثم نُقضت هذه القاعدة ، ومن ثم شرع فى تعيين الأمين دون رضا الشيخ ، وتأسيسا على هذا فقد كان سيد ناصر عبد الباقي دده (ت ١٨٢١ م) يريد مراجعة الشيخ فى كل حجه مكتوبة سواء أكان هذا من أجل التولية أم من أجل أخذ المال وتسجيله وكان يقدم عريضة رسمية فى هذا الخصوص ، وكان قبول طلبه يكتب فى فرمان ويقدم له فى الهامش المكتوب فى العريضة الرسمية ، ثم تسجل هذه المواقف

بعد ذلك فى السجل الشرعى لرئيس قاضى عسكر الرومى الذى يتولى نظارة الوقف ، وبعد أن يكتب عبد الباقي دده كل هذه الأشياء يبادر بتسجيل هذه الجملة قائلاً « لقد بونت فى هذا السبيل أسماء بضع مناطق أخرى تأكيداً للاهتمام » ثم يوقع أسفل هذه السطور (٣٠ ط) .

وقد ورد فى دفتر الدراويش سالف الذكر أن المسماة الشريفة رقية ابنة ضياء قد تولت أمانة وقف « يى قابى » ثم ماتت ولم تعقب^(١) ومن ثم أصبح هذا الوقف موقوفاً على ولد من الرقيق المحررين الموقوف ، ويقول رسوخى ببقرة إننى كنت من هؤلاء الرقيق المحررين ، وتذكر من هذا أيضاً صدق الادعاء الذى زعمه حسين بأنه أحد كتاب قلم الديوان ، ولما كان هذا ليس من شروط الوقف فقد وجهت هذه التولية إلى الشيخ عبد الباقي فى سنة ١٨١٤ م الموافق لشهر ذى القعدة لسنة ١٢٢٩ هـ وذلك بناء على عرض من مكى زاده عاصم رئيس قاضى عسكر الروملى (٣٠) .

ونفهم من وثيقة أخرى مدونة فى نفس هذا الدفتر أن أمينة الوقف شريفة رقية والتي تولته فى سنة ١٢٠١ هـ - ١٧٨٦ م قد وافتها المنية فى يوم الثلاثاء الموافق التاسع والعشرين من رمضان لسنة ١٢٢٩ هـ = ١٨١٤ م ، ودفنت فى جبانة التكية ، أما أبوها ضياء الدين فقد تولى أمانة الوقف عن طريق التزييف والتزوير ، وتوفى سنة ١١٦٠ هـ - ١٧٤٧ م .

وهكذا نرى أن التولية لا جرم كانت شيئاً مهماً جالياً للمشقة وصنوف التعب واللغوب ، ودامت على هذا النحو فى كل تكية مولوية وكل وقف على حد سواء .

احتدم النزاع ودب الشقاق بين كل من عبد الحليم جلبى الأخير وولد جلبى اللذين تبوءا مقام الشلبيين ، فعزل أحدهما وعين الآخر ، ومن الثابت المحقق أن الوقف اضطلع بدور كبير فى عزل الأول وتعيين الأقرب إلى شئون الوقف ، وهما هى ذى واحدة من بين تلك الوثائق التى قدمها إلينا صاحب التجارة « رسوخى ببقرة » وهى تميظ اللثام عن هذا بجلاء :

صاحب الحضرة السامية وجناب مسند الرشاد ، هذه هي رغبتنا المعروضة وهي مهمة مرتبة واجبة الوفاء إلى الأمناء الموكول إليهم عهد الأوقاف الجليلة المقرونة بوجوه الصرف والإنفاق والمناقصة لكل ما هو زائد على الإنفاق أو ما وزع منه على حد سواء ، وهو أليق بإجراءات أمور التولية ، ومن المعلوم أن هذا الأمر أكثر لياقة ومطابقة بالذات العالي مسند الرشاد ، أما إذا كان ثمة استرحام واهتمام وتضرع ورجاء وعناية ورعاية إلى هذا الأمر فهذا التزام بعث لا طائل من ورائه .

فوقف الله هو صيانة مقصد خير مرصد ، وذلك في مقابلة هذه المهمة التي تصون الودائع وقد لجأنا في هذا السبيل إلى المرشد القدسي الباهر للمعاونة في رد الحق المغصوب إلى ذي الجلال وإرجاعه إلى أربابه .

وها نحن أولاء نراجع بيان وعرض بعض الحقوق الوقفية التي كانت موجودة على مقربة من ولد جلبى والذي اضطلع بأمور الولاية على أوقاتنا منذ تسع سنوات خلت من الزمان ، وهي كما يأتي :

جقور كوى الواقعة بجوار قرية جوامرا ، ولها اسم آخر هو قرية « فيقرارلر » والتي باتت متراكمة من العشور^(٢٥) الموقوفة ، وهي محفوظة على مقربة من ولد جلبى أفندى والاحتياط موجود بناء على ما يتفق منها على التكية الشريفة وما يتصل بها من أمور خاصة بناء على مشورته ومراجعته ، وهي موجودة بعينها في حفظه وصيانته مدة شهرين اثنين ، ويؤخذ من حصيلتها مقدار ألف ومائتين إلى ألف وثلاثمائة ليرة مدة أربعة وثلاثين عاما ، ويكون هذا المال كافيا من أجل الإنفاق على الطعام المخصص للتكية لمدة عام واحد حتى يحين موعد إدراك المحصول الثانى ،

ثم يودع هذا المال في اليد الأمينة لولد جلبى ، وتوزع ألف وستمائة ليرة على عشرين شخصا بدلا من ثمانى كيلات قمح بمكيال قونية ، ويكون هذا إبان تشكيل وترتيب الحملة على الشام تحت اسم الجهاد الشرعى ، حيث يؤخذ مال نقدى بدلا من ثمانى كيلات قمح بمكيال قونية ، ويكون هذا إبان تشكيل وترتيب الحملة على الشام تحت اسم الجهاد الشرعى ، حيث يؤخذ مال نقدى بدلا من الأغنام ويوزع على الشلبين ويظل في يد الكتمان الشخصى مقدار مائتى ليرة ، وما قيمته ألف وثلاثمائة

وواحد وثلاثين ليرة ، وكذلك صورة الصوف المبين على طعام التكية والجبايات والمصارف العشرية ، وذلك عن طريق مصارف التحويل النقدي والذخائر المتنوعة بناء على دفاتر التشريعات لمدة اثنين وثلاثين أو ثلاثة وثلاثين عاماً ، وكذلك الحسابات التي تخص السنوات المذكورة في صورة الدفاتر الشلبيية المبينة بالمفردات ، أما الوديعة المعروضة على كل حال فإن مجموعها بلغ ثلاثة آلاف ليرة ، ولا يقبل عدم إعادتها ، وتخصص المبالغ المذكورة على طعام التكية وسائر ما يخص التكية الشريفة ، ويعجل باسترداد هذا المبلغ من يد ولد جلبى المشار إليه أنفاً وهل سيأتى هذا المال من ضمن المستخلصات على وجه الخصوص ؟ أم يكون رؤية الحساب وإبداع الأمور لدى الوكلاء الموجودين هناك ؟ وإذا توجب اتخاذ التدابير والاحتياطات الأولية وكذلك السبل والوسائل اللازمة فيكون رأس مالنا الوحيد هو عدم الدخول فى استكمال دائرة الاحتياج قبيل لحظة من أسباب الدعوة الرسمية ، ويكون هذا مقروناً باسم وشهرة عوائل تكية أجداد العظام .

ونحن فى هذا الصدد نقدم بكل اهتمام توسلاتنا إلى المقام العالى صاحب مسند الهداية والإرشاد ، فأننت ولى الأمر وصاحب الفرمان فى هذا السبيل على كل حال ٢١ شوال لسنة ١٣٣٥ هـ .

محمد جلبى زاده الداعى من سلالة مولانا مصطفى بن أحمد (خاتم) ، والداعى محمد جلبى زاده وحاجى حسين جلبى (توقيع) والداعى رشدى أفندى زاده من سلالة مولانا أحمد توفيق (خاتم) وعبد الواحد جلبى أفندى زاده بن مولانا على مرتضى (خاتم) ، والداعى أدهم بن مولانا (خاتم) والداعى حسن جلبى زاده (خاتم يتعذر قرارته) ، والداعى ابن مولانا عبد الرحمن (خاتم) وسرطباخ الداعى ، وجاكر مصطفى نظام الدين (خاتم) وسر طارق الداعى بن مولانا أحمد عادل (خاتم) ، وحاجى نور جلبى زاده الداعى (خاتم يتعذر قراءته) ، والداعى ولد جلبى زاده من سلالة مولانا محمد صلاح الدين (خاتم) والداعى ولد جلبى زاده من سلالة مولانا محمد حسام الدين (خاتم) ، والداعى عثمان جلبى زاده بن مولانا حسن ضيا (خاتم) ، والداعى عابد جلبى زاده بن مولانا محمد بهاء الدين (خاتم) ، والداعى عابد جلبى زاده ، وإبراهيم كامل (خاتم) والداعى محمد (جلى زاده بن)

مولانا محمد عارف (خاتم) والداعى ضيا جلى زاده بن مولانا منير ناظم (خاتم) ،
والداعى رفعت جلى زاده بن مولانا حسين (خاتم) ، والداعى حاجى محيى الدين
جلى زاده بن مولانا قدره الله (خاتم) ، وحاجى محيى الدين جلى زاده بن مولانا
حسين (خاتم يتعذر قراءته) والداعى هدايت جلى زاده حسن حسنى (توقيع)
والداعى رفعت جلى زاده بن مولانا عثمان نورى (خاتم) ، والداعى محمد جلى
زاده بن مولانا محمد فخر الدين (خاتم) ، والداعى المرحوم جلى أفندى زاده (توقيع
يتعذر قراءته) ، والداعى حاجى عزت جلى زاده بن مولانا محمد عزت (خاتم) ،
وصالح أفندى زاده ، وحاجى داور أفندى (توقيع) ، والداعى حاجى محيى الدين
جلى زاده وعثمان نورى (توقيع) ، وصالح أفندى زاده مولانا مصطفى زيور (خاتم)
وقادر جلى زاده بن مولانا عارف (خاتم) .

وكان هذا بناء على تعيين عبد الحليم جلى مرة ثانية فى مقام الشلبيه ، أما
العريضة الموقعة ذات الثلاثة والثلاثين توقيعاً فإنها مبينة بحسب الشروط
المؤسسة والمعتمدة على الشروط الاقتصادية وفى النهاية فإن هذه الشروط
الاقتصادية قد باتت مادة للنزاع والشقاق مما أدى إلى نهاية عاجلة لتلك المؤسسة
المنهارة منقوضة البنيان .

وقد استطاع السلطان محمود الثانى الإطاحة بإدارة الوقف وفرض مراقبة
الدولة على هذه المؤسسة ، وعندما تأسست الدولة العثمانية انقسمت الأوقاف
إلى أقسام ثلاثة فى دولة آل عثمان : الأوقاف الملحقه والأوقاف المضبوطة
والأوقاف المستثناة :

الأوقاف الملحقه : وكان يضطلع بإدارتها أمناء الوقف والأوصياء عليه .

الأوقاف المضبوطة : وهى الأوقاف التى لا يظل الأمين عليها مرتبطاً بأوقاف
السلطين .

الأوقاف المستثناة : وهى التى كان يضطلع بشئونها الأمناء بصورة مباشرة دون
تدخل من نظارة الوقف (عمر جلى : الرئيس السابق لمحكمة تمييز الحقوق - إتحاف
الإتحاف فى أحكام الأوقاف ، مطبعة إستانبول ١٣٠٧ A - ص ٩ - ١٠) .

أما أوقاف مولانا فقد سميت فيما بعد « الأوقاف الجلالية » ، وكانت هناك ثمانية أنواع من الأوقاف منبثقة من داخل الوقف الملحق ومرتبطة بالأوقاف الجلالية ، وهذه الأوقاف هي :

وقف عبد القادر جيلاني ، وقف حاجي بكتاش ، وقف حاجي بيرام ووقف غازی أورانوس ووقف مهال بك ، ووقف على بك ، ووقف سليمان بك ، وكانت هذه الأوقاف تخضع لمعاملة استثنائية خاصة بسبب أهميتها وكثرتها ووفرته وراثتها . وكان أمين الوقف يأخذ أعشار ورسوم هذه الأوقاف ، أما إجراءات التخلي عن العمل والانتقال فتكون بإذن من أمين الوقف ووصيه ، كما يضطلع أمناء الوقف بمنح سندات وصكوك الإنفاق . وكثرت الأوقاف بعد ذلك وازدادت وفرتها ، وسرعان ما تناقضت في نهاية المطاف شيئا فشيئا ، ثم ألغيت وانمحي أثرها ، وبهذه الصورة تخلصت الأوقاف والموقوفات سويا من أمناء الوقف وأوصيائه (على همت بركي - الأوقاف - إستانبول - مطبعة : أيدنليق ١٩٤٦ م - الطبعة الثانية ، ص ٣٠ - ٣١) .

الهوامش

- (١) هو ابن مخلوط بماء وأشهر مشروب لدى الترك ، ويعرف في التركية باسم « أيران » .
Ayran (المترجم) .
- (٢) تا كاسه دوغ خيش باشد بيشم ١ والله دى انكبوت كس ننديشم
كربه برك مرك مالت كوشه ١ ازادر بابندكى نفروشم
(انظر عبد الباقي جلبنارلى : الرباعيات سنة ١٩٦٤ ، ص ١٤٤) .
- (٣) انظر الطبعة الثانية : خلائق مولانا وخصائصه ، ص ٢١٦ - ٢٢٩
- (٤) التجشؤ : تنفس المعدة عند الامتلاء . وجشأت المعدة وتجشأت تنفست ، والاسم الجشاء ، ممدود على وزن فعال كالعطاس والدوار والبوال ، ويعرف في التركية باسم gegirmek (المترجم) .
- (٥) نفهم من سجلات الأرشيف أن « رسوخى دده » قد أسس في الشهر الأول لسنة ١٦٢٧ هـ زاوية في مقاطعة « عثما بخيق » وأخرى في « جميعى » إحدى قرى المقاطعات ، وعين في وظيفة بعشرين أقة في اليوم يأخذها من الرسوم والمحصولات والحقوق التي تخص الحكومة ، ولكن هذه واقعة متفردة في رأينا ، وربما يوجد أمثال رسوخى من أسس تكية بغية الاستفادة من الوقف (٣ ربيع الأول ١٠٣٦ - ٢٢٣٠ أرشيف رئاسة الوزراء) .
- (٦) أى طلائها بمعدن الرصاص (المترجم) .
- (٧) يعنى مؤلف الكتاب وهو عبد الباقي جلبنارلى ، وكان عمره عشر سنين آنذاك .
- (٨) ج ٤ ، ص ٣٠ ، ٤٠ ، ٤٠٩ ، حديقة الوزراء : إستانبول - مطبعة جريدة الحوادث سنة ١٢٧١ ، ص ٨٨ ، ٨٩ .
- (٩) وللشيخ غالب دده ترجيع بند فى بيت متكرر يقول فيه
مه برج عظمت حام أهل عرفان مهر كردون هميم حضرت بايهان سلطان
والمعنى : هى قمر برج العظمة وحامية أهل العرفان وشمس الفلك إنها بايهان سلطان
(الديوان - بولاق سنة ١٢٥٢ هـ ، ص ٦٥ ، ٦٦) .
والشيخ غالب تركيب بند يبدأ بهذا البيت ، وهو فى هذا التركيب قنوط الأداء ، ونعتقد أنها تصحيح يصوب لنا هذه الرواية ، يقول شيخ غالب (ص ١ - ٧٣) .
أه كيم دوشدى كوكل برشه على جاهه ١ كيم خيا ليله كلور لرن دهشت ميايه
رهنما هر كرمى بيك ألم جان كاهه ١ خارخارغم ايله قالدى ايشم الله
سويليمتر بونه همرازه باخو دهمراها ١ فرصتم يوق كه سوز ديليم أول شاهه

درد وحسنته لر جكيدىمى بن بيلورم ١ يارمه شمعى نه زهر اكديمى من بيلورم
والمعنى أه من ذلك الفؤاد الذى هوى فى عشق هذه السلطانة عالية الجاه ١ ومن ذا الذى يخطر بخياله
رعشة القمر المدهش العجيب .

كرمها دليل ومرشد لعذابات الروح ١ وبات شغلى الشاغل هو شوك الهم يا الله
هو سر لا يتفوه به لحافظ السر ورفيق الطريق ١ لم تسنح الفرصة لى حتى أبوح بكلامى إلى هذه
السلطانة

أنا أعلم ما أتكبد من شوق وعذاب ١ وأعلم الآن أى سم زرعت له حبیبى
(١٠) هو أحد الأقسام الأربعة للموسيقى الصوتية المستخدمة فى طقوس وشعائر المولوية .
(١١) تاريخ جودت : إستانبول - المطبعة العثمانية سنة ١٣٠٩ هـ - ج ١١ ، ص ٤٠ - ٤١ .
(١٢) نفس المصدر ، ص ١٧٤ ، وتوجد معلومات جيدة عند « جودت » تفيد أيضا إفادة عن المصادر
الأخرى فى شأن « حالت أفندى » ج ١١ ، ص ٧ - ٢٦ وما بعدها ، ص ١٣٥ - ٢٠٤ ، ج ١٢ ، ص ٥٤ - ٦٠ .
(١٣) السندل هو نوع رقيق من الحرير .

(١٤) على نطقى دده : دفتر الدراويش - مكتبة السليمانية ، نظيف باشا ، رقم ١١٩٤ - ١٥٠ B .
(١٥) انظر ما ورد عند رسوخى ببقرة بخصوص على نطقى دده ، وكذلك دفتر الدراويش الذى يحتوى
على ملاحظات الشيوخ بعد ذلك ، B ٢٤ .
(١٦) محمد ضيا : تكية المولوية فى بنى قابى ص ٧١ - ٧٢ ، وقد اقتبست المعلومات الموجودة الآن
عند رسوخى ببقرة من كتاب الدراويش .

(١٧) نفس الكتاب ص : ٥٩ .
(١٨) نفس الكتاب ص ٧٦ - ٧٨ .
(١٩) ص : ١٩٢ - ١٩٧ ، وفى الواقع فإننا حذفنا من هم ينحدرون من عائلة الشيخ المولوى .
(٢٠) تم تدوين تواريخ مجيء هؤلاء تحت اسم كل واحد منهم وذلك فى كتاب دفتر الدراويش الذى
كتبه كل من على نطقى وعبد الباقي دده ، ولم يكن تدوين الأسماء بالأمر اليسير كما كتبنا آنفا ، وعلى سبيل
المثال فإن كلمة أوغلو تعنى المخدم ، أما كلمة صغير (كوجوك) التركية فتشير إلى كلمة صغير العربية ،
وخلاصة القول إنه كان هناك رعاية واهتمام بتشريفات ديوان الإنشاء .

(٢١) العويسية : مبرة القلم .
(٢٢) الخلال : العود الذى تظل به الأسنان .
(٢٣) المحسة : هى مشط لشعر الخيل .
(٢٤) مات فلان ولم يعقب : أى لم ينجب أولادا (المترجم) .
(٢٥) هى ضرب من الضرائب والجبايات . (المترجم) .

الفصل الثالث

المولوية فى مضمار الحياة السياسية والاجتماعية

المولوية فى الحياة السياسية - الموكب السلطانى والأساطير المتصلة بالسياسة
عند المولوية - مكانة المرأة عند المولوية - المولوية والديانات الأخرى ولاسيما
النصرانية - آثار المعتقدات القديمة فى المولوية .

المولوية فى الحياة السياسية :

على الرغم أن مولانا كان ذا شخصية شعبية فإنه كان كذلك ذا فكر متقدم
متطور . ومولانا لم يذل أو يخضع لعظيم قط ولا لسلطان ولا لسيد ألبتة ، فقد كان
يرى بعينى رأسه الغلبة المادية للمغول الذين كانوا فى نهاية هجمتهم الشرسة سيلقون
مصيرهم المحتوم لأنهم كانوا أدنى منزلة من الناحيتين المدنية والحضارية ، وكان
مولانا يأمل فى تأسيس حضارة أكثر جودة وتطوراً تتسم بالجدة والطرافة ونبض
الروح والحياة عن طريق العنصر الذى لما يفسد بعد ، ولتحل هذه الحضارة المأمولة
محل الحضارة السلجوقية التى أصابها التقوض والتفسيخ والانحيار .

لهذا السبب كان مولانا جلال الدين يحب المغول ويؤثرهم كما بينا آنفاً ، ناهيك
عن وجود تأثير الشعور الكامن فى هذا العشق ، ولقد اضطلع المغول بتمزيق أوصان
سلطنة الخوارميين الذين أجبروا أباه على الهجرة من بلخ .

لم يكن مولانا مسلما يستحوذ على سائر السلطات والنفوذ القوى الذى يقوض فكر الممثلين الأرثوذكس الذين يطلق عليهم لقب « العلماء الرسميون »^(١) « رسوم علماسى » حتى إنه قد تعذر عليه الحصول على علم يزود عن حياضه بتعصب مذهبى على كل الأحوال ، ومن ثم فإنه كان يشعر عن طريق الزكانة والبصيرة بأنه سوف يتأهب وينهض من فوره بسبب هؤلاء المغول ، وعلى كل حال فقد كان مولانا صاحب رأى ووجهة نظر فى الدنيا والحياة ، معتمدا فى رأيه هذا على أساس تقديس الإنسان والإنسانية على حد سواء ، كان مولانا مرشدا لطريقة تفوق الأديان ويسوق الأفكار الصوفية الجامدة المقولية فى شكل إنسانى تام وصورة واقعية صوفية بحذافيرها .

كما كان يرى أن سيادة واستقلال الفكر الإنسانى الحر الذى يبتغيه لا يتأتى إلا على حساب انهيار وتفويض أركان السلطان والسلطنة شديدة الأسر والبنیان ، ومن ثم فقد كان الأمل يحده ويرaud أحلامه أن يشاهد هذه العاقبة المصيرية المقدورة .

إنها ولا ريب رغبة إنسانية قوية جامحة تتراعى متوهجة لآلاءة فى وضوح وجلاء متمثلة فى الأحداث والوقائع التى كانت إبان حياته وفى طريقة حياته ومعيشته ، وفى أثره الذى خلفه ، وتتجلى كذلك فى أولئك الذين التفوا حوله .

أكانت هذه الرغبة مخططة منظمة محددة الأطر متمثلة فى شخصيته ، إن هذا لشيء عجاب .

« هل نهض من فوره واستنفض عزمته وأحدث كل هذه الضجة الكبرى وأقام الدنيا وأقعدھا من جذوة نار مشتعلة فى كل حذب وصوب ؟ إنه منقذ البحار ومخلصها ، وهو فى نفس الوقت مبدع بحر من موجة واحدة ومنشئ لتلك النار المستعرة ، وطاو للسماء فى يديه وكأنها منديل ، معلق شمسها وكأنها قنديل ، نزع للنزال والعرك وكأنه أسد هصور ، خواض للحرب بنفسه حتى ولم لم يبق فى ساحة الوغى أحد سواه ، إن ما يريده أن يكون معشوقا كتمساح جسور مقدم مثل جهنم » لم يكن مولانا شخصية متواكدة ، بل كان ذا جيلة نشطة فعالة وثابة تؤمن بالإرادة ، ونعتقد أنه لا سبيل إلى أن تصدر عن مولانا عقيدة معظلة قانطة آيسة ، بيد أن عدم إدعائه وتظاهره بنيل رغبته حتى ولو كانت غير منظمة أو مخططة لهو شيء يفسر له لا عليه .

لقد وقع عصيان الهائجين الغاضبين ، بيد أن هذا التمرد لم يفقد أثره بعد ، ومع هذا فإن تمرد (جيمرى Cimri) قد شب من تلقاء نفسه بعد ذلك ، وقبر فى صحيفة التاريخ وطلّى النسيان بعد أن سفك الدماء كالسيل المنهمر ، ثم كانت واقعة انهيار السلاجقة وانتقضاء أجلها ، بيد أن المغول سرعان ما قويت شوكتهم ولم يصيبهم الوهن ، وباتوا فى حالة من القوة المخربة المدمرة ، أما السلاجقة فكانوا يأمنون جانب تحالف هذه القوة الغاشمة عن طريق التنازل الذى كانوا يقدمونه فى مواجهة كل تمرد يفقدهم القدرة على أن يكونوا ألعوبة فى يد المغول .

إن ما أعلنه مولانا هو عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، يقول مولانا « لقد جاء المصطفى ثانية فأمتوا به أجمعين » وهو لم يتدخل فى شىء مريب بسبب هذه الحقيقة التى رآها ، ومن ثم فإنه كافح من أجل رفعة شأن من اجتمعوا حوله وذلك من التاحيتين الفكرية والأخلاقية ، وأصبح بفعاله مثالا للناس يحتذى به ، وبات بمثابة هداية وإرشاد بأقواله التى يتفوه بها .

كان سلطان ولد بن مولانا على غير وثام ووافق مع وجهاء القوم وكبرائهم ، وكان معانقا للناس محتضنا لهم وارتبط فى هذا السبيل ارتباطا وثيقا بالوقف مساعدا له فى نشر أيولوجية الإنسانية لدى الخلائق أجمعين ، بيد أنه امتلك المجتمع وصبغه بالصبغة الصوفية الخالصة ، ورغم أن أولو عارف جلبى لم يكن صاحب طريقة منظمة مثل سلطان ولد ، فإنه زج بنفسه فى شكل صوفى أيولوجى عن طريق رحلاته وسفاراته وثوراته وجيشانه وسورة حمياه ، بيد أنه ما لبث أن أذاع أيولوجيته جيدا دون أن يفقد شخصيته الإنسانية المتسامحة وسرعان ما بدأ هذا الفكر الذائع أن اصطبغ بصبغة المناسك الخالصة ، وإن المراكز التالية له كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بهذا المركز ، وكانت منحصرة فى طائفة بعينها ، لقد شرع هذا الفكر فى الوضوح والجلال وتظاهر بالطقوس والشعائر والنواميس .

كان أمير عابد جلبى هو ممثل المولوية بعد أولو عارف جلبى ، ولم يكن يروقه كثيرا شخصية أولو عارف جلبى التى كانت تتسم بالجدة والصرامة والاستقامة ،

وهذا ما ذكرناه إبان حديثنا عن سيرته الذاتية ، بيد أن هذه الشخصية قد خلفت رد فعل نائية بنفسها عن مركز المولوية ، فلم يمسسها بضر أو أذى .

أما الشليبيون الذين جاءوا بعد ذلك فإنهم ظلوا رازحين تحت تأثير هذا التيار الصوفى بحذافيره ناهيك عن ارتباطهم بالوقف ارتباطا وثيق العرى . وعلى سبيل المثال ، فإن السلطانين مراد الثانى والفتاح كليهما كانا من حكام دولة آل عثمان فى عصورها المبكرة ولم يحفلوا كثيراً بطريقة هؤلاء المولوية ذات القدرة النافذة رغم كلام ثاقب دده فى هذا السبيل . وقد اتبع العثمانيون كذلك أساليب التعذيب والتنكيل بشأن تلك الطرق التى كانت تعتنق المعتقدات المناهضة للأرثوذكسية إبان تمرد بدر الدين ، كما تدخلوا كذلك فى محو سياستهم واستئصال شأفتهم ، بيد أنهم لم يمسوا المولوية بضر أو أذى ، ولكن ظهور مولوية أمثال ديوانه محمد جلبى ويوسف سينه جاك و شاهدى ممن عاشوا بين ظهرانى التيار الشيعى الباطنى ، والذي كان ملتحمًا بالأناضول ومنطقة الروملى على الخصوص ، وهذا يعنى أن طائفة شاهدى كانت تسمى « بالشموس » ورأوا المولوية وآل عثمان عندما بدءوا فى احتضان الشعب ومعانقته .

وفى تلك الأزمنة كان العلوية والبكتاشية يضطلعون بالدعاية للصفويين فى الأناضول والروملى ويعرفون التبعية الشرعية للملك الإيرانى ، ويرسلون إليه النذور والقرايين ، ويقدمون له يد العون والمساعدة ، ويعلنون التمرد والعصيان على اسمه كلما وانتهم الفرصة السانحة لذلك ، فإذا ما هزموا هزيمة نكراء أسرعوا من فورهم هاربين إلى إيران ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

هذا ورغم أن العلويين لم يتصلوا بالبكتاشية الذين استقر بهم المقام فى المقاطعات والمدن ، فإن سياسة التنكيل وتعقب أثرهم التى اتسمت بالشدة والصرامة قد بدأت منذ عصر السلطان سليم الأول (ياوز) .

أما القلندرية فكانت فى معية طائفة الحروفية التى اطردها انتشارها وذيوعها بمرور الزمان ، ومن ثم فإنهما قد جذبتا الانتباه بسبب معتقداتهما الدينية وأفعالهم المناهضة للشريعة ، وزجوا بأنفسهم فى سياسة التنكيل والتعذيب التى شملتهم

جميعاً^(٢) . وفي القرن السادس عشر الميلادي أسس حمزية (الملامية البيرامية) منظمة تشريعية تعيش مثل أهل الفتوة والآخيان وتتفياً الهيمنة والتحكم وفرض السطوة ، وشرعوا في تطبيق سياسة القضاء على من يؤيدونهم في حقوقهم المشروعة^(٣) . وفي ذلك الإبان انبثق في الوجود قسم من المولوية يسمى شعبة « شمس » تواءمت مع الشعب والتحمت به وظهرت كذلك قرى المولوية ، ولم تسامح المدرسة الدينية هذه الزمرة المولوية المغالية المتجاوزة لحدودها فقد كان هؤلاء أيضاً ذوي نزعات وميول علوية ومعتقدات باطنية ، وكانوا في الأعم الأغلب ينحدرون من البكتاشية ويأثفون معهم ويرعون اعتقادات الحروفية ويحتفلون بها أيما احتفال .

بيد أن الزمرة كانت تشبه العلويين فلم يجعلوا من إيران كعبتهم التي يولون وجوههم شطرها ومن ثم فإنها لم تزج بنفسها في أي صنيع قط يستهدف استجماع القوة وفرض النفوذ ، ولهذا السبب كان النضج والتكوين الصوفي للمولوية وأشد وأقوى مما هو عند العلويين ، حتى أن المميزات والسمات السنية لأرباب المعتقدات الباطنية كانت تتجلى في المظهر والهيئة ، وفي النهاية كان هنالك وجود لزمرة أخرى سنية زاهدة ولا جرم أنها كانت ثاوية مستقرة في باطن المولوية ذاتها ، بيد أن هذه الطائفة الثانية كانت ذات مقدرة فائقة لا تبارى . وكان للحكومة تدخل جلى في النزاعات الداخلية التي تنشأ بين أرباب هذه الطريقة وما يتصل بها من أمور الوقف والتعمير والإصلاح والإنشاءات ووجوه الخير والإحسان والهبات والأعطيات ، ثم تشكلت المولوية التي كانت بمثابة أيولوجية صوفية للطبقة العالية الرفيعة بيد أنها كانت كما قلنا أنفاً تمثيلاً للذوق الإنساني المتسم بالسماحة ، ثم ما لبثت هذه الطريقة أن انسحبت من الشعب تدريجياً .

ظلت المولوية مضطلة بدور إيجابي دائم في الحياة السياسية ويتجلى هذا في مناصرتها لتمرّد الأفخّاد الذي شب في قونية إبان القرن السابع عشر الميلادي ، بيد أن هذا التمرّد برمته كان حركة عصيان محلية إقليمية ومن ثم فلم يكن يصطبغ بالصيغة الشعبية الخالصة . وكان أباطة محمد باشا حاكماً على أروم ، ولم يكن يشتكى من متاعب الناس ولا من ظلم رجالات الدولة ولا من خراب الدولة وانهارها ،

ولا من شدة وطأة الضرائب ، كما لم يزعم أنه يمتلك القدرة التي تجعله ممثلاً للأيدلوجية الدينية ، وكان تأثير أباطة شديد السرعة فدمر الانكشارية ولا سيما بعد موت السلطان عثمان الثانى ، وكان الفرسان فى إستانبول ثم تبعهم الانكشارية بعد زمن يسير ، ثم اضطلع كلاهما بقتل قتلة السلطان عثمان الثانى ، ورفع الطلاب الدينيون والشيوخ المعلمون راية للتمرد والعصيان .

وخلاصة القول أنه أصبح أناس من الانكشارية مناصرين ومؤيدين لأباطة وذلك لأسباب متباينة وكان الشيخ أباطة الذى سبق ذكر اسمه يقول للباشا مثيراً حفيظته أنت موظف من الله لتحطيم الإنكشارية .

هكذا كان جلبى ضالعا فى هذا العصيان ومعه زمرة من المولوية الموجودين فى قونية وقد سيقوا جميعا ناحية أباطة .

ولكن هذه الواقعة المتفردة قد هدأت وسكنت وانمحي أثرها بعد أن أصبح أباطة حاكما عاما على أرض الروم للمرة الثانية .

حيث عفا عن المغلوبين وصفح عنهم^(٤) . لم يضطلع المولوية - بداءة من عصر السلطان مراد الرابع وحتى عصر السلطان سليم الثالث - بدور إيجابى أو سلبى مهم يذكر لهم فى مضمار الحياة السياسية سواء أولئك الذين تبوعوا منهم مقام الشلبيه أو غيرهم من شيوخ المولوية الآخرين . وقد شرحنا آنفاً أن محمد أمين كان فى معية مفتى قونية إبان عصر السلطان سليم الثالث ، وكانا بمثابة ممثل للقديم والتخلف والتقهر إلى الوراء ، ويعارضون النظام الجديد ويناهضونه ، واستمر هذا العناد بضع سنين ، بيد أن السلطان سليماً الثالث قد تولدت فى قلبه مشاعر عشق تجاه المولوية من ناحية وتجاه غالب دده الذى كان فى حقيقة الأمر ممثلاً للحدائث والتجديد فى مضمار الأدب التركى الديوانى من ناحية أخرى ، ناهيك عن أنه لم ينجم عن أى ضرب من التنكيل وذلك بسبب نزعتة التى تتفق مع ذات نفسه .

لقد هدأت هذه الواقعة وخمدت نيرانها دون أن تخلق تيارا معاديا للمولوية وأربابها ، وفى الحق فإن التكوين المولوى للسلطان سليم الثالث وعشقه للمولوية

وخطب ودهم كان بمثابة حركة فى مواجهة الإنكشارية الذين يعرفهم حاجى بكتاش ، كما أن السلطان محموداً الثانى قد مضى بدوره قدما فى نفس هذه السبيل ، ولهذا السبب فإن « حالت أفندى » وكيل السلطان قد انخرط هو الآخر فى سلك المولوية إبان اعتمادها على الإنكشارية ، ومن ثم بات سائر أكابر القوم ووجهائهم محبين للمولوية . كانت العاقبة الوخيمة التى حلت بحالت أفندى سببا فى التدابير التى اتخذت ضد هذه الطريقة رغم حبه للمولوية واستمساكه بأهدابها .

ولقد قدم السلطان محمود الثانى إلى تكية المولوية فى معية الأميرين عبد المجيد وعبد العزيز كليهما فى طقس جليدى عاصف ، وذلك إبان كان عثمان صلاح الدين دده يتبوأ مقام المشيخة المولوية فى تكية ينى قابى وخرج بنفسه لاستقبال عثمان دده على باب التكية ، وقال : سيدى الشيخ : ها هم أولاء أبنائى وهو يشير إليهم ويعرضهم عليه ، لقد شوقتنا إليك فى هذا الطقس ، ولو كان أناس غيركم لما استطاعوا المجيء إلى ، ولم ينس عبد المجيد هذه القالة ، وانقضت اللحظة واستدار الزمان .

وفى عصر السلطان عبد المجيد قدم بنفسه إلى التكية فى طقس جليدى عاصف كما حدث تماما إبان عصر أبيه ، واستقبل الشيخ بنفسه ، وقال : كيف شيخ أفندى ، وقال السلطان لولا هؤلاء لما استطعنا المجيء (تكية المولوية فى ينى قابى ، ص ١٨١ - ١٨٢) .

كانت السياسة التى اندفع بها السلطان محمود الثانى تجاه البكتاشية تتطابق مع العلاقة القلبية نحوهم ، وقد حدث هذا بسبب وجود طائفة البكتاشية وفرقهم وألويتهم وشيوخهم . وقد بدأت هذه الحركة ضد البكتاشية قبيل « الواقعة الخيرية » أى قبل القضاء على الإنكشارية واستئصال شأفتها ، وقد تدخل حيدر بابا القادم من إيران فى الأحداث المتصلة بكل من السلطان سليم الثالث ومصطفى باشا (عالمدار) ، ثم ذهب ثانياً إلى إيران وأقام فى مأوى الجند الخاص بالفرقة العسكرية التاسعة والتسعين ، ثم نفى بعد عزل قائد الإنكشارية اسماعيل فى سنة ١٨٢٢ م حتى قضى نحبه عند وصوله إلى مدينة بولو Bolu (٥) .

كانت المولوية لا تضطلع بدور سلبي في جهود الإصلاحات والتنظيمات ، واستمسكت كذلك بحكومة قوية في مواجهة البكتاشية ، أما المهمة الإيجابية الفعالة التي اضطلعوا بها فتتجلى في خلع السلطان مراد الخامس من على سرير العرش واعتلاء عبد الحميد إياه ، وثمة رواية منسوبة إلى عثمان صلاح الدين دده شيخ تكية يني قابي تقول فحواها :

إن أول اجتماع لمدحت باشا قد تمخض عنه قرار بالإتيان بعبد الحميد إلى عرش السلطنة والذي اضطلع بدوره بتشديد قصر متاخم للتكية الكائنة على مقربة من قصر الشيخ عثمان صلاح الدين ، وكان داماد محمود باشا ومدحت باشا كلاهما قد أصدرتا من قبل هذا القرار إبان مقابلة تمت في التكية المولوية الكائنة في يني قابي ، وبعد ذلك قدم عثمان أفندي بدعوة من عبد الحميد إلى مقر ولي العهد في قصر بشكتاش والتقى هناك بالأمير ، وتم في هذه المقابلة أول لقاء بين عبد الحميد ومدحت باشا في القصر الذي يقع بين منطقة حاجي عثمان باير وطريق « مُصْلَق » خلف منطقة « بيوك دره » المطلة على البسفور .

وكان عثمان أفندي موجوداً في هذا اللقاء حيث وعد عبد الحميد مدحت باشا بأنه سوف يعلن الدستور ، حتى أن هذه الرواية تفيد بأن مدحت باشا قد أخذ من عبد الحميد وثيقة تتصل بهذا الموضوع . وكان عثمان أفندي موجوداً كذلك في أثناء مراسم احتفال ارتقاء عبد الحميد سدة العرش حيث حظى بعطف وحب شديدين من السلطان .

ولم تكن قد وصلت إلى القصر بعد فتوى تتعلق بإقصاء السلطان مراد الخامس عن العرش مما أربك شيخ الإسلام فانزعج انزعاجاً شديداً ، وحينئذ قال عثمان دده : أليس إجماع الأمة واتفاق أكابر أهل الحل والعقد ممن يمثلون المسلمين بمثابة الفتوى ؟ ثم بويع عبد الحميد بناء على هذه القالة دون انتظار للفتوى . ويروى كذلك أنه بعد سماعه هذه الكلمة انحنى من فوره مقبلاً جبهة عثمان صلاح الدين دده ، وكانت عاقبة هذا أن اضطلع عبد الحميد بتغيير رأى القصر تجاه تكية المولوية في يني قابي وما يتصل كذلك بسائر المولوية أجمعين .

كان عثمان دده متعهدا بتدريس المثنوى فى القصر ، ولم يُشَقُوا عليه بسبب شيخوخته وبلوغه أرذل العمر وثم فإنه أبعد عن القصر طائعا ، وقبع فى التكية منشغلا بالأوراد والأذكار . ولم يستطع الاستبداد إبان زمن ولده جلال الدين دده (١٩٠٨) تغليب تكية بنى قابى ، بيد أنها كانت مكانا معرضا للتخويف والترهيب موضوعا بصفة دائمة تحت المراقبة .

لم يكن لإدارة عبد الحميد الحق فى إجراء التفتيش والتحرى إلا بعد أن تصل سيارات النسوة اللائى ينشدن المولد النبوى فى زواج عبد الباقي بن عثمان دده ، ولقد صدر قرار من سلطنة عبد الحميد بتوجيه من شيخ هذه التكية ، كما كان ولى العهد محمد رشاد أفندى منتسبا كذلك إلى عثمان صلاح الدين دده .

هذا وثمة أصل ثابت للروايات التى تمت بصلة إلى العلاقة التى كانت بين كل من جلال الدين أفندى وجماعة تركيا الفتاة^(٦) الموجودة فى باريس ، وفى النهاية تبوأ عبد الواحد جلبى مقام الشلبية وكان أبيقوريا^(٧) معتنقا للمذهب الملامى ، كما كان يأمل فى التعجيل بإحداث ثورة نشاط قوى فعال يكون ذا نزوع قوى نحو البكتاشية والشيعية^(٨) .

وكان ثمة مولوية من أمثال عبد الحليم ممدوح (ت ١٩١٥ م) ، والدكتور إبراهيم أدهم الذى أصدر صحيفة « خدمت » فى إزمير ، وكذلك توفيق نوزاده رئيس تحرير هذه الصحيفة (ت ١٩٢٥ م) ،

وطوقادى زاده شكيب (ت ١٩٣٢ م) ، ونورى دده المولى الإزميرى اللذين كانا من بين أولئك الذين اقتحموا لجة النضال من أجل الحرية^(٩) . وكان إعلان الحرية واعتلاء المولى محمد رشاد (محمد الخامس ت ١٩١٨ م) سدة العرش بمثابة حدث ميمون الطالع من أجل المولوية .

وقد احترقت تكية بنى قابى أول الأمر إبان عصر هذا السلطان ، ثم ما لبثت أن شيدت من جديد تكايا المولوية فى بهارية ، وعُمرت كذلك سائر التكايا الأخرى ، كما اضطلع لواء المولوية بدور مهم تحت قيادة المرحوم ولد جلبى تلبية للدعوة إلى الجهاد

المقدس إبان الحرب العالمية الأولى ، كما كان المرحوم ولد جلبى عضوا عن قونية فى أول برلمان لمجلس الأمة التركى ، كما شغل كذلك عضوية البرلمان عن ولايتى « يوزجات وقسطمونى » بضع سنين .

بيد أن كل هؤلاء جميعا كانوا بمنأى عن تأمين عمر جديد لمؤسسة أذنت شمسها بالمغيب وباتت على شفا الرحيل والزوال ، وكانت هذه الأحداث والوقائع عابرة مؤقتة تابعة لصروف الدهر والحدثان ، إنه ولا ريب قديمٌ عتيق مقوض الأركان محطم البنيان أثر الاستمساك بأهذاب المدرسة والعلم ، ومن ثم فقد عجز عن الوقوف على قدميه فى طريق الفلسفة وإدراك الشعور بالسعادة فى الحضرة الإلهية والذوق الصوفى .

لا جرم أن المولوية كانت شعبية طائفية ، بيد أنها باتت أثرا من الماضى بسبب أفعالها الأبيقورية المتعصبة ولباسها وموسيقاها وتكايها وأعرافها وتقاليدها وعاداتها ، لقد كان مولانا حائزا قصب السبق بفلسفته الشعبية والإنسانية ، مرهف الحس رقيق الشعور بنظرته إلى الدنيا التى هى فى نظره فوق الأديان .

كان دائما يحيا حياة جديدة بأشعاره ، ويعيش فى الدنيا بنموذج هذه الحياة فى كل لحظة وأن يستغرق فى حالة يغشاه فيها الجيشان وسورة الحميا ، فهو متجدد على الدوام يستمد حيويته من ينبوع الطاقة المتجددة من الشعر والنشوة المفرطة والذوق الصوفى والانجذاب العاطفى ، إنه يكابد كل هذا فى سبيل بنى البشر والإنسانية جمعاء .

إن المولوية من هذه النظرة قد كلفت التاريخ كثيرا .

بيد أن كل إنسان وكل زمان لا يتأتى له أن يضع أطرا وحدودا للمولوية عن طريق حدود التاريخ والمكان .

الموكب السلطانى والأساطير المتصلة بالسياسة عند المولوية :

سرعان ما تسنمت المولوية الدرجة العليا فى مضمار الحياة السياسية إبان عصر السلطان سليم الثالث ، وما أن حدث هذا حتى ظهرت بعض الأساطير التى

لا تعتمد على أساس قط ، ويعوزها التوثيق فى كل موضع من مواضعها ،
ونستطيع أن نرتب هذه الطائفة من الأساطير على النحو الآتى :

١ - اغتاز مولانا واشتد حنقه لما قام به ركن الدين قليج أرسلان من تنصيب
شخص يدعى « بابا مرندى » ليتبوأ مقام المشيخة ، مما جعل مولانا يترك القصر
ويخرج منه ، وفى تلك الآونة قدم عثمان الأول إلى القصر وما إن رأى مولانا حتى
انخرط فى التضرع والتوسل والرجاء ، وسر مولانا لهذا الصنيع ، وحل السيف
المربوط حول خصر عثمان ثم ربطه مرة ثانية وأردف قائلاً : لقد أخذنا السلطنة من
السلاجقة وأعطيناها لك ولسلالتك .

٢ - تبوأ مولانا منصب السلطنة فى قونية فى أعقاب انهيار السلطنة السلجوقية
وتقويض أركانها ثم قدم السلطنة بعد ذلك إلى عثمان .

٣ - طوق سلطان ولد بن مولانا السيف حول خصر عثمان أما الأسطورة الأولى
فإنها تضاف إلى الواقعة المسجلة عند أفلاكي^(١٠) .

تقول الأسطورة الثانية أن مخلص باشا اعتلى عرش السلطة فى قره مان مدة
سنة أشهر ، ثم شرع بعد ذلك فى الانتقام من أولئك الذين كسروا شوكة الشيوخ .
وتوجد فى الشقائق^(١١) رواية غير موثقة تدور حول تولى مخلص باشا عن السلطنة
تاركاً إياها إلى نور الدين صوفى أحد صوفية بابا إلياس .

أما الأسطورة الثالثة فقد نشأت من فساد الأسطورة الأولى ، كما أن حكاية لف
السيف وتمنطقه تنسب إلى واحد من البكتاشية وهو حاجى بكتاش ، وهذا ما سوف
نراه فيما بعد ، وعلى كل حال فإن هذه الأسطورة قد تمخضت عن ذلك الادعاء
الغريب الذى نشأ بدوره فى هذه التواريخ عينها .

ينتسب مولانا جلال الدين الرومى من جهة الأم إلى سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم ، ومن جهة الأب إلى الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه ،

وفى الوقت نفسه فإن سلالة مولانا جلال الدين ذات علاقة وثيقة العرى بسلالة
الخوارزميين وهم أصحاب السلطنة والوارث الحقيقى لها . أما آل عثمان فقد تبوعوا

عرش السلطنة عن طريق الوصاية على عرش الشلبين حتى أن جلبى عندما كان يأتى إلى إستانبول فإنه يتوجب إقامته فى اسكودار ، لأن السلطان إذا مر من اسكودار إلى إستانبول أصبح لزاما عليه مبايعة جلبى وتسليمه سلطنة مقام الشلبية^(١٢) .

وكان جلبى يقول بوجوب انتقال السلطان إلى إستانبول وحدث هذا بداءة من عصر السلطانين سليم الثالث ومحمود الثانى كليهما ، وسرعان ما بدعوا بعد ذلك يتحدثون عن حق جلبى فى تطويق السيف حول خصر السلاطين ، وكان هناك اقتناع تام يمثل رأى العام بخصوص ذلك السيف الذى يلفه جلبى حول خصر السلاطين عند ضريح أبى أيوب الأنصارى ، أما جلبى فإنه صاحب ووارث مقام مولانا .

ومن الثابت الذى لا مرأى فيه أن مراسم احتفال تمنطق السيف قد نشأ بتأثير مباشر من أهل الفتوة فالسلطان رجل من فرقة الانكشارية وهو المؤسس الذى يزود عن وجوده بالسيف ، من ثم فإنه يعد منتسبا إلى طائفة سيف الفتوة ، فإذا ما اعتلى سدة العرش فإنه سرعان ما يكتسب صفة التمثيل بموجب مراسم هذا الاحتفال^(١٣) .

ورغم كل هذا فعندما كانت مراسم احتفال اعتلاء العرش شيئا طبيعيا فإن المؤرخين لم يتحدثوا عن هذا الاحتفال فى تواريخ ما بعد القرن السابع عشر الميلادى ، بيد أن السلطان مراد الثانى عندما أخبر بتبوء السلطنة على أماسية واقترب من بورصة ومن فى معيته من الرجال أسرع أمير بخارى صهر بايزيد يلديرى باستقباله مع الشعب خارج المدينة ولف السيف بيده حول خصره^(١٤) .

وإذا كانت ثمة طائفة من القائلين بأن مراسم احتفال تمنطق السيف قد اصطبغ بالصيغة الرسمية بدءاً من هذا التاريخ فإنه يمكن أن يقال على سبيل المثال لا الحصر : إن السلطان مراداً الأول كان رجلاً من رجالات الفتوة كما كان كذلك رئيساً للأخيان ، وإذا ما أمعنا النظر ملياً ألفينا أن لكل من عثمان وأورخان علاقة ثابتة مؤكدة بأهل الفتوة (الأخيان) .

وهب أن هذه المراسم لم تكن رسمية فإنه يمكن القول أنها باقية منذ العصور المبكرة لآل عثمان^(١٥) . هذا وثمة رواية تقول : إن أق شمس الدين لى السيف حول

خسر السلطان محمد الفاتح عند ضريح أبى أيوب الأنصارى ، وباتت هذه الشعيرة بدءاً القرن السابع عشر الميلادى تدون بأسماء هى :

« تقليد السيف ، تمنطق السيف » أو « تقليد السيف أو لف السيف » ، وقد بحثت مسألة لف السيف حول خسر السلاطين فى التواريخ المدونة بسجل الحوادث الحولية المعروف باسم « وقعة نويس » . ولقد تمنطق سليمان الثانى (ت ١١٢٠ هـ = ١٦٩١) بالسيف عند ضريح أبى أيوب الأنصارى (تاريخ راشد إستانبول المطبعة العامة سنة ١٢٨٢ هـ = ج ٢ ص ٢١) .

ويرى « هاسلوق » F.V Hasluck بأن المنطق للسيف يقوم على رعاية شئون الأسىاد ونعنى بهم أولئك الذين ينحدر نسلهم من النبى صلى الله عليه وسلم ، ويعد مدير هؤلاء الأسىاد الأشراف بمثابة نقيب الأشراف (بحوث فى البكتاشية - ترجمة رجب خلوصى ، نشریات : معهد التركیات - إستانبول - مطبعة الدولة ١٩٢٨ م ، ص ١٢٤) .

كما تمنطق السلطان أحمد الثانى (ت ١١٠٦ هـ = ١٦٩٤ م) بالسيف عند ضريح أبى أيوب الأنصارى (وبناء على العرف الحسن السائد فى الدولة ، فلقد قلّد السلطان أحمد الثانى سيف الملك الفاتح للعالم وذلك وسط أصحاب الهمم العالية وبمباشرة نقيب أفندى) (تاريخ راشد : ص ١٦٠) .

وإذا كنا لا نعلم من اضطلع بلف السيف حول خسر السلطان مصطفى الثانى (سلطنته من ١١٠٦ - ١١١٥ هـ = ١٦٩٤ - ١٧٠٣ م) فمما لا شك فيه أن هذا قد تم فى نفس الموضع بناء على هذه العادة المتبعة والعرف السائد .

وقد قلّد السلطان أحمد الثالث السيف كذلك « وذلك بناء على القانون العثمانى القديم وبمباشرة كل من نقيب الأشراف وقائد الانكشارية (نفس المصدر - ج ٣ ، ص : ٨٢) كما تقلده كذلك السلطان محمد الأول بموجب المراسم المقررة وبتوقيع من نقيب الأشراف سيد محمد أفندى » (تاريخ سامى : إستانبول ١١٩٨ هـ ، ص ١١) .

وقلد نقيب الأشراف رضا أفندي السيف للسلطان عثمان الثالث (تاريخ واصف : إستانبول - المطبعة العامرة - ١٢١٩هـ ، ص ٤٣) وقلد شيخ الإسلام للسلطان مصطفى الثالث نفس المصدر ، ج ١ ، ٩٥) .

واضطلع شيخ الإسلام بتقليد السيف للسلطان سليم الثالث الذى كان منتسبا إلى الطريقة المولوية (تاريخ جودت : ج ٤ - الطبعة الثانية ، إستانبول - المطبعة العثمانية ١٣٠٩هـ ، ص ٢٦٥) واضطلع نقيب الأشراف درى زاده عبد الله بتقليد السيف للسلطان محمود الثانى (نفس المصدر ، ج ٨ ، ص ٣٢٩ ، يسجل هاسلوق Hasluck فى كتابه وجود شيخ مولوى فى هذه المراسم (ص ١٢٩) .

وقلد نقيب الأشراف عبد الرحيم السيف للسلطان عبد المجيد (تاريخ لطفى : إستانبول : مطبعة محمود بك ، ١٣٠ هـ ، ج ٦ ، ص ٥١) ، وقام شيخ الإسلام بتقليده للسلطان عبد العزيز (تقويم الوقائع - ١٧ محرم ١٢٧٨هـ = عدد : ٢١٦) ، كما أعلن عن تقليد السلطان مراد الخامس للسيف فى يوم الخميس ٢٣ جمادى الأولى لسنة ١٢٩٣هـ (بصيرت - ٢٠ جمادى الأولى - الاثنين رقم ١٨٣٧) ، بيد أن مراسم الاحتفال لم تتم بسبب مرضه .

واضطلع شيخ الإسلام حسن خير الله بتقليد السيف للسلطان عبد الحميد الثانى فى يوم الخميس الثامن عشر من شعبان لسنة ١٢٩٣هـ (بصيرت : ١٩ شعبان ١٢٩٣هـ - الجمعة رقم (١٩٠٢) ولا تنس فى هذا المقام أن عبد الحليم جلبى قلد السيف للسلطان محمد رشاد (محمد الخامس) عقب إقصاء عبد الحميد عن العرش (مجلة ثروة الفنون - النسخة اليومية ، ٢٧ إبريل - السنة المالية ١٣٢٥هـ ، الاثنين رقم ٢٨٧ ، ص ٢ ، صحيفة المحيط المصور - ٣٠ أبريل لسنة ١٣٢٥هـ - الخميس - ج ٢٢ - رقم ٤ - ٢٦ ، ص ١٠١ ، عدد مزين ومزود بالرسوم التوضيحية ، ٢٢ مايو ١٩٠٩م ، رقم ٣٤٥٦ ، ص ٣٥٣) .

كان السلطان محمد رشاد مولويا ، ومن ثم فقد اضطلع عبد الحليم جلبى بقيادة حركة الجيش الذى أقصى عبد الحليم عن العرش ، وكانت هذه الواقعة سببا دفع الاتحاديين إلى إرسال برقيات لمخاطبة مديرى الولايات وأعضاء البرلمان والأشراف .

والأعيان ، وقد قدمنا صورة من الخطاب السرى الذى كتبه عبد الحليم جلى إلى قيادة القوات التى احتلت إستانبول عقب الحرب الأولى حيث قال فى رسالته إنه يعانى من العنت والضيق بسبب البرقية سالفه الذكر ، وأن الحديث عن هذه البرقية يعتمد على رواية صحيفة ثروة الفنون اليومية الصادر فى إستانبول (١٦ ذى القعدة ١٣٢٥ هـ = رقم ٢٧٧ ، ص ٣) .

ورد فى نسخة أخرى أن جلى قدم إلى مدينة إستانبول بمناسبة موكب تقليد السيف للسلطان محمد رشاد ، واستقبله السلطان عقب مراسم أداء السلطان لصلاة الجمعة ، وتردف الصحيفة قائلة : إن جلى مكث مدة فى إستانبول وعين السلطان له شخصين يقومان على خدمته ويتعهدان برعايته فى جناح خصص له بالقصر السلطانى ، هذا وقد نشرت الصحيفة نص البرقية بهذه المناسبة وها هو ذا نصها :

(إلى قائد جيش الحرية ، وإلى رؤساء مجلس الأعيان والأمة ، وإلى سائر الأعضاء الذين نصرنا الحرية ، وإلى إخوانى مديرى الأقاليم .

إن قوتكم وعدالتكم قد حيرت حضارة الدنيا وأصابتها بالبهر والإعجاب ، فالأمة كلها مسرورة منكم شاكرة مقرة بالجميل لكم جميعا ، لقد بات عبد الحميد يستخدم الدين بصورة غير مشروعة لمساعدة العصابات الخائنة وقطاع الطريق وصار مخالفا للشريعة بغية إعادة الاستبداد ، وحنث فى يمينه وبناء عليه فليس من اللائق أن يحمل سيف النبى صلى الله عليه وسلم ذا الشأن العظيم المودع لديه والمؤتمن عليه وقد اقترحنا نزع سيف العدالة منه وإيداعه فى الأيدى اللائقة به ، وكلنا جميعا فى عونكم ٢٠ أبريل ١٣٢٩ هـ ، الاثنين رقم ٢٨١) .

لقد أفرغ الاتحاديون وسعهم فى سبيل التغلغل والنفوذ إلى كل شخص بغية فرض هيمنتهم وإحكام قبضتهم على شتى العناصر الموجودة فى الأمة ، إذ كانوا يضطلعون بتزيين قبضة معاول^(١٦) ضباط البحرية بقلنسوة معممة ذات اثنتى عشرة قطعة ، ويزورون تكية حاجى بكتاش ويعمدون كذلك إلى اصطناع الدعايات المتصلة بالبكتاشية الذين يعيشون بين ظهرانيتهم والترويج لهذه الطريقة وكأنها ديانة تركية ، وهموا كذلك بالاستمسك باللامية وذلك عن طريق بعض الملامين من أمثال :

بورصة لى طاهر بك (ت ١٩٢٥) الذى كان عضوا فى مجلس الأمة التركى ، وكان هناك شخص يعرفه الشعب ويدعى « ملا خنقار اوغلو » تدور حوله شائعات تتصل باضطلاع به بتقليد السيف حول خصر السلطان وكان الناس يستدعون جلبى المولى إلى إستانبول ليضطلع كذلك بتقليد السيف للسلطان ، وهذا بمثابة إظهار للسياسة التى تعلن الاستمسك بالمولوية بواسطة جلبى الذى كان مناصرا لهؤلاء عن طريق البرقية التى أرسلها . وإذا غضضنا الطرف عن كل هذا فإن جلبى لم يضطلع قط بتطويق السيف للسلطين بما فيهم السلطان محمد رشاد نفسه ، بل كان نقيب الأشراف هو المضطلع بهذه المهمة باعتبارها « سنة حسنة متبعة للدولة » ، وإن اضطلاع نقيب الأشراف السيف هو عرف رسمى مقرر طبقا للقانون العثمانى القديم .

وعلى كل حال فقد كان شيخ الإسلام يحل محل نقيب الأشراف فى تقليد السيف لبعض السلاطين وذلك إما لعذر طارئ أو لرغبة السلطان فى ذلك .

وندرك كذلك من خلال مراسم احتفال تقليد السيف للسلطان أحمد الثالث أن كاد من قائد السلاح وقائد الانكشارية كليهما كانا من بين الأعضاء الطبيعيين الموجودين فى هذا الاحتفال ، فليس من المقبول عدم حضور قائد الانكشارية هذا الاحتفال لأنه يعد من أسلحة السلطان الذى يعتبر هو نفسه منتسبا إلى هذه الفرقة .

وكان السلطان وحيد الدين هو آخر المقلدين بالسيف ، وقد تضايق بسبب البرقية التى أبرق بها عبد الحليم جلبى بمحض إرادته ، ثم قدم وحيد الدين آنذاك إلى إستانبول وقلده الشيخ سنوسى الموجود فى تلك الآونة السيف (صحيفة أقدام - يوم الأحد ٢٥ من ذى القعدة لسنة ١٣٣٦ هـ = ١ سبتمبر ١٩١٨ م) (١٧) .

لا جرم أن المولوية كانوا يعتبرون جلبى هو قلب السلطان المقرب من مركز السلطان ونفوذه وذلك بداية من القرن الثامن عشر الميلادى ، وكان الشليبيون كذلك يصرفون همتهم إلى السلطنة الروحية والمعنوية . وكان الأمير عند آل عثمان الأقدمين يعتلى سدة العرش بعد موت السلطان ومن ثم يصير واليا على ولاية « مانسيه Mani-san ، أما فى عصر الشلبية المتأخرين فكان جلبى يتبوء منصب الشلبية بعد جلبى

الموجود فى هذا المنصب ، كما كان يضطلع كذلك بتعيين شيخ التكية المولوية فى مانسيه Manisa .

وكان لجلبى كذلك شأن عظيم فى مراسم التشريفات الرسمية وفى معية رؤساء العسكر وقد عين ولد جلبى قائدا للواء مجاهدى المولوية الذى تشكل إبان الحرب العالمية الأولى ، وأصبح الشيخ عبد الباقي كذلك وكيلا لقائد هذا اللواء برتبة رائد ، وكان لفنار شادتلو « ، « صاحب الخلق الرشيد »^(١٨) لقباً رسمياً فى المكاتب الرسمية التى ترسل إلى الشلبيين ، وكانت هذه الكلمة تُذكر بولى العهد رشاد أفندى إبان عصر عبد الحميد الثانى ، كما كانت تشكك فى إدارته بسبب حبه الشديد الذى يكتبه للمولوية ، وبناء عليه فقد بدأ التعاطف تجاه الشلبيين يتم باستخدام لقب « فضيلتلو صاحب الفضيلة » .

كما كان الشلبيون ينقشون أسماءهم فوق الأختام مع الشيوخ الآخرين ويكتبون عليها هذه العبارة « تكية مقام المشيخة » ، ومن ثم ألغى الناس اللقب الذى يمنح للسلطان والذى كان يعنى « أنه يجلس فى مقام النبى محمد صلى الله عليه وسلم » ، وبناء عليه فإن الشيوخ والشلبيين غيروا لقب المشيخة إلى لقب « سجادة نشين » أى الزعيم الدينى ، ثم أضيف إلى هذا التركيب كلمة « الداعى » ليطلق على رجال العلم .

مكانة المرأة عند المولوية :

كتبنا أن مولانا رضى بقبول المرأة باعتبارها عنصراً من عناصر المجتمع ، وكان يعارض حجابها واختفائها فقد كان هناك كثير من النسوة المريدات ، كن يذهبن إلى مجالس السماع وينثرن الورود على من يغشون مجالس السماع ، وكان مولانا دائماً يردد فى مثنوية أفكاراً تتصل بعشق المرأة ، وظل طوال عمره يعيش مع امرأة واحدة (مولانا جلال الدين - الطبعة الثالثة ، ص ٢١١ - ٢١٣) .

وقد وردت روايات عند أفلاكي تتحدث عن طائفة من النسوة اللاتي كن مريدات لمولانا ، ومنهن على سبيل المثال : كره خاتون زوج مولانا وابنتا سلطان ولد مطهرة خاتون وشرف خاتون ، ووالدة أولو عارف جلبى وفاطمة خاتون ابنة صلاح الدين زر قسوب ، وملكة خاتون ابنة مولانا ، وملكة خاتون ابنة أولو عارف جلبى وكريمة خاتون ابنة الشيخ محمد خادم .

وقد روى قسم من هذه الروايات بواسطة رواة آخرين ، كما روى قسم آخر دون واسطة ولا سيما ذلك الذى اضطلع أفلاكي بروايته ، وتذكر من هذا أن النسوة اللاتي كن يحبين مولانا كن جميعا من الأسرة المولوية ودائما ما كن يغشين مجالس أكابر المولوية ووجهائهم ويتجاذبن معهم أطراف الحديث .

هذا ويدون أفلاكي فى ختام سلسلة النسب ما يفيد بأنه كان لشرف خاتون ابنة سلطان ولد كثير من المريدين وكانت عارفة خوشلقا القونىوية خليفة للمولوية فى مقاطعة « طوقات » وكان الأكابر وسراة القوم مريدين لها أجمعين . أما أولو عارف جلبى فكان على أسال من مولانا حيث كان يلتقى بالنساء ويتحدث إليهن ويذهب إلى مجالس السماع اللاتي كن يغشينها .

وهكذا نرى أنه ليس ثمة فارق ألبتة بين المرأة والرجل إبان العصور المبكرة للمولوية حتى إن الخلافة قد منحت المرأة ، وبهذه الطريقة كان هناك تجلة وتقدير عظيم لكثير من الرجال المنتسبين إلى المرأة ، وهذا يجلى مساواة المرأة للرجل ، واستمر هذا الوضع حتى القرن السابع عشر الميلادى ومن المعلوم كذلك أن من تدعى « دستينة » حفيدة ديوانه محمد جلبى قد تولت مشيخة تكية قره حصار عقب شاه محمد جلبى بن خضر شاه جلبى ، وكانت هذه المرأة ترتدى الخرقة والقلنسوة كالرجال (السفينة : ج ١ ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣) ثم تبوأ منصب المشيخة فى عقبها كوجوك محمد جلبى الذى ينحدر نسله من سلالة ديوانه محمد جلبى ولما قضى نحبه ظلت المشيخة والخلافة كلتاهما قائمتين فعلا فى ابنته الكبرى « جونش خان » تربية لسالكي الطريقة وهداية لهم (المصدر السابق ، ص ٢٥٣ - ٢٥٥) .

وتفيد الروايات المحلية أن « جونش خان » كانت تنزل السوق لشراء الأشياء الخاصة بالتكية وتحظى بالتوقير من كل من يلقاها ، وفى نفس الوقت كانت القلنسوة

ملفوفة على رأسها والخرقة حول خصرها ، كما كانت تدير شعيرة اللف والدوران
المولوية وتشرف عليها .

ولقد رأينا ضرورة الوقف على الأمدوحة التي تفوه بها شاعر مولوى يدعى
« درويش يقين » وأن التفوه بهذه المدايح المتباينة في حق النساء هو شيء لا يرى قط
إلا في حالات نادرة ، وها هي ذى الأمدوحة :

زهی سعاد السعدود طالع بخت کنش خانى
که ایتدی برتو لطفیله اخوان سناخوانى
زهی شمع شبستان ولايت کیم کرامتله
برایتدی دائرا مآدار بزم هفت اعیانى
زهی نخل تجلی کیم ظهور شعله سرى
سرای وحدت ایتدی خانقاه چهار ارکانى
جوان مردانى اسلافك نه اوله طى وله طوهارى
که عالم کیرد عوتدر سالا بى نعمت خانى
اودور قائم مقامى شمس تیریزى مروت کیم
نثار فرقى خلان ابلدی ابریز اجسانى
عجب می ایتسه شمع جمعیله براوانه خورشیدی
فلک کسرد سر بزمنده برفانوس کسردانى
نیجه وصف ایله سین تاب بشر اول جوهر قدس
که لعل خیرت ایلر فکر شکری اهل عرفانى

الهي كورمه سون كرد كسوف روى اقبالى
فلك لره ملكلر ايله دكتنده عيش دورانى
سرير اوج همت منتقاشمدى يقين اودر
زمين احسن التقويمه ظل فيض يزدانى
والمعنى : (المصدر السابق : ص ٢٥٤)

ياحبذا « جنبش خان » طالع الحظ سعد السعد
تضيىء باللطف مائدة ضياء الاخوان
أنعم بها فهي بالكرم شمس ليل الولاية
تملاً دائماً مجلس الأقاليم السبعة دائراً ما يدور
أنعم بها فهي شجرة التجلى وظهور شعلة الأسرار
كانت قصر الوحدة وصومعة الجهات الأربع
قلو طويت رعاية أسلافك من الشبَاب والرجال
لكنت صلاة مقر النعمة ودعوة لفتح الأكوان
وهي التي حلت محل مروءة شمس تبريزى
وأنت إبريز الإحسان المنثور فوق رؤوس الخلان
أتعجب لو أن فراشة الشمس طافت حول شمع هذه الجماعة
لكنت أنت فانوس الفلك الدوار فى مجلس الصحبة
وصفك كثيرون فأنت نور البشر والجوهر القدسى
وأنت شفة الخير وفكر الشكر لأهل العرفان

إلهى لا تجعل وجه السعادة هذا يلفه فلك الكسوف

ما دامت الملائكة والأفلاك تعيش

وهى الآن يقينا مستكنة فى ذروة الجنان

فى أرض أحسن التقويم وظل فيض الإله

فالبیتان الخامس والسادس من هذه الأمدوحة يصويان الروايات المحلية ، وهذا يبين لنا بجلاء تام أن « جونش خان » كانت تضطلع بإدارة شعيرة اللف والدوران المولوية ، كما كانت « جونش خان الصغرى » ابنة عارف جلبى من بين النسوة اللاتى تبوأن مشيخة التكية المولوية فى قره حصار (ص ٢٥٨) ، وقد اتخذت ثاقب دده ولدا لها وعينته شيخا على كوتاهية وزوجته ابنة أخيها وتدعى (حواء هانم) (ص ٢٦١) ، وكانت الحاجة فاطمة هانم أيضا من أكابر نسوة المولوية وقد أنشدت غزليات صوفية .

ويفهم من محصلة ما سبق أن المرأة إبان العصور المبكرة للمولوية لم يقذف بها قط خارج مجتمع المولوية ولا سيما أن هذه الطريقة أنشأت قرى مولوية وانتشرت وذاع صيتها حتى بلغ القرى ، وما كانت المرأة تحقر أو تزدرى من جانب الرجل .

ونعتقد أن انضمام النسوة إلى مجالس السماع وخاصة فى القرى هو شىء يعتمد على هذه الأدلة والقرائن والبراهين . وقد تعرضت الحرية الممنوحة للمرأة للتهديد بسبب اعتماد المولوية على سلطان الوقف ونفوذه وتحالفها واتفاقها مع المشيخة ، ونزولها من القرى والمقاطعات إلى المدن وميلها الشديد نحو الزمرة المستنيرة من الشعب .

وإذا كنا لم نصادف كذلك خليفة للمولوية من النساء بعد هذا القرن ، فإننا نرى كذلك أن لكل من عارفة خوشلقا وجونش خان الصغرى ذكراً بين ثنايا صحائف كتب المناقب الكبرى . أما المرأة المولوية فى مضمار الحياة فكانت تتفرج على شعيرة اللف والدوران من خلال صندرة الحريم ، كما كن فى أوقات أخرى يشاهدن هذه الشعيرة من جناح النساء الموجود فى التكية ، ومن ثم فلا سبيل إلى إغضاب المرأة فى هذه المجتمعات .

ورغم كل هذا فإن هذه المظاهر من شأنها أن تُطمئن المرأة المولوية ويكفل لها قدرا من الحرية .

كان التكبير يتم دائما على قلنسوة اللباد الخاصة بالنساء ، ويتم منحهن القلنسوة المولوية في بعض الأحيان ، كما كانت المرأة يتسنى لها التمرن على السماع ، وكن أحيانا يمارسن السماع باستخدام الناي والطبلة في المجالس التي لا يغشاها الرجال ويتم هذا من تلقاء أنفسهن أو في حضور طائفة من الشيوخ المسنين ولا جرم أن هذا كان وجها من وجوه الترويح عن النفس وتسليتها اللأى كن يلجأن إليها بغية محو آثام الآلام والعذابات النفسية ، ولا تنس في هذا السياق أنه عندما أسست مراسم الطريقة وباتت صلبة جامدة وتمت صياغتها وتشكيلها لم يكن من الميسور الاعتراف بالمرأة في هذه المراسم أو السماح بقضائها فترة التعبد ، ولم تكن تستطيع كذلك الدخول إلى مضمار الطقوس الدينية الشريفة ، وثمة رواية تناقلتها الألسنة بين ظهرائى المولوية تقول :

إن الشاعرة ليلي (١٨٤٨ م) كانت ترقد ذات يوم عند جبانة تكية المولوية الكائنة في « قوله قابيسى » ، ثم وقفت على باب مطبخ التكية والدمع يتهل من عينها وتقول يا ربى ! لم أبقيت منى هذا القدر الضئيل من قطعة اللحم ؟

المولوية والديانات الأخرى والنصرانية منها على وجه الخصوص :

إن التباين بين الأديان ، ما هو إلا اختلاف بين الناس حول هذه المؤسسة المولوية ، وثمة طائفة من المولوية صنعت لنفسها وسيلة العداوة والبغضاء ، وإذا كانت هذه الزمرة تعيش وتقتات بالمعرفة الدينية فإنها اصطنعت لنفسها وسيلة حياة عن طريق إقامة هذه المراسم والشعائر والطقوس . فكلما تدنى الاختلاف بين الأديان واتجه صوب الشعب فإن التسامح الإنسانى يتضاعف تدريجيا بسبب العشق والاحترام الذى يشعر به هذا الشعب تجاه الصدق والاستقامة على وجه الخصوص .

فليكن المرء مسلما أو نصرانيا ، بيد أنه لا يعيش عن طريق الخوض فى معرفة الفروع الدينية وتفصيلها ، فهو موقن معتقد بأصول العقائد وأساسها ، أو أن الناس

يحسبون أنه يعتقد في ذلك ، ولا يتأتى هذا من دينه بأى وسيلة من الوسائل ،
فالشعب يُسر بقوله « إنه يقول الله » ،

بيد أنه في الوقت نفسه غائص مستغرق في التفصيلات ، ممّا حك مجادل في
المسائل اللفظية ، فإذا ما برز تجاه رجال الدين فإن الخلاف حينئذ لا يبدأ بين دينين
فحسب ، وإنما في الدين ذاته . وعلى سبيل المثال فقد احتدم جدل شديد في مسألة
الوضوء أيكون غسل الذراعين من أعلى إلى أسفل أو من أسفل إلى أعلى .

ومع هذا فإن تنازع الناس حول هذه الطقوس والشعائر ما هو إلا عرف وعادة
متبعة ، إنه إدمان . ومما لا سبيل إلى إنكاره أن الناس يجتمعون سويا ويتفقون معا
من أجل رغباتهم في مرات كثيرة أو يتعشمون في وسيلة تأتي إليهم من القدرة
المتافيزيقية بغية التخلص من العنت و اللغوب ، أما من يبلغون الرفاهية فكلما وجدوا
الفرصة سانحة فإنهم سرعان ما ينضمون إلى بعض الشعائر المحكمة القوية التابعة
لتقليد سائد بغية تأمين آخرتهم .

والتفاف الناس واجتماعهم يكون عادة ما يتمنونه ويرجونه أو دفعا لما عسى أن
يصيبهم بالخوف ، وحينئذ يتعشم الإنسان في وسيلة من القدرة المتافيزيقية يمكن أن
تخلصه مما أصابه ، ولا نلاحظ في الدين فرقا في هذا المضمار ، ولا جرم أن الفطرة
السليمة للناس كما أشرنا إليها أنفا هي التي تتجلى في البحث والتنقيب عن طريق
بغية التوفيق دائما بين وجوه الاختلاف والشقاق .

إن هناك مزارين نصرانيين سجلهما المستشرق هاسلوك Husluck ولهذين
المزارين اتجاهان ، ولا سبيل لنا إلى إنكار دور المسجد والتكية والكنيسة والمعبد
فكلهم منتسبون إلى أصل واحد وحقيقة واحدة .

وتوجد في إستانبول كنيسة « باليقل » وهي ترسل كل عام زيت الزيتون إلى
التكية المولوية في « يني قابي » وتقول إحدى الروايات إن ابنة أحد الرهبان أو إحدى
قربياتها قد برئت من سقمها بترتيل من أحد شيوخ التكية ولا أعلم هل تم هذا بصفة
رسمية أم لا ؟ وقد ظل إرسال زيت الزيتون إلى التكية مستمرا منذ ذلك الوقت .
وعندما تخرج من منطقة « سيركه جي » ^(١٩) متجها صوب السلطان أحمد ^(٢٠) فإنك

تجد نافورة الماء المقدسة عند النصارى موجودة فى الطرف الشمالى قبيل الوصول إلى قصر « آلاى كوشك » كما أن هذا المكان بمثابة موضع للوفاء بالندى عند المسلمين .

وقد احتدم جدل شديد حتى عهد قريبة بين الشيعة الإمامية والمجتهدين ، ورغم ما يذكر من أشياء تناهض الشريعة فى هذا الجدال فإن شعائر وطقوس التعزية المخضبة بالدماء لدى الشيعة كانت تمارس على الدوام فى شهر المحرم ، كما أن النصارى ينضمون كذلك إلى الاجتماع المعروف باسم « دسته » ومعهم اللباس والراية والكفن وأشياء أخرى ، ثم يقدمون النذور كما للملعة والقدح والشاى والسكر والشمع حتى الآن إلى مسجد « سيد أحمد دره سى » الواقع على مقربة من جبانة الشيعة الإمامية فى « اسكودار » ، وليست هذه الشعيرة مما يخص المسلمين فحسب ، بل إن أهل السنة يقدمون النذور كذلك ، ونجد النصارى بين من يقدمون النذور .

وعلى كل حال فهناك من المسلمين من يستعين بالرهبان للتخلص من المرض كما هو الشأن عند النصارى الذين يلجئون إلى شيوخ المسلمين ليتخلصوا من الأسقام التى تصيبهم .

ولا يرد على العقل قط ذلك الرأى الذى يمكن أن يؤلف بين مشاعر الناس ويوحد بين قلوبهم ، فثمة أشخاص يرون أن هذا ضد منفعتهم .

ونحن على يقين بأن هؤلاء وأولئك يمتلكون دينهم ولهم ما يخصهم من المزارات والأضرحة وثمره زمرة من المسلمين ممن يحملون بين جوانحهم ديناً خفياً مستورا ، فالنصارى يحتفلون كثيرا بأشخاص أعزاء لديهم ، والصوفى المسلم يلتقى بالراهب الفلانى متظاهراً بالنصرانية كي يتخلص عن طريق لطف هذا العزيز من حادثة ما ألمت به . إن الذى ينفخ فى كير الاختلاف الدينى والمعارضة الدينية ويحضأ نارها فإياه لا طائل له من وراء ذلك ، وهو فى صنيعه هذا كمن يقف ضد من يحتاج إليه ، إنه إنسان يرى الناس كأنهم ذات نفسه وحقيقة جوهره ، وما يلبث الناس أن يلتفوا حوله فى الحال إنهم زمرة أرفع شأننا من المستثمر المنتفع بالفكرة الإنسانية ، وإذا ما نظر المرء نظرة فاحصة فإنه يؤكد هذه التوليفة المتراكمة بأفعال تعانق الإنسانية وتحتضنها . إن مولانا جلال الدين يرى بعينه الذاهبين إلى طريق الاختلاف الدينى

بيد أنه يقول إنه سوف يتخلص من سائر الأصفاد والأغلال كي يصل فقط إلى الحقيقة المطلقة ، إن مولانا واحد من أرباب الطاقات العظيمة الذي بذل جهده وأفرغ وسعه لتأمين وتأكيد وإثبات الوحدة الإنسانية عن طريق أفكاره المؤتلفة المترابطة التي تفوق الأديان ، ومن ثم فلم يكن المسلمون وحدهم هم الذين التفوا حوله فقط ، بل التف حوله كذلك أرباب الديانات الأخرى . ومما لا مرية فيه أن الروم من أمثال « قالويان Kaloyan » وعين الدولة ، وعلاء الدين سوريانوس « قد تبوءوا منزلة عظيمة الشأن في بيئة جلال الدين الرومي وفي معية المسلمين ، ولم يشعروا أنهم دخلوا في دين يتناقض تماما مع الديانات القديمة ، ومن ثم فإنهم التفوا بذلك البهر والإعجاب وتلك القدرة الفذة والسلطان المهيمن الذي يستهدف الاتحاد ، وما لبث العشق الإنساني أن أنضجهم وأصهرهم في بوتقته وبلغ بهم أسمى درجات الكمال ، وقد تحرر هذا الإنسان من سائر القيود والأصفاد . ومما لا شك فيه أن مولانا عندما كان يتحدث مع الراهب الموجود في دير أفلاطون لم يعرض فكرة التفوق على النصرانية أو الاستعلاء عليها ، ولم يقدم هذا الفكر إلى الراهب . إن مولانا الإنسان قد تصالح وتوافق مع الإنسان الراهب من خلال النظرة الإنسانية المشتركة بينهما . وكان لمولانا في هذا السبيل معرفة وثيقة براهب وجزار أرمني وشباب أرمني خارج من الخمار ، وامتدت هذه المعرفة كذلك لتشمل أولئك النسوة اللاتي يؤمن قوتهن عن طريق البغاء عسى أن يهدين أحداً إلى سواء السبيل ولم يدر بخلده سوى السجود للإنسانية المتمثلة في الإنسان ، فهو يسجد للإنسانية والإنسان المثالي إما متسامحا وإما متناسيا ضعف الإنسان ، ولهذا السبب كانت جنازة مولانا بمثابة تاج الخلائق المنتسبين إلى مختلف المذاهب والديانات وكذلك الحاخامات والرهبان القرويين والمدنيين منهم على حد سواء ، يقول « علم الدين قيصري » « إن كل نبي يحب أمته وكل ولي يحب مريديه ، أما مولانا فكان محبوبا من كل دين ومذهب وسائر الإنسانية جمعاء .

إن أولئك المغفلين بشتى الأغلال والأصفاد الذين لم يتسن لهم الخروج من داخل الدائرة الضيقة ، ما هم إلا زمرة من المساكين الذين أنشئوا ضربا من العداوة والبغضاء ضد من لا يفكرون بمشاعرهم أو يتعصبون لعلومهم ومعارفهم ، إن هؤلاء وأولئك لم يتسن لهم إدراك هذا التفوق والسموق الذي لا تحده حدود »^(٢١) . أما

« هاسلوق Hasluck » فإنه لم يحلل هذه الأشياء كما ينبغي ، إذ زعم أن شمس تبريزي قد تنصر وأصبح يسوعيا ، وابتلع روح القدس داخل تفاحة وهو على فراش الموت ، وهذه روايات سخيفة تثير الضحك والاستهزاء حتى لدى أصحاب القلوب المطهرة من الأدميين ، وثمة روايات أخرى لا تعتمد على أى توثيق أو سند تاريخي قط ، وهى روايات تتناول كذبة ملفقة برمتها وتدور حول ما يفيد بوجود راهب مدفون بجانب مولانا فى مقبرته ، وهم بهذا يعتبرون مولانا نصف نصرانى على أقل تقدير ، والبعض الآخر يزعم بأن اسم الزوجة الثانية لمولانا يشبه كلمة رومية ويعتبرون « كره خاتون » زوجة مولانا رومية الأصل رغم أنها ابنة عز الدين عالى القونيوى وكانت قبل مولانا زوجة لشخص يدعى « محمد شاه » ، وهذا ادعاء منهم بالتأويل رغم علم مولانا بالرومية وتسامحه تجاه النصارى^(٢٣) ، وما فعلوه لا يخرج عن كونه تنكباً لجادة الصواب وحياداً عن الطريق المستقيم ، ويحمل بين ثنياه خطأ رجل يدعى « هاسلوق » هو الذى حمّله إلينا ، إنها كلمات لا تحمل أية قيمة علمية ألبتة ، بيد أنها يمكن أن تعبر عن التعصب الدينى ليس إلا^(٢٣) . إذا كان قد نشأ بين ظهرائى المولوية نفر من الأبيقوريين من ذوى التسامح والصفح الجميل لغير المسلمين فإنهم قد قبلوا الإنسان بصفته الإنسانية ، وصفحوا عنه ناظرين إلى ضعفهم ، وقد نشأت هذه الطائفة لكونهم أصحاب فكرة محددة وجدت بحسب المرتبة العلمية لأصحاب العقيدة وسائر الديانات الأخرى ونشعر فى هذا الصدد بضرورة التقوى بالقول الآتى ذكره لاحقاً :

قليل من الناس المتعلمين على دراية بأن هذه المنطقة من العالم التى تسمى « مملكة الروم » ما هى إلا منطقة الأناضول ، كما أن كلمة رومى تعنى الأناضولى ، ولقد جاء مولانا فى معية أبيه من بلخ واستقر به المقام فى قونية ، ثم ألحق لفظ رومى إلى اسمه بعد ذلك بسبب وفاة والده هناك .

كما أن مولانا لم يستخدم هذه الكلمة لقباً له أو مخلصاً^(٢٤) . ولكن ماذا نجم عن هذا الاستخدام ؟ لقد كان شرف أوغلو مؤسس شعبية الطريقة الأشرفية المنبثقة عن القادرية والمدفون فى « أزنك » (ت ١٤٦٩ م) يذكر باسم أشرف زاده وأشرف الرومى وباسمه الأصلى عبد الله الروملى كما يوجد صوفى يسمى بايزيد الرومى ، وكانت القادرية منتشرة فى إستانبول وانشعبت منها شعبية أسسها إسماعيل

الطوسي (١٠٤٠هـ = ١٦٣١ م) واشتهر باسم إسماعيل الرومي . كان هناك شخص من المنتسبين إلى اليسوعية^(٢٦) وهو أحد رهبان الكنيسة في الأناضول ، ووجدني ذات يوم في المقهى أمام المكتبة في بايزيد^(٢) ، ثم ذهب إلى مكتبة بايزيد ، وجعل يتفوه ببعض الأسئلة الدينية وأوصاني به « مطهر جوكمن » مدير المكتبة ، وبدأ الحديث وقال : أيها الأب المحترم ، هناك تساؤل يقول إن مولانا أصبح نصرانيا ، ثم لماذا كان يسمى بالرومي ، وظللت من فوري في لجة من الحيرة والدهشة وكانت هذه الواقعة سببا في إطالة الحديث في هذا البحث إلى هذا الحد . هكذا نرى كم من نتائج تمخضت عن الروايات الملققة التي سجلها « هاسلوك Hasluck » . إن صاحب العقيدة الصوفية يظل في أقل تقدير مضطرا إلى الاقتناع بعقيدة منبعثة من ذات نفسه تساعد على تقوية عقيدته الدينية وشد أزرها . وسواء قلنا أو لم نقل فإن المتدينين من هذه الزاوية يضطلعون بتشريع الدين الذائع المنتشر قبيل أديانهم ، وسواء أفكرنا في هذه المقولة أم لم نفكر فإن الشاعر الديني سالف الذكر يترك في الذهن اقتناعا يبشر بالشاعر الديني اللاحق عليه ، ونحن نرى نماذج كثيرة من هؤلاء في الكتب المقدسة ، بيد أن هذا الموضوع لم يعد له وجود بهذا القدر سالف الذكر .

والسالك الديني في مضمار الدين يزعم أنه يبشر بصاحب الدين الذي يصنع هذه الطريقة بغية إثبات صدق وصواب الطريق الذي ينساق إليه ، وعلى هذا النحو فإن كلام الأنبياء ما هو إلا مجموعة من الأخبار المستوحاة من الغيب ، ومما لا شك فيه أن هذه الواقعة تخدم المنفعة في كل دين ومذهب .

وإذا لم نقل إن الدين يكون بالسمع والنشوة والانجذاب والطقوس والشعائر والموسيقى والعقيدة الدينية والآداب فإنه يوجد في هذه المولوية ما يشكل مذهباً أكبر من الطريقة .

وعندما يقول الشاعر « وحدتي » هذا البيت :

عرشك آلتيجـه سماع ايلر ايكن كوردى آنى

شب أسرارہ قممو قوم رسول باشلرى

والمعنى :

عندما يسمع عرشك الذهبى ومارس السماع

فإن كل أقوام الرسل فى ليل الأسرار

وهو بهذا يشير إلى منقبة مدرجة فى كتب المناقب المتأخرة (٢٧) .

قدم أحد أشراف المدينة المنورة إلى قونية إبان عصر سلطان ولد ، وكان يعلق فوق رأسه طرف عمامة تنسدل حتى سرتة كالمولوية ، وقال سلطانه ولد : إن هذه سنة مولانا لم نرها لدى الشيوخ والأشراف الآخرين وأضاف قائلاً : لقد سمعنا بلقب السيد من أجدادنا ، وهذا مكتوب فى « معراج نامه » أى رسالة المعراج ، وفى ليلة المعراج رأى النبى صلى الله عليه وسلم شخصاً جميلاً يعلق هذه العمامة تحت العرش ، فسأل النبى عليه السلام جبريل قائلاً له أهذا الرجل من الأنبياء أم من الأولياء الصالحين ، فقال جبريل : هذا روح وصورة محمد جلال الدين الذى ينحدر نسله من سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وسوف يتفوه بحقيقة كلامك وسيجلى أسرار القرآن ، وسوف يكون نموذجاً لك فى زمانه . ولم يقتصر الأمر على هذا الحد ، فقد كان أسرار دده يتجاوز الحد فى هذا السياق زاعماً أن مولانا كان يبشر بالانجيل إبان حقبة الرفاهية والرخاء للمولوية ، وفى هذا يقول :

مبشرا ولدى إنجيل ايجره آيس سما عندن

مسيحك رمزوا يماسى جلال الدين روميدر

والمعنى :

لقد بشر من شعيرة السماع إلى داخل الإنجيل

وجلال الدين الرومى هو رمز وإيماء المسيح

ولكن عجباً ! أى آية من الإنجيل يقصد أسرار بهذا البيت ؟ من المتعذر التفوه

بشيء جازم فى هذا السبيل ، ولكن عيسى فى إنجيل يوحنا يتحدث عن قدوم المسلى

والمعزى فى البابين الرابع عشر والسادس عشر (١٤٢٧ ، ٢٦) حتى إنه يقول عنه إنه روح الحقيقة ، ومن المحتمل أن يكون أسرار دد يقصد هذه الأبيات .

ولأسرار دده شعر هو غاية فى العجب العجائب ومنه قوله :

أى مغسبجه زيبا أى جان ودل عيسى

صبح أو لدى كسوش طوغدى كلى دم اكلية

زيرباغمال انجيلون دستنكده جالينباسى

تاكنبند كسر دوندن كلى بوكجه يونا

أى أمت نابينا واردر أول شرح صدر و ايلر

بيك كسره طالب جيقسون نكبت صويونه بابا

بتخانه حسنكده خط زلف ايدر تقسير

انجيل بازا كنجه كماده يوحنا

بر كسره اويت كلسه باصه قدم باكين

كعبه ايله اولور همسر بيت الصنم رومه

ناموس جسد اولدى امت بديد اولدى

كلزار تجليسد رأس جليل فساره

روح بدر أعظم اولدى بوسرره همدم

آيينه قسدرتدر سرلوحه فساططابه

محووا يتدى اكسا ينم نور نظر وحدت

دستكده قلم قالدى عقلى شاسيرب لقبا

رندان بنی یعقوب برجام ایله مست اولدی
 بیـمـانـه راز اولدی تبـزینـه دم موسی
 جیقـدی عالم أحمد حشر اولدی جیهان تکرار
 زنارینی ایسکت ایت آی عابد رومانیه
 برنورد ولا یکسـر بربحر اولور هریر
 نه ملک آمریکانه ملک أفریقا
 بیک سال مقـدمـون دیوانجه سالموسی
 وصفینه ایدوب انشاجان بوسر عیش
 تسبیحی ایلردی عباد هیاکلده
 بانغممه داود بارکسون قطاره
 عشق زکریادن برشعله ظهور ایتدی
 نعت ایله طولوب کیتدی جان وجکرحنا
 زنجیر شکت اولدی کا کلرینی یولدی
 مکه غم ایله دولدی فردیا ایدوب عزى
 أسرار فقیر البال احسانه محتاجدر
 یا أحمد یا محمود یا سید مولانا (ص ۴۰ - ۴۱) .

والمعنى :

یا خادم الحانة الجمیل یا روح وفؤاد عیسی
 أشرق الصبح وبزغت الشمس بنفس عیسی

والإنجيل تحت إبطك والصليب فى يديك
وأقبل هذه الليلة يونس من قبة الفلك الدوار
جاء إلى الأمة العمياء صوت من الصحراء
وغاص البابا وخرج ألف مرة إلى ماء المحن والبلاء
إنه يفسر خط ذؤابتة فى معبد الحسن والجمال
ويكتب يوحنا الإنجيل فى كنز خفى مستور
لقد جاء هذا الجميل مرة ووطأ بقدمه الطاهر
وأصبح بين صنم روما للكعبة أخا شقيقا
أصبح هناك ناموس جديد وظهرت أمة
ورأس جبل فاراه هو روضة التجلى
وأصبحت روح الأب الأعظم مساوية للابن
وناموس القدرة عنوانا لمتى
ونور نظر الوحدة محاسن الأقانيم
وظل القلم فى يد لوقا الذى حير العقول
وسكر بالكأس أولاد يعسقوب السكارى
وأصبح نفس موسى هو كأس السر الخفى
وانبثق فى الوجود عالم أحمد وحُشر الكون مرة ثانية
فيا عابد رومانيا حطم الزنار
وامتسلا بالنور وأصبح كل مكانا بحرا
فلا هو ملك أمريكا ولا ملك أفريقيا

وكان هناك سالموسى المجنون قبل ألف عام
ووصف روح الغلام عيسى
يسبح باسمه عند عباده الهياكل
بنغممة داود وبأحسان الناي
وظهرت بارقة من عشق زكريا
مفعمة بالمدح وذهبت إلى حبة الروح والفؤاد
ونزع الذؤابه وحطم الأغلال
وامتلأت مكة بالحزن وصرخ صنم العزى
وأسرار دده فقير البال إلى إحسانك محتاج
يا أحمد يا محمد يا سيد مولانا (ص ٤٠ - ٤١)

إن اسم يونا Yuna الذى ورد ذكره فى البيت الثانى من هذه الأشعار يحتل أن يكون هو جونوس Jonos من أنبياء بنى إسرائيل ، وفى البيت الثالث إسداء نصيح النبى يحيى للناس فى الصحراء وعلى مقربة من ملكوت السماوات ، ويشير كذلك إلى تعميد النبى عيسى عليه السلام (انجيل متى ، الباب الثالث ، انجيل مرقس ١ ، انجيل لوقا ٣ ، انجيل يوحنا ١) .

أما المصراع الثانى من البيت الخامس فإنه رومى ، أما يوحنا الذى ورد ذكره فى البيت السادس فهو من أصحاب الأناجيل ومن حوارى عيسى عليه السلام ، أما كلمة فاره Fara الواردة فى البيت الثامن فموجودة فى التوراة وتعنى مكة أو صحراء فاران التى بشرت إبراهيم بأنه سيكون له أمة من سلالة إسماعيل عليه السلام ، وقد ورد ذكر هذه الكلمة فى التوراة (سفر التكوين ج ١ ، ١٣ - ٢١) .

وثمة إشارة إلى التثليث واردة فى البيت التاسع ، كما أن اسم متى الذى هو من أصحاب الأناجيل أما اسم « ديو انجه سالموسى » الوارد ذكره فى البيت الرابع عشر

فمن المحتمل أن يكون هو التلمود الذى شرح التوراة ، بيد أن اسم عيسى الموجود فى نفس البيت فهو غالبا ما يكون هو أبسالوم الابن الثالث لداود عليه السلام ، وكلمة عزى الواردة فى البيت الذى يليه فهى اسم أحد الأصنام التى كانت قريش تعبدها قبل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم : وتفهم من هذا أن أسرار دده كان شديد الانشغال بالتوراة والإنجيل كليهما ، وهو يشير إلى مولانا كلما قرأنا بعض مواضع من كتابه ، ولربما كان يحذق الرومية مثل مولانا ، وعسى أن يكون علمه بالرومية سببا فى إقامته بمنطقة « غلطة » (٢٨) .

آثار العقائد القديمة فى المولوية :

تأسست المولوية إبان عصر سلطان ولد ثم انتقلت بعد ذلك إلى عصور التكوين والانتشار وذيوع الصيت بدءا فى القرن الثالث عشر الميلادى حتى أواخر القرن الخامس عشر ، وكانت هذه الحقبة تتم فقط عن الفلسفة الواقعية المتسامحة لمولانا عن طريق رؤيته الواسعة للعالم ، ثم ما لبثت المولوية بعد ذلك أن اصطبغت بصبغة أخرى بعد القرن السادس عشر وتجلت ذلك فى الطقوس والشعائر والآداب المتأثرة بالمدرسة الصوفية الخالصة (٢٩) ، والمعبر عن البيئة التى تحيا فيها بعقيدة دينية تتوسل فيها بالسماع والوجد والشعر والموسيقى ، هذا ونستطيع أن نجد آثارا كثيرة من الأعراف والتقاليد مستمرة من جيل إلى جيل على مر الأحقاب والأدهار .

إن احترام الموقد وتوقير المطبخ المقدس عند المولوية هو ولا ريب تعبير عن عادة موغلة فى القدم ، فكوكب أورانوس (٣٠) الموجود فى اليونانية وفى العقيدة الهندية والإيرانية القديمة ، يعنى أن السماء هى أعلى الموجودات الإلهية جميعها ، وأن الشمس هى عينها والنار ولدها الذى يتجلى على شكل برق ، ثم يأتى بعد ذلك مترا Mitra فى الفارسية الذى يدخل على شكل شمس ، وهو أبوللو (٣١) عند اليونانيين ، وأبوللو هذا يسمى باسم فابوس عن أهل روما وهو ممثل الأدب المقترن بالفنون الجميلة ، وهو يظهر على شكل الشمس فى الكائنات .

ويوجد كذلك عطار Atar فى الآفستا الذى ينتقل فى أشكال عطارش Atrash وهو عطور Atur على التوالى فى اللغة البهلوية ، وأزر وأدر فى الفارسية يأتیان على شكل عطار وآتش Atar , A ash أما آتش Ates واديش adis فهى علامة على الكلمة الداخلة على شكل آتش بالتخفيف ، أما فسته Vesta فهى ممثلة لموقد النار المقدسة المقترنة بالفضائل العائلية ، وثمة علاقة بين كلمة فستا Vesta وكلمة هستيا Hestia فى اليونانية .

أما معبد فسته Vesta فى روما فقد أُسس بناء على قدسية النار والموقد على وجه الخصوص . انظر فى هذا الصدد (كتاب دكتور محمد معين : مازده يا سته وتأثير اون در أدبيات باريسى - أحد نشریات جامعة طهران ١٣٢٦ - شمس هجرى - مطبعة الجامعة ، ص ٢٧ - ٣١ - ١٨٤ - ١٨٠) ويوجد مثل هذا التشابه كذلك فى الأساطير الإيرانية واليونانية ، والوقوف عليها يجليها . فكلمة دبیر فلك فى إيران « تير عطار د » كاتب السماء ، وهو هرمس^(٣٢) اليونان ، ومار جريوس روما .

أما ناهيد (كوكب الزهرة) فهو أفردويت إله العشق . ومريخ Mirrih أو بهرام Behram فهو أرس Ars (وفى اللاتينية مارس Mars) ، وكيوان Keyvan تعنى زحل ، وساتورنا Sturne ، ويسير هذا التشابه على هذه الشاكلة . بيد أن هذه العقيدة كانت معتمدة على أسس منطقية تشبه فى هذا سائر العلوم والمعارف فى العصر الوسيط ، وقد تخمرت هذه الأسطورة وانصهرت فى إيران ، ثم ما لبثت أن ظهر علم فلك غريب متمخض عن منطق أرسطو وطريقة بطليموس .

ولكن أكانت إيران أو اليونان هى الأساس فى هذه التشابه ؟ وهل اقتبست أسس ومبادئ الاقتناع بالأساطير من الهند القديمة ؟ أم أنها انتقلت مع الإسكندر إلى إيران ؟

ورغم الإشارة بأن رأى الثانى وآه ضعيف ، فإننا سوف لا نتدخل فى مناقشته فى هذا السياق لأن هذا خارج عن إطار الموضوع الذى نحن بصدد البحث فيه . وبعد هذه الإيضاحات المقتضية ندرك من فورنا أن النار كانت مقدسة منذ أحقاب وأدهار موعلة فى القدم وهى منسوبة إلى السماء وأن المطبخ والموقد كليهما هما موطن النار . وهما مكان مقدس . وكانت المزدكية من الأديان التى تقبل عبادة إله واحد ، ومن ثم فإنها شرعت قدسية الشمس والنار كليهما .

كان معبد بوذا فى واقع الأمر موجودا فى بلخ بين معابد النيران المعتبرة والمعتد بها ، وكان يوجد كذلك معبد « نوبهار » وهو معبد زرادشتى عظيم حظى بشهرة عريضة من قبل زمرة كبيرة من الشعراء والمؤرخين (انظر : ما زاد ياسنه : ص ٢٣٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧) ، أما بلخ فهى واحدة من أهم المراكز الثقافية .

وإذا كانت عقيدة تقديس النار والموقد تقدم للغة كثيرا من المجازات الجوهريّة الأصيلية ، فإنها أيضا ذات مضامين جمّة فى مضمار الأدب . وعلى كل حال فإنّ العشق يشبه دائما بالنار ، ويتأثير المزدكية دخلت طائفة من الألفاظ مثل : مُعبد Mubid ، وتعنى زرادشت ، وأتشكده بمعنى معبد المجوش ، ومغبجة Mugbece بمعنى الطفل المجوسى ، وبيرمغان بمعنى صاحب الخمارة ، ومع Mug بمعنى مجوس ، ومى Mey بمعنى الخمر ، ثم انتقلت بعد ذلك ألفاظ إلى التركية مثل كلمة gavur بمعنى ملحد أو كافر ، وألفاظ أخرى مثل جبر gebr المستخدمة فى حق النصارى على وجه الخصوص والتي تعنى عابد النار أو من هو على دين زرادشت ، وثمة مضامين متباينة تصاغ بهذه الكلمات وتبوّأت مكانا فى الأدب الإيرانى القديم ، ثم انصهرت فى بوتقة العناصر الإسلامية مُعضدة ومؤزّرة بالعناصر الأسطورية ، وبهذه الصورة انبثق فى الوجود أدب قومى إنسانى .

لقد اهتم التصوف كثيرا بعقيدة وحدة الوجود قابلا إياها عن طريق وسائل العشق والنشوة والانجذاب والموسيقى والرقص والشعر وتطهير الروح ، وأضاف إلى كل هذه الألفاظ معنى واحدا منفردا ألا وهو المعنى الصوفى ، وعلى هذا يكون معنى بيرمغان ، وبير خرايات (صاحب الخمارة) هو المرشد الحقيقى الكامل ، وهذا يعنى أن القطب أو المُغ Mug هو من يقبل عقيدة وحدة الوجود وهو الشخص المتحقق فى هذه العقيدة ، أما مغبجة وسالك فإنهما يعنيان ذلك المسافر المرتحل الذى يدمن الرحلة ويكابد مشاقها العملية الفعلية والخلقية الروحية بغية الوصول إلى الحقيقة وإدراك كنهها ، أما آتشكده (معبد المجوس) ومى خانة (خانة الخمر) فالمراد بهما المكان والفؤاد اللذان يعثر عليهما المرشد ، ثم يبدأ الذهاب بعد ذلك إلى إدراك معانى العشق والصفاء الروحى الحقيقى . هكذا كان تقديس صاحب النار والموقد قد بلغ مداه فى الماضى الغابر السحيق ، ووجد هذا التأثير فى المولوية عن طريق هذه

المؤثرات جميعها ، أما المطبخ فإنه يعنى المعبد المقدس الذى ينضج فيه السالك بالخدمة حتى يبلغ درجة النضج والاستواء والكمال . وكلمة (أتش باز) أى المؤثر والمحرق فإنها تعنى ذلك الموقد الموجود فى المطبخ أى مقام الولي ، وهو فى العادة محراب المعبد القدسى ومن ثم فإنه لا يعنى ذلك الرجل الذى يطهو الطعام ، إنه الذى يطبخ السالكين وينضجهم ويبلغ بهم أوج درجات الكمال ، وعلى هذا فإن اصطلاحى « أجيجى باشى وأشجى » يطلقان على معنى المرشد ، أما (قازانجى) أو متعهد الرجل فهو الوكيل العام للمرشد . أما « أشجى » أى الطاهى ، فإنه عند البكتاشية يتمتع بميزة خاصة فى التكية ، حيث يكون مسئولا عن المطبخ وكثيرا ما تناط به مهمة الإرشاد الصوفى ، وثمة شىء آخر يسمى (الحضرة) فى منزل الشيخ الصوفى عند البكتاشية وهى تقابل ما يعرف (بالحضور) عند المولوية ، وهذا يعنى أن الشيخ الطاهى إن كان فى تكية حاجى بكتاش فإنه يكون بعد ذلك شيخا مثله فى ذلك مثل شيخ المطبخ ، وعليه فيكون أعظم وأكبر من سائر الشيوخ الآخرين ، ويكون كذلك مرشحا لمنصب شيخ الطريقة ويوجد فى مضمار الطقوس الدينية البكتاشية كذلك مقام المشيخة الذى يخص الطاهى سيد على سلطان ، كما يوجد الموقد كذلك فى الميدان^(٣٣) . أما الامتناع عن الحديث إبان الطعام عند المولوية فإنه يذكرنا كذلك بالامتناع عن الحديث أثناء الأكل فى العقيدة المزدكية ، وإن وجود المترجم وجامع الناس إلى الصلاة وإقامة المائدة عند كل من المولوية والبكتاشية هو من الشعائر التى لها نظير عند أتباع زرادشت ، كما أن تقديس نار المجوس واستحمامهم عند أكل الطعام يتم بترنيمة خفيفة دون فتح شفاههم ، وهو يشبه كثيرا الأدعية التى يدعون بها بصوت خفيف جدا (مازديسانه : باج وزمزمه ص ٢٥٣ - ٢٥٧) . وفى الحق فإن خرقة التصوف فى رأينا وكذلك النطاق المنطق حول الخصر والمسمى « شد » عند أهل الفتوة هو من الشعائر المقدسة عند الزارادشتيين ، وهذا النطاق مأخوذ من الضأن ومجدول من اثنين وسبعين حبلا ، وثمة خرقة أخرى تسمى « سدره » وتؤخذ من قمصانهم ، ويتولى المتعهد إلباس الشاب القميص عند المزدكية ، وبمنطقة بما يسمى « قوطسى Kusti » ، حول خصره ، ثم يُسلَك فى سِمَط ما يسمى أحسن المتدينين . ثم ما يليث أن يولد روحيا للمرة الثانية ، ويعد هذا بالنسبة له بمثابة مولد

جديد ، أما القوسطى فيربط على هيئته مشدودة عند أرباب الفتوة ، ويسمى عند البكتاشية « تيغ بند » أى السيف المنعقد ، وعند المولوية « ألف مد » وهو حزام من اللباد ، أما الخرقة فهي عامة لدى الصوفية أجمعين ولاوجود لها عند أهل الفتوة (انظر نفس الكتاب ، ص ٢٤٣ - ٢٥٢) أما ما يعرف عند المولوية والبكتاشية بشعيرة « عين جمع » فهي لحظة المحبة وهي تعنى وجودالشيء المسكر ، وإذا أمعنا النظر مليا فى العناصر الأساسية للموسيقى والمصباح فى طقوس كلتا الطريقتين ألفينا أن هذه الكلمة « عين جم » ما هى إلا تحريف لكلمة « عين الجم » أى التفكير الصوفى ، ويمكننا القول إنها مقتبسة من « آيين جمع » أى شعيرة الجمع وهذا احتمال أشد قربا من الحقيقة . أما عدم دخول السمك فى مطبخ المولوية فراجع إلى وجود تأثير فلسفة الأطباء فى هذا السبيل ، وهو اقتناع نشأ عن المرحمة والشفقة التى يحس بها حيال النفس والروح ، ولربما يحمل كذلك تأثير الديانات الهندية القديمة . كما أن تكوين كثير من الأسماك العظيمة فى البحيرات والنهار الموجودة فى المناخ الإقليمى هى ذات رائحة مُطحلبة ، وفى النهاية فإن عدم التعود على أكله له تأثير فى هذا السبيل ، ومن المحتمل كذلك أن أكل هذا المخلوق من الأشياء النادرة جدا إبان تلك العصور المبكرة وهذا مما لا يرد على خاطر كذلك . بيد أن الثابت المحقق أن عدم أكل السمك بعد ذلك قد تأصل فصارت له جذور ضاربة بأطنابها فى الآراء والمعتقدات الصوفية واصطبغ كذلك بصبغة نصية جازمة . ويتوجب علينا كذلك أن نقول فى هذا الصدد ما يأتى : إن السمك لم يدخل مطبخ البكتاشية ، ولم يأكلوه ألبتة لأنهم كانوا يؤمنون بالتناسخ ، وعندهم أن السمك يكون أسفل صورة ، وهذا يعنى أنه أدنى وأصغر شكل يلف الكون ويحيط به من كل جانب ، وإن الغرقى فى طوفان نوح لم يتسن لهم النجاة من الحالة التى كانوا عليها ، وهؤلاء يرون أنه إذا أكل السمك الأشياء الخارجة من البحر فسرعان ما تُغلق الفيوضات الروحية والخلقية للإنسان . لا جرم أن هذا اعتقاد جد غريب ، وإننى لأسميه بقراءة الطالع وضرب الرمل والتنجيم ، وهناك كذلك من يشتغلون بمعرفة الغيب والاطلاع بأشياء تافهة لا وجود لها ، أو يقرءون التعاويذ على المرضى (٣٤) .

الهوامش

(١) إذا كان تعبير « علماء الرسوم » يستخدم فى حق العلماء الأرثوذكس من قبل أرباب الطرق الأخرى ، فإن هذا الاصطلاح يخص المولوية أكثر وأكثر .

(٢) توجد معلومات جد مهمة فى كتاب « ولايت نامه » لأوتمان بابا ، وذلك فى شأن العلاقة المؤكدة الثابتة للسلطان الفاتح بالحروفية . وتكتب الشقائق عما كان من استمالة الحروفية للفاتح ، مما جعل محمود باشا يعلم فخر الدين عجمى هذا الوضع . وذات يوم اختبأ فخر الدين عجمى فى منزل محمود باشا ، وقدم شيخ حروفى ، وعندما تدخل فى مناقشات مناهضة للشريعة لم يستطع فخر الدين التحمل فخرج من المكان الذى يختبئ فيه وشرع بكيل السباب والشتائم للشيخ الحروفى ، ولما هرب الشيخ الحروفى وذهب إلى القصر تعقبه فخر الدين وركض فى إثره وجعل يصيح فى حضرة السلطان قائلا بار - بار وفى النهاية احترق هذا الدرويش المسكين فى معية حروفية آخرين فى مصلاة كانت بمدينة أدرنة حتى أن لحية فخر الدين عجمى قد احترقت إبان نفح النار (إستانبول - المطبعة الأميرية ١٢٦٩ هـ - ص ٨٢ - ٨٣) .

وقد تحدث حامدى عن تحريق الحروفية فى إحدى قصائده التى كتبها للسلطان محمود باشا فى ديوانه الفارسى (كليات ديوان مولانا حامد - طبعة البروفسور اسماعيل حكمت ارتيلان - إستانبول - مطبعة التعليم القومى ١٩٤٩ - ، ص ٢٨٤) . وتوجد كذلك معلومات مهمة وردت فى تاريخ نيشانجى وتتصل بتتكيل القلندرية إبان عصر السلطان القانونى (إستانبول - المطبعة العامة ، سنة ١٢٧٩ هـ - ص ٢٣٤ - ٢٣٥) .

(٣) توجد وثيقة ذات قيمة عظيمة مؤرخة بتاريخ ٩٩٠ هـ - ١٥٨٢ م تدور حول اضطلاع الحمزية بتأسيس الدولة وتعيين ضابط النظام ووزير المالية ورئيس قاضى العسكر والوزير والسلطان من بين الحمزية التابعين لحمزة بالى ، وعثر على هذه الوثيقة « طيب أوقج » أحد أساتذة كلية الإلهيات بجامعة أنقرة ، وقدم إخطارا بذلك إلى مؤتمر المستشرقين الذى اجتمع فى إستانبول سنة ١٩٥١ م ، واننى لأقدم جزيل شكرى وامتنانى لفضله بتقديم هذه الوثيقة إلى . أما اسم قاضى بوسته بالى فقد مر ذكره فى هذه الوثيقة ، ولقد ظهرت هذه الواقعة برمتها بين ثنايا السيرة الواردة فى ذيل الشقائق (ص ٢٨٣) . وبدون منيرى البلجراى فى كتابه المسمى « سلسلة المقربين ومناقب المتقين » أن حمزة بك استشهد فى عام ٩٩٠ هـ (السليمانية ، شهيد على باشا ، نورية رقم ٢٨١٩ ، الرسالة ، وتتضمن أوراق النورية من ص ٢١ - ١٤٥) ، وتبحث فى شخصية حمزة بك من ص ١٣٩ - ١٤١

(٤) كانت الدولة فى حالة شديدة من التعب والإعياء ، وتسبب الشتاء فى تفريق الجيش وتشتيت جمعه مرتين فى أرضروم ، وفى ذلك الإبان كان أباطة يتوسط فى العلاقة مع إيران ، ومن ثم أصبح واليا على البوسنة ثم على سلسرة إبان عصر مراد الرابع ، ثم قتل فى نهاية الأمر سنة ١٦٣٤ ، وإن أصدق معلومات

تتصل بهذا العصيان والجيش المأمور بسحق هذا التمرد تلك التي أوردتها كاتب جلبي في مذكراته « وثمة تواريخ أخرى تعد مصدرا في هذا السبيل (انظر : ج ٢ ، إستانبول - مطبعة جريدة الحوادث سنة ١٢٨٧ ، ص ٢١ - ٥٨ - ١٠٨ - ١١١ - ١٦٩) .

(٥) شرع جودت - ج ١٢ ، ص ٥٤ .

(٦) شع في استخدام هذا الاصطلاح ليطلق على الثمانيين الشبان الذين كانوا يرغبون في التجديد والتغريب بعد عام ١٨٦٨ م (المترجم) .

(٧) الإبيقوري : نسبة إلى الفيلسوف الإغريقي أبيقور وهو الشخص غير المستمسك بالعرف أو بالقواعد والسلوك المرعية (المترجم) .

(٨) للمزيد من النزود بمعلومات أوفر بشأن هذه البحوث : انظر في ذلك « تكية المولوية في يني قابي » ص : ١٧٧ - ١٩٠ ، ص : ٢٢٠ - ٢٣١ .

(٩) نعت هؤلاء الأشخاص بأنهم من أرباب المفسدة ، ومن ثم فإنهم قد تم نفيهم إلى « بتليس » ووضعهم تحت المراقبة السرية للأمن ، وكانوا يقيمون داخل الولاية منفصلين عن بعضهم البعض ، وهم دائما تحت أعين المراقبة الأمية ، وقد اضطلع محمد كمال أحد كتاب القصر بتوقيع رسالة في ٢٢ أغسطس ١٣١٩ هـ تتعلق بإرسال صحيفة مدة شهرين اثنين تتعلق بحقوق المنفيين الذين كانوا في معيّنهم ، هم كتبت رسالة إلى بتليس وتلقى ردا عليها : انظر : أرشيف مجلس الوزراء (أوراق يلديز - دفتر لجنة التصنيف ، سجل ٢٨ ، رقم ٢٥٨١) .

(١٠) جمع معول : وهو سيف مستقيم مستدق الرأس ذو حدين ، ويعرف في التركية باسم Mec .

(١١) انظر : مولانا جلال الدين ت - الطبعة الثلاث ص ٢٤٣ .

(١٢) ترجمة الشقائق النعمانية : إستانبول - المطبعة العامرية سنة ١٢٦٩ هـ ، ص ٢٢ .

(١٣) انظر ما ورد بشأن سلالة مولانا جلال الدين - الطبعة الثلاث ، ص ٣ - ٤٠ .

(١٤) انظر ما ورد بشأن الأعراف والتقاليد التي انتقلت من أهل الفتوة إلى أهل الأناضول عبد الحق جلنارلي : جماعة الفتوة مصادرها في الأقاليم الإسلامية والتركية (جامعة إستانبول - مجلة كلية الاقتصاد - ج ١١ ، عدد : ١٩٥٢/٤/١ ، ص ٣ - ٤٥٤ ، ١٠٠ - ١٠٢ على وجه الخصوص .

(١٥) تاج التواريخ : ج ١ ، ص ٣٠٩ .

(١٦) انظر مقالتنا في : مجلة كلية الاقتصاد : ص ٨٠ - ٨٣ .

(١٧) ثمة أفكار مفصلة في المقالة التي تحمل عنوان « تقليد السيف للسلطين » الواردة في كتاب « دراسات في البكتاشية » الذي وضعه F. v-Hasluck ، وهي أفكار مطابقة لفكره تماما ، وفي نفس الوقت فقد كان هناك تقليد شيخ المولوية السيف للسلطانين محمود الثاني وعبد الحميد ، وكان يعهد إلى نقيب الأشراف والشيخ المولوي الموجود في إستانبول بهذه المهمة في حالة عدم وجود الشلبين في إستانبول ، أما المعلومات التي أوردتها Hasluck بخصوص تقليد شيخ مولوي السيف لعبد الحميد فهي خاطئة على وجه العموم (ص ١٢ - ١٣٥) .

(١٨) هو لقب رسمي يستخدم في حق الشيوخ (المترجم) .

- (١٩) أحد أحياء إستانبول وبه أكبر سوق تجارى وأشهر محطة للسكك الحديدية (المترجم) .
- (٢٠) هى منطقة سياحية بها المسجد العظيم ذو المآذن السبعة الذى شيده السلطان أحمد ، وبعد أحد المعالم السياحية فى إستانبول ، ويؤمه السائحون طوال العام . (المترجم) .
- (٢١) لأجل فهم أكثر ، اقرأ هذه البحوث « المبحث الثالث من القسم الثانى لكتاب : مولانا جلال الدين الطبعة الثالثة ص ١٦٧ - ١٨٦ ، البحث الأول من القسم الثالث ص ١٩١ - ٢٤٦ ، وقرأ على وجه الخصوص : صحائف هذا القسم من ص ١٩١ - ٢١١ .
- (٢٢) انظر : مولانا جلال الدين . الطبعة الثالثة ، ص ١٣٦ .
- (٢٣) انظر : هاسلوك Hasluck « بحوث فى البكتاشية » ترجمة : رجب خلوصى : ص ١٣٦ - ١٤١ .
- (٢٤) المخلص : هو اسم مستعار يتخلص به الشاعر فى شعره ، وليس اسمه الحقيقى (المترجم) .
- (٢٥) اليسوعى : عضو جمعية دينية للرجال أسسها القديس أغا طيوس ليولا ، عام ١٥٣٤ م (المترجم) .
- (٢٦) ولنترك جانبا ما يبشر به كل عن النبى الذى سيأتى من بعده ، وإن انتظار المهدي المنتظر فى الإسلام قد أظهر إلى حد كبير كثيرا من مدعى المهدي (انظر : مولانا جلال الدين : الطبعة الثالثة : ص ١٨ ، ١٩) ، وقد ظهر هذا الإدعاء كذلك محمد شيرازى (ت ١٨٥٠ م) ومؤسس الطريقة البابلية فى العهود المتأخرة ، أما بهاء الله واضع الديانة البهائية (ت ١٨٩١ م) فكان هو المهدي فى مواجهة أهل السنة ، والمسيح هو المهدي فى مواجهة النصارى ، أما الحسين رضى الله عنه فقد اضطلع بدور فى ظهور روايات بعد المهدي فى مواجهة المسلمين الشيعة ، وللوقوف على الأحاديث الكاذبة التى تشرح ما ذكره مؤسسو المذاهب الشافعى والحنفى ونسبوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، انظر فى هذا (السيوطى ، : اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة - مطبعة مصر الأدبية ج ١ ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨) .
- (٢٧) لا ذكر للشاعر وحدتى عند أسرار دده ، ويسجل « عهدى » أن وحدتى هذا منسوب إلى « ينى بازار » التابعة للبوسنة ، وهو عالم عارف مطلع بحقائق الفارسية ، سالك لطريق فضل وكان يملك حبا أديبا سرمديا ، وهذا يعنى أنه متمذهب بالمذهب الحروفى ، وذهب فى سنة ٩٨٦ هـ - ١٥٧٨ - ١٥٧٩ م إلى بغداد وزار الأئمة ثم مر بالبصرة فى طريقه إلى الحجاز ، ثم أصبح كاتب الديوان للوالى محمد ياشا وذهب بعد ذلك فى معية الياشا إلى الروم يعنى إلى الأناضول ، وهذا هو البيت الأخير لإحدى غزلياته التى اقتبسها عهدى :
- أهل فضلك أباغى طويراغيز وحدتى به .: طرز شعرم نه أوله باقيدن أولورسه لحكم والمعنى : نحن نقدم أهل الفضل ولوحدتى .: ماذا جرى لو أن طرز شعرى أشد أحكاما من باقى وهذا يدل على أنه كان موجودا فى إستانبول وعرف الشاعر « باقى » (مكتبة جامعة إستانبول - المخطوطات التركية ، ٢٦٠٤ ، ١٢٥ B الحاشية) ، أما الغزل الموجود فى المتن فقد ورد ذكره فى الدورية الكائنة بمكتبة اورخان والمدينة تحت رقم ١٣٥ ، وهذا هو البيت الثانى من هذه الغزلية :
- خرج أخضر ده ده روك حضرت مولايه بى .: طورمه دشر دخی دوانر أوستونه يولدا شلى والمعنى : انظر لمولانا فى هذا الفلك الأخضر .: فلا تقف فرقاء الطريق يدورون حوله والشاعر وحدتى مدفون خلف مقبرة رسوخى فى التكية المولوية فى « قوله قابى » الموجود فى غلطة

بجانب رفيقة علاء الدين دده الخليفة المولوى الذى كان يرتدى قلنسوة غير ملفوفة على شكل سيف ، وعلى شاهد قبره نقوش تشبه الخط الديوانى ، وهى محفورة ومكتوب عليها ما يأتى :

مرضه عشقه حضرت مولانه بى .: طورمه دك دخى دونر أوستنه يولدا شلرى

المعنى : إن حضرة مولانا موجود فى ساحة العشق .: فلا تقف فرفقاء الطريق يدورون حوله

وعلى شاهد القبر مطلع البيت الثانى لغزلية باقى الذى يقول فيه :

مستدام أوله فناقيونك أوباشلرى .: كيم أولور بربرى بولنده فدابا شلرى

والمعنى : فليدم أوباش بئر الفتاء .: فمن يكون فى هذا السبيل رأس الفداء

وإذا فكرنا مليا فى هاتين الغزليتين ألفيناهما نظريتين لبعضهما البعض ، ولا سبيل إلى انتحالهما

أو توارد الأفكار فيهما ، ومن ثم فإنه يتوج الحكم بأن البيت الثانى فى غزلية باقى قد اختلط بغزلية وحدتى .

أما ديوانه وحدتى فإنه مدون تحت رقم ٨٥ بين ثنانيا كتب هاشم باشا فى مكتبة سليم أغا الموجودة فى

أسكودار ، ويفهم من أشعاره بجلاء تام أنه جعفرى نو عقيدة حميمة صادقة مع الحروفية ، كما يوجد كذلك

فى الديوان البيتان اللذان اقتبسهما عهدى (ص ٣٠ ، ٢٥) . كما أن الغزلية السالفة الذكر مكتوبة كذلك فى

نفس الديوان (ص ٦٧ ، ٦٨) . وخلاصة القول أن وحدتى هذا هو وحدتى الذى مر ذكره عند عهدى ، وقد

توفى عالى دده فى اليوم الثالث من شهر جمادى الأولى لسنة ٩٩١ هـ (١٥٨٢ م) وكانت له عقائد حروفية

نحو النزعة العلوية المتطرفة مثله فى ذلك ديوانه محمد جلبى ويوسف سيئه جاك اللذين كانا فى عصر مولوية

شمس ، وثمة احتمال آخر أن يكون عالى دده هو خليفة ديوانه محمد جلبى نظرا لقلنسوة السيف الكائنة على

شاهد قبره .

(٢٨) يتوجب علينا القول فى هذا الصدد : أن أسرار دده لم يكن معتنقا للنصرانية ، كما أن أباه

أحمد بى زيان وحده حسن أمين عثمان كما هو معلوم من خط اليد الوارد فى صحيفة ١٠٨ من ديوان

سلطان ولد المسجل تحت رقم ١٣٩ بالقسم الملحق بكتب حالت أفندى بمكتبة السلیمانية .

(٢٩) انظر : مولانا جلال الدين الطبعة الثالثة : ص ١١ - ٢١ ، ١٤٠ - ١٦٧ .

(٣٠) هو إله إغريقى : سابع الكواكب السيارة (المترجم) .

(٣١) أبولو Apollo إله الشعر والموسيقى والجمال الرجولى عند الإغريق (المترجم) .

(٣٢) عطارد : هو رسول الإلهة وإله التجارة والفصاحة والمكر واللصوصية عند الرومان (المترجم) .

(٣٣) إلهة الحب والجمال عند الإغريق (المترجم) .

(٣٤) سوف نشرح كل هذا بإسهاب فى كتابنا الذى سيصدر قريبا والذى يخص البكتاشية وتاريخها .

(٣٥) الخواص : علم يذكر بخواص الآيات والأسماء الإلهية فى القرآن ، وهى أذكار مفسرة مشروطة

على نحو معين ويتناول علم الخواص رياضات روحية عن طريق هذا العلم ويسخر الجن روحانيات ، أما

الوفق فهو علم كتابة الآيات والأسماء الإلهية بالأرقام ، ويعتقد أن هذه الأشكال توصل إلى الرغبات والآمال ،

أما جفر الغيب فهو علم المعرفة . وثمة اقتناع بأن هذا العلم يتلقى المعلومات من الأشياء التى تكون فى

المستقبل عن طريق الجمل المستنبطة بالحروف من الأرقام ، والزمل يأتى من الجمل المرتبة بحروف مستخرجة

من نقطة ساقطة على شكل معين ، وهو علم أصول معرفة الأشياء التي تخص ما يحدث في المستقبل (انظر :
كتبا ملاشكبرى زاده : موضوعات العلوم : ترجمة : أو غلو كمال الدين محمد ، إستانبول - مطبعة أقدام
١٣١٢ هـ - ص ١ ، ص ٣٦٣ ، ٣٧٧ - ٤٠٢ ، ٤٢٧ - ٤٣٠ ، ولا سيما الفصل المعنون بالعلوم الخفية
والعلوم الغربية .

الطرق ذوات الصلة بالمولوية

المولوية والبكتاشية - المولوية وأهل الفتوة - المولوية والملامية - المولوية والحروفية - المولوية والخلوتية - المولوية والنقشبندية - المولوية والجلشنية .

المولوية والبكتاشية :

انبثقت الطريقة المولوية من الخراسانية يعنى من الملامية ، ومن ثم فإنه يتوجب علينا الاضطلاع بالبحث عن علاقة المولوية بسائر الطرق الصوفية الأخرى ودرجة هذه العلاقة وذلك حتى يتسنى لنا تحديد كنه قيمتها ومنزلتها الحقيقية فى حياتنا الفكرية .

ولقد فصلنا القول شارحين كيف كان المولوية يعتدون بالطرق الصوفية الأخرى ويحتفون بها أيما احتفاء وكيف كانت الطرق الأخرى ترى المولوية وتوقرها وترعاها حق رعايتها ، فقد نشأت المولوية مستلهمة الفيوضات من صوفية خراسان ، مؤسسة على شاكلتها متلقية الفيوضات من نفس المنبع ، ومن المتعذر ألا يكون للمولوية علاقة ثابتة بالطرق الصوفية التى كانت مشكلة مؤسسة آنذاك ، وتأتى البكتاشية فى صدارة هذه الطرق جميعا .

فالبكتاشية طريقة مؤسسة باسم حاجى بكتاش المتوفى ٦٦٩هـ = ١٢٧٠م والذى كان معاصرا لمولانا قبيل وفاته بعامين اثنين (أنقرة - مكتبة المعارف - كتب حاجى بكتاش - دورية ١٠٣٢ / A - وثيقة رسمية مخطوطة) .

ويرى أفلاكي أن حاجى بكتاش - كما سلف أن شرحنا فى مدخل كتابنا عن مولانا جلال الدين - كان قد قتل فى تمرد « بابى » ، كما كان هو الخليفة الخاص لبابا إلياس ، وهو صوفى عارف لا يتبع سبيل قيود الشريعة وأحكامها .

وقد بعث حاجى بكتاش إلى مولانا درويشا يسمى بابا إسحق ليسأله سؤالاً يقول فيه :

« إذا وجدت الحقيقة فلم هذه الضجة التى ألقىت بها إلى الدنيا ؟ وإذا لم تجدها فلم لا تبحث عنها ؟ » وبينما كان مولانا مستغرقاً فى السماع أقبل الدرويش وعندما سمع الغزل المستهل بهذا البيت « إذا لم تجد الصديق فلم لا تبحث عنه فأنت لن تكون مسروراً إلا بالوصول إلى المحبوب » ثم انكفأ راجعاً وقال هذا هو جواب السؤال ثم قص القصة على حاجى بكتاش .

ويروى أفلاكي أن « جاجا اوغلو نور الدين سيد قير شهر » قال لحاجى بكتاش : يتوجب اتباع الشريعة ، وبناء عليه طلب حاجى بكتاش ماء من أجل الوضوء بيد أنه سرعان ما استحال دماً ، ثم قال حاجى بكتاش ها أنت ترى ، فلا سبيل إلى الوضوء بهذا الماء فسامحنا واصفح عنا ، ثم قص حاجى أوغلو القصة على مولانا فأردف قائلاً : إن تدنيس الطاهر أمر ميسور أما تطهير الرجس المستقذر فإنه صعب عسير .

إنهم يقولون للمرشد لتجعلن خمرك عسلاً ، وحل مشكلتك ، أما فؤادك الذى استحال نحاساً فليكن ذهباً خالصاً وعشقتك إسراف فى هذه الكرامة ، ومع هذا فإن المبذرين إخوان الشياطين»^(١) .

وثمة بحث عن مولانا اضطلع بكتابته « أوزون فردوسى » فى ولاية نامه سنة ٨٤٤ هـ = ١٤٤٠ م . أما نور الدين جاجا الموجود فى ولاية نامه فقد أصبح نور الدين خوجه ، ودخلت المنقبة الثانية على هذا النحو :

ذهب كل من زوج قادينجق أنه وشفيق إدريس وصارى - المعارضين لحاجى بكتاش - إلى نور الدين خوجه والى « قير شهر » يجأران بالشكوى من حاجى

بكتاش ، فأرسل نور الدين نائبا عنه وكان حاجى بكتاش يقيم آنذاك بموضع يسمى « اوج ينار » يقع فى الطرف السفلى لإحدى القرى .

وقال النائب : لقد أذن لك نور الدين بك فإذهب إلى المكان الذى تبتغيه ، فقال حاجى بكتاش : كم هو عجيب ذلك الذى تحدث به ، ففى هذا المكان هدوء وسكينة ، وإذا لم تحدث إضرابات أو فتن فلا قبل لأى شخص بطردى من هنا ، ولما قال النائب هذا الكلام لنور الدين أسرع الأخير بامتطاء صهوة جواده بنفسه وأقبل و نظر فرأى شوارب حاجى بكتاش وأظافره طويلة ، ثم سأله قائلاً : لم لا تقلم أظافرك ؟ فقال حاجى بكتاش : إن العقاب لا يكون بدون تاج مرصع بالجواهر .

ثم قال نور الدين : هلم فانهض وتوضأ ، ثم أمر خادمه أن يملأ المشربية من ينبوع الماء وأعطاهما للدرويش ولما هم بصب الماء نظر فإذا المشربية قد امتلأت بالدم .

أما حاجى بكتاش فسأل قائلاً : إن هذا قد صار دما أيجوز الوضوء به ؟ قال نور الدين لا يجوز ، لقد سحقنا طائر الحجل إبان المجيء فوق دمه فى المشربية ، فلا تعتمد على الخادم ، فانهض بنفسك واغسل المشربية من ينبوع واملاها وأحضرها ، وعندما صب حاجى بكتاش الماء فى راحة يده استحال الماء دما مرة ثانية .

وظن نور الدين أن هذا ضرب من السحر ، ثم قال للدرويش حاجى بكتاش اذهب حيثما يريد قلبك وإذا رأيتك بعد هذا اليوم فى هذه الأنحاء فلأحرقنك بالنار ، ثم قال حاجى بكتاش لنور الدين : غدا يمسون بك ، ولن يتركوك لترى أولادك ، وسيلفون حولك جلدًا رطبًا ويحضرونك إلى مكان ما ، وكلما رأيت طيوراً طائرة فى كبد السماء فإنك تبكى قائلاً : أحقا تمر هذه الطيور على وطننا ، وحدث ما كان فقد أقبل عبيد السلطان فى اليوم التالى وربطت نور الدين بجلد رطب دون استئذان ومروا به على منزله ، ثم أحضروه إلى قونية فى حضرة على الدين^(٢) الذى أرسله من فوره إلى غياية سجن مطلق بالدبق^(٣) الأبيض ، وكف بصر من ألقوا به فى السجن مدة ثلاث سنين ، ووردت كلمات حاجى بكتاش على خاطر نور الدين ، وطلب كيس تراب وقبضة شعير ثم زرع الشعير فى التراب ورواه ، وعندما نبت الشعير نظر إلى أخضراره وينعه فلم يصب العمى بصره .

وبعد ثلاث سنوات استدعى على الدين نور الدين ولما رأى عينيه سليميتين سأله عن سبب ذلك فقص عليه الأمر ثم أرسله إلى مكان مرتفع من بلاد العجم وقال له : لا تأتني بعد ذلك إلى مملكة الروم ، ومات نور الدين في بلاد العجم (حضرت خونكار حاجي بكتاش ولي ، رمز الرموز الذي أظهره لنور الدين جوجه النسخة الموجودة في حوزتنا ، ٥٢ ، ٥٥) (٤) .

هذا وقد وردت في ولايت نامه هذه الحكايات في حق مولانا :

إن ملك المتصوفة وخليفة حاجي بكتاش صاري اسماعيل قال ذات يوم لشيخه حاجي بكتاش : لقد فترتُ الماء من أجلك فهل اغتسلت ؟ فقال حاجي بكتاش ليس الآن دور الاستحمام ، فاذهب أنت إلى قونية حيث يوجد كتابنا عند ملا خونكار جلال الدين فخذ وأقبل . ولم يلبث اسماعيل أن هم بالخروج واستقبله ملا جلال الدين قبيل وصوله إلى قونية ، ثم بادره سائلا لماذا أتيت ؟ ولما شرح له صاري اسماعيل سبب المجيء قال له ملا جلال الدين : أين أنت وأين حاجي بكتاش ؟ فرد اسماعيل قائلا : إن حاجي بكتاش يدخل ويخرج كل يوم إلى سبعة أبحر وثمانية أنهار ، وهو محتاج إلى الولوج في الماء ، فقال له ملا جلال الدين : أنت تتغطرس وتتوقع انظر إليه بعين مختلفة ، فقال صاري اسماعيل : حسن يا سلطانى فأعطه الكتاب وأرجع .

والمقصود بهذا الكتاب هو مولانا ، وهذه هي النصيحة التي أسديها إليك : هلم فاذهب وبلغه منا سلاما (حضرت خونكار حاجي بكتاش ولي وإرسال صاري اسماعيل إلى ملا خونكار ٧٠ ، ٧١) . ذات يوم هبت ريح هوجاء عاصف بأحد التجار في البحر ، فنذر خمسمائة قطعة ذهبية إلى صوفية الروم وكان حاجي بكتاش يحلق رأسه في تلك الآونة ، و على حين غرة أشار بيده إلى الحلاق قائلا له : كف ، ثم ما لبث أن بلغ درجة الوجد والانجذاب الصوفى لفترة من الزمان ، ولما أفاق من وجدته الذي غشيه هبت الريح على السفينة التي يركبها التاجر ، ثم قال لقد نذر لنا خمسمائة قطعة ذهبية ولقد ذهبنا وأنقذناه ، ثم هز أكمامه فسقطت منها ثلاث سمكات حية .

وبعد مدة من الزمان ذهب التاجر إلى مولانا فى قونية والتقى به وفهم أن مولانا لم ينقذه ، ولما سمع مولانا الواقعة قال للتاجر إنه أخونا حاجى بكتاش خونكار وأرسل التاجر إلى هناك وذهب إلى منطقة « صولوجق قره هويوك » وقدم النذر إلى حاجى بكتاش (حضرت خونكار حاجى بكتاش ولى والسفينة التى أنقذها من البحر ، ٨٠ ، ٨٢) .

وتروى ولاية نامه أن شمس الدين تبريزى كان خليفة لحاجى بكتاش ، وكان كذلك درويشا لمولانا وكان يؤذى العلماء فذهبوا إلى علاء الدين ورفعوا شكواهم إليه ، ولما لم يستمع السلطان إلى شكايتهم اعتزموا الرحيل من المدينة فأمر « أهى اوزن » بالخروج إليهم فى الموضع الذى برزوا فيه لإبادتهم واستئصال شأفتهم ثم دفنهم فى الأرض فى المرة الأولى مع الأغنام حتى ركبهم ، وفى المرة الثانية حتى أثدائهم^(٥) ، وبناء عليه فقد تابوا عن فعلتهم وانقلبوا راجعين (فى بيان الأوصاف الحميدة للسلطان أهى اوزن ، ١٢٠ ، ١٢٣) .

وثمة ذكر آخر للمولوية بسبب سيد محمود حيرانى^(٦) ، فلقد سمع عن حاجى بكتاش فامتطى أسدا من (آق شهر) وكان يستعمل سوطا يشبه الأفعى الملتوية ، وجاء لزيارة حاجى بكتاش فى معية ثلاثمائة درويش مولوى ، ولما سمع حاجى بكتاش بقدومهم أسرع من فوره وامتطى صخرة على شكل طائر يسمى أتقا Atka وجعل يقول لها سيرى على بركة الله ، واستقبل سيد محمود حيرانى وهو يغذ الصخرة على المسير ، ثم أسرع سيد محمود حيرانى بتقبيل يد حاجى بكتاش وجعل يمرغ وجهه تحت قدميه وانشغل هناك بالسماع أسبوعا كاملا ، وبعد ذلك قال حاجى بكتاش له « سر فلقد ألقينا بك إلى المكان الذى جئت منه وليكن هذا هو موضعك » ، ثم أرسله إلى « آق شهر » (التقاء حضرت خونكار حاجى بكتاش ولى بالسيد محمود حيرانى وركوب الأخير أسدا وتسيير حاجى بكتاش حجرا بلا روح : ٧٣ ، ٧٤) ولم تقف ولاية نامه عند هذا الحد ، بل تروى كذلك أن مولانا ما هو إلا شخص منسوب إلى حاجى بكتاش وذلك حسب أعراف وتقاليد البكتاشية التى تحرف الوقائع التاريخية كما تريد ، وإنها لتثير الانتباه فى هذا السبيل .

وقد كتب مولانا رسالة إلى حاجي بكتاش أراد فيها أن يكون شيخا من تلقاء نفسه . وفي ذلك الإبان كان حاجي بكتاش يجلس في صحبة ومسامرة ستة آلاف ولي بمنطقة « خرقه داغ » وكان لزاما على مولانا الذي يريد أن يكون شيخا أن يذهب معنا ، فسأل الخلفاء قائلا : أيكم يذهب إليه ، فصمت الجميع ، بيد أن شمسا كان من بين هؤلاء فقال : أذهب أنا إنه سلطان الصوفية ، أما حاجي بكتاش فغضب من قوله « أنا » ، ثم أرسل شمسا وقال له : اظهر بهذه الأثرة وذلك الغرور فإذهب برأسك أو بدونها .

ولما قدم شمس إلى قونية سأل عن مدرسة مولانا ، وذهب إلى هناك ، ولما أمعن النظر وجد في المدرسة قصيرا منيفا على شاطئ بركة ماء ، ويجلس داخل هذا القصر طفل مكفوف البصر ، أكتع يداه مشلولتان لا تقدر قدماه على حمله ، ثم قال للطفل : أين ملاء خونكار ؟ فقال الطفل اليوم الجمعة إنه ذهب إلى الصلاة ، فقال شمس للطفل ، اركض وناده ولتأتين ، قال الطفل : كيف أستطيع الذهاب وعيناي عميوان ، وقدماي لا تقويان على حملي ويداي مشلولتان وحينئذ سحب شمس عصا^(٧) من حول خصره وضرب الطفل وقال له هيا الحق بحضرة الشيخ . ولسوف يبرأ جسدك وجهك وعيناك ، وتفتحت عينا الطفل وشفيت يداه ورجلاه ، ثم جعل يركض ويركض واستدعى شيخه وقص عليه ما جرى . أقبل مولانا فرحا مسرورا من العافية اليبادية على الغلام ، نعم إنه أقبل ولكن انظر ماذا جرى ؟ ثم ألقى الشيخ الكتب كلها في بركة الماء .

وتأوه ، فلقد كان بين هذه الكتب كتاب ذو قيمة عظيمة ، فقال شمس دون أن يقاطع حديثه أكان هذا حقا ؟ ثم مد يده وأخذ أحد الكتب وناوله لمولانا وهو ينفخ الغبار عنه ، ولما رأى مولانا هذه الكرامة قال : النذر اليسير منا ، والكرم الكثير منكم ، والتمس العذر ثم طلب شمس مغنيا وعازفا وطبلة ونايا . ونفذ مولانا ما طلبه مولانا ، ثم بدعوا السماع وانشغلوا به سبعة أيام بلياليهن .

وقال شمس إننا لم نحظ بلحظة محبة في قلوبنا منذ زمن بعيد ثم أحضر قدح خمر ونادى عياله قائلا لتتشغل أولادك وبناتك بالسماع ، ولنجلس في معيتك ولتشرب الخمر ، ثم قال مولانا : نحن الصوفية لا نشرب الخمر ثم حللنا أريطة سبعة مراحل

وأشعلنا النار فى جذوع الأشجار ، فمن أين نعثر على الخمر ؟ قال : شمس يوجد فى القلعة كافر يطلقون عليه اسم « آلاكسى Aleksy » وفى مخزنه برميل ليس له طوق حديدى حوله ، فاذهب وأحضره ، ولكن حذار أن تدارى الأقداح .

ذهب مولانا إلى آلاكسى الذى لا علم له بهذه الخمر ، ثم نزلا إلى المخزن سويا ونظرا فإذا بالبرميل قد امتلأ بالخمر حتى فوهته ، ثم ملأ مولانا الأقداح وخرج إلى الطريق ولكنه كان يخفى ما جالبه تحت سترة قميصه ومن ثم فقد زلت قدمه وهوى على الأرض وانكسرت الأقداح وتجمهر الناس حوله وهم فى جلبة وصياح قائلين : لقد اقتلعت جذوع الأشجار وأضرمت النار ، وها أنت تشرب الخمر بنفسك ، وعلم شمس بهذا الأمر ثم أسرع نحو الناس وقال : يا هو ! إن هذا ليس بخمر إنه دبس^(٨) خالص من ثمر التوت ، وانحنى نفر من الناس فغمسوا أصابعهم ولما تذوقوه قالوا : إن هذا ليس بحق خمرا إنه دبس خالص .

ولما ذهب شمس إلى مدرسة مولانا قال : هلم فخذ قدحين واذهب وأحضرهما هذه المرة دون مواراة وفعل مولانا ما أمره به شمس ، ودخل المدرسة ونادى زوجته وبناته وأعد اللحم المشوى وقدم شمس قدحا ممتلئة لهم جميعا وجعلوا يتوادون ويتحابون سبعة أيام ، بيد أن الناس قالوا لوليد^(٩) بن مولانا إن أباك قد أصبح كافرا ويجب البحث عن علاج ناجع لهذه الأمر ، فقال وليد : لأقطعن رأس هذا الدرويش وأخلصنكم منه ثم أقسم الأيمان المغلظة ليضطلعن بهذا الأمر ، ولما أقبل إلى المدرسة نظر فرأى أباه وأمه وإخوته جميعا مشغولين بالسماع وأرجلهم لا تكف عن الحركة وهم يلفون ويدورون فى الهواء ، فما كان من وليد إلا أن عشق هذه الحركة التى هم عليها وأقنعوه بدورهم واستمالوه .

وذات يوم وقف مولانا على باب الخلوة ونادى شمس فاقبل فى الوقت المحدد ، ثم خرج يقول يا الله وضربه وليد بالسيف الذى فى يده ثم قطع رأسه فما كان من شمس إلا أن أمسك برأسه قبل أن تقع على الأرض وتناولها بيده ، ثم صاح قائلا : إما أن تستمسك بى أو بخونكار ثم قال لوليد إنك ستضطلع بالمهمة بيدك ، فهذا تقدير إلهى فسر فى طريقك حتى يوم القيامة ، ولتكن ذائع الصيت مشهورا ، ولتكن أصول

الطريقة بالتعلم مثل الفن ولن تكون بالهمة والعزيمة ولن تجد صديقك فى الطريقة
ألبتة ، فلن يمسك سر الشيخ وإلهامه وحاله وهمته ، ولن تكون الهمة فيك أو فى
دراويشك ولسوف يختفى السماع يقينا .

علم حاجى بكتاش بهذا الأمر فنهض من مكانه وخرج من منطقة « اوجلر
قابيسى » وقال : إما أن يأتى شمس أو شمس تبريزى ، وليكن مقامك هو تبريز ،
ولتكن هنا لمن يريدك ، فلا تقف وأسرع واذهب ! ولما سمع مولانا ما قاله شمس
« فاستمسك بى أو بخونكار حاجى بكتاش ولى » هم من فوره واثبا من مكانه ، ثم
أخذ يجرى فى إثر شمس وجاء إلى تكية حاجى بكتاش وقال له : اذهب إلى شمس
تبريزى وستجده فى منطقة خاموش .

ولما جاء مولانا إلى هنالك مهرولا فماذا رأى حينئذ ؟ لقد وجد شمساً منشغلا
بالسماع فوق منڈنة خضراء فصعد مولانا المنڈنة من فوره ونظر فلم يجد أحدا ،
ولما ألقى نظرة إلى أسفل رأى شمساً يمارس طقوس السماع فى قاع المنڈنة فجرى
وهو يقول : استمسك بى أو بشمس تبريزى ، ثم قفز من المنڈنة وإذا بشمس يمسك
بإحدى يديه ويمسك مولانا باليد الأخرى ، ثم قال له : ادفنى بالكفن ها هنا واذهب
أنت إلى حاجى بكتاش ونل نصيبك .

ذهب مولانا إلى حاجى بكتاش بعد فراغه من دفن شمس ، وقضى مدة الندم
أربعين يوما فى مطبخ التكية وهذا يعنى أنه مكث هذه المدة بقليل من الطعام
والشراب ، وبعد انقضاء هذه المدة حلق حاجى بكتاش شعر مولانا بحسب ما تقضى
به طقوس الطريقة ونواميسها ، ثم ألبسه القلنسوة مكبرا ثم قال له ليكن طريقك
مولويا ومسيرك بكتاشيا ، فصغارنا يطعمونك لقمة ، وليتقدم عظماءكم ليكونوا
خداما لنا ، ولتكن كسوتك الوحيدة هذه القلنسوة ، ثم بين للناس ما تراه منا من
أسرار ومن المريدين من آداب واستخدم الطريق القديم لمن ليسوا أهلا لذلك ، ثم
أردف قائلا : إن مريدك سيكونون على فرقتين ، وجميعهم سيكونون من شيخ
واحد ومن طريق واحد ويسمون بأسماء مولوية ، بيد أنهم لن يكونوا على دراية
بأحوالهم ومعتقداتهم مع بعضهم البعض (جامعة إستانبول - المخطوطات التركية

رقم ٤٨٢٠ - لسنة ١٣٠٩ هـ = النسخة التي اضطلع بنسخها الدرويش مصطفى في تكية حيدرية بمنطقة إسكوفيك ، ص ١٦٨ - ١٧٨ ، ولا وجود لهذا القسم في النسخة الخاصة بنا) .

وثمة نتيجة واحدة مستخلصة من هذه الروايات جميعها وهي :

أن مولانا كان معاصرا لحاجي بكتاش ، ويفيد بابا إلياس الخليفة الخاص لحاجي بكتاش والمقتول في سنة ٦٣٨ هـ = ١٢٤٠ م بأن مولانا كان من رجال حاجي بكتاش ، أما عاشق باشا زاده فيرى أن مولانا قدم من خراسان إلى بابا إلياس يعنى إلى أماسية ، ثم ذهب من هنالك إلى قيصري وشهد فيها تمرد البابلية ، وبعد موت أخيه منتش قدم إلى « قره هويوك » إحدى قرى « قير شهر » حيث استقر مقامه فيها ، ولم تكن الأمور على ما يرام بين مولانا وحاجي بكتاش بسبب اتخاذ خاتون أنه ابنة له (إستانبول - المطبعة العامة - ١٣٣٢ هـ = ص ٢٠٤ - ٢٠٦) .

كان مولانا وحاجي بكتاش كلاهما من أهل خراسان ، ولكنهما أسسا طريقتين تحمل كل واحدة منهما اسم صاحبها ، وشكلا هاتين الطريقتين مستلهمين الفيوضات من الطريقة الخراسانية ، بيد أن مولانا عالم عظيم وحاكم نو فكر ثاقب وبصيرة نافذة ، تأثر ذو سورة وحميا ، شاعر ألمع عبقري . أما إذا نظرنا في مقالة حاجي بكتاش التي لم تكن واضحة وذات أصل عربي وترجمة منظومة ومنثورة ألفيناه فيها شيئا بلغ أوج الكمال وكان احتفاؤه بالشعب عظيما ، كما كان الشعب يحتفى كثيرا بالبكتاشية ويقدرها حق قدرها وينزلها المنزلة التي تليق بها .

كان مولانا ذا شخصية مؤلفة موفقة بين المعتقدات الباطنية الخفية والشعائر الظاهرة الجلية . أما حاجي بكتاش فكان باطنيا بحذافيره ويتجلى هذا من خلال المقالات والمناقب الموجودة في الأعراف والتقاليد المولوية والبكتاشية على حد سواء . ومما لا مرية فيه أن الاختلاف في النزعة والمشرب سوف يتمخض عنه تناقض جلي بين هاتين الشخصيتين كليهما .

لم يكن مولانا مؤسساً للمولوية وكان حاجي بكتاش مثله لم يكن هو الآخر مؤسساً للبكتاشية ، ولما سأل مولانا من تلقاء نفسه عن طريق « جيجكلي بابا »

الموجودة فى نفس طريقته وفى معيته إبان القرن الرابع عشر الميلادى قال : إنه أصبح من طريقة أبى الوفا بغدادى ومن أحبه بابا إلياس (ترجمة الشقاق : إستانبول - المطبعة العامرة سنة ١٢٦٢ هـ ، ص ٣٢) . أما البقية الباقية من تمرّد البابليين فإنهم اجتمعوا حول حاجى بكتاشى الذى كان أكبر وأعظم المنتسبين إلى بابا إلياس فهو ملك القلندرية كما اشتهر بسلطان العارفين (الأبدال) .

وأصبحت تكيته وضريحه من بعده مركزا اجتماعيا . هذا ورغم احتفاء البكتاشية بطقوس وشعائر الفتوة على الخصوص ، فإنه قد تأسست تدريجيا إبان القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين طرق تمثل الشيعة الباطنية مثل : القلندرية والأدهمية والحيدرية والجامية .

وبعد تأسيس البكتاشية كان شمس المولوية يرون أن ثمة فرقا ضئيلا بين هذه الطريقة وبين المنتسبين إليها ، ولهذا فإن كلتا الطائفتين - باستثناء زهاد المولوية والطلبة المتدينين من البكتاشية - كان بينهما تآلف وتوافق على نحو حسن جميل .

لقد كان هناك تباين واختلاف عند المولوية وهم يعترفون بهذا دون مواراة ، ويشرحون هذا بصورة جلية من خلال تلك المنقبة الأخيرة التى نقلناها من رسالة ولايت نامة لحاجى بكتاش ، بيد أن البكتاشية من ذوى النزعة الباطنية الخالصة اضطلعوا بتطبيق شعار المذهب على أنه مجلوب من الباطن دون معرفة أو تعلم .

وإذا كان كثير من الوجهاء والأكابر قد باتوا خلفاء ودرأويش لحاجى بكتاش دون النظر إلى الزمان والمكان فإن هؤلاء قد عجلوا كذلك بزج هؤلاء الدراويش بين هؤلاء الخلفاء وبين كل من شمس مولانا دون أن تكون لهم علاقة قط بأى منهما على أى وجه من الوجوه .

ومما لا شك فيه أن كل هذا كان له تأثير مباشر فى المنافسة على الطريقة الماثلة فى مخيلة الناس .

كتبت ولايت نامة بين أعوام ١٤٨١ - ١٥٠١ م - ٨٧٦ = ٩٠٧ هـ ، ومن المعلوم أنه لم تبق نسخة مثل هذا الكتاب المكتوب ، وبينما استطعنا الوصول إلى هذه

المنقبة الأخيرة فى نسخة الجامعة فإن النسخة الأصلية التى فى حوزتنا قد نسخت
هى الأخرى فى منطقة « رسمو Resmo » سنة ١٢٢٦ هـ = ١٨١١ م .

ولا وجود لتاريخ النسخ فى النسخ الأخرى القديمة والتى مضى عليها أكثر من
ثلاثين عاما ، ونحن من هذه النظرة لا نستطيع التفوة بشىء صائب فى هذا الصدد
دون المقارنة بين النسخ الكثيرة القديمة . ولما ذهب « ديوانه محمد جلبى » إلى رحلتى
العراق وخراسان مر فى طريقه بتكية حاجى بكتاش ومن المحتمل أن يكون قد حل
ضييفا فيها مدة من الزمان ولهذا السبب فمن المحتمل أن تكون ثمة حادثة واحدة
أو بضع وقائع قد دونت ، وإن جلاءها كأنه تأصيل وإثبات لها ونعتقد أن هذا
مما أضيف إلى ولايت نامه بعد ذلك .

ورغم أن البكتاشية لم يضيفوا شيئا إلى ولايت نامه فإنهم وجدوا مناقب باسم
حاجى بكتاش ، وعلى سبيل المثال فإنه على رغم أن الشيخ « جلوت » (ت ١١٩٧ هـ =
١٧٨٢ = ١٧٨٣ م) كان مؤسسا للطريقة الجلوتية ، فإن الطريقة الهاشمية ما هى
إلا شعبية منفصلة عنها ، وفى الوقت نفسه فإن جلوتى منتسب بدوره إلى المولوية كما
يفهم بجلاء من الأشعار الواردة فى ديوانه حيث يدعى دائما بقطبيته .

ومع كل هذا فإنه^(١٠) كان بكتاشيا شرع فى ممارسة الطقوس وشعائر المتصوفة
على يد قطب الأبدال حسن بابا شيخ قصر العينى فى تكية بابا قايفوسز الكائنة
بمصر ، كما كان هاشم مصطفى بابا الأسكودارلى شيخا فى تكية حاجى بكتاش
مدة أربع سنين . ويشرح فى كتابه المسمى « عنقاء المشرق »^(١١) أن علاء الدين كان
يعتبر نفسه جدا روحيا لمولانا ، ولم يكن له أولاد ومن ثم فإنه استدعى الشيوخ
الموجودين بولاية قره مان وانتسب إلى واحد منهم يسمى بابا وبناء عليه كان اتجاه
مولانا إلى سبيل القوة والعزيمة ليكون من أهل الجذب ورغب كذلك فى تسليم السلطنة
إلى التتار . ويروى هاشم بابا أن كلا من : حاجى بكتاشى وأهى محمد نعمة الله
أرون وسيد شيخ أده بالى قد جاءوا جميعا إلى مكان ما وكان حاجى بكتاش يقول
« إن عسلى ووردتى وعظم مخى هم جميعا عالم المتصوفة » ، كما كان يقول لأهى
أوردن : (إن ملا جلال الدين هو وردة المتصوفة ، وإن العدو والصديق كليهما يكونان

إلى جانب الوجود فى ذروة الجلال ، ولكن إذا ما انكسر من الفؤاد جزء يسير فإنه يميل من فوره ناحية العدو ويكون الجلال ساعته محققا ثابتا لدى أصدقائه . والآن لا يكون ثمة عالم قريب من طائفة المجذوبين ، وهو يشبه من يكون قريبا من النار الحارقة) . وتشاور هؤلاء الرجال الثلاثة وأرادوا أن يجعلوا من عثمان سلطانا فاستدعوه وأمروه بالاستخارة ، ورأى عثمان فى منامه أن حاجى بكتاشى بمنطقة بالنطاق ، ويلف سيفا حول خصر أهى أرون ومنقوش على قبضة هذا السيف اسم الجلالة حتى بلغ ستا وألفين وسبعمائة مرة ، وكلمة الظلم منقوشة على فوهة السيف وبلغ عددها تسعا وتسعين مرة ، لقد كانت رؤيا طويلة ، بل إن الشمس المشرقة من حجر « آده بالى » هى التى تدخل فى حجرات أنت ، وتظهر من سرتك على شكل شجرة ، وترى وهى تكسو الدنيا . وعندما استيقظ قص رؤياه ، ثم أسرع هؤلاء الثلاثة فأخذوا عثمان فى ركن داخل الخيمة ومنطقوه بالحزام والسيف ، وزوجوه ابنة (آده بالى) .

ولسنا فى حاجة إلى القول بأن هذه المنقبة مزيفة ملفقة وهى موجودة لدى كل من أفلاكى وسبهسالر ، وقد كانت هذه الحكاية من أجل إغضاب مولانا بسبب اتخاذ ركن الدين قليج ارسلان « بابايى مرندى » شيخا له (مولانا جلال الدين - الطبعة الثالثة - ص ٢٤٢ - ٢٤٣) .

وقد نشأت حكاية رؤيا عثمان الواردة فى التواريخ العثمانية نتيجة اتحادها وائتلافها مع المنقبة الواردة فى ولايت نامه لحاجى بكتاشى (التاريخ المنسوب إلى النشر - جامعة إستانبول - المخطوطات التركية ، رقم ٢٤٣٨ ، ٣١) .

وقد ورد فى ولايتنامه أن على الدين قد عين ارطغرل واليا على حدود بورصة ، ولما التقى ارطغرل بحاجى بكتاش سلبت السلطنة من سلالة سلجوق مدة سبع سنين ، ثم قال حاجى بكتاشى إننى أوافق على أولادك وأصدق عليهم ، وبعد ارطغرل جاء ولده عثمان الذى عارض عمله « جوندوز ألبى » واستدعاه على الدين عثمان بن بناء على شكاية عمه ، وأرسله إلى حاجى بكتاشى ، وقال عثمان لأتحر كن كما نقول ثم طوى حاجى بكتاشى التاج الطويل من فوق رأسه والذى كان يخفيه مدة طويلة من الزمان

ثم ألبسه لعثمان^(١١) ، ثم خلع النطاق من حول خصره ومنطقه به ومنحه مصباح الهداية والإرشاد الذي كان أمامه وهو يكبر عليه ، ثم سلمه صرة على شكل قوس . وقال له : لقد وهبتك اسمي « خونكار » أما علاء الدين الذي سمع هذا الحديث فقد هم من فوره بتسليم عثمان الراية والطبلة الكبيرة وجعل منه سيدا ، ثم ألبس جنوده تاجا مثل تاجه (النسخة التي في حوزتنا - النظر في اسم خونكار الذي منحه حضرة خونكار حاجي بكتاشي إلى عثمان بك ، ١٠٢ ، ١٠٩) .

ولقد كتبنا أنفا بين سطور هذا الكتاب أن « أرجون جلبى » لبس تاجا من سبع قطع ، كما لبس « ديوانه محمد جلبى » تاجا من اثنتى عشرة قطعة ، كما أن محمد جلبى « قد ذهب فى رحلتيه صوب العراق وإيران مصطحبا معه أربعين مولويا وكلهم من البكتاشية ، وكان يسمى هؤلاء الشيوخ الأبدال ، ناهيك عن خصائصهم ونعوتهم الأخرى ، حتى إن « سبوحى أحمد دده » شيخ تكية « ينى قابى » قد انتسب إلى البكتاشية قبل أن يكون مولويا . ورغم هذا التآلف والتلاحم ظل محصورا فى طائفة من المولوية الأبيقوريين فإنه استمر حتى الأزمنة المتأخرة . فالمولوية متحقة ثابتة فى الديوان الفارسى بحسب ما ورد كذلك فى الديوان التركى .

« إن مولانا هو رجل منبع للفيض الأزلى ، واستلهم العرب الفيض منه وكذلك الهند والعجم ، وهو المهدي سامق الذرا ، ونجمه يشبه عليا ، وهو سر الله الأعظم حتى بات فكره استاذا للقضاء والقدر »^(١٢) . وقد جلى الشاعر « نفعى » (ت. ١٦٣٥ م = ١٠٤٥ هـ) هذه القصيدة بكلمات تقول فحواها : « شرع فؤاد يتحدث إلى الله ، إن فؤادى قطرة عاجزة تكاد تختفى وتتلاشى ، فانظر مليا فقد هدا البحر ، إنها مجرد فكرة من أجل إطراء مولانا والثناء عليه لأن البحر أصبح موطن تجاري مولانا »^(١٣) .

وبهذه الرباعية يؤيد اعترافه ، وله رباعية أخرى يوضح فيها نزعتة البكتاشية ويقول فيها : (رغم أن الفؤاد هو مرآة الأسرار العلوية ، فهذه هى القلنسوة القديمة لحاجي بكتاشي ، فإما أن تكون المرآة أو صاحب المرآة ، وخلاصة القول إنها تكون جوهر الشبه للجمال الأزلى) .^(١٤) ولقد قلنا أنفا إن بعض شيوخ قاسم باشا كانوا

يلبسون التاج البكتاشى تحت قلائسهم ، ومعلوم كذلك أن المرحوم عبد الواحد جلبى
كان خليفة لحاجى بكتاش ، ويقول « ناي زن توفيق » إن شيخ بهارية حسن
فخر الدين كان ينتسب إلى الشيخ منير بابا شيخ التكية البكتاشية فى « سوتلوجه » ،
أما « ناي زن توفيق » فهو نموذج على اتحاد المولوى والبكتاشى كما يقول
فى هذا الشعر :

نايم هه يم ايله بكتـشـاشى جناب مـولـانا
ظاهر سلـتـمـد مـحـمـد آل عـبـا
بو نايزانه كـوره يوقـدر أو مـاسـسـوا وسـوا
وطن ديد كلرى غـربـتـده بى كس يم آمـا

والمعنى :

إن ناي وخمري فى معية جناب مولانا بكتاشى
ومحمد وأهل العباد هما ظاهر سلطتى
ويرى ناي زن أنه لا شىء فى الوجود سوى الله
بيد أنى غريب فى غربة ما يقولون عنه إنه الوطن.
ثم تجلى اتحاد كل من المولوى والبكتاش والحروفى على هذا النحو فيقول :
ذات سلطان بقا يعنى معـانـى خـسـرو
سازوسوز آهـنـك ايتـمـشـن عشقه برهان قوى
بن أزل سر مستيم ميدانم عرش مستوى
عكس ايدنجه كو كلمة شمس حقت برتوى

می ده بکتاشی کورندم نی ده اولدم مولوی
حبی حیدر یو طریقک هم صکویی هم باشیدر
جاویدان مثنوی مصباح شعله باشیدر
صورت معناده خونکارین سرقسارد شیدر
مشیریم ملایی رومی مذهبیم بکتاشیدر
تا ازلدن یانندی دلده بوججراغ معنوی
(العذاب المقدس : إعداد إحسان أده سنة ١٩٤٩ - ص ١٠٥ - ١٩٠)

والمعنى :

إن بقاء ذات السلطان يعنى معنائى سلطانية
ونعمة ربابك وكلامك كانت للعشق برهانا قويا
أنا من الأزل سكران وميدانى هو العرش المستوى
وكلما انعكست فى فؤادى شمس الحقيقة الوضاعة
رأيت البكتاشى فى الخمر وأصبحت فى الناي مولويا
ان حب حیدر (على) هو نهاية الطريق وآخر المطاف
والمثنوى الخالد هو مصباح منير
وفى صورة المعنى سر الأخ خونكرى البكتاشى
مشربى هو مولانا الرومى ، ومذهبى بکتاشى
وأضواء فى قلبى من الأزل هذا المصباح المعنوى .

وأنا أعلم كذلك أن شيخى المرحوم « ظهورى دده » هو أحد خلفاء التكية البهارية
(ت ١٩٣٥ م)

وكان قد بدأ طقوس شعائر المتصوفة على يد « يشار بابا » (ت ١٩٣٦ م)
والذى كان يتبوأ مقام المشيخة فى تكية (قره يا غدى) فى ذلك الإبان .

أما نحن فقد انتسبنا نحن كذلك فى عمر السادسة عشرة إلى الشيخ « بويوك
عبد الله بابا » (ت ١٩٢٣ م) تبركا به ، وهو المؤسس لإحدى التكايا فى منطقة
« تكاجيلر » الموجود فى « طوب قابى » .

وخلاصة القول أن ما ينبغى شرحه وتفصيله هو ما يأتى :

إن المولوية حتى ولو كانوا بكتاشية فإن طريقتهم المولوية تأتى فى الصدارة ،
ولا سبيل إلى أى مولوى أن يقتنع راضيا بأن يكون بكتاشيا ألبته ، إنها المولوية
بنايها وسماعها وسرورها ووجدها وجذبها وشعرها وعلمها ومعرفتها ، بيد أن
البكتاشية بدورها قد استقرت وتوطدت أركانها . فى روح المولوى ، وبهذا القول
يتسنى لنا إضافة نشوة وسرور ضافيين إلى عناصر الوصف والجمال آنفة الذكر ،
ويتجلى هذا فى اللحظة التى كان يقضيها الصوفى أمام هذا الصوان حيث تغشاه
النشوة والسرور ، ويسمى هذا فى العادة « صوان المحبة » ، ورغم كل هذه الأشياء
فإن شيخ مصر « عزمى أفندى » يقول فى ست عشرة صحيفة من كتابه المسمى
« مهم البيان » :

« إنه مضطرب فى حال من الشتات ، وليس له دثار مثل نصر الدين خوجه حتى
أنه يتدثر بالمعول والمجرفة » وهو فى كتابه هذا - الذى يزخر بالأخطاء التى لا سبيل
إلى إحقاقها - يبدو مناهضاً للبكتاشية ، متفوها بأشياء لا يتسنى لطلبة المدارس
الدينية التفوه بها ، لأن عقلية مولوية خالصة ، وهى طريقة شرعية برمتها ولم يتسن
له أن يجد وقتا للقراءة لأن مؤلفات مولانا هى فى العادة كتب فقه وتفسير^(١٥) .

المولوية وأهل الفتوة :

شرحنا فى كتاب « جلال الدين الرومى » أن ثمة اتحادا وتآلفا بين الملامتية وأربابها من جهة وأهل الفتوة من جهة أخرى ، مما نجم عنه مناهضة الطلبة الدينيين للطريقة الصوفية والوقوف ضدها وقد انفصمت هذه الشعب الثلاث الأساسية للتصوف عن الشعب عن طريق طقوسها وشعائرها ولباسها وتكايها ، كما أنها بذلت جهدها بغية الوصول إلى الحقيقة وإدراك كنهها ذاكرين أسماء الله (مولانا جلال الدين : الطبعة الثالثة - القسم الثالثة - القسم الثانى : التصوف ، ولا سيما : ص ١٤٥ - ١٥٢) .

كما أشرنا كذلك إلى أن ثمة علاقة ثانية لشمس مع أهل الفتوة (القسم الأول : شمس ، فى أى قسم من أقسام المتصوفة يكون ؟ (ص ٥٩ - ٦٦) .

وعلى حين كانت الملامية بمثابة المصدر الذى يمثل أيولوجية عقيدة وحدة الوجود فإن أهل الفتوة الذين انبثقوا من الساسانيين قد اضطلعوا بدورهم بتطبيق هذه الأيدولوجية فى الحياة ، مشكلين بذلك طبقة الصناع الحرفيين ، وسواء كان سيد برهان الدين هو شيخ أهل الفتوة أو شيخ أبيهم ، أو كان هذا الشيخ هو « شمس الدين » أو هو « قويومجى صلاح الدين فإنهم كانوا جميعا على كل حال مستلهمين الفيوضات الإلهية من الطريقة الملامتية ، وكان مولانا بمثابة الممثل النائر الهائج ذى سورة الحميا لهذه الطريقة ، ومن ثم فإنه ليس من قبيل الشذوذ حدوث ذلك التلاحم والتآلف الذى توشجت وسائله بين مولانا وأهل الفتوة الذين التفتوا حوله من كل جانب .

وكان هذا سببا فى إبداعه للمثنوى ، ثم خلفه من بعده « جلى حسام الدين » الذى اشتهر بالقطب من قبل عاشقيه ، وهو الأمين الدينى للشيخ « بير أهى تورك » (مولانا جلال الدين - الطبعة الثالثة ، ص ١١٥) . وهكذا فإن مولانا والمقربين إليه كانوا قد تآلفوا والتحموا مع أهل الفتوة بدءاً من العصور المبكرة . ولم يستطع أهل الفتوة تحمل جيشان وسورة حميا مولانا ، كما أن بعض الأخيان كانوا يلومون مولانا ، وهذا يعنى أنه رغم وجود شيوخ الفتوة فإن أهل الفتوة وكثير غيرهم من الأخيان كانوا يحبون مولانا من تلقاء أنفسهم . هذا وقد استمر التلاحم والتآلف

مطردا إبان عصر كل من سلطان ولد وأولو عارف جلبى ، وقد رأينا فى ترجمة سيرهم الذاتية أنه كان يوجد خلفاء لكليهما من الأخيان ، كما كانا يتعايشان مع هؤلاء الأخيان بصورة جيدة على الدوام .

بدأت المولوية بعد هذه الحقبة المبكرة تتخذ وضعا جديدا غير جلى بصورة تدريجية وذلك عن طريق التلاحم والتآلف مع أهل الفتوة الذين باتوا بدورهم مصطبغين بصبغة الطريقة الصوفية الخالصة . وفى الحق فإن الملامية ما هى إلا طريقة منفصلة عن البيرامية فى القرن الخامس عشر الميلادى ، كما أنها احتضنت أهل الفتوة وعانقتهم .

كانت الفتوة بمثابة رمز للدعاية الصوفية فى دولة آل عثمان إبان القرن الخامس عشر الميلادى ويتأتى هذا من ناحية بلوغها أوج درجات الكمال فى أواخر هذا القرن ، بيد أن ثمة قسما من طريقة الفتوة ظل محروما عن طريق الطقوس والشعائر التى يمارسها ، وكانت هذه الطائفة تمثل بأيدولوجيتها كلا من : البيرامية الملامية (الحمزية) وصناع المآزر وبائعيتها ، ورغم أن أفراد هذه الطائفة ، بدأت تتضاقل تدريجيا حتى انقلاب سنة ١٩٠٨ م فإنها استمرت على هذا المنوال .

أما المولوية فإنها - كما فصلنا القول آنفا - فكلما مر الزمان ما تلبث أن تنقسم عن الشعب والقرية والقروى ، وسرعان ما يشتد نزوعها نحو الطائفة المستتيرة . ورغم هذا فإن آثارهم الموجودة فى المتاحف باتت فى متناول الأيدى ويمثلها طوائف من أمثال : المذهب^(١٦) .

وصناع الملاعق والمقطّع وصانع السكاكين وبائع الخلال^(١٧) والسُّبحة وهم جميعا فنانون من المولوية لم ينقسموا عن طائفة الصنائع وأرباب الحرف ، وإذ أمعنا النظر مليا ألفنا طائفة كثيرة من المولوية تنتسب إلى الحمزية وهذا يوجب بالضرورة الحكم على وجود علاقة وثيقة لبعض المولوية بأهل الفتوة حتى الأزمنة المتأخرة ، ولندون فى هذا الصدد ما دبجه أسرار دده فى منظومة له تسمى رسالة الفتوة سنة ١٢١١هـ = ١٧٩٦م (الديوان ، ص ١٥٣ - ١٥٩)^(٢) .

المولوية والملامية :

ثمة طريقة صوفية تعرف باسم الملامتية واستمرت حتى حاجى بايرام (ت ٨٢٣ هـ = ١٤٢٠ = ١٤٣٠ م) . إنها طريقة ترتبط ارتباطا وثيقا بالعرى بطقوس وشعائر المتصوفة ، وهى كذلك منفصلة عن الشعب بزيها المختلف وأحوال مجتمعيها المتباين واصطلاحاتها المتميزة . وهذا التباين ظاهر بجلاء فى المظهر والرأى والفكر والمفهوم على حد سواء ، وقد فعلت الملامية كما فعلت المولوية ، إذ كانت بعد تأسيس التكايا تعبيرا عن رد فعل يتجه تدريجيا نحو الطائفة الغنية المستنيرة .

كان للملامية زى خاص وتكية خاصة وأوراد وأذكار ، وخلاصة القول أنها كانت منفصلة عن الشعب تنفر بشدة من كل شىء ، متصدية لرياء طلاب الطريقة المتدينين ، ناهيك عما كانوا يضطلعون به كذلك من إخفاء الخيرات الصالحات التى كانوا يعملونها ، أما الشر فيميطون اللثام عنه ، ويرتضون باللوم فى صورة واضحة جلية حتى ولو كان هذا اللوم بسبب شرور وقبائح لم يقترفوها ، ولهذا سمو باللامتية لأن « اللوم » كان أساسا ركينا فى طريقتهن الصوفية ، وعرفوا كذلك باسم « أهل خراسان » ثم « صوفية خراسان » بسبب تركزهم فى خراسان بدءا من القرن التاسع الميلادى على الخصوص .

استقر هؤلاء الملامية أكثر فأكثر ببلاد العراق ولذلك سمو باسم « العراقيون » ، وهم صنف من المتصوفة الذين يقبلون الذكر بغية الوصول إلى الحق سبحانه وتعالى ، ولا يقبلون الرياضات الروحية وهجر الدنيا وغيرها من المبادئ والأسس الأخرى ، بل كانوا على خلاف ذلك ، إذ كانوا يوصون بعدم الانسحاب من الدنيا ويريدون من كل إنسان الاشتغال بعمل يكسب منه قوت يومه .

ولا يأكل من الوقف ، وكانوا يقولون كذلك ، إن بلوغ الحقيقة سوف يتحقق فقط عن طريق العشق وال جذب . وهؤلاء هم الملامية الذين عرفناهم حق المعرفة من خلال الرسالة الملامتية التى خصهم بها « أبو عبد الرحمن السلمى » صاحب الكتاب المشهور « طبقات الصوفية » الذى كتبه سنة ٤١٢ هـ = ١٠٢١ م .

ولما كان هؤلاء الملامية ذوى أيديولوجية بعينها فإنهم ائتلفوا والتحموا مع أهل الفتوة ، وكلما مر الزمان كانوا هم الممثل لعقيدة وحدة الوجود المتجاوزة للحد والبالغة أقصى غايات الغلو ، وهم فى هذا السبيل يمثلون أيديولوجيتهم خير تمثيل ، أما أهل الفتوة فكانوا يضطلعون بتشكيل طائفة من الصنائع وأرباب الحرف ساعين إلى تطبيق هذه العقيدة فى مضمار الحياة ، وكان كثير من أكابر الملامية فى نفس الوقت شيوخا لأهل الفتوة ، وإن شعار إخفاء الخير وإمالة اللثام عن الشر وأفكار وحدة الوجود المتجاوزة للحد تجعل هذه الطائفة ولا ريب تختلط ممتزجة بأهل الباطن .

لا جرم أن أهل الفتوة بطقوسهم وشعائهم ونزعاتهم قد انتظموا واتسقوا تحت تأثير الباطنية .

انبثقت من الملامية بعد ذلك الطرق الشيعية الباطنية التى انتحمت بتلك الطوائف والتفت بدورها حول الأشخاص الكبار الذين نشئوا وترعرعوا بين ثنايا الطريقة الملامية ، وهذه الطرق إما أن تكون ذات نزوع نحو الباطنية أو تكون مألوفة للسجاياء والخلال الباطنية ، بيد أنها أصبحت بمثابة مصدر الفيض الإلهى للمجتمعات التى تزود وتنافع عن الظاهر ، وعلى هذا النحو فإن طرقا صوفية مثل : القلندرية والحيدرية المتشعبة عن الكبرى والجامية والأدهمية قد تولدت جميعا من الملامية وكانت تمثلها إبان القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين . ورغم أن « بابا إلياس » مؤسس الطريقة البابلية ومن حوله كانوا متبعين من طريقة الشيخ أبى الوفا البغدادي « إلا أنهم كانوا من ناحية النشأة الصوفية والاهتياج العاطفى خراسانيين بكل ما تنطوى عليه الكلمة من معنى ، وعلى هذا النحو فإن البكتاشية التى أسست فيما بعد باسم بابا بكتاش كانت تتلقى الفيض الإلهى من هذا المصدر بعينه .

اضطلع الشيخ « صفى الدين أردبيلي » (ت ٧٣٤ هـ = ١٣٣٤ م) إبان القرن الرابع عشر الميلادى بتأسيس الطريقة الأردبيلية الصوفية ، وهذه الطريقة كانت فى حقيقة أمرها تتخذ من أسماء الله الحسنى أساسا لسلوكها ، وهذا يعنى أنها تقبل بالرياضة الروحية عن طريق ذكر أسماء الله بالسفر الروحى المعنوى ورغم أن هذه

الطريقة انبثقت فى الوجوه من الخلوتية فإنها ظلت فى معية القنلدرية رازحة تحت تأثير أهل الفتوة ، أما ولده صدر الدين (ت ١٣٩١ = ١٣٩٢ م) وأسباطه فقد اصطبغت طريقتهم بالصبغة الشيعية الخالصة إبان عصر كل من والد وجد الشاه إسماعيل الصفوى (ت ١٥٢٤ م) مؤسس الدولة الصفوية الإيرانية .

أما حفيد صفى الدين وخليفة علاء الدين على والمشهور باسم حامد ولى فكان موجودا كذلك فى معية حاجى بايرام خليفة حميد الدين آق سراى (ت ٨١٥ هـ - ١٤١٢ = ١٤١٣ م) ، واضطلع فى أوائل القرن الخامس الميلادى بتأسيس الطريقة البيرامية التى نشأت من اتحاد كل من الطريقتين النقشبندية والخلوتية معا ، بيد أن هذه الطريقة ما لبثت أن تشعبت عقب موته إلى شعبتين اثنتين كان يمثلهما : طريقة آق شمس الدين (ت ٨٦٣ هـ = ١٤٥٨ = ١٤٥٩ م) والتى يقبل أتباعها بالرياضة الروحية والأسماء الحسنى ، وثانيهما : طريقة أمير سكينى (ت ٨٨٠ هـ = ١٤٥٧ - ١٤٧٦ م) والتى يقبل أتباعها الطريقة الملامية .

وكان تكوين شعبة الطريقة عند أمير سكينى ذا عقيدة مغالية متجاوزة للحد فى مسألة وحدة الوجود مما اضطر الدولة إلى التحرك بصورة ظالمة متعسفة ضد هؤلاء الصوفية ، وأعدم الشيخ أوغلان المشهور بجز عنقه فى معية اثنى عشر درويشا (٩٤٦ هـ = ١٥٣٩ م) ، وحبس أنقره لى حسام الدين حتى قضى نحبه فى غياهب السجن ، وكان قد صدر حكم بإعدامه (٩٦٤ هـ = ١٥٥٦ - ١٥٥٧ م) ولكن المنية عاجلته قبيل تنفيذ الحكم ، وقد عين الكاتب والوزير من بين هؤلاء الصوفية إبان عصر حمزة بالى البوسنوى ، ثم هبوا جميعا ثائرين فى وجه الحكومة ، وكان لزاما على الحكومة أن تتحرك لمواجهةهم ، وجىء بحمزة بالى إلى إستانبول وضربت عنقه تحت سطح تل « دوه أوغلو » بالسليمانية (٩٨٠ هـ = ١٥٧٣ م) ، وبعد مقتله نهضت الحكومة متعقبة أثر الملامية البيرامية ممن يسمون باسم (حمزى) (١٩) .

أما الملامية الأولون فكانوا لا يقبلون الذكر والرياضيات الروحية والخلوة والأسماء الإلهية واللباس الخاص ، كما أن تكاياهم لم تكن ملامية ، ومن ثم فإنهم ارتضوا بالعشق والجذب من أجل السلوك ، وكانوا يعتبرون الرابطة القلبية

بالشخص المعروف بالقطب هي بمثابة الأساس الركين للعشق والجذب كليهما ، وأن الفيض الإلهي سيكون ماثلا في نظرة الشخص الذي يؤذن له بالإرشاد من قبل هذا القطب . واللامية متوافقة متوائمة مع قسم من أهل الفتوة واشتملت على عقائدهم بدءا من عهد (إدريس محتقى) (ت ١٠٢٤ هـ = ١٦١٥ م) على وجه الخصوص .

وبعد ذلك فكر أرباب الطريقة في وجوه التقصير والإهمال بيد أنهم كانوا يعدون أرباب الطرق الأخرى جماعات لم تبلغ الحقيقة بعد ، ومع كل هذا فرغم أن البكتاشية قد زجت بنفسها في هذا السبيل فإن ثمة أشخاصا كثيرين من الطرق الأخرى قد دخلوا الطريقة الملامية وانخرطوا في مضمارها .

أما شيوخ الطريقة الملاميون فلا جرم أنهم كانوا يداومون على طقوس وشعائر طرقهم الصوفية ولا سيما فيما يتصل بالهيئة والمنظر ، بيد أن ذوى المقدرة ممن ينتسبون إليهم فقد كانوا يساقون سوقا إلى الملامة والتوبيخ . كانت المولوية هي أكثر الصوفية توافقا وتلاؤما مع الملامية ، فالمولوية تعتمد على نفس الأسس والمبادئ التي تعتنقها الملامية ، ونعني بها ، العشق والجذب ، كما أنها تستقي من نفس المعين ، وهذا يعنى كذلك أن المولوية تستلهم الفيض الإلهي من الطريقة الخراسانية ، والمولوية تختلف وتتمايز عن الطرق الأخرى مثلها في ذلك مثل الملامية ، وقد أسلفنا القول بأن المولوية كانوا لا يعدون أنفسهم متصوفة ، ومن ثم فإن الطرق الأخرى التي نعتتهم بأنهم صوفية كانوا لا يسامحون المولوية ، وإن فكر الملامية المعروف بعينه قد ظل مقترنا بالمولوية ، فهاتان الطريقتان يشبه بعضهما بعضا .

وإن أمثال كل من : أولو عارف جلبى وأمير عابد جلبى وبوستان جلبى وجلال الدين أرجون جلبى وديوانه محمد جلبى والشيخ محمد زنجير شكن وصبوحي أحمد دده كانوا جميعا ممثلين بأحوالهم الصوفية للملامية كما كان جلهم من المولوية المنتسبين إلى الحمزية بطريقة مباشرة ويحكي مستقيم زاده في كتابه المسمى « شطار الملامية » أن شارح المثنوى « صارى عبد الله » (ت ١٦٩٠ م) كان موجودا في الخزانة العامة إبان عمله في رئاسة الكتاب ، وبعد ذلك كان في معية الشاعر « نشاطى أحمد دده » (ت ١٦٧٤ م) الذي أدركته المنية عندما كان شيخا

مولويا فى أدنة ، كما كان الشاعر والخطاط المولوى « جفرى » (ت ١٦٥٤ = ١٦٥٥ م) يمدح صارى عبد الله وينتسب إليه ، حتى أنه عندما توفى جفرى فإن أهل محلاته لم يحضروا الجنازة بسبب عدم تسامحهم له ، بيد أن صارى عبد الله شارك فيها وفى معية إخوانه ، وغسل جفرى ثم دفنه فى الجهة الشمالية من الطريق المؤدى إلى ميناء «دفتردار» الواقع خارج منطقة « إبرى قابى » ، وسوى قبره حتى لا يكون ظاهرا ، وتوجد شجرة سرور فوق الرأس والقدم ، بيد أن مريديه يعرفون مكانه ويزورونه .

ويرى مستقيم زاده أن كلا من « يچ يولو » وعارف أحمد دده شيخ ينى قابى (ت ١٧٢٤ = ١٧٢٥ م) وأمير خليل آغا وهم من الحمزية ، وسيد أبو بكر دده (ت ١٧٧٥ م) كانوا جميعاً من المواطنين على مسامرة ومتادمة (هباشى زاده) . زعيم على آغا (ت ١٧٩٤ = ١٧٩٥ م)^(٢٠) . ويفيد شاهد قبر مصطفى رشيد أفندى والد الشيخ غالب دده أن شاهد هذا القبر كان ذا قلنسوة معممة ملتوية وأن صاحبه مصطفى رشيد أفندى (١٨٠١ = ١٨٠٢ م) كان من أكابر المولوية ووجهائها ، كما يفهم بجلاء من النقش الموجود على شاهد قبره أنه كان من كبار الملامية المحققين)^(٢١) .

وكان شاهدا قبر كل من الشاعر المولوى فصيح دده (ت ١٦٩٩ م) ونحيفى سليمان مترجم المثنوى إلى التركية نظما (ت ١٧٣٨ م) ليسا إلا شاهدى قبر حمزى^(٢٢) .

وقد انتسب عبد الباقي أفندى آخر شيوخ التكية المولوية « فى ينى قابى » بتوجيه منا إلى سيد أحمد مختار (ت ١٩٣٣ م) ، وعند وفاته نظم عبد الباقي مقطوعة شعرية دون فيها تاريخ وفاته بتاريخ الجمل^(٢٣) منها قوله « إنه الشخص الذى امتدحه الخلاق ، ارتحل عن الدنيا على حين غفلة ، وذهب إلى الدار الآخرة ، وبسبب فراقه ادلهمت أيامنا بالسواد وباتت تشبه الليالى الحالكة ، يا حى يا باقى : لقد اختير مختار محمد الذى مدح الأنبياء إنه مختار السيادة » .

يقول باقى أفندى إن أباه أحمد جلال الدين (ت ١٩٠٨ م) وجده عثمان صلاح الدين (ت ١٨٨٧ م) كانا حمزويين حتى إن قبر جده عثمان موجود فى الجهة اليمنى للطريق القادم من ينى قابى والمؤدى إلى « سيلورى قابى » والمرصوف بالأسفلت فى الوقت الحالى ، ونعتقد أن « حمزة بالى » اضطلع بتعمير وإصلاح تكية « قابى دن دريا » وقدمها إلى محمد على باشا وأحاط الزاوية الخارجية لهذا البناء بدرابزين مكون من ست قطع ثقيلة من الحجر والحديد ، ويوجد بيت من الشعر أعلى شاهد القبر الأبيض وعلى طرف عمود المقبرة المفتوح أعلاه^(٢٤) .

المولوية والحروفية :

اقتبس الإسماعيلية كثيرا من الفيثاغورية المقترنة بالديانات الهندية القديمة ، ثم جاء فضل الله الحروفى مؤسس النظام المطبق على الإنسان والذى يؤول سائر أحكام الشريعة معتمدا فى ذلك على الأصول والقواعد المقدسة والمضافة إلى الأعداد التى لها علاقة وثيقة بين الحروف والأرقام ، وقد قتل شهاب الدين فضل الحروفى مؤسس الطريقة الحروفية وهو فى الخامسة والخمسين من عمره فى قلعة تسمى « ألينجق » بمنطقة « سنجرية » على مقربة من استراباد .

وكان هذا فى (يوم الجمعة ١٦ من ذى القعدة لسنة ٧٩٦)^(٢٥) وكان هناك تأثير عظيم للحروفية فى المولوية ، والحروفية تقبل اللفظ والصوت كليهما ليكونا أساسا للكون بأسره ، فالصوت موجود بالقوة فى كل شىء وعندما نضرب شيئين ببعضهما البعض فإنه يصدر عنهما فعل ، بيد أن عودة الكلمة إلى حانها يكون فى معية الإنسان ، ومن هذه النظرة يكون الإنسان هو ذات الله ، والكائنات صفات .

فاللغة تتأنى من الحروف ، وفى القرآن ثمانية وعشرون حرفا ، ولما اضطلع فضل الله بكتابة كتابه (جاويدان) بالفارسية ومعناه الخلود فإنه أضاف إلى

الفارسية حينئذ أربعة حروف على الخصوص وهي P - C - J - G . وهكذا أصبحت الثمانية والعشرون حرفاً اثنين وثلاثين .

وهذه الأحرف الثمانية والعشرون أو الاثنان والثلاثون موجودة في شكل الإنسان وفي وجهه على الخصوص . ففي وجه الإنسان سبعة خطوط تسمى الخطوط الأمية لأنه يولد بها من أمه ، وتتمثل في الحاجبين وأربعة رموش وشعر واحد ، وينشأ كل واحد من هذه الخطوط من أربعة عناصر وعلى هذا تكون الخطوط السبعة ثمانية وعشرين . وقد فرق النبي محمد صلى الله عليه وسلم شعره من الوسط إلى قسمين قائلاً : هذه سنة جدى إبراهيم ، وهكذا أصبحت الخطوط السبعة ثمانية وباتت بالعناصر اثنين وثلاثين خطأ .

وتوجد الخطوط الأبية ونعني بها خطوط الأب لأنها هي التي تظهر في الوجه بعد ذلك سبعة خطوط وتتمثل فيما يأتي : ذقتان وشاربان وشعر المنخرين وخط واحد يوجد أسفل الفك ، وهؤلاء ثمانية وعشرون خطأ وإذا ما انقسم الفك السفلى من الوسط تكون الثمانية بناء على ذلك اثنين وثلاثين .

توجد في كل يوم صلاة مفروضة من سبع عشرة ركعة ، وفي يوم الجمعة خمس عشرة ركعة ومجموع هذا وذاك ينبثق منه اثنان وثلاثون خطأ ، ويُطاف حول الكعبة سبعة أشواط ، وهي إشارة إلى الخطوط السبعة والفاصلة سبع آيات وهي رمز كذلك لهذه الخطوط السبعة ، وليس في الفاتحة سبعة حروف ولا في المرأة سبعة خطوط .

وخلاصة القول أن الحج والزكاة والصيام وسائر الأحكام الدينية جميعاً تكون مطابقة لهذا النظام .

ويعتقد الحرفيون أن عيسى والمهدي كليهما هما فضل الله لأنه جاء ، وأضاء الحقيقة ، حتى أنه تجلية بكمال الله ، وبشر به كل الأنبياء ولقد شوهدت الحروفية وهي تقبل المذهب السني في الممالك السنية ، والمذهب الشيعي في الممالك الشيعية ، بيد أنها كانت تحافظ دائماً على شخصيتها المصطبغة بالصبغة الشيعية الباطنية ،

ولكنها لم يتسن لها البقاء فى شكل طريقة مستقلة قائمة برأسها ردحا طويلا من الزمان ، ثم ما لبثت أن تغلغت فى طرق كثيرة أخرى ، وأصبحت فى ذلك الإبان واحدة من أسس وأصول الطريقة البكتاشية على وجه الخصوص ، وفى الآية الخامسة من سورة طه ، ورد قوله تعالى : الرحمن على العرش استوى^(٢٦) وقال المفسرون كلاما متباينا فى معنى « استوى » مثل قولهم إن كلمة « عرش » تأتي بالمعنى الآتية : الارتفاع والسمو ، أو يكون الاستواء بمعنى كونه فى حالة متساوية تامة ، أو بمعنى القصد والتعزيز والتثبيت ، وعلى هذا فيكون لله جسم وملكاً وفق أولئك الذين قبلوا معنى الآيات ، وهو يجلس فوق هذا الملك ، بيد أننا لا قبل لنا بمعرفة كيفية الاستواء والعرش كليهما ، ويرى أنصار مذهب يطليموس أو العرش هو الجهة المقعرة للسماء التاسعة ، أما الكرسي فهو الجهة المحدبة ، وعلى هذا يكون معنى الآية : أن الرحمن هو صاحب الرحمة والمغفرة ، والعرش يعنى الإحاطة والشمول بسائر الموجودات ، والمعنى يعبر أن رحمته شاملة لكل شيء ، والعرش فى رأى من أولوه وقبلوه على أنه العلم والمعرفة يتأتى عندهم بمعنى أن علمه يحيط بكل شيء ، ولا جرم أن لهذه الآية معانى مجازية أخرى ، وثمة مفسرون سلخوا فى تأويلها وشرحها مسالك متباينة . أما الحروفية فيرون أن العرش هو سطح الأرض وهو الكون ، ومن هذه النظرة فإن كل شيء حتى جسد الذرة تكون فى حقيقتها عرشاً ويكون الإنسان هو عرش الله من ناحية الكمال وذلك حتى يتجلى الله فى هذا الإنسان ، ويكون الاستواء نفسه موجودا فى الكون كله ، بيد أن ثمة شيئا ظاهرا بكمال فى الإنسان وهو أن يكون الوجود متساويا تماما منقسماً إلى قسمين . وعندما فرق النبى صلى الله عليه وسلم شعره من الوسط إلى قسمين أصبحت الخطوط السبعة ثمانية بالعناصر الثمانية والعشرين ، وهذا يعنى أنه قد ظهر اثنان وثلاثون خطأ ، وعلى هذا النحو ظهر سر فضل الله^(٢٧) .

ومما لا مرية فيه أن الاستواء قد استعمل فى التصوف على أنه مصطلح مقتبس من نفس الآية ، واقتبس مولانا الاستواء فى المثنوى بمعنى الكمال واستعمله مرة

واحدة ليس إلا ويقول فى هذا ما فحواه « تجاوز عن السكر ، وأسكر أنت الخلائق ، ودع كل الحيل والذرائع ، وارتحل إلى استوائه » (ج ٦ ، ٦٢٢) ، وهذا يعنى أنك لا تخدع نفسه ولا يغضبك أحد ولا تتجرف منساقا إلى كل لون ، وابلغ الكمال واشهده كله .

ويتسنى لنا بعد هذا المدخل المقتضب البحث عن التأثير الذى خلفته الحروفية فى المولوية :

يرى المولوية أن الخلافة ليست هى ما يمنحه الشيخ ، وعليه فإن من يبلغ مقام الاستواء هو صاحب الخلافة الحقيقية والروحية ، وفحوى هذا أن ذلك الشخص يرى المعنى الباطنى والحقيقة الجوهرية للخلائق والكائنات والله مثل رؤيته الخلائق وتجلي الإله .

وإنه ليجد المعاملة اللائقة بسبب وجوده وبلوغه أوج الكمال المطلق ، ويعطى كل شىء حقه الحتمى الضرورى بسبب استعداده ومواهبه شريطة ألا يترك العدالة قط فى هذا السبيل ، فهو لا يريد من الحجر أن يستحيل خشبا ولا يزعم أنه يستطيع إسناد مهمة المرآة إلى الخشب ، ومن ثم فهو يرى كل شخص محقا بحسب استعداده فى ذات مقامه . فالشئ الكائن سيكون شيئا واقعا ، وإذا توجب علينا التفوه باصطلاح جديد عن كل حادثة فإنه يكون نتيجة للظروف التى هيأها .

وإن مهمة الإنسان الكامل تمهيد السبيل إلى الكمال العمومى مُربيا أولئك المستعدين المهيئين للكمال ، هكذا يكون صاحب المهمة الإلهية ، إنه يرى الخلائق فى معية الله فى نفس الوقت وبصفة واحدة ، بيد أنه يرى الوجود كله من ناحية الظهور والاختفاء وكأنه صاحب استعداد وفيض إلهى مختلف وبعدالة جد مطلقة .

وهذا يعنى أن لا يكون ظالما على أى وجه من الوجوه ، ويكون فى ضرب من المعاملة لا يتصدى فيه بوضع شىء محل شىء آخر ، ويوجد هذا المفهوم بحذافيره لدى الجروفيه ، وعلى سبيل المثال فإن سيد اسحق أحد خلفاء الله يقول فى شعر له ما فحواه « أيها المقلد : اسع واقدح لتحقيق حال رجال المتصوفة ، وكن قرطاً لأذن

حلقة الصدق والاستقامة ، واغتسل بالصدق والطهر والتقوى ، وازرع بذرة الصدق فى مزرعة الفؤاد ، وسترى هذه الصورة كل شىء متساويا مستقرا فى موضعه الثابت الذى لا يتغير ، ويلزمك ساعتئذ الاستواء الخلقى والروحى ، وإن هذا الاستواء الخلقى والروحى لهو الصدق والطهر والنقاء ، وعليه أن يترك البخل والرياء والأشياء الباطلة ، ولا يرى نفسه ذا تجلة واحترام ، ويتأتى هذا باتباع الأوامر والإحجام عن كل الأشياء المتكلفة ، وهذا هو طريق الله ، أما ما عداه فهو ستر وحجاب « (٢٨) .

أما مفهوم الاستواء عند المولوية فهو صوفى محض ، بيد أن هذا المفهوم امتزج بتأثير الحروفية إن الإنسان الذى يعى ويدرك كنه تبوء منصب الخلافة عليه أن يكابد ويقاسى شريطة أن يأتى مرتديا جبة خضراء عرضها إصبعان متدلّية إلى الأمام فوق قلنسوته وتسمى هذه القلنسوة « استوا Istiva » وهى موجودة فوق مقبرة مولانا ومقبرة كل من : أولو عارف وزمير عارف جلبى اللذين يرقدان بجانبه ، كما توجد كذلك فى قلانس صوفية خراسان وقلانس كل من : كمال دده والشيخ صبوحى الموجودين فى التكية المولوية فى ينى قابى بإستانبول ، ويقول « شاهدى » فى كتابه « روضة الأسرار » إنه توجد (استوا) خضراء فى قلنسوة (فنائى) .

وقد عاش كل من أولو عارف وأمير عابد وكبار زهاد الشلبيين قبيل تأسيس الحروفية وانتشارها ، وإذا أمعنا النظر إلى هذا مليا ألفينا أن قلنسوة الاستوا الموجودة عند المولوية قد توافقت وتطابقت بعد ذلك مع المفهوم واتبعت سبيله . بيد أنه يوجد كذلك شىء آخر يتمثل فى أنه ليس ثمة استوا فى قلانس كل من مولانا وسلطان ولد وصلاح الدين وجلبى حسام الدين وغيرهم من أكابر وأساطين المولوية الأقدمين (٢٩) .

لا جرم أن « الاستوا » قد نشأ بتأثير الحروفية ، فهل شدت هذه الاستوا بعد ذلك فوق قلانس أولو عارف جلبى وغيره من الشلبيين أم لا ؟ إن هذا شىء حسن جميل ، لأنه يوجد اليوم تجديد مطرد فى كل القلانس والعمائم على حد سواء .

وقد سمعنا أن الاستواء لم تمنح من قبل جلبى أو من قبل أى خليفة كائننا من كان ، أما الصوفى الذى يبلغ مقام الخلافة الإلهية فإنه ما يلبث أن يجذب من فوره

هذه الاستوا فوق قلنسوته من تلقاء نفسه . ولكن ثاقب دده كتب يقول : إن جلبى اضطلع من ناحيته بالتكبير على استوا قلنسوة آغا زده محمد دده شيخ غاليبولى (ت ١٠٥٣ هـ = ١٦٥٢ = ١٦٥٣ م) . (ج ٢ ، ص ٢٦ ، سطر ٨ من أسفل) .

كما يدون ثاقب دده إبان حديثه عن شخصية صبحى أحمد دده أن جلبى اضطلع كذلك بإلباس هذا الشيخ ما يسمى قلنسوة استوا الخلافة (نفس الصحيفة ، سطر ٢ ، من أسفل) . ويفهم من هذه العبارات الصريحة أن الاستوا لم تكن تنشأ من تلقاء نفسه ، ومن ثم فإنه يوجد كذلك من يضطلعون بشد الاستواء على القلنسوة من تلقاء أنفسهم .

ويتوجب أن تكون الاستوا قد ظهرت فى الوجود عقب انتشار وشيوع الحروفية وبتأثير خالص من هذا المذهب ، أو أنها وجدت قبيل ذلك ثم استحدثت فى خاتمة هذا المفهوم الصوفى ، ثم ما لبثت أن بلغت أوج كمالها عندما تألفت والتحمت مع مفهوم الحروفية ، وإن هذه الغزلية للشيخ آغا زده تعد شاهدا تاما فى هذا السبيل .

وارث علم لدنى آدم ————— معنى بزز

واقف سر رموز علم الأس ————— ما بزز

فقر ايله فخر ايله وك ملك فراغت شاهيز

لا أبالى بيزز اكرجى عارف دانا بزز

سى ود وخط أقودق يارك جسمالندن عيان

استوا مزينى بيلدك امت وسطى بزز

مظهر ملابى رموز مستنوى برهانمز

سالك راه حقيققت واصل مسولى بزز

(السفينة ، ج ٢ ، ص ٢٩) .

والمعنى :

نحن رجـال وارثون العلم اللدنى
مطلعون على سر رمز علم الأسماء
ونحن ملوك ملك نكران الذات والفخر بالفقر
عارفون عالمون لانكتسرت بشيء
قرأنا كل ما هو ظاهر من جمال الحبيب
وعرفنا قلنسوة الاستواء ، فنحن أمة وسط
وبرهاننا مظهر مولانا ورموز المثوى .

سالكون طريق الحقيقة ووصال مولانا ، وعندما كان سباهى دده (ت ١٧١٠ م)
شيخا على التكية المولوية فى « لوفكوشة » بقبرص اضطلع بتدبيج مسدس^(٢٠) يكرر
فيه بيتا يميظ اللثام فيه عن هذه العقيدة بعينها فيقول :

هويد أوله لى خط استوا فرق كلاهمده
على العرش استوى سرك بوله لى قبله كاهمده

والمعنى :

فليظهروا خط استوا فى فرق قلنسوتى
ولنجد سر على العرش استوى فى جهة قبلتى
وهذا مطلع قصيدة لأسرار تتكون من خمسة وثلاثين بيتا وفيه يقول :
درويش أولنجه عالم كبرايى استوا
ألف وجسودر سكا مسعنانى استوا

والمعنى :

عندما يكون الدرويش هو عالم كبراء الاستوا

وإن معنى الاستوا يكون لك بمشابة ألف وجود

ثم يجلى هذه الفكرة عينها فى أبيات أخرى مثل قوله :

برخطدر آما نقطة ذاتك مـآليـدر

سى ودود حرفه أصل اولور ليمايى استوا

برمولوى له راست آل رسول أوله

موروث در علامت خضراى استوا

خير الأمور أوسطها در خلافتـه

بين السلوك والاي استوا

(الديوان ، ص ١٠ - ١١)

والمعنى :

هو خط واحد ولكن المعنى متمثل فى نقطة الذات

وإن حرفين أو ثلاثة هو إشارة إلى الاستوا

إن المولوى هو من يكون مستقيما مع آل رسول الله

والعلامة الخضراء للاستوا هى شىء موروث

أيتها الخلافة إن خير الأمور أوسطها

ومسلك رفعة الاستوا لها شأن عظيم بين السلوك

ويستطرد أسرار دده فى شعره إلى الحد الذى يقول فيه (ص ١٤١)

أى زاهد خوشك ايله مه بيهوده جدال
محتاج دكل سكا خدای متعال
بالله بدل كلور عباد تهرینه
برآه ایدرسسه یار و جوددن آبدال

والمعنى :

أيها الزاهد لا تفوه بتوافه الكلام والجدل العقيم
فالحق سبحانه غير محتاج إليك
فتعال إلى عبادته بدلا من هذا الكلام
فإذا تأوه الصوفي فهي صادرة من جسد الحبيب
ثم يصرح بالفكرة عينها في أبيات وردت في رسالته المسماة « الرسالة المباركة »
(ص ١٤٨ - ١٥٣) فيقول :

جون آلف جیزی ندارد در سماعك عارفی
سایه خط استوائی شمسك أولدر واقفی^(٣١) .

والمعنى :

عندما لا يوجد شيء فوق الألف
فهذا هو العارف بالسماع
وإن شمسًا عالم بظل خط الاستواء
أولا نازل أولان آيت كسه بسم الله در

نقطة نك رمزك بس بعده كورن آكاهدر^(٣٢)

آنحق أول برنقطة تك تفسير در قرآن هب

اولد نركس سريني تحقيقده حيران هب

والمعنى :

إن بسم الله هي أول آية نزلت من القرآن

والرائي عسالم بالنقطة والرمز

بيد أن القرآن كله تفسير لهذه النقطة

وتحير كل إنسان في تحقيق هذا السر

ويوجد عند المولوية - فضلا على الاستوا التي تشد فوق القلنسوة - شيء آخر

يحيط بجانب الخرقعة من كل جانب ، وهو أخضر اللون وعرضه أصبع واحد ويسمى بالشريط^(٣٣) .

ويوجد في قاعة السماع خط مفترض أن يشد بصورة مستوية من أمام مقام

الشيخ حتى منتصف الباب ، ولا يطؤه أحد ، ويتوجب أن نقول إن عقائد الحروفية ذات

لجذور المتأصلة قد استقرت وتوطدت في نفوس كثير من المولوية الأبيقوريين إبان

القرن السادس عشر الميلادي . أما أفكار الحروفية الواردة في أشعار كل من ديوانه

محمد جلبي ويوسف سينه جاك فإنها واضحة بجلاء ، وإن كل المولوية الأبيقوريين

كانوا يقرعون كتاب « جاويدان » .

ويتبين كذلك أنهم كانوا مشغولين تماما بكتب الحروفية ، وفي النهاية

فقد وردت أبيات في آخر غزلية لشيخ « بهارية » حسين فخر الدين دده يقول فيها :

سى ودو حـرفى وجـهه عـلـمـده

اوقـويوب سـرينه خـبر اولدم

فـخـر ايدرسـم بجـادر أى فـخـرى

بـيـر مـك سـايـه سـنـده بـيـر اولـدم

والمعنى :

حروف الاثنين والثلاثة موجودة فى وجه العدم

وقـرأتـها وعـرـفت أسـرارها

وإذا افتـخـرت يا فـخـرى فـهـذا شـىء لائق مناسب

وأصـبـحت شـيـخا صـوفـيا فى كـنـف شـيـخى

وتبين هذه الأبيات مدى تأثير الحروفية الذى استمر حتى عصور متأخرة .

ويتوجب علينا فى خاتمة هذا البحث أن نقول ما يأتى :

لا جرم أن المولوية رزحت تحت تأثير الحروفية ، ومع هذا فإن الحروفية قد خلفت

تأثيرا فى الطريقة الملامية الحمزية ، بيد أن هذا التأثير لم ينتقل من مولانا أو من

هؤلاء أنفسهم فى أى وقت من الأوقات مثلما حدث للتأثير الحروفى الذى كان متغلغلا

فى البكتاشية ، ولم يكن هذا التأثير أحد عناصر المولوية ، ومن ثم فإنه لم يتغلغل فى

الطريقة أو يصهرها فى بوتقته . لقد انساق المولوية مسارعين إلى تطابق وتوافق

غريبين فى مضمار التأويلات الباطنية ، وعلى كل حال فإنهم اضطلعوا بقراءة كتاب

« جاويدان » أى كتاب الخلود وغيره من آثار الحروفية الأخرى ونهضوا كذلك باحثين

فى قضايا الاستواء والثمانية والعشرين والاثنين والثلاثين حرفا ، بيد أنهم لم يدبجوا

كل أشعارهم بهذه الأشياء الساخرة المضحكة ، كما لم يدنسوا علمهم وثقافتهم

بالحنالات والثقلات ، ومن ثم فإنهم لم يحلوا فضل الله محل مولانا فى أى وقت من

الأوقات ألـبـتـة . ورغم أنه من المتعذر إنكار تأثير الحروفية فى المولوية فإنه لا سبيل

كذلك إلى إنكار تلك الألفة والصداقة والحميمية بينهما^(٢٤) .

وكان لزاما علينا أن نسجل فى نفس الوقت ما يفيد بأن زهاد المولوية لم يكونوا زهادا يتصدون للبحث عن الحروفية فى أشعارهم ويشدون الاستوا فوق قلائسهم .

المولوية والخلوتية :

رأينا فى سلسلة النسب المولوية أن مولانا ينتسب إلى الطريقة الكبروية ، وأن هذا النسب يرقى حتى يبلغ الشيخ أبا النجيب عبد القادر سهروردى (ت ١١٦٧ م) . كما أنه يصل فى نسبه إلى الجنيد بواسطة رجال الخلوتية .

وقد سجلنا فى نفس المبحث رواية تتصل بأواصر المحبة والصدقة التى كانت بين كل من أحمد غزالى (ت ٥١٧ هـ = ١١٢٣ م) الذى مر ذكر اسمه فى هذه السلسلة المعتبرة وبين كل من مولانا وعبد القاهر كليهما ، ومن هذه النظرة فإن الخلوتية هى بحذافيرها طريقة الأسماء ، وقد قورت الخلوتية أن تعتبر نفسها شعبة من الطريقة المولوية المشهورة ، وأن تحتفى بها أيما احتفاء . ونحن نرى أن البيرامية الملامية نشأت رغبة منها فى الانتساب إلى هذه السلسلة النسبية ، ناهيك عن كونها أكثر حمية وأشد غيرة ، وكانت المولوية ذات نشوة صوفية خالصة .

لقد اضطلع عبد القاهر بتنشئة وتربية قطب الدين أبى بكر أحمد (ت ١٢٢٨ = ١٢٢٩ م) والذى كان شيخا لشعبة الطريقة الأبهريّة ، واضطلع هذا الشيخ كذلك بتنشئة وتربية خليفة إبراهيم زاهدى جيلانى (ت ١٣٠٥ م) من شعبة ركن الدين (ت ١٢٣٠ م) ، ثم نشأت البيرامية من هذا الفرع وكان هذا سببا فى تأسيس الملامية من جديد .

يعتمد المولوية على سلسلة النسب الكبروية المروية والتى تؤلف بين المولوية وممثلى الأبيقورية وتوجد بينهم من ناحية سلسلة النسب ، وعلى سبيل المثال فإن صارى عبد الله يقول فى كتابه « جواهر البداية ودرر النهاية » أنه بعد أن تم تسجيل نجم الدين ليكون خليفة لسلطان العلماء وأصبح شمس تبريزى خليفة لقطب الدين أبهرى ، وأنه ذهب إلى قونية بأمر من ركن الدين ، ثم أصدر حكما فى كتابه يقول فيه

« إنهم أرباب السماع فى طريقة المولوية ، وأهل صفاء سلطان ولد وحسام الدين ومولانا الرومى والمنتسبين إلى ركن الدين سجاس عن طريق سلسلة نسب شمس تبريزى » . (جامعة إستانبول - المخطوطات التركية ، رقم ١٨٢٣ - ١٣٠) .

ثم يكتب صارى عبد الله ثانية فى كتابه « ثمرات الفؤاد فى المبدأ والمعاد » فيقول:
إن شمساً ذهب إلى قونية بأمر من ركن الدين واضطلع بإرشاد مولانا ، ثم يردف قائلاً :

« إن الطريقة المولوية جمعت كلها عند ركن الدين سجاس » (إستانبول - المطبعة العامة ١٢٨٨ م ، ص ١٣١) . ونحن نقرأ كذلك أبياتاً فى السلسلة الملامية الحمزية والتي دبجت إبان عصر « سوتجى بشير آغا » الذى كان قطباً للحمزيين فى عام (١٠٧٢ = ١٠٧٣ هـ ١٦٢٢ م) وقد لقى حتفه فى البحر غرقاً ، ويقول فى هذه الأبيات :

رکن دینہ دیرلدى صکره نصیب

عاقبت اول ده اردی کأنه شهها

خدمتک لقطب دینک ایتشمش ایدی

تاصببا وتدن اول شه فضلا

سورسه آتک اشیکیه یوزینی

خاسساته دلر بولوردی درده دوا

شمس تبریزی آنک میریدی ایدی

اکا ارشیدی هم دخی مسلا

(مكتبة مللت : دورية رقم ٧٩٩ ، واقتبست الأبيات من السلسلة المنظومة فى كثير من المواضع فى كتاب ثمرات الفؤاد لصارى عبد الله دون ذكر اسم الناظم) .

والمعنى :

منح ركن الدين على نصيب من التصوف
وبلغ السلطان هذا المنجم فى خاتمة المطاف
وكان فى خدمة قطب الدين
حتى أنه بات ملك الفضلاء من صباوة العشق الصوفى

وإذا مرغ وجهه على عتبته
فإن القلوب العليلة تجسد الدواء
وكان مريده هو شمس تبريزى

الذى وصل إليه العبقري مولانا الرومى
ويقول حبشى زاده (ت ١٧٢٧ م) إن صارى عبد الله قد تحدث فى كتابه
المسمى « مسلك العشاق » عن الملامتية ، ثم اضطلع بعد ذلك « لالى زاده سيد
عبد الباقي » (ت ١٧٤٦ م) بتذييل الكتاب مضيفا إليه سلسلة الملامية ، ثم يعرض
لذكر مولانا وشمس بأبيات فى قصيدته « مسلك الإشراف » والتى كتبها وشرحها ،
ويقول فى أبيات منها (٣٥) :

مسيح آسا اولويه شمس تبريزى فلك منزل
عجب اولمركه عشق حق ايله صاحب سياحتدر
جلال الدين مسولانا بى رومس ويرى أنك
بوميدا نده صفا بخش سماع ووجد و حالدندر

والمعنى :

لو أن فلك منزل شمس تبريزى يشبه المسيح
فلا عجب أن يكون صاحب سياحة مع عشق الإله

وأحد عشاقه هو مولانا جلال الدين الرومى

وهو فى هذا المضمار مانح المصفاة والسماع والوجد والحال

وبديهى أننا لسنا فى حاجة إلى القول بأنه ليس ثمة علاقة بين شمس وركن الدين ألبته .

ويقول ركن الدين بوضوح فى كتابه « المقالة » إنه كان مريدا « لأبى بكر سله ياف » ويدون أفلاكى هذه الرواية كذلك قارئاً ومدققاً النظر فى كتاب المقالات بصورة كاملة متقنة^(٣٦) .

وفى الحق فإن هذا المفهوم استمر طويلا من قبل أولئك المنتسبين إلى الحمزية ، وهذا يؤيد وجهة نظرنا التى جليناها أنفا والمتصلة بعدم إصرار الخلوتية الآخرين فى هذا السبيل ، وفى سنة ١٥٦٨ م توفى فى مدينة « قسطنطينى » حاجى شعبان ولى « الذى اضطلع بتأسيس فرع الطريقة الشعبانية المنفصمة عن الخلوتية ، وقد ورد فى آداب وطقوس هذه الطريقة أنهم يكررون دبر كل صلاة « لا إله إلا الله » ممدودة ، ثم يقولون فى الثالثة « محمد رسول الله » ، ولا ريب أن هذه الشعيرة مقتبسة من المولوية بصورة مباشرة .

وقد اضطلع « اسكودارلى سيد نصوحى محمد » (ت ١٧١٨ م) بتأسيس فرع الطريقة النصوحية المنبثقة من الشعبانية ، وكانت وشائج العلاقة موطدة بينه وبين المولوى الحمزى « فصيح أحمد دده » . ثم كانت الطريقة الإبراهيمية المنفصمة عن النصوحية والتى كان يمثلها « كشاده لى إبراهيم » (ت ١٨٤٨ م) ، وكانت شعبة الطريقة الكوشادية ملامية خالصة من ناحية السلوك الصوفى ، وفى النهاية نشأ من هذه الشعبة « فاتح ربه دارى أحمد أميش أفندى » الذى يعد أحد الصوفية ... المقتدرين نوى الكفاءة إبان تلك الحقبة المتأخرة من الزمان (ت ١٩٢٠ م) ، ورأى لزاما على أن أسجل فى هذا المقام وجود علاقة ثابتة مؤكدة بينه وبين كل من الحمزية واللامية المتأخرة .

المولوية والنقشبندية :

الطريقة النقشبندية هي شعبة صوفية تعليمية خالصة ، ولا سيما أنها جاءت بعد « إمام ربانى أحمد فاروقى » مجدد الألف الثانى الهجرى وصاحب العقيدة السنية الكاملة ، وقد التحمت النقشبندية وتواعت مع الطرق الشيعية الباطنية مثل القلندرية والبكتاشية والحمزية ، وكانت المولوية تتفق مع هذه الطرق فى النزعة العلوية ، ثم كانت العلاقة الحميمة بين المولوية والنقشبندية ، وثمة مفهوم جديد الغرابة يتمثل فى ذلك الفكر المزيف الملفق الذى تمخض عن هذه السلسلة النسبية .

أما هذه السلسلة النقشبندية فهي - كما تفيد إحدى الروايات وكما ذكرنا فى سلسلة المولوية - تصل إلى يوسف همدانى وتسمى بطريقة « هاجكن » ، بيد أنها تردت هذه المرة فى غير المولوية وحميتهم ، وأحاطوا كذلك بأولئك الزهاد الذين اتبعوا سبيل زمرة الشيخ فى الأناضول على وجه الخصوص ، وكانت النقشبندية ذات نفوذ شديد الذيوع فى الهند وكأنها كانت تريد التدليل على كفاءتها ومقدرتها باعتبارها شعبة صوفية مستقلة قائمة يرأسها . وتمخض عن هذا أن كان للسلوك الصوفى عند النقشبندية ثمانية أسس وهى :

معرفة أحداث الزمان ونظر فوق القدم وسفر فى الوطن وخلوة فى المجلس وذكر وعودة وتقهر ونظر وتذكر ، ثم يضاف إلى هذه العناصر الثمانية بعد ذلك ، وقوف الزمان ووقوف العدد ووقوف القلب ، وهذا يعنى تذكر الله فى كل نفس ، ويكون هذا الذكر ماثلاً أمام ناظريه حتى لا تتشتت ذاكرته ، ثم النظر ملياً إلى موضع قدمه عند المسير ، والالتقاء فى ترحال روحى فى الموضع الذى يقطن فيه ، والمكث وحيداً فى المجتمع والاهتمام بذكر الله بالقلب عندما يذكره باللسان ، وعندما يذكر الوحدة الإلهية فإن هذا يعنى قوله إننى أريد رضاك يا الله ، فهذا هو مقصدى وبغيتى ، وألا يستحضر شيئاً فى قلبه سوى الله ، وعليه بالحمية والهمة ليكون صاحب قدم راسخة فى هذا المقام ، وتتلاشى نفسه فى كل لحظة روحية ، وألا يتشتت فكره ، وعليه الاحتفال بالذكر وصرف العناية إليه من أجل هذا ، ثم الاطلاع والوقوف على الذكر والفؤاد .

فهذه الأسس والعناصر موافقة للمولوية مطابقة لنواميسها ، وقد قيلت هذه العناصر وكتبت ووجدت جميعها فى شعيرة ألف والدوران عند المولوية ، ومن المحتمل كذلك وجود تأثير للملامية الحمزية فى تلك الحمية المتجاوزة للحد ، وسبب ذلك أن كثيرا من الملامية يرون أن البيرامية ما هى إلا طريقة نشأت من اتحاد كل من الخلوتية والنقشبندية (ثمرات الفؤاد ، ص ١٤٦ - ١٤٧ - الجوهرة ١٣٣) .

وها هو ذا (لالى زاده) يقول فى رسالته المسماة « المبدأ والمعاد » عند الحديث عن شخصية شارح المثنوى « مراد بخارى » حيث يقول : وكان فوق كل هذا منحصرا فى الذات الشريفة منشغلا بصحبة ومسامرة ومنادمة الطريقة العلية الملامية البيرامية متوافقا مع هذه الطريقة الأخيرة ومع أطوار وسلوك خاجكان النقشبندية ومتوائما كذلك مع آداب كمال الاتباع للرسول محمد صلى الله عليه وسلم . ويرى الحمزية أن قطب الزمان الشيخ مراد كان منتسبا إلى شيخ الإسلام « ياشمقجى زاده أيوب » (كتب مهرى شاه سلطان ، رقم ٢٠٥ ، ٣) .

وثمة وجه آخر نلاحظه متمثلا فى أن المولوية واللامية كلتيهما قد وجد أن هذه الأسس الثمانية مؤسسة على الذكر مبنية عليه ، وأن الذكر هو شىء مستحسن متفرد قائم بذاته ، وأن هذه الأقوال تأتى متطابقة تماما مع طرائقهم ومبادئهم ومشاربهم ونزعاتهم ، وعندما تكون مراقبة النفس والانتباه إلى الذات والانشغال بالعمل فى موضعها مُحَصِّية خفكان الفؤاد مهية للسفر والترحال فإنها تكون حينئذ جميعا متوافقة متطابقة تماما مع النشوة الصوفية الملامية ، بيد أن ثمة فارقا جوهريا بين المفهوم والفكر النقشبندى وبين المفهوم والفكر المولوى الملامى .

فالقلندرية لم يتركوا حمية المولوية وغيرونها عاطلة غير مستخدمة ، ومن ثم فإنهم نهضوا من فورهم لاستثمارها لحسابهم الخاص ، كما أنهم هموا كذلك زاعمين التبشير بنقشبندية مولانا ويظهر الشيخ بهاء الدين نقشبندى (ت ١٣٨٩ م) ، وهم يرون أنفسهم أكثر سموا وعلا .

وكانت هناك استحواذ وقبض على زمام المولوية لتكون في مواجهة الانكشارية الذين اعتمدوا على البكتاشية إبان المساعي المبذولة والإصلاحات المحسوسة في عصر السلطان أحمد الثالث ، وقد أهملت النقشبندية التي كانت تحظى بالرعاية والاهتمام من قبل طائفة شيوخ المتصوفة والتي كانت آنذاك في معية المتعصبين ، ناهيك عما كانت تتمتع به من ذيوع وانتشار ، إنهم طائفة من النقشبندية من ذوى العلم والثقافة الذين ولوا وجوههم شطر الشيوخ المستنيرين .

كان الشيخ « مراد ملا » (ت ١٧٧٨ م) قد اضطلع ببناء دار لقراءة المثنوى في أيام الأربعاء وكان عالما ضليعا أدى خدمة جليلة للعلم والمعرفة في عصره ، وأوقف من أجل ذلك مكتبته العامرة وكان هناك شيوخ نقشبندية مثل : الشيخ « مراد بخاي » شارح المثنوى ومعلمه في التكية النقشبندية الكائنة بمنطقة « أيوب تشانجى » ، وكان هؤلاء الشيوخ سببا موثرا في التلاحم الذى انعقدت أواصره بين المولوية والنقشبندية وإن هذا التلاحم والتآلف الظاهر بين المولوية والنقشبندية قد اطردها وازداد قدما وسرعة عن طريق التأثيرات السياسية .

وكان استئصال السلطان مراد لشأفة الانكشارية والبكتاشية معا سببا في استمساك الحكومة أكثر فأكثر بالنقشبندية وفي معيتها المولوية .

وإن ولاية نامه أى رسالة الولاية التى دبحها حاجى بكتاش لتجلى تلك الأصرة القوية التى انعقدت أسبابها بين كل من حاجى بكتاش وأحمد يسوى ، وهذا يعمم رأى البكتاشية القائل بأنها أصبحت مستمسكة بطريق « هاجكان » ، بيد أن التفسخ والانهيار أصابها بعد ذلك بسبب التأثيرات الشيعية الباطنية ، وكان هذا الاقتناع بسببا فى أن البكتاشية القديمة قد منحت لشيوخ النقشبندية ، وفى تلك الآونة حصل كثير من شيوخ البكتاشية على شهادة التخرج النقشبندية ، وانخرطت فى سلك البكتاشية كذلك ثلة من شيوخ النقشبندية الذين أرسل بهم إلى التكايا مما نجم عنه إنشاء شعبة علوية أبيقورية داخل الطريقة النقشبندية ، وقد تمخض عن التآلف والتلاحم المولوى النقشبندى ظهور الشيخ « حسام الدين الأيوبى » وهو من مشاهير

قراء المثنوى من النقشبندية (ت ١٨٦٤ م) ، وكذلك شيخه « خواجه سليم » ، كما نشأ وترعرع كذلك طائفة من شيوخ تكية « مراد ملا » وهم : محمد مراد وفضل الله أفندى وخليفة خوجه حسام الدين وتلميذه الشيخ مصطفى وجيى ، وهم جميعا من قراء المثنوى . ومن هؤلاء خواجه حسام الدين الذى كان ذا أصرة قوية بالمولوية أكثر من النقشبندية ، وكان يلبس دائما قلنسوة مثنوية ملفوفة بيضاء ، ويلبس مريديه قلنسوة بغير عمامة^(٣٧) .

حظى الشيخ النقشبندى القونىوى « بهجت » على شهرة فى عصره ، واضطلع بتشيد مسجد وتكية باسمه فى كل من اسكودار والسليمية ، ثم خلفه من بعده حفيده وخليفته الشيخ محمد سعيد (ت ١٨٩٦ م) ، وكان كلاهما يعلمان المثنوى ويسلكان السالكين فى طريق النشوة الصوفية المولوية ، كما كانا يلبسان القلنسوة الملفوفة فى أغلب الأحيان .

وإذا كنا قد فهمنا من خلال النقش المدون فوق شاهد قبر بهجت أفندى المدفون فى التكية بأنه مولوى نقشبندى ، فإننا قد علمنا كذلك بأن بهجت أفندى هذا من الشليبين وذلك من خلال شاهد قبر خليفته وحفيده محمد سعيد .

ويتوجب علينا أن نقول فى هذا السياق إن التألف والتلاحم الذى حدث بين المولوية والنقشبندية قد تم من طرف واحد ، وهذا ما ندركه جليا من خلال ما اضطلعنا بشرحه وتفصيله حتى الآن ، فلقد وجد المولوية فى طريقهم أسس وقواعد السلوك التى تخص النقشبندية ، وفى مقابل هذا فإن النقشبندية كانوا مستغرقين استغراقا تاما فى المثنوى منتسبين إلى المولوية ، ثم ما لبثوا أن اصطبغوا بالصبغة المولوية الخالصة ، ومن ثم كانت المولوية بدورها تمثل هؤلاء النقشبندية بالعلم والثقافة خير تمثيل ، ولربما ألفت النقشبندية الزهد واعتادته لدى بعض المولوية ، بيد أنه لا يوجد مولوى واحد نقشبندى فى مقابل هذه الكثرة الطاغية من النقشبندية المولوية .

المولوية والجلّسية :

اضطلع « ديار بكر لى إبراهيم جلشنى » (ت ١٥٣٣ م) بتأسيس الطريقة الجلشنية ، وكان إبراهيم هذا خليفة للشيخ « عمر روشنى » (ت ٨٩٢ هـ = ١٤٨٦ - ١٨٤٧ م) الذى أسس فرع الطريقة الروشنية المنبثقة من الطريقة الخلوتية .

والتي قبلت الأسماء الحسنى واتخذتها أساسا لها في السلوك الصوفي ، وتوجد علاقة حميمية وأصرة وتقى بين المولوية والجلشنية ، يقول روشني في شعر له :

الحسنات بعين السيئة بيلوب

ویرکیز خوش محمدہ صلوات

بزدجی بر علی حـدۃ قـویمز

بی صلاۃ و زکاة بی صوفی

ششمین هیأتی الز بیابانہ بی قومین:

كـجـر و ب ايـجـمـلـك ايلـه اوقـساتـي

مسدمن خممرا ولوب مسددام ایججزر

ایس دی ون خوش قیضا مافات

ترك ايدوب ششرب ششربست شكرى

ایچسه کز عشق ایله میساماتی

بـرز اول عـسـاشق خـسـرابـاتی

اورتہ دن کسوتورن اضفاتی

(الديوان ٩٤)

والمعنى :

الحسنة ليست كالسيئة
فحسنت الأبرار سيئات المقربين
فأعلم أن الصلاة والصوم منه من عند الله
وهب أحسن الصلوات لمحمد صلى الله عليه وسلم
فنحن قوم على حدة مستفردون
بغفيسر صلاة ولا زكاة ولا صوم
والآن نكف يدنا عن كأس الخمر
ولكننا نقضى الأوقات بشرب الخمر
فنحن للخمر مدمنون وللمدام شاربون
ومن الحسن قضاء ما فات
ودعوا شرب شربة الشكر
واشربوها مبهاهة بعشق الله
فنحن عشاق لحانة الخمر
فإنها تمحو كل ما يتعلق بالدنيا من مشاغل
ورغم أن هذه الأبيات تميظ اللثام عن مشرب روشنى ونزعتة ، وتبين أنه سالك
عن طريق الأسماء الحسنى ، فإنه توجد نفس هذه النشوة الصوفية عند خليفته
وصفيه إبراهيم جلشنى .

كانت أفعال وعقائد الملتفين حول « جلشنى » حرة طليقة مناهضة للشريعة ، ومن
، إنها جذبت انتباه المدرسة الدينية ، وكان يعيش إبان حياة جلشنى شخص يسمى

الشيخ « محمد بن جويراده » (ت ٩٩٥ هـ = ١٥٨٧ م) . وتولى منصب القضاء في مصر ، واشتهر بعدالة الشديد للصوفية وقد علم بما آلت إليه حال جلشني وأنه قد بات درويشا كافرا لا دين له ، ولكنه لم يجد نقطة وحدة عنده تناهض الشريعة يستطيع من خلالها إثبات فتوى تدينه وتقضى بإعدامه ، ومن ثم فإنه عزر بشدة أولئك الذين اتساقوا وراء عقيدته ، ثم حكم بزندقة إبراهيم جلشني . وكان من المتعذر كذلك قبول توبة هؤلاء التابعين لعقيدته عقب القبض عليهم ، ثم أفتى بأنه لا سبيل إلى القضاء على هؤلاء الذين أصبحوا في حكم الموتى ، ولا سبيل كذلك إلى الزواج منهم أو إلى قبول منصب الإمامة منهم . وبناء على هذه الفتاوى فقد تمت مشاوره شيخ الإسلام أبي السعود (ت ١٥٤٧ م) والذي كان أحد المحبين للشيخ جلشني الذي كان معتقدا لعقائد أهل السنة . ولم يكتف « جويراده » بالافتراء على جلشني فحسب ، بل افتري كذلك على كل من ابن القارض (ت ٨٢٢ هـ = ١٥٢٦ م) وابن عربي (ت ١٢٤٠ م) حتى بلغ افتراؤه مولانا جلال الدين الرومي نفسه .

ورشح « جويراده » الفتاوى التي قدمها لأبي السعود بنفس التعصب وسأله الرأي والمشورة ، فأجاب أبو السعود إجابة مراوغة مبهمة قائلا : لا يجوز التعرض للشيخ إبراهيم جلشني لأنه شخص اتبع سبيل الشريعة واقتدى بأهل السنة . بيد أن واحدا من ألد أعداء جلشني سأل أبا السعود قائلا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هدى بضعة أشخاص وأرشدهم إلى سواء السبيل ، فماذا عسى أن يصنع بشخص يقول إنه هدى الدنيا بأسرها ؟ فقال أبو السعود بجلاء : إن هذا كفر صراح وأفتى بأن قتله حلال^(٢٨) .

لا جرم أن كاتب التذكرة « لطيفي »^(٢٩) يجلى هذه الفكرة التي كانت سائدة في عصره بالفاظ يقول فيها ما فحواه : « إن هذه الفرقة تردت في الهوة السحيقة لوادي الإلحاد والإباحات ، كما أنها لم تتعاش مع المريد وibat هنالك ضروب متباينة من إيمان واعتقاد المعتقدين والمؤمنين بهذا الشيخ وهذا يعنى أنه قد حدث نوع من الخل في أساس بناء معتقداتهم وهذا ولا ريب معلوم لأهله يفهمه كل مدرك عارف وكل مطلع أريب ، وكان هذا نادرا حقا إذ لك يكن هنالك رد على الصالح والطالح والعابد والعاصي في تكية الحق سبحانه وتعالى .

وقد نجم عن هذا أن أكثر في التكية الملحدون والإباحيون من كل أنواع الطوائف ، وكانت هناك إباحيات في مشرب هذا الشيخ وانطلاق غير مقيد في مذهبه ، ومن ثم فإنه أذن بكل شيء خارج عن دائرة الشريعة وطريق الطريقة ورضى به كل الرضا .

يقول عاشق جلبى إبان حديثه عن شخصية « نى جواردار لى اصولى » (ت ١٥٢٨ = ١٥٣٩ م) « لقد زرع المنتسبون إلى أتباع الشيخ إبراهيم جلشنى بذرة الإلحاد أول الأمر فى ديار الروم ، ثم نمت هذه البذرة وترعرعت من ترهات النسيميّات وكفرهم .

وانغرس قبل كل شيء شجرة جبلة الغواية والضلال ، ثم بدعوا فى زراعة تلك البذرة التى سوف لا يكتفون بها ، وسوف يكون هناك كثير من عاثرى الجلد التعساء ممن لا قبل لهم بتلقيح أفنان هذه الشجرة . وإن الله سبحانه وتعالى سيفسد هذه البذور ويجفف جذورها وأصولها .

لقد كان بنى جلبى مولوى يوسف سینه جاك أول الأمر جلشنى ، ثم اتبع بعد ذلك الطريقة السنية بحذافيرها وذلك بسبب الكثرة المنتسبة إليها ، وهو يبين لنا رأيه فيما يتصل بالشخصية الأولى للطريقة الجلشنية والمدرسة الدينية المتعلقة بها . وتفيد هذه الروايات أن إبراهيم جلشنى قد حبس فى مصر مدة من الزمان بسبب أفكاره المتطرفة المغالية ، وإذا صحت هذه الرواية فإنه أنقذ من حبسه وخلى سبيله على يد « ديوانه محمد جلبى » الذى كان موليا وجهه شطر مصر فى ذلك الإبان ، ثم جىء به إلى إستانبول سنة ١٥٢٢ م حيث لبث فيها ستة أشهر أذن له بعدها بالعودة إلى مصر ثانية . لقد استمسكت الجلشنية بدءا من حقبة تأسيسها بأهداب الطريقة التى تحقق لها التأثير فى المولوية ومن المحتمل أن يكون هذا التأثير عن طريق « ديوانه محمد جلبى » ومن ثم فقد نجم عن ذلك زعم يقول إن مولانا قد بشر بظهور جلشنى قبيل قرنين من الزمان (٤٠) .

أما الغزالية التي استلهمها مولانا ويقول مطلعها « رأيت الوجه الجميل لجلشنى وعين ونور روشنى » فإن تأويل معناها يكون على هذا النحو « إن المنتسب إلى حديقة هذه الوردة هو وجه جميل يشبه الورود ، أما رأيت عين الضياء فتعنى رأيت نوره»^(٤١) .

وعليه فلا علاقة لهذا البيت بكل من جلشنى وروشنى . وإن ما وجده « تحسين يازجى » فى هذا المعنى لهو شىء جميل جدا ، وإنه لشديد الصدق فى قوله ، فهو يقول : « يمكن القول أن جلشنى ليس هو المراد هاهنا على الإطلاق .

وإن هذا البيت قد قصد به شخص آخر ، أو يكون المقصود به الصوفى « صاريخانلى » الذى جاء عقب ذلك (لطيفى ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ، سالم ، ص ١١٩ - ١٢٢) ولكن ماذا نصنع فى كلمة « روشنى » الواردة فى المصراع الثانى ، إن هذا شىء يسير فإما أن يؤول وإما أن يكون ضربا من التحريف ، إن الذين انساقوا وراء هذا الزعم قد أولوا البيت الآتى الذى ورد فى نفس الغزالية والذى يقول « كل شىء يتغير ويتبدل فى العشق ، حتى إنهم يجعلون التركى أرمنيا » ثم جعلوا المعنى على هذا النحو « كل شىء يتغير ويتبدل وهم يجعلون أهل مصر من الأرمن » ، وهذا يعنى أن المقصود بديار أرمنيا يعى أن « ديار بكرلى إبراهيم » قد ذهب إلى مصر واتخذ منها موطنًا ، بيد أنهم غيروا رأيه الذى صرح به جهارة ، ووافقوا على أن هذا النظام الخاطيء جائز بمرض التصوف»^(٤٢) .

وإذا كان الجلشنيون قد نقلوا أبياتا أخرى لمولانا غير هذا البيت تشير إلى ظهور جلشنى فإنه لا وجود لهذه الأبيات قط فى أى مخطوطة من المخطوطات الصحيحة القديمة^(٤٣) .

إن الجلشنية معتمدة منذ تأسيسها على نفوذ وتأثير المولوية ، أو بمعنى أكثر صحة وصوابا ، فإن الجلشنية قد اقتبست من المولوية بعض المناصب فيما يخص تنظيمها وتشكيلها مثل : رئيس الطهارة وشيخ الطريقة وغيرها ، كما أخذوا من المولوية كذلك ما يعرف بخدمة الطقوس الدينية مدة ثلاث سنين ، وكذلك رهبنة الدراويش للقيام بخدمة الفقراء والمساكين مدة سبع سنين أو اثنتى عشرة سنة أو أربعين عاما .

أما القادم إلى التكية ويريد زيارة الدرويش في الحجرة فإنه ينادى بصوته على باب الحجرة قائلاً (هو) فإذا جاءه صوت من الداخل يقول (هو) فإنه يقول « دستور » فإذا أجابه الآخر (دستور) فإنه يؤذن له حينئذ بالدخول ، وهي عادة عند الجلشنية مأخوذة بعينها من المولوية ، لا جرم أن قضاء فترة المعاناة والمكابدة للدرويش الصوفي واضطلاعه بمختلف ضروب الخدمة هي قاعدة ونظام مقتبس من المولوية .

ولكن هناك بعض الاصطلاحات والتراكيب لم تقتبسها الجلشنية وكان يبتغى من ورائها حماية وصيانة استقلال الطريقة ، ومنها على سبيل المثال عند المولوية : « كن عاشقا » و « هو صديق » و « أى والله » و « درویش الدراویش » ، أو مثل تعبيرات البكتاشية كقولهم « خونكار ، باليم » ، أو مثل طلب الصفح والمغفرة والاعتراف بوجوه الإهمال والتقصير الذى يحدث فى اجتماع الإخوة ، أو مثل قولهم فى التكبير والدعاء (هو ، لكل المتصوفة الحاضرين والغائبين) .

فكل هذه الشعائر طقوس تخص البكتاشية ، وثمة اصطلاحات أخرى ذات قاسم مشترك بين المولوية والبكتاشية مثل دعاء المرشد المنير ، وهي طقوس وشعائر لم تنتقل إلى الجلشنية^(٤٤) .

كان السطح الخارجى لقلنسوة الجلشنيين وردى اللون غير ذى قطع ، وهي تشبه تمام الشبه قلنسوة المولوية من حيث الطول والارتفاع . والتيجان والزر الموجودين فى أعلاها^(٤٥) ، وبناء عليه فإن هذه القلنسوة هي صنو لمثيلتها عند المولوية ، وهذا يعنى أنها تلف ضيقة من أعلاها وأسفلها فى متسع عريض ، وتسمى هذه القلنسوة « شكر أویز » .

ومع هذا فإننا وجدنا هذا الشكل بعينه تقريبا فى جبانة « خير بولو » حيث توجد التيجان الجلشنية ذات قطع أربع أو ست أو ثمان أو اثنتى عشرة . أما قلانسهم فإنها تشبه الطبقة النحاسية من حيث كونها ذات أربع قطع ومما لا شك فيه أن هذه التيجان ذات الأربع أو اثنتى عشرة قطعة مقتبسة من تاج إبراهيم بن أدهم

والحسين والتي لبسها البكتاشية . كما وجدنا في نفس الجبانة تاجا جلشنيا ذا قطعتين اثنتين ، و أعلاه حاد مستدق الطرف ولا سبيل إلى الشك أن هذا نجم عن تقليد كل من « ألف تاج البكتاشية » .

« قلنسوة المولوية ذات السيف والاستوا »^(٤٦) . وجدير بالذكر أن للطريقة الجلنشية أربع تكايا في ديار بكر واثنتين أخريين في كل من أدنة وإسطنبول وإحدى في كل من الإسكندرية ومكة وحلب وأورفة وأنطاكية وروفس . أما منطقة « خبره بولدوده » فيوجد بها أربع « شجرة تكية » ويختلط المولوي بالبكتاشي مع المولوية في « خبر بولدوده » وبعد وفاة أوغلان شيخ اسماعيل معشوقى في سنة ١٥٤٦ م ، كان صاربان أحمد مشهورا بأنه القطب لدى كثير من البيرامية والملامية على حد سواء ، حتى أنه عرف كذلك بأنه الشيخ الثانى من قبل جلشنية « خبره بولو » .

وتقد شيدت تكية جلشنية بجانب مقبرته وثبت تاج جلشنى فوق رأس صندوق ، أما شاهد قبر « ناي زن جلشنى » درويش عمر « (ت ١١٦٩ هـ = ١٧٨١ - ١٧٨٢ م) » والذي عثرنا عليه في نفس المقبرة فإنه يبين أن الذى شيده هم أتباع « ناي زن » من الجلشنيين .

وثمة رواية من نسل أحمد صاربان قبل ظهور ابن ابراهيم جلشنى أفندى آخر الشيوخ بخمسين عاما ، وهذا يعنى أننا عندما ذهبنا إلى منطقة (خبره بولو) للتحقق من هذا التاريخ وجدنا في الدورية المحفوظة لدى صدر الدين اوجودة في حجرة السعادة الحكومية أن ثمة فصلا عن شعراء المولوية مثل : يننى شهرلى نظيف دده ، ناهيك عن وجود شعراء آخرين مثل : شير وفايفوسر آبدال وبير سلطان و خليل وحدتى بابا و ترابى ، فهؤلاء جميعا كانوا بمثابة مترجمين بكتاشيين للترنيمات الإلهية لشعراء البكتاشية ، كما وجد فى تلك الآونة كل من : سيد برهان الدين وسلطان العلماء ومولانا وشمس تيريزى وجلي حسام الدين وصلاح الدين زرقوب والشيخ كريم الدين ، ثم جاء بعد هؤلاء كل من « الشيخ محيى الدين بن عربى والشيخ صدر الدين قونيوى والسلطان بن السلطان حضرت سلطان » (دوانى محمد سماعى أفندى ،

وحضرة شيخ سيد يحيى شيروانى ، وحضرة شيخ دده عمرروشتى وحضرة شيخ إبراهيم جلشنى وحضرة شيخ أحمد صاربان ولى قدس الله أسرارهم ولأرواحهم جميعا الدعاء ، وهذا الدعاء هو بعينه دعاء مقام المشيخة عند المولوية .

ورغم التألف والتلاحم الذى تم بهذا القدر مع الطريقة المولوية وأتباعها والذى اعتمد فى المقام الأول على طريق الأسماء الحسنى ، فإن من المحتمل أن تكون الجلنشية قد اختلطت وامتزجت أول الأمر بالبكتاشية عن طريق تأثير « حسن سزائى » (ت ١١٥٢ هـ = ١٧٣٩ م) والذى انتسب أول الأمر إلى الطريقة البكتاشية ، ثم أصبحت الجلنشية فيما بعد طريقة سنية خالصة .

وقبل أن نختم هذا البحث يتوجب علينا القول بأن إبراهيم جلشنى قد تأثر فى ديوانه التركى كثيرا بالشاعرين يونس أمره ونسيمى كليهما ، أما فى ديوانه الفارسى فإنه ظل رازحا تحت تأثير مولانا ولا سيما بالمعنوى الذى دججه مولانا وبلغت أبياته أربعين ألف بيت ، واضطلع جلشنى بكتابه نظير له ، فأشعار جلشنى الفارسية كانت ذات نسق مضطرب ، مشوشه يشوبها الخلل والفساد إلى حد كبير .

الهوامش

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُبْذَرِينَ كَانُوا إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ الإسراء : آية ٢٧ .

(٢) لا وجود لتدوين الزمان والمكان في ولاية نامه ، وهو واحد من سلاطين السلاجقة اسمه علاء الدين وكثيراً ما تُنطق على الدين محرفة عن علاء الدين .

(٣) هو الجيد الأبيض ويعرف في التركية باسم كيرجه Kirce .

(٤) يوجد في ولاية نامه استحالة الماء إلى دم ، كما توجد كذلك منقبة ورد ذكرها بين ملا سعد الدين وسعيد أمره ، وقد تكرر اللقاء بين حضرت خونكار حاجى بكتاش وملا سعد الدين .

(٥) ورد ذكره عند أفلاكى باسم « حاجيم سلطان » وورد في كتاب جامع الدول وتاريخ آل سلجوق ليازيجي زاده ، وكذلك كتاب صالتوق نامه بأنه هو الشيخ صارى صالتوق وتوفي سنة ١٢٦٨ - ١٢٦٩ م ٣٦٧ هـ كما هو معلوم من نقش مكتوب على صندوق منتصب بمتحف الأوقاف الإسلامية الموجود الآن في

إستانبول ، ومكتوب في أعلى الصندوق وأسفله بيت شعري لمولانا يقول معناه « لا جرم أن العاشقين الموتى عارفون مطلعون ذوو خير وعلم ، يذهبون وينوبون كالسكر في حضرة المحبوب » . وقد نقشست ستة أبيات من هذه الغزلية ، وهذا يبين أن رواية أفلاكى صحيحة صائبة ، وثمة علاقة بين محمود حيرانى ومولانا .

(٦) وهناك منقبة أخرى وقعت بين كل من محمود حيرانى وحاجى بكتاش ، كما ورد في « واقعات خدابی » إن منقبة وقعت بين حاجى بكتاش وأحمد البدوى ، ولبن يطلب الاطلاع على معلومات أوفر في حق محمود حيرانى : انظر : عيد الباقي جلبنارلى : حياة يونس أمره : مكتبة إقبال - إستانبول ١٩٣٦ م . فسوف يجد في الفهرس أسماء الصحائف التي ورد فيها ذكر محمود حيرانى .

(٧) عصاة تسمى جليك ، وهى طويلة غليظة طولها متر تقريباً يضرب بها العصاة المتمردين في حضور جمع غفير من النظارة والمتفرجين .

(٨) الدبس : هو عسل التمر وعصارتة (المترجم) .

(٩) هو اسم أطلق على سلطان ولد بن مولانا جلال الدين الرومى وسميه الوليد بن عبد الملك أحد أبناء بنى أمية .

(١٠) أصاب الوهن هذا الرجل وخارت قواه تماماً في « اينديا » بمنطقة أسكودار ، وهو مدفون قبالة مقبرة هاشم بابا وكانت وفاته سنة ١٧٥٦ - ١٧٥٧ م (١١٧٠ هـ) .

أما شاهد قبره فهو الشاهد الثانى في إستانبول الذى يحمل تاج الألف الخراسانى ، ومن ثم فإنه ذو أهمية قصوى من هذه الناحية ، أما الشاهد الثانى فيوجد فى الأحمديّة باسكودار فى الجبانة الموجودة

فى مواجهة « حمام آغا » ، ولما كان وجه الفلك مرسوما على قبره فهذا علامة دالة على فرقة الانكشارية الخامسة والعشرين ، والناس يذكرونه باسم « شرف بابا » ، وتاريخ الوفاة غير مدون على شاهد القبر وقامت الجمعية التاريخية بكتابة النقوش الموجودة على شاهد القبر ، فماذا فعل هؤلاء ، لست أدري ، أما ما أعرفه فإن هذه النقوش قد انمحت مع مرور الأيام ، وإن أصدق وأقوم الوثائق مطمورة فى معية القبور التى أصابها اليباب والخراب .

(١١) قرأ هاشم بابا كلمة مغرب Mugrib الواردة فى كتاب ابن عربى المسمى « عنقاء المغرب » على هذا النحو مغرب Magrib ، وقد صوبت هذه الكتابة إبان عصر السلطان مصطفى الثالث وسميت باسم عنقاء المشرق .

(١٢) زُيف طى التاج الطويل من أجل إبراز القلنسوة الانكشارية ، ولقد أرسل بعد ذلك بضعة جنود إلى حاجى بكتاشى إبان عصر أورخان ، ووضع حاجى بكتاشى يده على رأس أحدهم وهو يدعو له ، ثم علقها على ظهر الجندي ، وبهذه المناسبة صنعت عمامة خلف قلنسوة الانكشارية ، ولهذا السبب فقد لفق اسم الانكشارية خطأ من كلمة ين ايجرى Yeniceri وتعنى الكم الداخلى (مستقيم زاده ، الرسالة الناحية ، نسخة مخطوطة فى حوزتنا) .

(١٣) سر چشمه فيض أزل مولوى روم ١ كزوى عرب وهند وعجم بهرر آمد

مهدى آل كوكبه سر الله الأعظم ١ كه انديششن استا قضا وقدر آمد

(١٤) المنة لله المكه ديلم كوياشود يك قطرة ناجيز سببك درياشود (جامعة إستانبول - المخطوطات الفارسية

ظن روكه سناكو شود مولانارا انديشه تجلى كيده مولا شود (B16 , v194) (٢٠B) .

(١٥) دل أينیه صورت أسرار بما ليست ١ هم كهنه كلاه حاجى بكتاشن ولى است

كه آينيه كه آينيه دان ميكرد ١ سرمايه مشامت حسن ازل است

وإن مؤرخى الآداب الذين يكتبون دون قراءة لم يكن لهم أدنى صلة (A ٢١) بهذا الاتجاه الذى عالجه « تفعى » ، وهو يقول حسبما ورد فى إحدى رباعياته « إن الفؤاد مستغرق فى الفيض ومظهر للحقيقة من كل شعرة له عن طريق التجليات البينة ، إنه السلطان ذو المشرب العالى الذى يهب نبع الفيوضات ، إنه بحر لدنى ، إنه عالى العارف بالله ، ونفعى كما يبدو منتسب إلى واحد يسمى عالى أولو عارف عالى .

(١٦) يعتقد عزمى أفندى فى هذا الكتاب الصوفى أن أحمد يسوى كان يعتقد فى بكتاشى ولى وأعراف اليكتاشية ، ويقول إن من المتعذر أن يكون أحمد يسوى المتوفى فى سنة ٧٢٢ هـ قد التقى بمولانا ، ومع هذا فإن هذا التاريخ المدون لا يتطابق مع عرف وتقليد اليكتاشية وذلك لأن ولايتنامه تقول إن وفاته كانت فى عام ٧٣٨ هـ . حتى أن كتب اليكتاشية بعد ذلك لم تدون تاريخ وفاته ، وقد نشأت هذه الرواية إما بسبب المعلومات الخاطئة التى دونت إحدى المناقب المذكورة التى تقول إن مولانا كان معاصراً لحاجى بكتاشى وأما بسبب غيرته وحميته لرفع شأن الطريقة لكونه بكتاشيا . وعلى كل حال فإن هذه المنقبة موجودة كذلك عند أفلاكى على الخصوص ، إن أفلاكى لم يجشم نفسه العنت واللغوب حتى إنه لم يفتح الموضوع من أساسه ولم يكمل القراءة ، ولم يكن فى مقدوره أى يندهش لهذا التلميذ المولوى شيخ أفندى ، وعلى كل حال فإنه لم ينشغل بعد بالكتب ولم يكن لديه وقت كاف لقراءتها .

(١٧) من يقوم بطلاء المعادن بالذهب (المترجم) .

(١٨) جمع خلة : وهى عيدان تستخدم لتنظيف الأسنان عقب الطعام (المترجم) .

(١٩) للترزود بمعلومات مسببة فيما يتصل بأهل الفتوة وتنظيمهم ، انظر : مقالة لنا بعنوان « تنظيم

الفتوة ومصادرها فى الأقاليم التركية والإسلامية » مجلة كلية الاقتصاد - أكتوبر ١٩٤٩ م - يوليو ١٩٥٠ م .
الأعداد من ١ - ٤ .

(٢٠) انظر : عبد الباقي جلبنارلى : الملامية والملاميون - جامعة إستانبول ، إحدى نشریات معهد

الترکیات - مطبعة الدولة سنة ١٩١٣ م . وفى رأینا هذا الأثر شديد القصور والنقصان ، ومن ثم فلسوف
نضطلع فى القريب بطبعة ثانية مع إضافة النصوص معتمدين فى ذلك على الوثائق الجديدة الأساسية التي
عثرنا عليها .

(٢١) انظر نفس الكتاب : ص ١٧٥ و ١٧٨ .

(٢٢) نشر هذا النقش فى نفس الكتاب : ص ١٨٧ ، ونقدم صورة شمسية له فى هذا الكتاب .

(٢٣) يعلم كل إنسان أن شواهد القبور كانت إبان عصر آل عثمان إما اسطوانية أو مستطيلة أو

مستوية منسقة وهى على العموم كانت بناء مشابها لتمثال الإنسان ، والرأس تكون بغطائها ، ثم يأتى بعد
ذلك جزء من الرقبة والوجه ليجمع الرأس مع الجسم ، ثم يأتى الجسم موجودا مع الأكتاف ويثبت فى الجانب
الحجرى للمقبرة بقسم يشبه القدم فى هذا الجسم ، أما فى شواهد القبور الملامية الحمزية فلا يزجد جزء
لغطاء الرأس والرقبة ، كما تصنع الأكتاف والأقدام على شاكلة متحطمة منكسرة ، وهم يطلقون على هذه
الشواهد المتباينة اصطلاح « دون يد ودون رجل » ويعرف الحمزيون من قبل الأجانب هذه الشواهد المتباينة
بعد موتهم . وثمة خصوصية معلومة ومتميزة على نقوش الحمزيين . هذا وتوجد معلومات تعتمد على الوثائق
المفصلة فى كتابنا الذى سيصدر بشأن هؤلاء جميعا .

(٢٤) حساب الجمل : هو الحروف المقطعة على أبجد (المترجم) .

(٢٥) انظر : الملامية والملاميون ص ٧٣ ، ولهذا القبر صورة شمسية (رقم ٩) فى نهاية الكتاب ،

وعلمنا بعد ذلك أنه لم يكن « حمزة بالى » بل هو « قرة بالى مصطفى جاويش » القريب من طاش مكتب
الواقعة بين تكية بازار وشهر أمين الكائنة على طريق الترام ، وهو المشيد للمسجد المسمى جامع الكنيسة ،
ثم قرئ النقش المكتوب على أنه « حمزة بالى » وهو فى الحقيقة « قره بالى » (انظر : أحمد ضيا :

إستانبول واليوسفور - نظارة المعارف إحدى نشریات قسم التأليف والترجمة - إستانبول المطبعة العامرة
١٣٦٦ هـ - ص ١ - ص ١٠٥ - ١٠٧) . وقد كتب مستقيم زاده فى كتابه « شطار الملامية » أن حمزة
بالى دفن فى الجهة اليمنى من الطريق القادم من « سيلورى قابى » والمودى إلى تكية سيد ناظم ، ومدون فى
نفس الكتاب أن الشاعر « طفلى » (ت ١٦٥٩ = ١٦٦٠ م) مدفون كذلك على مقربة من حمزة بالى ، ولقد
وجدت فى هذا الطريق شاهد قبر يخص كلا من حمزة بالى أو الشاعر طفلى ، ثم جعلت أبحث وأنقب خطوة
خطوة فى هذا الطريق ، وبينما أنا كذلك رأيت شاهد قبر اسطوانى كبير للشاعر طفلى الذى يرقد فى هذا
المكان ، وبناء عليه فإنه يكون شديد القرب منه ويطل على الشارع ، ولا توجد كتابة على حجر القاعدة أو
حجر الأساس على الإطلاق ، وعليه فإننى حكمت من فورى بأن هذا القبر يخص حمزة بالى ، ثم ذهبت إلى
التكية وسألت عن امرأة آخر شيخ ، وسرعان ما تبدد شكى عندما قالت إنه قنديل يذهب من التكية كل جمعة
وليالى أيام الأحاد ، ولم أترك مقاما ألجأ إليه بغية إنقاذ شاهد قبر الشاعر طفلى من أن يدفن فى باطن
الأرض ، ولم يكن هناك من يهتم بذلك ، وعندما هم أرباب التكايا بإزالة قبر « حاجى قابانى » قطب الحمزية

المواجه للمجسد بذل المشتغلون بالإنشاءات جهدهم للحيلولة دون ذلك ، وذهبت من فوري إلى إدارة المتحف وصادفت هناك مستشار المعارف إحسان بك وشرحت له غصتي وأحزاني ، بيد أنه تكرم وشكرني لعلاقتي الوثيقة بهذا الموضوع ، ثم جذبني الموظف المكلف فوجدت القبر قد سحب قليلا إلى أسفل وإلى الوراء قليلا ، والآن يرقد حجر أساس المقبرة والجانب الحجري لها على الأرض ، وهو محطم منهدم من منتصفه ، كما ضاع كذلك شاهد القبر الموجود في واجهة القبر ، بيد أني شاهد القبر الموجود فوق الرأس لم يزل منتصبا ، فماذا عساي أن أقول ؟ فالكلام كثير والمقدرة مفتقدة ! وفي حوزتي ثلاث صور شمسية للقبر الثلاثة ، هكذا يكون القدر والمصير المحتوم .

(٢٦) طبع هذا الكتاب في مطبعة التاريخ التركي بأنقرة سنة ١٩٧٣ م وذلك بعد نفاذ طبعته الأولى . وقد اضطلعنا بتقديم معلومات مفصلة تتصل بالكتب التي تخص العقيدة وأريابها وذلك في كتابنا المسمى (كتالوج النصوص الحروفية) والذي يعد بمثابة العدد السادس في سلسلة رقم ٢ للجمعية التاريخية ، انظر هذا الكتاب ولا سيما المقدمة التي تتضمن ثلاثا وثلاثين صحيفة .

(٢٧) أية رقم ٥ ، سورة طه .

(٢٨) درويش مصطفى يتيم (ترجمة جاويدان) النسخة التي بين أيدينا ، وهي ذات ثلاث وعشرين ورقة من أولها ، وأوراقها ١٢٥ - ١٢٦ من الوسط ، وذات ثلاث ورقات من آخرها ، وهي نسخة مضافة مكتوبة بخط جديد ، وفيها تصويبات في الأصل ، ولما كانت هذه النسخة تحتوي على ملاحق ظاهرة في الحواشي فإننا نعتقد أنها نسخت بخط المؤلف ، أما نسخة جاويدان المكتوبة بنفس الخط بعد عام من الترجمة أي في سنة ١٠٤٩ هـ وهي مسجلة بمكتبة جامعة إستانبول - المخطوطات الفارسية رقم ٨٦٩ (المخطوطة التي بين أيدينا ، باب ١١ ، ١٠ ، ٧١ ، ١٠٧ - ١٠٥ ، ٧٣ - ١٠٩ - ١١٣) .

(٢٩) أي مقلد فال مردان كوش كن ١ حلقة ازراستی دركوش كن
استوای معنوی صدق وصفا است ١ ترك عجب وبخل وبطلان وریا است
انقیادا مرو از نهی اجتناب ١ راه حق ابن است والباقي حجاب

(متحف قوتية : تصوف K ، دورية ٩٨٩ / ١٤٩ ، ص ٧٩ / ٤) ولقد رأيت أن هذه الكتب لا تخص المولوية وأنها نقلت إلى مكتبة السليمية ، ولا أدري هل حافظت هذه الكتب الأثيرة إلى النفس على أرقامها الجديدة ؟ أم يلزم الكد والتعب والاستقصاء مرة ثانية بدقة لبضعة أيام معدودات ؟ وماذا يعني أن هذه الكتب لا علاقة لها بالمولوية والمتحف ومن ذا الذي صرح بهذا ؟ وثمة رسالة في نفس المكتبة دبجها سيد اسحق وعنوانها (أشراف الساعة) أي علامات يوم القيامة ، وهي مدونة في دورية تحت رقم ٩٦/٤ . ونذكر من خلال النقص الموجود في الدورية الموجودة بالمكتبة والمدون تحت رقم ٩٨٣ / ١٤٣ ، ص ٨٢/٤ ، أن اسم هذه الرسالة المنظومة بالفارسية هو (قيامت نامه) أي كتاب يوم القيامة ، وورد كذلك في الدورية المدونة برقم ١٠٤٣ بفهرس المخطوطات الفارسية بالمكتبة القومية بإستانبول كلام في حق سيد اسحق يقول « كرم الله وجهه وطيب ثراه » ويذكر هذا الرجل على أنه من خلفاء فضل الله ، وقد سبق ذكر اسمه في نفس الدورية على أنه من بعض خلفاء فضل الله ، وتعت كذلك بثه « أمير سيد اسحق عليه السلام » (٥١ - ٥٢) .

(٣٠) نحن على اقتناع تام بوجود استوا رقيقة منمنمة قديمة تخص مولانا ، وتبين هذه المنمنمات أنها ترجع إلى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي .

(٣١) المسدس : هو شكل من النظم في أدب الديوان يتكون كل بند فيه من ستة مصاريع (المترجم) .

(٣٢) « ألف جيزندارد » تعنى بالتركية « ألف ده برشى يوق » أى الألف لا شىء عليها ، وعندما كان الأطفال يحفظون حروف الهجاء فى مدرسة الصبيان فإنهم كانوا يحفظونها بصوت ونغم ، ويرددونها على هذا النحو : « الألف لا شىء عليها ، والباء نقطة من تحتها ، والتاء تشبهها والتاء تشبهها ، والجيم نقطة فى بطنها والخاء مثلها ، أما قولهم الألف لا شىء عليها فقد اقتبسها مولانا وشبه الصوفى الذى يبلغ الفناء بهذه الألف .

(٣٣) يقول على رضى الله عنه : « يوجد فى القرآن ما هو موجود فى الكتب الأربعة ، وسر القرآن هو الفاتحة ، والبسملة سر الفاتحة ، أما الموجود فى البسملة فهو النقطة الموجودة تحت الباء والباءات الأخرى وهذه النقطة هى أنا ، والعلوية والبكتاشية يروون هذا الروايات دون سند يؤيدها » ، وثمة رواية موجودة عند الحروفية تقول « أنا النقطة الموجودة تحت باء البسملة ، ورأينا هذا القول منسوباً إلى الشبلى (ت ٩٤٥ هـ) .

(٣٤) لقد بحثت قضايا مثل : البسملة وشاهد القبر والخرقة ومقام المشيخة والاستوا وذلك فى الكتب التى تصدت للبحث فى آداب البكتاشية وأصولها .

(٣٥) يعتقد أسرار دده أن الشاعر الحروفى « تيره لى عرشى » (عاش إبان القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادى) كان مولوياً ، وأن كل بيت من ديوانه كله يظهر بجلاء ألوهية فضل الله وعقائد الحروفية ، ويخطئ كذلك فى الحديث عن الشاعر « روحى » وقد وردت أبيات فى أشعار الشاعر عرشى يقول فى واحد منها :

كلاه حاجى بكتاش ولى بى ١ ديه بن ادراك ايدر سر على بى

والمعنى : أن قلنسوة حاجى بكتاش ولى ١ تقول إننى أدركت سر على

وإذا كان عرشى فى هذه الأبيات يمدح البكتاشية فإنه لم يتحدث قط على المولوية فى ديوانه ، ولم يذكر اسم مولانا ، ولكنه دمج غزلية يعرض فيها لذكر مولانا والمولوية ويقول فيها :

دكلش كردش دوره موافق ١ اكلى كرجه أدك مولويدن

ظهور ذاتى ادرك ايمه دك جون ١ مفصل معنويدن مثنويدن

بيان فضل حقدن ايسته توفيق ١ خلاص أو لمغه تا جهل قويدن

بيارمى حقى بيشنو ذى عرشى ١ بهر سوتابكى هرزه دويدن

والمعنى : أنت لست مناسبا لدورة الفلك الدوار ١ لا جرم أن يذكر اسمك باسم مولانا

ولأنك لم تدرك بعد تجلى الذات الإلهية ١ فهذا مفصل من المثنوى والمعنوى

قاطلب التوفيق من بيان فضل الحق سبحانه وتعالى ١ حتى تتخلص من هذا الجهل القوى

فأقبل يا رمز الحق واستمع إلى ذى العرش ١ وابعد عن ذوى توافه القول الموجود فى كل ناحية

ولكن عرشى يحقر طريقة التصوف فى غزليته ذات الرديف الصوفى وهو حروفى الإيمان من رأسه حتى أخصص قدميه .

(٣٦) عقدنا النية على نشر هذه القصيدة التى تضم ستة وستين بيتاً وتحتوى على سلسلة النسب

الملامية وذلك بين ثنايا كتابنا الذى سوف نضطلع بتأليفه فى حق الملامية والحمزويه كليهما .

(٣٧) انظر : مولانا جلال الدين : الطبعة الثالثة : ص ٥٠ - ٥١

(٣٨) توجد معلومات تتعلق بالسيرة الذاتية لكل من ألف أفندي وخواجه حسام الدين وذلك في الكتاب المسمى « تنشيط المحبين بمناقب خواجه حسام الدين » (إستانبول - المطبعة البحرية - سنة ١٣٤٢ م) .

(٣٩) وقد ألمعنا إلى هذه الفتاوى أول مرة في بحثنا المعنون بعنوان « الملامية والملاميون » ، ص ٨٦ ، ملاحظة رقم ١ ، اضطلع الأستاذ « تحسين يازرجى » بالبحث في كل هذه الفتاوى في كتابه القيم المتعلق بالجلشنية حيث درسها مقارنة ، وهو كتاب لما يطبع بعد .

(٤٠) تذكرة لطيفى : مطبعة إقدام : ص ٥٢

(٤١) توجد هذه المفاهيم المستغربة العجيبة في سائر الطرق الصوفية والمذاهب الباطنية وعلى سبيل المثال فإن ثمة طائفة من الباطنية ممن يعرفون باسم « صبح أزل بعد باب » وأن المعنى الذى مر فى قول الإمام على « إن الحقائق نور وإنما تشرق من صبحى أزل » يقصد به صبحى أزل الذى حل محل باب ، كما أن البهائيين يقبلون هذا قائلين إن صبحى أزل هذا هو أخ شقيق لبهاء الله (ميرزا حسين نورى) ، كما أنهم يزعمون بكل إصرار وتأكيد أن الإمام على الرضا (ت ٨١٨ هـ) كان يقرأ الدعاء سالف الذكر فى أوقات السحر إبان شهر رمضان وأن بهاء المشار إليه هو « بهاء الله ميرزا حسن نورى » ونحن نتساق كذلك وراء هذا الاعتقاد ، وعلى سبيل المثال فإنه يتوجب القول : نحن المقصودون بما ورد فى قوله تعالى فى سورة الزخرف آية ٢٨ وجعلها كلمة باقية ؟ إن استنباط النتائج على هذا النحو من كلام مولانا وآخرين غيره لهو شيد حد يسير ، ولنسعى فى هذا الأمر بأذلين الجهد من أجل الاقتناع ، ورحم الله « ناي زن توفيق » فقد لخص هذا الاعتقاد فى جملة واحدة قائلا : « إن هذا إما مرض وإما ضغينة وخبث طوبة .

(٤٢) ديدم روح خوب كلشنرا ١ أو چشم وجراغ وشنرا .

(٤٣) در عشق بدل شودهم حيز ١ تركى سازنده ارمنيرا

وبينما ورد هذا البيت فى كل المخطوطات الصحيحة إلا أن الجلشنيين نقلوه على هذه الصورة المشوهة الفاسدة حيث جاء على النحو الآتى :

در عشق بدل شود همه حيز ١ كز مصر كندا ارمنيرا

(لا له محمد فنائى : السيرة الذاتية للشيخ إبراهيم جلشنى ، وشرح المثنوى : إستانبول المطبعة العامة ص : ٦) .

(٤٤) انظر : السيرة الذاتية للشيخ إبراهيم جلشنى ص ١٠ - ١١ ، ولا سيما البيت الوارد فى صحيفة ١١ ، والذى يقول :

أى دل وأى دلده وأى روشنى ١ بيل كه حقيقت سورم بن سنى

والمعنى : يا روشنى يا قلبى ويا عينى ١ فاعلم أن الحقيقة هى أتى أحبك حبا جما

وهذا البيت ليس لمولانا بصورة جازمة ، وهو منال للتحريف ، لأن أصله كما يأتى :

در عشق بد شود همه حيز ١ أى دل أى ديدم وأى روشنى

والمعنى :

باب العشق يكون بديلا عن كل شئ ١ أيها القلب والعين يا روشنى

(٤٥) اضطلع تحسين يازرجى بإعداد مناقب جلشنى وقدمها إلى الجمعية التاريخية التركية ، ثم أرسل إلينا صحائف تخص الصلات الوثيقة بين الجلشنية والمولوية ، وتتضمن دراسة جد جميلة ، ومن ثم فإنه لم

يجشعنا الصعاب في هذا السبيل ، حتى أنه تفضل فحال دون وقوعنا في الخطأ ، وتأمل أن نرجى له الشكر
و العرفان على ما أسداه إلينا من فضل عميم .
(٤٦) شرح المعنوى الشريف ، ص ٣ .

(٤٧) لا يوجد بحث عند تحسين باريجي عن منطقة « خيريه بولو » وقد تناولنا هذه المعلومات بالدراسة
والبحث في موضعها ، ونحن مدينون في هذا الآخر شيوخ التكية « صاربان أحمد » ويوجد في « خيريه بولو »
أربع عشرة تكية ، سبع منها تعمل نهاراً ، وسبع أخرى تعمل ليلاً وتمارس فيها شعيرة الف والدوران .

الفصل الخامس

تكايا المولوية

تكايا المولوية

التكايا المولوية - أين تأسست التكايا المولوية وكيف يكون موضعها ؟ وكيفية الذهاب إلى التكية المولوية ؟ تكية مولانا فى قونية - النقوش الموجودة فى المقبرة - تكية ديوانه محمد جلبى - وضع المولوية فى الوقت الراهن وحالة التكايا .

سبق أن كررنا القول أن مولانا لم يكن مؤسس طريقة ، حتى أنه لم يدر بخلده فى وقت من الأوقات أنه سوف يضيف شيئاً ما إلى ذات نفسه ، فقد كان مشغولاً بأشياء أكبر وأسمى من كل هذا . وكان فى كثير من الأحيان شيخاً محتذياً طريق أبيه ، وأصبح هذا بمثابة ذكرى عقب مجيء شمس ولأجل هذا فإن مولانا لم يفكر قط فى أن زعيماً للمرتحلين فى طريق العشق ولا قبل له بهذا التفكير ، فمن يا ترى يكون هو ذاك الزعيم فى هذا الطريق ؟ وأين هى تلك القدم الثابتة ؟ وأى مرید يكون فى هذا السبيل ، وما المراد ؟ ألم يبحث مولانا عن حسام الدين الذى كان شديد الولاء والإخلاص له ، ألم ينقب عن هذا الشيخ بعينه فى ديباجة المثنوى ؟ ألم ير من قبل صلاح الدين وشمس كليهما ؟ كان مولانا يميل نحو الميممين وجوهم شطر طريق العشق وإلى السائرين واطئين بأقدامهم وجودهم وكينوتهم ، وكان نزاعاً إلى المحبين والمحبوبين بعشق الإنسانية ، وأنقذ هؤلاء وأولئك من قيود الدين والمذهب .

بيد أنه لم يحدد بؤرة الطريقة ومركزها ، وبذل جهده بغية تأمين السالكين بالعشق فى هذا الطريق . وكان صلاح الدين هو قطب العاشقين بعد شمس ، ثم خلفه من بعده حسام الدين ، ثم جمع مولانا كان هؤلاء حول أقطاب هذا الاتحاد ، وعالج شرورهم وقبائحهم ، وصفح عن ذنوب الآثمين وأنصح السذج الأغرار غير الناضجين ، وبين عن طريق حياته وكلماته سبيل العشق إلى هؤلاء أجمعين ، وجلى لهم طريق الإنسانية والاتحاد .

وجاء من بعده ولده سلطان ولد الذى غلل مذهب العشق وأيدلوجيته بكل قوة واقتدار ، ثم جاء أولو عارف جلى الذى جلى بانفعال ماضى العقيدة الثملة لمولانا ، ثم جاء الشلبيون بعد ذلك فلم يكتنفوا فقط بالمسلك الصوفى للأستاذ العظيم مدة من الزمان ، بل انغمسوا كذلك فى لجة لون باطنى مقترن بمعيشة مترفة وحياة تتعم بالراحة والدعة والسكينة ، ثم جاء من بعدهم ثلة من المتأخرين أسرع من فورها فى اتباع سبيل ضرورات العصر وموجباته عن طريق عقيدة دينية تظهر استعداداً صلباً مستمسكاً بالشعائر والطقوس الدينية شيئاً فشيئاً ، وقد اضطلع خلفاء بتخصيص أموال من الموقف يتفق منها على من لا يريدون التعيش من مال الوقف . وكان السالكون فى طريقة مولانا يوصون الناس بالتعيش من عمل أيديهم ، بينما هم يؤثرون العيش دون عمل متعللين بمجاهدة النفس ، ويحسبون أنهم يتقفون أثر الشيخ الذى لم يفر من الدنيا ، ومن ثم فإنهم استغرقوا فى عالم الخيال مستمتعين بأنعم الدنيا التى وجدوها مهياة جاهزة ، ويظنون أنهم أعرضوا عن الدنيا مولين أدبارهم لها ، فقد كانت هناك مجاهدة للوقف فضلاً عن مجاهد النفس ، وعليه فقد ظهر بين هؤلاء ثلة من ذوى الجشع والشر والطمع والمداحين وكتاب القصائد والنثر المصطنع المتكلف . وخلاصة القول أننا مضطرون إلى أن نذكر فى هذا السياق ما يأتى :

إن العلاقة الثابتة بين المجتمع ومولانا لم تكن متمثلة فى السماع وإظهار الوجد ، أو منبثقة من عشق مولانا الذى كان بمثابة قاسم مشترك بين جميع الأفراد على السواء ورغم أن هذه العلاقة كانت ناجمة عن السماع المتمثل فى الذهن بالدربة

والمران ، و متمخضة عن الموسيقى والتصوف كليهما إلا أنها كانت كذلك متمثلة في رؤيته الدنيوية الإنسانية المتسامحة ، ويتوجب أن يكون هذا التقدير من نظرة مسيرة التاريخ ، وإن هذا لشئ عظيم .

تكايا المولوية :

كانت التكايا المولوية من أهم الأسباب في تشكيل طريقة المولوية التي أسست باسم مولانا وكانت أول تكية مشيدة بمثابة مركز لسائر التكايا التي أسست فيما بعد ، وكانت تكية مولانا تسمى بأسماء هي « أستانة - حضور - حضور بير » أي التكية محلة الراحة والاطمئنان ، راحة الشيخ . ونعلم كذلك أن هناك خمس تكايا ترتبط بهذا المركز الموجود في قونية ، وكانت زاوية شمس إحدى هذه التكايا ، وثمة صندوق كبير فوق ينبوع بستان عظيم كما قللنا في كتابنا « جلال الدين الرومي » . ويوجد مقام شمس في هذا المكان ، وهذا المقام موجود داخل حجرة سماع التكية (الطبعة الثالثة ، ص ٣ - ٨٤) ويسجل صاحب « سفينة المولوية » أن « أمير واجد اوغلو أحمد بن سلطان ولد » وهو من أحفاد السلاجقة ، و خليل جلى هو من أحفاد جلى بدر الدين وكوجوك عارف جلى فقد تبوءوا منصب المشيخة في هذه الزاوية (ج ١ ، ص ٢٠٤ - ٢٠٧ ، و ص ٢٣٦) .

وقد حوفظ على مقام شمس حتى وقت متأخر ، وكان شيوخ زاوية شمس يسمون باسم الشيخ شمس أما الشخص الموجود في التكية فيسمى « ضابط » وهو أحد شيوخ وأركان منظمة المولوية وأن كل مولوى يولى وجهه شطر قونية عليه أن يذهب أولا إلى الموضع الذى التقى فيه شمس مع مولانا وهو مكان يسمى « مرج البحرين ^(١) » ، ثم يتوجه من هنالك إلى ضريح شمس ، ثم يزور مولانا بعد ذلك . أما التكية الثانية فهي زاوية « أتش باز » وتفيد الروايات المولوية بأن أتش باز هذا هو طباح مولانا ، وقد قال لمولانا ذات يوم لقد نفذ الحطب ، فقال له مولانا أدخل رجلك أسفل الرجل ، وامتلأ أتش باز للأمر وما لبث الرجل أن بدأ فى الغليان باللهب،

المتصاعد من إيهام القدمين ، وكان آتش باز هذا هو الدرويش « محمد خادم » أحد رواة أفلاكي ، ولكنه لقب بهذا اللقب سالف الذكر لأنه كان يلعب بالنار في أثناء إشعال النار تحت الرجل ، ومعنى آتش باز بالفارسية « اللاعب بالنار . وإذا كانت هناك طائفة من القائلين بأنه كان موجودا بين القادمين من مدينة « بلخ » في معية سلطان العلماء فإنهم لا يرون ضرورة قراءة شاهد القبر في حال زيارتهم لمقبرته الموجودة في طريق « مرام » Meram .

ولقد تهدمت زاوية « آتش باز » وخربت برمتها ، كما كانت المقبرة كذلك في حالة من اليباب والخراب وشيدت المقبرة الأصلية بطريقة البناء تحت الأرض كما يقول السلاجقة ، ومن ثم فإن « آتش باز » يرقد في لحد ثاو أسفل المقبرة ، وقد كتبت آية الكرسي كاملة في الجزء الأعلى من الصندوق المزين المزخرف الكائن فوق المقبرة وكتبت الآية رقم ٢٨٥^(٢) من سورة البقرة في الجزء السفلي ، ثم نقشت هذه الآية بعد ذلك ناقصة . وقد كتب على واجهتي الصندوق الأمامية والخلفية ما يأتي : في الأمام « هذا القبر هو لصاحب السعيد الشهيد شمس الدين يوسف بن عز الدين « وفي الخلف » الذي رحل عن الدنيا في منتصف رجب لسنة أربع وثمانين وستمئة من الهجرة » .

وأما النقش الموجود في واجهة المقبرة فهو أكثر تفصيلا ، وها هو ذا نصه : « هذا القبر للسعيد الشهيد المرحوم شمس الملة والدين يوسف بن عز الدين آتش باز ، انتقل إلى رحمة الله تعالى في منتصف شهر رجب لسنة أربع وثمانين وستمئة من الهجرة ، غفر الله له ^(٣) » .

ويفهم من هذا النقش بجلاء تام أن اسم « آتش باز » ليس محمدا ، بل هو شمس الدين يوسف ، وهو ابن واحد يسمى عز الدين ، وهذا يعنى أنه توفي في ١٥ رجب لسنة ٦٨٤ هـ = ١٢٨٥ م ، أي عقب وفاة جلبي حسام الدين بعام واحد على وجه التقريب .

وذلك إبان عصر سلطان ولد . أما معنى « آتش باز » في المطبخ عند المولوية فهو اسم في أدعية الطعام ، وهذا الاسم موجود في الأصل فوق لوحة مكتوب عليها

« يا حضرت آتش باز ولى » والتي تحمل اسمه فوق الموقد الموجود فى المطبخ ، ونعتقد أن هذا الشخص يضطلع بطهى الطعام فى المدرسة الدينية ، ولهذا السبب فقد لقب « آتش باز » ، ونعتقد أنه ربما كان هذا اللقب يأتى فى الفارسية بمعنى الطاهى وهو تحريف لكلمة « آتش بوز » .

وتدون السفينة أنه قد تم تخصيص أوقات بغية تشييد زاوية بجوار قبر « آتش بازولى » واضطلع بهذا الأمر واحد يسمى « جلبى عبد الصمد » من أحفاد مظفر الدين أحمد باشا بن عارفة شرف خاتون بنت سلطان ولد (ص ٢١١) . وفى اعتقادنا أن هذه الزاوية لم تكن مغايرة لزاوية « آتش باز » ، ومن المحتمل أن يكون هذا الشخص هو المؤسس لزاوية آتش باز ، ويذكر ثاقب دده أنه بينما كانت هذه التكية قد آلت إلى حال من الفوضى والتشوش والارتباك بين الشلبيين فإنه سرعان ما أصابها اليباب والخراب بعد حين ، ولم يبق من أثرها سوى المقبرة فقط (ص ٢١٢ - ٢١٣) .

وقد اضطلع عبد الواحد جلى بإصلاح وتعمير مقام آتش باز ، ونذكر كذلك من هذا التاريخ أن « صوفى دده » (ت ١٩٢٢ م) قارئ المثنوى وخطيب مسجد السلطان سليم قد اضطلع بتعمير ما هو فوق الزاوية وذلك فى سنة ١٨٨٧م ويقول فى هذا شعرا :

برنهمال شجر حضرت مولانا كسيم

بوست نشين در كاه جدى أو واحد جلبى

عرض خدمت ايليوب حضرت آتش بازه

ايتىدى نز دنده بناتكه رضا در طلبى

جاكر كمترى صدقى ايدى رك عرضى نياز

ديدى تاريخنى بوكلىشنى فسيض أدب

والمعنى :

من ذا الذى يكون غصن شجر حضرة مولانا

إنه واحد جلى الذى تبوأ منصب مشيخة جده

وعرض خدمته على حضرة آتش باز

وشيد بالقرب منه تكية من أجل نيل الرضا

وعرض تضرعه ورجاءه وكأنه عبد ذليل

وقال التاريخ المدون على القبر أنه روضة فيض الأدب

كان للشيخ آتش باز تأثير قوى بين ضباط التكية ، وكات رسائل المشيخة ترسل فى مرات كثيرة عن طريق الشيخ الموجود عند آتش باز أو عن طريق شمس . أما التكية الثالثة الموجودة فى قونية فكانت تحمل صفة المسجد وماهيته وتقع فى منطقة « مرج البحرين » وتدون السفينة أن « جلى واحد » وهو من أحفاد « أمير واجد كبير » ابن سلطان ولد « قد قضى عمره منزويا قابعا فى هذا المسجد ، ثم اختفى من هنالك بعد ذلك حتى قابله الدراويش مصطفى باشا وهو من أولياء قره مان وأصبح بعد ذلك خليفة لجلى واجد واشتغل هناك بالهداية والإرشاد . ولا يوجد اليوم أى أثر باق من منطقة « مرج البحرين » (انظر : مولانا جلال الدين : الطبعة الثالثة ، ص ٦٩ ، والملاحظة رقم ١٣٦ الموجودة فيها) . توجد التكية الرابعة بإزاء مقبرة « جمل عالى » فى منطقة (مرام) ، وتروى السفينة أن هذا الشخص ينتسب إلى منطقة ما وراء النهر ، وهو واحد ممن جاعوا فى معية سلطان العلماء ، وكان يتعهد مولانا بالرعاية ، وهو ضخم الجثة يحمل مولانا على ظهره مقلدا الجمل .

ولهذا السبب فإنهم أطلقوا عليه لقب « الجمل العالى » ، ويكتب ثاقب دده فى هذا الصدد فيقول : إن جلى عبد الكريم كان من أحفاد جلى محمد صادق بن أمير عادل بن سلطان ولد ، وصار شيخا على هذه التكية ، وبعد وفاته حل محله ولده جلى سعيد ، ثم أرسل بعد ذلك شيخ للزاوية يُختار من بين الدراويش ذوى الأهلية

والكفاءة ، ثم يجار ثاقب دده بالشكوى قائلا : إن السفلة من غير نوى الأدب قد شيدوا مقهى قبالة التربة المقدسة (ص ٢١٥ - ٢١٦) .

أما التكية الخامسة فهي « دار الذاكرين » والتي كان جلبى حسام الدين شيخا عليها ، ويقول ثاقب دده : إن جلبى نور الدين بن أمير شاه جلبى بن شرف خاتون كان شيخا على هذه التكية ، وأخذ الخلافة من أمير عابد ، وذهب إلى كل من قيصرى والموصل ومصر ، وكان ضليعا فى العلم والمعرفة (ص ٢٠٤ - ٢٠٥) . ويحيطنا ثاقب دده علما بأن تكية صدر الدين قونيوى قد منحت حيننا من الدهر إلى صلاح الدين أمير زاهد بن شمس الدين أمير عابد ، وكان هذا الشخص يقضى وقته فى المطالعة بدار الكتب ، وعند موته دفن بإزاء أطراف أقدام سلطان العلماء (ص ٢٠٩ - ٢١٠) .

وكانت زاوية آتش باز ومقام شمس كلاهما هما المكانان الباقيان من هذه التكايا فى الأزمنة المتأخرة ، ويقول ثاقب دده : إنه عندما كان أمير زاهد إبان مشيخة شمس يرغب فى الذهاب إلى تكية (والده سلطان) من قبل القره مانين ، وبعد أن انتقل إلى هناك اضطلع بعقد مجالس السماع فى مقام شمس وفى مقبرة مولانا كلما سنحت له الظروف بالمجىء إلى قونية .

ولسوف نشرح فيما بعد أن مجالس السماع فى تلك الأزمنة كانت تعقد بعد ذلك فى التكايا الأخرى دون اتباع للطقوس والمراسم المعروفة ، وكانت شعيرة اللف والدوران تعقد أحيانا فى مقام شمس إبان تلك الأزمنة المتأخرة ، كما كان أتباع زاويتى شمس وآتش باز لا يأتون إلى التكية ولا ينضمون إلى شعيرة اللف والدوران فى الأيام المخصصة لذلك .

كان هناك شخص يسمى « شيخ سليمان ولدى » وكان شيخا فى مدينة « قير شهر » - وقد كتبنا إبان حديثنا عن شخصية سلطان ولد - أن هذا الشخص كان فى أول مرة من المنتسبين إلى على بن موسى ولدى « وكان « آماسيه لى علاء الدين » شيخا على آماسية ، كما كان « حسين حسام الدين »

كذلك شيخا في ازينجان وكان خلفاء أولو عارف جلبى موجودين كذلك فى مناطق : بايبورت وايلجين وأق شهر ونياده ودينزلى ولارنده ، وهذا يعنى أن وجودهم كان فى منطقتي قره مان وطوقات كليهما ، وكانت هناك كذلك تكية مولوية فى سلطانية وهذا ما سلف أن دوناه فى السيرة الذاتية لجلبى ، وعلى كل حال فإن الخلفاء الآخرين الذين أرسل بهم إلى « لارنده » من أمثال قلم أوغلو آهى محمد بك قد اضطلعوا بتأسيس تكايا منفردة قائمة برأسها .

وقد أسست على هذا النحو تكايا المولوية فى المدن سالفة الذكر ، وإذا أمعنا النظر مليا وجدنا أن وقف كل أراضى يعقوب بك الموجودة فى كوتاهية كان موقوفا على أولو عارف جلبى ، وكان مرضه فى كوتاهيه ورقاده فى إحدى زواياه ، كما تم اللقاء كذلك بين كل من شاهدى وديوانه محمد جلبى فى كوتاهية ، وهذا يحيطنا علما بأن تكية كوتاهية وتكية قره حصار التى كان ديوانه محمد جلبى شيخا عليها كانتا من بين التكايا التى تخص تلك الحقبة المبكرة من الزمان ، اضطلع ديوانه محمد جلبى بصفة خاصة بنشر المولوية بعد الحقبة المبكرة التى كان الشلبيون يمثلون فى المقام الأول العامل الأساسى فى ذبوع صيت المولوية وافتتاح تكاياها . وكانت تكايا المولوية منتشرة كذلك فى كل من : اللاذقية وحلب ومصر والجزائر وساقيز وإبرادر وصنديقل وموغلة وبوردور ، كما وجدت كذلك فى كل من منطقتي غلطة وقوله قايسى الكائنتين فى إستانبول ، كما كان لهذه التكايا وجود كذلك فى الممالك الفارسية إذا صحت الرواية الدالة على ذلك ، ناهيك عن أن كل هذه التكايا قد فتحت فى عهد ديوانه محمد جلبى ويفضل همته وعزيمته ونشاطه الدءوب . وثمة رواية تقول إنه قد أسست من هذه التكايا فى الأزمنة المتأخرة ما هو موجود فى الجزائر ومملكة فارس ويسجل شاهدى فى كتابه « روضة الأسرار » أن ثمة زاوية مولوية كائنة فى قرية سيكة « Sikke » إحدى قرى بورصة .

وقد اطردت المولوية وازدادت تقدما عقب الحقبة المبكرة من الذبوع والانتشار إبان عصر بستان جلبى الأول يعنى فى الحقب المبكرة من القرن السابع عشر الميلادى . وعلى سبيل المثال فإن الزاوية المولوية الموجودة فى الشام قد أصبحت فى عصره تكية كبرى ، كما افتتحت فى عصره كذلك التكية المولوية فى « غاليبولى »

ومعها تكية « بنى قابى » التى تعد بمثابة التكية المولوية الثانية فى إستانبول . بيد أن الصفة المميزة لهذه التكايا فى تلك العصور المبكرة قد أصابها برمتها ضرب من التغيير والتبديل كما سنبحث هذا فى صورة مفصلة بعد حين .

كانت المولوية مقنعة مطمئنة للشعب والطوائف ، منتشرة ذائفة الصيت من مركزها فى قونية إلى الى المدينة ومن المدينة إلى سائر المقاطعات والقرى ، ناهيك عن أنها كعد ذلك فى مرحلة رجعة من القرى وحتى من المقاطعات الأخرى إلى المدن ، بيد أنها والحال كذلك كانت تحيا فى المراكز الرئيسية داخل إطار ثورة الصفاء الروحى والذوق الفنى للزمرة المستنيرة ، وسوف تفتح بعد ذلك التكايا المولوية وستعمر ويصلح شأنها حيناً فحيناً ، وسوف يفتحها مع مرور الزمان أرباب الطبقة الرفيعة النبيلة التى سوف تضطلع بدورها بالتعمير والإصلاح . انقسمت تكايا المولوية من حيث التكية والزاوية إلى قسمين اثنين : فالتكية تعد أكبر من الزاوية ، ومن ثم فإن شيوخ الزاوية كانوا من حيث المنصب يتعرضون لازدراء واستخفاف شيوخ التكية ، وكان الدرويش يُربى وينشأ فى التكايا ، ويقضى فترة المكابدة والمعاناة فى التكايا الكبرى . وتعد تكية مولانا الكبرى الموجودة فى قونية بمثابة التكية العالية ذات المقام السامى . وهاهى ذى التكايا الكبرى ، التى كانت موجودة فى امبراطورية آل عثمان .

(١) بورصة (٢) اسكيشهر (٣) غاليبولى (٤) حلب (٥) قسمونى (٦) قره حصار (٧) كوتاهية (٨) مانيسة (٩) مصر (١٠) بنى شهر (روملى) .

أما تكية قره حصار فتأتى بعد تكية قونية فى المرتبة الأولى بين سائر التكايا الكبرى ، تعقبها فى المرتبة الثانية تكييتا كل من مانيسة وحلب ، أما رابعة التكايا الخمس الموجودة فى إستانبول فكانت تسمى « إستانة » أى التكية الكبرى .

وهاهي ذى أسماء الزوايا المولوية :

(١) أدنه	(٢) آقجه حصار	(٣) آقجه شهر	(٤) آقجه شهر
(٥) آماسيه	(٦) انقره	(٧) أنطاكية	(٨) عنتاب
(٩) آيدين	(١٠) بغداد	(١١) بنى شهر	(١٢) بلجراد
(١٣) بلجرادجيك	(١٤) بيله جيك	(١٥) بوردور	(١٦) بوسنه سراي
(١٧) بوزقير	(١٨) جوروم	(١٩) دنيزلى	(٢٠) دميرجى
(٢١) ديارىكر	(٢٢) أدنة	(٢٣) ايردر	(٢٤) ارمناك
(٢٥) ارزينجان	(٢٦) فيلييه	(٢٧) كريت	(٢٨) حلب
(٢٩) حماة	(٣٠) حمص	(٣١) اسبرطة	(٣٢) الباصان
(٣٣) إزمير	(٣٤) ازमित	(٣٥) قانجبرى	(٣٦) قره مان
(٣٧) قيصرى	(٣٨) كركوك	(٣٩) قبرص	(٤٠) قير شهر
(٤١) كيلين	(٤٢) القدس	(٤٣) كوتاهية	(٤٤) اللازقية
(٤٥) مراشن	(٤٦) مرمريس	(٤٧) المدينة	(٤٨) مكة
(٤٩) ميدىلى	(٥٠) موغلة	(٥١) الموصل	(٥٢) نياده
(٥٣) نيش	(٥٤) ياجوى	(٥٥) صاقيز	(٥٦) ساسمون
(٥٧) صاند يقلى	(٥٨) سلانيك	(٥٩) سيروز	(٦٠) سيواس
(٦١) الشام	(٦٢) طرابلس الشام	(٦٣) شهررور	(٦٤) طاوشانلى
(٦٥) تبريز	(٦٦) تكير داغ	(٦٧) تيرة	(٦٨) طوقات
(٦٩) طوزمان	(٧٠) الوقيشلى	(٧١) أورقة	(٧٢) اسكوب
(٧٣) ودنية	(٧٤) ينى شهر	(٧٥) يوزجات	

إن الزوايا الموجودة فى القرى ليست مدرجة فى هذه القائمة ، وفى الحق فإن ستا وسبعين زاوية وأربع عشرة تكية كبرى ما هى إلا تكايا جاءت بعد أن طمرت ودفنت فى باطن المولوية وذاتها ، وكانت تكية « قره مان » من أهم هذه الزوايا جميعا ، حيث كانت ترقد فيها والدة مولانا ، وكان المولوية يسمون أم مولانا « أم السلطان » وكان الشبليون قد أرسلوا بكثرة وافرة إلى تكايا حلب وكوتاهية ومانيسة فى الأزمنة المتأخرة على وجه الخصوص .

أما تكية « قره حصار » الكبرى فكانت مخصصة لسلالة « ديوانه محمد جلبى » وكلما تضاءلت الإمبراطورية العثمانية وتقلص حجمها فإنه سرعان ما ينغلق وينمحي قسم مهم من التكايا المولوية التى كانت ثابوية فى الأماكن الواقعة خارج حدود الدولة ، ومنها على سبيل المثال : بلجراد وبوسنة وفيليبية وباجوى وودينه وبنى شهر .

وبعد أن استحوذت المولوية على الطبقة العالية النبيلة وشرعت فى الأزمنة المتأخرة تطمر وتتوارى فى ذات نفسها حيث لم يعد هناك أشياء أخرى سوى طائفة من الشيوخ وال دراويش وبقية باقية من آثار أبنية تكايا المولوية الكائنة فى أماكن صغيرة مثل : دميرجى ماربارس ونيادة وطاوشانلى ، كما آلت إلى نفس الحال كذلك تكايا المولوية فى المراكز المتعصبة الشكلية الثانوية حتى بات من المتعذر ممارسة شعيرة اللف والدوران دون عزف الناي ودون تجانس ومشاركة وجدانية روحية ، حتى أن التكية المولوية فى « آق شهر » أصبحت فى مركز المقاطعة وكانت قبل ذلك رازحة تحت تأثير تدبير وتصرف جمال الدين جلبى ، وتفيدنا الوثيقة الرسمية لمقاطعة قره مان المؤرخة بتاريخ ١٤٧٦ م (١٨٨١ هـ) أن باشا جلبى كان شيخا على هذه التكية (إبراهيم حقى قونية لى : آق شهر ، إستانبول - مطبعة نمونه ١٩٤٥ ، ص : ٣٦٤) .

وعلى كل حال فإن جمال الدين جلبى المتوفى سنة ١٥٠٩ م يتوجب أن يكون هو جمال الدين من شلبية قونية ، ومن المحتمل كذلك أن يكون القاضى محمد باشا والد خسرو جلبى (ت ١٥٦١ م) هو الذى تبوأ منصب مقام الخلافة الشلبية عقب باشا جلبى ، بيد أنه لم يبق لهذه التكية اسم أو لقب أو شهرة ذائعة الصيت .

وهناك على سبيل المثال تلك الزاوية المولوية التي اضطلع بتأسيسها شخص يدعى « روحانى دده » فى إحدى القرى التي انفصلت عن الخاصة الملكية فى منطقة « كوربى باش » الواقعة فى مقاطعة « عثما نجيق » ، وقد خصص لهذه الزاوية حقوق من خزانة الدولة ، كما فرض لها عشرون قطعة ذهبية كل يوم من عائد المحصولات والضرائب ، وقد علمنا من حق الامتياز الصادر فى ٣ ربيع الآخر لسنة ١٣٠٦ هـ (١٩٢٦ م) (أرشيف رئاسة الوزراء ٢٢٣) أن التكية الموجودة فى حلب قد آلت اليوم إلى طائفة من الدراويش الذين استحوذوا عليها ، كما أن مسجد « سيد نسيمى » الموجود تحت منطقة « اريج قلعة » قد استحال زاوية مولوية بمرور الزمان ، وقد جأر كل من القيم على الوقف والشيخ سيد عبد القادر المولوى بالشكوى من جراء وضع بيت المال يده على تركة أحد الدراويش عند موته فى التكايا ، ونعلم كذلك من خلال أمر صدر فى هذا الصدد بشأن عدم المساس بتركه دراويش المولوية الذين يموتون فى بيوتهم (أرشيف رئاسة الوزراء ، تصنيف دفاتر المالية القديمة : مهمات دفترى ، رقم ٣١٤٧ - سنة ١١١٧ هـ = ١٧٠٥ م دفتر ، ص ١٢٦) .

وإذا كان المولوية قد استحوذوا على زاوية « سيد نسيمى » فإنهم هيمنوا أحيانا على التكايا التى تخص الطرق الصوفية الأخرى ، ولقد حدث شىء بين سائر هذه الطرق جميعها . وهذا نموذج على سبيل المثال يدل على هذا وهو ذلك الأمر الذى صدر فى اليوم الأول من شهر ذى الحجة لسنة ١٠٨٨ هـ = ١٦٧٨ م والذى يتعلق بمنح الدراويش محمد المنقشب إلى الطريقة المولوية الزاوية البكتاشية المسماة باسم الدراويش رضا الموجودة فى منطقة « يئار حصار » وذلك بسبب سوء حال بنائها (أرشيف رئاسة الوزراء رباب آصافى ، ١٠٨٨ ، أول ذى الحجة) .

وفى مقابل هذا حدث تدخل فى شئون بعض تكايا المولوية من قبل الطرق الصوفية الأخرى . وعلى سبيل المثال فإن حق الامتياز المسجل بتاريخ آخر المحرم لسنة ١٠٧٩ هـ = ١٦٦٨ م ينص على أن بناية غازى حسن باشا والوقف المخصص للتكية المولوية فى « باجوى » قد آلت جميعها إلى يد شخص يدعى « آهاردان خليل » ،

وأصبحت المولوية عباديد أباديد في الأرض ، وبناء عليه فإن « حاجي حمص » بن حسن باشا طلب التكية من خليل وأخذها منه وأعطاهما لقارىء المثنوى محمود وهو من المولوية ، وألت هذه التكية إلى محمود في اليوم الأول من شهر شوال لسنة ١٠٩١ هـ = ١٦٨٠ م ، ومن ثم فإن المولوية استحوذوا عليها ثانية (أرشيف رئاسة الوزراء ، باب أصافى ، بدون رقم) وإذا ما أتينا إلى ذكر التكايا المولوية الكائنة في إستانبول فإننا نورد ما يأتى : كان هناك لأول مرة زاوية في مسجد تكية القلندرية والذي تحول من كنيسة إلى مسجد إبان عصر محمد الفاتح (١٤٥١ = ١٤٨١ م) .

وقد خصص وقف لهذه الزاوية ، كما كان يوجد مشرف للزاوية مكلف بالإشراف على طعام الشيخ والمجاورين في هذه الزاوية ، ويوجد كذلك محفظ للقرآن في أيام الجمع ، ويتم تدريس المثنوى في مجلس السماع عقب صلاة الجمعة ، وثمة تنمة لمجلس السماع بعشر من القرآن في ختام المسامرة والمنادمة ، وكان يشترط فيمن يسمى بالمطرب في اصطلاح المولوية أن يتكون في العادة من أربعة أشخاص يضطلعون بعقد مجالس السماع في معية أصدقائهم ، وعلى هذا النحو تكون زاوية تكية القلندرية قد افتتحت على شاكلة تكية مولوية تماما ، وهكذا تكون هذه هي أول تكية مولوية مؤسسة في إستانبول بعد الفاتح (وقفيات محمد الفاتح الثانى - انقرة - ١٩٣٨ م ، ص ٣٢٣ - ٣٢٨) .

ونعتقد أن هذه الزاوية قد فقدت هويتها باعتبارها تكية مولوية بعد مدة قليلة من الزمان ، ويرجع هذا إلى أن سائر المصادر لم تضطلع قط بالحديث عن هذه التكية ، وتشير إلى أن التكية المولوية في « قوله قابى » والمؤسسة باسم « ديوانه محمد جلى » (٨٩٧ هـ = ١٤٩١ = ١٤٩٢ م) هي أول تكية مولوية . كان « سينوبلو صفائى » (ت ١٥٣٣ م) شيخا على التكية المولوية في « قوله قابى » والذي ينتسب إلى مؤسسها اسكندر باشا ، ثم ما لبثت هذه التكية أن آلت إلى يد الخلوتية بعد حين من الزمان وفي سنة ١٦٣١ م توفى « عبدى دده » مشيد التكية المولوية في قاسم باشا ، وكان قد ذهب إلى إستانبول وقدم عرضا طلب فيه أن تكون هذه التكية مولوية مستعينا في هذا السبيل بقونية ، وعليه فقد خلص التكية من الخلوتية ، ولما تم تعيين

شارح المثنوى الشيخ رسوخى اسماعيل دده شيخا على تكية « قوله قابى » أسرع من فورهِ بتأسيس التكية المولوية فى قاسم باشا . ومنذ تلك الحقبة من الزمان وحتى غلق التكايا تبوأ منصب المشيخة فى تكية قوله قابى طائفة من الشيوخ الفضلاء من أمثال الشيخ غالب دده ، وكان منهم كذلك ثلثة من الموسيقيين من ذوى الكفاءة^(٤) .

نقل « رسوخى بيقرة عن « أحمد طانية لى ، أن ثمة كتابا يقع فى أربع عشرة صحيفة يسمى « التكية العلية الكبرى » ويتحدث هذا الكتاب عن شهرة وأسماء التكايا التى كانت موجودة واحتترقت ، وبيان الأيام الشريفة للذكر وشعيرة اللف والدوران ، ورغم عدم بيان اسم المطبعة التى طبعت الكتاب فإن تخمين « طانية لى » يفيد بأنه طبع سنة ١٢٦٠ م .

وقد وردت فى الصحيفة الثالثة من الكتاب « أن ثمة تكية المولوية موجودة فى قره مان كبير » وكان يوم السبت هو يوم الذكر وممارسة شعيرة اللف والدوران لهذه التكية ، ولاوجود لاسم هذه التكية قط فى أى من المصادر المولوية ، ولكن ورد بحث فى « حديقة الجوامع » يتحدث عن مسجد عابد جلبى الكائن بجوار جامع « يارى حصار » على مقربة من مسجد الفاتح (استانبول - المطبعة العامرة سنة ١٢٨١ ، ج ١ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١) (نفس الجزء ، ص ١٥٢) .

وتدون الحديقة كذلك أنه توفى سنة ٩٠٣ هـ - ١٤٩٧ - ١٤٩٨ م .

وهذه مقطوعة شعرية قيلت فى موته ومنها :

غسفلتى قسوى كـوزك آج هوديه رك

اره سين لطفكه لابد كـيـد رك

تكه يه تك صـاجـينـه ده تاريخ

كـيـتـدى عـابـد جلبى حق ديه رك

والمعنى:

دع الغفلة وأفق وقل هو الله

فـلا بـد أنه سـيـبـلـغ لـطـف اللـه

أن هذا تاريخ صاحب التكية

ورحل عابد جلبی قائلًا هو الله

وكان عابد جلبى مرافقا فى الطريقة لأمير بخارى (ت ٩٢٢ هـ = ١٥١٦ م) ، وهذا يعنى أنه منسوب إلى الطريقة النقشبندية ، ومن الشلبية كذلك « محمد صاحب » (ت ١٥٧٩ م) . وكذلك الشاعر « غنى زاده نادرى » (ت ١٦٢٦ = ١٦٢٧ م) وكلاهما مدفون فى صحن المسجد . لقد طوفنا فى معية « رسوخى بيقرة » خطوة خطوة ولبضع ساعات فى تلك الناحية ، ولم نصادف أحدا سمع حتى عن اسم عابد جلبى الموجود فى هذه المحلة ، وأدركنا مرة أخرى كيف أن الذين غيروا وبدلوا أسماء الشارع والمحلة قد أهانوا التاريخ أيما إهانة .

وفى خاتمة المطاف قلنا : فلننظر مليا حيث يوجد عند النزول من شارع « اوتلو فوجو يوقوشى » فى الناحية الخلفية لدار الشفقة (مدرسة الأيتام بإستانبول) حيث ألقينا نظرة على ساحة الجبانة العالية الكائنة قبالة أحد المنازل الصغيرة فى الجهة اليمنى لشارع « صالح زكى » الكائن جهة الشمال . هكذا كانت هذه الساحة منحطمة منهدمة غير ذات محراب ، حتى أنه لم يبق أى أثر لحجر واحد من صحن مسجد عابد جلبى .

وبالنظر إلى الكتابة المنقوشة على الحجر الراقد على الأرض فإنه يدرك أن أعلاه مصنوع من مرمر مستطيل صغير مزين ، وعليه قلنسوة ملفوفة منتفخة ، وعليه نقش مكتوب بتعليق جميل على هذا النحو : « عابد جلبى من أولاد : حضرت مولانا ، وهى مقبرة عالية المقام لحضراتهم - تاريخ وفاته ٩٠٣ هـ ، ويوجد فى صحن المسجد شاهدا قبر ، ويوجد كذلك قبور كل من حسين حمدى (ت ١٢٥٧ هـ) ، وسعد الدين (ت ١٢٨٩ هـ) ، وعارف مصطفى (ت ١٣٠٧ هـ) ، ويوجد نقش على قبر آخر

مكتوب فيه « شيخ تكية عابد جلبى » ، ومن المعلوم كذلك وجود تكية هناك ، ويدرك هذا من خلال مقطوعة الوفاة الواردة فى « حديقة الجوامع » ، وقد توفى « أيوان سرايى حافظ حسين » صاحب حديقة الجوامع سنة ١٧٨٦ = ١٧٨٧ م .

وقد ورد فى كتابه تدوين يفيد بوجود : تكية مولوية هناك ، ومن الثابت كذلك وجود مسجد فقط وتكية مندرسة خربة أخنى عليها الدهر فى هذا المكان قبيل القرن الثامن عشر الميلادى . وثمة حجرة أو حجرتان فى صحن المسجد ، وتسمى تكية لوجود ما يعرف فيها باسم « حجرة الوقف » ولربما كان المولوية يذهبون كذلك إلى هناك لأن صاحب التكية نفسه كان من الشلبيين ، كما كانوا يعقدون أحيانا مجالس السماع .

ونحن نرى أن من المتعذر القول بوجود تكية مولوية فى هذا المكان معتمدين فى ذلك على هذه الاحتمالات وعلى هذا فإننا نعتقد أن هذا خطأ اسمى لصاحب الكتاب ولربما لا يصادف اسم هذه التكية كذلك فى طبعات الكتاب المتأخرة . وقد شيدت فى هذا المكان فيما بعد تكية « سعدى » التى عفا عليها الدهر وأصبحت أثرا بعد عين فى الوقت الحاضر ، وتسمى كذلك تكية « عابد جلبى » حسبما ورد فى النقش الذى عرضناه آنفا ، ولاوجود لقبر كل من صاحب جلبى ونادى فى هذا المكان ، ويتوجب علينا أن نوضح فى القريب العاجل كيف وجدت هذه التكية بطريقة أو بأخرى ، وكيف انمحت هذه الساحة الصغيرة وباتت يابا .

وبعد هذه التكية المولوية أسست فى إستانبول التكية المولوية فى « ينى قابى » واضطلع كاتب الانكشارية « مالفوج محمد بك » بتشيد المولوية فى « ينى قابى » من أجل « كمال أحمد دده » (ت ١٦٠١ م) ، وقد اضطلع الوزير « أهرلى حسين باشا » (ت ١٦٢٢ م) بتشيد التكية المولوية فى « بكتاشى » ، وقد قتل هذا الوزير على يد الانكشارية فى اليوم التالى لتشكيل الوزارة ، وكان قد عين للمرة الثانية بعد واقعة السلطان عثمان الثانى . أما أغازده محمد دده مؤسس التكية المولوية فى « غاليبولى » فقد جاء وتبوا منصب المشيخة هناك مدة من الزمان نزولا على رغبة الباشا .

ثم شهدت هذه التكية تعميرا وإصلاحا ذا بنية أساسية فى سنة ١٨٠٤ م إبان عصر السلطان سليم الثالث ، وتمكن المولوية من نقل هذه التكية إلى مكان وجدوه فى ثكنة « ماجقه » حتى يتم بناء قصر « جراغان » محلها ، وكانت هذه الثكنة إبان تشييدها بعيدة قليلا عن منطقة « أيوب » ، وكانت تسمى « بهارية » ، وتقع على ساحل أيوب عند نهر « كاغدخانه » أى مصنع الورق ، وقد شيدت فى ذلك الحين تكية مولوية فى ذلك الموضع الموجود المزين بقصور أكابر القوم ووجهائهم ، وعلى هذا النحو أقيمت التكية المولوية فى بهارية لتحل محل التكية المولوية فى « بشكتاش »^(٥) ثم شيدت بعد ذلك التكية المولوية فى قاسم باشا ، وقد قلنا فيما سلف إن « عيى دده » كان شيخا على التكية المولوية فى غلطة ، ولما منحت مشيخة « غلطة » إلى شارح المثنوى « رسوخى اسماعيل دده » اضطلع بتشيد تكية مولوية فى البستان الكائن بمنطقة قاسم باشا ، وعين لها الوقف وأمنه ، وهكذا ظهرت فى إستانبول تكية مولوية أخرى .

أما آخر تكية مُفتحة فى إستانبول فكانت فى منطقة « أمراهور » بأسكودار وأسس هذه التكية « سلطان زاده نعمان دده بك » سنة ١٧٩٠ م ، ثم نقل إليها بعد أربع سنوات قضاها فى مشيخة تكية « قوله قابى » ، وقد عرف مقام الشلبيه تكية المولوية فى اسكودار على أنها زاوية ، ومن ثم فقد كان الرائحون والغادون إلى إستانبول يستخدمون هذه التكية على أنها نزل ضيافة لإقامة الذكر وشعيرة اللف والدوران فى أيام محددة من كل أسبوع . أما الدراويش والشيوخ القادمون من إستانبول إلى الأناضول فكانوا يحلون ضيوفا فى هذه التكية ، وكانوا يبدءون رحلتهم ويجهزون ما يلزمها من مؤنة وزاد ، كما كان القادمون من الأناضول وقونية على الخصوص ينزلون فى هذه التكية ، ثم يبدءون فى ممارسة أعمالهم بعد أن يستردوا عافيتهم وقدرتهم .

وثمة تكية أخرى غير تلك التكايا المولوية التى أحصيناها فى إستانبول ، ونعنى بها تلك التكية المولوية التى أسسها « درويش أحمد الإستانبولى » المشهور بلقب « دولابجى » ، وهى تقع فى مكان موجود فى مسجد زينب خاتون زوج إدريس تبليسى (ت ١٥٢١ م) المشهور بمنطقة « إدريس كوشكى » بجوار « جوموشى

صوبى « خلف منطقة أيوب ، وثمة معلومات جيدة تتصل بتكية « بنى قلبى » ومؤسسها ، ويمكن العثور عليها بين ثنايا كتاب « دفتر الدراويش » الموجود في حوزة رسوخى بيقرا » بن محمد عبد الباقي دده آخر شيوخ هذه التكية المذكورة والتي ترجع في الأصل إلى سيد ناصر عبد الباقي دده (ت ١٨٢١ م) ، وفي عصر أبى بكر جلبى الثانى (ت ١٧٨١ م) جاء الدراويش محمد إلى تكية بنى قابى ليقضى فترة المعاناة والمكابدة في صومعتها وصار يطلق عليه « حجرة نشين » أى جليس الحجرة ، ووجد بعد ذلك الشيخ محمد دده الذى كان متزوجا بامراتين اثنتين ، وكان له منزل مجاور لمنطقة قاسم باشا وآخر في حى أيوب ويعتبر نفسه منتسبا إلى تكية المولوية في قاسم باشا ويرى دائما في منزله الدراويش ، وكان قد اشترى في شهر ذى الحجة ١٢٣١ هـ = ١٦١٨ م بضعة منازل في منطقة « إدريس كوشكى » .

ثم شرع في تعديلها لتكون على شاکلة التكية المولوية ، وما أن أتم بناء هذه التكايا حتى خضعت لصكوك ائتمان الوقف الصادر في السابع والعشرين من شهر صفر لسنة ١٢٣١ هـ = ١٨١٧ م ، واشترطت هذه الوقفية أن يقوم هو وأولاده من بعده بتولى الشئون المتصلة بأعمال الزوايا ، وكان يطلب شهادة إجازة المشيخة من جلبى .

وفي اليوم الأول من شهر شوال لسنة ١٢٣٢ هـ = ١٨١٧ م جاءت شهادة الإجازة ، ثم أرسلت له شهادة المشيخة في الثامن من شهر المحرم لسنة ١٢٣٤ هـ = ١٨١٥ م وأذن له كذلك بالذكر وممارسة شعيرة الف والدوران ، ووافته المنية في شهر شوال لسنة ١٢٤٠ هـ = ١٨٢٥ م ، ودفن في تكية المولوية بقاسم باشا ، وما لبثت هذه التكية المشيدة أن غلقت وطمس أثرها .

وتبين نقوش وكتابات عبد الباقي دده أنه كان لا يحب محمد دده على الإطلاق ، كما كان معارضا لفتح التكية ، ويقول « حديقة الجوامع » إبان حديثها عن هذه التكية « كان ثمة من عارضوا الشيوخ الموجودين في التكية العلية الكبرى ، وهم غير قادرين على شىء من طقوس المولوية وشعائرها ومجالس سماعها ، وبناء على هذه الحالة المتردية هدمت التكية وأهملت شيئا فشيئا » (ج ١ ، ص ٢٦٥) .

ولكن هل كان شيوخ المولوية لا يراعون هذه التكية المؤسسة بموافقة جلبى على الوجه الأمثل بسبب أخلاق محمد دده ؟ وهل توجد إشارة خفية إلى أخلاقه تتضمنها كلمة « دولابجى »^(٦) التى كانت لقباله ؟ أم أن هذا بات أمرا حتميا بسبب كثرة التكايا وانقسام المريدين ؟ أم كانوا لا يريدون فتح هذه التكية بسبب رأى اقتصادى يقول : إن تأمين الوقف بهذه التكية يمكن أن يقلل أوقاف التكايا الأخرى ؟ إن السبب الثانى أكثر عقلانية لأنه أمر طبيعى فى أغلب الأحيان . يوجد اليوم جمهرة غفيرة من الشعراء والعلماء وأهل الموسيقى فى مقابرهم وجبابينهم^(٧) ، وإن تكية المولوية فى « قوله قابى » هى التى تحتضن هؤلاء الشعراء والعلماء والموسيقيين دون سائر التكايا المولوية فى إستانبول ، وتعد هذه التكية بمثابة متحف الأدب الديوانى . أما تكية المولوية فى قاسم باشا فالت إلى حال من الدثور والفناء ، واحترقت تكية المولوية فى « بهارية » وأصابها دمار شديد ، ثم باعها آخر ورثة لها زاعمين أنها ملك خالص لهم ، ثم تحولت إلى مصنع ، وسرق النقش الموجود فوق بابها عن طريق شخصى لا قبل لنا بمعرفته .

وقد نقل رفات الشيخ نظيف أفندى وسائر الدراويش الآخرين إلى مواضع أخرى فى جبانة أيوب ، أما مكتبة تكية المولوية فى « بنى قابى » والحجرات والمسجد ودوائر أجنحة النساء ، فقد استخدمت جميعها داراً للأيتام ، واحترقت حجرة السماع والمقبرة ، وعمرت زاوية اسكودار بما يتفق مع الطراز المعمارى القديم .

أين شيدت التكية المولوية ، وكيف كان المكان الذى شيدت فيه ؟

شيدت التكايا المولوية خارج المدن على وجه العموم ، بيد أن بعضا منها تطل المدن بسبب كبر المدينة واتساع رقعتها ، ومما لا مرية فيه أن اختيار البناء خارج المدينة كى تكون بمنأى عن صخب المدينة وضجيجها ، وحتى تظل بمعزل عمن يسميهم المولوية بالعوام ، وتكون بعيدة كذلك عن الطائفة التى لا تفهم الطريقة ولكنها ولا تدرك مغزى الطالب الدينى ، وتكون نائية كذلك عن الحياة المادية ما استطاعت إلى ذلك سبيلا .

وتوجد تكية المولوية دائما داخل حديقة واسعة وبجانبها موضع يسمى « بيت الصمت والسكوت » ونعنى بها الجبانة ، ويوجد فى أحد أطراف الحديقة جناح خاص بالنساء من أجل سكنى الشيخ وعائلته ، أما حجرة السماع فتكون فى الأعم الأغلب وسط صحن التكية ، ويوجد المسجد فى موضع قريب من حجرة السماع ، وتكون المقبرة بمثابة قسم من حجرة السماع ، كما أن أكابر شيوخ التكية مدفونون فى هذه المقبرة ، أما القسم الخاص بالمقبرة فإنه أعلى من حجرة السماع ومن قامة الإنسان وينقسم بدرابزين حديدى أو خشبى يصل حتى السقف ، ويوجد باب آخر من الخلف ، وتُرى الصناديق من خلال حجرة السماع ، وفوق هذه الصناديق قلانس ملفوفة ، وفى أعلاها أغطية من قماش صوفى أو قماش تخين أو جوخ ، وشمعدانها مائل قبالتها ومثبت أمام الصندوق ، وثمة لوحات ذات إطار مذهب ونقش جميل يحمل تاريخ ، وفاء الموتى ، أما أرائك قراءة القرآن فإنها تبعث فى نفس الإنسان الهيبة والوقار والجلال .

أما حجرة السماع فإنها على شكل دائرى فى معظم الأحوال وهى مذهبة لامعة براقعة ومؤثثة بخشب مذهب لامع غير ذات فُرج ودون مسامير ، وحول أطرافها قسم ضيق من الحصير مغطى ببساط أو سجادة ، وقد شد هذا الغطاء بدرع خشبى رقيق حتى حافته كي لايتحرك من موضعه ، كما أن حافة هذا الجزء مؤثثة كذلك ببساط وسجادة ، وهى ضيقة إذا قيست بوسطها ، وثمة قسم منفصل عن حجرة السماع بدرابزين وهو ليس خاصا بالمولوية ولكنه منقسم بهذا التميز من أجل أولئك الناس الذين يحبون المولوية ويأتون للفرجة على الذكر ومشاهدة شعيرة الف والدوران . وباب حجرة السماع ثاوير قبالة القبلة ، وثمة محراب فى القسم الخاص بالمتفرجين يوجد قبالة الباب مباشرة ، ويوجد منبر بإزاء المحراب فى القسم الداخلى قبالة الباب ، وثمة منبر آخر قبالة القبلة فى القسم الداخلى من الناحية اليمنى ، ويوجد كرسي بجانب المنبر موضوع فى القسم الداخلى ليكون على يمين الصاعد جهة القبلة ، وينفع المنبر فى أداء الخطبة فى صلوات الجمع ، ويوجد شيخ يعلم المثنوى على المنصة الكائنة بالقسم الداخلى ، ويوجد قسم آخر يشبه منصة المؤذن فى الجهة

العليا من حجرة السماع ، وكثيرا ما يكون فى أعلى الباب قبالة الشيخ ، ولهذه المنصة مثل كذلك فى المساجد الكبرى .

ويتم الصعود من القسم الداخلى إلى هنالك بواسطة سلم ، ويسمى هذا القسم بحجرة المطرب حيث يوجد الشيخ المؤذن وفى معيته المطربون ، ونعنى بهم أولئك الذين يترنمون بالشعائر والطقوس عن طريق الناي والطبلة والعارفين بآلات العزف الأخرى ، كما ننشد كذلك المدائح النبوية .

ويوجد الجناح الخاص بالرجال فى موضع قريب من حجرة السماع ويستقبل الشيخ ضيوفه فى هذا الجناح ، ثم يلبس القلنسوة وقبعة اللباد لمن يريدون ، أما بعض الضيوف الذين يقضون الليل فإنهم ينامون فى هذا الجناح ، ويوجد فى جناح الرجال كذلك موقد للقهوة ، وثمة درويش مكلف بصناعة القهوة والقيام بالخدمة عليها حيث يُنضجها للضيوف ويساعد فى توزيعها ، أما أرض حجرة السماع وجدرانها ، فمفروشة ومؤثثة بالحجر فى الجهة الخلفية ، وأعلاها مغطى فى معظم الأحوال ، وتوجد غرف الدراويش متاخمة ومواجهة لبعضها البعض بجانب أحد الممرات ، أما الحجرة فهى غرفة صغيرة وعند دخولها يوجد موضع صغير تخلع عنده النعال التى توضع فى مكان يسمى « المنعلة »^(٨) وهى كائنة بأحد الأطراف .

وبعد هذا القسم تأتى الحجرة الأصلية على ارتفاع قدم واحد حيث توجد بها أريكة تارة ، أو تكون بغيرها تارة أخرى ، وتفرش هذه الأريكة بالبسط والسجاجيد ، وعلى حافتها حشيرة مرتفعة ووسادة عالية بإزاء الخشبة ، ويوضع فراش الشيخ وأمتعته فى صوان كبير معلق فوق الحائط ، وكتبه فوق رف داخل هذا الصوان ، ومصباحه موضوع فى مشكاة ، ويقف موقد القهوة الصغير فى أحد الأطراف ، ويُنضج الشيخ جليس الحجرة القهوة على هذا الموقد ويقدمها إلى ضيفانه ، أما نافذة الحجرة التى فى الممر فإنها تطل على صحن التكية بيد أنها مواجهة للصحن بإزاء الباب ، ثم تأتى الحجرات الموجودة فى الممر المقابل ، حيث توجد فى أجزاء منتصبة فى واجهة البناء المطل على صحن التكية ، وقد فتحت نافذة واحدة على الحديقة من أجل وصول الضوء ، ودائما ما تكون هذه النوافذ ذات درابزين حديدى ، وثمة

مراحيض متاخمة لبعضها البعض موجودة فى موضع آخر يقع على طرف هذا الممر ، ويعتنى منظم المراحيض كل يوم بتنظيفها ، وتوجد فى الساحة المتاخمة لهذه المراحيض منطقة واسعة قليلا من الأمام ذات ميزاب متصل بعنقه ، وثمة موضع تداس به الأقدام قبيل الدخول .

وتحتوى واجهة هذا البناء على كثير من الصنابير ، ويوجد فى الجزء العلوى عيون ماء ذات صنابير وعليها مسامير تستخدم فى تعليق الملابس عليها . وثمة طرف آخر لممر الحجرة ، وهو يستند إلى المطبخ فى الغالب ، والمطبخ جناح شديد الاتساع ، وقد نقشت نقوش جميلة قبالة الموقد الكبير ، ومما هو جاذب للنظر تلك اللوحة المذهبة ذات إطار مكتوب عليها « يا سيدى آتس بازولى » ثم يأتى بعد ذلك الجزء الداخلى للمطبخ ومكان تناول الطعام مؤثث بالخشب وهو أريكة واسعة مغطاة ذات محفة ، وثمة أريكة أخرى مخصصة لنوم أولئك الدراويش الذين لا يصعدون إلى الحجرة ولا يضطلعون بالخدمة ، ويسمى هؤلاء « حوارى المطبخ » ويمكن أن توجد بضع حجرات بجوار المطبخ كما يوجد قسم آخر خاص بموقد القهوة .

وفضلا عن كل هذا فإنه توجد فى كل تكية مولوية حجرة كبيرة متاخمة إما للمسجد وإما للمطبخ ومستقرها كائن فى القسم الخاص بالحجرات ، وتسمى هذه الحجرة بالميدان الشريف ، وبابها قبالة القبلة ، وثمة عمود أحمر اللون موجود فى واجهة الحجرة وهو مقام الشيخ ، وتوجد منقلة بإزاء القسم الخاص بالدخول وهو منخفض قليلا بالنسبة إلى أرض حجرة هذه الساحة المتاخمة ، ويوجد موضع آخر لموقد القهوة فى أحد أركان ، وهناك غير ذلك جبانة تحيط بهذه المساحة الواسعة ذات الجدار العالى وذات إطار يمتد على هذه الأبنية جميعا ، وثمة شواهد قبور ذات قلانس كائنة فى هذه الجبانة ، وبها أشجار سرو وبلوط ، ويوجد أحيانا بستان ثان فى أحد الأركان ونقوش فوق الأبواب ، ونقش منقوش فوق الباب الحديدى الكبير المسمى بالباب العمومى ، وهناك المكتبة الخصوصية للتكية ، وخلاصة القول أن ثمة توافقا وتساوقا وتناغما مرتبطا بعضه ببعض من ناحية النغم والاتساق والانتلاف ، إنه شىء صوفى ولكنه علم الزخرف والزينة لمن يلج بداخله ، بلى ! إنه يلج فى عالم

يختلف اختلافاً بينا عن الدنيا التي يعيشها ، إنه عالم ينبىء عن ذات نفسه وينطق ويُبين عن حاله بقلنسوته ومقبرته ونقشه وسروه وجبائته وحياته وكل شىء ينم عنه .

إن كل من يذهب إلى تكية المولوية يجد نفسه يغوص من فورهِ فى الممر الموجود فى الحجرات وسرعان ما يسمع صوت ناي خفيف منبعث من إحدى الحجرات ، هاهنا يثوى التدريب والمران على الناي ، ثم ينبعث المديح النبوى من حجرة ثانية ، ثم صوت الطقوس والشعائر من حجرة ثالثة ، ففى هاتين الحجرتين يتم تعليم الطقوس والشعائر والمديح النبوى ، وتدرّس علم الأدوار والمقامات الموسيقية ، أما الحجرات التى يسمع فيها صوت منبعث من الخارج ، فهى إما أن تكون لتعليم المثنوى ، وإما أن يكون الشيخ قد ذهب إلى مكان ما . بيد أن القادمين بعد الظهيرة بنصف ساعة يتقابلون بعضهم ببعض فى لجة السكون المطبق الموجود فى تلك الحجرات ، ويستمر هذا السكون من نصف ساعة إلى ساعتين على وجه التقريب . أما الدراويش فإنهم يرقدون مضطجعين فى نوم القيلولة ، وجميعهم مشغولون بالتوحيد .

كيف يكون الذهاب إلى تكية المولوية ؟

هيا ! ألا ترغبون فى الذهاب إلى التكية ، فالיום ليس يوم الذكر وشعيرة اللف والدوران ، لا جرم أننا سوف نشاهد هذه الشعيرة فى قسم آخر ، بيد أننا نريد اليوم الذهاب إلى تكية المولوية فحسب ثم الولوج فى إحدى الحجرات والالتقاء بالشيخ . ويتوجب علينا أن يكون سلوكنا وتصرفنا متسماً بشىء من العجلة ، لأن كل التكايا المولوية وكذلك البكتاشية تسرع إلى غلق التكية ، فهل أذن لصلاة المغرب ؟ وهذا يعنى أن الدراويش البواب لايفلق الباب الحديدى العمومى الذى يفتح بالبسملة عند أذان الفجر ، ثم تغلق الأبواب بعد ذلك فلا يتسنى لأى شخص الخروج من الداخل إلى الخارج قط ، كما لا يستطيع أحد الدخول من الخارج إلى الداخل ألبتة ، ويستثنى من هذا ليالى التهجد التى يعقد فيها الذكر وكذلك ليالى القنديل ، وليلة القدر وليالى الأعياد ، ثم يشد الباب ويغلق جيداً بعد ساعة أو ساعتين من الذكر لأولئك القادمين

من الخارج ولهؤلاء الذين لا يقضون تلك الليلة في التكية ، أما في أيام شهر رمضان فإن الباب يظل مفتوحا على مصراعيه بعد ساعة واحدة من صلاة التراويح.

يتوجب الذهاب إلى التكية راجلا ، وإن الذهاب بالسيارة هو شيء مناف للأداب ، ومناقض للحالة الروحية الخلقية ومصدر الفيوضات الروحية ، ويتوجب على الذهاب إلى التكية أن يذهب إليها وكأنه دون يد أو رجل ممرغا وجهه في الأرض كالماء الجاري جاعلا رأسه وكأنه قدم تمشي على الأرض ، ألا تقول إن هذا شيء بعيد الاحتمال ؟ بلى فهذا شيء ميسور ، فكل شيء يتغير ويتبدل مع مرور الزمان ، ونحن قد ذهبنا إلى التكية راكبين إحدى وسائل المواصلات ، بيد أنه وجب علينا النزول لنمشي قليلا ندخل راجلين إلى داخل التكية قبل الوصول إلى بابها الداخلي ، ونحن لا نتعب من المشي لأننا قادمون إلى مكان الأدب والتوقير ، وهكذا فإن الداخل إلى التكية يكون خلوا صفر اليدين ، ويخرج كذلك منها على نفس الشاكلة ، ولهذا ينبغي لنا أن نأخذ هدية صغيرة على أقل تقدير فليس ثمة حاجة للتعب والنصب والغوب ، وإن قطعة معدنية ثمينة تقابل بالبشر والسرور والترحاب شريطة أن تكون القطعة المعدنية ذات تسعة قروش فتقسم على تسعة أشخاص أو ذات ثمانى عشرة قطعة منقسمة على ثمانية عشر رجلا ، وهكذا على نفس المنوال ، فهذه هي تحية المولوية ، كما يسمون هذه التحية كذلك « برك سبز » الورقة الخضراء ، لأن من لا يملك القدرة المالية يتسنى له أن يقطف ورقة خضراء ويحضرها ويقدمها ، هكذا تكون التحية ، ولنمعن النظر مليا في قبة حجرة السماع ، حيث يوجد في أعلاها قبة مولوية معممة ، ثم لننزلن بعد ذلك ، فيتم الدخول من الباب بالدعاء والرجاء ثم لنضع أصبع إبهام قدمنا اليمنى فوق إصبع قدمنا اليسرى ، وهذا يعني أنك تلمس لمسا خفيفا طرف النعل الموجود في القدم اليمنى ، وكذلك الحال بالنسبة لطرف الحذاء الموجود في القدم اليسرى ، ثم لتضع يدك اليمنى فوق قلبك وتكون أصابعك مفتوحة ، ثم احن جسدك قليلا إلى الأمام بدءا من خصرك شريطة أن تحنى رأسك أكثر فأكثر ، وكل شيء على ما يرام ، وهذا يسمى انحناء الرأس للتحية أو التضرع والرجاء ، والآن الق رجلك اليمنى إلى الأمام قليلا من الباب إلى الداخل وقل بسم الله الرحمن الرحيم ثم لنذهبن بعد ذلك تجاه الحجرات ، هاهى ذى حجرة الاستماع إلى الناي وهى

الحجرة الرئيسية لعزف الناي ، فلندخلن إلى هناك ، فالباب لا يطرق ، ولا سبيل إلى الدخول دون استئذان ، فماذا عسانا أن نصنع ؟ فأنا درويش فقير ، وقد مكثت خارج التكية في غرور وخيلاء ، أما هاهنا فالدرويش الفقير في مكانه .

إن الدرويش الآن في باب الحجرة ، ولسوف أقول « دستور » جاذبا بذلك آخر هجاء ، فهل شدت من الداخل كلمة « هو » التي تعنى الإذن بالدخول ؟ وإذا لم يصدر هذا الصوت إذ ربما لا يسمع ، حينئذ يتوجب تكراره مرتين اثنتين ، فإذا لم يأت ثانية فهذا يعنى أن ثمة مانعا حال دون انبعاثه ، وحينئذ نخضع منكسين رءوسنا تجاه حجرة أخرى فنقول « دستور » أى الإذن ، فيرد الصوت « هو » أى ادخلوا ثم يتوجب علينا الدخول بالقدم اليمنى منكسين الرأس للتحية ثم نلقى السلام ونضع نعالنا ، ها نحن نلتقى بالشيخ الآن ، لقد حان موعد اللقاء ، ولنجذب اليد اليمنى للشيخ بيدنا اليمنى ، أو نمسك بكلتا اليدين جاذبين إياها ناحية الفم ، ثم ينحنى كل اثنين ممن التقوا بالشيخ ، ثم يشرعون في نفس الوقت فيقبل بعضهم أيادي البعض الآخر ، وهكذا يتم التلاقي .

ثم مررنا بعد ذلك على الأريكة وجلسنا على ركبنا ، فانظر ماذا يقول الشيخ ؟ إنه يقول : كن عاشقا - أى والله - وعندما يقول أى والله نضرع نحن حينئذ بالتوسل والدعاء ، ثم بعد ذلك يتسنى لنا الشروع في الصحبة والمسامرة والمنادمة بيد أنه علينا ألا نجلس كثيرا ، ثم نطلب الإذن للخروج ، فالوقت متأخر ، إذ أن عازف الناي شاحب الوجه ذو لحية قصيرة وشواربه تغطى فمه برمته ، إنه مشغول بتعليم نفخ الناي لذلك المتدرب الجديد القابع قبالتك ، ولا ينبغي لنا أن نكون حائلين دون أداء عمله ، ولسوف نلتقى بالشيخ ثانية إبان الخروج ، ويتوجب علينا أن نشد على راحة يده ثم نلبس نعالنا دون الالتفات نحو الخارج ، ثم لنخرجن برجلنا اليسرى دون الالتفات إلى ما وراءنا .

فإذا كان الوقت مبكرا فها نحن قد رأينا الشيخ ، ولكن يجب علينا من أجل رؤيته أن نخبر الدرويش المشرف على الذكر وعلى شعيرة الف والدوران والقائم على خدمة جناح الشيء أو ينبيء حواريه ومريديه بذلك ، وبعدها ينبيء الدرويش المشرف

على الذكر شيخه ، وحينئذ يتم الدخول بإرشاده إلى حضرتة ، ولا سبيل إلى عدم الاستقبال ، ولكنه نظام شديد الصرامة مهيمن على التكايا ومن ثم فإن الضرورة تدعو إلى اتباعه .

تكية مولانا في قونية :

إن تكية مولانا جلال الدين الرومي تشبه سائر التكايا الأخرى ، وتشد النظر من حيث كونها مستقر الشيخ ومقامه ، أو بمعنى أصبح فإن التكايا الأخرى قد شيدت متشبهة بهذه التكية ما استطاعت إلى ذلك سبيلا . انقسمت الساحة الكبرى التي (تحتلها) التكية بجدار يحيط تماما بالجناح الخاص بالنساء وفي هذا الجدار توجد أربعة أبواب تؤدي إلى صحن التكية . أما الباب الموجود في مسجد السلطان سليم على يسار الطريق قبالة باب المقبرة فإنه يسمى « باب الدراويش » ، ويوجد فوق الباب العمومي نقش اضطلعنا بتدوينه إبان سردنا للسيرة الذاتية للشليبين .

وثمة « حديقة الأرواح » كائنة في الجهة اليمنى للتكية ، وفي الجهة الخلفية ما يسمى « باب الصامتين أو باب الموتى » ، أما باب الشيخ فهو شديد القرب من القسم الخاص بالمقبرة ، بيد أن الباب المواجه لباب الصامتين والموجود على مقربة من جناح جلبي فيسمى « باب جلبي » فإذا ولجنا من باب الدراويش ألفينا في الجهة اليمنى أربع حجرات ، وفي الجهة اليسرى وثمان أخرى ، وتوجد حجرة الميدان الشريف في الجهة اليمنى للحجرات ومساحتها ٥,٦ × ٩,٥ مترا ، وثمة مطبخ واسع كبير متاخم لهذه الحجرة ، ولما كان المطبخ متاخما للميدان فإنه توجد حجرة منفردة بإزاء بابي المطبخ ، كما توجد خلف المطبخ مقبرة مبنية من أجل « خرم باشا » شيدها إبراهيم باشا في سنة ٩٣٤ هـ (١٥٢٧ - ١٥٢٨) إبان عصر السلطان سليمان القانوني ، وتوجد بركة تسمى « شب عرس هاووز » تقع قبالة الحجرة الثالثة الواسعة على يمين الباب العمومي لهاتين الحجرتين السابقتين ، وثمة حديقتان مستطيلتان تقعان على يمين ويسار الباب العمومي ، وهناك ممر أعلاه مغطى ، ويقع أمام

الحجرات ويفتح باب كل حجرة على هذا الممر ، وفي نفس الوقت فإن النافذة الموجودة في الخلف تطل على الشارع ، أما النافذة الموجودة بإزاء الباب فإنها تطل على الحديقة . توجد المراحيز العامة والصنابير في نهاية الحجرة الثامنة الواقعة في الجهة اليسرى ، وإن هذا القسم ما هو إلا جزء من فصل قائم بذاته تماما عن ممرات الحجرة ، كما توجد خمس حجرات أخرى وعمود للحجرة الثامنة وتوجد جميعها في الجزء الشمالي قبالة المقبرة المواجهة للمطبخ ، ويوجد ممر أمام هذه الحجرات ، أما النوافذ الخلفية فتطل على الحديقة الكائنة في الخلف بيد أن النوافذ الأمامية تطل على صحن المقبرة ، ويوجد في الجهات الأمامية حديقة واسعة وخزان وقسقية ماء بأسقة من الحوض الذي أرسل إلى أولو عارف جلبى من كوتاهية .

ولقد أزيلت الأقسام الفاصلة بين الحجرات الموجودة على يسار ويمين الباب العمومى ، وتم هذا إبان عصر « يوسف آق يورت » أو مدير للمتحف ، بيد أنه تركت حجرة واسعة من الحجرات الخمس نوات العمود والواقعة جهة اليسار ، وقد محيت كذلك ظلة النافورة الجميلة التى شيدها السلطان سليم الأول وعمرها السلطان عبد العزيز ، وبات المال الموجود فى خزانتها عرضة للغبار والتراب وملوثا بروث الحمام وقاذوراته . وثمة ساحة جهة اليمين تطل على باب المقبرة الموجودة فى الجهة المواجهة للنافورة ، وثمة جبانة مرتفعة عن الأرض محاطة بدرايزين من حولها ، وهذا المكان مسطح مستو أملس ، كما أن شواهد القبور قد أصبحت فى مأمن حتى لا يقرأها أولئك الذين يستندون على الجهة العليا من جدرانها . هناك حديقة خلف الحجرة الخامسة الواقعة على يسار النافورة . ويوجد الآن فى نهاية هذه الحديقة جناح « جلبى » الذى انقسم ليكون مستقرا لمديرى المتحف . أما المطبخ القديم فكان يقع خلف هذا الجناح والموقع المخصص للمتحف محاط بالحجرات من الجهة اليسرى ، وعن يمينه مطبخ ، أما حديقة الأرواح فإنها مسورة بجدار ، والمقبرة الأصلية وصحتها تحيط بهما المقابر التى لم تتهدم بعد وتغطيها ساحة مربعة مساحتها ست آلاف ومائتان وخمسة وعشرون مترا ، وقد قسمت هذه المساحة بواجهة عرض مطلة على حديقة الأرواح فى الجهة اليمنى للمقبرة ، وتوجد حجرة مرتفعة ، أما نافذة المتضرع والدعاء فموجودة فى تلك الحجرة المستطيلة قبالة قبر مولانا ، وتوجد فوق

هذه النافذة قلنسوة لمولانا منقوش عليها رباعية له يقول فيها « إنه شخص صار عبدا للنجوم والقمر والشمس ، ينثر الضياء في السمو والارتفاع والعطف والإحسان والغريب أمام بابك لا يجد طريقا آخر إلى هذا الباب ، وإن سائر الأبواب مغلقة عدا بابك »^(٩) .

وهذه الحجرة هي التي كان الشلبيون يستقبلون فيها الضيوف ، وباتت الآن مستقرا لإدارة المتحف ويوجد سلم باب المقبرة مواجه تماما لباب الدراويش ، وواجهته الأمامية مرصوفة بالمرمر ، ثم يأتي بعد ذلك باب بلغ غاية الروعة في الجمال ومزين بزخارف من الأرابيسك وكائن داخل هذا القسم المحاط بدرايزين ، ويوجد على درفتي الباب بيت السلطان ولد يقول فيه « أيها الطالب : استمع إلى نصحي بالروح والفؤاد ، وضع الرأس على عتبة تكية الصادقين المخلصين » وقد نقش هذا البيت بخط فنان ليكون بمثابة حلية معمارية بارزة .

ويتم الدخول من هذا الباب إلى إحدى الحجرات ، وعندما تكون التكية مفتوحة فإنه يوجد فيها موظفون مضطلعون بقراءة القرآن في هذه الحجرة ، ولهذا فإن هذه الحجرة مخصصة لعرض اللوحات بآثارها المذهبة المجلدة ، ومن ثم فإنها تسمى « حجرة التلاوة » .

ويتم النزول من حجرة التلاوة إلى حيث القسم الأصلي للمقبرة عن طريق درجات من السلم ، أمام باب المقبرة فمفتوح من حجرة التلاوة على المقبرة ، وهو باب مصنوع من الفضة ويسمى « الباب الفضي » وعلى درفتي هذا الباب المزخرف المنمق الذي بلغ حد الروعة والجمال أبيات من الشعر تشير إلى تاريخ صنعه ومساحة الجزء الأصلي ٤ × ٢٦ م ، وهي عبارة عن ميدان كبير معتم مغطى بثلاث قباب . ويطلق المولوية على هذا الميدان اسم « باطن العشاق ومرتب الشيخ ودرجاته » .

أما القبور فتوجد في موضع مرتفع عن الأرض يُصعد إليه بسلم ذي ثلاث درجات ، ويقع في الجهة اليمنى ، وتوجد قباب خمس فوق المقابر . أما قباب الأقطاب فكائنة في القسم المغطى بالقباب ويمسى « قباب الأقطم » .

وهناك كثير من السيدات الشليات اللائى ينتسبن إلى عائلة جلبى ، ويرقد فى هذا الجزء من المقبرة كل من : زوج مولانا وابنته وحفيده وجلبى وحسام الدين ، ويوجد محراب غاية فى الجمال ثاو قبالة مقبرة جلبى حسام الدين ، وفى جهة اليمين يوجد ممر شمال الباب الداخلى للمقبرة قبالة السلم الصاعد إلى القسم الذى توجد فيه المقبرة ، ثم يأتى بعد ذلك مكان صغير يقع على يسار الداخل إلى هذا الممر ، وثمة باب يسمى « باب السراج » موجود عند الممر لى توضع السراج عليه ، وعند المرور من هذا الباب والذهاب شطر يسار المقبرة تتراعى ست صناديق كل اثنين منها متجاورتان بجانب بعضهما البعض فى جزء مرتفع قبالة القبور الموجودة جهة اليمين . كما أن أعلى هذه القبور مغطى بغطاء ، ويروى أن الراقدين فى هذه القبور الستة يسمون « صوفية خراسان » الذين جاءوا فى معية سلطان العلماء من مدينة بلخ ، وقد سمعنا أن هذه الصناديق أزيلت إبان عصر « يوسف أق يورث » ، وقيل إن أسماء أصحابها مبهمة يكتنفها الغموض ، ولا جرم أن الصناديق لم تكن فى مواضعها أثناء زيارتنا الأخيرة لهذه المقابر ، ويدلنا علم المتاحف أنها لم تكن فى طريق مصون مما أصابها بالخراب والفساد ، ونشكر الله كثيرا أنها لم تنزل على شاكلتها القديمة . وإذا ما دلفت صوب الأمام جهة اليمين ألفيت بابا فضيا يحجب جزءا من الباب الموجود تحت الأرض ، وهو الموضع الأصلي المدفون فيه مولانا ، وبإزاء هذا الباب سلم ذو درابزينين أعلاه مغطى بالفضة .

ويأتى عشاق مولانا إلى هذا المكان وهم خاشعون ويخرون سجدا على هذه العتبة مقبلين إياها ، ويسمى هذا الموضع معراج القدم الفضية ، ويروى العاشقون درجه وسلمه بالدموع المنهلة التى تجيش فياضة من حبات قلوبهم ، من يدرى كم من دمع العاشقين انهمر فوق هذه العتبة ثم توارت فى التراب ، وانعكست تنهداتهم فى القبة الخضراء .

وفوق الباب الفضى شعْرية شبكية ذات باب فضى مزخرفة مزينة بلغت حدا فائقا من الروعة والجمال ، وقد اضطلع بصناعة هذه الشعرية الشبكية

فنان يدعى "إلياس" كلفه بهذه المهمة « ماراش مير میرانی محمود
باشا سنة ١٠٠٦ هـ - ١٥٩٧ م وعلى الباب نقش جميل كتبه ميرزا عالی بوهاهی
ذی المقطوعة الشعرية التي كتبها "مانی" على الشعرية الخشبية :

الله لا إله إلا الله

شاه جمشید چشم خروی خورشید عالم
دور تخت اقالیم جیهان آری
تاج بخشنده هر شاه دیار اسلام
تاج خاننده هر مملکت ترسای
رایة افراز میادین ممالك کییری
میشعل آموز سرابر ده ملک آری
آسمان مرتبه سلطان محمد خان کیم
بنده ایتدی نیججه اسکندریله دریایی .
اول که بازویی جهان کییرایله قیلدی اسیر
بار شاهانی جهها ندار عطاء بخشایی .
نیت ایتدی قیلله کافردین غزا
ایکوره جرح برینه عالم بالایی
دله دی کیم ایده کفار ایله جنک ویکار
طونه آواز غزا بوفلک مسینانی
آله آلی صاله شمشیر غزایی تاکیم
کوستره کافر بی دینه ید بیضایی

ایندی بس قهر عدو نیته کردون صای : ؟
 مهجته رایت منصور جیهان آرایی
 اولدی بیلر بیلر دخی غزایه مأمور
 دیکیلر هربریس رایت کسردون سلیی
 جمله دن ریس اول صاحب خلق محمود
 وزرا زمره سینک آصف بادشاه مملکت دریایی
 میر میرانی ایدی مراث اول ائنده
 عدل ایله کندوییه قول ایتمیش ایدی دنیا سی
 سفره عظیم اولب ایتدی کولکدن تصمیم
 کسه زیارت قسیله بوتربت روح آفرایی
 کحل ایده چشم جهان بینته رغیستر الله
 خاک بایی حرم حضرت مولاناه یی
 یوزکی سوردی غبار در مولانه یه
 ایله دی کلدی زیارت بو مبارک جای
 صدق ایله روح شریفندن ایدوب استمداد
 دیدی آی جنت اعلاده قیلان موایی
 خلفی سرتشنه ایدوب ایتدیرن آهنگ نوا
 صالان آفاقه سماع ایله صدای نایی
 عهدم اولون که اکر حضرت شاه جم کاه
 فتح ایدوب مملکت کفر قریب اعدایی

تختتہ دولت اقبال ایلہ منصور کلوب
لطف ایلہ امرینہ محکوم قیلہ دنیایی
بن دخی داخل اولو رسم جزء آرازمیرہ سنہ
درد ولتتہ بلوب مرتبہ عسلائی
خرج ایدوب مملیکم بذل قیلوب مققدورم
سیممدان اولیہ ین بوقفس زیایی
نیستک محم ایدوب قیلدی کلوکل حقہ
ایتدی رهبر حرم خالق بی ہمتایی
نکاهن بلقسیس زمان مریم عہد
کہ اوکہ ویردی حسا مرتبہ عسلائی
حضرت والدہ سلطان کل باغ عصمت
طویدی جون نیت باشایی مبارک جایی
خیرہا اولد یغنی دیدی شہہ دورانہ
جوش ایدوب خیلی بسند ایلدی بو معنایی
ذمت ہمکتہ واجب ولزم کوردی
کہ وزیر اہلیہ غیر یلر ایلہ باشایی
حمد لله کی بولوب جملہ مرادداتہ وصول
ایتدی سمین قفس مرقد مولانایی
بارک الله زہی قفس کیم کوریجک
ایندی الفتہ ینجہ طوطیشکرہایی

قفسه قويدى طونوب مرغ نواييدرلر
سييرايدنلر كوريجك بوقفس رعنايى
بيلان جمن قدس اولوب مفتونى
ايركور كوكه فرياد دايله واو يللايى
ديدى تاريخى مانى شكسته خساطر
سيم قسيلدك قفس مرقد مولانايى
(تمت بحمد الله تعالى سنة ست وألف من الهجرة - ١٠٠٦ هـ)

والمعنى :

هو السلطان جمشيد العظمة وخسرو شمس العالم
وحاكم عرش الأقاليم وزينة الدنيا.
هوتاج رحمة سائر ملوك ديار الإسلام
وتاج بسمة ممالك النصارى.
من يكون؟ إنه السلطان محمد الذى بلغ مرتبة السماء
كم استعبد كثيرا من الإسكندر ودارا^(١٠).
وأسر ساعده الدنيا وكان لها من الفاتحين
وهو سلطان دنيا العطاء والإحسان
وعقد العزم على أن يغزو كفار الدين
ووصل إلى فلك الدنيا فى أعلى عليين

وتمنى أن يسحق الكفار فى المعارك والحروب
ونادى صوت الجهاد فى فلك السماء
وامسك وألقى سيف الغزو والجهاد
وأظهر لكفار الدين يد الجود البيضاء
ويكفى الفلك الدوار قهره لأعداء الدين
وهو منارة الراية المنصورة وزين العالمين
وكان أحدهم هو محمود صاحب الخلق القويم
وهو من زمرة الوزراء وأيه سيد مثل آصف
هو محمد أوصافه شريفة وصيته ذائع مشهور
هو آصف السلطان ومملكة دارا
كان واليسا على إمارة مانش آنذاك
وبعدله باتت الدنيا له عبيدا
وصمم من قلبه عازما الغزو والجهاد
ويزور تلك المقبرة المبهجة للروح
واكتحلت عين الدنيا بهذه الرغبات
إنه تراب قدم حضرة مولانا
ومرغ السلطان وجهه على غبار باب مولانا
وأقبل وزار هذا المكان المبارك
واستمد من روحه الشريفة الصدق والإخلاص
وقال يا مولانا يا من تسكن أعالي الجنان

فصوت أنغامك هو سر ظمأ الخلائق
وأنت تلقى إلى الآفاق صوت الناي بالسماع.
ولو أننى أخذت مكان حضرت السلطان
لفتحت الممالك وكسرت شوكة الأعداء
فقد اعتلى عرش دولة السعد والإقبال
وحكم الدنيا بأمره ولطفه وإحسانه
ولو دخلت أنا فى زمرة حاشيته
لوجدت فى عتبة دولته المرتبة العالية
ولأنفقت ممالكى وبذلت كل ما أقدر عليه
إن شباك هذه المقبرة من الفضة الجميلة
ونيتك للزيارة كانت محكمة وتوكلت على الله
وكنت مرشد السر الخالق لا ند لك ولا نظير
وكنت على حين غفلة بلقيس الزمان وعهد مريم البتول
ومنحك الله المرتبة العالية السامقة
إن أم السلطان هيم وردو بستان العصمة
عندما سمعت بنية السلطان لزيارة هذا المكان المبارك
فهى رغبة عظيمة لعين سلطان الأفلاك
غلبتها سورة الحميا وامتدحت هذا المفزى العظيم
ورأت ضرورة رعاية الذمة والهمة
وكان السلطان فى معية غيره من الوزراء

الحمد لله فقد بلغ كل المرادات

ووصل إلى القفس الفضى فى مرقد مولانا

بارك الله فيه ما أجمله من قفس جميل

كم تأوه كثيراً وتفوه بحلو الكلام

يقولون بأنه وضع طائر النغم فى القفس

فالتفرجون يشاهدون هذا القفس الجميل

وأصبحت بلابل خميلة القدس مفتونة

ورأته صارخة يا ويلاه حتى كبد السماء

يقول تاريخه أن مشيده هو الفنان مانى^(١١) مكسور الفؤاد

صنع القفس الفضى لمرقد مولانا

وينقسم الجزء الموجود فوق الباب الفضى الكائن فى الجهة اليمنى من الشعرية

الخشبية بدرازين حجرى ذى زينة هندسية ، ويرقد الحكيم المفكر مولانا جلال الدين

الرومى خلف الشعرية الخشبية مباشرة ، كما يرقد ولده سلطان ولد فى الجانب

الأيمن أى جهة الخلف بالنسبة لواجهة البناء . ويوجد كذلك محراب مزين فى واجهة

البناء قبيل ضريح مولانا وقبل الوصول إلى الشعرية الخشبية ، ويرقد خلف الساحة

التي يرقد فيها مولانا كل من : سلطان العلماء وصلاح الدين وعلاء الدين وطائفة

غيرهم من رجالات المولوية ، كما يرقد فيها كذلك كل من أولو عارف جلبى وأمير عابد

جلبى وبويوك زاهد جلبى بإزاء بعضهم البعض قبالة الباب الموجود فى الواجهة

الخلفية وراء المقبرة .

ويتم الدخول إلى قاعة السماع التى نجدها على يسار المقبرة من خلال قبو

مفتوح كائن قبالة قبر مولانا مباشرة ، وتوجد كذلك مقامات كل من الشيخين شمش

وأتش باز وكذلك خادم ضريح مولانا ورئيس الطهارة وقارىء المثنوى وجلبى صاحب

الطريقة ، كل هؤلاء موجودون تجاه قاعة السماع قبالة مولانا ، كما يوجد خلف هذا الجسر موضع آخر يقيم فيه المطربون ، وثمة قسم مثله للرجال وهو مخصص للزائرين القادمين لمشاهدة الذكر وشعيرة الف والدوران . وقد كتبت أسماء الاثنى عشر إماما حول قبة قاعة السماع . يوجد مسجد متاخم لقاعة السماع على يسار الممر المؤدى إلى حجرة السراج الموجود على يسار الباب الفضى ، وهو مسجد ذو مئذنة واحدة موجودة فى الجهة اليسرى للباب الخارجى للمقبرة ، ولهذا المسجد باب آخر جيد الزخرفة والتنميق ، وقد نقشت فى الجهة العليا من الباب وعلى درفته اليمنى الآية الكريمة " وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً " (سورة الجن آية ١٢) . كما نقشت أسماء الخلفاء الأربعة حول قبة المسجد ، وآية الكرسي منقوشة بخط أسود وبالقرميد الأبيض فوق الإطار العلوى للقبة المثلثة المغلفة بالقرميد الأخضر الذى يتخلل اللون الأزرق الذى يصنع بدوره انعكاساً عند تخلل الهواء وانتقاله من مكان إلى آخر .

النقوش الموجودة على المقبرة :

(١) نقش مولانا :

قدمنا بين يدى القراء فى كتاب "مولانا جلال الدين الرومى " ماهية النقوش التركية الموجودة فوق صندوق والده سلطان العلماء والمشيدة من أجل مولانا " الطبعة الثالثة ، ص ١٣١ - ١٣٤ . وها نحن أولاء نقدم مرة ثانية هذه النصوص الأصلية مشفوعة بترجمتها :

به روز مـر كـر جـو تـابـوت مـن رـوان بـاشـد

كـمـان مـبـر كـه مـر اد رادىـن جـهـان بـاشـد

بـراى مـن مـى كـرى ر ومـكو درىـغ درىـغ

بـه دام در فنى درىـغ آن بـاشـد

جناره جو بيني مكو فراق فراق
 مرا وصال ملاقات آن زمان باشد .
 مرا باکور سبباری مكو وداع وداع
 كه كو برده جمعیت جنان باشد
 فرو شـودن جو بدیدی برآمدن بنیگر
 غروب شنس و قمره جـرا زبان باشد
 غـروب نما بدولی شـروق بود
 لاحد جو حبس نماید خلاص جان باشد
 قدام دانه فرورفت درمزين كه نرست
 جـرایه دانه این صـانت انی كـمان باشد
 قـدام دلو فرورفت و بیرون نامـد
 زجـاه یوسف جـابزا جـراه فـغان باشد
 دهان جو یست ازاین سوی آن طرف بـکشا
 كه های یا هو تودر جـولا مـكان باشد

والمعنى :

"لا تحسبن أنى أتألم بألم هذه الدنيا عندما يسير تابوتى يوم الموت ، فلا تبك على ولا تقل وأسفى حتى لو ترديت فى شرك الشيطان فهذا هو وقت القلم العظيم ، وإذا ما رأيت جنازتى فلا تقل الفراق الفراق ، فهذا الوقت هو وقت الاجتماع واللقاء ، وإذا ما وسدوني الثرى فحذار أن تقول يا ولداه ، ما المضرة أن تأتى الشمس مع القمر من الغروب؟ فالغروب يتراءى لك ولكنه الشروق ، والقبر يرى وكأنه سجن بيد أنه خلاص

لروح ، وأى بذرة زرعت فى الأرض فلن تخرج ثانية . لماذا هويت فى ظن خاطيء فى
شأن هذه البذرة أيها الإنسان ؟ وأى دلو تدلى فى البئر لا يخرج ممثلاً ؟ وليكابد الأمرين
بسبب خروج يوسف من البئر ، ولماذا تصرخ وتلوى ؟ هل أغلقت فمك فى هذه الجهة ؟
فافتحه فى جهة أخرى وإن هوى وهوى الخاصة بك فى اللامكانية .»

كما نقشت هذه الغزلية فى الجزء السفلى ، وهذا نصها :

ذى حق من اكر كنندوم برايد
اذان كـرناى بزى مـسـسـتى فـزـايد
خـامـور ونانـيا ديوانه كـرـدد
تنورش ببت مـسـسـتـانه سـر آيد
اكر بر كـور من آيى زيارت
ترا خار بوشم رقـصـين نمايد
مـايه بى دف بى كـور من برادر
كه دربزم خـداغم كـين نشايد
زنخ بر بـسـتـه ودر كـور رـفـتـه
دهان افـسـيون اون دلدار هايد
بى دروزون كـسـفن بر سـسـينه بندى
خـرابـات ذى جـانـت بر كـاشـيد
ذى هر سـسـوينك وجنك جنك مـسـسـتان
زى هر كـسـارى بالابود كـارزاي
مـراحق از مى عـشـق افـر دست
همان عـشـقـما اكر مـر كم بى سـسايد

منم ————— سستی واصل من می عشق
یکواز می بجوز ————— سستی جسہ آید
نہ برج شمس الدین تبریز
بیـــــــــــــر در روح من یک دم نیـــــــــــــاید.

والمعنى :

" يخرج القمح من ترابى ، فهل أكلت إذا صنعت خبزاً من هذا القمح؟ إنه يزيد سكرک ، ويكون العجين كذلك مجنوناً ، ويطرنم الخباز وفرنه وهم سكارى بأبيات من الشعر ، فإذا ما أتيت لزيارة قبرى فإن ركام التراب الذى فوقى يتراعى ويتراقص لك ، يا أخى لا تأتين إلى قبرى دون دف ، لأنه من غير اللائق أن تكون متألماً فى مجلس الإله ، فذقنى مغلة موثقة ، وأنا أرقد وأنام فى القبر ولكن فمى يمضغ الأفيون الذى قدمه المحبوب ويتلذذ به ويشتهيهِ ، لقد تمرقت قطع من كفنى ، وإذا ما ربطتها فوق صدرى فإنها تفتح باباً للسكر من روحك ، هكذا يكون شغلك ، ولا يتولد لك شغل آخر سواه ، لقد خلقنى الله من خمر العشق ، فإذا ما مت وبليت فأنا عاشق ولهان ، هكذا أنا ثمل سكران ، وخمر العشق هى أصلى وجوهرى ، فقل وانظر مليا ، أى شىء آخر ينجم عن الخمر والسكر؟ إنه لا يتأتى شىء آخر سوى روحى التى تطير فوق البرج الذى وضعه شمس الدين تبريزى "وبعد آية الكرسى والبسملة كتب على الطنف الأعلى من هذا القسم ما يأتى :

" بسم اله الرحمن الرحيم وبه نستعين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين ، قد سعد من زار هذا المرقد ، إنه مقيم مولانا سلطان علماء المشارق والمغارب ، نور الله الأزهر فى الغياهب ، الإمام ابن الإمام اسطوان الإسلام هادى الأنام إلى حضرة عزة ذى الجلال والإكرام ، موضح معالم الدين بعد اندراس آياتها ، منير مناهج اليقين بعد انطماس علاماتها ، مفتاح خزائن العرش ، بحاله مظهر كنوز العرش ، بقاله منمنم بساتين ضمائر الخلايق بأزاهير الحقائق ، نور مقلة الكمال

ومهجة صورة الجمال ، قرة أطباق أحداق العشاق ، محلى أعناق عارفى الآفاق
بأطواق محبة الأخلاق ، محيط أسرار الفرقانية مدار المعارف الربانية .

وكتب فى أسفلها وأوسطها ما يأتى:

"قطب العالمين محيى النفوس و العالمين ، جلال الحق والملة والدين ، وإرث
الأنبياء والمرسلين ختم الأولياء والمكملين ، ذو المراتب والمنازل والغلبة والمناقب
والفضائل السنية محمد بن محمد بن الحسين البلخى عليه تحية الرحمن وسلامه"

وكتب فى الخلف ما يأتى:

"وقد انتقل قدس الله نفسه وروحه ورمسه سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، وهذا
الضريح قد شيده عبد الواحد بن سليم المعمار عفا الله عنه"

وهاهى ذى الأبيات المقتبسة من المثنوى والموجودة فى الصندوق المنحرف نحو
الخارج فى القسم الداخلى ذى العرشية الخشبية المزينة:

باز سلطان نم كــــشم نيك وبایم

فباغ از مردارم و كــــركه نه یم

باز جاتم صد صورت كند

زخم برنقـــــانه بر صـــــالح زند

حال صـــــالح كـــــربرا دویك شكوه

صد جـــــونان نقـــــابز آید متن كـــــوه

جـــــشم دولت كـــــر مطلق مسیكند

روح شـــــود منصـــــور أنا الحق مسیكند

صورت معشوق جون شوددر تخوف

رفت وشـــــود با مانغ معشوق كفت

جسم ظاهر عاقبت خودر فته نیست
 تا ابد مانع خوابد شازاست
 اون عتاب ارففت هم بر بوست رفت
 دوست بی آزار ســـــوی دوست رفت
 من شومد عریان ذی تن و از خسیال
 مهر رامم در نهـایة الوصال
 قسار کسه صنع حق در نیست
 جرعه هستی جبه دانی نیست جیست
 جمله استادان بی اظهار کار
 نیست جنید وصال انکسار
 لاجرم استادان صمد
 کارگاهشاون سرست
 نیستی جون هست بلا تر طبق
 بر همه بردند درویشان سبق
 زون که کان و مخزن سر خدا
 نیست غیر تیسستی در انجلا
 جون نه شیری بین منیلی ثوبای بیش
 کان اجل کورکست حان توست میش
 وردی آبدال و مشیت شیر شود
 ایمن اکه سرتر تو سر زیر شود

که است آبدال اون که که ومبیدل شود
 همـرش از تبسـدیل یزدان حال شود.
 هست ازوری بقــــــــــــــــــــــــــــــــایای ذات او
 نیست کششته وصف در وصف هو
 جون زیانه شمع بیش آفتاب
 نیست باشد هست باشد در حساب.
 میببرد جون آفتاب اندر فق
 باعروس صدق و صورت جون طوتوق
 انهم تحت قــــــــــــــــــــــــــــــــایی کــــــــــــــــــــــــــــــــامنون
 جوزکسه یزدان شون نداند ضامتون
 در حور دریا نشود حور مرغ آب
 فــــــــــــــــــــــــــــــــهم کن والله أعلم بالصــــــــــــــــــــــــــــــــواب
 والمعنى :

أنا صقر السلطان وأنا جميل قدس الأثر والعلامة
 لا أخط على الجيف فلست نسرا
 (ج ۱ بیت ۱۴۰۴).

أنا صقر الروح ، ونسجت بضع مئين من الصور.
 هو عين السعادة تتجلى فيه كل ضروب السحر والفتنة
 أو صبح المنصور هو الروح فى قوله أنا الحق
 (ج ۵ بیت ۲۵۳۶).

وعندما تتسوارى صورة المعشوق

فإنه قد ذهب وأصبح نظيرا للمعنى المحبوب

(ج ٦ ، بيت ٤١١٧).

إن البدن المرئى يشيد من أجل الذهاب فى النهاية

بيد أن المعنى يعيش إل الأبد فى حال من النشوة والصفاء

(ج ٣ ، بيت ٤٨٧٣).

لو كان هناك ضيق أو عنت فإنه يكون للجسد فقط

أما المعشوق فيذهب للعاشق ويعانقه دون تعب أو مشقة

(ج ، بيت ٤٨٧٤).

لقد تعريت وتجردت من البدن وتجردت كذلك من هذا الخيال

والقيت بنفسى فى مقامات إقليم الوصال

(٤٦١٩).

إن الإشتغال بالله يكون فى العدم والفناء

لقد اتخذت فى الوجود فماذا تلى عن الفناء وماذا عساك أن تعلم

(ج ٤٥١٥ ، ٣).

إن كل المهرة يبحثون عن الفناء بغية إظهار نبوغهم وألمعيتهم ، وهم بذلك يريدون

الإفلاس (ج ٦ ، بيت ١٤٦٨).

وخلاصة القول إن أمهر المهرة من يكون فى الفناء ، وأن يكون محتاجا إلى الله

(ج ٦ ، بيت ١٤٩٦).

وأن يشتغل بالفناء أكثر فأكثر ، ويكون الاشتغال بالله هو منواله على الدوام

(ج ٦ ، بيت ١٤٦٠).

فالمساكين هم فى الفناء فى أعلى المنازل والدرجات

ويناجون كل الناس وينالون الجائزة

(ج ٧٦، بيت ١٤٦٠).

إن هذا هو معدن وسر خزانة الله

ومن ثم فإنه لا يتجلى فى موضع آخر سوى الفناء

(ج ٦، بيت ١٣٦٧).

إذا لم تكن أسدا فأفق إلى نفسك ولا تلق برجلك إلى الأمام

فالأجل ذئب إذا كانت روحك ضائنا من هو الصوفى

(الآبدال)؟ هو من تكون نفسه عائدة إلى الروح، (ج ٣٩٩٨ ، ٦ وهو من يكف

عن الخمر ويتجرع الخل بدلا منها . (ج ٣، ٤٠٠٠).

إن الوجود كائن مستقر فى وجود ذات الله

وينمــــسحى كل وصف فى وصف الله

(ج ٣، بيت ٣٦٧٠).

توجد نظرة ولكن لا وجود لنظرة تشبه لهيب الشمعة الكائن أمام الشمس

(ج ٣، بيت ٣٦٧١).

هو كالشمس وبصدق العروس يقف ويطير فى مكان الفجر ، وصورته تشبه

كذلك برقع العروس ولا ريب أنهم يتوارون تحت قبابى ، ولهذا السبب (ج ٣، بيت

٣٦٧١). فإنهم لا يعرفون أحدا قط سوى الله ، والله هو الذى يعلم السر وأخفى

(ج ٣، بيت ٣٣٨٤).

(٢) أما النقش المكتوب على مقبرة سلطان العلماء فيقول :

الله الباقي - هذه تربة مولانا وسيدنا صدر الشريعة - منبع الحكمة - محيي السنة، قاصع البدعة ، قدوة العالم ، العالم الرباني سلطان العلماء ، مفتي الشرق والغرب ، بهاء الملة والدين - شيخ الإسلام والمسلمين محمد بن الحسين بن أحمد البلخي رضي الله عنه وعن أسلافه توفي في ضحوة يوم الثامن عشر من شهر ربيع الآخر لسنة ثمان وعشرين وستمئة.

(٣) النقش المكتوب على مقبرة صلاح الدين :

الله الباقي، هذه تربة شيخنا شمس العارفين ، علم الهدى واليقين ، ملك الأبدال، كامل الحال والقال ، أمن القلوب الطالب المطلوب ، نور الله الأعظم والبرهان الأقوم - سلطان البصيرة، طاهر السيرة والسريرة، بحر الأسرار الإلهية ، ترجمان الرموز الغيبية ، إمام التقوى ، محرم غرائب النجوى ، بايزيد العصر ، جنيد الزمان ، صلاح الحق والدين - أبو المفاخر فريدون بن باغيبان القونيوي الذهبي-قدس الله سره، في غرة شهر المحرم لسنة سبع وخمسين وستمئة.

(٤) نقش مقبرة الشيخ كريم الدين :

هذه التربة الشريفة لفخر الأصحاب العارف الفائق و العاشق الصادق شيخ كريم الدين ابن بكتمور المولوي رحمة الله عليه، في تاريخ شهر ذي الحجة لسنة إحدى وتسعين وستمئة.

(٥) النقش الموجود فوق مقبرة علاء الدين جلبي :

الله الباقي ، هذه تربة الصدر المرحوم علاء الدين محمد بن شيخ المشايخ - سلطان العلماء العارفين-جلال الحق والدين محمد بن محمد بن الحسين البلخي،

أفاض الله بركاته على المسلمين وخص ولده بمزيد كل عناية - أواخر شوال لسنة ست وستين وستمائة.

(٦) النقش الموجود في الجزء الرئيسى لمقبرة مظفر الدين أمير عالم ابن مولانا:

هذه تربة شمس مشارق المعالي ، تاج مفارق الأعالي - مظفر الدين أمير عالم ابن مولانا سلطان المحبوبين، جلال الحق والدين محمد بن محمد بن الحسين. ونقش في قاعدة المقبرة مايتى :اليلخى قدس الله سرهم ، نقله من دار الغرور إلى دار السرور في السادس من جمادى الأولى لسنة ست وسبعين وستمائة، غفر الله لمحبيهم.

(٧) النقش الموجود في الجزء الرئيسى لمقبرة كره خاتون:

الله الباقي - انتقلت المخدرة المصونة تقية الذات مرضية الصفات، رفيعة القدر ، مشروحة الصدر ذات الهمة العالية والمناقب، عصمة الدين المخصوصة بصفات العاملين ، مريم الثانى ، بحر المعانى ، مقولة الحق، محمودة الخلق والخلق. ونقش على قاعدة المقبرة مايتى:صاحبة مولانا قدس الله سره-كره خاتون رضى الله عنها وأدخلها حظائر القدس، أواها من دار الهوان إلى جوار الرحمن ، يوم الخميس الثالث عشر من شهر رمضان من شهور سنة إحدى وتسعين وستمائة .

(٨) النقش الموجود على مقبرة مليكة خاتون ابنة مولانا:

الله الباقي - هذه تربة الست الربانية افتخار مخدرات العالم - تاج مستورات بنى آدم ، ملكة خاتون ابنة سلطان المشايخ والعارفين، وقطب الأوتاد والمحققين وارث الأنبياء والمرسلين - جلال الحق والدين قدس الله سرهما في ثامن عشر شعبان لسنة ثلاث وسبعمائة من الهجرة.

(٩) النقش الموجود على الجزء الرئيسى لمقبرة جلالة خاتون:

هذا قبر الست الزاهرة والدار الطاهرة جلالة خاتون حفيدة سلطان العلماء والمحققين ، جلال الملة والدين قدس الله روحهما فى غرة المحرم سنة اثنتين وثمانين وستمئة.

(١٠) النقش الموجود على قبر مليكة خاتون ابنة قاضى الدين:

الله الباقي - انتقلت الست المرحومة المظلومة الشهيدة مقبولة الأولياء ، تاج المخدرات وافتخار المستورات مليكة خاتون نور الله ضريحها - ابنة أقضى القضاة مولانا تاج الملة والدين، أدام الله فضائله من دار الغرور إلى دار السرور - ليلة الأربعاء سادس عشر من جمادى الآخرة لسنة ثلاثين وسبعمائة من الهجرة.

(١١) النقش الموجود على قبر أمير شمس الدين:

تربة أمير شمس الدين يحيى بن محمد شاه هادى با أولاد مولانا قدس الله سره العزيز فى تاريخ السابع من شهر ربيع الآخر لسنة اثنتين وتسعين وستمئة من الهجرة.

(١٢) النقش الموجود على مقبرة جلى حسام الدين:

هذه تربة شيخ المشايخ قدوة العارفين إمام الهدى واليقين ، مفتاح خزائن العرش ، أمين كنز الفرش ، جنيد الزمان بايزيد العصر والأوان - أبو الفضائل ضياء الحق - حسام الدين حسن بن محمد بن الحسن المعروف بأخى تورك رضى الله عنهم الأرموى الأصل بما قال أمسيت كردياً وأصبحت عربياً ، قدس الله روحه فى تاريخ يوم الأربعاء الثامن عشر من شعبان سنة ثلاث وثمانين وستمئة من الهجرة.

(١٣) النقش الموجود على مقبرة حفيد حسام الدين جلبى :

انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء حسام الدين بن صدر الدين محمد بن جلبى
حسام الدين والحق والملة والدين، نور الله مضجعهم ، فى يوم السبت التاسع
والعشرين من شوال سنة سبع وأربعين وستمائة .

كان صندوق قبر مولانا منقوشا من خشب الجوز ، وكانت النقوش الموجودة على
قبر كل من مظفر الدين أمير عابد جلبى وجلالة خاتون من القرميد الأخضر والأسود
على شاكلة الفسيفساء ، وقد كتب النقش على القرميد باعتباره حلية معمارية
بارزة. كما نقشت آية الكرسي والبسملة حول أطراف قبر جلالة خاتون ، وكان قبر
مليكة خاتون ابنة قاضى تاج الدين من المرمر ، أما سائر القبور الأخرى فقد شيدت
من الآجر ، كما كان أعلاها يجصص بالجير والغُبِراء^(١٢). وكانت النقوش تثبت على
لوحات من المرمر فوق القبور . أما قبر حفيد حسام الدين فكان على لوحة من المرمر
جهة الشمال ، وكان نقشه مصنوعا من مادة لاصقة مخلوط بالجير والغُبِراء ،
ولا توجد نقوش فى أى قبر من القبور الأخرى.

تكية ديوانه محمد جلبى :

تأتى هذه التكية فى الأهمية بعد تكية قونية ، وتندرج ضمن التكايا المولوية مع
التكيتين الموجودتين فى قره مان وكوتاهية .

وهذه التكية موجودة فى منطقة قره حصار . ويعد (ديوانه محمد جلبى) بمثابة
الشيخ الثانى ، وهو أول ظهور تجل لمولانا ، وكان زائرا لقونية ، ثم مر إبان عودته
على قره حصار ومثل فيها للطاعة والخضوع والإذعان ، ومن أسف أن تكية قره
حصار قد احترقت بضع مرات، ثم شيدت ثانية ، ولهذا السبب فقد محيت النقوش
القديمة التى كانت عليها، ومن ثم فإننا سوف نضطلع بالحديث عن المقبرة فقط .
ولا جرم أن مقبرة (ديوانه محمد جلبى) تشبه مقبرة مولانا وكأنها مركز للتكية. أما

قاعة السماع والمسجد فيثويان تحت علية ، ولما كانت الجهة الخلفية ثاوية فوق قمة عالية ، فإن الصعود إلى البناء كان يتم عن طريق سلم من الجهة الأمامية . وعند الولوج إلى الداخل من الباب ، يكون الدخول إلى آخر صف في صلاة الجماعة كما هو الشأن في سائر المساجد . ويثوى في هذا المكان الباب الخاص بقسم المسجد الموجود في المقبرة الأصلية . وإذا ما ولجت من باب المقبرة وجدت صحنًا ضيقًا منقسمًا بدرايزين خشبي أعلاه على هيئة قلنسوة ، وقد خصص هذا المكان للزائرين القادمين لمشاهدة الذكر وشعيرة الف والدوران ، وفي أعلاه موضع للنسوة مقرون بمنصة المؤذن ، أما الجانب الداخلي لهذا القسم فهو ساحة واسعة ، وهو بمثابة قاعة السماع مفروشة ومؤثثة بأخشاب لامعة براقية غير ذات فرج تتخلل أجزائها . وثمة موضع آخر محاط بدرايزين خشبي ذي قلنسوة ، وهو ثاوي في الجهة اليسرى لقاعة السماع ، ويوجد اليوم في هذا المكان أربعة صناديق متعاقبة على التوالي ، فالصندوق الأول منها يخص "قروني دده" ، وتفيد إحدى الروايات أن هذا الرجل هو طباح "محمد جلبى أتش باز" أما الصندوق المجاور له فيخص كلا من كمال وجلال جلبى ، وهما من شلبية قره حصار ، ورشيد جلبى وهو من شلبية قونية ، وتقول إحدى الروايات إن محمد رشيد جلبى كان يعمل خادما للضريح ، كما عهد إليه كذلك مهمة لف العمائم الموجودة في الصناديق الكائنة بمتحف قونية إبان عام ١٩٥٠ م .

كما اضطلع بنفسه بتشديد التكية المحترقة سنة ١٨٩٢ م فأقامها من الخشب وبماله الخاص ، وقد توفي أحمد كمال الدين أفندى سنة ١٨٩٢ م ، ومات على جلال الدين أفندى كذلك سنة ١٩٠٨ م وقد احترقت هذه التكية مرة أخرى إبان عهد جلال الدين جلبى ، ثم شيدت إبان عصر عبد الحميد الثانى . أما الصندوق الثالث فيخص الشيخ مراد أفندى شقيق شهيد على أفندى من الشلبية ، والصندوق الرابع يثوى أعلى قبور "مجنوب باقى أفندى" .

وهذه الصناديق الأربعة الموجودة بإزاء بعضها البعض تجاه المسجد وعلى امتداد قاعة السماع ، ولا تتفصل عن هذه القاعة بدرايزين ، ثم يأتى بعد ذلك صندوق كبير منتصب فوق قاعدة خشبية أعلى من قامة الإنسان ، ويثوى "ديوانه محمد

جلبى" فى هذا القبر الموجود تحت هذا الصندوق، يقدم السلطان محمد الخامس هذا الصندوق هدية منه ، وهو مزين مزخرف بخيوط حريرية صفراء ، وطرزت حاشيته الأمامية بالخيط الحريرية داخله تعليق مكتوب عليه " حضرت مولانا "وقد غطى بغطاء مزين مزخرف من القطيفة الخضراء المحتوية على قلنسوة ملفوفة معممة، ويوجد تحت هذه القلنسوة تعليق جميل مطرز بخيوط القصب مكتوب عليه هذا البيت الذى يقول معناه "حتى إذا أقبل المسيح على حافة رأسى ، فلا تحسبن أن الهدية منك تداوى غصتى والامى " .

فلمن هذا البيت الذى يعد بمثابة ترجمان لسائر الأحوال النفسية "لديوانه محمد جلبى" ؟ ومن أين اقتبس ؟ وأى امرئ هذا؟ إنه إنسان عارف كامل انبهر بهذا البيت الذى ساقه واختاره لهذا الغطاء .أنا لأعلم من يكون ، ومن المحتمل أن يكون هذا البيت قد استكتب بنصه هذا ، وثمة احتمال آخر أن يكون هذا البيت "لديوانه محمد جلبى" ، وثمة أقوال أخرى بأن الحديث نقل على هذا النحو وسنده فاسد غير صحيح ، بيد أن معناه صحيح ، ويطلقون على هذه الأحاديث بالمعنى والرأى عندنا أن معنى هذا البيت ينتسب إلى ديوانه محمد جلبى مهما يكن قائله.

ثم تأتى بعد ذلك قاعة السماع التى تنفصل عن الجامع بدرابزين ، ويتم الانتقال إلى هذا القسم من باب ذى درابزين موجود قبالة محراب الجامع مباشرة ، وهو بمثابة الثلث قياساً بقاعة السماع . وثمة منبر بإزاء المحراب المواجه للمسجد وتنقسم الجهة اليسرى بدرابزين ، كما يوجد صندوقان فى الجهة الخلفية لهذين الصندوقين الآخرين . وثمة صندوق كبير موجود بإزاء قبر ديوانه محمد جلبى ، ويدعى "عبابوش ولى بالى محمد جلبى" وهو مغطى بغطاء من القطيفة الحمراء وكتبت فى جهته اليسرى من الداخل " فاعلم أنه لا إله إلا الله محمد رسول الله " ، وقد اضطلع السلطان عبد الحميد الثانى بإهداء هذا الغطاء سنة ١٢١٠هـ = ١٨٩١م . ويرقد فى هذه المقبرة كذلك كل من : خضر شاه جلبى و إلياس جلبى وشاهدى ، وجميعهم قبالة المحراب .

وثمة شخص آخر من الشلبيين يدعى "باقي أفندي" وهو مدفون كذلك في مقبرة "شاهدي" ودفن كذلك محمد فريدون بن الشاه إسماعيل على حافة قدم سلطان عباس بوش ولي ، وعلى يمين ديوانه محمد جلبى ، ولا صندوق له وتوجد كذلك كل من "بهار ابنة كمال الدين جلبى ، ومطهرة ابنة ضياء جلبى " وهما راقدتان فى القبر المبطن بصندوق والكائن فى الجهة الخلفية لإلياس جلبى ، أما الصندوق الموجود عند طرف قدم صندوق شاهدي فإنه يخص كلاً من رضا وبهار جلبى وتوجد قبور منهزمة مجهول أصحابها ثاوية داخل الجدار الأصى بإزاء جدار آخر كائن خلف القسم المؤدى إلى الصندوق الأخير بعد الصندوق المجاور لقبر "فرونى دده " . بيد أن ثمة طائفة أخرى ينحدر نسلهم من سلالة ملازاده ، ومنهم محمد نورى باشا ، وصادق بك جلبى وأبوه سليمان بك وولده عالى بك ، وهؤلاء جميعاً لا يعرف أحد المواضع التى دفنوا فيها ، ونعلم كذلك أن من بين هؤلاء المشهور "كوجك مصطفى دده" الذى كان يعيش إبان القرن الخامس عشر الميلادى والذى اضطلع بتلحين شعيرة دينية من مقام البياتى ، أما الجهات العليا لهذه الصناديق فهى على شكل محدب حاد ، غير مثلثة ، وهى على شكل سلجوقى مستدير تشبه تمام الشبه ما هو موجود فى مقبرة "مولانا" ، واليوم غطيت أعالي هذه الصناديق بغطاء أبيض اللون بغية تأمين وحماية أغطية كل من "عبابوش ولي" و"ديوانه محمد جلبى" من التحلل والفساد .

حالة المولوية والتكايا فى الوضع الراهن :

اضطلع محمد بكر جلبى الذى كان شيخاً على تكية حلب بتأسيس مقام الشلبية فى حلب بعد وفاة عبد الحليم جلبى سنة ١٩٢٥ م وذلك فى أعقاب القضاء على الطرق الصوفية واستئصال شأفتها داخل حدود الجمهورية التركية ، وقد تم التصديق على إنشاء هذه التكية من قبل حكومة الانتداب الفرنسية الموجودة فى سوريا آنذاك وعلى هذا النحو باتت التكية الكبرى فى حلب بمثابة مركز آخر لتكايا المولوية ، وأصبح عزل وتعيين مشايخها يتم عن طريق هذا المركز ، وعلى هذا فقد توفى شيخ الشام "سعيد دده" وتم تعيين ولده شمس الدين دده ، كما تم تعيين محمد أنور دده ليحل محل الشيخ شفيق دده وشيخ التكية المولوية فى طرابلس الشام عندما وافته المنية .

وقد استمر هذا الوضع منذ سنة ١٩٢٥ حتى سنة ١٩٤٤ م، وكانت وفاة بكر جلبى فى إستانبول سنة ١٤٩١ م مما حدا بالحكومة السورية إلى القضاء على امتيازات هذا المنصب والقضاء على مقام الشلبيه بناء على الاستقلال الذى قدمته الحكومة الفرنسية إلى سوريا ، ثم ما لبثت أن وضعت يدها على أوقاف التكية المولوية فى حلب وعلى غيرها من أوقاف التكايا المولوية الأخرى ، وأصبحت سائر التكايا تابعة للمديرية العامة للأوقاف . وقد خصص فى الوقت الراهن راتب شهرى لشيوخ التكايا الموجودين على قيد الحياة لا ينقطع حتى مماتهم ، كما تم تأمين نفقات التكايا الأخرى عن طريق دائرة الأوقاف . وهكذا أصبحت التكايا لا تضطلع بتعيين شيخ ليحل محل الشيخ الذى وافته المنية ، وباتت هذه التكايا ملكا خاصا للأوقاف بعد أن تم تصفيتها مع مرور الزمان واحدة تلو الأخرى . ولما توفى بكر جلبى لم يتم التصديق على قبول ولده جلال الدين لمقام الشلبيه ، وتبوأ أخوه شمس الواحد جلبى هذا المنصب مدة عام عقب وفاة أخيه الذى كان وكيلا فى حلب وعلى هذا أصبح هو آخر ممثل لهذا المنصب . كان الملاحوم واحد جلبى قد تفضل بإتمام معلوماتنا التى سقناها آنفا بين ثنايا خطاب مفصل كان قد أرسله إلينا ، وقد بين فى هذا الخطاب حالة المولوية آنذاك عن طريق الملاحظات التى سترد فيما بعد والمتصلة كذلك بتكايا المولوية خارج حدود الجمهورية التركية (١٣).

تكية حلب الكبرى :

استحوذت المديرية العامة للأوقاف على التكية الكبرى فى حلب بعد مدة قصيرة من وفاة بكر جلبى ، وقد اضطلع شخص عربى من المحبين لمديرية الأوقاف بتعيين أحد الشيوخ وكيلا على التكية ، وكان يوجد فيها خمسة شيوخ من العجائز ، وكانت معاشهم فى شكل بسيط يتسم بشدة المترية ، فتم تأمين هذه المعاش من قبل إدارة الأوقاف ، وتم منح كل واحد منهم خمس ليرات سورية كل شهر ، وكان غلق التكية مرتبطا بموت هؤلاء الشيوخ لعدم قبول مجاورين جدد فيها .

أما التكية الموجودة فى قاعة السماع فقد سلبت ونهبت إبان إثارة الفتن وانتشار الفساد ، كما أزيل الدرايزين الحديدى الذى كان يحيط بها من كل جانب وتحول إلى مسجد ، وكان يوجد فى حلب قرابة ثلاثين من مريدى المولوية ، وهؤلاء كانوا على علم قليل بممارسة السماع ، وإذا ما عقد مجلس الذكر فإنهم كانوا يلقون ويدورون على هيئة غير ذات نظام متسق ، وهم يقرعون الإلهيات باللغة العربية ، وكان الذكر قد انعقد ما بين أربع إلى خمس مرات فى السنة الواحدة ، وكانوا يأتون إلى التكية فى ليالى الجمع والأثنين ، وكانت دائرة الأوقاف تؤمن لهم أماكن الطعام ، ويتقاضون ثلاث ليرات فى الشهر الواحد مقابل الاضطلاع بهذه الخدمة .

زاوية الشيخ أبى بكر الوفائى :

هى زاوية مأخوذة من المولوية ، وأسست لتكون تكية قادرية، بيد أنها أغلقت تماما فى الوقت الحاضر ، وقامت دائرة الأوقاف بتأجير مشتملاتها قطعة قطعة لتكون بمثابة مسكن للإيجار .

التكية المولوية فى الشام :

كانت فى أجمل موقع بالمدينة ، وشيخها هو شمس الدين دده ، وكان يعيش بها قرابة خمس وعشرين إلى ثلاثين مريدا أسوة بمثيلاتها فى حلب .

التكية المولوية فى اللاذقية :

ثمة رواية ملفقة مزيفة تقول إن والد الصوفى إبراهيم بن أدهم المشهور مدفونة فى مقبرة هذه التكية ، وشيخها هو رجب دده، ولها ثلة من المريدين المحبين .

تكية المولوية في طرابلس الشام:

شيخها هو " أنور دده " ورغم أنه غاليبولى إلا أنه اصطبغ بالصبغة العربية الخالصة.

تكية المولوية في قبرص :

شيخها هو سليم الشامى دده الذى عينه بكر جلبى^(١٤). أما التكية المولوية في مصر فقد أغلقت من ذى قبل بسبب عدم التفاهم بين شيخ المولوية وإدارة الوقف ، وإذا أمعنا النظر مليا في المعلومات التى قدمها شمس الواحد جلبى والتى تدور حول تكية المولوية في بغداد لعلمنا من فورنا أنها قد أغلقت هي الأخرى قبل حين ، وقد استأصلت الحكومة السورية شأفة الطرق الصوفية بقرار اتخذته في زمن قريب ، وقد عرضنا لهذه الحالة أنفا حيث أساءت بصنيعها هذا إلى الأسلاف والأجداد ، وإن من يفكر مليا في هذا الأمر يجد أن هذا يذكر دون ريب بالذوق الصوفى والشعر والموسيقى والسماع والصفاء الروحى والنشوة الصوفية ، فلقد كانت هذه التكايا هي مصدر الإلهام على مر الزمان ، كما أنها كانت تمنح القلوب طمأنينة وسكونا وسلوة وعزاء ، إنها مثيرة للمشاعر ، مهيجة للأحاسيس ، مُسَكِّنة مُبْكِيَّة باعثة على الإمعان والتفكير ، وكانت المولوية على كل حال ذات نظرة ثابتة سباقة للمدرسة الدينية ، وذات فكرة إنسانية حرة طليقة غير مقيدة ، مناقضة للفكر الضيق ، إنها ذات أدب رفيع وظرف ورقة بالغة ، مناهضة للتعصب الدينى ، كانت رقعتها وظرفها مناهضة للغلظة، وهي بمثابة العطف والرحمة المناهضة للغيظ والحسد ، وهي تمتلك تاريخا يعم كل العصور^(١٥).

الهوامش

- (١) انظر : مولانا جلال الدين : الطبعة الثالثة ، ص ٦٩ ، والملاحظة رقم ٢٦ الواردة فيها .
- (٢) وهى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .
- (٣) قرأ الدكتور loyFved - ١١ . هذا النقش خطأ . قونيه : برلين سنة ١٩٠٧ ص ١١٧
- (٤) توجد معلومات جد متقنة ، بارعة فى مؤلف نورى أبى السعود أوغلو الذى لما يطبع بعد وتتصل اتصالا مباشرا بتكية « قوله قاييسى » كما توجد معلومات منقحة مستثناة فى كتاب « حديقة الجوامع » .
- (٥) انظر ما ورد بشأن تكية المولوية فى بكتاش فى كتاب « حديقة الجوامع » (ج ٢ ، ص ١٠٤ - ١٠٩) .
- (٦) كلمة تركية تعنى فى العربية متأمر مخادع محائل مدير للمكيدة (المترجم) .
- (٧) كلمة مزارلق فى العربية جبانة ، وتجمع على جبايين (المترجم) .
- (٨) مكان توضع فيها النعال ، ويسمى بالتركية pabuculuk (المترجم) .
- (٩) درهما همه يستند الأدرتو . تارة نبرد غريب إلا برتو
- أى دركوم وعزت ونورا فشانى . خورشيد مه وستار كان شاكرتو
- (١٠) دارا : هو لقب كيكباد أحد حكام فارس (المترجم) .
- (١١) أصف : هو وزير سيدنا سليمان واشتهر بالعدل ورجاحة العقل (المترجم) .
- (١٢) مانى : هو رسام فارسى مشهور (المترجم) .
- (١٣) هى رماد الجبل وتسمى بالتركية ألجى (المترجم) .
- (١٤) إن هذه المعلومات التى قدمها وحيد جلبى لتبين الحالة التى كان عليها المولوية إبان عام ١٩٥٠ م .
- (١٥) كان مجيبا بإخلاص على خطابنا وموضحا لنا الوضع الأخير لهذه التكية ، وإتنا نقدر ونعظم ذكر المرحوم وحيد جلبى الذى أرسل لنا صورة شمسية متعددة تخص زاوية أبى بكر الوفائى والتكية المولوية فى حلب .

(١٧) اعتنقت الإسلام طالبة اسمها chaa men moo وهي إحدى طالبات كلية الجغرافيا والتاريخ بجامعة أنقرة ، وتعمل معلمة للغة الإنجليزية بمدرسة OPTU ثم أصبحت مولوية بعد ذلك وسميت باسم "خدائي يارى" ثم شرعت في عمل رسالة بشأن تكايا المولوية وقد أفادت من كتابنا هذا ، وإذا ما نشرت هذه الرسالة فلسوف تتم وجوه النقص والتقصير عندنا ، وسنلقى الضوء أكثر في هذا الصدد ، ونتمنى لهذه الباحثة التوفيق والسداد.

القسم الثالث :

آداب المولوية ومبادئها

الفصل الأول

السمع والذكر (شعيرة اللف والدوران)

منصب الشلبية وتعيين الشيوخ - ذكر المولوية - دعاء المقام - عصر سلطان ولد - السماع والسلامات - كم يستغرق الذكر من الوقت بهذا الشكل الأخير، أفكار المولوية المتصلة بالذكر - ظهور السماع وبداية الذكر.

(١) منصب الشلبية وتعيين الشيوخ :

نشأ منصب الشلبية نتيجة متمخضة عن العمل كما قلنا آنفا . وجاء بعد جلى حسام الدين كل من سلطان ولد ثم أعقبه من بعده أولاده الذين كانوا بمثابة تمثيل حقيقى للمولوية ، واستقر عرف ثابت يقضى بانتقال المشيخة فى تكية مولانا من ولد إلى آخر أو من كبير العائلة إلى كبيرها الذى يخلفه ، وهكذا دواليك ، ثم قوى هذا العرف واشتد فى تعيين أحد الخلفاء من إحدى العائلات فى الحقب المبكرة لحياة الشلبيين . وفى الوقت نفسه كان صاحب هذا المنصب يلقب باسم السلالة وهى " جلى على الرغم من الاختلافات التى ظهرت بين ظهرانى العائلة بسبب الوقف على وجه الخصوص ، وثمة شخص واحد استطاع أن يتبوأ مقام الشلبية من ناحية الأم فقط ، ونعنى به عارف جلى الذى حل محل أبى بكر جلى^(١) وهكذا كان يتم تعيين الشخص الذى تبوأ مقام الشلبية إبان العصور المبكرة للمولوية ، بيد أن من يدعى "ضابط" التكية "كان يرتبط ارتباطا وثيق العرى بشيوخ وأكابر المولوية، ولانعلم أن شيخ

الإسلام كان يضطلع بدور فى التصديق أو الرفض على هذا التعيين ، وكان هناك نزاع وشجار محتدم بين الشلبيه حول هذا المنصب ، ثم ظهرت مؤسسة تتدخل فى هذا الأمر وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمولوية ، ثم تقوض هذا الاستقلال ، ولكن جلبى كان يعين طريق الإدارة السلطانية ، وكان هذا التعيين يعرض على مشيخة الإسلام عقب تأسيس ما يعرف بمجلس الشيوخ والذى كان يعتبر هذا المنصب بمثابة مقام علمى دينى ، وبعد تصديق شيخ الإسلام يصدر أمر السلطان ثم يتم تبليغ جلبى بأمر تعيينه ، ولا نملك فى حوزتنا أية وثيقة تدور حول تصديق جلبى على مشيخة الشيوخ إبان تلك العصور المبكرة .

وإذا كان القائم على أمر الخلافة شيخاً مولوياً فإنه يقدم المشيخة لأى واحد من هؤلاء ، ويتوجب عليه أن يرسل إلى هناك ، كان جلبى يحاط علماً بهذا التعيين ويتم قبوله ولا سيما بعد أن تم تأسيس المولوية باعتبارها طريقة مركزية ، بيد أن المتأخرين شددوا فى تعيين الشيخ ، فإذا ما مات الشيخ وكان له ولد فإنه سرعان ما يستخلف أباه ويحل محله ، وإما أن يعين واحد من العائلة من ذوى الكفاءة والأهلية ، كما أن الشيخ يتم تعيينه حتى ولو كان طفلاً صغيراً ، بيد أن أحد الشيوخ يوكل إليه أمر المشيخة حتى يبلغ الطفل ويكبر ، وقد نجم عن هذا التعامل بقاء الشلبيه ويتنقل من الأب إلى الولد ، وقد ألغى أساس التعيين من أولئك الشيوخ الذين أصبحوا أصحاب حجرة والذين يقضون فترة المكابدة والمعاناة فى صومعة التعبد ، وحل محله أساس عملى قائم على السهولة وإيسر ، فالشخص الذى سيكون شيخاً يذهب إلى تكية مولانا ، ويقوم على الخدمة مدة ثمانية عشر يوماً ، ويقف خلال هذه المدة تحت غطاء صندوق مولانا ، ويقوم على الخدمة مدة ثمانية عشر يوماً ، وقلنسوته ملفوفة معممة ، وبعد انقضاء ثمانية عشر يوماً يلبسه جلبى القبة مكبراً ويقدم له شهادة المشيخة ، وإذا كان الشيخ المعين موجوداً فى قونية فإنه يقدم نفقات المطبخ لتلك الليلة . وإذا ما حل المساء دخل جميع الشيوخ الميدان باستثناء الشيخ الجديد ، ويؤكل الطعام فى الميدان ، وتشرب القهوة ، وبعد ذلك يأخذ الشيخ المشرف على الذكر الشيخ الجديد إلى الميدان . ثم يلتقى الشيخ أولاً بشيخ الطريقة الموجود جهة اليمين ثم يلتقى بعد

ذلك بالشيوخ الموجودين جهة اليسار ، ثم يأتى ناحية الوسط ويقف للتحية ، ثم يرفع عقيرته بالدعاء قائلاً:

"بارك الله الوقت الشريف وليكن فاتحة خير ودفع الله الشر وبارك الله الخدمة المباركة لمشيخة أئينا الدرويش ، تقبل الله الدعاء وزاد لحظات البشر والصفاء ، ولنتقوه بأنفاس حضرة مولانا وسر شمس تبريزى وكرم الإمام على ، ثم ينحنى الجميع فى خضوع مذعنين . يذهب الشيخ الجديد فى هذا المساء إلى زاوية شمس ، ويرقد هنالك ويمكث فيها يومين زيادة إذا رغب فى ذلك ، وإذا لم يرغب فإنه يولى وجهه شطر تكيته ، ويتوسع فى هذه المراسم إذا توجب عليه تكليفه بمشقة وعنت الذهاب حتى قونية ، ويضطلع الشخص الذى بات شيخا بالخدمة فى التكية والمطبخ مدة ثمانية عشر يوما ، وبعد انقضاء هذه المدة يجهر شيخ الطهارة بالدعاء سالف الذكر على باب المطبخ . ويصبح شيخا على هذا النحو من ناحية الطريقة ، ويتم هذا عقب المراسم الرسمية ويسمى هذا "العبور من الباب" .

وإذا صدقنا ثاقب دده فإنه عندما ذهب جلال الدين أرجون جلبى إلى قره حصار كلفه "عبابوش ولى" بالخدمة مدة ثمانية عشر يوما ، ثم يلبسه عبائه " فى أثناء الأيام المحدودات التى هى ميقات المولوية وبعد إتمام لوازم الاحترام وتكميل مراسم الإكرام " ، ثم يولى أرجون جلبى وجهه فى اليوم الثامن عشر شطر كوتاهية ^(٢) . وإذا أمعنا النظر فى هذا رأينا أن ثمة احتمالا يقول بوجود قاعدة تقضى بالخدمة مدة ثمانية عشر يوما قبيل قبول فترة المكابدة والمعاناة التى تدوم ألف يوم ويوم ، ولكن إذا كان الشيوخ من ذوى الأهلية والكفاءة فإنهم يحظون حينئذ بمقام المشيخة فى يوم ما ثم يقبلون على حالة من المعاملة فى المشيخة بعد أن يساقوا بطبيعة الحال يحدوهم الأمل إلى الإحاطة بالسكينة والطمأنينة والهدوء وراحة البال ، ويظل هذا الحال من الأب إلى الابن ، ويكون بلوغ هذه النعمة عقب الخدمة فى التكية مدة ثمانية عشر يوما دون قضاء فترة المكابدة والمعاناة ، وكانت هذه هى الكيفية ضد طريقة الشيوخ التى تتم على هذا النحو. وفى العصور المتأخرة كان الشيخ الذى يتم تعيينه ولأسيما من تكايا إستانبول يؤتى به إلى زاوية "أتش باز" أو فى مقام شمس ، ثم يؤتى بشهادة المشيخة وتوضع فى زاوية أسكودار أو تكية ينى قابى ، ثم يذهب الشخص المعين

شيخا إلى هناك ، حيث يقومون سويا بزيارة شيخ الإسلام أفندى ، ثم تؤخذ شهادة مشيخة الشيخ وخرقة الشخص الذى جلبها ، ثم يصافح شيخ الإسلام كليهما ، وبعد ذلك تقدم رسالة المشيخة إلى الشيخ الجديد بعد قراءتها .وعند الخروج يقوم شيخ من الحضور أو صبي المدرسة بإلباس الخرقه للشيخ . ثم يتوجه الشيخ من هناك مباشرة إلى التكية ، ويدعو شيوخ الطرق الأخرى لحضور يوم الذكر ، ثم يدخلون بدورهم إلى قاعة السماع ، وتلى رسالة المشيخة بصوت عال فى قاعة السماع ثم تقدم إلى الشيخ ، وبعد ذلك فإن الجالب لرسالة المشيخة يتبوأ منصب المشيخة ، وهذا يعنى أن الشيخ يلتقى بكل من هم موجودون فى قاعة السماع ، وهذا معناه أن يسير أمامهم واحدا تلو الآخر ، مقبلا أيديهم ويقبلون يده فى نفس الوقت ، ثم يأتى بعد ذلك إلى مقام المشيخة حيث يبدأ الذكر . أما الشيخ الجديد فإنه يقدم هدية إلى من جلب رسالة المشيخة واضطلع بهذه المهمة ، ثم يرسل بعد ذلك هدية قيمة إلى كل من جلبى والشيوخ ومقبرة مولانا ، وبعد الفراغ من هذه المهمة يكون جالب رسالة المشيخة ضيفا على التكية لبضعة أيام ، ثم ينتقل ثانياة إلى " أسكودار " ، وبعد فترة من الزمن يتحرك صوب قونية ، ويودعه الشيخ الجديد وسائر الشيوخ الآخرين.وكان من عادة الشيوخ اضطلاعهم بإرسال قدر من المال ومما تغله الأرض من الثمار إلى مقبرة مولانا فى كل عام ، ويذكر "سرطارق محمد فهمى دده " أنه وجد فى الأرشيف خطابا مختوما بالخاتم يفيد بان شيوخ المولوية كانوا يقدمون الهدية كل عام الى جلبى وإلى الشيوخ المكلفين برعاية التكايا ، وإذا ارسل الخطاب إلى شيخ فإن هذا معناه أن البامية المرسله من جهته ليست نافعة أو جيدة ، مع التنبيه عليه بأن تكون البامية المرسله كل عام حسنة جيدة، وإن إرسال السكر و سائر الهدايا يكون إلى الشيخ فحسب،مع عدم التخلّى عن هذه العادة القديمة والتوصية كذلك بتوصيل هذه الأشياء المرسله حتى شهر رمضان (٧ شوال ١٢٢٦ هـ) بوثمة خطاب آخر يحمل خاتم (نسيب المولوى)^(٣) ، ليؤكد بذلك الخطاب المرسل من قبل "سر طارق فهمى دده"أما البامية وغيرها من الأشياء المرسله عن طريق إستانبول فقد أصابها التعفن والفساد فى أركان نزل الضيافة كما أن النقود التى كان يريد إرسالها إلى الشيخ لم يصل منها شئ حتى الآن ، والأشياء التى ترسل كل عام لم تأت فى مواعدها المحدد

وكلما مر ذكر اسم شيخ جلبي الذي لم يرسل هذه الأشياء فإنه يتم البحث في أمر عزله ، ويتحدث كذلك في شأن رعاية الراحلين والغادين ، وإن تكية المولوية " غلطة " كانت ترسل قدرا كافيا من البامية الجيدة مقرونة بالهدايا الأخرى ، ويذكر كذلك أنه كان يتم إرسال هذه الأشياء بواسطة الدراويش الموجودين في منطقة "مصر جار شى سى " أى سوق الأذرة ، وتنقل بواسطة الدراويش إسماعيل " ٢٢ شوال ١٢٦٦ هـ " . ألم يكن التهديد الموجود في الخطاب الثانى في محله تماما وعلى حق ؟ هكذا كان الحال دائما ، فحيثما وجد شيخ فإنه يأكل ويشرب من وقف الله ، فأى شىء أكثر راحة من هذا ؟ فالبامية الموجودة في الدولة كثيرة وجيدة ، وهكذا فإن هناك تسوية في المعاملة ، إنه لا يرسل البامية والهدايا . وإن من يسلك طريق مولانا وهدة غير عميقة الأغوار .

الذكر المولوى (شعيرة اللف والدوران) :

جاءت كلمة " مقابلة " بمعنى الا استقبال ، ثم استعملت بعد ذلك لدى سائر الطرق الصوفية وعند المولوية على الخصوص . وثمة قيام لدى طائفة من الطرق الصوفية التى تتخذ من أسماء الله الحسنى شعيرة لها والتى يقول عنهم المولوية الطرق الصوفية ، وهذا يعنى أنهم يكونون أثناء الذكر واقفين ، وثمة طائفة أخرى من الدراويش يذكرون الله وهم جلوس ، أما الموجود عند المولوية فإنهم يقفون على شكل حلقة يقابل بعضهم بعضا ، وهى عادة متبعة يتم فيه التحية حيث يواجه بعضهم بعضا أمام مقام الشيخ ، وهى شعيرة موجودة كذلك فى عصر سلطان ولد ، وإن كلمة "مقابلة " نشأت من هذه الناحية على أنها مصطلح ، ثم استخدمت بعد ذلك بمعنى الطقس أو الشعيرة . يقام الذكر أو شعيرة اللف والدوران فى قاعة السماع ، وإن هذه القاعة كما بينا ذلك إبان تفصيل القول عن تكايا المولوية - تحتوى فى الأعم الأغلب على المقبرة ، وعلى حافتها بناء متسع منفصل قائم بذاته يخصص للمتفرجين ، ويخصص هذا الموضع للسماع الأصلى ، وهو مؤسس بخشب مزخرف مزين متاخم لبعضه البعض تماما . وتوجد حجرة المطرب التى يصعد إليها بسلم فى

الجزء العلوى لحجرة السماع . وكان الذكر "شعيرة الف والدوران" يقام فى ليلة مولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، أى فى الليلة الثانية عشرة من شهر ربيع الأول ، وفى ليلة الجمعة الأولى من شهر رجب ، وفى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب "ليلة الإسراء والمعراج" ، وفى ليلة الخامس عشر من شهر شعبان وفى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان "ليلة القدر" ، وفى ليالى عيد الأضحى وعيد الفطر ويوم عرفة ، كما كان هذا الذكر يعقد عقب صلاة الظهر نهاراً ، وصلاة العشاء ليلاً ، ولكل تكية أيام أخرى للذكر ، أما أيام الذكر بالنسبة لتكايا المولوية فى إستانبول فهى على النحو الآتى :

الجمعة : غلطة "قوله قابيسى" ، السبت : أسكودار : الأحد : قاسم باشا ، الإثنين : ينى قابى ، الثلاثاء "قوله قابيسى" - الأربعاء (بهارية) ، الخميس "ينى قابى" ومع هذا فإنه إذا اجتمع الإخوان أحياناً فإن مجلس الذكر يمكن أن يعقد فى اليوم الذى ليس فيه ذكر . أما يوم الذكر فى تكايا المولوية الكائنة فى الخارج فدائماً يكون يوم الجمعة وكان الذكر فى "قونية" يعقد يوم الجمعة ، وكانت الجمعة تصلى فى مسجد السليمية ، ثم يذهب كل شخص بتورته وخرقته إلى الصلاة ، ويتم الدخول مباشرة إلى قاعة السماع عقب الصلاة ، ثم يعقد مجلس الذكر .

ويجتمع الإخوان فى موعد ليس فيه ذكر كما تفيد الرواية سالفة الذكر ، ويكون هناك وجد صوفى وصفاء روحى فى أثناء المسامرة والمنادمة ، ثم ما يلبث الشيخ أن يأمر الدراويش والمتعهد بالذكر لإخبار المريدين ، فيأتون من فورهم إلى قاعة السماع ، ثم يعقد الذكر ، وبعد ذلك كان السلطان محمود الثانى يأتى إلى تكايا المولوية فى أى وقت من الأوقات ، ثم يشرع على الفور فى عقد مجلس الذكر ، ولم يكن مجلس الذكر يعقد بسبب بلوغ نهاية الوجد الصوفى ولكن بسبب مجىء السلطان ، ولم يكن كثير من المولوية يستحسنون ذلك ، وكان الشيوخ يجتمعون ويتفرقون فى كل تكية فى يوم الذكر ، وعلى كل حال فإن السلطان يأتى بعد أن يحيط مقام الشلبية علماً ، وكان المولوية يعرضون قائمة بالأيام التى يعقد فيها مجالس ذكر المولوية عقب صلاة الظهر فى عرش السلطان ، وعندما يأتى السلطان فإنهم يلغون عقد الذكر (انظر فى هذا الصدد: عبد الباقي جليبنارلى :مائة سؤال فى التصوف : دار نشر الحقيقة : إستانبول ١٩٦٩ م ، صحيفة ١٦٣ - ١٦٤).

الطريقة التي يعقد بها الذكر :

يأتى أحد المريدين قبل أوقات الصلاة فيتجه نحو الجهة العليا للممر الموجود بين الحجرات ، وتكون الأصابع مفتوحة ، ثم يضع أطراف أصابعه فوق كتفيه وصدره فى صورة متقاطعة شريطة أن تكون ذراعا مفتوحتين ، ثم يضع أصبع إبهام القدم اليمنى فوق إبهام القدم اليسرى ثم ينحنى إلى الأمام بعد أن يحنى رأسه ، ويلقى التحية واقفا ثم يسحب نفسه ما وسعه ذلك حتى آخر نفس ويقول " هو - صلاة " ، أو يصيح قائلاً " وقت صلاة يا هو " . أما السامعون لهذا الصوت فإنهم يتوضئون ثم يلبسون تنوراتهم ، وثمة طاقات ورد تشبه ثيابا قصيرة تلبس فوق التنورة ، ويتمنطقون بالسراويل ، ثم يخلعون جواربهم ويلقون بخرقهم الرسمية فوق أكتافهم ثم يستعدون ، وفى تلك الآونة يحين وقت الصلاة فيؤذن لها وبعد الصلاة يفتح المتعهد بالذكر أو أحد المريدين المؤتمرين بأمره باب الحجرات واحدة تلو أخرى ، ثم يتفوه بالهجاء " هو " بصوت ثقل ، ثم يقول دون صياح " تفضلوا يا هو " وبناء على هذه الدعوة ينهض كل شخص ويذهب إلى قاعة السماع . ولا تراعى الأقدمية عند الدخول إلى قاعة السماع ، فمن يأتى أولا يدخل أولا . ولكن الداخل يقف فى مكان ما بأحد الأركان بحسب أقدميته ، وعند الدخول إلى قاعة السماع ينحنى المريد واضعا يده على الصدر عند الباب الداخلى ، وهذا يعنى أن المريد الآتى إلى الباب يقف عند مدخل قاعة السماع ، ثم يضع أصبع إبهام قدمه اليمنى فوق إبهام اليسرى ، ثم يحنى جسمه بدءا من خصره بصورة يتم فيها التدنى تجاه صدره مع انحناء رأسه أكثر وأكثر ، ويكون وجوده فى منتصف الباب تماما ، ويتمدد مستويا تجاه منتصف مقام الشيخ مع عدم وطأ خط الاستواء المرئى بصورة ينحنى فيها إلى الجهتين اليمنى واليسرى للباب ، ثم يدخل إلى القاعة بقدمه اليمنى ويذهب إلى حيث ينتهى به الوقوف ، ويحنى رأسه للتحية ويختم بقدمه ، وهذا يعنى أنه يقف واضعا إبهام رجله اليمنى فوق إبهام اليسرى ، وإن أقدمس مكان هو أكثرها قربا من مقام الشيخ .

أما أماكن الداخلين إلى الطريقة حديثاً فهي تلك التي تكون قريبة من الباب ، أما مريدو المطبخ ونعني بهم من يكابدون كثيراً فإن كل شخص منهم يقف في الجهة السفلى وفي الأماكن القريبة من الباب ، وعلى هذا فإن الداخلين إلى قاعة السماع ينتظرون في المكان المفروش بالبساط والحصير الذي يحيط بقاعة السماع ، ويكون قائد السماع في أقرب مكان من الشيخ ولا يرتدى أكماس خرقته أحد سواه . أما الخرق الرسمية فتكون فوق الأكتاف وتتدلى أكماس الخرق من الجوانب إلى أسفل ، ثم يأتي الشيخ بعد دخول كل الأشخاص فيحنى رأسه على الباب محيياً على نفس الشاكلة ، وبينما هو كذلك إذ يسرع كل شخص من فوره فيحنى على الأرض في نفس اللحظة محيياً .

يتوجه الشيخ إلى مقامه ويقف للصلاة ، ثم يلبس كل شخص أكماس خرقته ويسير مولياً وجهه شطر منتصف قاعة السماع ، وتنتظم الصفوف وتبدأ الصلاة ، وعند صلاة النافلة يقرأ المنشد سورة الإخلاص ثلاث مرات بحسب الأصول المتبعة للمسجد ، ويقرأ الفاتحة ثم يقيم المؤذن الصلاة ، وينتقل الشيخ الإمام إلى المحراب وتؤدي صلاة الفرض في جماعة . ولما كان مولانا جلال الدين لم يضطلع بالإمامة فإن شيوخ المولوية لم يضطلعوا بها كذلك (انظر: مولانا جلال الدين - الطبعة الثالثة ، ص ٢٢٢) . ويوجد أئمة لسائر التكايا ، وبعد الفراغ من الصلاة والتسبيح والدعاء يقول الشيخ "فاعلم أنه" ويمدها بصوت ثقيل حتى آخر نفس في صوته ، ثم ينطقون جميعاً بكلمة التوحيد في نفس واحد "لا إله إلا الله" ، وبعد النطق بالثالثة يقول قائد السماع أو أحد المنشدين وغالباً ما يكون المؤذن "وخاتم النبيين والمرسلين محمد رسول الله حقاً وصدقاً وصل وسلم وبارك على أشرف نور ، جميل الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين" . وعندما يتقوه الشيخ بأول هجاء قائلاً " الفاتحة" ما يلبث كل شخص أن يطبق على الأرض وكأنه يختر ساجداً في الموضع الذي يجلس فيه ، ويقبل موضع السجود ثم ينهض خالفاً ذراع خرقته وينتظر واقفاً في الموضع الذي كان موجوداً فيه أول الأمر ، وفي نفس الوقت يقبل الشيخ موضع السجود ثم ينهض قائماً واقفاً في مقامه مولياً وجهه شطر قاعة السماع ، ويجلس قبالة المريدين مقبلاً الأرض ثانية ، وما يلبث الشيوخ ممن هم في معية الشيخ أن يقبلوا الأرض ، وبعد الفراغ من

هذه الشعيرة يكون الموجودون فى قاعة السماع جاثين على ركبهم ، ثم يقفون وخرقهم فوق ظهورهم ، ثم يفتح الشيخ كلتا يديه داعيا بدعاء مقام المشيخة حتى أن الذين يفتحون أيديهم من المريدين لا يرون داخل الخرقعة ، أما إذا كان الشيخ سيعلم المثنوى فإنه يصعد من فوره إلى منصة المثنوى دون الجلوس فى مقامه ، ثم يجلس المريدون قبالة المنصة متجهين إليها دون الذهاب إلى أماكنهم ، ثم يقرأ الشيخ دعاء المشيخة بعد الفراغ من تعليم المثنوى ، وعند نزوله من فوق المنصة ينسحب كل شخص إلى موضعه ، ثم ينتقل الشيخ إلى مقامه ، وعند جلوسه يهم الجميع بالجلوس مقبلين الأرض جميعا فى انحناء وهم فى وضع السجود .

وبعد دعاء مقام المشيخة ينشد المطرب مدح النبى عليه السلام ، والنعت هو مدح مولانا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهى غزلية مقترنة بالمديح وليس لها مناسبة ، ويسمى منشد النعت "نعت خوان" ، وينشد النعت واقفا مقترنا بلحن خاص يبدوه بقوله "يا حضرة مولانا حق دوست" ويختم بقوله "يا طبيب القلوب يا ولى الله حق دوست" .

وبعد الفراغ من النعت يبدأ عازف الناي التقسيم من المقام الذى سينشده منه ، ثم يطوف على سائر المقامات ، ويصفى كل شخص إلى النعت والتقسيم وهو يحنى رأسه فى موضعه الذى يجلس فيه ، ويشترك فى خاتمة التقسيم ناي آخر بالترنم والغناء مع الناي الخفيف فى أثناء الدخول إلى مقام الإنشاد المقروء ، وعندما يتم الانتهاء من التقسيم تماما يقوم كل شخص فى معية الشيخ وفى نفس الوقت بضرب الأرض بشدة بيديه على حين غرة ، ثم ينهض واقفا على قدميه ، وفى أثناء ذلك تدخل الطبلبة والنايات مع سائر الآلات الموسيقية الأخرى فى المقدمة الموسيقية .

دور ولدى: DEVRE VELEDE:

يبدأ "دور ولدى" إبات عزف المقدمة الموسيقية حيث يصطف كل الأشخاص أمام الشيخ بعضهم خلف بعض يتابعون المقدمة الموسيقية ، ثم يبدعون السير رويدا رويدا

وهم يرددون اسم الجلال من حبة أفئدتهم وهم فى حال من الصمت المطبق . أما القادم من الخلف فيقف فى الجانب الآخر من المقام ، ثم ينحنون وهم يواجه بعضهم بعضا ناظرين بين حواجب إخوانهم وفى وجوه بعضهم بعضا ، ثم يسير ويلف دون الالتفات إلى الخلف متجها إلى حجرة السماع الموجودة على يسار مقام الشيخ ، ثم يتخذ موضعه الموجود فى الخلف على نفس الشاكلة ، ويبدأ من تلقاء نفسه فى التضرع والدعاء مع المتأخرين . أما المريدون من المتدربين الجدد الموجودين فى آخر الصف فإنهم يتقابلون مع الشيخ ثم يؤدون التحية وهم يحنون رؤوسهم ، هكذا تدار قاعة سماع ثلاث مرات ، وإذا وجد سائرون إلى المقبرة الموجودة فى قاعة السماع فإنهم يقفون حينئذ بإزاء مقبرة الشيخ وهم يحنون رؤوسهم تحية وإجلالا ، ثم يمضون فى سيرهم بعد ذلك ، وإذا ما أتى سائر أمام باب قاعة السماع وبإزاء مقام الشيخ فإنه يقف أمام خط الاستواء ثم يحنى رأسه تحية واحتراما ، ثم يذهب فى طريقه دون أن يطأ خط الاستواء .

تتوقف بعد ذلك المقدمة الموسيقية وتظل على هذا الحال مقدار خمس أو ست خطوات حتى نهاية "نور ولدى" ، ثم يُعزف تقسيم صغير حتى يأتى الشيخ إلى مقامه ، وفى النهاية أى فى الأوبة الثالثة يعبر المريد إلى الجهة المقابلة لمقام الشيخ ، ثم يمشى ويقف ويحنى رأسه للشيخ دون ترقب أو انتظار ، لأن الشيخ فى الأوبة الأخيرة سوف ينتقل إلى مقامه ويقف . هكذا يأتى كل شخص إلى موضعه ، ثم يعبر الشيخ إلى مقامه ويلتفت قبالة المريدين منحنيا تجاه قاعة السماع ، ثم يهيم المريدون من فورهم وهم فى معيته فينحنون فى المواضع التى يكونون فيها .

كانت جماعة مقام المشيخة تضطلع بدعوة شيوخ الطرق الصوفية الأخرى لحضور الشعائر والطقوس الرسمية وقراءة المعراج والمولد ، وكان هؤلاء يشتركون فيما يعرف "بدور ولدى" بمجرد علمهم به ، ومن ثم يذهبون إلى قاعة السماع ، وكان هؤلاء المشتركون فى "نور ولدى" المنسوب إلى سلطان ولد يحضرون إلى هذا المجتمع المكتظ يردون إليه وهم يصطفون اثنين اثنين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة ، ويشتركون كذلك فى التضرع والدعاء مع المريدين الذين يأتون بنفس الأعداد سالفة الذكر .

السماع والموسيقى الصوتية للطقوس الدينية:

عندما يشرع المطرب فى إنشاد الطقوس الدينية عقب الفراغ من دور ولدى ، بهم المريدون من قورهم باستثناء قائد السماع فيمسكون خرقهم بأيمانهم ، وياقاتهم بأصابع إبهامهم ويلقون بهما على الأرض ، ثم يجعلون أذرعهم فى مستوى مسطح ، ويضعون كذلك إبهام أصابع أيديهم فوق صدورهم بصورة متقاطعة من أجل الإمساك باكتافهم ويظلون بالتنورة، ثم ينحنى الشيخ ويطأطئ رأسه محييا ، يهب المريدون من قورهم منحنين معهم مطأطئين رعوسهم وهم يؤدون التحية ، ثم يخطو الشيخ خطوتين اثنتين ويأتى قبالة المقام ، وينشغلون جميعا بالتضرع والتوسل والدعاء .

يرتدى قائد السماع أكماس خرقته الموجودة فوق ظهره ، ثم يمشى ويأتى الشيخ ويطأطئ رأسه محييا الشيخ مقبلا يده ، وحينئذ ينحنى الشيخ محييا مقبلا قلنسوته ، هكذا تكون التحية لقائد السماع ، وفى تلك الآونة يشرع الشيخ وفى معيته قائد السماع فى التضرع والدعاء فى الأماكن التى يوجد فيها المريدون.

وبعد الفراغ من هذا التضرع يأتى قائد السماع قبالة الشيخ حيث يقف عن اليمين قليلا ، ثم يأتى عازفو السماع فيسيرون واحدا تلو الآخر ويحيون الشيخ على نفس الشاكلة ، ويقبلون يده البارزة قليلا من داخل خرقته . أما الشيخ فينحنى بدوره ويقبل قلنسوة المريد محييا وداعياً ، أما إذا كان عازف السماع مريدا ماهراً فإن قائد السماع يضع آنذاك قدمه اليمنى جانبا ، وهو بهذا يشير إلى انتقاله إلى الوسط . أما إذا لم يكن عازف السماع ماهرا فإن قائد السماع يضع قدمه جهة الوسط ويفتح الجهة الجانبية ، ثم يدخل عازف السماع إلى السماع فى الحافة.

إن الداخل إلى السماع يُنزل أكماسه من على كتفيه تجاه صدره رويدا رويدا ، ثم يخلعها مخلصا يديه من الوضع المتقاطع ويأتى بهما إلى الجانبين ، ثم يرفع الذراعين إلى أعلى تدريجياً بصورة متسقة وكأنه يفتح جناحيه ، وتظل مفتوحة على نحو متسق منتظم ، أما يد ذراعه اليمنى فتكون منتظمة مرتفعة صوب الرأس ، ثم يرفعها إلى أعلى على هيئة الدعاء ، ثم يدلى يده اليسرى جهة الأسفل ، وتكون الرأس مائلة إلى

الجهة اليمنى ، ثم يولى وجهه تماما شطر اليسار ويغلق عينيه أو يفتحهما قليلا ويفتح التنورة إبان السماع ولسانه يلهج باسم الجلال من حبة فؤاده . وبعد أن يدخل مقدم السماع إلى آخر نغم فى السماع ينسحب الشيخ مرتدا صوب الجهة الخلفية تجاه المقام واقفا على قدميه مطأطئ الرأس محييا ، وينحنى قائد السماع صوب الشيخ محييا ويشرع فى الطواف بين ثنانيا المريدين ، وليس من عادة قائد السماع أن يكون ماشيا ، بيد أنه ينبئ عن مشيه بارتطام قدمه بالأرض بخفة إلى جانبه ، ويضرب تنورته بعضها ببعض ، وهذا يعنى أنه يكون مترنحا متمايلا وهو يلبس تنورته التى يكون ذيلها موجودا فى الأمام والخلف ، وإذا ما وجد من يفسد السماع فإنه يحول بينه وبين ذلك بالسير أمامه ، وخلاصة القول أن كل هذا ليس إلا حماية وصيانة لنسق السماع ونظامه ، وعلى حين ينبئ قائد السماع عن قدومه بارتطام قدمه بالأرض فإن هذا يعنى عدم رفع نعله من على الأرض ، وعلى هذا النحو فإنه يضرب الأرض بالطرف الأمامى لقدمه دون إحداث صوت شريطة أن يُسمع الصوت فقط لمن هو موجود .

عندما ينتهى القسم الأول من شعيرة الذكر يشرع المريدون فى الترنم المتوافق مع مقام هذه الشعيرة ، وسرعان ما يقفون على الأرض متساندين إلى بعضهم البعض على هيئة جماعات مكونة من شخصين أو ثلاثة أشخاص حتى لا يقعوا على الأرض ، ثم يضعون أياديهم على صدورهم فى شكل متقاطع ويشرعون فى إلقاء التحية والسلام . هكذا ينتهى اللحن الموسيقى الأول " رأس السلام " ، وفى أول هذا اللحن الموسيقى لا يكون قائد السماع موجودا أمام مقام الشيخ ، ويمسك بالعمود كلما اقترب من المقام ، وهذا يعنى أنه يثبت قدمه اليسرى فى الموضع الذى يقف فيه ، وعندما يتقدم إلى الأمام قليلا وينتقل من أمام المقام فإنه بهذه الصورة يمر من أمام المقام .

ينحنى كل شخص فى بداية اللحن الموسيقى الأول وهو يطأطئ رأسه فى معية الشيخ محييا ، ثم يسير الشيخ بعد ذلك صوب المقام وهو يلقي التحية التى يردها عليه كل شخص . يتخذ قائد السماع موقعا له فى الجهة الأمامية للشيخ ، ثم يدخل عازفو السماع إلى قاعة السماع واحدا تلو الآخر أمام الشيخ محيين ، بيد أن اليد

لا تقبل فى هذه المرة ، ثم يبدأ قائد السماع فى بىبىن لكل شخص موضع سماعه ، وإذا ما انتهى القسم الثانى للشعيرة تؤدى ثانية بعينها ، ثم ينتهى اللحن الموسيقى الثالث على نفس الشاكلة ، وفى اللحن الموسيقى الرابع يدخل الشيخ إلى السماع فى معية العازفين حيث يسير متقدما من موضعه فى المقام ، ويدخل السماع مطأطأ الرأى محيا ، ثم يأتى تحت الثريا الموجودة فى منتصف حجرة السماع حيث يعقد السماع وهو يمسك هناك بعمود ، ولكن الشيخ لايفتح الذراع ، ثم يمسك بيده اليسرى الجزء الأسفل من وسطه جاذبا الطرف الأيمن لخرقته عاليا حتى لا ينفتح إبان السماع ، أما يده اليمنى فتكون فى الياقة اليمنى لخرقته .وعندما تنتهى الشعيرة الدينية فى اللحن الموسيقى الرابع يبدأ تقسيم شىء واحد بعد المقدمة الموسيقية واللحن الإيقاعى ذى الدقات الست ، ولا يُسمع شىء قط سوى الصوت الذى ينبعث من الأقدام العارية للعازفين كلما لفوا وداروا فى أثناء السماع وذلك من أثر التقسيم الموسيقى ، ويمسك كل شخص بالعمود الموجود فى موضعه ، وهذا يعنى أنه يمارس السماع وهو غير سائر ،

ويختلط صوت آخر مصاحب للنأى فى النهاية مع صوت النأى الرئيسى ، وعندما يسمع الشيخ هذا الصوت يسير صوب مقامه وهو يؤدى السماع تدريجيا ، ثم يخرج منه مقبلا مكانه ، ويبدأ فى سماع أعوذ بالله والبسملة وقراءة العشر من المطرب ، أما عازفو السماع فإنهم يأتون بأذرعهم إلى أكتافهم فى المواضع التى يكونون فيها ، ويتخذون موضع التحية ، ثم يتركون السماع مقبلين موضع الجلوس ويظلون فى وضع الانحناء وهم متجهون صوب المكان . وبعد المقطوعة الموسيقية الثالثة تخرج طائفة من الأشخاص من أحد الأركان خارجين من السماع آخذين خرقهم واضعين إياها فوق أكتافهم ، ثم يجمعون من فورهم خرقهم الموجودة فوق الأرض ويلقونها فوق أكتافهم ، ثم يقذفون خرقة فوق ظهر كل شخص بمحض المصادفة .

أما قائد السماع مُعرق الجبهة المتعب الذى ألقى الخرقه فوق ظهره فإنه يسرع من فوره متزملا بالخرقة جالسا تاركا وضع التحية والسلام . فإذا ما انتهى الشيخ من

العشر يقول " الفاتحة " ، ثم ينهض كل شخص على قدميه فى معية الشيخ ، وثمة شيخ آخر يضطلع بمهمة الدعاء ، وهو قائد السماع ، أو هو شيخ الطريقة فى قونية ، أو رئيس الطهارة فى التكايا الأخرى ، ويلبس أكماس خرقته ويعبر إلى الأمام موليا وجهه شطر الشيخ وهو يدعو . ثم تقرأ الفاتحة مرة ثانية ، ثم يرفع الشيخ بعد ذلك عقيرته بصوت جهورى ويقول : " الإحسان للأرواح الطيبة المسرورة الضاحكة والبركات الروحانية لحضرة مولانا سر شمس تبريزى ، ويحنى سائر المريدين رؤوسهم مع الشيخ وهم يحيون قائلين بصوت عال " هو " ، وهذا هو ختام الذكر وشعيرة اللف والدوران^(٤) .

يسير الشيخ من مقام المشيخة متجها صوب الباب ، فإذا ما دنا من الثريا الموجودة فى الوسط فإنه يقف ثم يطأطئ رأسه محييا قائلًا " السلام عليكم " ، ويطأطئ كل شخص رأسه محييا فى معية الشيخ ، ويخرج قائد السماع من الجهة السفلى ومعه رئيس الطهارة أو شيخ الطريقة فيردان السلام قائلين " وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته " ويمدون الصوت فيها إلى أقصى درجاته . وعندما يعبر الشيخ الثريا يلقي السلام مرة أخرى وعلى نفس الشاكلة عند دنوه من الباب ، وفى هذه المرة يرد السلام أحد المطربين ، فإذا ما أقبل نحو قاعة السماع يلف ويدور ثم يحنى رأسه صوب الداخل محييا ، ويلقى كذلك التحية سائر المريدين ممن هم فى معية الشيخ . وبعد أن يخرج الشيخ يسير كل شخص بانتظام تجاه الباب مرتدين إلى الراء خارجين مطأطين رؤوسهم محيين .

ذكر التحية :

فى بعض الأحيان يرسل الشيخ أو واحد من مريديه أو محبيه أو أحد الزائرين أو العارفين بقواعد وأصول الزيارة إلى المريدين مع قدر من المال ، وعدد التحية عند المولوية تسع تجمع مع تسع أخرى فتكون ثمان عشرة أو سبعة وعشرين أو ستًا وثلاثين ، ويقدم قدر من المال إلى قائد السماع يشبهه (المجيد) (عملة فضية ذات

عشرين قرشا) ، وتأتى هذه النقود إلى المطرب قبيل الانتهاء من المقطع الموسيقى الأخير وتترك فوق الطبلية الخاصة برئيس الطباليين وبناء على هذا فإن المقدمة الموسيقية فى الذكر لا تُعزف ، ويقوم عازف الناي بعزف مقطوعة من مقام "صجاء SGAH" ، ثم يبدأ ذكر التحية ، ثم يشرع الشيخ فى قراءة شعيرة الحسين المستهلة بهذا البيت الذى يقول "أيها العاشقون إننى أصنع من التراب درا ، أيها العازفون إننى أملأ خزينتكم ذهباً " ، ثم يُرسل مقدار من المال إلى المطرب ويقوم بذكر التحية أو بمعنى أصح أنها نشأت من هذه المقطوعات الآتية مثل :

شـمـع رـوحـكـه حـمـمـى بـراونـه دوشـشـردم

اوراق دلى آتش ســـــوزانه دو شـــــردم

بر قطره أيكن كندىمى عـــــمانه دو شـــــردم

مولايى سورسن بنى سويلتمه غمم وا

والمعنى :

أوقعت فراشة جسمى فوق شمعة روحك

وأوقعت أوراق الفؤاد إلى نارك المحترقة

وعندما كنت قطرة أوقعت نفسى إلى محيطك

أن كنت تحب المولى فلا تجعلى أتفوه بغمى وأحزانى

ومثل قولهم :

دكـله ســـــوزمى سكا ديرم أوزكـــــه ادا دار

درويش اولانه لازم اولان عـــــشق خـــــدادار

عشقك نسى وار ايسه معشوقه فـــــدادار

ســـــماع صفا جانه وفاروحه غـــــدادار

عشق ايله کلین ایلیمه لم ذوق و صفایی
 کوکلر دکین ایر کوره لیم خوی ايله های
 عشق ايله کلین ایلیمه لم ذوق و صفایی
 کوکلر دکین ایر کوره لیم خوی ايله های
 عشق ايله کلین ایلیمه لم ذوق و صفایی
 کوکلر دکین ایر کوره لیم خوی ايله های
 مستانه الوب دبره ایده لیم جنک ايله نایی
 سماع صفا جانہ وفاروحه غدار
 ای صوفی بزم صحبتمز جانہ صفادر
 جرعة مزی نوش ایده کور دیده دوا در
 حق ايله بزم ایتد کیمر عهده وفادر
 سماع صفا جانہ وفاروحه غدار.
 عشق ايله کلین طالب جسونده اولالیم
 شوق ايله صسفالر وسورلیم زانده اولالیم
 حضرت مولانا یه کلین نبده اولالیم
 سماع صفا جانہ وفاروحه غدار
 بن بیلیمز ایدم کیزکی عیان هب ایدم بن
 آخر بونی بیلدم که جهان هب سی ایمیش
 ای که هزار آمرین بوینجه سلطان اولور
 قولی اولان کیشلر خسرو وخاقان اولور

هر كسه بوكسون ولده انا يوز سوره
يوقول ايه باي اولور باي ايسه سلطان

والمعنى :

أنصت لقولى فما أقوله لك هو أداء نفيس
فعشق الله لازم وضرورى لمن يكون درويشا
فمهما يكن عشقك فأنت للمعشوق فداء
فالسماع صفاء للنفس وغذاء للروح ووفاء
فأقبل بالروح ولأسعدنك بالسعادة والصفاء
ولأبلغن عنان السماء ولأشاهدن الحى القيوم
ولأكن ثملا أتراقص بالعسود والنأى
فالسماع صفاء للنفس وغذاء للروح ووفاء
أيها الصوفى إن صحبتنا هى للروح صفاء
فاسقنا جرعة الشراب فهى للألام خير دواء
فنحن مع الله نوفى بالعسود
فالسماع صفاء للنفس وغذاء للروح ووفاء
فتعال بالعشق ولأكن طالبا لك باحثا عنك
ولأكن حيا مداوما بالشوق والصفاء
فأقبل إلى حضرة مولانا ولأكن عبدا
فالسماع صفاء للنفس وغذاء للروح ووفاء

وكنـت سـرا مخـفـيا وأظهـرتـنـي أنتـ للـعيـان
وأصـبـحت أنتـ مخـفـيا فـي الأبدان والأرواح
وطـلبـت أن تـكون عـلامـة فـي هـذه الأكـوان
وعـلمـت أخـيرا أنك أنت الدنـيا بأسـرها .
أنعم بـه من سلـطان عـظـيم
أصـبـح النـاس له عـبيـدا من الحـكام والأمرأء
ومـرغ وجـهـك الـيـوم عـلى عـتـبـة سلـطان ولد
فإن كان فقـيرا فـهو سـى وإن كان سـيدا فـهو سلـطان
وينتـهى ذكـر التـحية بـتقسـيم صـغير معـزوف بـسماع موسـيقـى مصـاحب له (انظر :
عبد الباقى جـلبـنارلى : آداب وأركان المـولوية : إستانبول ١٩٦٣ ، مـكتـبة انـقـلاب وآقا ،
المـلاحـظة العمـيقة الـواردة فـي ص ٩٦) .

هـتى ورد هـذا الشـكل الأخـير من الذكـر :

لم يـكن السـماع عـلى هـذا النـحو فـي أى وقـت قط إبان عـصر مـولانا ، كان أحـدهم
يـصنـع الطـعام ومثـله يـدعو المـحبوب ، ويـتم المأكـل والمـشرب ، ثم يـنشـد القـوال أناشـيد
غـير ذات لـحن أو موسـيقـى معـينة ، ثم يـنهـض الـراغب إلـى السـماع ، ويـقول "مـجد الدين
فـريـدون سـبـهـسـالر " فـي رسـالـته الـتى تعد أقـدم مـصدر تـاريخـى فـي هـذا الصـدد (توفى
قـبل عام ١٣١٢ هـ) "كان هـناك قـفز فـي أثـناء السـماع وارـتطـام القـدم وفـتح الذراع ،
وكان السـماع يـتم بـمعانـقة أحـدهم للآخر ، وكان هـناك حـث وتـحريض للنـاس عـلى
مـمارسـة السـماع ، ويـتحدث بأشـياء مثـل :

وجـود سـجـدة التـحية تـجاه شـخص ما فـي أثـناء السـماع ، فـفى القـفز اشـتياق
واتـصال بالعـالم العلـوى السـماوى ، وفـى خـبط الأرض تـكون العـوالم المـتوهمة كلـها تحت

القدم ما سوى وجود الله وحده ، وفتح الذراع هو الرغبة فى بلوغ النشوة الصوفية بسبب الوصال المعنوى وبلوغ الدرجة العالية فى الحرب بالتضحية بالنفس ، أما معانقة أحدهم الآخر فهو رؤية للجمال ، وتحريض الناس على السماع هو بذل الجهد والسعى إلى انتشار وذيوع الرحمة والفيوضات الإلهية ، أما تقديم التحية لشخص آخر فهو دليل على مشاهدة صفة من الصفات الإلهية فى هذا الشخص " (ص ٩٣ - ٩٤) .

ولسنا فى حاجة إلى القول بأنه لا وجود قط لواحد من هذه الأشياء فى طقوس الذكر التى كتبناها أنفا . وعلى سبيل المثال فإذا غضضنا الطرف عن التحريض وحث الناس على السماع ، فإنه لا سبيل إلى دخول أى شخص قط من الخارج إلى قاعة السماع أما معانقة أحدهم للآخر وضرب الأرض والارتطام بها والسجود فإنها جميعا أشياء لم تُر قبل البتة . وإذا فكرنا مليا فى مغزى أن قائد السماع لا يتسنى له فتح الذراع فى أثناء السماع دون فتح الأكمام فإنه يتوجب عليه التحدث فى أثناء السماع أو يكون مشغولا بشيء آخر ، وهذا شىء متعذر مستحيل ، بيد أن كل هذه الأشياء موجودة إبان عصر مولانا ، وها هى ذى طائفة من الأمثلة:

عقد "معين الدين" اجتماعا فى زاوية "صدر الدين" وفى أثناء السماع كان "كمال الدين أمير محفل" يقف بإزاء "معين الدين بروانه" ، وجعل يجأ بالشكوى ويتحدث عن طائفة من الصناع وأرباب الحرف والعاملين من رجالات مولانا ، وحينئذ أطلق مولانا صرخة مدوية وهو يقول : إنه أخ للبغى الفاجرة ، ألم يكن منصورنا هو العلاج ؟ ألم ينسج أبو بكر البخارى الكتان ؟ ألم يكن من الكُمل الآخرين من يعمل زجاجا ؟ ما الضرر الذى أصاب علوم الفنون ومعارفها؟ (مناقب العارفين ٤٠ ط ، مولانا جلال الدين - الطبعة الثالثة ، ص ٢١٩) .

ذات يوم لف "كمال الدين معرف" من وراء مولانا وأصدقائه وهم مشغولون بالسماع ، فأكرمه الصوفية ووقروه ، بيد أن مولانا قال له : أيها الناقص كمال : أنت وليت ظهرك نحو كمال التضج والإتقان فأفق إلى نفسك جيدا (مناقب العارفين ٤٠ B) .

كان شمس الدين معلما ممارسا للسمع ، يديم النظر مليا فى وجه مولانا حيرة وذهولا فقال مولانا : لماذا تنظر إلى وجهنا إنك لا تمارس السمع .

وعندما كان مولانا يشرع فى السمع كان "مريدنلى شهاب الدين " يضع الدف فوق رأسه فكان الدف يسبح عند العزف قائلا " حقا حقا " ، وكان يصيح قائلا : إن الذى يقول بحرمة السمع هو ابن زنا .

كان مولانا يقول : لو أنكم بلغت حالة الوجد والنشوة الصوفية لرأيتم أننا محقون فيما نأخذ من مال ، هل جلبتم لنا فتوى لتكونوا فى السمع ، هيا قدموا مالنا ، وعندما جاء الأحاب بالفتوى وجاعوا بالدواة والقلم عرضوها على مولانا وأجاب عن الفتوى المسئول عنها إبان السمع .

انعقد مجلس سماع كبير فى المدرسة الدينية وأقبل مولانا وهو فى لجة الوجد وانحنى إلى قاعة المنصة التى يجلس عليها المتكلمون وطلب الصفح والمغفرة والتماس العذر ، وقال : إن عالمكم جد لعوب ، ثم كرر هذه الحالة بضع مرات ، وعندما سأل بعد ذلك كانت ثمة روحانية لحاكم سنان بجانب عثمان شهاب الدين ، ثم قال لقد كان الدف يعزف إبان السمع فاضطرت إلى طلب الصفح والمغفرة والتماس العذر .

وجاء فى أثناء السماع بإزاء " خواجه نفيس الدين " وتحدث وهو يمسك به ، ولما بلغ ثورة الانفعال وسورة الحميا فى أثناء السمع لف لفة على قدمه اليسرى فى أثناء الذكر وأمسك بالمتشدين ضاربا الأرض بقدميه وهو يصلى على النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

ذات يوم دخل سكران إلى السمع فاصطدم بمولانا ، فقال مولانا لمن تصدوا . لمنع هذا الرجل إنه قد شرب الخمر وإنكم تمعنون فى السكر ، ثم منع هؤلاء الذين أرادوا منع الرجل .

كانت وسائل السمع إما مجتمعة مؤتلفة وإما هى فى حالة من النشوة الصوفية تجلب الوجد ، وكان مجلس السمع ينعقد فى بستان جلبى حسام الدين ويستمر

سبعة أيام بلياليها . وعندما كان القروى يسمع بائع الثعالب ينادى فى الشارع قائلاً " دل كو " تعنى بالفارسية " أين الفؤاد " فإنه يأخذها على هذا المعنى فيصيبه الوجد الصوفى والنشوة الإلهية ، ثم ينهض من فورهِ إلى السماع وهو ينشد هذا البيت الذى يقول فحواه " أين الفؤاد أين الفؤاد ؟ كم يطوف الفؤاد فى العشق؟ أين الذهب أى فائدة للذهب لدى المفلس . وكان صلاح الدين يبدأ السماع وهو يضرب الذهب وينشد هذا البيت الذى يقول معناه "لقد ظهر كنز فى حانوت الصائغ ، فعندما صورته وما أحسن المعنى ، ونعما الجمال فما أحسن الجمال" ثم يعانق من معه فى السماع ويلفون ويدورون سوياً ، بيد أنه كان يتحدث عن الإنهاك وخوار القوى طالباً الصفح والتماس العذر ثم يخرج من السماع (مولانا جلال الدين ص ١٠٦) .

ويحيطنا أفلاكى علما بأنه كان يأكل الطعام بعد الفراغ من السماع . ولقد فرغ أفلاكى من وضع كتابه مناقب العارفين فى سنة ٧٥٤ هـ = ١٣٥٣ م يعنى إبان عصر أمير عادل جلبي بن أولو عارف جلبي ، ولم تكن شعيرة الذكر موجودة حتى ذلك الحين ، ولا وجود كذلك لما يعرف بدور ولدى أو المقامات الموسيقية أو المديح النبوى أو التقسيم الموسيقى . كانت مجالس السماع تعقد كذلك إبان عصر كل من : أولو عارف جلبي وأمير عابد جلبي وفى عصور المتأخرين وفى عصر مولانا ، كما كان يعقد كذلك لمن يرغبون فى أن يكونوا فى معية ممثلى مولانا ، وعلى هذا فإننا نصدق روايات المولوية ونعول عليها مقتنعين بأن السماع هو « دور ولدى » ، أما التفوه بأن سلطان ولد هو الذى أدخله على شاكلة الذكر فإنه كلام خاطئ منقوض من أساسه .

ومن الممكن اعتبار سلطان ولد بمثابة الشيخ الثانى ولكن ليس لكونه واضعاً للنواميس والأركان ، فهو لم يفرق أولئك المجتمعين حول مولانا بسبب ارتباطهم بالمركز ، كما أنه هو السبب فى العمل على تشييد المقبرة وإنقاذ الطريقة وتخليصها ، كما كان سبباً فى انتشار المولوية وذيوع صيتها وإرسال الخلفاء إلى سائر المدن .

يقول ثاقب دده صاحب السفينة المتوفى سنة ٧٧٤ هـ = ١٣٧٣ م وهو ينسب إلى جلال الدين أرجون جلبى رسالة تسمى باسم " إشارة البشرى " مكونة من ثمانية عشر فصلا (ج ١ ، ص ٧٧ - ٨٣) ، ويتجلى فى هذه الرسالة الشكل الأخير للذكر فى صورة جليلة . بيد أننا أسلفنا القول بأن أسلوب الرسالة هو أسلوب ثاقب دده الزاخر بالمصطلحات والتعقيد والتشوش والاضطراب ، وحتى إذا وجدت رسالة كتبت بعد وفاة جلال الدين أرجون جلبى ثم نسبت إليه فإنها تكون قد دبجت من قبل ثاقب دده ثم جاءت على هذه الصورة العجيبة المستغربة ولكننا على كل حال لا نصدق تاريخ وفاة جلال الدين أرجون جلبى ولا نعول كذلك على الرسالة المنسوبة إليه وفى الحق فإنه وجد فى أثناء البحث فى شخصية برهان الديا إلیاس جلبى بن أرجون جلبى والمتوفى سنة ١٣٩٥ م = ١٣٩٦ م . وأنه كان أحد الذين يتدربون على ممارسة السماع (ص ٩٧) وعند البحث كذلك فى شخصية صلاح الدين قارئ المثنوى فى قونية وأحد أحفاد شاه ملك بن أمير عابد جلبى سنة ١٣٣٨ م وجد أنه كان يغشى مجالس السماع وكان يلف ويدور فى المقام الذى يوجد فيه جلبى ويتخلق حوله سائر الشلبيين، ويحكى أنه كان يعقد مجالس السماع فى الحلقة الثانية مع الخلفاء وفى معية الدراويش ، ويشرح ثاقب دده هذا بقوله " إن دخول دائرة حركة الدورية متوقف على الإجازة الروحانية لحضرة الشيخ قدس سره المنير ، وهو بالذات لم يكن معتادا على السماع بالتدريب والإدمان " ، وبهذا القول يتبين أن التدريب على السماع لم يكن عادة متبعة ، ويشرح كذلك أن الذى يدخل السماع يغشاه الوجد الصوفى والنشوة الإلهية (ص ٢٠٦).

وإذا أمعنا الفكر مليا فى أن جلبى صلاح الدين أحد أحفاد شاه ملك بن أمير عابد جلبى (ت ٧٣٨ هـ = ١٣٣٨ م) قد عاش فى أقل تقدير فى أوائل القرن الخامس عشر الميلادى ، وعلى هذا يكون جلبى صلاح الدين الذى عاش فى تلك الحقبة قد تدرب على السماع إبان عصر برهان الدين إلیاس جلبى، بيد أنه لم يدمنه . وخلاصة القول أن أول رسالة اضطلعت بالبحث فى آخر شكل للذكر ترجع إلى "ديوانه محمد جلبى" المتوفى بعد عام ١٥٤٥ م ويذكر ثاقب دده أن عادل جلبى هو زين المحافل المولوية وشمع المجالس الأولية وأركان عبيرة البيان وآداب لطافة المآب

ومجموعة عظماء التوحيد والمعرفة ، وهو بين الإخوان متداول ، وهو عقل الطريقة الإخوانية ، ومتعهد الحركات والسكنات المستحسنة والعارف بالإشارات ، وهو على الجملة توبة الولاية الشيخ عادل الذى كان يعظ بالآداب والأركان التى ظهرت بشكل قاطع إبان عصر الشيخ عادل جلبى المتوفى سنة (٨٦٤ هـ = ١٤٦٠ م) (ص ١٣٤) ، وظهر كذلك بسبب تلقب عادل جلبى بلقب شيخ "بير" فى هذه الحقبة بعينها . ولهذا السبب فإننا نعتقد بأن السماع قد أخذ شكله النهائى ونشأ إبان القرن الخامس عشر الميلادى ، أما الذكر فكان فى عصر الشيخ عادل جلبى .

لاجرم أن مجالس السماع قد وردت بالمصادفة إبان رحلات "ديوانه محمد جلبى" "ولا ريب أن المنتسبين إلى "يوسف سينه جاك" قد اجتمعوا فى منطقة "جعفر آباد" فى اليوم العاشر من شهر المحرم لسنة ١٥٧٤م ، وكانوا يطبخون العاشوراء ، ويعمدون إلى شق رؤوسهم وأذرعهم وصدورهم بالأمواس ، ويسفكون الدماء عسفا فى الإمام الحسين ، ويمارسون السماع . وفى الحق فإن "شورى درويش يوسف سينه جاك" كان يلف ويدور مستغرقا فى الوجد والنشوة الإلهية عند سماعه للعزف ، وكان يتراقص أحيانا دون عزف حتى إنه كان يمارس السماع كذلك فى حفلات العرس . وعلى كل حال فإنه لم تعد تُرى هذه الأشياء بعد القرن الخامس عشر الميلادى على وجه الخصوص ، ومن ثم فإن السماع كان يوجد خارج إطار التكية ، ويتم الاحتفال بالسماع على شاكلة الذكر . وقد ورد فى "رسالة الولاية البكتاشية" الموضوعة سنة ١٤٤٩ م كلام منسوب إلى شمس يقول فيه "إن أصول وقواعد الطريقة هى كالفن يتوجب أن تكون بالتعلم" ، ويفهم من قوله أن السماع يتم بالدربة والمران والممارسة.

أفكار المولوية المتعلقة بالذكر المولوى :

يعتمد المولوية على مذهب بطليموس القائل بأن الدورة مستمدة من أسس التصوف وحركة السماوات ، وهى شىء مادى مستمد من الوجود المطلق حتى تبلغ

الإنسان ، وتكرر من الإنسان حتى تبلغ الوجود المطلق مستمدة من الأقواس الروحية والمعنوية الصاعدة والهابطة ، وإما أن تكون هذه الدورة وفق مفهوم آخر وهى بمثابة هبوط يتأتى اعتباراً من الوجود المطلق حتى يبلغ العناصر ، وهم يرون هذه الدائرة الناشئة من أقواس الصعود حتى تصل إلى الإنسان الموجود فى الوجود المطلق المستمد من هذه العناصر ، أما قوس هبوط هذه الدورة فما هو إلا قسم لحجرة السماع التى تتأتى على شكل دائرة ، ويعد قوس الصعود هو القسم المتقابل والمفترض أن يمر تماماً من الوسط ، ولهذا السبب فإنهم يقولون عنه إنه خط الاستواء الذى نشأ بطبيعة الحال بتأثير الحروفية.

ويتسنى لنا القول بأن ما ورد فى حق السماع المسمى بالذكر والمحتفل به على هذا الشكل الأخير قد ورد ذكره فى كتاب " إشارة البشر " المنسوب إلى " جلى أرجون " ، وله ذكر كذلك عند " ديوانه محمد جلى " وقد ورد كذلك على شكل منظومة على شاكلة المثنوى وضعها الشارح " رسوخى الأنقروى " فى كتابه " منهاج الفقراء " ، وثمة معلومات واردة كذلك فى الرسالة العربية لصاحبها " كوسجه أحمد دده " وفى شرح عربى للشيخ غالب ، وهذه المعلومات واردة بعينها وفصها ونصها ، وفى الخاتمة نقول : إنه وردت أقوال فى كتاب " عبد الغنى النابلسى " المسمى " العقود اللولية فى طريقة السادة المولوية " تفيد بأن الذكر يتفق اتفاقاً تاماً مع الشريعة ، وإذا ما استثنينا هذا المؤلف الأخير وجدنا أن الأفكار والمفاهيم الأخرى نشأت من ذوات نفسها ، وثمة معلومات ترجع إلى الشيخ " فيض الله " شيخ تكية الشيخ مراد ، وهى واردة فى رسالته الصغيرة المسماة " إشارات المولوية فى ذكر المولوية " ، وهى معلومات تحمل نفس الخصائص والسمات . ولقد بلغ ثاقب دده حالة سيئة بدت فى يده ولسانه ، إذ يقول كما ورد فى " إشارات البشر " بأن دور ولدى يشبه دورة الفلك الأطلس للطبقة التاسعة من السماع والتى تحيط بسائر الكائنات . أما السماع الموجود فى آخر المقطع الموسيقى الأول فإنه مقابل للسماء الموجودة فى الأجرام السماوية ، أما آخر المقطع الموسيقى الثانى فهو مقابل لسماء الشمس ، وآخر المقطع الموسيقى الثالث هو دورة سماء القمر أما أول هذه الدورات فهو أنفس دورة فى عالم

الملكوت ، وثانيها هو الروح الموجود فى عالم الجبروت ، وثالثها هو إشارة للدورة السرية الموجودة فى عالم اللاهوت ^(٥) . أما الدورة الموجودة فى آخر المقطع الموسيقى الرابع فلا شبيه لها فى هذا العالم ، وهى دورة مخصصة بالإنسان . وعندما يمارس السالك السماع فإنه يلف ويدور من شرق الوجود إلى غرب العدم والفناء ، ويلف كذلك من غرب الفناء إلى شرق الوجود عن طريق وجود الله ، وإن السماع يطحن الوجود المتوهم كما تطحن الرحى الدقيق ، ويوجد فى السماع التدبير الموجود فى كوكب زحل ، والشد والجذب الموجود فى المشتري ، والدفع الموجود فى المريخ ، والفهم والإدراك الموجود فى عطارد ، وحواس الإحساس والشعور الموجود فى كوكب الزهرة ، وفى نفس الوقت فإن المقطوعات الموسيقية الأربع يمكن أن تعد إشارة إلى التكبيرات الأربع الموجودة فى أثناء صلاة الجنازة ، وهكذا فإن ممارس السماع يقتل الوجود المتوهم ، إنه يشعر بذكر الله عن طريق الناي والطبلة . ثم يستغرق فى وجود الله كى يكون فى حالة تقرب وتوجه مع الله ، ثم يتزمل ويتدثر بوجود الله عن طريق مشاعره وأحاسيسه الداخلية والخارجية على السواء . فالمرشد عادة ما يكون بمثابة القطب ، أما السالكون فإنهم يشبهون أثناء السماع النجوم السيارة والأجرام السماوية الموجودة فى "دور ولدى" ، حتى أنه يوجد عالم النبات والحيوان وخلاصة القول أن السماع يجمع كل الفصائل المادية والمعنوية جمعا . ويتبين من هذا أن كل هذه تأويلات صوفية برمتها ، ومما لا مرية فيه أنها أشياء مزيفة ملفقة بالقوة من ألفها إلى يائها . ونستطيع فى هذا الصدد أن نلخص على هذا النحو المعلومات التى قدمتها الرسائل الأخرى والتى اتخذت من منظومة "ديوانه محمد جلى" مثالا يحتذى . إن خرقة الدرويش المولوى هى قبره ، وقلنسوته هى شاهد ذلك القبر ، ويعتبر الدرويش ميتا إبان الجلوس وعادة ما يسمع نفخ الصور فيبعث دور ولدى شيئا فشيئا ، ومن هذه النظرة فإن دور ولدى يشبه البعث والإحياء بعد الموت ، ويرى هذا العالم من خلال اللف والدوران بسرعة وكأته ممحو فى حقيقة الأمر . إن دورة الوجود المطلق عادة ما تكون بمثابة دائرة ويكون العالم قوسا ظاهرا فى الناحية اليمنى لهذه الدائرة ، والعالم الباطن هو قوس موجود فى الناحية اليسرى . وهكذا يكون الوجود المطلق هو بداية الدائرة .

أما قاعة السماع فإنها تشبه هذه الدائرة ومقام الشيخ هو مقام الوجود المطلق ، وخط الاستواء مشدود ومجنوب من هناك متجه صوب الباب ، ثم تنقسم هذه الدائرة إلى قوسين وهميين وإن سائر الوجود المطلق يلف ويدور فى شىء معلوم وفى دائرة متوهمة كأنه مشاهدة عالم حاذق ، أما السالك فإنه يلف ويتبع سبيل هذه الدورة ولكن كيف تكون البداية فى هذه الدائرة بينما تكون البداية والنهاية فى السماع بهذا الاعتبار الأخير ، بيد أن هذا الاعتبار يكون فى كل مرة دورة السالك وفى سيره الموجود فى قاعة السماع . إن الإنسان يشاهد معنويا فى قوس الصعود ، فإذا وصل إلى كنهه واصله فإنه حينئذ يحيط بالوجود المطلق من كل جانب ، وحينئذ يكون الشيخ خليفة الله ، أيها الأناسى ، اعلموا أن اتحادى يكون بالعلم والمعرفة ، وألقوا السلام على ممارسى السماع قائلين لهم : لكم الصحة والعافية والسلامة. وفى الدورة الثانية يلف السالك ويدور مشاهدا له واجدا إياه . ولهذا السبب فإن الشيخ يقول لهؤلاء : اعلموا أننى وجدت نفسى حقا وادركت كنهها مليا فى عين اليقين ، فاشهدوا وجودى ، ثم يسلم عليهم قائلا : لكم الصحة والعافية والسلامة من كل سوء ، وفى الدورة الثالثة يبلغون سر الكون ، لقد أنقذكم الله وخلصكم من الوجود المتوهم ، وتدثرتم بوجدى ، ويلقى عليهم السلام قائلا : لكم العافية والسلامة . أما هؤلاء فإنهم يبدعون السماع كذلك مرة ثانية بهذه النشوة الروحانية الخالصة ، ويكون الشيخ قائما فى مقام الله ويسلم على هؤلاء من لسان الله (تغطى هذه المباحث الصحائف من ص ٦٧-٧٦ من كتاب منهاج الفقراء). لا حاجة بنا إلى القول بأن هذا التأويل صوفى بحدافيره ، بيد أنه أكثر تطابقا وتوافقا بالمقارنة بالتأويلات الموجودة فى الرسالة الأولى. وذات يوم توقف مولانا فجأة إبان السماع ثم طأطأ رأسه وانحنى محييا ، ثم كرر هذه الفعلة مرتين اثنتين ، ولما سئل عن هذا أجاب قائلا : لقد أقبلت روحانيات النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - والطار وسنائى فسلمت عليهم ، ولهذا السبب كان هذا بمثابة امتياز للمقطوعات الموسيقية الأربع فى الذكر ، ويروى أن الشيخ والدرأويش كانوا يطأطئون رؤوسهم محيين عقب المقطوعات الأولى والثانية والثالثة ، بيد أن رسوخى لا يقول بضعف هذه الرواية التى لا تليق بالتصديق والقبول (ص ٧٤). ونحن نرى فى الذكر بعض السمات والخصائص والخلال ، ولا سبيل لنا إلى القول

بهذا بصورة جازمة ، ولكن الذكر على كل حال موافق مطابق للحقيقة والواقع أكثر من الإيضاحات سالفة الذكر . إن ما يسمى "دور ولدى" يذكر مقرونا بسلطان ولد ، ويدخل فى هذا المضممار كذلك الشيخ والساالكون معه الذين يطأطئون رءوسهم ويحيى بعضهم بعضا ، ويتجلى فى هذا الصدد كذلك تقديس مولانا جلال الدين للإنسان . ثمة ثلاث مرات من الطواف حول محيط قاعة السماع ، وهى تعنى على كل حال ثلاث مرات من اليقين وهى "المعرفة - الإيجاد - الوجود" ، أو هى ما يعرف فى السلوك بتوحيد الأفعال وتوحيد الصفات وتوحيد الذات ، وهذا يعنى أن معرفة الأشياء كلها يكون من الله ، ويكون ظهور الأشياء وتجلى الصفات ، وفى النهاية يكون هذا بمثابة إشارة إلى مراتب الفهم والإدراك الموجودة فى عين الذات الإلهية ، وفى الحق فإن من قبيل السنة فى الشريعة صنع كل شىء مرات ثلاثا ، وعلى هذا النحو يتم تنفيذ التعامل مع الشرع على الوجه الأمثل . ثمة أربع مرات من اللف والدوران على صورة متقطعة ، وإن ما هو موجود لدى المتصوف منذ زمن قديم مطابق وموافق لتصنيف الشريعة والطريقة والحقيقة والمعرفة ، فالشريعة هى المظهر الخارجى للدين والحقيقة هى باطنه ولبه وجوهره ، الطريقة هى السبيل المعنوى الخلقى والروحى الواصل من الشريعة إلى الحقيقة ، أما المعرفة فتكون بعد بلوغ الحقيقة مراعاة للأدب وإخفاء للسر وعدم التهور أو تجاوز الحد . ولا جرم أن مولانا يقول فى ديباجة المثنوى وفى الجزء الخامس منه : إن الشريعة شمعة توصل إلى الحقيقة ، أما الطريقة فتشبه التقدم نحو القوة الدافعة المتحركة بهذه الشمعة ، ويقول فى هذا المعنى " إن الحقائق تظهر الشرائع وتجليها ، أما ما سواها من السبل فإنه لا محالة باطل" (ترجمتنا للمثنوى ، إستانبول ١٩٤٥ م ، مطبعة مديرية التعليم - الديباجة ، ص ١) . عندما ينفتح الذراع فى السماع تكون أصابع اليد اليمنى مفتوحة وأصابع اليسرى متدلّية منسدلة وهذا لا يعبر عن المعنى الذى قال به "فيض الله" بأن فتح اليد يدل على رحمة الله واليأس ممن سواه وإذا أمعنا النظر ودققنا الفكر ألفينا أن توقف الأيدي إلى أعلى وإلى أسفل وانحناء الرأس يمينا ولف الوجه يسارا ، كل هذا يشبه تمام الشبه قبضة السيف ، أما القدمان فهما شفرة السيف ، وعلى هذا النحو نشأ ما يعرف باسم "ذوالفقار" ^(٦) . هكذا يقطع السالك الوجود المتوهم ويمحوه ، وفى نفس الوقت تكون الأيدي والأرجل على شكل

متقاطع حتى تكون بهذا الاستواء أشبه بجسم الإنسان .أما "لا وإلا" فهما أس
الأساس فى العقيدة الإسلامية "لا إله إلا الله" ، وهى عقيدة تثبت الوجود المطلق وفق
عقيدة وحدة الوجود ، وتشتمل كذلك على أساس النفى لسائر الموجودات المتوهمة .أما
الذراع المفتوحة من النشوة الإلهية والصفاء الروحى فى السماع إبان عصر مولانا
فكانت بمثابة أفكار صوفية ودخلت بهذه الوسيلة بتأثير الحروفية والنزعة العلوية ،
وأصبحت تعبر عن هذه المعانى ، ولسوف نرى فيما بعد أن التنورات التى فى الخرق
تمثل حرف "لا" ، أما وجود خط الاستواء فهو اعتقاد مقبول لدى كثير من المولوية
وإن من يرى الاستواء الذى على شكل "لا" فى التنورة والخرقة كليهما يجعله لا يفكر
فى نفى وإثبات إبان حالة السماع المولوى ألبتة .إن الذكر المولوى الذى يعقد فى
التكية بأسماء الشلبية يذكرنا بمن تبوعوا المشيخة ، ويظهر كذلك التوجه القوى بكلمة
واحدة تجاه السلطان والأمراء والوزراء وشيخ الإسلام ، وثمة دعاء يقرؤه من يسمى
بالداعى بدعاء مقام المشيخة ، ولأحاجة بنا إلى القول بأن المولوية قُدمت إلينا فى حالة
مؤتلفة متراكبة تميظ اللثام عن مظهرها وهيئتها الأصلية .وفى الختام فإن من ينهى
الذكر يتفوه بهذا الدعاء "إنها لحظة حضرة مولانا وسر شمس تبريزى وكرم
الإمام على".

ظهور السماع وبداية الذكر:

كان السماع عند المولوية وسيلة يتوسل بها إلى جلب العشق والجذب الصوفى ،
وكل مولوى يعرف السماع على نحو جازم لا مرأ فيه ويسمى التدريب على السماع
والتمرن عليه وتعلمه "ظهور السماع" ، أما متعلم السماع فيسمى عند المولوية "سماع
زن" أى ممارس السماع . وتوجد فى تكايا المولوية وفى المطبخ على وجه الخصوص
منصة أعلاها مزين مزخرف ، وهى ثقيلة متسعة يتسنى لرجل الوقوف فوقها بنشوة
وسرور وابتهاج .وتكون هذه المنصة مستقرة ثابتة على أحد أرائك المطبخ فى بعض
التكايا ، وفى وسطها مركز دائرة يوجد فيه نتوء بارز يكفى لولوج إبهام القدم فيه

كما يوجد كذلك موضع محفور قليلا صوب أطراف هذه المنصة ، وثمة مسمار مدقوق تماما فى مركز الارتفاع الموجود وسط هذه الحفرة .

تكون قدما ممارس السماع عارية ، ثم يأتى بالإبهام والوسطى من قدمه اليسرى ويضعهما فى الحفرة المحفورة داخل المنصة الخشبية ، ثم يأتى بالمسمار بين الإصبعين تماما فيثبتته بطريقة قوية تجعله لا ينزلق على يمين القدم أو يسارها ، ثم يضع مقدارا دقيقا من الملح على موضع الحفرة وأطرافها حتى يتسنى للقدم أن تلف وتدور بصورة جيدة ، ويطلقون على القدم اليسرى "عمود" ، وعلى اليمنى العجلة الدوارة . يلف ممارس السماع قدمه اليسرى وهو يهز مركز المسمار ، ويتجه صوب الشمال دون أن يثنى ركبتيه ، ولا يرفع باطن قدمه من على الأرض ، وعندما يبدأ هذا الحركة فإنه يلقي بقدمه اليمنى جهة اليسار رافعا إياها حتى تصل إلى ركبة قدمه اليسرى ، فإذا ما بدأ وجهه وصدره فى التحرك نحو النقطة التى يتحرك فيها فإنه يجعل قدمه اليمنى على نفس الشاكلة تماما ، ويكون بهذا قد صنع الدورة الثانية.

إن القدم اليسرى فى أثناء السماع لا تتحرك من على الأرض ألبتة ، أما القدم اليمنى فإنها تقذف إلى الشمال وترتفع حتى ركبة القدم اليسرى على الدوام ، وهذه الحركة هى التفاف ودوران للجسد جهة اليسار ، وما ان توضع القدم اليمنى على الأرض حتى ينهض ثانية ثم يبدأ دورة أخرى بنفس الحركة . وقذف العجلة الدوارة يعنى رفع القدم اليمنى وإلقائها جهة اليسار ثم يطاء الأرض ، وكلما كانت الحركة سريعة فإن وطاء القدم للأرض وتحركها يطرد فى السرعة . وإذا لم يتم الانتباه جيدا إلى وضع القدم ورفعها فى نفس الوقت فإنه لايتسنى رؤية الحركة ، بل تُرى فقط قدمه اليسرى ثابتة على الأرض ، ولهذا السبب فإن الناس يقولون إن المولوية يلفون ويدورون على قدم واحدة .

يضطلع بتدريس الذكر المولوى ممارس له ماهر مختار من الشيوخ ، وهو عارف بالحركة أول الأمر يفعلها بنفسه ، وبعد ذلك يفعلها المتدرب موجه إياه إلى أوجه القصور فيها ، ثم يشرحها المتدرب ثانية . وبعد أن يتعلم المتدرب قذف العجلة الدوارة تدريجيا ويعيها جيدا فإنه يشرع بعد ذلك فى تعلم فتح الذراع .

كان المتدرب فى العصور المبكرة يأتى بذراعيه جهة اليمين ، وتكون الأصابع مفتوحة مع الأيدي ، ثم يمرر أطراف الأصابع قليلا على الكتفين ثم يضعها متقاطعة فوق صدره . أما الإمساك بالعمود فإنه يتم دون رفع يده اليسرى وباطن قدمه من فوق الأرض ، ويتم قذف العجلة الدوارة والقيام باللف والدوران جهة اليسار على الأرض دون الانفصال عن الأرض التى هو فوقها ، وهذا يعنى أنه عندما تلف قدمه اليسرى جهة اليسار فإنه يلزم رفع القدم اليمنى كما بينا آنفا . وينظر متعلم السماع إلى الأرض جيدا ، ثم يشرع بعد ذلك فى تعلم فتح الذراع ، وعندما ينفتح الذراعان تكون الأصابع ممسكة بالأكتاف ، ثم ينزل إلى أسفل تدريجيا جهة الصدر دون الانفصال عن الجسد ، وعند نزول الذراعين تكون الأكمام مفكوكة متقاطعة ، ثم تأتى اليدين بعد ذلك نحو الخاصرة ، أما الأكمام فإنها تنفصل عن الجسد بدءا من الأكتاف ، وفى هذه الحالة تكون اليدين فى مكان مرتفع عن مستوى الرأس ، وتكون اليد اليمنى فى حال دعاء ، وتفتح كل الأصابع ما عدا الإبهام متجهة إلى أعلى فى صورة ملتصقة . أما اليد اليسرى فتكون متجهة إلى أسفل فى وضع مريح وتتدلى الأصابع إلى أسفل فى راحة تامة ، ويكون الرأس والوجه صوب الجهة اليمنى وهما متجهان إلى الكم الأيسر ، ولهذا السبب يكون الكم الأيمن مرتفعا قليلا بالقياس إلى الكم الأيسر .

يكون ممارس السماع واعيا حافظا عن ظهر قلب لما يعرف بالعجلة الدوارة فى منصة التدريب ، وكذلك الإمساك بالعمود وفتح الكم ، ويتعلم كذلك المشى وهو يمارس السماع فى قاعة السماع بالتكية . وعندما يقذف العجلة الدوارة فإن القدم اليسرى تشد من على الأرض تجاه الخلف ، وعلى هذه الشاكلة يكون قد سار من اليمين إلى اليسار فى قاعة السماع ، وإذا ما شددت القدم بسرعة إلى جهة اليسار فإنه حينئذ يمشى بسرعة .

وبعد أن يعى ممارس السماع ويدرك جيدا ممارسته والسير فإنه يتسنى له آنذاك ممارسته بالتنورة ، ويحفظ كذلك كيفية فتح التنورة والمرور على عجل من أمام مقام الشيخ والوقوف أمام العزف الموسيقى ، وعلى هذا يكون ممارس السماع قد

اضطلع ببداية الذكر حتى يتسنى له الاشتراك فى الأذكار التى تتم بعد ذلك .ينعقد الذكر الأول قبيل بضع ساعات من يوم الذكر ، ولا يؤخذ الزائر إلى هذا الذكر.

ينعقد هذا الذكر فى زاوية شمس بقونية وفى قاعات السماع فى التكايا الأخرى ، وثمة فروق تميز هذا الذكر الأولى عن الأذكار الأخرى ، ومنها قصر مدة المقطوعة الموسيقية، ويتم فى خاتمته الالتقاء بالشيخ من جهة اليمين، ثم الالتقاء بعد ذلك من جهة اليسار، وهذا يعنى أن كل شخص يلف كلتا يديه بيد الشيخ ويتم تقبيلهما كما شرحنا آنفا ، ثم ينحنى الشيخ ليقبل اليد التى قبلت يده ، ثم يرتدى أكمام خرقة فى أثناء المقابلة.

إن مدرب السماع الجديد والشيخ المتدرب عليه يكون فى معظم الأحوال شيخه "يعنى مربيه" ولكن من الممكن أن يضطلع بتعليمه كذلك شيخ آخر غير الشيخ السالك،ومن ثم فإنه يطلق على الشيخ الذى يعلم السماع اسم "شيخ السماع" على وجه الخصوص .

كان من العادة الحصول على فائدة تجتنبى من السماع تتمثل فى بعض الهدايا التى تقدم لشيخ السماع وإلى غيره من الشيوخ الآخرين وإلى مريدى المطبخ الموجود فى التكية،ثم يقوم شيخ السماع بتوزيع الهدايا عقب الفراغ من الذكر الأولى.

الهوامش

(١) ثمة طائفة كبيرة من المولوية ينحدرون من سلالة شلبية "ولداز بوداق" ويقولون إن هذا يعنى أنهم من نسل مولانا من جهة الأم ، ويقول كثير من الشلبية بهذا الرأى ويروى "سوخى بيقرا" أن أباه عبد الباقي ممن يقولون بهذا الرأى ، وهذه الرواية شديدة الذبوع والشيوخ إلى حد كبير بين المولوية ، وعندما أصبح "ولداز بوداق" شلبياً فإن شجرة النسب وصلت حتى مولانا كي يتسنى تكذيب هذه الرواية ، وظلت مضطرة إلى أن تطبع بطاقة دعوة عظيمة ، ومع هذا فإنه يوجد نفر من القائلين بأنه من شلبية "إيناس" (محى الدين جلال نورور المولوى: ص ١٢٢) .

(٢) السفينة النفيسة للمولوية : ج ١ ، ص ٦٣

(٣) هو ابن أمير حسن دده الذى كان يعمل رئيس الطهارة فى التكية المولوية وتولى هذا المنصب بعد أبيه ، وظل يضطلع بهذه المهمة أكثر من خمسين عاماً ، وقد أدى مهمته على الوجه الأكمل فى أعمال الطريقة والطهى ، وتوفى سنة ١٨٦٩ م (جمادى الآخرة سنة ١٢٨٦ هـ) ، وهو مدفون فى حديقة الأرواح ، وتوجد قلنسوة معممة ملفوفة على شاهد القبر ، وقد قرض نسيب دده الشعر .

(٤) تظهر كلمة "هو" بجلاء فى أدب الديوان ، وعلى سبيل المثال فإن شيخ غالب يقول فى أحد أبيات

شعره:

سوزلوب اوجشم أهو ديدى ذوق وصلة يا هو .: بود كدى تيله يم بو يولم انتظاره دوشدى .

والمعنى : نعست عين الغزال فقال ذوق الوصال يا هو .: ماذا أفعل أنه ليس هو وهوى فى لجة

الانتظار

(٥) الوجود الطلق : هو العلم القائم بنفسه وهو عالم الجبروت ، ونشأت صفات العالم من هذا الوجود

الذى يعد بمثابة برزخ بين الحق والخلق ويسمى بالحقيقة المحمدية وهو عالم الملكوت ، أما العالم الذى نجم عن هذا فيسمى الناسوت والشهادة وهو مظهر لعالم الملكوت ، أما اللاهوت فهو الألوهية وهو عالم الوجود

المطلق

(٦) يروى أنه ذو حافتين مديبتين وهو سيف على رضى الله عنه ، وردت فى شأنه روايات كثيرة.

الفصل الثانى

(المراتب والدرجات عند المولوية)

المحب - فترة المكابدة والمعاناة - مريد المطبخ - الشيخ الدرويش - الانقطاع
عن التدريبات الدينية والعقائدية قبيل انتهاء مدتها - المتعهد بالتكية والخدمات -
ال خليفة - قراء المثنوى وقواعد تعلم المثنوى .

المحب :

مما لامرية فيه أن المولوية كانت بين سائر الطرق جميعها بما فيها البكتاشية من
أكثر الطرق التى تراعى أركان وآداب التصوف، أو بعبارة أصح فإنها من أشد الطرق
محافظة على الطقوس والشعائر الدينية. وتوجد لدى المولوية مراتب ودرجات تبين
أولئك المنتسبين إلى الطريقة، وإن درجة المحب هى أولى الدرجات .

المحب هو المنتسب إلى الطريقة ، وهو الشخص الذى تُكَبَّرُ قلنسوته من قبل
الشيخ ، وعند المولوية أن كل من هو منتسب إلى الطريقة يطلقون عليه صيغة
الجمع "إن فلانا هذا من المحبين" ، ويتم الاستعانة بالشيخ والرجوع إليه حتى يكون
الشخص محبا، فإذا قبل مشورة الشيخ يقول له: ليكن مجيئه إلى هنا متخذا القلنسوة
مفتسلا متوضئا ثم يتم تعيينه فى نفس اليوم، ولا يوجد عند المولوية كما هو فى
الطرق الصوفية الأخرى ما يعرف بالدعاء قبل النوم لقضاء حاجة ما ، أو تعبير الرؤى

أو وجود مثل هذه الأشياء الخيالية التي تقبل أو لا تقبل وفق هذا الدعاء .إن الشخص الذي سيدخل الطريقة يذهب إلى التكية بقلنسوته ، ثم يدخل إلى حضرة الشيخ ويقبل يده ويجلس أمامه حيث يضع راس المحب على ركبته، ثم يلبسه القلنسوة ويكبر عليها وهو يقرأ الفاتحة، ثم يقرأ كلاهما الفاتحة ثم يلتقيان سوياً، هذا يعنى أنهما يقبلان أيادى بعضهما البعض فى نفس الوقت . وبعد هذه الطقوس البسيطة يطلق الشيخ على المحب لقب "نونياز" أى المبتدئ الجديد أو المتمرن الجديد، ثم يسلمه إلى أحد الشيوخ الموجودين فى التكية، ويعد هذا الشيخ بمثابة الشيخ المحب ، فيشرع من فوره فى تربيته وتلقينه آداب الطريقة وبعد فراغه من التدريب على السماع والقيام بالذكر الأولى يدخل بعد ذلك التكية فى أيام الذكر، ثم يتجرد من ثيابه فى حجرة الشيخ ويشترك فى الذكر مرتدياً زى السماع . يستطيع المحب أن يصنع بنفسه زى السماع ، ويجلس هؤلاء المحبون فى حجرة الشيخ ، ويتسنى للمحب أن يتجول دائماً بخوذة على رأسه وخرقة خارجية لا ياقة لها ، ناهيك عن الخرقة الرسمية يتزين بها ، كما يستطيع كذلك الذهاب إلى عمله باعتباره شخصاً مدنياً . وعندما يأتى صاحب الوظيفة الرسمية من عند المحبين إلى منزله يكون جالساً مرتدياً خرقة وقلنسوته ، ويذهب إلى التكية لابسا كليهما فى أيام الذكر ، أما الذاهبون إلى التكية أو المسجد المرتدون لزي الدراويش والمهتمون بالطقوس الدينية وشئون الطريقة فإنهم يتجولون دائماً على أنهم مدنيون ، بيد أن أنهم فى أيام الذكر حاضرون وينضمون إلى الذكر لابسين زى السماع فى حجرة الدراويش .

وثمة طائفة من المحبين ممن يحفظون ويستظهرون نفخ الناي والاستمسك بأصول الطريقة وقواعدها وترتيل الطقوس والشعائر والمدائح النبوية وذلك بحسب استعدادهم وكفاءتهم ، أما قراء المثنوى فيؤذن لهم بتدريس المثنوى وتعليمه ، ويكون لهم الحق فى لف لفة فوق قلانسهم ، ويوجد كذلك من يؤذن فى لف العمامة مقابل الخدمة التى يضطلعون بها فى الطريقة .

فترة المكابدة والمعانة ، مريد المطبخ والدرويش

يكون السالك صاحب حجرة إذا أقر بأنه قضى فترة المكابدة والمعانة ، ويُذكر حينئذ باسم "الدرويش والشيخ". وإن المتعهد بهذا الإقرار وقضاء فترة المعانة والمكابدة تعنى أنه ملتزم بهذا العهد راض تمام الرضا عن تقديم نفسه للطريقة. وإذا كان مقدم الإقرار شاباً فيشترط عليه أنذاك الحصول على رضا وليه وعائلته ، ويُشرح له صعوبة هذا الطريق ومشقاته التى تعتور سبيله فإذا أصر وقبل فإنه يدخل من باب المطبخ ويمكنك ثلاثة أيام فى "مقام السقاء" الموجود فى قاع الباب فى الجهة اليسرى، ويكون فى خلال هذه الأيام الثلاثة جالسا مطرفا منكس الرأس قليلا ، ويشاهد خدمات المريدين ولا يتحدث ما دام غير مضطر إلى الحديث، ولا يزايل هذا المقام ولا يذهب إلى أى مكان ، ولا يقرأ شيئا وعندما يذهب إلى صب الماء يأخذ خرقة أحد المريدين على كتفيه . وبعد الأيام الثلاثة يؤتى به إلى حضرة الشيخ الوقاد "kazanci"، وإذا ما تحدث عن المكان الذى يقيم فيه فإنه يضطلع حينئذ بالخدمة فى الأعمال المكلف بها مدة ثمانية عشر يوما بالثياب التى يأتى بها ، ومعنى هذا أنه يتوجب عليه إحضار الأشياء اللازمة للمريدين ، وبعد هذه المدة يتحدث الوقاد إلى الشيخ الطباخ ، ثم يعطيه بأمر من الدرويش الطباخ قلنسوة اللباد وتنورة المطبخ وحصديرة قياسا بتنورة السماع ، وبهذه الكيفية يخلع الثياب التى جاء بها ، ثم يرتدى ثياب الدرويش ويطلق على هذا التقليد "التعرية أو التجريد من الثياب".

ويسلم السالك المتجرد من ثيابه إلى الوقاد ، ويبدى كذلك خدمة جليلة إلى المتدرب الجديد ، ويسمى هذا الدرويش المرشح للمنصب المتدرب الجديد أو مريد المطبخ، وهو فى أول الأمر يضطلع بالخدمة فى المهمات التى يكلف بها ، فهو ينظف كل ما حوله ويحضر الحطب ويضطلع بمختلف الخدمات الملقاة على عاتقه. لا يرتدى المضطلع بالخدمة القلنسوة مادام لم يخرج إلى السماع ، وبعد الخروج منه تقدم له قلنسوة مؤقتة ثم يقوم بالذكر الأولى ، ويبدأ بعد ذلك بالانضمام إلى مجالس الذكر ، وإذا ما أقبل مريد جديد تتغير على الفور خدمة هذا الخادم ويصبح فى معظم الأوقات متسوقا ، وتقتصر وظيفته كل يوم على شراء ما يلزم من لحم وخضروات وغيرها من

الحوانيت الظاهرة ثم يأتى إلى التكية، وعلى ظهر هذا المتسوق منشقة ويتمنطق بخرقة ملفوفة حول خصره مع وجود ملقط بينها ، وتعد هذه علامات وأمارات دالة على الخدمة^(١).

ولا يجلس المتسوق فى المكان الذى يذهب إليه ، ولا قبل له بالذهاب إلى المقهى وخلافه، ولا يتسنى له التحدث طويلا مع المحبين الذين يصادفهم، ثم يأخذ ما سوف يشتريه ويتجه مباشرة إلى التكية ، ويكون المتسوق بعد هذه الخدمة منظفا للأطباق ، ويتعهد منظم المائدة بإقامة المائدة ورفعها ، ويوجد كذلك المشرف على الذكر "ميدانجى meydanci وغيره ممن سوف نحصى عددهم فيما بعد .وخلاصة القول أن المحب يقضى فترة المكابدة والمعاناة مضطلعا بالخدمة ألف يوم ويوم ، وفى خلال هذه المدة يذهب إلى مسجد التكية فى أوقات الصلاة ، وبعد صلاة الصبح ينضم إلى حلقة الذكر فى أثناء تلاوة اسم الله ذى الجلال، ثم يذهب إلى ساحة الطقوس والشعائر الدينية فى معية الشيوخ عقب الفراغ من تلاوة اسم الله ذى الجلال ، ثم يشترك فى الأيام المخصصة لذلك، بيد أنه عندما يدخل فى الذكر يرتدى تنورة السماع ويخلع تنورة الخدمة ، ويرتدى على جسده ما يعرف باسم "دسته كُله" ويأخذ خرقة على ظهره ولا يرتدى "دسته كُله" فى الأوقات الأخرى ولا سبيل له إلى اتخاذ خرقة على جسده ، وبعد ذلك يخبر ساحة الطقوس والشعائر الدينية السالك أو من يسمى بمريد المطبخ بأنه انتهى من فترة المكابدة والمعاناة ، أما الدرويش الذى ينهى الخدمة فإنه يصبح من تلقاء نفسه صانع الشربات ومريد المطبخ وبعد أسبوع من هذا التبليغ تكون تلك الليلة التى يصعد فيها إلى حجرة المريد ويحدثه عن ذهابه إلى الحمام واغتساله.

عندما يأتى المريد إلى المطبخ يخلع تنورته ، ثم يرتدى لباس الدرويش المكون من خرقة وسروال واسع أضيق قليلا من البنطلون ، ثم يجلس ثانية فى مقام السقاء ، ويجهز فى هذه الليلة شمعدانا ذا اثنين وسبعين أوستة وثلاثين أو ثمانية عشر ذراعا ، ثم يثبت شمعة فى كل ذراع ويأتى به إلى ساحة الطقوس والشعائر الدينية ثم يشعل الشموع .

وفى المساء يكون الذهاب إلى ساحة الطقوس والشعائر الدينية ويطهو العام هناك ثم يدخل المريد إلى هذه الساحة بيد أنه لا يأكل الطعام ، ويضطلع صانع الشرابات بصنع شرابات الدرويش الجديد ، ويشرب هذا الشرابات مع الطعام الموجود فى ساحة الطقوس والشعائر الدينية . يلتقى كل من المريد وشيخ الطريقة والطباخ مع الشيخ عقب الطعام ، وبعد ذلك يلتقى الطباخ مع الشيوخ الموجودين جهة اليمين واليسار ، ثم يأتى إلى وسط الساحة ويقف للتحية . وعلى حين يكون المريد منشغلا بالتحية فإن شيخ الطريقة أو الشيخ الطباخ ينشد هذا الدعاء "ليكن هذا وقتا شريفا مفتتحا بالخير ، دفع الله عنا الشرور وليقبل الدروايش تحية أخينا ولتزد راحته فى مسكن المولوية وتكثر لحظات الصفاء ، ولنتفوه بلحظة حضرة مولانا وسر شمس تبريزى وكرم الإمام على".

وما يلبث سائر الشيوخ فى معية المريد أن يطأطئوا رءوسهم محيين متأوهين آهة طويلة قائلين "هو". يولى شيخ الطريقة أو الشيخ الطباخ وجهيهما شطر الداخل عند الباب دون الالتفات إلى الوراء ، إلى أولئك الموجودين فى الداخل قبل ساحة الطقوس والشعائر الدينية ، ثم يطأطئ الشيخ الطباخ رأسه محييا ، ويخرج برجله اليسرى ، وعلى حين يطأطئ رأسه محييا فإن الموجودين فى الداخل يطأطئون رءوسهم فى معيته محيين ، ويخرج كل شخص بعد ذلك على نفس الهيئة واحدا تلو الآخر حسب أقدميتهم ، بيد أن الموجودين فى الداخل لا يطأطئون رءوسهم فى معية الخارجين . وفى خاتمة المطاف يأخذ المتعهد بالذكر الدرويش الجديد ويخرج ثم يأتى به إلى خادم الضريح وبعد مقابلته يأتى به ثانية إلى المطبخ . كان المريد يأكل الطعام وحيدا ويقدم الشرابات لنفسه ، وبعد الفراغ من الطعام يقوم المشرف على الذكر بإحضار الدرويش ثانية إلى مقام السقاء ويجلسه ، وحينئذ يفتح مقام أبيض يسمى "مقام سلطان ولد" موجود قبالة قبر "آتش باز" فى رواق كائن بالطرف الشمالى فى المطبخ ، ثم يحضر المشرف على الذكر الشيخ الطباخ ويجلسه فى هذا المقام ، ثم يمسك بيد الدرويش الجديد ويأتى به إلى حضرة الشيخ الطباخ الذى يقول للدرويش: كن ثابتا فى طريقك ثم يشرع جاهرا بنفس الدعاء السابق . ويقول المشرف على الذكر والشيخ الطباخ والدرويش "هو" ، وبناء عليه يأتى المشرف على الذكر إلى

حجرة ذات شمعدان مزدوج ثم يشعل شمعة ويثبتها في شمعدان ويأخذها أمام المريد ، ثم يغادره ويأتى إلى الحجرة ، أما الدرويش المشرف على الذكر فينطلق بقدمه اليمنى وهو يبسمل ثم يدخل الحجرة ويضع الشمعدان في أحد المواضع ، ويغلق نوافذ الحجرة ويجلس الدرويش في مكانه ثم يطأطئ الشيوخ رءوسهم محيين قائلين "هو" ، وبعد ذلك يقول الشيخ المشرف على الذكر للدرويش الجديد ما يخفيه عنه لمدة ثلاثة أيام ، ثم يلتقى به وهو يخرج من الحجرة . وهذه الليلة يأخذ كل واحد من الشيوخ بعد الصلاة ما يقدر على حمله من الهدايا ثم يذهب إلى حجرة الدرويش الجديد فيشرب القهوة ويبارك للدرويش الجديد ، بيد أنه يخرج للصلاة ويذهب إلى المتوضأ ، فإذا ما خرج خارج الحجرة يرتدى الخرقة الرسمية أى أنه يأخذ على ظهره خرقة الدرويش الطويلة ذات الأكمام الواسعة الفضفاضة .

وبعد ثلاثة أيام يذهب المشرف على الذكر إلى حجرة الدرويش قائلاً "دستور" فإذا ما سمع صوتاً من الداخل يقول "هو" فإنه يدخل قائلاً "ستكون حجرتك مفتوحة" ، ثم يفتح النوافذ ، أما في قونية فإنه يأتى بالدرويش إلى جلبى ، وإذا كان في أماكن أخرى فإنه يأتى به إلى شيخ التكية ، ثم يجلس المريد أمام درویش جلبى أو أمام الشيخ وهو يجثو على ركبتيه ، ثم يلمس كلاهما ركبة الآخر ، ويمسك جلبى أو الشيخ باليد اليمنى للدرويش ، وتكون أصابع الإبهام ملتصقة مع بعضها البعض طويلاً ، والأصابع الأخرى ممسكة باليد محيطة بها ، ثم يلقنه البيعة ويشرح حال أولئك الصحابة الذين بايعوا النبى - صلى الله عليه وسلم - فى الحديبية ثم يتلو قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْهُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة الفتح آية ١٠] .

ثم يقص بعض شعيرات من شاربته وسط حاجبه ، ويلبسه خرقة الرسمية على ظهره مكبراً ، ويقول له : انتهت فترة مكابدتك ومعاناتك ، وسوف تدخل الآن حجرة التعبد والزهادة ، ويقوم بهذا المراسم فى قونية شيخ الطريقة .

يستمر آخر اختبار لحجرة المكابدة والمعاناة ثمانية عشر يوماً ، ولا يتسنى للدرويش الخروج خارج التكية خلال هذه المدة ، بيد أنه كان يستطيع أن يطوف

ويتجول داخل التكية ، أما إذا كان فى قونية فإنه يذهب إلى زاوية شمس بعد ثمانية عشر يوما ، فإذا ما أقبل المشرف على الذكر فإنه يمسك الرأس التى على الركبة من الخلف ، وفى هذه الشعيرة يتم التكبير على قلنسوة الدراويش وتصبح القلنسوة المؤقتة ملكا خاصا له أما إذا لم يكن فى قونية فإن مراسم التكبير يضطلع بها الشيخ بإرشاد من المشرف على الذكر عقب الخروج من حجرة التعبد والزهادة. وبعد الفراغ من التكبير على القلنسوة يقوم شيخ الطريقة فى " قونية" والطباخ فى التكايا الأخرى بتعليم الدراويش الذكر والأوراد .

بهذه الصورة يحق للدراويش أن يحرز لقب "حجرة نشين ، وحجرة جُزين" يعنى أن يكون صاحب حجرة ، ويسمى كذلك "شيخا" أو دده ويقوم فى هذه التكية إذا رغب فى ذلك ، أو يذهب إلى تكية أخرى حسبما يريد. وثمة طائفة تخرج من التكية تتمثل فى هؤلاء المشغولين بالخدمة أو المتزوجين وإذا ما أقام فى التكية فإنه يعقد مجالس المنادمة والمسامرة مع الدراويش الجدد حسب قدرته وكفايته وعلمه ومعرفته، وينشغل كذلك بتربية المحبين وتدريس المثنوى ، ويعلم الموسيقى كل شهر بحسب واردات التكية وينفق هذا المال على حاجاته الضرورية . وثمة هدايا تسمى "نياز وبرك سبز" يقدمها المحبون والزائرون إلى الشيوخ ، ولا يرفض الشيخ المولى ما يقدم له، بيد أنه لا يطلب من أحد شيئا ألبتة.

الانقطاع عن التدريبات الدينية العقائدية قبيل انقضاء مدتها :

إن الارتباط الوثيق بالمولوية والإقرار بذلك والتجرد من كل شىء يعنى الانتهاء من مدة الخدمة المعنية، ويشرح هذا بعبارات يستشف منها هذا المعنى مثل أنه أصبح صاحب حجرة ، وأنه فرغ من قضاء فترة المكابدة والمعاناة . ويضطلع خلال هذه المدة بالخدمة فى التكية ، ويسمى الشخص المنوط به هذه الخدمة "cillekes" أى المكابد فى العبادة وممارسة الطقوس الدينية ، ويوصف الدراويش الذى يكمل هذه المكابدة على الوجه الأمثل بعبارة "cillecekmek" أى قضاء فترة المكابدة والمعاناة فى التعبد.

تحدث أشياء في أثناء فترة التعبد هي غير ذات مغزى بحسب عقلية الوقت الراهن ، ولكنها أشياء جد مستغربة من ناحية كونها فترة تجربة واختبار تراعى فيها نظام الطريقة ومنتجها القويم . وعلى سبيل المثال فإنه يقال للمتسوق الموجود في التكية المولوية الموجودة في "بهارية" يتوجب عليك شراء لفافة سجائر من فلان الدخائني⁽²⁾ الموجود في ميدان بايزيد ، حتى أن المرید يغدو ويروح بأشياء خلف حي أيوب كي يصل إلى التكية مما يصيب السجائر ببلى ، فيرسل إلى المرید أمرا يقول فيه : إذهب إلى فلان الدخائني الموجود في حي الفاتح واشتر لفافة أخرى، وإن اصدار هذه الأوامر يعد دليلا على مدى إخلاص المرید وحسن سلوكه وتصرفه ، وأحيانا يتم الحكم عليه عن طريق الغادين والرائحين ويقفهم من هذا مدى اتباعه للأوامر أو مخالفتها وفي أثناء هذه التجارب والاختبارات تقال للمرید بعض الألفاظ القاسية شريطة ألا تكون متناقضة للتربية والأدب ألبتة، ويقاس بهذه الألفاظ مدى تحمله واصطباره ، حتى أن هناك مریدا يرسل إلى الخارج للاضطلاع بمهمة الصلح بين المتخاصمين ، وعلى سبيل المثال فإنه يتقابل مع أحد المحبين ذات يوم ويخاطبه بإصرار إذا ما أراد أن يشرب العرق⁽³⁾ في أحد الحانات ، وهذه إحدى وسائل اختبار المرید التي تدل على الوفاء بالعهد وتنفيذ الأمر الذي يتلقاه المحب وخالصة القول أنه لم يظهر ما يتمناه المرید في واحد من هذه الاختبارات فإنه يقال له حينئذ أنه لن يتسنى له النجاح والتوفيق في العمل ثم يطرد من التكية. أما إذا لم يتحمل المرید الاختبارات أو الاضطلاع بالخدمات في أثناء فترة المكابدة والمعاناة فإنه يترك التكية ، وإذا ما ذهب إلى منزله أو قريته فإنه يعد آنذاك منقطعا عن التدريبات الدينية حتى إذا انقطع عن العبادة في اليوم الألف من الألف يوم ويوم فإنه يقر ويعترف بذلك ويندم على فعلته ويلجأ إلى التكية ويبدأ فترة العبادة من جديد ، ويذهب ما قام به من خدمات أدراج الرياح، ورغم هذا فإن من النادر أن يوجد بين ثنایا المولوية أولئك الذين ينقطعون عن العبادة قبيل انتهاء مدتها، إن الانقطاع عن العبادة والتبتل هو إثم عظيم، وإن المنقطع عنها سوف يلقي لكمة قوية عنيفة ولن يجدى فلاحا، وكانت هذه عقيدة عامة ورغم هذا فإن المنقطع عن العبادة عندما يدخل إلى صومعة التعبد فإنه يضطلع بالخدمات التي يكلف بها ، ولكن لا ينكشف له أركان المطبخ وساحة الذكر

، وإذا لم يعاد أحد فإنه لا يعد خارجا عن إطار المحبة ويأتى ثانية إلى التكية ويدخلها وينضم إلى حلقات الذكر ، ولا يعفى عنه الأشخاص الذين يعلمون ، ولكنه لا يوبخ ولا يلام على ما فعله من سلوك مشين عيب.

المشرف على التكية :

كان جلبى يمثل المولوية فى قونية ، أما الشيخ فيمثلها فى التكايا الأخرى، بيد أن من يضطلع بتربية وتنشئة الدراويش فكان ممثلا للرياسة الروحية والمعنوية على هذا النحو ، ومن ثم فإن هذا الشخص كان يسمى فى قونية شيخ الطريقة أو صاحب الطريقة ، أما فى سائر التكايا الأخرى فكان يستمسك بلقب الشيخ الطباخ ليحل محل شيخ الطريقة. وكان هذا المقام يسمى بمقام جلبى حسام الدين حتى يضطلع بالتربية على الوجه الأمثل. وكان صاحب الطريق مأمورا بالقيام على خدمة التكية والتعهد برعاية آداب طريقة الشيوخ من أصحاب الحجرة ومن أنهوا فترة التعبد والتزهد فى المطبخ، وكان جلبى يعين فى بادئ الأمر صاحب الطريقة ، ثم انحصر التعيين فى عائلة واحدة إبان الأزمنة المتأخرة. كانت خدمة الشيخ الطباخ تتمثل فى رعاية شئون الدراويش الذين يقضون يوم فترة المكابدة والمعاناة فى صومعة التعبد ، كما كان المرید يأتى إلى المطبخ يقدم الإقرار فى حضرة الشيخ الطباخ ، ثم يُسلم بعد ذلك إلى الوقاد وكان الشيخ الطباخ يعين فى قونية بأمر من جلبى أو بأمر من الشيخ فى التكايا الأخرى، أما خادم الضريح فلا قبل له بأن يكون متزوجا ، ولهذا السبب كان يتم اختياره من أسن وأعجز الشيوخ عمرا. وكان فى قونية ثلاثة شيوخ يضطلعون بحرفة البوابة وجميعهم تحت إمرة خادم الضريح ، أما من لا وظائف لهم فكانوا يقفون أحيانا للتحية فى نوبات قبالة الصندوق فى مقبرة مولانا. ولا وجود لتلك العادة فى سائر التكايا الأخرى. كانت وظائف البوابين ممن هم فى معية خادم الضريح تنحصر فى تنظيف الضريح وإشعال القناديل مساء، ويحضرون القنديل فى رأس الضريح فى أثناء الليل فى محيط التكية أو خارجها ، كان المطبخ هو روح التكايا المولوية ، ويأتى فى صدارة المطبخ الشيخ الطباخ .

والوقاد، ويوجد فى داخله المشرف على الذكر والشيوخ المنظفون للأطباق وغيرهم ممن يتربون فى التكية . اما رئيس الطهارة فإنه يضطلع بإدارة تفقات المطبخ ويدير شئون التكية ويربى المريدين. وكان الشيخ الوقاد بمثابة معين ومساعد للشيخ الطباخ ، اما الشيخ الخليفة فإنه يُعهد إليه تربية وتنشئة الداخلين الجدد إلى المطبخ ، ويعلم هؤلاء المريدين اصول وآداب وقواعد المولوية . ويكون المشرف على الذكر تحت إمرة الشيخ و عليه تبليغ الأوامر وكان فى قونية شيخ زاوية شمس وشيخ زاوية آتش باز ، وكان اسم "شيخ شمس" يطلق على الشيخ الموجود فى مقام شمس تبريزى .

وقد شرحنا أنفا ان الذكر الأولى كان يعقد فى زاوية شمس، وكان الشيوخ الموجودون فى زاويتى شمس و آتش باز كلتيهما يأتون إلى تكية مولانا فى أيام الذكر، ويجلسون فى اماكن خاصة بهم ويغشون حلقات الذكر . أما الشيوخ الذين أحصينا خدماتهم وأسماءهم فكان يطلق عليهم اسم "ضابط التكية" . ولما كانت التكايا المولوية فى نفس الوقت تتميز بوجود محلة للموسيقى فإن عازف الناي وضاربى الطبله يعدون من أركان المولوية، ناهيك عن هؤلاء المربين ممن يضطلعون بالخدمة الذين أحصيناهم أنفا . أما قائد العزف على الطبله فكان يدير جماعة المطربين مستمسكا بأصول عزف الطبله فى يوم معين وفى الليالى التى يعقد فيها الذكر، بيد أن قائد عزف الناي كان يعزف تقسيما على الناي فى آخر مقطوعة موسيقية وقبيل "دور ولدى"، كما كان ينفخ الناي فى معية عازفى الناي الآخرين فى الشعائر والطقوس الدينية ، وكان هذان الشخصان يضطلعان بتربية وتنشئة عازفى الناي فى قاعات الطقوس الدينية.

خدمات المطبخ :

للمطبخ ثمان عشرة خدمة وبيانها كالآتى :

١ - الشيخ الوقاد: لهذا الشخص مقام ، وهو موجود فى المطبخ فى أوقات النهار ، وهذا يعنى أنه صاحب مقام ومن ضباط التكية ويقوم على رعاية وخدمة المريدين، ويعقد مجالس المنادمة والمسامرة فى معيتهم .

- ٢ - الشيخ الخليفة: يبين الطريق للقادمين الجدد إلى المطبخ ويرشدهم إليه ، ويضطلع بتربيتهم وتنشئتهم .
- ٣ - المشرف على الذكر الخارجى: مهمته تتمثل فى إبلاغ أوامر شيخ الطريقة أو شيخ الطهارة إلى كل الدراويش الموجودين فى الحجرة .
- ٤ - غسال الثياب : وهو القائم على غسل وتنظيف ملابس الشيوخ والمريدين .
- ٥ - منظم المتوضأ : هو المتعهد بتنظيف المراحيض وأماكن الوضوء والفسيقية والصنابير .
- ٦ - صانع الشربات : مهته صنع شربات المريد الذى يصعد إلى الحجرة ، وهو فى نفس الوقت يصنع الشربات ويقدمه إلى أولئك الشيوخ القادمين لزيارة المطبخ .
- ٧ - منظم الأطباق : يقوم بغسل الأطباق وتنظيفها .
- ٨ - منظم الصوان : يقوم على عناية الأطباق والأوعية فينظفها ويطلبها بالقصدير .
- ٩ - المتسوق : يذهب صباحا إلى السوق بالسلة ويأتى بالأشياء التى اشتراها .
- ١٠ - مجهر المائدة : ينصب مائدة الطعام ثم يرفعها عقب الفراغ منه .
- ١١ - المشرف على الذكر الداخلى : يعد القهوة للمريدين الموجودين فى المطبخ ، كما يقدمها كذلك إلى الشيوخ القادمين إلى المطبخ فى أيام الجمع .
- ١٢ - وقاد القنديل الداخلى : وهو ينظف قنديل المطبخ ويشعله .
- ١٣ - المحمص : يتعهد بتحميم قهوة المطبخ .
- ١٤ - متعهد الفراش: يتولى العناية بفراش المريدين فيفرشه ويرفعه .
- ١٥ - وقاد القنديل الخارجى : يشعل القناديل الموجودة خارج التكية .
- ١٦ - الكناس : يكنس الحديقة وما يجاورها .

١٧ - وقاد السراج : وهو المتعهد بشمعدان المطبخ.

١٨ - الخادم المكلف بمهمة ما : وهو يتعهد بأداء الخدمات السريعة ، فيحمل الأشياء اللازمة ويحضرها، وكان يتولى الوفاء بهذه الخدمة قبيل مجيء المريدين.

إن أعظم الخدمات هي خدمة تنظيف المراحيض والمتوضأ لأنها تكسر غرور النفس الإنسانية على نحو قاطع لا ريب فيه. وكانت هذه الخدمة تمنح حتى وقت قريب إلى مريد المطبخ ومن هو على وشك الانتهاء من فترة المكابدة والمعاناة في صومعة التعبد .

وكان المشرف على الذكر يقول : ذات يوم في ساحة ممارسة الطقوس والشعائر الدينية: إن القيام على خدمة المراحيض والمتوضأ هي بمثابة خدمة الدرويش الفلاني، وهذا التبليغ يعد إشارة إلى الدرويش الذي يوشك أن ينتهي من قضاء فترة المكابدة، بيد أنه كان ناسيا لتلك الأيام منذ فترة طويلة ، حتى أن الدرويش لا يعلم القواعد والأصول وكان لا يدرك كنه هذا .

وإذا كان المريدون الموجودون في المطبخ أقل من ثمانية عشر يوما فإن مريدا واحدا هو الذي يكلف بأداء جملة من الخدمات ، أما إذا كانوا أكثر من ثمانية عشر فإنه يُقدم حينئذ رفيق واحد لكل صاحب خدمة. كان يوجد أصحاب خدمات أخرى مثل: صانع اللقم وصانع الخفاف المتعهد برعاية النعال.

الشيخ :

تأتى المشيخة عند المولوية في المرتبة الثانية بعد الدروشة ، ويتبوأ الشيوخ مقام المشيخة ويمثلون المولوية خير تمثيل ، بيد أن هؤلاء لا يتبعون سنة مولانا ولا يتدخلون في مهمة التربية ، بل كانت هذه المهمة في قونية تخص شيخ الطريقة أو رئيس الطهارة في سائر الأماكن ومن ثم فقد كان كل من شيخ الطريقة ورئيس الطهارة يمثلان : شمسا وصلاح الدين وجليبي حسام الدين. ولا ريب أن الشيوخ كانوا يعينون بصفاتهم قراء للمثنوى في التكايا على وجه الخصوص .

وكان شيوخ المولوية يلبسون قلنسوة مجردة من كل شيء ، ونعنى بها قلنسوة غير ملفوفة وهى خضراء اللون إذا كان لابسها شيخا سيدا أى من سلالة النبى صلى الله عليه وسلم ، أما إذا لم يكن كذلك فإنه يلف عليها لفافة بيضاء ويترك فيها طيلسانا من الجهة اليسرى ، وهذا يعنى أنه لا يلف طرف العمامة بل يدعها تتدلى حتى خصره . أما إذا كان الشيخ شلبيا فإن العمامة حينئذ تلف من أسفل على هيئة خاصة ، وإذا كان غير شلبى فإن القلنسوة تُرى من تحت العمامة فى عرض أصبع واحد .

يضطلع جلبي بمنح أو إرسال ما يعرف برسالة المشيخة إلى الشيوخ حتى يتسنى لهم إثبات مشيختهم .

وها نحن أولاء نسجل فى هذا الصدد نموذجا للترجمة التركية لرسالة المشيخة المكتوبة بالفارسية والتي كان يرسلها من "أدرنة" "برهان الدين بن أمير عادل جلبي ابن أولو عارف جلبي إلى شيخ مدينة "نياده" ، والتي كان يقدمها "أهى أحمد بن أهى محمد إلى حاجى إبراهيم وهذا نصها: "حفظك الله العظيم ، ليعلم كل من الأصدقاء والعشاق والصادقين والمحبين والمريدين والكبراء وأرباب الوجاهة الموجودين فى مدينة "نياده" أن حاجى إبراهيم بن أهى أحمد ابن أهى محمود رفع الله مقامه قد حظى بثناء الدراويش الفقراء وقبول المتصوفة، وبات مريدا بكل عشق وإذعان واعتقاد ، باركنا الله بسره العظيم ، ويتوجب عليه أن ينفذ شروطا منها أن يكون صاحب زاوية مضطلعا بالخدمة على الوجه الأمثل ، وألا يهمل شيئا حتى ولو كان شيئا دقيقا . هذا ما تقوله الوثيقة المكتوبة ثم ترسل إليه بعناية فائقة ويتوجب عليهم اعتبار الشيخ ابراهيم الذى سلف ذكره واحدا منا ، وليعلموا أننا عيناه ، وأن كل من يتعهد برعايته ومساعدته باذلا جهده فى ذلك يكون قد راعى سلالتنا وأجدادنا . وأمل من كل من يقرأ رسالة العناية تلك أن يتحرك من فوره على هذه الشاكلة ويثق به ، وقد كتب هذا فى اليوم العاشر من شهر رجب لسنة ٧٩٦ هـ " (د/فؤاد نظيف اوزلوق : رسائل مولانا ، لاحقة ٢ ص ٥١) .

وكان عبد الحليم جلبى الأول يمنح رسالة المشيخة بعد قرنين ونصف من هذا التاريخ على وجه التقريب وهذا نصها: "فخر الصلحاء السالكين على دده زيد الله صلاحه وتقواه، ننهي إليك قطوف التحيات وإنك قد فوضت وعهد إليك خدمة ورعاية قراء المثنوى والقيام على مشيخة التكية المولوية الكائنة بمنطقة محمية "كليس" ويتوجب الوصول إلى التكية المذكورة وتكون فى الأوقات الخمسة مع فقراء باب الله ، والدعاء لظل الله ومسند العالم خلد الله خلافته إلى يوم الانتباه، وأن يديم الله عمر السعادة وقيام خيام العزة والشوكة ، وهو للفقراء والأحبة مقبول عند البارئ القيوم ، إنه حضرة مولانا جلال الدين الرومى قدس سره بمغزى القرآن والوقوف على آداب الشريعة والطريقة . وأنت أصبحت شيخا لفقراء باب الله كثّرتهم الله تعالى إلى يوم القيامة ، وهو يعرفون قارئ المثنوى ومطيعون بكمال الانقياد إلى أمور الشريعة والطريقة ، وأنت لاتفوت دقائق الشريعة والطريقة ، ولتكن فى معية حسن معيشة الفقراء ولا تترك الدعاء للأولياء الكرام السابقين جزاهم الله فى الدين تحريرا فى أوائل شهر جمادى الأولى لسنة اثنتين وسبعين وألف من الفقير ابن حضرة مولانا قدس سره الشيخ عبد الحليم".

ويجذب النظر فى هذا الصدد ثلاثة أشياء هى :

أولا : أن الشلبيين كانوا يمنحون رسالة المشيخة ، ولكن لم يكن هناك شلبي يقيم فى قونية إبان عصر مولانا، كما كان "ديوانه محمد جلبى" هو وخلفاؤه يمنحون الخلافة المولوية إلى من يريدون ، وعليه فإن المولوية لم تفقد شخصيتها المميزة إبان عصر التأسيس وحتى القرن السابع عشر الميلادى، ولم تكن حتى ذلك الحين قد تأسست بعد بصفة مركزية مطلقة .

ثانياً : إن رسالة المشيخة التى منحها عبد الحليم الأول جلبى فى سنة ١٦١٦هـ كانت هى بعينها الرسالة التى منحت إلى محمد شمس الدين دده الذى عين شيخا على التكية المولوية فى بورصة، بيد أن التاريخ ومكان الاسم وبعض المواضع قد

أصابها التغيير والتبديل . ومن ثم فإنه يفهم من هذا أن رسائل المشيخة كانت تدبج بالفارسية فى هذه الحقب المبكرة، ثم بدأت تكتب بالتركية بعد حين ، وكانت تقبل على شاكلة واحدة من الكتابة .

ثالثا: إن الشئ المسترعى للانتباه فى الخطاب الوارد فى أول رسالة للمشيخة كان موجها للأصدقاء العاشقين والصادقين والشيوخ والمحبين ، يعنى إلى المولوية وإلى كل من يريد أن يكون مولوياً ، كما أن شروط المشيخة لاتبدى إهمالا قط فى أى شئ يتصل بالطريقة والاضطلاع بخدمة الإخوان وصاحب الزاوية ، وهى خلو كذلك من أى إيماء صغيرة تشير إلى أشياء مثل الدعاء للدولة والثناء على السلطان ، بيد أنه ورد فى الرسالة الثانية للمشيخة شرط يوجب على المولوية أجمعين الدعاء للسلطان بطول العمر قبيل التحدث عن خدمة الإخوان^(٤).

الخلافة :

يضطلع بمنح الخلافة إلى واحد من دراويش المولوية أو شيوخهم ، أوفى بعض الأحيان إلى أحد كبارائهم ووجهائهم وكان يفضل أن يأخذ الشيخ الخلافة فى أية تكية تحل فيها المشيخة ، أو يرسل إلى التكية شيخ أو محب ليكون شيخاً عليها ، وكانت صلاحية الخليفة جد قليلة فى الأزمنة المتأخرة ، كما كانت الخلافة موجودة فى سائر الطرق الصوفية الأخرى كما هو الشأن عند المولوية وذلك باستثناء البكتاشية^(٥).

وكان منصب الخليفة فى العادة منصبا روحيا معنوياً ، بيد أن الخليفة كان يضطلع بتمثيل الطريقة مباشرة ، وكان يتم إرساله مباشرة إبان حقبة تأسيس المولوية ، ولما لم تكن المركزية قد تأسست بمعناها الواسع فإن الخليفة كان يُرسل به إلى أى مكان، وكان يتم إرساله فى افتتاح التكية وإلى المواضع التى يجب أن يكون حريا بالقبول فيها ، كما كان منح الخلافة يتم لذوى الأهلية والكفاءة والاستحقاق . إن المعلومات التى استقينها من "سبهبسالر" ومناقب العارفين وحتى من روضة الأسرار التى دبجت بعد ذلك هى ولاريب معلومات غير لائقة أو حرية بالقبول فى الحقب

المبكرة، فالشيخ هو بعينه الخليفة ولا فرق بينهما . وبعد مدة من الزمان ولاسيما بعد القرن السادس عشر الميلادى كان الخليفة لاينال الخلافة والمشيخة ولكن الخلفاء كانوا يعينون بصفتهم شيوخا فى التكية ليس إلا.

وهكذا ظهرت درجة الشيخ فضلا عن ظهور درجة الخليفة قبل ذلك. وثمة سبب واحد فى ظهور هذه الدرجة هو أن الذين لم يكونوا خلفاء لمقام الشلبيه قد عينوا شيوخا فى التكايا ، وتمخض عن هذا أن هناك شيوخا أخذوا الخلافة فى معية الشيوخ ممن ليسوا خلفاء ، وظهر كذلك خلفاء لم يكونوا شيوخا فى أى مكان . كان للخليفة الحق فى تلقين الذكر للسالكين ومنح الأوراد وإعطاء رسالة الخلافة وكان يؤثر الخلفاء فى تعيين الشيوخ فى التكايا الأخرى التى يوجد فيها منصب المشيخة، وعليه فقد ظل أكابر المولوية وجهائهم مضطرين إلى تولى الخلافة وتبوء منصب جميع الشيوخ ولاسيما الذين تبوعوا مقام الشلبيه .

ورغم هذا فإنه يصادف وجود مشايخ لم ينالوا الخلافة ألبتة . كانت الخلافة ومنصبها يؤخذان من الشخص الذى هو بمثابة الخليفة ، وكانت شخصية هذه الخلافة وكيانها يُصانان وتكفل لهما الحماية إلى حد بعيد حتى الأزمنة المتأخرة، ونقدم هاهنا مثالين لرسالة الخلافة . الرسالة الأولى تلك التى قدمها أحمد دده شمس وأحد شيوخ النقشبندية إلى سيد سليمان بلخى (ت ١٨٥٣ م) قارئ المثنوى وشيخ تكية مراد بخارى^(٦).

وهاهنا نص الرسالة :

"إنا جعلناك خليفة فى الأرض فأحكم بين الناس بالحق"^(٧) "واتيناه الحكم صبيا"^(٨). أنا الفقير إلى الله تعالى السيد أحمد المولوى خادم ضريح حضرت شمس تبريزى قدسنا الله بسره (خاتم على هيئة قلنسوة معممة - السيد أحمد المولوى). الحمد لله الذى خلق الإنسان على صورته لخلافته ، وجعله مرآة عينه ومشاهدته ، وخصه بالعقل لاتخاذ وثيقة الأبدية - كرمه بالإدراك لإظهار الحقائق السرمدية وأثبت شجرة الطريقة فى أرض السعادة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء"^(٩). نحمده حمدا لا ينقضى إلى الأبد ونشكره شكرا لا ينتهى إلى الأمد ونشهد ألا ند له

ولا نظير ، والدعاء المتناهي ، وعلى سيد الأنبياء وسند الأصفياء ، باعث إيجاد العالم وسبب خلقه بنى آدم ، وجود اللطائف ومنبعه العظيم ، وعين سر الكرم ، ومظهر لولاه لما خلقت الأفلاك . رضوان الله عليهم أجمعين ما دامت السماوات والأرضون . أما بعد فإن الباعث على تمهيد هذه المقدمة الجليلة وسبب تسطير أرقام جميلة هو سر خليفة عالي البيان على مقتضى الآية الكريمة التى تقول "وحملها الإنسان" (٥) من مبدأ فيض العالمين بواسطة جبريل الأمين الذى وصل إلى حضرة سيد العالم محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وحضرة حبيب الله صلى الله عليه وسلم على المرتضى كرم الله وجهه ، وحضرة على المرتضى كرم الله وجهه وأبنائه حضرة إمام حسن والإمام الحسين ، وحضرة الإمام زين العابدين بن حضرة الإمام الحسين ، وحضرة الإمام محمد الباقر بن حضرة الإمام زين العابدين ، وحضرة الإمام جعفر الصادق بن حضرة الإمام محمد الباقر ، والإمام موسى الكاظم بن حضرة جعفر الصادق ، وحضرة الإمام على الرضا بن حضرة موسى الكاظم ، وحضرة إمام محمد التقى بن حضرة على الرضا ، وحضرة محمد التقى بن حضرة إمام على التقى ، وحضرة إمام حسن العسكرى بن حضرة إمام على التقى ، وحضرة إمام محمد المهدي بن حضرة حسن العسكرى ، صلوات الله عليهم أجمعين ،
والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (١١).

الفقير خادم ضريح شمس الدين تبريزى السيد أحمد دده (نفس الخاتم).

شهود الحال: شيخ الطريق محمد فهمى دده أفندى ، وسرناى حبيب دده أفندى.

أما رسالة الخلافة الثانية فهى باللغة العربية وقد اضطلع الشيخ حسين فخر الدين دده شيخ النكية المولوية فى بهارية بمنحها إلى الشيخ سيد على شيخ النكية المولوية فى المدينة المنورة ، وقد أعيرت هذه الرسالة من "رسوخى بيقرا" وهى مخطوطة فى دورية "حسين فخرى دده" ، وقد اضطلعنا بوضع صورة شمسية لها وأدرجناها فى كتابنا هذا ونقلنا ترجمة تركية لبعض المواضع من هذه الرسالة : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ ﴾ (سورة البقرة آية ٢٦٩) ، ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾

وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿ [سورة فصلت آية ٢٥] الشيخ الفقير والحقير سيد حسن فقير المولوى شيخ التكية البهارية وأعظم تكية مولوية فى موطن الخلافة إستانبول : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذى خلق الإنسان على صورته ، وجعل وجوده مرآة لوجوده بمظهره وهيئته ووضوحه وبيانه ، وتفضل عليه بالعقل كى يحيطه بالحبل المتين ، وعظمه بالفهم والإدراك حتى يظهر الحقيقة على الدوام ، وغرس شجرة الطريقة مدهامة على وجه أرض السعادة طازجة يانعة غصنة جميلة وأنشأها معرقة الأصل والنسب ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [سورة إبراهيم آية ٢٤] . نحمده حمدا لا أول له ولا آخر ، ونشكره شكرا لا نهاية له . ونشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله . بعد الحمد والثناء الأرض والسما ، وإعتماد الصوفية المطهرين على عظمة أنبياء الرحمة ، وإلى محمد الذى أرسل إلى الناس كافة والذى كان سببا فى إيجاد هذا الوجود العظيم السامى ، وسببا فى خلق آدم فى هذا الوجود . وهو الخميرة اللطيفة العظيمة ومصدر قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ [الإسراء : آية ٧٠] وهو منجم الفضائل والخيرات والمعالي والجود والإحسان ، فرضى الله عنه ما دامت السموات والأرضون . إن مقصدى قبل التفوه بهذه المقدمة السامية وقبل أن أكتب هذه الكتابات الجميلة الشيقة ، هو سر الخلافة الجلية لرفعة وسمو الإنسان اتباعا لقوله تعالى : ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب آية ٧٢] . إنه الله رب العالمين وصاحب الفيض والفضل والإحسان ، وقد وصلت الرسالة إلى سيد ولد آدم وأرفع العالمين بواسطة جبريل صاحب الأمن من الله ، رحمه الله وعفا عنه ، وقد لقن النبي صلى الله عليه وسلم الإمام على المرتضى ، ولقن المرتضى الحسن البصرى (هى نفس السلسلة الموجودة فى رسالة الخلافة الأولى استثناء الأئمة الاثنى عشر) . ونهني سر أبى بكر وصاحب الطريقة أمير حسن دده ، وقد كتبت هذه الرسالة فى سنة ١٣١٨ هـ لصاحب الهجرة المعظم المقام على المقام ، ولقد وصلت السلسلة . وعلى سبيل المثال فإن خلافة شيخ بنى قابى سيدنا ناصر أحمد عبد الباقي وصلت من أخيه على نطقى دده وقبله صحيح أحمد دده (ت ١٦٩٨) ومن أبى بكر دده (تكية المولوية فى بنى قابى) وكل هؤلاء أدلة دامغة أكدت رأينا فيما يتصل بالخلافة .

قراء المثنوى وأصول وقواعد تعليم المثنوى :

يطلق على من يضطلع بقراءة المثنوى والإقدام على شرحه وتعليمه اسم " مثنوى خوان " أى "قارئ المثنوى" ، وثمة شرط يقضى بالحصول على شهادة بغية تدريس المثنوى وتعليمه ، ولأجل هذا فليس ثمة ضرورة تفرض على قارئ المثنوى قراءة الأجزاء الستة ، وإن العالم بالفارسية الحاذق لها هو بطبيعة الحال معلم لكتاب فارسى مواظب على درس المثنوى مدة من الزمان ، حتى أن جلبى الذى يُمنح شهادة من قبل قارئ مولوى فإنه يؤذن له من الشيخ المولوى بالتكبير على قلنسوته تبركاً ولف العمامة حولها .

لقد كان المثنوى يقرأ إبان عصر مولانا ، وكان قراء المثنوى ومعلموه موجودين كذلك فى عصر كل من جلبى حسام الدين وسلطان ولد ، وكنا نكتب على المقبرة أو أماكن أخرى ما نتعلمه من القرآن والمثنوى والغزليات ، بيد أنه كان هناك استثمار فى عصر آل عثمان للاختلاف المذهبى والتعصب الدينى والتنافس السياسى بين حكومة العثمانيين من جهة وإيران من جهة أخرى ، ناهيك عن تحريض السلاطين لإذكاء نار هذا التنافس الذى كان سبباً فى إعتبار الفارسية شيئاً قبيحاً مستهجناً ، ولأجرام أن الدارس للفارسية المهتم بها كان ولا ريب صاحب ذوق صوفى ورؤية واسعة بفضل تأثير مفكرى إيران وشعرائها ، وعلى هذا فقد ظهرت عبارة متعصبة حاقدة تجاه الفارسية ومن يتعلمها ، وتقول هذه العبارة "كيم اقور فارسى، كيدر دينك ياريسى" ، والمعنى : أن من يدرس الفارسية ينمى نصف دينه . لكن المثنوى إبان تلك الأزمنة لم يكن ثاوياً بين الجدران الأربعة لتكايا المولوية ، بل انتشر وذاع صيته ثانية بواسطة الشيوخ . حتى أنه ظهرت مؤسسات مشيدة بغية تعليم المثنوى أطلق عليها اسم "دار المثنوى" ، وكانت آخر دار للمثنوى تلك التى افتتحت فى إستانبول ، وأخرى فى منطقة "جارشمبه" بحى الفاتح باسم "مراد ملا" (ت ١٧٧٨) ولحق بها مكتبة . ونذكر من خلال مشاهدة قبر جديد أن "داماد إبراهيم باشا" (ت ١٧٣٠) كان يعيش فى عصر الصدر الأعظم "شهيد عالى باشا" (ت ١٧١٦) وكان ينتسب إلى الطريقة الحمزية واشتهر بالقطب لدى كثير من الحمزيين ، وقد اضطلع هذا

الشخص بتشديد مدرسة ذكر ضمن شروط وقفها أنها مخصصة لتدريس المثنوى .
وعلى هذا النحو دخل المثنوى الفارسي إلى المدرسة الدينية. أما في الأزمنة المتأخرة
فكان يوجد من يقومون بتعليم المثنوى في المساجد ، وكان " طاهر أولجون " يضطلع
بتدريس المثنوى في مسجد السليمانية (١٢) .

كانت هناك منصة خاصة للمثنوى يقوم شيخ بشرح المثنوى وتفسيره وهو جالس
عليها وذلك عقب الفراغ من الصلاة في أيام الذكر وفي دور المثنوى ، وكان الشيخ
يقف عند قاعدة هذه المنصة ويقرأ أربعة أو خمسة أبيات من المثنوى الذي في يده ، ثم
يشرع الشيخ في شرح الأبيات التي يقرأها من أول بيت بعد أن ينقلها إلى التركية ،
وكان يطلق على الشيخ الذي يقرأ أبياتاً من المثنوى ويشرحها "قارئ المثنوى" وذلك
قبيل ظهور قارئ المثنوى الرسمي الذي يجلس عند قاعدة المنبر ، وكان يفهم من
وظيفة قارئ المثنوى في تلك العصور المبكرة أنه كان يضطلع بالتنبيه على الأبيات
التي ينساها الشيخ الذي لا يوجد أمامه ورق أو دفتر ، لأن حفظ المثنوى وتدريسه
كان عادة متبعة ومن ثم فإن وجود دفتر أمام الشيخ يعد من العيوب المستهجنة .
وكان يوجد كذلك حفظة للمثنوى ، ومن بين هؤلاء واحد مدفون في جبانة التكية
المولوية في أنقرة. وبعد أن يفرغ الشيخ من شرح المثنوى يشرع في قراءة الأبيات
التي يقول معناها "هكذا أمر مولانا الذي فتح أسرار العظمة الإلهية ، فلا علم
النجوم ولا الرمل ولا الرؤيا، قاله يعلم علم اليقين أنه الوحي من الله " ثم يدعو ويقرأ
الفاتحة ولا يوجد في المساجد قارئ للمعلمي المثنوى ، بيد أن هؤلاء كانوا يقرعون
بيتين في نهاية الدرس .

ونلحق بهذا البحث صورتين اثنتين لشهادة إجازة المثنوى:

" بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لوليه والصلاة والسلام على نبيه وعلى آله
أجمعين ، أما بعد: فقد أذنت له كتاب المثنوى المعنوي على ما حققه الشارح الأنقروبي
سيد عثمان صلاح الدين المولوي ، كما أخذته عن سيدي خوجه أمين الله الحسيني ،
وعن الأستاذ خواجه سليم النقشبندی قدس الله أسرارهم ونفعنا الله بعلومهم آمين ،

انا الفقير حسن حسام الدين قارىء المثنوى أجزت كما أجازنى شيخى أن نقرأ
الأوراد الشريفة ومثنوى الشريف المعنوى أفاض الله وطال بقاؤه ، فلا علوم نجوم
ولا رمل ولا رؤيا ، إنه وحى الحق والله أعلم بالصواب ، أقرأ فى ختام الدرس الداعى
حسن حسنى شيخ تكية المولوية فى اسكيشهر".

خاتم :

" وبعد الألقاب وبعد العشق والتضرع والدعاء فقد وصلت رسالة محبتنا المؤرخة
بالسادس عشر من شهر نوفمبر ، وهى شهادة فقيرة مع كل سرور ، وفاتحة فى بداية
الدرس ، وهو يأمر بقراءة الأدعية الشريفة بإخلاص ثلاث مرات ، ويهديها إلى الروح
العليلة لحضرة جناب سيدنا ويؤمر بتعلمها وقراءتها ، أسعدكم الله فى الدارين ،
الباقى هو الله ، فى ١٥ ديسمبر لسنة ١٣٠٣ م .

الداعى

خادم الفقراء المولو اسكيشهرى^(١٢)

الهوامش

(١) ثمة طائفة كبيرة من المولوية ينحدرون من سلالة شلبية "ولداز بوداق" ويقولون إن هذا يعنى أنهم من نسل مولانا من جهة الأم ، ويقول كثير من الشلبية بهذا الرأي ويروى "سوخى بيقرا" أن أباه عبد الباقي ممن يقولون بهذا الرأي ، وهذه الرواية شديدة الذبوع والشيوع إلى حد كبير بين المولوية ، وعندما أصبح "ولداز بودق" شلبياً فإن شجرة النسب وصلت حتى مولانا كى يتسنى تكذيب هذه الرواية ، وظلت مضطرة إلى أن تطبع بطاقة دعوة عظيمة ، ومع هذا فإنه يوجد نفر من القائلين بأنه من شلبية "إيناس" (محى الدين جلال دورور المولوى: ص ١٢٢) .

(٢) السفينة النفيسة للمولوية : ج ١ ، ص ٦٣ .

(٣) هو ابن أمير حسن دده الذى كان يعمل رئيس الطهارة فى التكية المولوية وتولى هذا المنصب بعد أبيه ، وظل يضطلع بهذه المهمة أكثر من خمسين عاماً ، وقد أدى مهمته على الوجه الأكمل فى أعمال الطريقة والطهى ، وتوفى سنة ١٨٦٩ م (جمادى الآخرة سنة ١٢٨٦ هـ) ، وهو مدفون فى حديقة الأرواح ، وتوجد قلنسوة معممة ملفوفة على شاهد القبر ، وقد قرض نسيب دده الشعر .

(٤) تظهر كلمة "هو" بجلاء فى أدب الديوان ، وعلى سبيل المثال فإن شيخ غالب يقول فى أحد أبيات شعره:

سوزلوب اوجشم أهو ديدى نوق وصلة يا هو .: بود كلدى نيله يم بو يولم انتظاره دوشدى .

والمعنى : نعست عين الغزال فقال نوق الوصال يا هو .: ماذا أفعل أنه ليس هو وهوى فى

لجة الانتظار

(٥) الوجود المطلق : هو العلم القائم بنفسه وهو عالم الجبروت ، ونشأت صفات العالم من هذا الوجود الذى يعد بمثابة برزخ بين الحق والخلق ويسمى بالحقيقة المحمدية وهو عالم الملكوت ، أما العالم الذى نجم عن هذا فيسمى الناسوت والشهادة وهو مظهر لعالم الملكوت ، أما اللاهوت فهو الألوهية وهو عالم الوجود المطلق

(٦) يروى أنه ذو حافتين مديبتين وهو سيف على رضى الله عنه ، وردت فى شأنه روايات كثيرة.

(٧) يقول واحد فى كتابه "مناقب حاجة الدنيا ونتيجة الروح" مفصلاً القول عن الأبدال "إننى صوفى

ملعقتى صفراء بجانب هؤلاء وإذا امتلأت ذات مرة بالحساء فإن العاشق يشعر أنه يعلق فى عصاه ضوئين اثنين" ونفهم من هذا أن هؤلاء كانوا يحملون الملعقة حول صدورهم.

(٨) هو يائع الدخان (المترجم).

(٩) العرق : مشروب مسكر يتخذ من البلح (المترجم) .

(١٠) تعطف رسوخى بيقرا وقدم لنا الصورة الشمسية لرسالة المشيخة التى وضعناها فى هذا المقام ولاسيما تلك الصورة التى التقطتها بنفسه، وقد أخذنا بكل امتنان صورة رسالة المشيخة التى منحت لمحمد شمس الدين أفندى وذلك خلال دورية احتفالى ضياء وتلطف من ولده أرجون والشكر كل الشكر لكلا الصديقين العزيزين .

(١١) يضطلع البابا عند البكتاشية بتنشئة وتربية الدرويش والمحب فقط ، بيد أنه لا يتسنى له منح المشيخة لأى واحد قط ، وإن منح هذه المشيخة حق يخص الخليفة وحده .

(١٢) سيد سليمان بلخى ، من أشرف وأسياد الحسين وأحد شيوخ النقشبندية ولد فى قرية قوندوز ببلخ وتعلم فيها ، وكان مريدا صوفيا عظيما ، وفى عام ١٨٥٥ م هاجر فى معية ما يربو على ثلاثمائة مريد بسبب القوضى والاضطراب الذى انتشر فى دولته، وقدم إلى بغداد عن طريق إيران ، ثم مر فى طريقه بخراسان وزار الإمام رضا وبغداد وسامراء، ثم ذهب إلى كل من النجف وكربلاء ورغم أنه زار الإمامين عليا والحسين فإنه اتصل كذلك بالأئمة المجتهدين بتمذهب بمذهب الشيعة الإمامية بيمين أيدينا صورة شمسية لرد سيد سليمان بلخى على الخطاب الذى كتبه آية الله سيد محمد تقى طباطبائي ثم قدم سيد سليمان بلخى إلى قونية فى سنة ١٨٥٩ م ومكث بها أربع سنين وتفيد أحد الشواهد الموجودة فى رسالة الخلافة بأن شيخ الطريقة حسن دده وافته المنية فى الثامن والعشرين من شهر رجب لسنة ١٢٨٠ هـ - ١٨٦٤ م وبناء عليه فقد منحت رسالة الخلافة إلى سيد سليمان بلخى الذى يقيم فى قونية فى ذلك الإبان . وكان على مقام الشلبيه فى تلك الأعوام محمد سعيد همد جلبي الذى اشتهر بقلندريته وانغماسه فى المذات، ويتجلى كذلك انتساب سيد سليمان بلخى إلى المولوية فى ذلك الوقت بسبب عدم منح رسالة الخلافة على سبيل التبرك وقد قدم سيد سليمان بلخى من قونية إلى إستانبول ثم قضى ردها من الزمن فى مدينتى سلوكل وأسكودار وفى سنة ١٨٦٧ م عين سيد سليمان بلخى قارئا للمثنوى وشيخا على تكية الشيخ مراد الكائنة فى نيشانجى بحى أيوب ، وذلك فى أعقاب وفاة الشيخ فيض الله قارى المثنوى وشيخ هذه التكية وتوفى سيد سليمان بلخى سنة ١٨٧٧ م ودفن قبالة مقبرة الشيخ مراد الكائنة فى حديقة التكية وقد دبح سيد سليمان أثرا عظيما بالغربية فى جزأين اثنتين سماه "يانبى المودة" حاول من خلاله إثبات رفعة وسمو أهل البيت وصدق وصواب مذهب الشيعة الإمامية، وقد اضطلعت السفارة الإيرانية فى إستانبول بطبع هذا الكتاب، ثم أعيد طبعه ثانية سنة ١٠٣١ هـ . كما كتب مؤلفين آخرين هما "غبطة الأمان" و"مشرق الأقوام" وكلاهما بالعربية بوضعهما بغية إثبات أن مذهب الشيعة الإمامية هو المذهب الحقيقى للإسلام، كما وضع فى هذين الكتابين التولى والتبرؤ فى صورة بغير تقية ، وما يؤسف له أن هذين الكتابين لم يتسن طبعهما، كما أن ولده سيد برهان قليج (ت ١٩٢٠) لم يتمكن من نقل هذين الكتابين إلى الموجودين فى مدينة جلال إلى المكتبة. وفى حوزتنا مسودة للجزء المكتوب بخط يده من كتاب "غبطة الإيمان" ولدينا طائفة من الدوريات المكتوبة بخط يده التى تتضمن طائفة من الأحاديث المروية عن الأئمة الإثنى عشر وكان ولده سيد عبدالقادر (ت ١٩٢٣ م) ينتسب إلى القطب الحمزى سيد بكر الرشاد (ت ١٨٧٥ م)، واشتهر بعد موته بالقطب من قبل طائفة كثيرة من الحمزية وأرباب الطرق الصوفية الأخرى (انظر عبد الباقي جليبنارلى الملامية والملا ميون-جامعة إستانبول - معهد التركيات- ١٩٣١ - ص ١٧٩ - ١٨٦) .

(١٣) سورة ص: آية ٢٦ .

(١٤) سورة مريم : آية رقم ٢٩ .

منح بنى شهرلى نظيف دده الخلافة لولده حسن وكان طفلا صغيرا ، ومن ثم فإنه كتب فوق رسالة الخلافة لتذكر بالنبي يحي عليه السلام الذى كان نبيا وهو فى الرابعة من عمره ، وكانت رسائل المشيخة والخلافة تكتب على هيئة جميلة من قبل شيخ مولوى عالم ، وتتخذ من الشهادات الأخرى مثالا يحتذى به وعلى كل حال فإنه يتوجب أن تكون رسالة الخلافة تلك قد كتبت من رسالة الخلافة التى منحها نظيف أفندى وقد اقتبست هذه الآية ولا علاقة لها قط بعمر سيد العلماء.

(١٥) سورة ابراهيم "آية ٣٤ .

(١٦) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ آية رقم ٧٠

سورة الإسراء.

(١٧) ٧٢ الأحزاب.

(١٨) شوه النص الأصلي فى آخره "فبعد أن قال إن هذا الفقير لقن أحمد نسيب دده" تأتى جملة غير ذات معنى يقول فيها "إننى لقنت الشيخ سيد سليمان بلخى والفقير أحمد دده أفندى خادم ضريح شمس الدين تبريزى". أما الجمل التى يقول فيها: "إن سليمان دده أفندى لقن محمد نسيب دده أفندى" ولقن كذلك هذا الفقير والفقير لقن حضرة أحمد دده خادم ضريح شمس الدين تبريزى "يتوجب أن يصحح معناها ليعبر عن هذا المعنى على هذا النحو "إنه لقن كذلك محمد نسيب دده أفندى" ولقن محمد نسيب دده أفندى فقير" ولقنت أنه الفقير أحمد تبريزى خادم ضريح حضرة شمس الدين تبريزى وكذلك الشيخ سيد سليمان أفندى البخارى "وفهم بجلاء أن رسالة الخلافة تلك قد كتبت على غرار رسالة الخلافة التى منحها نسيب دده (ت ١٨٦٩)، وقد نسخت هذه الرسالة من رسالة الخلافة التى منحها نسيب دده ولم يستطع تصحيح الجملة، بيد أنه كان فى حقيقة الأمر شخصا ذا علم ومعرفة، وفهم من الديوان الكبير المحفوظ بخط يده أن الشيء المدهش هو توقيع فهمى دده لرسالة الخلافة دون قراءتها .

(١٩) للاطلاع على دور المثنوى انظر عثمان أرجين : تركيا معارف تاريخي - ج ١ إستانبول مطبعة عثمان بك ، ص ١٣٣ - ١٣٥ .

(٢٠) أول شهادة كانت فى تكية "احتفالى ضيا المولوية" فى بنى قابى (ص ١٦٥ - ١٦٦). وكان مانع هذه الشهادة هو الشيخ النقشبندى المشهور "أيوبلى خواجه حسام" وهامى ذى ترجمة الشهادة:

"بسم الله الرحمن الرحيم - لله الحمد والرحمة لنبه وعلى آله أجمعين ، أما بعد : فأنا أهنيء وأبارك أسرار الله بعلومه ومعارفه أمين ، فإن كنت قد حصلت على إذن من سيدى خواجه محمد أمين الله الحسين وأستاذى خواجه سليم النقشبندى ، فإننى قد أذنت للشيخ سيد عثمان صلاح الدين المولوى بنقل المعنوى المثنوى متبعا فى ذلك سبيل شرح وتحقيق الأنقروى".

وقد اقتبسنا صورة الشهادة الثانية التى تخص قراءة الأوراد المتعلقة باختلافجى ضيا والتى منحت له بغية تدريس المثنوى .

الفصل الثالث

« عناصر المولوية وقواعدها »

الميدان الشريف - اسم الجلال - عين الجمع - أركان الصوماط - شهر المحرم والطعام - انقطاع الطريق والرحلة - سربا ايتمك - الأوراد المولوية - كيف كان يستقبل السلطان القادم إلى التكية ؟ - الموت - الدفن - ليلة العرس - الذهاب إلى الموت - شواهد المولوية .

(١) الميدان الشريف :

توجد في الأعم الأغلب حجرة مستطيلة تقع في مكان ما قريب من المطبخ ، ويسمون هذه الحجرة الميدان الشريف . ويكون الدخول إلى هذا الميدان عقب صلاة الصبح . وهذا يعنى أن الداخلين يأخذون أماكنهم بحسب الأقدمية وهم وقوف واضعين أصبع إبهام الرجل اليمنى فوق إبهام الرجل اليسرى ، وكان شيخ الطريقة في الأزمنة المتأخرة بقونية يدخل إلى الميدان الشريف وكذلك رئيس الطهارة في التكايا الأخرى ، وما يلبث كل هؤلاء أن يطأطئوا رءوسهم في احترام وتحية . وعلى حين يجلس شيخ الطريقة ورئيس الطهارة كل في موضعه فإن المريدين سرعان ما يجلسون كذلك في نفس الوقت . ويخرون على الأرض في معيته مقبلين إياها .

وثم مقام أحمر اللون يخص الشيخ في واجهة الميدان ، كما توجد كذلك مقامات سوداء وبيضاء كائنة في الجهة اليمنى واليسرى لهذا المقام ، وهى تخص كلا من

الشيخ الوقاد والمشرف على الذكر . وبعد دخول الميدان يأتي المشرف على الذكر الخارجى بقطع من الخبز مع نوع من الحلوى فوق صينية ، ثم يقدمها أولا إلى شيخ الطريقة وشيخ الطهارة ، ثم يقدمها بعد ذلك إلى الموجودين جهة اليمين وجهة اليسار ، ويأخذ كل شخص قطعة من الحلوى ، ومن لا يشتهيها لا يأخذ منها ، وتسمى هذه اللقمة "جورك" Corek أى "فطيرة" ثم توزع القهوة من الخلف على من يأخذون الفطيرة . تبدأ النشوة الروحية والانجذاب الصوفى بعد أكل الفطائر واحتساء القهوة وجمع الفناجين ، وكلمة مراقبة تأتي بمعنى "Gozetleme أى "الملاحظة" ، وتأتى فى التصوف بمعنى اتحاد المرشد مع السالك ويخلع من القلب كل الأشياء المتوهم ما سوى الله ، ثم يبذل قصارى جهده فى أن يمحو وجوده فى وجود الله ، وهو بهذه الصورة يعبر عن حميته وسورة حمياه وبذل همته ونشاطه من أجل الوصول إلى الوجود المطلق ، وفى المراقبة تستند الأيادى والأصابع على الفخذين وهى فى حالة مفتوحة ومستوية قليلا ، وتكون الأعين مغمضة ، ثم يخلص كل شخص قلبه من الشواغل جالبا مرشده أمام ناظريه منتظرا نصيبه من الفيوضات ، وبعد مدة يقرأ شيخ الطريقة أو رئيس الطهارة سورة النصر مسبوقة بأعوذ بالله وبالبسملة ، ثم يقرأ الفاتحة ، ثم يلهج بالدعاء بعد قراءة الفاتحة . ثم يتفوهون سويا قائلين "هو" وينهضون فى نفس الوقت بتقبيل الأرض ، وقبل ذلك يطأطئ كل من شيخ الطريقة ورئيس الطهارة رأسه وهوىلف راجعا إلى الميدان عند الباب ، ثم يطأطئ الموجودون فى الميدان روعسهم فى معيتهم بتحية وسلام ، وبعد خروجه يشرع المريدون راجعين إلى الداخل من الباب واحدا تلو الآخر مطأطئين روعسهم محيين وهم يخرجون دون الالتفات إلى ما وراءهم .

لقد أشرنا آنفا أن الشيخ عند المولوية يمثل الطريقة خير تمثيل ويضطلع كذلك بتعليم المثنوى فى التكية ، ويتسنى له أحيانا ألا يقضى فترة التعبد والمكابدة ، وعلى هذا يكون صاحب الميدان هو مربى السالكين ، ويكون شيخ الطريقة هو نائب جلى حسام الدين أو شيخ الطهارة. وهذا المفهوم الموجود عند الحمزية موجود كذلك بعينه عند المولوية ، وهذا يعنى أن المرشد الحقيقى واحد وهو صاحب الزمان ، ويكون القطب هو مظهر للحقيقة الحمديدية (انظر مولانا جلال الدين - الطبعة الثالثة

ص ١٥٩ - ١٦٠) أما رئيس الطهارة وشيخ الطريقة فهما بمثابة نائبين موكلين بمهمة التربية والإرشاد . وكل شخص فى المراقبة والتوجه إلى الله يضطلع بعقد علاقة وثقى بالقطب الذى يعرفه ، وهذا يعنى أنه يربط أخلاقياته وروحانياته به ، ويجتهد فى الفناء فيه ، ثم يجعله نصب عينيه بعد أن يخلص قلبه من الشواغل والهموم ، أمامن لا يعرفون لهم قطباً فإنهم يتجهون آنذاك إلى مولانا وإلى الحقيقة المحمدية (انظر: نفس المصدر ، ص ١٤ - ١٦ ، ص ١٥٣ - ١٥٦) .

وفى العصور المتأخرة وجد بين هؤلاء كثرة كاثرة من الأشخاص ذوى القدرة المتفردة والكفاءة المتميزة من الكبراء وأصحاب الوجاهة ، ومن هؤلاء : الشيخ حسين فخر الدين دده شيخ تكية بهارية (ت ١٩١١م) وفروخ جلبى (ت ١٩٣٣م) وقره حصار لى أحمد جلبى ، ومنهم من كانوا ممثلين لمقام الشلبيه خير تمثيل مثل عبد الحليم جلبى (ت ١٩٢٥ م) ، وكانت هناك كثرة من المولوية يعرفون القطب سيد عبدالقادر البلخى (ت ١٩٢٣ م) قطب الحمزية . وبعد وفاته وجد كذلك من يعرفون شيخ الأقطاب وأحد شيوخ قراء المثنوى فى قونية وصدقى دده (ت ١٩١١ م) المدفون فى التكية المولوية فى قاسم باشا .

لا قبل للمحبين بدخول الميدان ، وهذا ضرب من المعاملة باق منذ القدم ، وقد ذكر كذلك أن المسامرة والمنادمة كانتا تتمان أحيانا فى الميدان ، وتبلغ الأوامر إلى الشيوخ أحيانا ، كما كانت العقوبة توقع على المخالفين أو من يرتكبون جريمة فى حق الطريقة ، أو إسناد خدمة تنظيف المراحيض والمتوضأ إلى المريد الذى على وشك الانتهاء من فترة التعبد ثم يتم فى نهاية الأمر الصعود إلى الحجرة ، وعلى هذا فإن الميدان هو مرآة الحقيقة الجوانية للتكية والطريقة كليهما ، وهو محلة إجراء الأحكام وتوقيع العقوبات ، وكان بمثابة موضع محجوز مقصور على المحبين ، إذا كان قد حدث فى الأزمنة المتأخرة اتجاه بين المولوية يتعلق بإغضاب وإيذاء المحبين فى الميدان فإن الذين أرادوا هذا الاتجاه قد أخفقوا فيما يصبون إليه (انظر محمد ضيا : التكية المولوية فى بنى قابى ص ٢٨٨ - ٢٨٩) .

وكان البكتاشية يسمون الحجرة التي تدار فيها الشعائر والطقوس باسم "ميدان" ، وتجد هذه الكلمة كذلك عند الحمزية ، كما كانت تستخدم كلمة حجرة الديوان محل كلمة ميدان .

(٢) اسم الجلال :

لا وجود للأسماء عند المولوية ، ولا جرم أن المولوية هي طريقة مؤسسة لتلقي الفيوضات من الجذب والنشوة الإلهية ، وهذا يعنى أن السلوك لا يكون بالأسماء ، ومن ثم فإنها اتخذت من العشق والجذب الصوفى أساساً لبلوغ الحقيقة المطلقة والوصول إليها ، يقول مولانا جلال الدين الرومى : إن الأسماء تجعل الإنسان عاشقاً للوهم ، ولسوف يتسنى للخيال أن ينشأ عن الأسماء والصفات ، أما خيالك فإنه لن يستطيع التقدم إلى الأمام دون دليل يبلغه ذلك ، بيد أن ترك الدليل يوجب عليه الاستحواذ على شىء يرشده إلى ما يريد ، ويكون الذكر حينئذ بمثابة خيال ناقص يخص الجسم ، ويرى مولانا أنه إذا تسنى للذكر أن يجلب الفكر إلى الحركة والفعل فإن الجذب الصوفى يكون أساس الفعل والعمل ، ويكون الفيض هو الموجود فى نظرة المريد .

وإذا كان " أفلاكى " يسأل قائلاً كيف يكون الذكر فى طريقته بالنسبة لمولانا؟ فإنه يقول كذلك إننا منتسبون إلى الله أتينا منه وإليه ذاهبون ، وإن ذكرنا هو الله ولا شىء سواه .

وعلى حين يتحدث " أفلاكى " عن كثير من مجالس السماع معيناً المكان والزمان وموضحاً الأشخاص فإنه لم يتحدث عن الذكر الوحيد ألبتة ، كما أننا لا يتسنى لنا أن نجد ذكراً واحداً اضطلع بتوضيحه وتجليته فى كل حياة سلطان ولد خطوة إثر أخرى ، ولا نجده كذلك فى مجلس ذكر واحد بين ثنايا السيرة الذاتية لأولو عارف جلى ، وما دام الأمر كذلك فإن كلمة اسم الجلال تخص عصر ما قبل شمس ، أو أنها تعبر عن تعامل وسلوك هذا العصر ، ومع هذا فإن سلطان العلماء لم يكن من الذين يبينون

السلوك ويوضحونه عن طريق الأسماء ، بل كان من صوفية خراسان ، ومن هذه النظرة فإننا نعتقد أن عرف وتقليد اسم الجلال الموجود عند المولوية ما هو إلا أساس للنصح والموعظة في مواجهة الطرق الصوفية الأخرى كما هو الشأن عند الحمزية . ويُنْتَهَل باسم الجلال على هذا النحو : يجلس الشيخ موليا ظهره إلى المحراب والمقام الأحمر مبسوط أمام هذا المحراب ، ثم يجثو الشيوخ والمحبون والمريدون على رُكْبِهِمْ وهم على شكل حلقة مستديرة ، ثم يجلس الدرويش قبالة الشيخ تماما وهو يقبل عنق سُبْحَة ذات حبات ضخمة يحملها في أكمامه ويقدمها إلى الشيخ ، ثم ينثر السبحة في الحلقة لتصبح وكأنها منثورة في حلقة كبيرة وكأن حباتها في حجم قبضة الكف ، ثم يهم كل واحد بتقبيل الجزء الذي يأتي أمامه براحتي يديه ثم يمسكها على نحو تأتي فيه راحة اليد إلى الداخل ، ثم يرفع الشيخ عقيرته بصوت عال قائلاً أعوذ بالله باسم الله ، ثم يشرع كل من في الحلقة ذاكرين اسم الله في معيته ، وفي المرة الأولى يذكر اسم الله ثلاث مرات بهجائين اثنين اثنين وشد مقدار من النفس ، ثم يذكر الله بصوت ثقيل ذي نغمة موسيقية خفيفة بين هذين الهجائين ، وبعد ذلك يذكر كلمة (أل) مشددا فيها حرفي الألف واللام ، وبعد وقفة موسيقية يذكر كلمة "لاه" وهو يشدها بهجاء قليل ، وخلال هذين الهجائين الاثنين ينهض ويحرك الجسم والرأس بخفة ، ثم يعود إلى الحالة الطبيعية في نهاية الهجاء ، ولا يدير الجسم والرأس ناحية اليمين واليسار ، وكلما أسرع الذكر تكرر النغمة الموسيقية بين كلمة الله والهجائين الاثنين ، وحيثئذ تشتد حركة الجسم إلى أعلى وإلى أسفل ، ولا يبقى مد في الهجاء وتكون الكلمة في النهاية في صوتين شديدين مفتقدة الحروف .

ولا وجود للعد في هذا الذكر ، وعندما يرى الشيخ أن الذكر كاف فإنه يشد كلمة "الله" في تطويل ويقول " الله أكبر أعظم كبير ، والحمد لله حمدا كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، وصلى الله على أشرف نور جمع الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين " .

وبعد الدعاء يقول كل من في معية الشيخ " هو " بمقدار نفس ، ثم ينهضون معه بتقبيل الأرض ، ثم يمشي الشيخ على مهل ويأتي إلى منتصف الحلقة وهو يطأطيء

الرأس محييا ، ويقول فى نفس الوقت " السلام عليكم " ، وقبيل الدعاء ينهض الشيخ المشرف على الذكر أو الدرويش الذى جلب السبحة فيقبل الأرض ويجمع السبحة ويأخذها ثانية فى أكمامه ثم يمر قبالة الشيخ ، أما من هم فى أطراف باب الحلقة فيفتحون الطريق منسحبين قليلا إلى أحد الجوانب ، وعندما يلقي الشيخ السلام فى منتصف الحلقة يهم جالب السبحة فيرد سلام الشيخ مثلما يفعل فى قاعة السماع ، ثم يرتد الشيخ عائدا إلى باب المسجد وهو يطأطئ رأسه محييا ، ويأتى من هم فى معيته على نفس الشاكلة ، وبعد ذلك يخرج الشيخ من قاعة السماع والمسجد كما سبق أن خرج من الميدان .

إن ما يفعله دراويش المتصوفة من تمزيق الثياب بغية إظهار الوجد ، وكذلك الميل إلى الصياح والصراخ وإلقاء أنفسهم على الأرض ، كل هذا يسمى "تواجد" ، وهذا يعنى تعمد الإتيان بحركات وأفعال تحدث الوجد فى حالة عدم وجوده ، وكل هذه الأشياء متكلفة مصطنعة مزيفة تناقض الأدب عند المولوية ، ولأجل هذا يبدأ اسم الجلال بالأدب وينتهى على هذا النحو ، وعند الانتهاء من اسم الجلال الذى يدعى به بعد صلاة الصبح يشرع الدرويش فى الدخول إلى الميدان .

ويتعذر أحيانا عقد مجلس الذكر إما لعدم وجود شخص يديره أو بسبب مرض الشيخ أو رئيس عازفى الطبل أو لسبب آخر ، وحينئذ يكون الدعاء باسم الجلال وأردا فى تلك الليالى المباركة .

إن تلقين الذكر حق للخليفة ، أما من ليس له خليفة من الشيوخ فإنهم لا قبل لهم بتلقين الذكر للسالك ، ويمنح الذكر لمن يرغب من المحبين مثلما يمنح للشيوخ .

يُحضر المشرف على الذكر الشخص الراغب فى تلقين الذكر فيأتى به إلى الشيخ حيث يجثو على ركبتيه أمامه ، ثم يقول الشيخ فى الأذن اليمنى للسالك "فاعلم أنه لا إله إلا الله" ، الله ، الله ، الله ، " ، ثم يعلمه بعد ذلك أصول الذكر وقواعده ثم يبدأ بعد ذلك إحصاء الذكر ، بيد أنه لا يبلغ مقدار بضعة آلاف كما يقول "رسوخى" .

(٣) عين الجمع :

كلمة "جمع" تقابل عند الصوفية كلمة "فرق" التى تعنى المعرفة المتميزة والرؤية القائمة بذاتها للخلق عن طريق الله ، أما الجمع فيعتبر كل الوجود مظهرا للوجود المطلق ومعرفة كون الوجود المطلق واحدا ظاهرا للعيان من خلال تلك المظاهر، وتكون الكائنات ساعتئذ مشاهدة بهذه العين ومرئية رؤية عيان ، أما جمع البقاء فيعنى أنه من مقامات الوجود . فالسالك فى أول الأمر يرى سائر الأشياء من صنع الله ويدرك مليا أن ظهور الشئ بصورة متغيرة يكون بحسب المظهر ويسمى هذا "توحيد الأفعال" ، بعد ذلك يشعر بظهور الأشياء والصفات ثم يدرك أن هذه الأشياء والصفات تبرز فى صورة متباينة متغيرة بحسب درجة واستعداد المظهر ، ويسمون هذا كذلك "توحيد الصفات" ، وفى النهاية فإنه يبلغ الحقيقة من جهة ظهور الذات وكيئونة الصفات ، وليس ثمة شئ آخر سوى الذات ، ويطلقون على هذا المقام كذلك "توحيد الذات" ، والسالك فى هذه الحالات الثلاث يبلغ درجات ثلاث وهى "العلم - الرؤية - الكيئونة" ، ويكون الوجود عنده هو الله ، وكل موجود هو مظهر له .

إن الوجود المتوهم ينمحي ويزول فى الوجود الحقيقى ، ومن هذه النظرة تسمى الحالات الثلاث "الفناء" "YOKLUK" ولكن يتوجب الرجوع إلى الوداء بغية إتمام السلوك والمجئ إلى العالم أولا بذات الله ثم بصفاته ثم بأفعاله ، كما يلزم كذلك معرفة الله حق معرفته متمثلة فى صورة الخلائق ، وتسمى هذه الحالات الثلاث بمقامات "البقاء والوجود" ، وعندما يتم الجمع ونعنى به مقامات البقاء تحدث ملكة السلوك والمعاملة بحسب استعداده ووفق المظهر والرؤية التى تحدث على حين غرة ، وفى نفس الوقت يُعرف الخلق بالحق سبحانه وتعالى ، وعادة ما يكون الجمع مضادا للفرق ، وهذا يعنى أن العارف بالله يشبه معرفة منفصلة قائمة برأسها بيد أنه لما كان الفرق مقترنا بالجمع فإنه يعرف على أنه "الفرق الحمدي" . (انظر مولانا جلال الدين - الطبعة الثالثة ، مراتب السلوك واليقين ، ص ١٦٢ - ١٦٤) . ويقال إن "عين الجمع" هى تحريف لاصطلاح "آيين جمع" التى تشير إلى هذا المقام .

وإذا أمعنا النظر في العلاقة الوثيقة بين الموسيقى و المصباح و الخمر في تلك الأزمنة المبكرة فإنه يمكن القول حينئذ أن تكون لهذه الكلمة علاقة بتركيب "آيين جمع" أى شعيرة الجمع .

وتعقد شعيرة : عين الجمع دائما ليلا ، وتخصص لها حجرة مستطيلة واسعة، ويجهز المشرف على الذكر الليلي الحجرة التى ستعقد فيها هذه الشعيرة "عين الجمع"، وهذا يعنى انه كان يُبسط مقام أحمر اللون مخصص للشيخ قبالة الباب تماما، ويضع ثمانية عشر شمعدانا، تسعة تلو تسعة فى صفين قبالة أماكن الجلوس بدءا من المقام وانتهاء بالباب ثم تثبت هذه الشموع قبيل مجيء المريدين، ويؤكل الطعام عند حلول المساء ، وتقام الصلاة ، ثم يتم الذهاب إلى حجرة "عين جمع" حيث يدخل الناس واحدا تلو الآخر إلى أماكنهم فى تحية وسلام وهم وقوف واضعين إبهام القدم اليمنى فوق إبهام اليسرى ، وفى النهاية يأتى الشيخ وهو مطأطئ الرأس عند الباب محييا ، ويهم المريدون الذين فى معيته فيطأطئون رؤوسهم محيين ، ثم يسير الشيخ رويدا رويدا ذاهبا إلى مقامه ، بينما يجلس موليا وجهه شطر المريدين الذين يجلسون فى نفس الوقت ويغشون على الأرض مطبقين عليها فى معيته متضرعين بالدعاء وهم للأرض مقبلون ، ثم تأتى القهوة وتحتسى ، وبعد جمع الفناجين يشرع رئيس عازفى الناي فى تقديم مقطوعة موسيقية يبدأ بعدها فى تلاوة الشعيرة الدينية من أى مقام كان .أما من يريدون ممارسة السماع فإنهم يمارسونه ممسكين بصارية فى ساحة واسعة تقع بين الشموع وهم يلقون التحية أمام الشيخ ، ولا تلبس التنورة فى هذا السماع ، كما أن فتح الكم شئ نادر الحدوث . وبعد انتهاء الشعيرة يلهج الشيخ بدعاء "عين الجمع".

وبعد هذا الدعاء يجلس كل واحد جلسة القرفصاء ، ثم ينهضون للمجلس الترسيمى حيث يشرعون فى السمر والمناذمة ، ثم يأتى المشرف على الذكر بفواكه الترسيم فتؤكل ، ثم يتجاذبون أطراف الحديث ويتم توزيع الشربات المعد قبل حين ، ويبدأ المطرب فى الترنم بأنغام عذبة ، ثم تنشد الطقوس الدينية والتراتيل المقدسة ، وهكذا تستمر الموسيقى والمسامرة حتى الصباح ، فإذا ما أذن لصلاة الصبح يقول

الشيخ " الفاتحة " ، ينهضون بعدها واقفين خارجين من الميدان ومن قاعة السماع ثم يدخلون المسجد .

توجد كلمة " عين جمع " كذلك عند البكتاشية ، وهذا يعنى أن المنتسب إلى الطريقة والمشاهد للميدان مبتدئ في ممارسة الطقوس والشعائر الدينية ، وهم يطلقون على هذه الشعيرة "عين جمع" ويعنون بها تلك الليلة التي يشرع فيها المتصوف في ممارسة الشعائر والطقوس الدينية ، كما يطلقونها كذلك على الشعيرة الدينية التي تقام عقب وفاة أحد الأشخاص ، وعلى هذا فإن "عين جمع" تعد من الاصطلاحات المشتركة بين البكتاشية والمولوية ، فهي عند المولوية كما فهمنا من الدعاء آنف الذكر أنها شعيرة تعقد من أجل المرشد أو عقب وفاة شخص ما ومن أجل النشوة الصوفية ومجالس المنادمة والمسامرة بصورة مباشرة ، وتتغير الألفاظ بحسب ما يرد في الدعاء .

يتسنى للمحبين الاشتراك في شعيرة "عين جمع" ، فإذا ما رغب أحد المحبين في الاشتراك في هذه الشعيرة فعليه تقديم نفقات المطبخ والفاكهة والشربات والقهوة ، ويتسنى له عقد هذه الشعيرة شريطة تقديم الهدايا إلى كل من الشيخ و دراويش الطريقة ، كما كانت توجد كذلك أشياء موقوفة على التكايا من عام إلى آخر من أجل عقد شعيرة " عين جمع " ، وعلى سبيل المثال فإن "حالت أفندي" كان يؤجر حديقة في "اسكودار" وأخرى في "طوبخانة لى أوغلو" من أجل عقد شعيرة عين جمع ليلا ونهارا ، وكان شيوخ و دراويش المولوية ينضمون إلى هذه الشعيرة حيث يقدم مقدار من المال إلى كل من الشيوخ والمريدين ، وتدفع نفقات القارب جيئة وذهابا ، وتقدم ثمرة الكرز إلى المنضمين إلى هذه الشعيرة ، ويوضع كل هذا ضمن شروط الوقف الذي اضطلع به في التكية المولوية "قولة قابى" (سنة ١٢٣٧هـ) وكان أحد الولاء ويدعى "حفظى دده باشا" يعقد شعيرة "عين جمع" كل عام في تكية "ينى قابى" ، كما كانت هذه الشعيرة تعقد كذلك فى أى بيت من البيوت .

(٣) أسس وقواعد الصوماط ^(١) (مائدة الطعام) :

تحدثنا عن قدسية المطبخ عند المولوية ، ويندرج الطعام ضمن هذه القائمة وإن طهى الطعام وغرفته وأكله يتبع شعائر وطقوسا خاصة .عندما ينضج الطعام يفتح الشيخ الوقاد غطاء الرجل ، وينزل المريدون الأطباق على الأرض .تمد الموائد فى المطبخ عندما يحين وقت الطعام ، ثم توضع المقاعد حول المائدة ، ثم تبسط منشفة طويلة حول كل مائدة .وثمة مريدون يضطلعون بخدمة تقديم الماء، ويجهزون الأكواب والجرار ، ثم يؤتى بالملاعق وتكون مقابضها جهة اليمين ، ويصطف كل فرد أمام المائدة شريطة أن يطأطأء رأسه إلى الأرض ، وهذا يناقض أصول وقواعد الطرق الصوفية الأخرى الذين يضعون الملعقة مفتوحة ، وتوضع قبضة من الملح أمام كل فرد . تكون المائدة خشبية مستديرة مرتكزة فوق كرسي ذى ثلاثة أرجل ، وبعد الاضطلاع بسائر الخدمات والفراغ من تفريغ الطعام يهم أحد المريدين فيصيح بصوت جهورى وهو يطأطأء رأسه محييا فى كل ممرات الحجرة قائلا "هو" ، هيا إلى المائدة " ، وهى دعوة عامة ، وتكون لبضعة أيام بحسب أماكن الحجرات وعددها . يدخل كل واحد إلى المطبخ تلو الآخر مطأطئين الرأس محيين ، وعندما يأتى الشيخ فإنهم يجلسون سويا متحلقين حول المائدة ، ويبدأ الطعام بالملح وينتهى به كذلك ، ويبل كل واحد سبابة يده اليمنى بلسانه ويغمسها فى الملح الذى أمامه ، ويبدأ الطعام متذوقا إياه . ويؤكل الطعام من طبق واحد ، لاسبيل إلى الحديث أثناء الطعام ألبتة . فإذا ما أراد أحد الماء فإنه يشير إلى المريد المنتظر وهو فى وضع التحية واضعا إبهام رجله اليمنى فوق اليسرى وفى يده جرة الماء والكوب ، وما يلبث هذا المريد أن يصب الماء فى الكوب ثم يصبه لمن يريد شربة ماء .

ويتلاقى المريد مع الكوب ، ومعنى هذا الالتقاء هى أن يشرب الماء مقبلا الكوب ، ثم يسحب شارب الماء يده من فوق المائدة فى أثناء شرب الماء وفى الطرق الأخرى لا ياكلون لقمة واحدة عند شرب الماء ، أما من فى أفواههم لقم فإنهم لا يبلعونها أو يبلعونها دون إظهار ما يفعلون ، وإذا ما أحضر لقمة إلى فمه فإنه يترك المائدة ساحبا يده من الطعام ، ويقدم شارب الماء الكوب إلى الساقى الذى يلتقى بالكوب على

نفس الشاكلة ، ويقول شيخ الطريقة أو رئيس الطهارة أو واحد من قدامى الشيوخ إلى شارب الماء "إنه لشيء حسن جميل" ، ثم يحييهم ، ويبدأ الأكل مرة ثانية ، ويتوقف الكلام المتفوه به في أثناء الطعام باستثناء الذكر في الأكل ، وفي نهاية الطعام ينشد شيخ الطريقة أو شيخ الطهارة هذا البيت داعياً بهذا الدعاء "نحن صوفية في الطريق أكلون الطعام على مائدة السلطان . فأدم يا ربى هذه السلطانية وهذه المائدة" .

ويُدعى هذا الدعاء غالباً عند إتيان الأرز ، وعند استهلال الدعاء توضع الأيادي والأصابع مثنية على حافة المائدة وهي ممسكة بها ويؤكل الأرز عقب الدعاء ، ثم ينحني الشيخ على حافة المائدة مطأطئاً رأسه محيياً ، ثم ينهض الحاضرون واحداً وراء الآخر راجعين إلى الباب خارجين من المطبخ وهم يطأطئون رؤوسهم محيين ، ثم يؤتى بالطست والإبريق دون أن ينهض من موضعه ، ويصب واحد الماء ويمد الآخر المنشفة من وراء ظهره ، وبعد ذلك ترفع مائدة الطعام . يسمى المولوية الطعام "لقمة" ، بيد أنه يوجد أرز يسمى اللقمة الخاصة يطهى الأرز بالحمص والبصل والجزر والكستناء وهو الأرز البلخي الأوزبكي . وعلى كل حال فقد ظل هذا عرفاً متبعاً منذ عصر مولانا ، وحرى بنا أن نسجل في هذا المقام ما يأتي :

لقد دخل كل شيء إلى مطبخ المولوية ما عدا السمك الذي كان من الأشياء المحرمة ، وقد سجلنا في مناسبة سابقة بأن السمك لا يطهى ولا يؤكل عندهم ، ويسجل الشيخ حسن فخر الدين دده شيخ التكية المولوية في "بهارية" هذا التحريم في إحدى دورياته على هذا النحو قائلاً "منع أهل السلوك مؤقتاً تناول لحم كل ذي روح ، وهذا عرف مخصوص بأيام الرياضات الروحية . إن تناول السمك يحول دون تصفية الفؤاد ، وقد أفتى الحكماء بعدم تناول لحم السمك ، وهذا الكلام مصدق عند الصوفية والطائفة الإشراقية ، ويمنع طبخه في المطبخ الشريف للتكية المولوية ويدخل في ذلك أيام الرياضات الروحية" .

يوجد عند المولوية كذلك مائدة من الجلد تسمى "ألف صوماط" ، ولما كانت هذه المائدة رقيقة طويلة فإنها سميت بهذا الاسم لشبهها بحرف الألف الموجود في الأبجدية العربية ، وتبسط كلها بالطول في الميدان أو المطبخ ، وكان المريدون يجلسون

حول أطرافها متقابلين ، فإذا ما رفعت المائدة تمسح بقطعة من الكتان ذات صابون ثم تجفف وتطوى ككفافة الورق ، ولدى البكتاشية مائدة الألف الصغيرة، وهى من أمانات الخلافة التى تمنح للخليفة، ويوجد فى هذه الموائد أماكن للملاعق.

(٥) شهر المحرم والطعام :

يعرض مولانا فى الجزء السادس من المثنوى وصفا لحال الشيعة الذين ينوحون حزنا وحسرة وأسى فى اليوم العاشر من شهر المحرم على باب أنطاكية وحلب ، وفى تلك الأثناء مر عليهم شاعر غريب فسألهم قائلا لماذا تبكون وتنوحون؟ ثم يشرح سبب هذا بقوله إنهم يفعلون هذا بسبب استشهاد الإمام الحسين ، إن ما يتفوه به الشاعر هو عين الصواب ، ولكنه يقول : أين أنتم من عصر يزيد بن معاوية؟ لقد رأى العُميان ما ارتكب من الأفعال القبيحة وسمع بها الصم ، إلى أى حد ورد هذا الخبر إلى حيث هنا متأخرا ، فالإمام الحسين والشهداء كانوا سلاطين الدين ، هل حطموا القيد وجاء عصر البهجة والسرور إلى هؤلاء ، وإذا لم تعرف هذا أو تدرك كنهه فابك على نفسك وتوجع واحزن على قلبك الخرب اليباب وعلى دينك المنهدم الحطام وأنت لا ترى شيئا سوى التراب القديم (ترجمتنا للمثنوى ، إستانبول ١٩٤٦ ، ص ٦٥ - ٦٧) .

إننا ندرك هذا من جميع أفعالهم وليس من كلامهم فحسب ، وقد فصلنا القول غير مرة بأن مولانا ليس من أولئك الرجال يتمذهبون بمذهب أو دين ، ثم نستطرد فى حديثنا موضحين هذا الأمر بجلاء فنقول :

لقد كانت الطرق الصوفية من العلوية والبكتاشية يعدون المحرم شهر مناحة وأحزان وعاشوراء هو اليوم العاشر من شهر المحرم ، وكان فى معية الحسين مائة شخص وطائفة من الأطفال تتراوح أعمارهم ما بين الحادية عشرة والثانية عشرة ، وطفل آخر يرضع اللبن عمره ستة أشهر ، ولم يقبل الحسين بيعة يزيد واستمسك بشعوره السامى الذى لا ينهزم وقوة عقيدته التى لا تلين ، ومن ثم فإن أنصار الحسين سقطوا شهداء من الصباح حتى المساء فى مواجهة جيش ينيف عدده على

ثلاثين ألف رجل ، وبات هذا الحدث العظيم مصدرا للشعر والحزن والحداد والتوجع ،
وتسليية لمناصري أهل البيت ومن يعتمدون على الشيعة ، وبعد استشهاد الحسين
بخمسة سنوات تقريباً (٦٨٤ م) ثار الشيعة متمردين ثائرين ليثأروا لفاجعة كربلاء
، وأخذت طقوس التعزية المدامة تعقد في شهر المحرم وفي اليوم العاشر منه على
وجه الخصوص . وكانت هذه المراسم والطقوس تصطبغ بصبغة الدعاية الخالصة ،
وفي مقابل هذا كان الأمويون وأشياعهم يعتبرون يوم عاشوراء يوماً مقدساً . ويوافق
هذا اليوم عدة أحداث منها :الصفح عن خطيئة النبي آدم عليه السلام وصعود النبي
إدريس إلى السماء وخروج النبي نوح من السفينة ونجاة النبي يونس من بطن الحوت
وعبور موسى البحر مع بنى إسرائيل ، وخلق الله في هذا اليوم السماوات والأرض
والقلم واللوح وجبريل والملائكة وأدم ، ونجى جميع الأنبياء من الكرب ، وهذا اليوم هو
اليوم الذى أمطرت فيه السماء لأول مرة، وثمة عادات أخرى تناسب هذا اليوم ولها
عند الله أجر وثواب عظيم ومنها التزين والاكتحال وإطعام الطعام للأهل والعيال ،
والإحسان إلى الفقراء والمساكين وإدخال المسرة عليهم ورعاية المرضى ، وللصائمين
فيه أجر عظيم .هكذا كان اليوم العاشر من المحرم بمثابة يوم عيد ، وللقوف على
سمو قدر يوم عاشوراء والأحداث التى توافق هذا اليوم (انظر : السيوطي: الليالى
المصونة فى الأحاديث الموضوعة - محرر الطبعة الأدبية - ١٣١٧ هـ - ج ٢، ص ٦١ -
٦٤). وثمة عقيدة شائعة ذائعة بين الناس تقول إن النبي نوحاً عليه السلام هبط من
السفينة فى هذا اليوم وطبخ لهم طعاماً يسمى (حساء السلامة) ووضعه فى مرجل
كى يكون لهم طعاماً فى السفينة ، ويسمى هذا الطعام "السبع حبات " ، ويضع
بخليط من الشعير والحمص والفاصوليا والفول بالإضافة إلى السكر ، وهذا هو
أساس عادة طهى العاشوراء ، ومما لا مرية فيه أن هذا اليوم يوم عيد وعقيدة دينية
مقدسة ، ولهذا السبب فإن الشيعة يعتبرون طبخ العاشوراء من قبيل البدعة ، بيد أن
طهى العاشوراء بيد أصحاب الطرق ممن يضطلعون بالترويج للشيعة قد بات وسيلة
يتوسل بها إلى المتاحاة والأحزان ، وتطهى العاشوراء فى التكايا فى العاشر من
المحرم أو بعد العاشر حيث تنتشد المراثى فى تلك الليلة ويتم النواح والبكاء والعويل
ويحرك المرجل بطقوس خاصة .

كان مولانا أرفع وأسمى من قيود المذهب ، ومن ثم لم يكن رجل طريقة أو مؤسساً لطريقة وعليه فلم يكن ثمرة شيء من هذا لدى المولوية الأولين ، وتدون السفينة هذا فتقول: كانت العاشوراء تطهى فى مِرْجُل كبير موجود فى تكية "ديوانه محمد جلبى" وتقدم إليه من مقبرة الإمام الرضا، ويسجل "عاشق جلبى" هذا بقوله "كان المولوية يعقدون طقوس التعزية المدامة حيث يجتمعون فى "جعفر آباد" فى السنة التى مات فيها "يوسف سینه جاك"، ويفهم من هذا أن العاشوراء أو الطعام بحسب تعبير أرباب الطرق الصوفية قد انتقلت بعد ذلك إلى المولوية مصطبغة بنزعات وميول علوية. كان هذا الطعام يطهى فى تكايا المولوية حيث يدعى سائر الشيوخ للطريقة لحضور دعوة هذا الطعام المطبوخ على روح سيد الشهداء وشهداء كربلاء ، ويؤكل الطعام كذلك فى هذا اليوم على المائدة، ويطيب ذكر الشهداء مع الإمام الحسين فى الذكر ، وينضم شيوخ الصوفية القادمين لحضور الذكر ودور ولدى ، بيد أنه لاتنشد مرثية ولا تعقد شعيرة أو طقس دينى خاص عند طهى الطعام أو عند إنزاله ، ولهذا السبب فإن المنتسبين إلى الطرق الصوفية الأخرى يعتبرون المولوية متأخرين فى عشق أهل البيت ويقرأ فى كل ليلة باب من "حديقة السعداء" للشاعر "فضولى" وذلك فى جناح الحريم الكائن فى تكايا شيوخ المولوية من أصحاب النزعة العلوية كما هو الشأن عند البكتاشية فى الليلة الحادية عشرة من المحرم، وتختتم حديقة السعداء فى تلك الليلة الحادية عشرة ، ثم يُشرع فى البكاء والنواح والعيول .

(٦) المخالفة فى الرحلة :

تعد السياحة بين أرباب الطرق الصوفية من مبادئ وأسس السلوك المولوى، ويوجد اقتناع بتجلية وإظهار شيء من السياحة والترحال لمن ينتسبون إلى هذا السلوك ، ورغم أن هذا الاقتناع هو شيء لا أصل له ، فإن كلا من أولو عارف جلبى وأمير عابد جلبى وأمير عالم جلبى وفى معيتهم ديوانه محمد جلبى ورجاله المسمون

بالشموس، كل هؤلاء جميعاً قد اضطلعوا فى صورة محكمة متقنة برحلات وسياحات مولوية، حيث كانوا يطوفون ويجولون وينشرون الطريقة، ويذيعونها، ويوجد عند المولوية كذلك ما يسمى "seyyah vermek" أى قضاء فترة من السياحة والترحال، ولكن لالعلاقة لها بالسلوك ألبتة إذ تحمل بين طياتها صفة العقوبة والجزاء، وإذا ما وجد أى مريد مطبخاً أو شيخاً مضطلعاً بفعل مناهض للطريقة مناقض لها فإنه سرعان ما يعاقبه الشيخ بالوقوف مدة على قدميه أو ممارسة الرياضات الروحية حيناً من الزمان، أو يغشى على الأرض بضعة أيام، وتوقع هذه العقوبات إذا لم تتبدل حالته ويثوب إلى رشده بعد التنبيه والتحذير، ومع كل هذا فإن الدرويش لا يأتى بنفسه بل يوقف ويضرب فى الميدان أو فى قاعة السماع أو قبالة شاهد قبر، ويكون الوقوف أمام شاهد القبر على النحو الآتى: يضع الدرويش يديه فى صورة متقاطعة على صدره ثم يضع إبهام قدمه اليمنى فوق إبهام اليسرى فى وضع أداء التحية، ثم يأتى الشيخ الوقاد بسوط طوله متر ذى عصاة غليظة فى طرفه، ويضربه بالسوط على ظهره تسع جلادات أو ثمانية عشر جلدة فى أغلب الأحيان، ويشترط عند الضرب بالسوط أن يكون مرفق الضارب غير منفصل عن جسده، وبهذه الصورة لا يتأذى المريد من العصا المضروب بها، وهذا يعنى أن هذا الضرب ليس بضرب فى حقيقته، بل هذا إنذار وتحذير وعند تكرار الجرم يتوجب أن يأخذ العقاب صفة التشهير والشدة، ويحضر هذه المراسم سائر الشيوخ الآخرين، وإذا ما توجب تشديد العقوبة آنذاك تؤخذ قلنسوة الدرويش وخرقته، ويظل الدرويش مدة بقلنسوة اللباد دون خرقه، وتكون مدة التجرد والتعري ثمانية عشر يوماً، فإذا ما أذنت المدة بالانتهاء يذهب الدرويش فى معية الشيخ المشرف على الذكر إلى حضرة الشيخ فيجثو قبالة على ركبتيه، ويعطى الشيخ المشرف على الذكر الخرقه والقلنسوة للشيوخ، ويهم الشيخ بدوره فيلبس القلنسوة فى رأس الدرويش مع التأكيد على التنبيه والتحذير اللازم، ثم يضع الخرقه فوق ظهره مكبراً .

أما الدرويش الذى حظيت قلنسوته وخرقته بالتكبير فإنه يقدم نفقة المطبخ حسب سعته وقدرته، أو يضطلع بترتيب شعيرة "عين جمع" يصنع الطعام والحلوى للمريدين

وإذا عَظُمَ الجرم أكثر وأكثر وتكرر مرة تلو أخرى فإن الوقاد حينئذ يخبر المشرف على الذكر أو يؤخذ بالدرويش أول الأمر إبان خروجه من الميدان الشريف عند الصباح ويضع الخرقة فوق ظهره وتكون نعلاه مناقضة لأصول الطريقة حيث تتغير وتحول لتكون أطراف نعليه قبالة الباب. أما الدرويش الذى يرى هذا الوضع فإنه يرتدى نعليه دون اعتراض ثم يمضى خارجا مقبلا العتبة ذاهبا إلى حجرته ليأخذ متاعه، وإذا كان فى إستانبول فإنه ينتقل إلى زاوية أسكودار من أجل مشاهدة إعداد الطريقة وتهيئتها ، ثم يلجأ بعد بضعة أيام إلى تكية أخرى، أو يذهب إلى موضع آخر ، وإذا لم تقدم له قلنسوته فإنه يذهب إلى قونية ليشرح غصته إلى جلبى ، ويطلق على أخذ القلنسوة والخرقة اصطلاح "كون الشخص مخالفا عاصيا"، وعلى الفعل المسبب لهذه العقوبات "المخالفة".

كانت أقصى عقوبة هى ما يسمى "سربا التملك" وهو اصطلاح فارسى يأتى فى التركى بمعنى "من رأسه حتى أخمص قدميه" أو يكون المعنى مجازيا أى أن الدرويش يكون بلا رأس أو قدم فلا وجود له ألبتة، وعندما يكون ذا رأس و قدم فإنه يصير حينئذ متزمتا بالوجود المتوهم ويخرج من الطريقة ، وربما يكون معنى "سربا التملك" أن رأسه قد أصبحت قدما، وهذا يدل على أن الرؤوس التى تحمل التيجان قد أُلقي بها تحت الأقدام ، وعلى كل حال فإن معنى "سربا التملك" تعنى خروج الدرويش من الطريقة بصورة مؤقتة أو على سبيل التأييد. تؤخذ قلنسوة وخرقة الخارج على الطريقة ، ثم يؤمر بالقيام بالرحلة ويكتب هذا فى مقام الشلبية، ثم يُقبل فى الطريقة ثانية بتوجيه من جلبى نفسه، ولكن موافقة الشيخ شرط فى هذا القبول. أما من يكون مشغولا بقضاء فترة التعبد والتزهد فيعفى من هذه الرحلة ، فإذا ولج الطريق فإنه يتوقف عن قضاء فترة التعبد والتزهد ثم يشرع فى أداء الخدمة من جديد. لا جرم أن هذا النظام الصارم وطريقة العقوبة الرادعة تتحكم فى ضبط أفعال تتسم بالفوضى وتفتقر إلى النظام ، ومن ثم فلا سبيل إلى الرجوع إلى الحكومة ألبتة ، فالرجوع إليها يعد من باب المخالفة .

٧ - أوراد المولوية :

كلمة "ورد" تجمع على أوراد وتأتى على معانٍ متباينة ، ومن هذه المعانى ما يضطلع به الإنسان من قراءة جزء معين أو سورة أو آيات معينة من القرآن الكريم ، ثم أطلق أرباب الطرق الصوفية بعد ذلك هذه الكلمة على الأشياء المرتبة المعينة والتي تتمخض عن الأدعية المنظومة والمنثورة والأحاديث المقترنة بالآيات وذلك فضلا عن الصلوات والشهادة والتوبة . وثمة أوراد تخص كل طريقة وتنسب هذه الأوراد إلى شيخ الطريقة ، ويقرأ السالكون الأوراد فى وقت معين مستأذنين بشيوخهم ، ويكون هذا عقب صلاة الصبح فى أغلب الأحوال . يقول مولانا فى المثنوى "إن من يترك الورد يلق الشدائد ويهوى فى المصائب والملمات" . (ترجمة المثنوى - ج ٣، بيت ٢٤٨)، وله رباعية يقول فيها "اعلم أيها الإنسان العاقل علم يقين ، ويا أيها الإنسان العاشق أنه لا سبيل إلى المسلم أن يكون فى مذهب العشق كافرا ، فالبدن والإيمان كلاهما ثاويان فى العشق ، وإن العقل والقلب والروح ليسوا موضوع بحث أو مناقشة وإن الشخص الذى لا تصيبه هذه الحال لا يكون شخصا عاشقا على أى نحو من الأنحاء" .

فالعاشق لا يكون دون ورد أو ذكر حتى أنه لا يستغنى عن الكفر والإيمان ، أما مولانا الحرفان من المستحيل عليه الاعتقاد بأنه سيكابد ويكافح بمثل هذه القيود وعلى كل حال فإنه توجد كذلك فى أوراد المولوية الأشياء التى يقرأها مولانا ، بيد أن مولانا لم يكن رجلا مقيدا بقيد معين أو بقراءة فى وقت محدد بصورة منتظمة مرتبة ، أما الأوراد المولوية المحققة الثابتة فهى بعض الأدعية المسموعة من مولانا والألفاظ المقتبسة من أوراد المنتسبين إلى الطرق الصوفية الأخرى ، ونشأت هذه الأوراد من الأماديح وضروب الثناء التى أضافها أكابر المولوية وأقطابهم ، ثم رُتبت ونُسقت بعد مولانا بوقت طويل وإذا كان هناك شىء قد حدث عقب أولو عارف جلى إبان عصر الشلبيين الأولين فإننا وجدنا قيدا عند أفلاكى ، بيد أن أفلاكى يروى عن مولانا أنه كان يقرأ الحديث الشريف الذى يقول "رب اجعل فى قلبى نورا وفى قبرى نورا ومن أمامى نورا ومن ورائى نورا وعن يمينى نورا وعن شمالى نورا ، ومن فوقى نورا ومن تحتى نورا وفى أذنى نورا وعينى نورا وشعرى نورا وجلدى نورا ولحمى

نورا ودمى نورا وعظامى نورا ثم يقول "لا تخش أحدا إلا الله ، وهو المعبود الذى يلاذ به فى كل ملمة ومصيبة ، ونشكره على كل النعم ، وانزه الله عن صفات النقصان ، وعندما أسمع وأرى شيئا مدهشا عجيبا ، وأستغفر الله وأتوب إليه عندما أقترف ذنبا حسبى الله فى وقت الشدة ، وأعتمد عليه وأتوكل عليه ، نرجع إلى الله عند المصائب ونعتمد ونتوكل عليه فى القضاء و القدر (٧٥) وهذه الألفاظ هى من أورد المولوية (النسخة المطبوعة فى سنة ١٣٢٦ هـ ، ص ٥٠ - ٥٢).

ونرى كذلك أن الدوريات التى تضم بعض الأوراق قد قسمت أورد مولانا إلى قسمين اثنين هما: الأورد الكبيرة والأورد الصغيرة ، أما ما ورد فى بعض الدوريات فلا وجود فيه لمثل هذا التصنيف ويوجد فى القسم الثانى من الأورد الأسماء الحسنى مقترنة بالأدوار النقشبندية (إستانبول ١٢٨٥ هـ - مطبعة قصيرلى صالح ، ص ٣٤ - ٣٥) ، كما توجد هذه الأسماء الحسنى فى أورد الطريقة الرفاعية (خوجه زاده شيخ طاهر: منهاج المريدين ، مخطوطة فى حوزتنا ، ١٣٠٠ هـ). ولها وجود كذلك فى أورد الطرق الصوفية الأخرى ، ولكن الأدعية المقترنة بالسور القرآنية الموجودة فى الأورد المولوية لها ذكر كذلك فى أورد الطرق الصوفية الأخرى ، وكل هذه الأدعية تفصل لنا بجلاء تام كيف نشأت الأدوار المولوية وظهرت إلى حيز الوجود.

وثمة آيات قرآنية متفرقة فى الأورد المولوية ، منها آية الكرسى (البقرة آية ٢٥٥) ، وسورة ياسين وسورة الليل وسورة الضحى وسورة التين وسورة البينة وسورة الزلزلة ، وسورة الكوثر وسورة الكافرون والفاتحة والآيات الخمس الأولى من سورة البقرة ، وتذكر فى بعض دوريات الأورد أسماء النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - قبل الأدعية الموجودة فى الحواشى الأخيرة للدوريات ، كما يرد فى بعض الدوريات الأورد أسماء الأئمة الاثنى عشر لتحل محل أسماء الخلفاء الأولين (أبى بكر وعمر وعثمان) ، ويلحق بها كذلك غزلية "نادِ علياً" (٢). ويتبين لنا من هذا أن الميول والنزعات العلوية قد ظهرت بطريقة مباشرة لا لابس فيها .

٨ - كيف كان يستقبل السلطان القادم إلى التكية :

كان هناك وقت يأتى فيه السلطان إلى التكايا المولوية ، وكانت التكية تعلم بمقدم السلطان عن طريق أحد مساعديه ، وما يلبث أن يخرج كل من الشيوخ والمشرف على الذكر لاستقبال السلطان على باب التكية وهما يرتديان الخرقة الرسمية، وفى يد الشيخ البخور ، وعندما يدخل السلطان إلى حجرة الشيخ الكائنة بجناح الرجال يقدم المبخرة إلى المشرف على الذكر ثم يلتقى بالسلطان ، ومعنى هذا الالتقاء هو أن يمسك الشيخ يد السلطان ويقربها إلى فمه وهو ينحن قليلا، وسرعان ما ينحن السلطان فى نفس اللحظة ، ثم يشرعون فى تقبيل أيادى بعضهم البعض ، ثم يجلس الشيخ مع السلطان ، وبعد ذلك يكون المشرف على الذكر واقفا بإزاء الباب وهو ينتظر فى وضع التحية . ولا وجود لبعض العادات المألوفة مثل تحية شيوخ المولوية السلطان وهم على الأرض ، مثل جلوسهم بأمر من السلطان كما تقضى بذلك مراسم تشريفات القصر.

يدخل السلطان قبيل الذكر بتوجيه المشرف على الذكر إلى حيث المنصة الخاصة بالسلطان الموجود فى قاعة السماع، ثم يأتى بعد ذلك بتوجيه نفس المشرف إلى حجرة الشيخ ، وعند مغادرة السلطان التكية يخرج المشرف على الذكر لوداعه بالمبخرة حتى باب التكية.

(٩) الموت والدفن وليلة العرس :

أزال المولوية خشية الموت من نفوسهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، والموت عندهم هو معانقة الحبيب للحبيب، وهو نزع القميص الذى يحول دون الوصال، إنه الارتحال من عالم إلى آخر . وكان دعاء اسم الجلال يُتلى بإزاء المريض الذى ثقلت عليه وطأة المرض . ولسوف نوجز فى هذا المقام التفصيلات الواردة فى دورية "احتفالى ضياء" والخاصة بوفاة "عبد الواحد جلبى" : "اشتدت وطأة المرض على جلبى المريض فى القصر الكائن بمنطقة "مرام" ، وذلك فى يوم الأربعاء الثانى عشر من شهر

سبتمبر لسنة ١٣٢٢ هـ - ١٩٠٧ م، وكان دعاء اسم الجلال يتلى على نحو متصل في هذا اليوم ، وذات ليلة وبعد ساعة من الغروب بالتوقيت التركي "دخل إلى جانبه بعض الدراويش في معية رئيس الطهارة وصلاح الدين دده الذي شرع في تقديم اللبن والماء له، بيد ان جليبي قال له: لا ضرورة لذلك، ثم أمر بقراءة دعاء اسم الجلال في معية الجالسين حوله وجلسوا قبالة الفراش وطفقوا يتلون دعاء اسم الجلال. وعلى حين كان يرتل هذا الدعاء في معيتهم قال له رئيس الطهارة على حين غفلة: إننا سائرون، وفي الحق فإنه توقف فجأة بعد مدة، وعندما دخل الدراويش "صبرى" إلى جانبه أدرك مغزى سيره وتم تجهيزه وتكفينه في صباح يوم الخميس، ثم حمل من منطقة "مرام" في جمع غفير من الناس في الساعة الثالثة قبيل الظهر ووصل إلى قونية في الخامسة وخرج لاستقبال الجثمان فريق من حكام الولايات والعلماء والأشراف والفرسان، ثم اصطف في المقدمة صفان من الجند ، ووجه الجند مواسير بنادقهم إلى أسفل ، ثم جاءت طائفة أخرى من الشيوخ والمحبين حاملين التابوت ، ثم جرى بالتابوت إلى جامع السلطان سليم في السادسة والنصف مقرونا بدعاء اسم الجلال ، ثم أقيمت صلاة الجنازة عقب صلاة الظهر ثم دفن في قبره . كان المولوية إذا أحسوا أن شخصاً ستدركه المنية أسرعوا من فورهم باستدعاء المطربين وشيوخ المولوية ممن يعلمون الشعائر والطقوس الدينية ويعزفون الطبل والناي، وكان عثمان صلاح الدين دده واحداً من بين هؤلاء. للمزيد من فهم هذا اقرأ في هذا الصدد "مولانا جلال الدين" ولا سيما مراسم الجنازة المتعلقة بصلاح الدين نفسه.

يستحم شيوخ المولوية في حمام المطبخ ، وعند الاستحمام تتلى طقوس المراسم بالاشتراك مع الطبل والناي، وبعد مولانا وبدءاً من "قويومجي صلاح الدين" ساد عرف يقضى بنقل الجنازة مقرونة بعزف النايات وضرب الطبول والدقوف، وتنشد الألحان ويمارس السماع ، أما أنصار الشريعة فكانوا يعارضون هذا بشدة إبان عصر مولانا ، ولكن هيئات هيئات أن يستمع أحد إليهم. إذ أسكتهم جميعاً نفوذ مولانا وتأثيره. وقد سادت غلبة المدرسة الدينية في الأزمنة المتأخرة واقتصرت تلاوة الشعائر والطقوس الدينية وعزف الناي وضرب الطبل عند تغسيل الجثمان وتكفينه ، وإذا كان الجثمان في الخارج فإنه يؤتى به مقرونا بتلاوة ذكر اسم الجلال الذي يتلى على

الجثمان ثلاث مرات فى البداية وبصوت جهورى ، ثم تلف توابيت الشيوخ وال دراويش بخرقهم وتوضع قلانسهم كذلك فوق التابوت وتلبس على رؤوسهم فى أثناء الدفن ، وبعد الدفن يتحلق السالكون على رأس القبر وهم يتلون اسم الجلال مدة خمس دقائق دون عد ولا وجود لتلقين الميت عند المولوية ، ثم تتم مراسم العزاء وإحياء ذكرى الميت فى تلك الليلة بإقامة شعيرة "عين جمع".

كانت هناك ليلة لإحياء الذكرى السنوية لوفاة مولانا بالسنة القمرية حيث تفرش الزرابى والحصير فى صدارة بركة كائنة قبالة حجرة الميدان الموجود فى قونية. وتجتمع الخلائق وتنشد الشعائر والطقوس الدينية وتؤكل الفاكهة وتعقد مجالس السمر والمنادمة، ثم ينعقد مجلس السماع ، ويتلى الدعاء ويختتم بشعيرة "عين جمع"، وتسمى هذه الليلة "ليلة العرس" وتشيع هذه الكلمة بين الناس بمعنى ليلة زفاف العرس ، ثم اتخذت هذا الشكل "ليلة العرس" لتعبر عن هذا المعنى. وإذا ما صادفت الذكرى السنوية لوفاة مولانا فصل الشتاء فإن الاحتفال حينئذ يقام فى حجرة الميدان . وهكذا نرى أن وفاة مولانا كانت بالنسبة إلى المولوية وصالا، وهذه الليلة هى ليلة الزفاف.

(٩) الذهاب إلى الموت :

إن حمل جثمان المولوية مقرونا باسم الجلال كان بمثابة منظر أشد هيبه وروعة من أرباب الطرق الأخرى، ولاسيما من ناحية شكل الدراويش ذوى القلانس والخرق وقد ظهرت عادة متبعة وسنة مألوفة فى الأزمنة المتأخرة تتمثل فى أنه إذا مات واحد من الأكابر والسلاطين أو الشيوخ فإنه سرعان ما يتم إرسال خبر إلى التكايا المولوية، وكان تكرر هذه العادة سببا فى ذهاب المولوية ورجالات الدولة إلى حضور جنازات هؤلاء المحبين من المولوية. وخلاصة القول إن شيوخ المولوية كانوا يأتون فى جنازة كل غنى وعظيم ولم يتسن للمولوية التخلص من هذه العادة، كما كان هؤلاء الشيوخ لا يرضون قط بمقام الشلبيه، وقد انتشر هذا الوضع بين أرباب الطرق الأخرى واستمر على هذا النحو حتى إلغاء الطرق الصوفية.

شواهد قبور المولوية :

كانت جبابين^(٣) المولوية تنبض بالروح والحياة من ناحية الشكل والهيئة والعقيدة الإيمانية، وكذلك من ناحية النقش والزخرف والزينة ونقش الأحجار وتدبيج الأشعار عليها، بيد أنها باتت من يوم إلى آخر بمثابة متحف مضمحل خرب بين أيدينا ، حيث سوى بالأرض وأصابه اليباب والخراب. - ويمكننا لو تسنى لنا العثور عليها - أن نجد أصدق شكل لهذه الأغطية وأقوى تأثير لتلك العقائد الإيمانية وأصدق صحائف التاريخ الاجتماعي التي لاتخطئ، نعم رأيناها وقد استحالت جميعها إلى حالة متحجرة ويطلق المولوية على الجبانة الاصطلاح الفارسي "خاموش خانه - خاموشان" التي تفيد معنى محلة الصمت والسكون ، أو الصامتون ، وتوجد محلة الصمت هذه في معظم التكايا حول أطراف التكية ، ناهيك عن المقبرة الكائنة في قاعة السماع حيث يحجز فيها الشيوخ والمحبون المنتسبون إلى التكية. يضطلع المولوية بصنع شكل قلنسوة معممة توضع فوق شواهد القبور وهي تشبه فيما تشبه القلنسوة المعممة التي يلبسونها. كما توجد القلنسوة العارية كذلك فوق شواهد قبور الشيوخ ، ولا تصنع القلنسوة فوق شواهد قبور المحبين بل تصنع بحسب وظيفة المرید على هيئة عمامة ملفوفة أو حجر ذی طربوش، ويعرف قبر المولوى من القلنسوة ذات الحلية المعمارية البارزة المحفورة من أعلى شاهد القبر حتى صدره، كما أن شواهد قبور النساء تأتي على هذه الشاكلة. وإذا كنا نجد على شواهد قبور المولوية قلانس على هيئة سيف أو على صورة متسقة الشكل أو ملتوية أو معممة فإننا والحال كذلك نجد في التكية المولوية في قوله قابى شواهد قبور متسقة الشكل أو غير ملفوفة أو معممة.

إن نقوش شواهد القبور المولوية تصطبغ بالصبغة الصوفية الخالصة على وجه العموم بيد أن ثمة رموزا كما هو الشأن عند الحمزويين ولكنها لا تحمل خاصية النقش .

الفصل الرابع

(الملابس عند المولوية والمصطلحات المولوية)

اللباس المولوى - قلنسوة اللباد - العمامة وأشكالها - القلنسوة ذات الإثنتى عشرة قطعة - قلنسوة شمس - الاستوا - التنورة - خوذة اللباد - دسنة جل - الخرقة - النطاق والجبة - مصطلحات المولوية.

(١) اللباس المولوى :

يلبس المولوية لباسا يسمى "ألف" وهو أوسع قليلا من البنطلون الحريرى ، وعليه قميص رقيق، وياقته عرض أصبع واحد مربوط من الجهة اليسرى حتى الخصر ، ذو كم ضيق ينسدل من الخصر حتى أسفل ، وفوق القميص صدريّة بلا كم أو ياقة، بيد أنها تنسدل فى بعض المواضع فتغطى أطرافها، وهى ضيقة مستديرة وتارة تكون مستطيلة مفتوحة من الأمام منسدلة حتى الخصر ، وتكون هذه الصدرية عند الحيدرية دون ياقة نازلة من القفا حتى الصدر فى بعض الجوانب ، وهى بذلك تشير إلى الأئمة الاثنى عشر فى أغلب الأحوال، أو ذات اثنتى عشرة قطعة وهو العدد المقدس عند المولوية، وذات خياطة على الماكينة، ويرتدى المولوية كذلك خرقة خفيفة مستوية دون خصر، طويلة حتى كعب القدم. أما خياطات الماكينة الموجودة على ظهر ياقة الخرقة فتأخذ هذا الشكل .

هذا هو الزي الخارجى ، وإذا ما قورن هذا الزي بزي الطرق الصوفية الأخرى، فإنه ليست ثمة خصوصية أخرى من ناحية الشكل الموجود فى الظهر أو من ناحية عدد خياطات الخرقة أو من ناحية شكل القلنسوة، وتوجد على الرأس القلنسوة العارية ، أما إذا لم يشترك الشيوخ فى المراسم والطقوس فإنهم يلبسون حينئذ قلنسوة غير مععمة أو ملفوفة، فإذا ذهب الشيخ إلى المراسم فى الأزمنة المتأخرة بعد ذلك فإنه كان يحمل معه قلنسوة غير مععمة محفوظة داخل جراب، ويخلع الشيخ القلنسوة التى فوق رأسه ويلبسها عند الضرورة ثم يضع القلنسوة التى خلعها فى المحراب وكان الشيوخ يلبسون القلنسوة العارية فى التكية فى الأيام التى ليس فيها ذكر ولا يوجد عند المولوية زر أو أنشودة أو عروة فى أية واحدة من الملابس الداخلية والخارجية على حد سواء، أما المواضع المسدودة من الثياب فترتبط الأجزاء المتشابهة بعضها مع البعض الآخر بخيط معاكس مصنوع من نفس القماش .

(٢) قلنسوة اللباد العراقية :

تأتى هذه الكلمة بمعنى الشيء الذى يمتص العرق، وهى مصنوعة من صوف أبيض منقوش، وتمثل غطاء رأس ليست طويلة كالقلنسوة ، وكان الشيخ يكبر على قلنسوة المريدين الذين لا يعقدون السماع وعلى من يريدون لبس "العراقية" من الأطفال والنسوة على وجه الخصوص. طرفها رقيق يتجه إلى أعلى ، وهى ضيقة واسعة مسطحة فى أعلاها من الجانبين، وعادة ما تكون مصنوعة على شاكلة خط مرتفع حاد من الأمام متجه إلى أعلى ، ويسمى هذا الضرب من القلانس باسم "ألف عراقية".

(٣) القلنسوة المولوية (سكة Sikke) :

السكة sikke وهى قلنسوة المولوية وموضع فخرهم واعتزازهم ، وهى تميل إلى اللون البنى الغامق، وتتكون من طبقتين متداخلتين فى بعضهما البعض، رثة بالية،

أو تكون بلون العسل أو بيضاء اللون، يبلغ طولها خمسة وأربعين إلى خمسين سنتيمترا وهو قلنسوة مصنوعة من قماش صوفى، طرفها الأعلى ضيق قليلا بالمقارنة بالطرف السفلى .

وكانت القلانس فى الأزمنة المبكرة ذات طرف سفلى ثقيل، وأعلاها رقيق دون شكل محدد، أما فى الأزمنة المتأخرة فكانت تنقص من ناحية الطول وترق كاللباد وتنسدل إلى الناحية العلوية وتشبه الطربوش، والسكة قلنسوة تلتصق بالصمغ وتنظف وتكوى وتوضع فى قالب وتظل فى حالة من البريق واللمعان. أما القلانس التى تلبس فى أثناء النوم ليلا فتسمى "شب كلاه" أى قلنسوة الليل، وهى أطول من "العراقية" وأقصر من "السكة" sikke التى ليس لها شكل معين محدد، كما كان يوجد فى العصور المتأخرة من يلبسون قلنسوة ذات طية واحدة. وإذا كانت أطراف القلنسوة تميل إلى أعلى وذات رأس حاد فإنها تسمى حينئذ "كلاه سيف" أى قلنسوة السيف لتشبهها به ، ولا يوجد من يرتدى هذا النوع من القلانس فى الأزمنة المتأخرة وكان "ديوانه محمد جلى" و"دراويشه يلبسون الأنواع المتباينة من القلانس أحيانا، وتنسب إليه قلنسوة السيف على وجه الخصوص، كما توجد هذه القلنسوة بعينها فوق شاهد قبر "يوسف سینه جاك"، ويفهم من هذا أن هذه القلنسوة تخص مولوية شمس أكثر من غيره.

العمامة وأشكالها :

تستخدم كلمة "دستار" عند المولوية لتحل محل كلمة "صارىق" أى عمامة وتؤدى نفس المعنى، وتلف من الموصلين^(١) شديدة الاتساع دون ثنى أو طى ، وهى تلف من الشمال إلى اليمين على نحو مائل إلى أعلى، ثم تلف من الشمال إلى اليمين فى الجهة المعاكسة، وتسمى هذه العمامة "أورفى orfi" ويلفها أكابر القوم وعلماء العصر فوق رءوسهم وكانت هذه العمامة أطول قليلا إبان عصر آل عثمان وتلف على شكل البيضة وهى حمراء اللون أعلاها يشبه ثمرة الجوز، مستديرة مخططة، ثم بدأ

استخدام هذه العمامة بعينها عند المولوية بعد ذلك، ولكنها كانت تلف حتى نصفها، ويسمى هذا الضرب حينئذ جنيدي Güneydi ويُملا باطن العمامة بالقطن لتكون على شكل مستدير وتخييط من طرفها، ثم بدأ بعد ذلك لف عمائم الجزء السفلي منها واسع ويضيق أعلاها وكانت العمامة تغطي مقدار شبر من حافة القلنسوة ويسمى هذا النوع من العمامة باسم شكر أويز" يبلغ عرضها أصبعين اثنين، وتبدو كأنها مكوية، وتخاط من لفتين اثنتين من قماش الموصلين ويحشى باطنها بالقطن ويلف أعلاها حول حلقة مغطاة بالموصلين. وعمامة شكر أويز" على شكل القفص ، وهذا يعنى أن أجزائها تلف من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين، ثم تثنى لتكون على هيئة القفص أو على شاكلة"الحسينى" حيث تكون أجزاؤها ملفوفة من اليسار إلى اليمين ومتجهة إلى أعلى. أما الشلبيون والخلفاء فيلفون فوق رؤوسهم عمامة بلون الدخان، وعندما ينظر إليها فإنها تشبه اللون الأسود أو البنفسجى الغامق، أما الأسياد من الشيوخ ونعنى بهم أولئك المنحدرين من سلالة النبی محمد صلى الله عليه وسلم فيلبسون"عمائم مدهامة"^(٢)، وهى بيضاء عند غيرهم ، ولا تبدو عمائم الشلبيين على أنها قلنسوة من أسفل، أما غير الشلبيين فإنهم يلفون جزءاً ضئيلاً جداً من القلنسوة حتى تبدو وكأنها على شاكلة الدرع، ويترك سائر المولوية الطرف الشمالى للعمامة حتى يبلغ الصدر، ونحن نرى هذا الجزء أطول قليلاً فى عمامة"اورفى وجنيدي"ويسمى هذا الجزء غير الملفوف"الطيلسان"، ولهذا السبب فإن القلنسوة المعممة تسمى فى الأدب خاصة"عمامة المولوية ذات الذؤابة"وتأتى أحيانا بمعنى "قلنسوة المولوية ذات الشعر"، أما الشيخ الإمام فإنه يلف فوق رأسه عمامة تسمى"دوله" dolma ذات لون أبيض، ثم شرع بعد ذلك كل الشيوخ فى العصور المتأخرة فى لف عمامة مدهامة فوق رأسه. أما أصحاب شمس وأتباعه فيلبسون القلانس التى تغطي حواجبهم ولا تكشف عن جباههم، أما الزهاد والشيوخ والمحبون من نوى العلم والكمال فى التكايا المولوية أو المضطلعون بخدمة الطريقة فإنهم يؤذن لهم بلف العمامة مباشرة بتوجيه من أحد الشيوخ من مقام الشلبية .

القلنسوة ذات الاثنتى عشرة قطعة فى قلنسوة شمس :

هذه القلنسوة ليست شيئاً آخر سوى أنها من تاج القلندرية ذات الاثنتى عشرة قطعة، وكان "ديوانه محمد جلبى" يلبسها أحياناً، وصحن هذا التاج هو أربعة أجزاء داخله فى الرأس، أما قبته فمخيطه من اثنتى عشرة قطعة لباد أبيض منقوش من الداخل والخارج فى الجزء العلوى منها . وتقطع هذه القطع بسكين حاد وموسى بصورة مائلة، وتكون القطعتان مائلتين يقابل أحدهما الآخر وعندما تخاط من الداخل تبدو وكأنها ذات ارتفاع سامق من الخارج، وإذا ما حيك الجزء العلوى بخيط شبك الصيد وبصورة منتظمة متسقة غير ذات فُرَج فإنها تبدو وكأنها خيوط منتظمة محكمة النسيج .

لم تكن لدى القلندرية فى الأزمنة المبكرة خياطات خارجية. وقد أضاف البكتاشية هذا الضرب من الخياطات، أما قمة التاج فهو مخيط ويشبه تمام الشبه عقلة إصبع الإبهام ، أو يكون أصغر من هذا قليلاً ويدعون هذا التاج لأنفسهم ويضيفون إليه زرا من قطعة لباد محيكة بخيط حريرى مشغول، وهم ينسبون هذا التاج إلى الشاعر والناشر "قايقوسر آبدال" الذى عاش فى القرن الخامس عشر الميلادى أما هذا التاج المكون من اثنتى عشرة قطعة فيسمى عند كثير من البكتاشية "تاج جلالى والحسينى" كما يسمى باسم "قلنسوة شمس" عند المولوية فى القرن السادس عشر الميلادى. وقد مُنح جلال الدين أرجون جلبى التاج الشمسى لمقام شمس، وهو تاج ذو سبع قطع ، ونعلم من خلال "رسالة الولاية لعثمان بابا" أن دراويش عثمان بابا كانوا يلبسون هذا التاج فى القرن الخامس عشر الميلادى ، وبعد انصرام القرن السادس عشر الميلادى لم يكن هناك هذا الضرب من التيجان بين ثنايا المولوية بل كان يوجد فى مقابل هذا تاج بكتاشى تحت قلانس الشيوخ الذين نالوا نصيباً من البكتاشية. أما التاج الذى يخص شمس تبريزى الكائن فى متحف قونية فهو بعينه تاج "ألف خراسانى" فى العصور المبكرة للبكتاشية ، ولكننا لم نصادف التاج الشمسى فوق شاهد قبر مولوى ألبته. أما قلنسوة "كوسجه أحمد دده" الراقدة فى حديقة الأرواح فى قونية فهى ذات أربع قطع ، وهى نفس التاج الأدهمى الذى يستخدمه البكتاشية.

هى علامة الخلافة ، وتكون فوق القلنسوة، وهى قطعة جوخ خضراء ضيقة، عرضها مقدار أصبعين مشدودة من الأمام إلى الراء ، ولسوف لا نكرر فى هذا الصدد ما أسلفناه من معلومات تتصل بالبحث المعنون باسم "المولوية والحروفية" وهو القسم الخاص بالطرق ذات العلاقة الوثيقة بالمولوية، ولا نصادف فى الأزمنة المتأخرة ذلك الشيخ الذى يشد "الاستوا" فوق قلنسوته.

التنورة :

لهذا الجلباب وجود عند كل من القلندرية والحيدرية والبكتاشية وهو لباس دون كم أو ياقة مفتوح من الأمام يكون ضيقا حتى الخصر، ومتسعا كلما انسدل من الخصر حتى أسفل. أما أطراف هذا الثوب فهى واسعة تكاد لا تقصر من أعلى ، ويتأتى هذا الاتساع من القطعة السفلية ، وقد حيكت قطعة صوفية ثقيلة عرضها أربعة أصابع من داخل أطراف اللباس ، ويسمى هذا الجلباب "تنورة السماع"، وهو ملون ويكون أبيض فى معظم الأحوال ، وعندما يبدأ رئيس مجلس السماع يضيق السروال ثم يفتح الجزء السفلى من الخصر، ويكون الذيل مفتوحا بلفة خفيفة ، وعادة ما ينقاد السماع لدورة ولفة هذا اللباس وثمة تنورة تسمى "تنورة الخدمة" وهى التى يلبسها مريدو المطبخ حتى الانتهاء من فترة التعبد والتزهد وهى فترة قصيرة مقارنة بتنورة السماع، وهذا يعنى أنها تمتد حتى الأقدام ، ولونها أسود على وجه العموم، وكانت موجودة عند البكتاشية ثم انتقلت بعد ذلك من القلندرية، وتوجد كذلك تنورة من الجلد ، ونعلم هذا من المصادر القديمة ومن الدوريات التى تتضمن السيرة الذاتية للبكتاشية. وتشبه التنورة شكل حرف "لا" المعكوس فى الأبجدية العربية، ويرى لابس هذه التنورة كالألف المشدودة إلى وسط الحرف، وهذا يعنى أنها تأخذ شكل "لا" وهى أداة النفى الموجودة فى "لا إله إلا الله"، و"لا تعبر عن مدلول نفى العدد ، أما "لا فتشير معبرة عن مدلول إثبات وجوده سبحانه وتعالى. ويعلم المولوى أن سائر الموجودات

متوهمة ما عدا الوجود المطلق للحق سبحانه وتعالى، وتنتفى جميع الموجودات مع وجوده هو، وهذا يدل على وجوب ظهور الوجود المطلق، وهذا إشارة دالة على إثبات الوجود الواحد المطلق، وفي نفس الوقت يوجد في الجهة الأمامية المفتوحة للتنورة ثمانى عشرة خياطة محكمة في كلا طرفيها، أو يخاط ويتدلى منه حبل صغير يسمى " القُطان " kayton ويكون بلون التنورة .

لباس اللباد : ألف المد :

وهو يشبه حرف الألف في الأبجدية العربية، وهو لباس طويل مستطيل عرضه أربعة أصابع، وطرفاه يشكلان مثلثا حاد الزاوية ،باطنه مغطى بقماش صوفى مستو ومثبت أعلاه بقماش رقيق، ولون أطرافه غامق بلون الأرض، أو هو درع مشدود من قماش ذى لون فاتح،وهو نطاق يبلغ طوله نصف متر على وجه التقريب، ويلف جهة الشمال على الخصر فوق التنورة ، وطرفه موجود فى الجهة اليسرى من البدن ، ويوجد شريط طويل مخاط على هذا الطرف ، ويلف هذا الشريط من وسط النطاق تماما ويلف الخصر من أعلى ،ثم يدخل هذا الطرف بإحكام فى القسم الملفوف ، وبهذه الكيفية يكون لباس ألف المد مربوطا بهذا الشريط .

دسته جُل :

هو لباس ذو كم ضيق لا عروة له و لازر ،عبارة عن جابون^(٣) Japone تتصل أكمامه بالبدن وترتبط به مفتوح من الأمام وينسدل حتى الخصر، ويصل فى القامة حتى منتصف النطاق، وهو صدرية مصنوعة من قماش رقيق، وفى جزئه الأمامى وناحيته اليسرى شريط من نفس القماش يبلغ طوله مقدار شبر واحد، ويدخل فى النطاق، وعند السماع يكون اللباس جهة الشمال ويثبت فى النطاق ويكون الجانب الأيمن حينئذ غير مفتوح .

الخرقة :

تسمى الخرقة الرسمية أو خرقة المراسم والطقوس، وهى لباس علوى ، أكمامه متسعة مقدار سبعين سنتيمترا، وطولها يتجاوز مترا واحدا ، مفتوحة من الأمام، ودون ياقة شديدة الاتساع ، وهى ثوب مؤلف من عدة أجزاء، لا خصر له ممتد حتى الأرجل ، ويرسم على الياقة أصبع أخضر ثقیل ملتو على هذا الشكل، أو يتدلى على عرضها الضيق شريط طويل ينسدل من جوانبها حتى أسفل ، أو ينزل حتى الذيل ، ويغطى الذيل برمته ويسمى هذا الذيل "استوا istiva" والخرقة ذات لون أسود فى معظم الأحوال، وتصنع من قماش الصوف أو الكتان بحسب فصل المناخ، ويلبسها الدراويش فوق ظهورهم، ولا يلبسون أكمامها ، وهم يضمون مقدمتها من الداخل بأيديهم ، بيد أنهم يلبسون أكمامها فى أوقات الصلاة وفى الأعياد والمراسم والاحتفالات، وعند الالتقاء والاجتماع. وعند انتهاء الصلاة أو الشعيرة يخلعون الأكمام على الفور . أما الشيوخ فيلبسون الأكمام فى كل وقت، ولاسبيل إلى لبس الخرقة الرسمية دون قلنسوة.

النطاق والجبّة :

ورد حديث مفصل عن مسألة العنان (الزمام) فى كتاب "تراش نامه" أى الحلق، ونعتقد أن "شاهدى" مؤلف هذا الكتاب قد أسهب القول فى هذه الأشياء، وقد أسلفنا القول بأن كلمة "بالهنج patheng" (العنان أو الزمام) الواردة فى المثنوى يقصد بها شد حزام أهل الفتوة، ولا وجود لهذا الشد عند المولوية، بيد أنهم يستمسكون "بألف مد" ليحل محل الشد، بيد أن لبس التنورة كما أشرنا آنفا يشترك فيه كل من القلندرية والحيدرية والبكتاشية على حد سواء، ولهذه الطرق الصوفية وشائج قوية وأواصر وثقى مع أهل الفتوة مثلها فى ذلك مثل المولوية. ويوجد عند الأبدال والحيدرية والبكتاشية حجر أكبر من اليد مكون من اثنتى عشرة زاوية، وهو مثبت بشريط من الصوفى فى الحلقة الموجود فى الجهة السفلى، ومربوط بأعلى الحزام ومائل قليلا نحو اليسار ، ويسمى هذا الحجر "بالهنج pahheng" ورغم عدم وجود هذا الزمام عند

المولوية فإن بعض الشيوخ كانوا يربطون نطاقا فوق السروال، وهذا الحزام مطرز مستو عرضه أربعة أصابع، ويصنع أحيانا من قماش صوفى مقلد وفى وسط الحزام حجر يمنى على شكل بيضة من الفضة أو النيكل موجود داخل تجويف الحزام، أو يوجد حجر النجف فى داخل هذا التجويف، ويثبت هذا الحجر فى الحزام، وأحيانا يثبت شريط فى الحلقة الموجودة أسفل الحزام أو يربط فوق الحزام بحبل، أما الحجر الموجود فى الجزء الأمامى للخصر فإنه يُذكر بحزام البكتاشية .

وثمة شئ يسمى "الحبة" وهى حجر صغير يشبه عقلة أصبع الإبهام موجود فوق طرف حلقة من النيكل أو الفضة المتناهية فى الدقة ، ويبلغ طولها عشرة سنتيمترات، وتصنع هذه الحبة من الحجر اليمنى أو من حجر النجف البلورى المنحوت وثمة إبرة ملفوفة فى الطرف الآخر من الحلقة.

أو يوجد حجر النجف^(٤) فى داخل هذا التجويف، ويثبت هذا الحجر فى الحزام، وأحيانا يثبت شريط فى الحلقة الموجودة أسفل الحزام أو يربط فوق الحزام بحبل، أما الحجر الموجود فى الجزء الأمامى للخصر فإنه يُذكر بحزام البكتاشية.

وثمة شيد يسمى "الحبة" وهى حجر صغير يشبه عقلة أصبع الإبهام موجود فوق طرف حلقة من النيكل أو الفضة المتناهية فى الدقة، ويبلغ طولها عشرة سنتيمترات، وتصنع هذه الحبة من الحجر اليمنى أو من حجر النجف البلورى المنحوت وثمة إبرة فى الطرف الآخر من الحلقة .

ويثبت الدرويش والشيوخ هذه الحبة بإبرة فى موضع قريب من أكتافهم وفى الجوانب اليمنى واليسرى لقمصانهم، وتهتز هذه الحبات على الصدر وإزاء القلب، أما عند البكتاشية فتكون هذه الحبة خاصة بأولئك الزائرين للأربعة عشر معصوما، وتعنى بهم النبى محمد صلى الله عليه وسلم والاثنى عشر إماما .

وهما حبتان، أو تعلق فى أغلب الأحوال سبعة سبعة فى اليمين وفى اليسار، وتوجد هذه الحبة لدى سائر الطرق الصوفية الأخرى ثم انتقلت بعد ذلك إلى المولوية. ولزام علينا أن نسجل فى هذا المقام أن الحزام والحبة لم يتصفا بصفة السيورة

والتعميم ، وحرى بنا أن ندون أشياء أخرى تخص اللباس والزى المولوى. لا قبل لأحد من الشيوخ وال دراويش بالإقدام على قص شعره كالقادرية والرفاعية على سبيل المثال، وهذا يعنى أنهم يرسلون شعورهم منسدلة فوق أكتافهم ، ولا يظهرون لهم صفة متميزة عن طريق تضفير شعورهم بإزاء خوذات رءوسهم، وكان الشيوخ يخرجون عن هذه العادة بحكم ضرورة العصر فيحلقون آنذاك شعورهم ويتزينون ويتجملون، وليست هناك خصوصية متميزة فى ذلك النعل الملبوس فى الرجل ، فهم يتبعون سبيل أعراف وتقاليد عصرهم حيث يلبسون النعال التى يلبسها كل إنسان ولا يوجد لدى المولوية - كما هو موجود لدى الشيوخ وال دراويش فى الطرق الصوفية الأخرى - من يمشى فى الشارع ممسكا بمخللة فى يده أو بمعول أو عصا أطول من قامة الإنسان ولا جرم أن التكف والتسول^(٥) ممنوع بشدة عند المولوية ، ولزام علينا قبل ختام هذا المبحث أن نقول ما يأتى: لا وجود لزي خاص عند مولانا أو المقربين منه. أما القلنسوة التى يلبسها مولانا فهى قلنسوة العصر الذى كان يعيش فيه، والعمامة التى يلفها على رأسه هى عمامة "أورفى" التى يلفها العلماء، وكان لباسه هو لباس عصره ولباس العلماء الموجودين فى تلك الحقبة من الزمان، وبعد استشهاد شمس كانت تُلف عمامة دخانية اللون وهى عادة المحزونين المروعين فى هذا الزمان ، وكان المولوى يلبس كذلك سترة مفتوحة الصدر ، كما كان فى العصور المبكرة يدخل هذه الطريقة بلباسه وزيه ولا يغير ثيابه ألبتة. ولاوجود كذلك لثياب متميزة أو تنورة من أجل ممارسة السماع أو أية شعيرة خاصة، ومع مرور الزمان تغيرت وتبدلت أعراف وعادات اللباس بيد أن المولوية بدورهم كانوا يحافظون نسبيا على خصائص لباس عصر مولانا، وبهذه الصورة نشأت عند المولوية الصفة المميزة للزى واللباس. وحرى بنا أن نكرر فى هذا السياق أن التنورة والحزام والجبّة ما هى إلا أشياء انتقلت إلى المولوية من سائر الطرق الصوفية الأخرى كالحيدرية والأبدالية والقلندرية والبكتاشية.

مصطلحات المولوية :

للمولوية مصطلحات تمخضت عن عقيدة دينية مقترنة بمفهوم التربية والسلوك والتهذيب وعلى سبيل المثال فلا تستخدم عند المولوية تعبيرات مثل تغليق الباب أو إطفاء الموقد أو الشمع أو إشعال النور أو الألفاظ القبيحة المستهجنة التي تدور بين ثنايا المعاني المتباينة، وهم يستخدمون بدلا من هذه التعبيرات اصطلاحات أخرى مثل ستر الباب أو حجبه، وكلمة "أنا" عندهم لاتعنى شيئا ، أما نحن أو فقير فهي ذات مفزى. وتشترك الطرق الصوفية الأخرى مع المولوية فى كثير من هذه الاستخدامات. وثمة قسم من هذه المصطلحات مخصوص بالمولوية مقصور عليها وقد استعملنا جل هذه المصطلحات كلما كانت الفرصة مواتية وقدمنا معانيها. وسوف نكتب فى هذا الصدد سائر المصطلحات الأخرى مرتبة ترتيبا أبجديا هذا فضلا عن التعبيرات التي تخص الدرجات والمنازل والدرجات واللباس والذكر ، وسوف نشير كذلك إلى هل كانت المصطلحات مشتركة مع الطرق الصوفية الأخرى، أم أن وجودها يخص المولوية وحدها:

(١) آكاه اول ، آكاه اولمق Agah ol ، Agah olmok

وتعبر عن المعانى الآتية: اذهب إليه نفسه،الذهاب إليه نفسه ، إدراك كنه شىء ما، أو بلوغ الحقيقة أو الإفاقة من النوم وعند إيقاظ شخص ما يستعملون كلمة اويان uyan بمعنى أفق واستيقظ لتحل محل كلمة قالك kalk بمعنى انهض أو قم، ويكون بضرب الوسادة بخفة بأطراف اليد، ثم يقال تدريجيا: آكاه اول ارنلر Agah ol erenn ler أى أفيقوا أيها المتصوفون، وهذا الاصطلاح خاص بالمولوية مقصور عليهم .

(٢) الله دردى آرتيرسين : Allah derdini artirsin

إذا ظهرت مخايل العشق والجذب الصوفى لدى المريد الجديد فإن الشيخ والدرويش يدعون له بهذه الجملة . وكلمة derd تستخدم بمعنى العشق والإخلاص

والتسليم والوفاء والنشوة الصوفية والبهجة والاشتياق، ونعتقد أن هذا التعبير يخص المولوية فقط ليس إلا.

(٣) عشق اولسون : Ask olsun .

يأتى شخص فيجلس بجوار واحد ما ،وعندما يحييه ويلاقيه ويجلسه فى مكانه ويقبله حينئذ يقول صاحب الحجرة لهذا الشخص "عشق اولسون" ask olsun ،وتأتى هذه الكلمة لتحل محل كلمة hosgeldiniz بمعنى أهلا وسهلا.أما الشخص المخاطب بهذه الكلمة فإنه يضع يده فوق صدره ويقول "أى والله" مطأطئا رأسه محييا،أو ينحنى ويقبل الأرض وذلك بحسب مقام المتفوه بالكلمة ودرجة كماله ، وتقال كلمة "عشق اولسون" بدلا من كلمة عافيت اولسون Aflyet olsun من يشرب ماء أو أى مشروب آخر.

(٤) عشق ونياز،عشق ايتمك :

يأتيان بمعنى التحية والسلام ،فإذا سأل الشيخ أو الدرويش عن أحد الإخوان،فيقوم الإخوان بالتحية فى مقابل هذا السؤال، وتحل هذه التحية عشق ونياز محل السلام وذلك بحسب درجة السائل ومنزلته ثم يقول التحية والسلام على أقدامكم.وعندما يرسل السلام إلى الشيخ من الإخوان أوأحد الشيوخ فإنه يقول:أحیی أقدامکم ، وهذه التعبيرات مشتركة مع البكتاشية على وجه الخصوص.

(٥) عشق ويرمك ،عشق آلمق : A.sk vermek ، As.k alrmek

يقال هذا لتعبير للشخص القادم ليحل محل أهلا وسهلا Hos. geldiniz ويستخدم هذا التعبير أكثر عند المولوية.

(٦) آتش باز : ATEsBAZ:

هو اسم الشخص الذي روى عنه أنه كان طباحا لمولانا جلال الدين الرومي ،
ويستخدم هذا التعبير بدلا من رئيس طهارة المطبخ.

(٧) عوام Avam :

يطلق الصوفية ألقابا على من ليسوا من أهل الحقيقة مثل: ظاهر وزاهد وعوام ،
وتستخدم كلمة "ظاهر" عند البكتاشية على وجه الخصوص، وكلمة زاهد وحتى
كلمة "يزيد" وغيرهما من الألفاظ الغريبة ما هي إلا تعبيرات تخص العلويين أما المولوية
فيسمون الطرق الأخرى "الطرق الصوفية" ، ويقولون عمن ليسوا أهل طريقة "العوام" ،
وهذا الاصطلاح خاص بالمولوية، وقد انتقل بنفس معناه في آثار كل من مولانا
وسلطان ولد.

(٨) جومبو شانمك Gümbüs. lenmek :

يأتى بمعنى ايجمك icmek أى الشرب ،وهو اصطلاح عام مشترك.

(٩) چراغ : cera'g :

هي كلمة تستخدم تأتى على شاكلة كلمة cirak (جيراك) وتأتى بمعنى النور
والشمع والقنديل ، وهي لفظة مشتركة لدى سائر الطرق الصوفية.

(١٠) دده Dede :

هو الدرويش صاحب الحجرة الذي يقضى فترة المعاناة والمكابدة والتعب
والتزهد ، ولهذا التعبير وجود عند الحروفية وقسم من الخلوتية، وعند الجلشنية على
وجه الخصوص ، واستخدم أكثر عند المولوية بوبات تعبيراً خاصاً بها.

(١١) دم كورمك Dem görmek:

هذا الاصطلاح مشترك مع البكتاشية ويأتى بمعنى احتساء الراقى "العرق" ، وهو من المسكرات ويحل اصطلاح "دملنك Demlenmek" محل اصطلاح دم كورمك Dem gor-mek ، كما أن كلمة "دم" dem تستخدم بمعنى راقى raki "شراب العرق" ، فإن اصطلاح "دملى اولق Demli olmak" يعنى "سرخوش اولق serhos. olmak أى حالة السكر والثل. وقد انتقل هذا الاصطلاح بعد ذلك إلى الطرق الصوفية الأخرى. كما أن "دم" هى تعبير يأتى بمعنى الوقت والبرهة والحين والزمان.

(١٢) درويش Dervis:

يقصد بهذا التعبير سائر المنتسبين إلى الطريقة والمعتزلين المتبتلين المنقطعين لقضاء فترة التزهد والتعبد ، ويأتى هذا التعبير كذلك بمعنى المنسوب إلى الطريقة ، وهو تعبير عام مشترك.

(١٣) ديشارى ورمك Dis.arı vermek:

وهو اصطلاح يعنى تقيؤ الثمل السكران ، وهو اصطلاح مشترك بين المولوية والبكتاشية ، ثم انتقل إلى الطرق الصوفية الأخرى.

(١٤) ديكله نمك - ديكله لنديرمك Dinlekmek-Dinlendirmek:

وهو تعبير يعنى انطفاء النور أو إطفاء النور وهو تعبير عام مشترك.

(١٥) ارنلر - ارنلريم Erenleim - Ereneler:

ويطلق على الدراويش والشيوخ ، وهو تعبير عام مشترك.

(١٦) أى والله Ey vallah:

وهو تحريف لتعبير iy vallahi, iyi vallahi. يعبر عن الشكر مقابل كلمة "عشق اولسون" Ask olsun، والذي يستخدم مقابل كلمة أفندم Efendim من قبل الشخص الذى ينادى، ويستخدم كذلك للتصديق والإجابة عن السؤال، وإذا استخدم هذا التعبير على شاكلة Allah ey vallah فإنه حينئذ يحل محل اليمين، وهو تعبير عام مشترك.

(١٧) فاخر Fahir:

هى قلنسوة المولى، وهى مشتركة بين المولوية والبكتاشية ويسمى البكتاشية التاج البكتاشى "فاخر Fahir".

(١٨) فقير Fakiyr:

تأتى هذه الكلمة بمعنى مُعْدِم أو مسكين أو مُعْوِز، وهو تعبير مشترك بين سائر الطرق الصوفية ويحل محل كلمة "بن Ben" إلتى تعنى "أنا".

(١٩) غنى سيلم Gani slilm:

وهو تعبير مشترك ويقال عند رفض شئ لا يراد ولا يُبتغى، ويعبر عن كثرة الشئ ووفرته.

(٢٠) جوجمك Göcmek، جوجو نمك Göcünmek:

اصطلاح يعنى الموت "اولمك" "Imek" ، وهو تعبير عام مشترك.

(٢١) كوكل ايتمك :gönül etmek

هو دعاء قلبى بغية الحصول على شىء أو عدم حصوله ، أو بذل الهمه ، أو وجود الهمه المعنوية بغية الظفر بعمل ما ، وهو تعبير عام مشترك.

(٢٢) كوروشمك :görüs. mek

اصطلاح يعنى معانقة شخصين من الإخوان وإحاطة كل منهما الآخر باليد اليمنى ، أو المعانقة بكلتا اليدين راقعا إياها حتى الأفواه ، ثم ينحنى مع تقبيل أعالي اليدين ، ويطلق على هذا الاصطلاح كذلك عند تناول السالك أى شىء بيده ، مثل شربه كوبا من الماء ، أو تناول فنجان قهوة بيده ، وعند النوم أو الاستيقاظ منه وهو يشد الوسادة ، أو عندما يلقي بلحافه من فوقه ، أو عندما يلبس أو يخلع شيئا من ملابسه ثم يقبل ياقته وخرقته وملابسه وحافة قلنسوته ، ويسمى هذا التقبيل görüs mek ، وعلى هذا النحو يكون كل شخص مصطبغا بالصبغة الروحية الخالصة أو بمعنى أكثر صوابا أن يكون كل شىء بمثابة مظهر للوجود المطلق وهو الله ، وهذا التعبير يخص المولوية وحدهم .

(٢٣) خاكده :Hakata

تستخدم محل كلمة "يوق yok" بمعنى لاشىء ، وعلى سبيل المثال فإن معنى باره يوق para yok أى لا يوجد مال ، يحل محلها اصطلاح "مانجير خاكده" mangir hakta ، أى العملة النقدية فى التراب، أى لا يوجد مال وهو تعبير عام مشترك .

(٢٤) حق وره :Hak vere

تستخدم فى نفس المعنى، أى لا يصفح عن كلمة لا،ولا يتفوه بها، وتعبير "حق وره اولدى" Hak vere oldi "يؤدى معنى" لا يوجد شىء وذلك للتعبير عن انتهاء الشىء ونفاده، وهو تعبير عام مشترك.

(٢٥) حق ارئلر Hak erenler :

هم صوفية الحق، وهو تعبير يعبر عن مفهوم الله والواصلين إليه " المتصوفة"،
أو أنه يتضمن معانى: الحق والصوفية الواصلين ،وهو تعبير عام مشترك يتقوه به فى
حق الصوفية الواصلين.

(٢٦) خاموشان Hamusan :

تعبير يأتى بمعنى "الصامتون -الساكتون" وهو يخص المولوية وحدهم ن
ويستخدم محل كلمتى الجبانة Mezarlik والموتى ölüler

(٢٧) خاموشان خانه Hamusan Hane :

وهو تعبير يعبر عن نفس المعنى سالف الذكر،وهو يخص المولوية كذلك

(٢٨) خور كجيرمك Hora gecirmek :

كلمة فارسية مشتقة من كلمة "خوردن" التى تفيد معنى الأكل والطعام ،وتعبر عن
معنى شئ يؤكل، وهو تعبير مشترك لدى الطرق الصوفية طراً، وكذلك على السنة
الشعب .

(٢٩) خوره كجمك Hora gecmek :

تأتى بمعنى الاستقبال بالسرور والترحاب ،وهو تعبير عام مشترك، ويجرى على
السنة الناس.

(٣٠) اخوان :

يطلق هذا التعبير بين سائر المولوية بعضهم مع البعض الآخر، ورغم أنه تعبير عام فإنه يستخدم أكثر على السنة المولوية.

(٣١) قانيني ايجينه آقيتمق :

تفيد معنى عدم إظهار الحال الصوفى فى حالة الجذب والنشوة الصوفية ، وهو تعبير يخص المولوية وحدهم. ويطلقون على من يظهر سورة الانفعال والحُميا تعبير "أسل دمك فى باطنك" kanini lcneakht .

(٣٢) كوجك :kôcek :

يعنى به الدرويش الجديد، ويطلق بصفة خاصة على الشاب الذى يخرج لممارسة السماع. ويقال عنه "كوجك" kocek أو "مولانا كوجكى" Mevlana k'jceôl أى مريد مولانا وحواريه ويطلق كذلك على من يضطلع بخدمة الشيخ أو الدرويش ويرعى شئونهما ويوجد فى كنفهما ويتعهدانه بالتربية والتنشئة ،ويسمى فى هذه الحالة "فلانك كوجكى" Filanin Köceôgi "وقد يستخدم البكتاشية هذا التعبير ،ومن المحتمل أن يكون قد انتقل من القلندرية والحيدرية ،ثم بات بعد ذلك من التعبيرات المخصصة بالمولوية المقصور عليها .

(٣٣) مانكير :Mangir :

تأتى بمعنى نقود باره para ، وهو تعبير عام مشترك.

(٣٤) مهمان Mihman :

تأتى هذه الكلمة الفارسية بمعنى "ضيف" قونوق Kconuk وتستخدم فى نفس المعنى، وهى كلمة عامة مشتركة.

(٣٥) نظرم Nazairm :

تستخدم محل كلمة "سن Sen" بمعنى "أنت" ،وكلمة نظرم عند المولوية تعنى وجود أهمية عظمى للنظرة ،والمولوية مثل الحمزية يعتقدون أن نظرة المرشد سوف توصل المرء إلى الجذب الصوفى والنشوة الإلهية ،وفى شعيرة "دور ولدى" كان المتقابلون يديمون النظر فى وجوه بعضهم البعض وفى حواجب بعضهم البعض ، وفى نفس الوقت فالموجود قبالتى يكون عينى ونظرى ،فإذا ما استقر نظرى عليه نكون قد بلغنا حالة الاتحاد سوياً ، ومن ثم فإن هذه الكلمة تشرح معنى الاتحاد على هذا التقدير ، ورغم أنه تعبير مشترك فإن المولوية والبكتاشية يستخدمانه .

(٣٦) نو نياز Nev- Niyaz :

يقصد به الشاب المحب الذى انخرط حديثاً فى سلك الطريقة،ويطلق كذلك على ممارس السماع، وهو تعبير مخصوص بالمولوية مقصور عليها.

(٣٧) نذر مولانا Nezir-i Mevlana :

هو نذر مولانا ، وهى الأعداد التى تقبل القسمة على تسعة، وإن مثلى العدد تسعة هو ثمانية عشر،ويعد هذا نذراً تاماً،والعدد ثمانية عشر يعبر عن نذر مولانا فالقادم إلى التكية عندما يخرج منها يلتقى بشيخه ثم يضع ما بين ثمانية عشرة إلى خمسة وعشرين قرشاً بصورة خفية فى راحة يد الشيخ أو تحت مقامه فى أثناء أداء

التحية ، كلٌ بحسب قدرته، فإذا لم يكن ذا قدرة فإنه يفرس ورقة شجرة خضراء لتحل محل النذر.

ولكن من أين جاءت قدسية العدد ثمانية عشر عند المولوية؟ فهل يتسنى الإدلاء بقول جازم فى هذه المسألة؟ لأعلم ، للعدد تسعة قدسية لدى الترك، وهذا من تأثير ونفوذ شامانية الترك فى المولوية ، وهذا فى رأينا أكثر مناسبة وتوافقا، وكانت الشامانية ديانة بدائية ساحرة ، ورغم أنها كانت ذات نظرة صوفية مجردة لوحدة الوجود، فإنها كانت تزعم أنها ذات عقيدة متكاملة معروضة فى شكل طبيعى مادى، ومن ثم كانت ذات تأثير فى المجتمع ، وهذا غير ممكن لا من ناحية الفكر أو العصر. وهما هو ذا حسين فخر الدين دده شيخ التكية البهارية يوضح فى دوريته نذر مولانا فيقول:

"يكون نذر مولانا ثمانية عشر، وهى ترد ثمانية عشرة مرة كل يوم إلى حضرة مولانا عظم الله سره وقدس سره الأعلى ،بذلك بناء على تجلى ذاته، وتكون مشاهدات كل واحد مقدرة بألف درجة وكأنه يجمع ثمانية عشر ألف عالم، ويكون هذا مطابقا كذلك للاسم الشريف وهو "الحى" ، أما نذر شمس فهو ستة ويفهم من هذا التوضيح وجود نذر شمس عند المولوية وعدد هذا النذر ستة. فالله هو الوجود المطلق عند الصوفية يويتزل جوهر ذاته بحكم الضرورة على الحقيقة الحمديّة، ثم تتجلى الحقيقة الحمديّة على الكائنات. فالمقدرة الفعالة للقدرة الخالقة هى المقدرة السالبة المقترنة بالعقل الكلى، وهى النفس الكلية التى تمخض عنها تسع سماوات ،ثم ظهرت العناصر الأربعة من حركة السماوات وبالسماوات التسع وجدت العناصر الأربعة وهى: الجمار والنبات والحيوان والوجود، وعلى هذا النحو فإن الكائنات بنظرة قصيرة محكمة متقنة قد نشأت من ثمانية عشر وجودا، وكل واحد من هذه العوالم الثمانية عشرة ناشئ من ناحية المبالغة والتفصيل ، والعدد ثمانية عشر يعبر عند العرب عن آخر عدد، ومن ثم فقد ظهر اصطلاح "ثمانية عشرة ألف عالم" *onse klz binalem* الذى يعنى الكون بأسره ورمته وفى نفس الوقت فإن مولانا دبج الثمانية عشر بيتا الأولى من المثنوى على وجه الخصوص. ويرى المولوية أن هذه الأبيات تشبه فاتحة القرآن

الكريم إذ هي أصل المثنوى كله وكنهه وجوهره وأساسه ومن أسماء الله الحسنى "الحى" وهو الاسم الثانى عشر بحساب الجمل. ونحن نرى أن فى العدد تسعة وثمانية عشر على وجه الخصوص تأثير لهذه العقيدة ولا سيما التأثير الذى خلفته الثمانية عشر بيتا الأولى للمثنوى. وقد دخل "نذر مولانا" دائرة الأدب، ويضاف هذا العدد إلى تاريخ المصراع عند كتابة التاريخ الجملى، وإن اصطلاح "نذر مولانا" خاص بالمولوية.

(٣٨) نياز Niyaz:

وتعنى طأطأة الرأس تحية وإجلالا، وقد تحدثنا عن هذه المسألة إبان شرح الذكر. وعندما يلتقى مولوى بآخر ماموى فى أوقات الذكر يحيى كلاهما الآخر على هذا النحو: يمسك المحيى بأصبع إبهامه فى صورة متساوية مع الأصابع الأخرى، ثم يأتى بيده اليمنى إلى شفته ويضع إشارة سكوت بأصبع السبابة ويضعها مائلة قليلا فوق شفتيه ويقبلها بخفة، ثم ما يلبث أن يضع يده فوق قلبه وتكون أصابعه مفتوحة وهو يحنى رأسه، ويصنع من قبالة الحركة عينها بيده اليمنى وعلى نفس الشاكلة وتكون التحية بطأطأة الرأس خضوعا واحتراما، وإن جلب الأصبع على الفم هو علامة عدم إفشاء السر والتزام الصمت، أما طأطأة الرأس فهى أمانة دالة على تقديس الإنسان. أما الهدية المقدمة إلى التكية والشيخ والدرويش والمريدين فتسمى أيضا "نياز"، وهى مرادفة فى نفس الوقت لكلمة النذر وهو تعبير عام مشترك.

(٣٩) الرضا:

تعبير يعبر عن الرضا بقضاء الله بذكرنا بالمحن وضروب العنت والنصب واللغوب التى تعترض سبيل الطريق، ورغم أن هذا الاصطلاح مشترك بين سائر الطرق الصوفية فإن المولوية أكثر استخداما له، وكلمة الرضا تعبر عن رقم ١٠٠١ بحساب الجمل، وهى تعبير عن فترة التعبد والتزهد المولوية، وعددها ألف يوم ويوم، وقد دخلت هذه الكلمة مضممار الأدب المولوى.

(٤٠) صفا نظر :

ترد هذه الكلمة بمعنى النظرة الطاهرة النقية، وتستخدم في حق نظرة المرشد إلى السالك، ونظرة السالك إلى كل شخص، فكل شيء يبصر بعين الاتحاد، وسوف لا ينظر السالك إلى شيء بنظرة شريرة قبيحة أبداً، وهذا يعني أنه لا ينظر بنظرة مقترنة بالسوء والفحش، وبهذه الصورة يكون رجل الطريق موجوداً داخل لجة الراحة والطمأنينة والمجاهدة ويتمخض عن هذا تحقق الوحدة، وقد جاء تغير النظر بنفس المعنى لدى الحمزية، ولكن اصطلاح "صفا نظر" يخص المولوية دون سواهم.

(٤١) سرا ولمق Sirr olmak :

ويعنى بالاختفاء والاستتار، والفقدان والضياغ - وضمود الشهرة والموت، وهو اصطلاح مشترك عام.

(٤٢) سر لأمق Sirr lamak :

يأتى بمعنى الستر والإخفاء، أو تغليق الباب أو النافذة أو أى شيء، وإطفاء نور الشمع والمصباح والقنديل أو نور الكهرباء أو دفن الميت، وهذا اصطلاح عام مشترك.

(٤٣) سر لانمق Sirr lanmak :

تعبير يفيد معنى الاختفاء والتغليق والانطفاء والدفن، وهو اصطلاح عام مشترك.

(٤٤) او يانمق - اويانديرمق - اويارمق Uyanmak-uyandırmak-uyarmak :

اصطلاحات تفيد إشعال الشمع والقنديل والموقد وغيرها، كما تفصح عن بلوغ واحد من المتصوفة كنه السر الحقيقى وهو مصطلح (وهو مصطلح عام مشترك).

(٤٥) طيغلامق Tıjlamak:

تعنى ذبح الأضحية وهو تعبير عام مشترك.

(٤٦) وحدت Vahdet:

يفيد معنى النوم وهو تعبير عام مشترك.

(٤٧) يورومك Uürümek:

تعبير يؤدى معنى الموت وهو كذلك عام مشترك.

وفضلا عن هذه المصطلحات والتراكيب فإنه توجد عند المولوية بعض الألفاظ التى تذكر بالحكم والأمثال ولا يستخدمها الناس ، وجُل هذه الألفاظ مشترك مع اليكتاشية، ثم انتقلت بعد ذلك إلى الطرق الصوفية الأخرى، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

(١) دمسز درويش ايما نسز صوفته يه بکزر "Demsizder vis Imansiz softayabenzer"

ومعناه: درويش بلا خمر يشبه طالب علم دينى بغير إيمان.

(٢) ار طوغرويه ، حق طوغرويه Erdag"ruya- hak dog"ruya.

ومعنى هذا المثل أن يكون المرء صادقا متجها نحو الصواب، وبعين الله الصادق المخلص، ويقال هذا التعبير عند البحث عن الإخلاص والصدق.

يقال هذا المثل عند الاعتراض على الطريقة وتدبير شئ ما يناهض الطريقة ويناقض أصولها ومبادئها، وليتخطم فؤاد الذي يريد إفساد حال الطريقة وتقويض أركانها /وهذا دليل مهم على فرط الحساسية الموجودة فى القواعد والأصول.

(٤) قان ات ، قانون ايتمه :

وهى قولة تقال ضد من يضيف شيئاً جديداً على أركان الطريقة ويناصبها العداوة ويهم بوضع قواعد جديدة فيها فإنه أشد جريرة من القاتل ولا سبيل إلى الصفح عنه.

(٥) كندينى بيلكه بابا سينك قاني جلال ، كندينى بيلمه يكه أنه سينك

سوتى حرام . "Kendini bilene baba sinlbkani helal- blmiyene ansinin sütü haram".

والمعنى الحرفى لهذا المثل :

من عرف نفسه فقدم أبيه حلال عليه، ومن لا يعرف نفسه فلبن أمه عليه حرام. وهو يذكر بالعقائد الباطنية، ويحيطنا علما بأن الشخص الناضج الكامل الذى يعرف نفسه يصدق فى الشئ الذى يضطلع به، فمن عرف نفسه عرف ربه.

(٦) مولانك جيله سى بتيمز : Mevlananin ci lesi bltmez .

هذا مثل يعبر عن أنه رغم انتهاء الفترة الرسمية للمجاهدة والمكابدة فإن المولى سوف يكابد من المشاق وضروب المحن واللغوب، وقد انتقل هذا المثل إلى الطرق الصوفية الأخرى.

(٧) مولونك جيويسى ، بكتاشينك جاباسى : .Mevlelnin ci visi, Betaslnin capasi

ومعناه : مسمار المولى مجراف البكتاشى، وهذا يعنى أن سلوك المولى وإدراك واستيعاب السماع فى خشبة ذات مسمار أى بالوجد والعشق وسلوك البكتاشى يكون بإدراك واستيعاب التراب فى التكية وهذا المثل يد على الخدمة على الوجه الأمثل :

الهوامش

- (١) هو نسيج قطنى رقيق ويسمى بالتركية "تنبند" Tülbend (المترجم) .
- (٢) مدهام: هو اللون الأخضر الضارب إلى السواد (المترجم) .
- (٣) ثوب دون كم من قطعة واحدة مخاط من الكتف (المترجم) .
- (٤) هو ضرب من البلور يستخرج فى منطقة النجف ويسمى حجر النجف (المترجم) .
- (٥) التسؤل هو سؤال الناس (المترجم) .

القسم الرابع :

الأدب المولوى والموسيقى المولوية

الفصل الأول

الأدب المولوى

الأدب المولوى - هل يمكن أن يكون الأدب المولوى منفصلا من أدب الديوان ؟

الأدب المولوى :

يقول « رضا قولى خان هدايت » (صاحب كتاب رياضة العارفين ومجامع الفصحاء) فى صدر المقتطفات الأدبية التى سماها « شمس الحقائق » والمقتبسة من الديوان الأكبر: إن مولانا هو أسمى شاعر فى الأدب الإيرانى وأكثرهم أصالة ونفاسة، كان مولانا قارئاً جيداً لكل من "الرودىكى" (ت ٩٤٠ - ٩٤١) و"الفريوسى" (١٠٢٠ - ١٠٢٥)، وكلاهما من شعراء إيران الكلاسيكيين ، كما اطلع على شعر شعراء الصوفية الآخرين مثل: أبو سعيد أبو الخير (ت ١٠٤٨) وحكيم سنائى (ت ١١٣٠ - ١١٣١م) على وجه الخصوص وقرأ كذلك أشعار العطار (ت ١٢٢٩ - ١٢٣٠م)، كما كان عالماً حاذقاً بسائر النظريات الفلسفية لابن سينا (ت ١٠٣٦) ، وانشغل مولانا كذلك بشعراء الجاهلية والشعراء العرب الفلاسفة كالمتنبى (ت ٩٦٥ م)^(١). وتتمثل فى مولانا ثلاث خصائص مهمة لا وجود لها عند غيره من الشعراء وهى :

١ - لاوجود للفوضى والاضطراب بين ثنايا أبيات أشعاره، كما هو الشأن عند الشعراء الكلاسيكيين الآخرين، فشعره برمته وحدة متكاملة تامة ، فإذا ماتصدى لتفصيل شىء فى البيت الأول فإنه يستمر فى شرح الموضوع بعينه ويطرد فى سيره

للقوف على نفس الموضوع حتى نهاية القصيدة ، وحتى لو تداعت الأفكار فإنها لا تفسد ولا تشوه الأشياء التي يضطلع بشرحها وتفصيل القول فيها ، فهو سرعان ما يدبج الشعر إذا ما دار بخلده وطاف بخياله ، ولا يدبجه بغية مدح أحد أو قدح أحد أو من أجل إظهار الألمعية والنبوغ والذكاء ، فالشعر عنده لا قبل له باحتمال هذه الأشياء ، ولا طاقة له التعبير عما يريد بالنثر ، فالشعر انعكاس للوجد والحالة النفسية والروحية ، وهو فى معظم أحواله تعبير عن حقيقة واقعة حقيقية ورأى واقعى صائب ، وكل هذا سبب مباشر فى إبداع الشعر . ومن هذه النظرة فإن عدم تغيير الموضوع وتبديله لهو شئ جد طبيعى .

٢ - يتبع الشعر عند مولانا سبيل النظم ، والوزن تابع للشعر منقاد له ، وتكون الموسيقى فى العادة تعبيرا عن الحالة النفسية ، فالوزن يتدفق مثالا بالشعر حتى لو أخطأ أو تعثر أو أصابه التغيير والتبديل ، ومولانا متحرر من هذا القيد ومعارض لهذه الطريقة التى تغل هذا التعبير ولكن ماذا عساك أن تصنع ؟ لقد كانت هذه عادته ودينه ، وقد وضع النظام على هذا النحو ، إنه يجرجر حملا ثقيلا^(٢) .

٣ - اللغة عند مولانا هى لغة الشعب بحذافيرها ، فهو على علم بفنه وبسائر الفروع والتفاصيل لسائر القضايا والمسائل التى يعرض لها متمخضة عن شرحه وتفصيله ، غير ناجمة عن الالتزام بالشكليات والاحتفال بها ، وغير ناشئة عن الصنعة أو الظرف والمهارة .

دبج مولانا أشعاره بلغة الشعب ، كما كان فى نفس الوقت قصاصا شعبيا ذا مقدرة فائقة ولم يكن هذا ديدنه فى المثنوى فحسب ، بل كان ماثلا كذلك فى الأشعار الموجودة فى الديوان بيد أنه يكون أحيانا ذا إشارات قصيرة متباينة مستعينا بالحكايات المعروفة ، ومن ثم فإنه من هذه الزاوية أستاذ عظيم فى علم الفولكلور الشعبى ليس فى إيران وحدها ، بل فى الشرق الإسلامى بأسره وأثاره كنز للأعراف والعادات والتقاليد والمجازات المتصلة بالعرف ، وهذا يعنى أن أثاره كنز زاخر بالتعبيرات الشعبية والحكم والأمثال والنوادر والحكايات . إنه واحد من أهم الممثلين للأدب الإيرانى ، وأستاذ منقطع النظير للشعر الصوفى ، ومولانا بكل خلاله وسجاياه

ذو قيمة عظمى باعتباره أحد العُمد المؤسسة للأدب الإيراني وبهجرتة من بلغ إلى الأناضول جلب معه فرعاً من الأدب الإيراني، وإن الأبيات التي قالها كانت عن طريق التأثير المحلى وبعض الألفاظ التركية الموجودة فى الملمعات ، كل هذا وذلك يجعله يسلم بأن يكون شاعراً تركيا فى أى وقت ألبته. وقد دخلت قبيل هذا الزمان كثرة كاثرة من الكلمات التركية إلى اللغة الرسمية ، ولم تكن هذه الألفاظ مقصورة على لغة الشعراء فحسب وذلك بسبب الغزو المغولى، وإن كتاب "جامع التواريخ" هو أصدق مثال على ما نقول، وإذا تجاوزنا عن ذكر جامع التواريخ - الذى لم يظهر وحدة الأسلوب بهذه الصورة والذى اضطلعت طائفة من الأشخاص بكتابته وجمع مختلف أجزائه - فإنه توجد كذلك كلمات تركية كثيرة فى كتاب "جها نكشا" ذلك الأثر الذى دمج بطريقة فنية شديدة التكلف والتصنع والتتميق، وإذا كانت هذه الواقعة نتيجة طبيعية للغزو المغولى فإن معاناة مولانا من أجل التفوه بالتركية كان نتيجة طبيعية لحياته فى الأناضول^(٣). ثم جاء سلطان ولد بعد مولانا، ولا سبيل إلى مقارنته بأبيه، وقد دمج آثاره بالفارسية مثل أبيه، كما نظم أحياناً ملمعات تركية كما فعل أبوه، ولما كان سلطان ولد يعيش فى الأناضول فإنه أنشد أشعاراً تركية أكثر مما نظم أبوه، بيد أن أشعاره التركية ركيكة مهلهلة النسيج ولا سبيل إلى مقارنتها بأشعار معاصره يونس أمره، وهذا ما سبق أن تحدثنا عنه إبان ترجمتنا الذاتية فى قسم خاص قائم برأسه. وفى الحق فإن هذه الأشعار كانت جد قليلة من ناحية الكم، ويتعذر مقارنتها بأشعاره الفارسية. أما ولده أولو عارف جلبى فإنه لم ينظم مصراعاً واحداً بالتركية. كانت رسالة "سبهسالر فى مناقب خداوندكار" هى أول كتاب مناقب يخص مولانا، واضطلع بتدبيجها بالفارسية وبطريقة فنية "أحمد اوغلو محى الدين" أما كتاب المناقب الثانى الذى يخص مولانا فهو "مناقب العارفين" التى كتبها "أحمد أفلاكى" وأبدعت بلغة فارسية ساحرة ذات طلاوة ورواء، مكتوبة برمتها بلغة الشعب باستثناء عناوين الفصول .

لقد بدد السلاجقة الفارسية التى قبلوها لغة رسمية وقوضوا أركانها، وكان إعلان كل من "قرمان بك و محمد بك" التركية لغة رسمية، وكان هناك إدراك تام مهم ومعرفة

أكثر للتركية بين ثنايا الإمارات والمقاطعات التي أسست في أراضى الإمبراطورية مترامية الأطراف، وتؤكد صيرورة اللغة التركية لغة أدبية خالصة.

وكان كل من سلطان ولد وجلشهرى ويونس أمره وعاشق باشا بمثابة الممثلين الأولين للأدب المدون المكتوب بالتركية فى الأناضول فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى والقرن الخامس عشر الميلادى، ورغم أن يونس أمره وعاشق باشا كليهما كانا من بين هؤلاء الشعراء، فإن يونس أمره قد دمج "الرسالة النصحية" على وزن العروض، بيد أنه كتب جُل أشعاره على وزن الهجا وهى تمثل ديوان الشعر عنده وفى مقابل هذا فإن عاشق باشا دمج ديوانا كبيرا أسماه "غريبنامه" متأثرا فيه بمثنوى مولانا وعلى نفس وزنه، كما أنه كتب أشعارا كثيرة على وزن العروض غير مدرجة فى ديوانه "غريبنامه"^(٤)، ولا وجود لوزن الهجا عند كل من سلطان ولد وجلشهرى ألبته.

لا جرم أنه دخلت فى التركية واستقرت بها المصطلحات والتراكيب الدينية والصوفية إلى جانب الأسماء والأماكن والأشخاص التى تخص الأساطير والخرافات الإيرانية ناهيك عن المجازات التمثيلية التشخيصية، ونصادف هذه الأشياء بكثرة وافرة فى الأشعار المدبجة على وزن الهجا .

كان النبلاء من الأمراء قد بدءوا يستحوذون على أنعم الدنيا المؤقتة والدائمة ويعضون عليها بالنواجذ ونشأ بين ظهرانىهم زمرة عالية، مما جعل الشعراء والكتاب والعلماء وأهل الفن يلتقون حولهم من أجل لقمة العيش، حتى يتسنى لهم تقديم آثارهم الأدبية والفنية، وكان مادحهم يرون هذه الطبقة أرفع شأنًا من الشعب، ومن ثم بدءوا يحقرون الشعب ويزدرونه، وكان وزن الهجا الذى يستخدمه شعراء الشعب والمفعم بالمجازات المحلية يعد وزنا عاميا، ويات وزن العروض هو الوزن الأصلى للشعر الذى يخص الطبقة المستنيرة ليس إلا . وإن كتابة يونس أمره الشعر على وزن الهجا بصورة أكثر جلية جعلته يمضى قدما بسبب اجتهاده ومضاء عزيمته وذيوع صيته نحو الشعب بأيدلوجيته باعتباره شاعرا حرا عند شيخه "بابا طابدوق" لأنه لم يدخل فى حلقة ما، ومع هذا كان هناك شعراء علويون بكتاشية ممن نشئوا بين

ظهرانى الشعب ودبجوا أشعارهم على وزن الهجا، ولقد كثر الشعراء الذين نظموا أشعارا على وزن العروض وأدخلوا فى اللغة كلمات عربية وفارسية بسبب ضرورة الوزن، وهكذا ظهرت اللغة العثمانية وهى لغة المستنيرين والمتقفين التى لا يفهمها الشعب ولا يدرك كنهها ألبتة.

ولقد تأسس الأدب الديوانى العثمانى مقلدا الأدب الإيرانى الكلاسيكى فى كل شىء كالوزن على سبيل المثال، وهو من هذه الزاوية أدب غير قومى وغير إنسانى.

مرت المولوية بعد "أولو عارف جلى" بحقبة من الترنج والتداعى بين الفارسية والعثمانية، وعلى سبيل المثال فقد تفوه كل من عادل جلى وابن عمه أمير عارف جلى بمقطوعات تركية متفردة قائمة برأسها وذلك بمناسبة وفاة أمير عالم جلى ابن أمير عابد جلى، كما أنشد الدراويش "فيضى البلخى" مقطوعة فارسية (السفينة، ج ١، ص ١٢٩). ومع هذا فقد كانت كل التواريخ والمقطوعات المكتوبة فى وفيات الشلبيين بعد ذلك تركية خالصة (انظر: السفينة). ورغم هذا فإن المولوية الذين قرضوا الشعر كانوا يكتبونه أحيانا بالفارسية، وعلى سبيل المثال فإن شاهدى كتب قسما من آثاره بالفارسية، بيد أن هذه الفارسية ليست فارسية مولانا أو سلطان ولد أو أولو عارف جلى، أو حتى فارسية "سبهسالر وأفلاكى"، إنها فارسية متعلمة محفوظة عن ظهر قلب من الكتب وفى الديار التركية، ولهذا السبب فهى لغة ركيكة مضطربة.

وإذا ما استثنينا المولوية الذين ذهبوا إلى إيران أو المولوية الإيرانيين، فإن تفوه المولوية الآخرين بالفارسية كان بسبب كون المثنوى والديوان الكبير مدبجيين بالفارسية، وكان هذا التأثير متأصلا عميق الغور إذ يقول ثاقب دده فى سفينته "إن هذا التأثير جعل الشلبيين والشيوخ وسائر الدراويش يتخاطبون بالفارسية، وباتت الفارسية بفضل تأثير مولانا لغة المولوية المقدسة"، ولكن المولوية اضطلعت بتأسيس وتقييد اللغة التركية الأم فى الدولة وانصهرت فى بوتقة التأثير التركى، وكان دعاء المقام والأدعية الأخرى تتم التركية الخالصة حتى أن المقطوعات الشعرية الصالحة للموسيقى والغناء والمختارة على وجه الخصوص من أشعار كل من: مولانا وسلطان ولد وأولو عارف جلى والمقتبسة أحيانا من كل من "شاهدى وديوانه محمد جلى

وصمّتي (ت ١٠٤٠ هـ = ١٦٣٠ - ١٦٣١ م) وكذلك شيخ غالب (ت ١٧٩٩ م) ، وقد دخلت سائر هذه الأشعار التركية لكبار الشعراء المولوية الآخرين إلى الطقوس الدينية والشعائر والمراسم الدينية ، كما توجد أبيات ليونس أمره بين ثنايا هذه الترجمات ورغم أن المولوية دأبوا على هذه العادة متفوهين أحيانا بالشعر الفارسي ، فإن الثقافة التركية قد استقرت وتوطدت أركانها إلى حد بعيد في هذه الطريقة ، وكانت هذه الثقافة محلية إلى هذا الحد ، مما حدا بأحد كبار شعراء إيران المحدثين أن يخلّف تأثيرا عميق الغور في أشعار الأدب التركي الديواني ، وهذا الشاعر هو صائب تبريزي (ت ١٦٦٩ م) ، وفد إلى قونية وزار مولانا ، ومكث هناك ردحا من الزمن ، وأصبح مولويا وتبوأ الخلافة ثم انفلت راجعا إلى تبريز وأسس زاوية فيها ، ودفن فيها عند موته .

ومما لا مرية فيه أنه نظم غزليات تركية متأثرة بالمولوية.^(٥) ولسوف نعالج هذه المسألة الغريبة في هذا الصدد:

اضطلعت المولوية بنشر وإذاعة الثقافة الإيرانية في تركيا وفي مقابل هذا كانت البكتاشية تضطلع بدورها بحفظ وحماية اللغة التركية ، وأصبحت هنالك طائفة من القائلين بنشر وإذاعة الثقافة التركية ، حتى أن حاجي بكتاش قد مضى قدما في إظهار عشقه للأمة التركية إبان القرن الثالث عشر الميلادي ، مما جعل أحمد يسوي يرسل به إلى الأناضول لتحقيق هذا الهدف ، وعلى كل حال فقد كتب حاجي بكتاش مقالات بالعربية ، ومن المرجح أن يكون هناك أناس غير عارفين أوناسين وجود أدعية وأذكار عربية وفارسية في طقوس وشعائر البكتاشية ولا جرم أن البكتاشية هي طريقة أكثر شعبية قياسا بالمولوية ، ولا قبل لنا بإنكار هذا ، بيد أنه يوجد في هذه الطريقة خلاف وانقسام ، فهناك بكتاشية البدو والقرية كما سبق أن فصلنا القول في تاريخ المولوية ، وهذا يعني أنه بينما كانت العلوية منتشرة بين ثنايا الركام المحتشد للقرى والبدو على الخصوص ، فقد ظهر فرع من الطريقة أكثر دقة ألا وهو شعبية "البابية" ونعني بهم البكتاشية الأصلية التي استطاعت أن تشتغل على المدن التي تستحوذ عليها ومع هذا فإن المولوية حافظت على شخصيتها الشعبية الأولى

وانتشرت وذاع صيتها حتى بلغ القرى فى تلك الحقبة من الزمان، ورغم وجود القرى المولوية فإن الطريقة المولوية استقرت بعد حين فى المدن. أما البكتاشية المستحوذة على المدن والمشتمة عليها قد اهتمت أكثر وأكثر بالطبقة المتوسطة ، وتمخض عن هذا ظهور كثير من الشعراء العلويين الذين نظموا على وزن الهجا حتى بات هذا الوزن عرفاً وتقليداً راسخاً عند أهل هذه الطريقة .

ورغم وجود بابية وبكتاشية ممن صنفوا ديوان شعر على وزن العروض فإنهم قدموا أشعاراً مكتوبة أكثر على وزن الهجا ، وفى مقابل هذا فقد اهتمت الزمرة المستنيرة بموسيقى المولوية وشعرها وسماعها ، وكان هناك قرض للشعر على وزن العروض بالفارسية منذ عصر مولانا ، وقد قبلت المولوية التكنيك الفنى للأدب الديوانى لكونه بات عرفاً وتقليداً ثابتاً فى هذه الطريقة ، ونعلم فى الوقت الراهن أن بين المولوية شاعراً يسمى "آدم دده" وهو أحد شيوخ تكية "قوله قابى" ، وله أشعار مدبجة على وزن الهجا (السفينة المولوية، ج ٢، ص ٥٠).

وخلاصة القول أن هذه ليست مسألة قومية لم تكن موجودة أو أنها لم ترد على الذهن فى تلك الحقبة من الزمان ، بل هى مسألة قضية ثقافة واعتماد على المقدرة والكفاءة ليس إلا .

هل يمكن أن يكون الأدب المولوى منفصلاً عن الأدب الديوانى ؟

يعلم العالمون أن الأدب الديوانى لم يدع شخصية للشاعر وذلك بسبب مجازاته المقلدة وتراكيبه وألفاظه المصبوغة فى قوالب ، وإن تعبير ممن بلغوا شأوا عظيماً فى مضمار الشعر وحازوا قصب السبق فيه يضطرون اضطراراً إلى الدخول فى لجة هذا الإطار الضيق ومن هذه النظرة أيمكن للأدب المولوى أن يكون قد انفصل من داخل الأدب الديوانى ، أم أنه أدب قائم مستقل قائم برأسه؟ وسوف نجيب عن هذا السؤال بطريقتين اثنتين:

١ - إن المولوية يعدون من المؤسسين للأدب الديوانى أو بتعبير آخر أنهم اضطلعوا بدور عظيم فى تأسيس وتطوير الأدب الديوانى العثمانى. ظهر الشاعر "تفعى" (ت ١٦٣٥م) ومن بعده الشاعر "نديم" (ت ١٧٣٠م) والذى يعد من أساطين الأدب الديوانى العثمانى، وظهر كذلك كل من بهائى وجورى ووجدى وشيخ الإسلام يحيى وفصيح أحمدده الذين كانوا ذوى طبيعة شاعرية متأصلة مفعمة بالمشاعر والأحاسيس، متحررة من الصنعة الفنية المتكلفة لمدرسة الشاعر "باقى" ، وظهر بين هؤلاء كذلك الشاعر "نائلى" (ت ١٦٣٥م) ، ولا جرم صنعته الفنية بلغت شأواً بعيد المدى ، ورغم أنه يدبج أشعاره بنغم مفعم بالخيال فى تعبيراته فإنه لم يتردد فى هوة التعقد والتكلف، ولم ينقصم قط عن السلامة والسهولة. وكان الشاعر "نشاطى دده" (ت ١٠٨٤هـ - ١٦٧٣ - ١٦٧٤) مولوياً وقد بلغ من المهارة الفنية الدرجة العليا مقارنة بالشعراء المعاصرين، وبعد مدرسة "نشاطى" و"نائلى" ، ظهر الشاعر "عرفى" (ت ٩٩٨ هـ = ١٥٨٩ - ١٥٩٠)، والشاعر "فيضى هندی" (ت ١٠٠٣ - ١٥٩٤ - ١٥٩٥م) ، كما ظهر كذلك الشاعر "شوكت بخارى" (ت ١١٧٠ هـ = ١٧٥٦ - ١٧٧٥) مؤسس كلاسيكتنا الحديثة فى إيران والذي ذهب إلى الهند حيث مهد السبيل لإبداع ضرب جديد من النظم فى الأدب الديوانى العثمانى يسمى "السبك الهندى" ليكون ممثلاً للشعراء الذين يعيشون فى الهند ، وقد خلف هذا الشاعر تأثيراً عظيماً فى تنشئة الشاعر "شيخ غالب دده" (ت ١٧٩٩م)^(٦). ومن ناحية أخرى ظهر الشاعر "نابى" (ت ١٧١٢م) ، وكان مولوياً والذي سلم كثير من الشعراء بمقدرته الفائقة فى نظم الشعر وخلف تأثيراً بعيد المدى فى نشأة كل من الشاعرين راغب باشا وتائب ، وقد أدخل الشاعر "نابى" الحكمة والفلسفة إلى الأدب الديوانى ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. وحسبنا إلقاء نظرة واحدة على تذاكر الشعراء عامة وتذكرة "أسرار دده"^(٧) خاصة بغية الإحاطة علماً إلى أى حد كانت هنالك كثرة من شعراء المولوية فى الأدب الديوانى.

٢ - كان المولوية هم السبب الرئيسى فى مزج هذا الأدب بالتصوف ، كما كان التصوف أحد العناصر الأساسية فى تكوين هذا الأدب الديوانى. وثمة رواية تفيد بوجود أصرة قوية وعلاقة وثقى لكل من يونس أمره وعاشق باشا بحاجى بايرام ، ولا سبيل إلى إنكار مدى تأثير الشاعرين "شيخى" وألوانى شيرازى وغيرهما من

الشعراء المتصوفة على مدار الأحقاب والدهور بيد أن هذا التأثير كان شديد الضالة، ويرجع هذا على وجود مؤسستين كبيرتين كانتا نواتي تأثير ثقافي جلي في دولة آل عثمان منذ العصور المبكرة حتى الأحقاب المتأخرة ، وهاتان المؤسستان هما: المولوية، والعلوية البكتاشية .

فالمؤسسة الأولى ونعني بها المولوية كانت من ناحية الموسيقى والأدب والذوق الفني والصفاء الروحي ذات تأثير في الزمرة المستنيرة بعد مولانا وبعد العصر السلجوقي وإذا كانت المولوية لم تفقد شخصيتها الشعبية فإنها ظلت رازحة تحت تأثير هذه المولوية الزمرة بسبب الوقف من ناحية وبعض حلفاء المولوية من ناحية أخرى، ثم بدأت تأثيرها في هذه الزمرة أما المؤسسة الثانية وهي العلوية البكتاشية فقد قلنا أننا إنما كانت ذات تأثير في الطبقة المتوسطة في القرية والقروي رغم وجودها في المدن .

وإذا كان نفعي وفصيح ونابى وشيخ غالب ليسوا جميعا من شعراء المولوية ، فمما لا ريب فيه أنهم أصبحوا بعد حين شعراء مهرة في الأدب الديواني وتحدثوا في مضمار التصوف بفضل تأثير الأدب الإيراني في الشعراء الإيرانيين ولكن حديثهم كان سطحياً مثل باقى، فهذه أبيات للشاعر نفعي على سبيل المثال لم يعتمد فيها على العرف المؤسس والتقليد الثابت، ويقول فيها:

رند خر شیارم خرابات محبتدر ديلم

عاشق هر جایم وحدت نشا نيدر سوزم

مثنوی آماکه هربیتی جهان ومعرفت

ذره ســـــیله آفنا بک برابر برتوی

عالم مانی که خورشید جهان آرکی

دور ايدر کير مشن ساعة آنده روح مولوی.

يعنى سر الله أعظم حضرت مولاي روم
كيم اودر معنيده صاحب مسند خسروى
خسروى اندیشه كيم عشق حسام الدين ايله
اولدى تيغ باطن دنيايه برهان قسوى

والمعنى :

أنا عرييد سكير ذكى أريب وفؤادى هو حانة المحبة
عاشق لكل مكان وكلامى دليل على الوحدة
إنه المنشوى ،بيد أن كل بيت فيه هو عالم المعرفة
يضىء وهاجسا مع كل ذرة شمس
هو عالم المعنى يشبه الشمس المزينة للدنيا
وروح المولوى تعود وتدخل فى لحظة إلى السماع
وهذا يعنى أن حضرة ملا الرومى هو سر الله الأعظم
من هذا؟ إنه فى هذا المعنى صاحب عرش كيهوسرو
ذو فكر مثل خسرو مقرون بعشق حسام الدين
وصار برهانا قويا لسيف باطن الدنيا

ونفعى فى هذه الأبيات مستلهم من مفهوم أشعار مولانا.لقد نشأ الأدب المولوى
منقصما بصورة رائعة ممتازة من داخل لجة الأدب الديوانى حيث تميزت المولوية
بأدابها وأعرافها وتقاليدها وخصائص وصفات تراكيبها واصطلاحاتها.وكان كل

شعراء المولوية هم أنفسهم شعراء الديوان الذين دبجوا النظم في القصيدة والغزل
وسائر مجالات الشعر الأخرى، بيد أن بعض أشعارهم كانت مصطبغة بالصبغة
المولوية الخالصة، ولا سيما شيخ غالب وأسرار دده حيث تتجلى هذه الخصوصية عند
كليهما بصورة جميلة مستحسنة.

يقول شيخ غالب:

معلا دومانى أولیا در مطبخ معلا

دل و حانه اوجا غی کیمیا در مطبخ معلا

جراغ بر ضیاسی سر آتش باز دن یاغشن

بوتون براونه کسانى عشقه جادر مطبخ معلا

آکا روح سوده در آتش برستان محبت هب

سمندر خانه مهر وفادر مطبخ معلا

جکلمشدر سمساط نعمت الوانى آفاقه

خلیل عشقه کلزار صفادر مطبخ معلا

سماع دست أفشان صانورسك نو نیازه نك

مطار طائران کبیر یادر مطبخ معلا

یتر فقر اهلنه یوزلر قره سی مایه رحمت

مقام خدمت آل عبادر مطبخ معلا

آلور اهل ولایت قسمتك برابر اودر کاهدن

کرامت کانی درکنز خدادر مطبخ معلا

نهایت ابتدایه رُجعت اولش سید القومه

باقیله زیر خط استوار مطبخ ملا

هوالا نمه صاقین آواره کز مه آشیانن کیراول

کبوتر خانه صدق و صفا مطبخ ملا

کیرن مشتاق قدراول دودمانه کیرماین مشتاق

مثال کعبه بر حیرت فضا در مطبخ ملا

تجرد پیشه دردا اندیشه لازمدر طلب کاری

عجب کرمآب عبرت نمادر مطبخ ملا

یارا شمشدر کسروه مولویه طورا استغنا

قناعتندن یا بلمش بر بنادر مطبخ ملا

نفس بند خاموشی بی نوایی اوززه مبیندر

فنا فی الله در عییه بقا مطبخ ملا

تصعقندن تعسفندن هزاران بایه برتردر

بیلور اهلانه ولا ولا ملتجادر مطبخ ملا

عبودیت عبادت صرف عبودتدر ا منزل

سبهر بندگی به ارتقادر مطبخ ملا

والمعنی :

مطبخ المولوی هو الموقد السامی للأولیاء

وهو بمشابهة شیئی نادر للقلب والروح

امتلاً مصباحه بالنور واشتعل من سر آتش باز
ومطبخ المولوى هو مكان لعشق كل الفراشات
وهو محبة وراحة وطمأنينة لكل عباد النار
هو يشبه السمندر^(٨)، فهو محلة المحبة والوفاء.
ومدت فيه سماط^(٩) النعمة وصعدت إلى الآفاق
ومطبخ المولوى هو روضة الصفاء والعشق الخليل^(١٠)
حتى لتحسبن أن يد ممارس السماع تنثر الأنغام
ومطبخ المولوى هو مطار طيسور الكبرياء
وهو أس مال الرحمة لأهل الفقر، فكفاهم الخزى والعار
ومطبخ المولوى هو مقام الخدمة لأهل العباء
ونال أهل المولوية حظهم من هذه التكيّة
ومطبخ المولوى هو منجم الكرامة وكنز الرحمان
ورجع إلى نهاية البداية وإلى سيد الأقسام
إذا نظرفإن مطبخ المولوى تحت خط الاستواء
حذار أن تحرك الهواء عليه ولا تتجول هائما على وجهك واستمسك
بهذا العش فمطبخ المولوى هو حمامة ومحلة الصديق والصفاء.
فالراغب فى الشىء يتوجب عليه التجرد وتجشم الصعاب
حقاً! إن مطبخ المولوى هو حمام ساخن ومثال للعبرة

شوق ايله جان نازه لنور بن ديسم
 نطق صفا بحیثنه روح الحیات
 برتو أنوار جمالك سنك
 عشق ايله ويردى دو جهانه بنات
 دولدى تجلى خدادن سوا
 شمس محبتايدىجك التفات
 ياندى او آتشه دل جاناغر
 ايتدى جمالك ولى كشف صمات
 آه من السع شق واهاته
 احرق قلبى بحر ارته
 كورقكه اسير سك اكسر محشرى
 جرخته سير ايله اومه - بيكرى
 عشق ايله غليطده اولوب مهروش
 صالمه ده عالمه نور وفورى
 اتممه ده نه قبه بى انوار ه غرق
 دبدوز ايدوب باهز وخورى
 قوى صفات باى رو اولوب سن نحنى
 دوش يوله فشق ايله ميه باوسرى
 دف وجلا جيله سماع ليت همان
 آله قولى بو فلك جنبه

طوتمه قسولاق دورينمه احكامكه

سرسريدر سرسريدر سرسري

بن هله غريب ايله مشتم كندومى

آتش سواديه دوشسه لدن برى

آه من العشق واهاته

أحرق قلبى بحرارته

عشقه نه سرونه سرور كرك

باشكله بویر وقلره افسر كرك

دوز فلكدن نه اوله براونه يه

شمع طواف ايتمكه بر بر كرك

يانمه سى حاخر يولى معلوم آنكك

حجكه نه زاد ونه هبر كرك

بوسوزى اماكه قولاي صانمه سن

عشق كسى سينه ده جوهر كرك

قسوت باز وبو قابوده طورر

رستم ايشى آكلامه حيدر كرك

ترك هو ايتممه سى آسان دكل

عون خدا فيض بيغممر كرك

باشكه غسو غيايى قيامت قيووب

سينه ده بر مهر منور كرك.

آه من العشق و آهاته
 أحرق قلبی بحرارة
 عشق کلوب ملک دله اولدی شاه
 دردوغم و محنت قیلدی سباه
 ابتدی او ویرانه یی معموره زار
 لشکر اندوهه قیلوب جلوه کاه
 مشعله لری یانندی درون و بیرون
 نور تجلی طولوب اول خانقاه
 عرصه محشر کی اولدی عیان
 کوشه باکوشه پنجه بیک داد حالی
 سور می مانم می بیلمسیز یقین
 نای و قسود دمله کلور آه آه
 حیرت الوب عقلمی اولدم خاموش
 دهشتم ادراک ایدرم کاه کاه
 صبر و سکون کیتری الیسمدن تمام
 ز آکلامه دم مجسم میدر آتش میدر.
 یافیشکی سویله یه مم آه آه من العشق و آهاته
 أحرق قلبی بحرارة.

(الديوان - القصائد والترجمات، ص ۵۸ - ۶۱)

والمعنى :

تتجلى نور الذات فى روحك الطاهرة

وصدرة مـرآة الصـفـات

ظاهرة بجلاء فى حسنك الوضاء

وسر الله نجم عنه الكائنات

وعندما تدخل السماع فى دائرة الفلك الدوار

تكون الجهات الست فراشة حول شمـعك

وإذا قلت إن الروح تتجدد بالأشواق

فإن روح الحياة تنطق بالصفاء

إن جمالك هو شمـعـاع الأنوار

ومنح بالعشق الدنيا والأخرة الثبات

ولم يملأها سوى تجلى الإله

وهو يلتفت إلى شمس المحبة

واحترق بهذه النار روحنا وفؤادنا

وجمالك كان صاحب كشف الصوماط^(١)

آه من السمـعـشـق وآهاته

أحرق قلبى بحـرارتـه

إذا أردت رؤية المحـشـر

فشاهد صورة هذا القمر فى الفلك الدوار

فهو كالشمس يدور بالعشق في هذا الفلك
هو نور وضياء ألقى النور على الأكوان
وغرقت القباب التسع في لجة الأنوار
واستوت الشمس جهة المغرب
وأصبحت قائد المحلة التي أتت فيها
فانطلق إلى الطريق دون أن تفرق بين الرأس والقدم
واعقد السماع من فورك بالدف والجلجل
ولا تأخذ في ذراعك طوق الفلك الدوار
ولا تلق السمع إلى تصاريف الأقدار
وأنا الآن قد غبت عن ذاتي ونفسي
منذ تخيلت نار هذا العشق
أه من المعشوق وأهاته
أحرق قلبي بحرارته
ليس للمعاشق قائد أو زعيم
وليس له تاج فوق رأسه أو أمر أو سلطان
وإذا حدث للفراشة من الفلك الدوار
يلزمها جناح حتى تطوف حول الشموع
فطريق احتراقها مهياً معلوم
ولا حاجة لها من أجل الحج إلى الزاد والدليل

ولا تحسبن أن هذا القول سهل ميسور
إذ يجب أن يكون العشق فى القلب كالجوهر
وقوة الساعد تقف على هذا الباب
وَألا يفهم ما فعله رستم أو الإمام على
إن ترك العشق ليس بالأمر اليسير
ويتوجب أن يكون عون من الله وفيض من الرسول
لقد قامت القيامة بهولها فوق رأسك
ويتوجب أن يكون فى الصدر شمس منيرة وضاءة.
آه من العــشق وآهاته
أحــرق قلبى بحــرارته
أقبل العشق وأصبح على ملك الفؤاد سلطانا
وبات جيشا جلب معه الألم والحزن والمحن
وعمر الأرض الخربة أصبحت عمرا
وأصبح لجيش الهم محل التجلى والظهور
وأشعل المصابيح فى الظاهر والباطن على السواء
مــــــــــــــــلاً نورالتجلى هذه التكية
وظهرت بجلاء وكأنها ساحة المحشر
وعم العدل والإنصاف فى كل صوب وحذب
لا يعلم أهو عرس أو مناحة على وجه اليقين
فــــــــــــــــالآهات تبــــــــــــــــعث بالنأى والطبلة

فالتزمت الصمت وأصابتنى الدهشة والذهول

وتارة يصيبني الخوف والارتباك

ولقد نفذ صبري وذهب عني الهدوء والسكينة

ولم أفهم كنه ذاتي ولم أعرف الدليل والبرهان

أهو نور ————— سم أم هو نار

لا قبل لي بالتفوه إنه شيء حسن جميل

هذا ورغم أن الترجيع بند من أجمل المقطوعات الغزلية للأدب الديواني فهو يعد شعرا مولويا خالصا بحسه وشعوره ورؤيته ومصطلحاته وقد جاء على نفس الشاكلة مسدس متكرر ببند كتبه أسرار دده الذي يعد نموذجا متقنا بارعا للأدب الديواني ،يقول أسرار دده :

عجب مي بخت سياهم ايجون أه وأه ايدر

آنك شكا يتنى ياره ضاد-خاه ايدر

هجوم حسرتي كور بن سكا نكاه ايدر

كهى غريق كهى شناه ايدر

كورن صانوركه صفادان سماع راه ايدر

دونر دونر باقه رم كوى ياره أه ايدر

(الديوان: ص ٢٩).

والمعنى :

أحسنا أنني أتأوه بزفسرة الألم لحظي المنكود

وأبث شكوى حظي للمحبوب بالضاد والخاء؟

فانظر هجمة الحسرة التي أصابتني فأنا أنظر إليك
تارة أكون غريقا وأصبح تارة أخرى
والناظر يظن أنني أسلك طريق السماع من الصفاء
وأنظر وألف وأدور متأوها لمحلة المحبوب
ولا جرم أن كثيرا من شعر الشيخ عبد الباقي آخر شيوخ التكية المولوية في "يني
قاي" قد قدم للأدب المولوي نماذج لأبيات من الشعر تجعله أستاذاً للشعر الديواني
بعد "يني شهرلي عوني" ، ومن ثم أصبح شاعر الأدب المولوي غير مدافع، وهذا مثال
من شعره :

آه وآفان حزينم ناى درسينم قدوم
اولدى جسمم سرتر بر در كاه ملايى روم
اولو رمى محروم سماع در كاه خونكار
دم ملاده جسمم بر طرب بر خانقا همدرد
جواسم عقل ورحم سالكان بى مثاليمدر
كيمى برنو نياز يمدرد كيمى برمر دراهمدر
ته وار قيل سم تجرد شكل سر يدن بن أى بقى
باشمده شمعة أهم حقايق بز كلاهمدر

والمعنى :

أنا أتأوه حزيناً فالناي والطبلة هي صدرى
وبيات جسمى برمته صومعة عبادة لمولوية الروم

هل أصبح القلب محروما من سماع تكية السلطان

ولحظة المولوى جعلت جسمى صومعة تعبد مفعمة بالطرب

وأنا من السالكين وعقل روحى ليس له نظير

تارة أكون مريدا وتارة أكون سالك الطريق

ماذا لو تجردت يا باقى من هذا الشكل الصورى

وقلنسوتى فى رأسى هى الشعلة الحقيقية لأهاتى

ويتبين من هذا أن شعراء المولوية كانوا أكابر الشعراء وأعظمهم فى الأدب الديوانى وكانت أشعارهم تدرج داخل إطار الوصف الفنى والجمال المفعم بالمشاعر والأحاسيس ، ورغم أن بعض أشعارهم لم تخرج عن هذا الإطار فإنها برمتها أشعار مولوية ، ولا سبيل إلى فهم هذه الأشعار واستكناها دون الإحاطة علما بالخصائص والسمات التى تخص العقيدة المولوية وطقوسها وشعائرها ، ومن هذه النظرية يتوجب وجود أدب مولوى يعيش داخل الأدب الديوانى وإذا مُحِصت هذه الأشعار وتم بحثها وإمعان النظر فيها وطبعت مشفوعة بشرح يجليها فإن هذا سيكون ولا ريب بمثابة خدمة جليلة تقدم إلى عالم العلم والمعرفة.ولسوف نتمم هذا البحث بهذا الشعر الذى دبجه شيخ غالب فى حق المولوية :

بوشوب برتو صالوب آه أصبح كاهيلر

آجيلدى نور چشم روش اولدى هب سياهيلر

هلال وبدر اولوب دريايى استغراقه ماهيلر

تجلى قيلدى بردن اعتذار كاه كاهيلر

كوزم دوش اولدى كوردم بركر وهى بك كلاهيلر

عجب هيبث شوكت عجب طرر الهيلر

اشارت دقایقی عالم اقوالدن بیرون
 مقامات غریبی فکر اهل حالدن بیرون
 کوزم دوش اولدی کوردم برکر وهی هب کلا هیلر
 عجب هیبت عجب شوکت طرز الهیلر
 کیمی مست مهابت خانه خمارادن کلمش
 کیمی مدهوش حیرت شعله دیدارن کلمش.
 کیمی خورشید بکزر عالم انوار دن کلمش
 کیمی وارمش دیار وحدته تکرار دن کلمش
 کوزم دوش اولدی کوردم برکر وهی هب کلا هیلر
 عجب هیبت عجب شوکت طرز الهیلر
 کلام صمستی دریا لرکی بر جوش سویلر لر
 محبت راضنی بربرینه خاموش سویلر لر
 به هر دم خوش دردم سرینی بی خوش سویلر لر
 رموز عشقی جمله بی زبان وکوش سویلر لر
 کوزم دوش اولدی کوردم برکر وهی هب کلا هیلر
 عجب هیبت عجب شوکت طرز الهیلر
 ظرافت سکینه افراع ایدوب کشف کرامتی
 تر الایه جنکار مشلر ولایت مقاماتی
 کتر مشلر حریم زهده ویر مشلر خراباتی
 لباس فقرا یجنده کیر لمشر وجد حالتی

کوزم دوش اولدی کوردم بر کر هی هب کلاهیلر
 عجب هیبت عجب شوکت عجب طرز الیهیلر
 ملک لر رشک ایدر بر طور و آداب و رسمومی وار
 ملک لر مالک اولمز دف ونی طبل و قدومی وار
 سمع میدانک هم مهر و مه جریخ و نجوم وار
 خصوصه ایجلر نده ذات مولانایی رومی وار
 کوزم دوش اولدی کوردم بر کر وهی هب کلاهیلر
 عجب هیبت عجب شوکت عجب طرز الیهیلر
 وجود مطلق اوزره دورایدر لر عین وحد نده
 قامو خورشید و شن تنها کزر کثر نده خلوتده
 مسدار بایی سیر نقطه غیب هویت نده
 وصال صرف بولشلمر بد یتده نهایتده
 کوزم دوش اولدی کوردم وهی هب کلاهیلر
 عجب هیبت عجب شوکت عجب طرز الیهیلر
 شه ملک قناعت هربری عنقاهاهمما یزدر
 وجودی بونه اکسیره قویلق کیمایزدر
 زر محبوبی عشقز سکه فراوربی رجایزدر
 جمیعاً حضرت ملایه آکلر خاک بایزدر
 کوزم دوش اولدی کوردم وهی هب کلاهیلر
 عجب هیبت عجب شوکت عجب طرز الیهیلر

جو اولدم جان ودلدن مظهر عشق اولمغه طالب
دوشوب بر آتشه سيرايله دم هرسو وهر جانب
كوزم دوش اولدى كوردم بر كر وهى هب كلاهيلر
عجب هيبت عجب شوكت عجب طرز الاهيلر
والمعنى :

ألقى الليل نورا على حين غرة على آهات مطلع الصباح
وتفتح نور عيني وأضاء كل الظلمات
وأصبح الهلال والبدر أقمارا فى بحر النشوة والانجذاب
وتجلى فسجأة بعد اعتذار
ورأت عيني فى المنام أفواجا محتشدة من القلائس
يالها من هيبة وعظمة وضروب من الإلهيات
إنها إشارات دقيقة خارجة من عالم الأقوال
ومقامات غريبة منبعثة من فكر أهل الحال
مقرونة بالأئمة منبعثة من الأبدال بغوث الأقطاب
وخلاصة القول أنها صادرة من الحال والقال فى الآخرة
ورأت عيني أفواجا محتشدة من القلائس
يالها من هيبة وعظمة وضروب من الإلهيات
وسكر المحبة يأتى أحيانا من حانة الخمار
وتأتى الدهشة المحيرة من بريق العيون

ويشبهه الشمس أحيانا آتيا من عالم الأنوار
ويأتى ثانية ليصل إلى ديار الوحدة
ورأت عيني فى المنام أفواجا من القلائس
يالها من هبة وعظمة وضروب من الإلهيات
إنهم يتفوهون بالجيشان و كأنه كلام صمت البحار
يتفوهون بسر المحبة وهم صامتون .
يتفوهون مغشيا عليهم ويفصحون عن مكنون الأسرار
ويتكلمون بكل رموز العشق دون أذن ولسان
ورأت عيني فى المنام أفواجا من القلائس
يالها من هبة وعظمة وضروب من الإلهيات
ويفرغون إظهار الكرامات فى قالب الظرف والرقعة
ويصعدون مقام الولاية فى السماوات
ويأتون بالحانة ويقدمونها لمقام الزهد والعبادة
ويدارون الوجد والحال فى لباس الفقر
ورأت عيني أفواجا محتشدة من القلائس
يالها من هبة وعظمة وضروب من الإلهيات
تحسد الملائكة على سلوك الآداب والشعائر
فالملائكة لا يملكون الدف والناي والطبلة
وليدان السماع شمس وقمر وفلك ونجوم
ولا سيما أن مولانا الرومى موجود بين هؤلاء

ورأت عيني في المنام أفواجا محتشدة من القلائس
يالها من هيبة وعظمة وضروب من الإلهيات
ويدورون في فلك الوحدة والوجود المطلق
يطوفون في الخلوة والكثرة وحيدين كالشمس
ومدار قدم السير في نقطة غيب الهوية
ويجدون الوصال المحض في البداية والنهاية
ورأت عيني في المنام أفواجا محتشدة من القلائس
يالها من هيبة وعظمة وضروب من الإلهيات
يقول سلطان ملك القناعة إنا طيور العنقاء
ونحن كيمياء وضعنا الوجود في بوتقة الإكسير
ذهب المحبوب نورنا، ولا نريد إلا قلانسنا
ويعلمون أننا تراب القدم لمساجد حضرت مولانا
ورأت عيني في المنام أفواجا محتشدة من القلائس
يالها من هيبة وعظمة وضروب من الإلهيات
وأصبحت طالبا لمظهر العشق من الروح والفؤاد
وهويت في النار وشاهدته في كل طرف وجانب
ورأت عيني في المنام أفواجا محتشدة من القلائس
يالها من هيبة وعظمة وضروب من الإلهيات^(١٢)

الهوامش

- (١) انظر الديوان الكبير ومقدمات ترجمتنا للمثنوى .
- (٢) انظر مولانا جلال الدين- الطبعة الثالثة، ص ٢٤٩ - ٢٥٣ .
- (٣) لمعرفة الألفاظ المغولية التي دخلت الفارسية. انظر: "أقايي محمد تقى بهار ملك الشعراء" سبك شناسى: ج٢، تهران، ص ٩٧ - ١٠٠، ولكن ملك الشعراء اقتبس الكلمات المجردة.
- (٤) اضطلعنا لأول مرة بجمع أشعار عاشق باشا التي لم تدخل في إطار غريبنا ونشرناها في مجلة التركيات (ج٥، سنة ١٩٣٥، ص ٨٧ - ١٠٠) وعثرنا بعد ذلك على طائفة من الأشعار المكتوبة على وزن الهجا .
- (٥) هو ابن واحد يسمى عبد الرحمن وابن أخ الخطاط المسمى "شيرين قلم شمس الدين ثاني،" وولد ميرزا محمد على صائب سنة ١٦٠٣ م في قرية "عباس آباد" المجاورة لتبريز أو أصفهان وهو واحد من أهم الشعراء ذوي التأثير الجلى في الأدب التركي الديواني. وقد فتح الملك عباس مدينة تبريز واستولى عليها من آل عثمان سنة ١٦٠٧ م واستقر به المقام في مقاطعة فارسية في جزء يقع بين الأرمن وأهل ارزينجان وكانت عائلة صائب تقع بين هؤلاء وهؤلاء. ذهب في شبابه لأداء فريضة الحج وعنده مكث مدة من الزمان في المدن العثمانية وذهب أيضا إلى هراة وكابل ولاهور وأقام حيناً من الزمن في كشمير، ثم عاد إلى إيران سنة ١٦٣٢ م، حيث استقر به المقام في مدن أصفهان وقم وقزوین وأردبيل وظل في كنف الملك عباس الثاني حتى وفاته، ولقب بملك الشعراء، ثم جاء إل قونية سنة ١٦٦٦ م وزار مولانا بمكث مدة في النكية حيث منح خلافة الطريقة المولوية، ولما قدم إلى قونية لم يحمل ديوان معه، سئل عن السبب قال إنه من العيب أن نأتى إلى البحر بقطرة، بيد أن ذهني دده (ت ١٧١٥ - ١٧١٦م) الذي ذهب إلى تبريز أخيراً جلب معه ديوان صائب إلى الأناضول، وكان هذا سبباً في ذبوع صيت صائب الذي أسس زاوية مولوية في تبريز ودفن فيها عند موته سنة ١٦٦٩ م، وثمة رواية تفيد بأنه أحد سلالة شمس تبريزي وأنه شيد زاوية مولوية في أصفهان ومن المرجح أن تكون هذه رواية مختلفة من المولوية زاكية صادق: الغزليات التركية لصائب تبريزي، رسالة تخرج ١٩٤٧-١٩٤٨م، مكتبة جامعة استانبول، رقم ١٥٥.
- (٦) للإطلاع على السيرة الذاتية للشيخ غالب وشاعريته، انظر في هذا مقالتنا المعنونة باسم "الشيخ غالب دده المنشورة في دائرة المعارف الشهرية (ج٥- عدد ٥٠- يونيو ١٩٤٨، ص ١٤٤٠ - ١٤٤٥)، وانظر كذلك مقدمة "حسن وعشق" التي نشرتها دار طباعة ونشر "الكتب الذهبية" في سنة ١٩٦٨م باستانبول، ص ٧ - ٤٦ .
- (٧) نحن مضطرون في هذا الصدد إلى تسجيل ما اضطلع به أسرار دده من توضيح حمية المولوية وحماسها. انظر في هذا: مادة: تذكرة شعراء المولوية في مدخل كتابنا هذا.

- (٨) اسم دابة لا تتأثر بالفار . (المترجم)
- (٩) السماط أو السوماط : مائدة ذات أرجل مخصوصة بطعام المولوية . (المترجم)
- (١٠) إبراهيم عليه السلام . (المترجم)
- (١١) هي مائدة المولوية . (المترجم)
- (١٢) هذا البيت نظيرة متكررة لمسدس للشاعر "محرمي" ، الموجود في نماذج شعر المولوية .

الفصل الثانى

موسيقى المولوية

موسيقى المولوية - الطقوس والشعائر-المقطوعات التى لا وجود لها فى نعوت مولانا مقرونة بالطقوس والشعائر المولوية - اللغة التركية فى الطقوس والشعائر ملاحظات "خليل ديكمن Halil Dikmen المتعلقة بالموسيقى المولوية.

موسيقى المولوية :

رأينا فيما سبق كيف كان مولانا وسلطان ولد كلاهما يضطلعان بعزف الرباب ، كما كان لأولو عارف جلبى علاقة وثقى بالموسيقى^(١). إن الموسيقى أساس ركين فى السماع لا ينفصم عنه ألبتة، ومن ثم فإنها كانت من العناصر الأساسية للمولوية منذ عصر مولانا ، ولاسيما أن القيثارة كانت تعزف إبان السماع فى عصر مولانا ، وعليه فقد كانت القيثارة فى العادة هى الآلة الموسيقية المقدسة عند المولوية ، ورغم هذا كان الناي موجودا، حتى أنه كان لمولانا عازف ناي يدعى "حمزة" وهو الذى خلع عليه المولوية لقب "قطب الناي"، ثم صار هذا اللقب يطلق بعد ذلك على أشهر أساتذة فى الناي فى كل حقبة وزمان .

وبعد أن اتخذ الذكر المولوى آخر شكل له، دخلت إلى الطرب مع مرور الوقت آلات موسيقية أخرى كالعود والكمان والطنبور والكمان الصغير والمزمار، حتى البيانو والفيلونسل violoncel، أما أول بيانو جاء إلى استانبول فهو ذلك الذى كان يعزف فى

التكية المولوية فى "قوله قابيسى" ،هو معروض اليوم فى مدرسة"غازان فن آغا" الكائنة فى متحف بلدية المدينة ، وقد جرت العادة على أن يكون البيانو والفيلونسل مجرد زخرف أو زينة ،أو من قبيل الشكل والموضة ، أما الآلات الموسيقية الأخرى كالناي والطبلة على الخصوص فكانت بمثابة إنتاج محلى للمطرب ،كما كان الناي يشترك مع الأنغام طوال إنشاد الذكر ،أما الطبلة فكانت تتبع النغم الموسيقى ولا تند عنه ألبتة .

لم يكن للذكر وجود فى عصر مولانا وسلطان ولد وأولو عارف والشلبية الأولين ، ومن ثم لم تكن هناك ألحان خاصة مهياة جاهزة بغية التغنى والتفوه بها فى أثناء السماع ،وكانت هناك طائفة من المتصوفة فى معية المغنيين ،ونعنى بهم "القول- المتكلم" ، وهذا يعنى أن عازفى العود على كل حال ينشدون الأشعار الصوفية المصطبغة بالعشق كيفما اتفق ،بيد أن ألحان هؤلاء المغنيين كانت مجهولة اللحن مثلها فى ذلك مثل ألحان الشعراء الشعبيين فى تلك الحقبة من الزمان.أما بعد مولانا فكان لهم وجود مطلق فى مجالس السماع المولوية ، ومن المرجح أنه كان هناك تفوه بأشعار مولانا فى تلك المجالس. وبعد أن اتخذ السماع شكل الذكر بدأت موسيقى المولوية فى التأسيس والتقعيد بكل خصائصها وخلالها ،وانقسمت إلى أربعة ضروب من النغم الموسيقى ،أما مقدمات الموسيقى فهى مطابقة لنغم موسيقى خاص ،كما أن النوتة الموسيقية لهذه الأنغام مختارة من قبل مولانا وأولو عارف جلبى ، وتستهل بمقدمة موسيقية من أجل "دور ولدى" وهى أناشيد تلحن لتشكيل نغما تاما فى إطار موسيقى من أولها حتى آخرها ، ويسمىها المولوية "آيين" أى اللحن الموسيقى .

المقامات واللحن الموسيقى :

توجد ضروب ثلاثة من المقامات الموسيقية عند المولوية حتى القرن السابع عشر الميلادى ويتم التلحين من هذه المقامات بحسب أصولها وقواعدها ، ويسمى المقام الأول: دور روان - Devri-revan ، والثانى والثالث "دور روان هندى" - Devri revan Hindi ، ولهذه المقامات أسماء أخرى هى:

الحسينى ، دىجاه Digah، بنجبا pancgah . وثمة طائفة كبيرة ممن تعى هذه الموسيقى وتذكر كنهها ، وفى الحق فإنه لا يعرف أثر موسيقى واحد متفرد متميز لموسيقى هذه الضروب الثلاثة من المقامات الموسيقية ، ولهذا السبب فقد شاعت بعض الشوائع بين ظهرانى المولوية تقول إن مولانا وسلطان ولد كليهما قد اضطلع أحدهما أو كلاهما بتلحين بعض هذه الألحان ، بيد أن هذه المقامات كانت ملحنة وفق الذكر ، وترجع جميعها إلى القرن السادس عشر الميلادى . وتفيد إشاعة راجت بين المولوية تقول إن "كوجك مصطفى دده الذى كان شيخا على تكية ديوانه محمد جلبى" فى قره حصار ، والمتوفى فى سنة ١١٠٠ هـ = ١٦٨٨ - ١٦٨٩ م ، والمدفون فى قاعة السماع قد اضطلع فى القرن السابع عشر الميلادى بوضع لحن موسيقى من مقام البياتى وفق أصول وقواعد "دور روان" Devri-revan وتم تلحين هذا اللحن بعد الألحان الثلاثة الأولى، وقد اقتبست المقطوعة الثالثة الموجودة فى هذا اللحن من نفس الأبيات التى أنشدها "أفلاكى" ، وعلى هذا فإن ما هو موجود فى المقطوعة الموسيقية الثالثة قد بات عرفا وتقليدا مقتبسا من أبيات "أفلاكى" . وورد فى كتاب "أطرب الآثار" لأسعد أفندى "ذكر لموسيقى آخر يدعى "كوجك مصطفى دده" وكان ملحنا وشيخا على تكية أدرنه (ت ١٦٨٣ - ١٦٨٤م) . أما "سعد الدين نزهت أرجون" فله مقالة بعنوان "مقتطفات من الموسيقى التركية" ، ويؤكد فيها أن مقام البياتى راجع إلى هذه الموسيقى المسمى "كوجك مصطفى دده" (نشریات كلية الآداب - جامعة استانبول - ج ١ ، استانبول ١٩٤٢م، ص ٤١ - ٤٣) . ونحسب أن هذه مشكلة هينة يسيرة تعجل برفض ما ورد عند أسعد أفندى معتمدا على هذا الاسم معولا عليه. وقد اضطلع الملحن المعروف "عطرى" (ت ١٧١٢هـ) بلحن موسيقى فى القرن الثامن عشر الميلادى من مقام "صاجاه" "Segah" ، وهو لحن مطابق لأصول وقواعد "دور روان" ، وهناك طائفة أخرى من الملحنين والموسيقيين غير "عطرى" ممن ظهروا فى القرن الثامن عشر الميلادى ، وهاهى ذى أسماؤهم ، وأسماء المقامات التى لحنوا فيها :

١ - ناى عثمان دده (ت ١٧٢٩ م) وهو شيخ تكية "قوله قابيسى" ولحن من

مقامى چهار جاه والحجاز .

٢ - حسين دده الأيوبي (توفى بعد عام ١٧٣٥م) ، ولحن من مقامى الرصد والعشاق.

٣ - بورصه لى صادق (ت ١٧٨٠ - ١٧٩٠م) ولحن من مقام بسنى كار جاه .

٤ - مصاحب أحمد أغا (ت ١٧٩٤م) ، ولحن من مقامات : الحجاز والنهوند والصبا .

٥ - الشيخ حافظ عبد الرحيم شيدا دده : شيخ التكية المولوية فى أسكودار (ت ١٧٩٩م) ولحن من مقامات : حجازين - عراقى - نُخفت - أصفهان .

أما فى القرن التاسع عشر الميلادى فإن ملحنى الألحان المولوية كانوا أكثر من هذا ، ومن ثم فقد توجب زيادة الألحان الموسيقية بسبب ميل كل من السلطانين سليم الثالث ومحمد الثانى للطبقة العالية من المولوية ، وهام أولاء الموسيقيون الذين ذاع صيتهم فى العصر والمقامات التى لحنوا فيها :

١ - ناصر عبد الباقي دده : شيخ التكية المولوية فى ينى قابى (ت ١٨٠٤م) ، ولحن من مقام "شوق طرب"

٢ - سليم الثالث (ت ١٨٠٨) ولحن من مقام "سوز دلارا" .

٣ - الشيخ ناصر عبد الباقي دده (ت ١٨٢١م) شيخ التكية المولوية فى "ينى قابى" ، ولحن من مقامى "عجم بوشه لك وأصفهان" .

٤ - الشيخ كنهى عبد الرحيم دده : شيخ التكية المولوية فى "ينى قابى" (ت ١٢٨١م) ، ولحن من مقامى "حجاز وتحفت"

٥ - حمامى إسماعيل دده (ت ١٨٤٦م) ، ولحن من مقامات : بستين كار - فرخ فزا - هزام ، أصفهان - نوا - صبا - صبابوسه لك .

٦ - مصطفى نقشى دده : شيخ التكية المولوية فى مصر (ت ١٨٥٣م) ن ولحن من مقام "شد عربا" .

- ٧ - حاجى هاشم بك (ت ١٨٦٨ م) ، ولحن من مقامى: سوزناك - شاهناز.
- ٨ - شيخ أحمد عارف حكمتى دده: شيخ تكيه "قوله قابيسى" (ت ١٨٧٤ م) ، ولحن من مقام: ماهور.
- ٩ - زكى دده (ت ١٨٩٧ م): ولحن من مقامكات : أصفهان - مايه - صياز مزمه - سوزدل - سوزناك.
- ١٠ - أحمد حسام الدين دده (ت ١٩٠٠) ، ولحن من مقام راحة الأرواح.
- ١١ - جلال الدين دده: شيخ تكيه "ينى قابى" (ت ١٩٠٨) ، ولحن من مقام بوكاه.
- ١٢ - بول آهنگ نورى بك (ت ١٩١٠ م) ، ولحن من مقامى : قادرجه غار-بوسه لك.
- ١٣ - حسين فخر الدين دده: شيخ التكيه المولوية فى بهارية (ت ١٩١١ م) . ولحن من مقام: عجم أشيران.
- ١٤ - حاجى فائق بك (ت ١٩١١ م) ، ولحن من مقام سيكاه.
- ١٥ - مؤذن باشى رفعت (ت ١٨٨٨ م)، ولحن من مقامى :فرحناك-نواسر.
- ١٦ - مانيسه لى مصطفى جازم دده(ت؟) ، ولحن من مقام: حجاز كار.
- ١٧ - على عشقى (ت ١٨٩٢ م) ، ولحن من مقام حسيني أشيران.
- ١٨ - عصمت آغا (ت:عصر عبد العزيز) : ولحن من مقام أصفهان.
- ١٩ - يحيى أفندى ذاكر باشيسى(ت؟)، ولحن من مقام أصفهان.
- ٢٠ - قدم زن حافظ على دده(ت؟) ، ولحن من مقام نخفت .
- ٢١ - سلا نيكلى درويش نجيب(ت؟) ، ولحن من مقام: سوزناك.
- ٢٢ - طنبورى كمال(ت؟) ، لحن من مقام سيكاه.
- ٢٣ - موصوالى حافظ عثمان (ت بعد عام ١٩١٧ م) ولحن من مقام الحسينى .

هذا وقد اضطلع ناصر عبد الباقي دده بالتلحين من مقام شوق طرب ، وأهدى هذا اللحن إلى "حمامى إسماعيل دده" ، ونشر باسمه ، بيد أن هناك على كل حال تصرفات لناصر دده موجودة فى هذا اللحن.

وإذا كان "سعد الدين نزهت أرجون" سجل مقالاته السالفة الذكر أن مقام "دوكاه" يخص حاجى فائق بك دون غيره من الألحان الأخرى (متخبات من الموسيقى التركية-ج ٢، ص ٥٢٨ - ٥٦٢) ، فإنه قد ورد أن هذا المقام ليس لفائق بك ، وهذا ما نشر فى مجلة "الحن الموسيقى" ، وهى مجلة ذات قيمة علمية ومدونة تحت رقم ١٢٨١ ضمن نشریات جامعة استانبول ، ومدون فيها كذلك أن هذا المقام هو "سيكاه" ، ثم يعود "أرجون" ثانية فيذكر أن اللحن من مقام "أصفهان" لصاحبه ناصر عبد الباقي دده ، ولحن "نُخفت" "لكناهى عبد الرحيم دده" ، وثمة لحن من مقام اصفهان ليحى أفندى ذاكر باشيسى ، وآخر من مقام "ماهور" لأحمد عارف حكمت ، ولحن "هاشم بك" لحنًا من مقام "سوزناك" ولحن "نيزان صالح دده" لحنًا من مقام "شد عربا" ، أما ألحان مقام "سيكاه" لطنبور كمال فقد ضاعت برمتها ، ويقول "سعد الدين نزهت أرجون" إن لحن مقام "دوكاه" لفائق بك ، "وحجاز كار" لمانيصه لى مصطفى جازم دده ، وألحان مقام "شد عربا" لكل من "بول أهيك نورى بك قراجة غار ونيزان صالح دده" قد نالت حظا كبيرا من الذیوع والانتشار أما اللحن الذى من مقام "مخفت" "لصاحب قدم زن حافظ على دده" فإنه لم يقدمه لأى شخص آخر ، أما الرواية التى تروى على لسان الشيخ المرحوم أحمد جلال الدين دده "شيخ تكية" قوله قابيسى "فتقول إن ثمة ألحانا من هذه المقامات وذلك مثل لحن أصفهان لناصر عبد الباقي دده ن ولحن "شد عربا" لنيزان صالح دده" ، وهذه الألحان مدونة فى المجلة التى أسلفنا ذكرها بترنيماتها وأصولها وقواعدها ، وكتب فى نفس المجلة أن مقام "دوكاه" ليس لفائق بك ، ولكنه صاحب مقام "سيكاه".

وإذا ما أتينا على ذكر لحن "سوزناك" لهاشم بك فنقول : إن ما ورد فى هذه المقطوعة وغيرها من الألحان الموسيقية لم يحظ بالقبول والاستحسان من قبل شيوخ المولوية لأنها لحنّت من أشعار الشيخ "نظيف ينى شهرلى" ، حتى أن هذه الرواية

تفيد كذلك بأنه قد أرسلت رسالة توبيخ وتعزير من مقام الشلبية إلى "نظيف دده" ، ولهذا السبب فإن هذا اللحن كان يمكن إنشاده ذات مرة في تكية المولوية في "بشكتاش" ، ومن الطبيعي أن تكون ألحان مولانا مختارة منتخبة بواسطة كل من نظيف دده وهاشم بك كليهما .

ولحنت في القرن العشرين ثمانية ألحان فقط ، وهاهي ذى المقامات الموسيقية التى لحنت فيها مقرونة بأسماء ملحنها :

١ - ذكائى دده زاده حافظ أحمد (ت ١٩٤٤م) ولحن من مقامى: بياتى بوسه لك - مُستار .

٢ - أزمير لى راقم خوجه (ت ١٩٤٨م) ، ولحن من مقام : قاراجه غار .

٣ - أحمد عونى قونوق (ت ١٩٣٨م) : ولحن من مقامات: بوسه لك آشيرا ، دل كشیده نروى عراق .

٤ - كاظم أوز (ت ١٩٤٤م) ولحن من مقام سلطانى يكاہ .

٥ - رءوف يكتا (ت ١٩٣٥م) ولحن من مقام سىكاہ .

٦ - رفيق فرسان (ت ١٩٦٥ م) ولحن من مقامى: الرصد سلّمك .

٧ - أروى صايان (ولد فى سنة ١٩٣٦م : ولحن من مقام اوج EVC .

٨ - جينو جن طاكرى قورور (ولد ١٩٣٨م) ولحن من مقام بياتى عرباً .

مقطوعات ليست لمولانا فى المدائح مقرونة بالألحان المولوية :

لقد قلنا آنفاً إن الأنغام الموسيقية فى الألحان المولوية نشأت بصفة خاصة بعد مولانا من بين ثنايا المقطوعات المختارة من غزليات ورباعيات كل من سلطان ولد وأولو عارف جلبى كليهما . وكانت هناك أبيات مقتبسة من المثنوى ملحنة فى مقام "بنجه كاه" أو مقام "الحجاز" لصاحبه "مصاحب أحمد آغا ، أو مقام "فرح فزا أو الهزام"

لصاحبهما "إسماعيل دده" ، وثمة أبيات أخرى مقتبسة من "رباب نامه" لسلطان ولد ملحنة كذلك فى مقام "صبا" لصاحبه إسماعيل دده.

وبعد قيتوجب علينا أن نقول فى هذا المقام ما يأتى:

إن المولوية لم يتصدوا للبحث والتمحيص فى شخصية مولانا ومذهبه ومشربه وذوقه الفنى والأدبى ونزعته الإنسانية وضروب حياته ومعيشته وسجاياه وشمائله ، ومن البديهي كذلك ألا يمعنوا النظر فى الآثار التى تجلى هذه الموضوعات وتميط اللثام عنها ، وهذا شئ ليس بغريب عليهم ، إذ أن المولوية قد صرفوا جل اهتمامهم للأداب والسلوك والأسس والقواعد والموسيقى ليس إلا ، ورأوا مولانا برؤية صوفية خالصة ، وحماذى القول فى هذا أن شخصية مولانا الأصلية لم تكن بهذه الرؤية فحسب ، ومن ثم فإنهم قد تسنى لهم رؤية مولانا التى خلقوها وأوجدوها فى بنات خيالاتهم ، حتى إن الشراح الذين تصدوا لشرح أحد الآثار الأدبية العالمية الممتازة كالمثنوى لم يشعروا كذلك بضرورة قراءة آثار مولانا الأخرى ، وهذا ما قلناه آنفا ، ولهذا السبب فإنه توجد ألفاظ كثيرة ليست لمولانا ، ثم نسبت إلى اسم مولانا بعد حين . وفى الحق فإن الأنغام الموسيقية سواء أكانت فى الأماديح أم فى الألحان كانت تمثل الأنواق الفنية والنزعات والمشارب التى اختارها هؤلاء لتكون أكثر تمثيلا لمولانا والمولوية على حد سواء . وإذا كان المولوية من ذوى النزعة العلوية قد تخيروا هذه الأشياء بغية تجلية مولانا على أنه علوى بصفة مطلقة ، فإن المناهضين لهذه المذاهب قد اختاروا أنغاماً موسيقية تتسم بالزهد حتى يتسنى لهم توضيح البغية التى يبتغونها .

اللغة التركية فى الألحان :

أشرنا من قبل إلى أن الأنغام الموسيقية فى الألحان كانت أول الأمر مختارة من أشعار كل من: مولانا وسلطان ولد وأولو عارف جلى ، ثم بدأت بعد ذلك مع مرور الزمان فى اقتباس أشعار كبراء المولوية وأساطينهم ، وعلى هذا النحو دخلت التركية

إلى الألحان الموسيقية. وثمة مقطوعة لمولانا مقتبسة من لحن قديم ، وتمت ترجمتها إلى التركية على نفس الوزن، ويوجد "لمع" من مقام "بنجاه" وببيت تركي آخر من مقام "دوكاه" . وقد دونا في السيرة الذاتية "لشاهدي" أنه دمج رباعيات بالتركية على وزن المستزاد من مقام الرصد ، وثمة رباعية أخرى للشيخ غالب دده من مقام "سوز دلارا" ، وواحدة أخرى لإسماعيل دده من مقام "الصبا" ، وهناك بيتان من إحدى غزليات الشيخ "غوثي أحمد دده" (ت ١٦٢٩م) وهو شيخ تكية "قوله قابيسي" ، ومقطوعة أخرى نشأت عن ترجمة لإحدى رباعيات "صامتي وجامي" ودخلت كذلك رباعية الشيخ غالب دده، وثمة بيتان لمطلع إحدى الغزليات التركية "لنابي عثمان دده" من مقام الحجاز ، وأبيات أخرى من مقام "صبا بوسه لك" لإسماعيل دده ، وبيتان من مستزاد "لشاهدي" ، ومقطوعة "لصامتي" ، وثمة مقطوعة لعبد الباقي دده ملحنة على مقام "عجم بوسه لك" .

ما هي الموسيقى المولوية ؟ ألها خصوصية تدرج داخل إطار ما نسميه بالموسيقى الكلاسيكية؟ وما هي الأشياء التي اقتبسناها من هذه الموسيقى ومدى التأثير الذي خلفته فيها ؟ توجد أغنية يقول مطلعها " كم هو جميل ذلك القميص ذو الكم الذي يليق بكاتبتي" وهذه الأغنية واحدة من أجمل النماذج وهي من موسيقى المدينة التي لحت في استانبول من قبل الناس المدنيين على وجه الخصوص فهل قدم هذا الفن من الموسيقى شيئا ما إلى الموسيقى المولوية ؟ أم أن الموسيقى المولوية كانت ذات تأثير في ذلك الضرب من الموسيقى الذي يمكن أن نسميه بموسيقى المدينة؟ لقد أنشأ غالب دده "آثارا موسيقية إيقاعية مقتبسة من الأنواق الشعبية ، وصنع كذلك موسيقى "الفالس" Vals بتأثير الموسيقى الغربية.

ألم يكن ثمة تأثير في ألحان شيخ غالب دده الذي ظل رازحا تحت تأثير الموسيقى الغربية وتأثير الشعب في أغانيه؟ وكانوا يقولون كذلك ما هو الفرق بين اللحن والترنيمة؟

ولماذا يوجد أسلوب ترنيمي في ألحان "زكاني دده" عند أساتذة الموسيقى المولوية؟ إن الإجابة عن كل هذه الأسئلة يكون بمثابة كتاب برمته . وإن معهد الموسيقى

باستانبول Konservetuar لم يقف قط على هذه النقاط التي تؤكد وتثبت وجود الألحان الموسيقية المولوية ، فالرد على هذه الأسئلة والكتابة في هذه الموضوعات خارج تماما عن صلاحياتي ، بيد أنه يتوجب على عرض هذه المسألة ، ولقد استعنت في هذا المبحث بالمرحوم "مسعود جميل" وأنا على يقين بما قاله في هذا الخصوص . ولكنه خدعني كعادته مدة طويلة من الزمان ، إذ أن المقالة التي وعد بكتابتها لم تأت إلا بعد الفراغ من طباعة الكتاب ، ولكن الأستاذ "خليل ديكمن" رحمه الله تكرم على بمقالة تتصل بالموسيقى المولوية ، كما أعد قبل ذلك لوحة الذكر عند المولوية المرفقة بهذا الكتاب رغم مشاغله الكثيرة التي تثقل كاهله .

وها نحن أولاء نقدم بين يدي القارئ هذه المقالة بنصها ، ويتوجب على القول واثقا بعفوه ولطفه : إن العمل لما ينته بعد كما أنه لم يجب عن أسئلتى ، ولربما يظهر ذات يوم ويكتب كتابا بشأن موسيقى المولوية ، وهذا ما أنتظره وأترقبه .

نص مقالة الأستاذ خليل ديكمن :

إن موسيقينا هم الذين سمو الموسيقى التركية في العصور المتأخرة باسم الموسيقى التركية الكلاسيكية ، وقد تشعبت هذه الموسيقى إلى شعبتين اثنتين : دينية وغير دينية ، وقد نشأت آثار دينية ممتازة في إطار هذه البنى الموسيقية ذاتها ، وكانت الطقوس الدينية المولوية موجودة كذلك في ثنايا موسيقانا الدينية ، كما كانت بدورها آثارا فنية بحسب اتساع رقعة مؤسسيها . ولقد كانت هذه الآثار تتشكل من المقطوعة الموسيقية الرابعة منفصلة قائمة برأسها ، ويترنم بموسيقى هذه الألحان، ويتغنّى بها .

كذلك على أنغام القيثارة فحسب، كما أنها ترتبط ببعضها ارتباطاً وثيقا العرى ، كما وجدت ترنيمات متباينة داخل إطار المقطوعة الموسيقية الثالثة . بيد أن الآثار الموسيقية الدينية تختلف اختلافا بيناً عن الآثار الموسيقية اللادينية ، كما أن للآثار الموسيقية الدينية أداء مؤثرا مختلفا بين هؤلاء ، وهذا يعنى أنها تتأتى في شكل

مقروء ، وأن هذا الشكل الدينى الموسيقى والترنيمات الإلهية لتشكل جميعها الأساس المتين للآثار الدينية . وإذا كانت هذه الأشكال الموسيقية الدينية لا ترتبط بأية قاعدة أساسية فإنها تشكل مسلسل النغمة الموائمة لانسياب المقامات الموسيقية^(٢) ، كما أنها تأتى على رأس الطقوس والشعائر الدينية المولوية المقروءة ، وإن المدحة النبوية للشاعر "عطرى" تأتى على هذا الضرب من القافية وملحنة كذلك فى مقام "الرصد" . وتوجد طائفة من المتفوهين بهذا اللحن الموسيقى وفق الأصول والقواعد التركية. كانت طقوس المولوية وشعائرها تلحن وفق القسم الرابع للنغم الصوتى المسمى "الدور الكبير" ، ويأتى وفق قواعد موسيقية قصيرة النغم تشبه إلى حد ما ضربا موسيقياً منغماً مصطبغاً بالصبغة الأوربية .

أما الإيقاع الشديد أو السريع فيكون على هيئة توزيعات موسيقية وفق هجائيات النوتة الموسيقية ، وإن أطوال النغمات التى تمدهم الهجائيات وتطولها فإنها سمة خاصة تنشأ عن شكل الشعيرة وترتيب النغمات ، بيد أن منشدى الشعيرة لا يدركون جيداً كنه الحالة التى يكون عليها السماع ، ويتوجب عليهم ألا يضيفوا على الشعيرة صفة إلهية خالصة.

يصاحب المطرب طائفة تتكون من عازفى القيثارة والنايات ، وينضم إليهم كذلك عازفو الرباب والطنبور والقانون ، وهناك قائد عازفى السماع فى الناي الذى يأتى على رأس العازفين ، أما ضارب الطبله فهو على رأس منشدى الشعائر والطقوس ، ثم تأتى طائفة المطربين التى يوجهها ويديرها جميعاً قائد عازفى الناي.

إن منشدى الشعائر ينشدونها على أنغام طبلتين أو ثلاث ، ويصنع من جلد الطبله أو كورديون ذو أوتار ويستخدم كذلك فى إنشاد الألحان ، وبهذه الصورة تتحقق قيمة نقرات الطبله فى أثناء العزف ، بيد أن هناك واحداً من منشدى الشعيرة يشترك فى العزف مستخدماً دُفين أحدهما ذو جرس والآخر بغير جرس . وتُعرف موسيقى الشعيرة على شكل تقسيم إيقاعى خاص بطقوس وشعائر المولوية . تبدأ الطقوس دائماً بقراءة نعت مشهور للشاعر "عطرى" ينشده أحد الأشخاص . ثم تبدأ

التقسيمية الموسيقية الأولى حيث تستغرق مدة تتراوح ما بين خمس عشرة إلى عشرين دقيقة وهي تميط اللثام بكل اتساع عن مقام الشعيرة التي تنشد والتي يضطلع قائد عازفى الناي عزفها ويعقب هذا لحن آخر ملحن بحسب أصول وقواعد الدور الإيقاعى المتناغم المسمى "الدور الكبير" ويطلق على هذا الدور اسم اللازمة الموسيقية أو المقدمة الموسيقية ، فإذا ما انتهى الإيقاع الموسيقى المسمى "دور ولدى" الذى يعزف بمصاحبته المقدمة الموسيقية المعزوفة بالناي فإن العازف يمشى ويتجه نحو مقام الشيخ ، ويتقدم قائد عازفى السماع ماشيا مسافة ست خطوات ، ثم تنشد الأنغام الموسيقية للشعيرة بمصاحبة أنغام متتالية بعد الفراغ من عزف تقسيم موسيقى صغير ، وبعد بداية المقام الموسيقى الثالث تكون حالة الوجد قد زادت سرعة واطرادا وحينئذ يبدأ ضرب موسيقى منغم للسماع. وقد قلنا أننا إن تقسيمات الناي المعتادة فى أثناء العزف تضى على الشعيرة حالة من الوجد الصوفى المتقد بالحماس وسورة الحميا. أما المقام الموسيقى الرابع فإنه يحقق إعادة الطمأنينة والسكون من جديد ، ويلحن دائما بأدق اهتمام ووضوح حتى يمكن تحقيق تلك الطمأنينة وذاك السكون ، ثم تُمزج الإيقاعات الموسيقية بعضها ببعض بمهارة فائقة فى هذه المقامات الموسيقية . وبعد انتهاء المقام الموسيقى الرابع وقراءة الشعيرة بسرعة سرعان ما يأتى فى إثرهما لازمة موسيقية معزوفة على نغم ، "الدويك" ^(٣) Duyek بسرعة مطردة ، وتسمى باسم اللازمة الموسيقية الأخيرة ، أما الضرب الموسيقى والمنغم والأخير فإنه يعزف بمقطوعات قصيرة بالناي ، ويستمر لخمس دقائق ، ثم تبلغ الشعيرة نهايتها بتقسيم موسيقى آخر يعزف بالناي .

ويتوجب علينا فى هذا المقام أن نسجل هذه الملاحظة الآتية :

لقد تبوأَت الموسيقى حرية وانطلاقة لدى المولوية وكان هذا سببا قويا فى تطور موسيقانا اللادينية ، خارج نطاق تكايا المولوية. وإذا كانوا يميزون دائما بين الحالات الخاصة للموسيقى وبين الإلهيات والصمت الموجود فى طوال النغمة الموسيقية فإن

هذا يبين مقدار الظرف والرقعة الموجودين باتساع في المقامات الموسيقية ويبرهن كذلك على وجود أجزاء من الأغاني مقرونة ببعض الألحان . وعندما تسمع بعض الأغاني على وجه العموم فإنه يمكن الإحساس بجلاء تام بمقدار العلاقة الوثيقة بالمقامات الموسيقية ولاسيما عند الإنصات مليا إلى بعض هذه الألحان .

الهوامش

(١) انظر كتاب مولانا جلال الدين الرومي ، وانظر كذلك الجزء المعنون باسم مولانا والموسيقى في القسم الثالث من نفس الكتاب (ص ٢١٤ - ٢١٦) والجزء الرابع من القسم الأول من هذا الكتاب.

(٢) وثمة زعم يقول بأن هذه الأشكال الموسيقية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالقوافي وفق أصول وقواعد معينة.

(٣) دويك duyek :نغمة موسيقية في الموسيقى التركية ذات خمس نغمات . (المترجم)

المؤلف فى سطور

عبد الباقي جلبنارى

ولد فى إستانبول سنة ١٩٠٠ م وتوفى سنة ١٩٨٢ م . وهو كاتب ومؤرخ أدبى ، قدم أطروحته للدكتوراه إلى كلية اللغة والتاريخ والجغرافيا بجامعة أنقرة ثم عين بعد ذلك أستاذاً مساعداً للأدب الفارسى . ثم عمل محاضراً للغة الفارسية واضطلع بشرح النصوص التركية الأدبية وتاريخ التصوف التركى الإسلامى ثم ترك التدريس فى جامعة إستانبول وأحيل للتقاعد فى سنة ١٩٤٩ م . ومن أهم مؤلفاته :

- ١ - ديوان يونس أمره .
- ٢ - فى بيان الأدب الديوانى .
- ٣ - نسيمى - أصولى - روحى .
- ٤ - تاريخ الإسلام من الزاوية الاجتماعية .
- ٥ - مقتطفات من التصوف التركى .
- ٦ - الحكم والأمثال والمصطلحات التى انتقلت من التصوف إلى اللغة التركية .

المترجم فى سطور

د / عبد الله أحمد إبراهيم

ولد بمحافظة الغربية سنة ١٩٥١ م

أتم تعليمه الأزهرى وتخرج فى كلية اللغات والترجمة ، قسم اللغة التركية سنة ١٩٧٥ م .

حصل على الماجستير سنة ١٩٨٤ ثم الدكتوراة سنة ١٩٩٠ م يشغل حاليا وظيفة أستاذ مساعد بقسم اللغة التركية بكلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر :

أهم أعماله المؤلفة :

- ١- من أدب الرحلة فى تراث الترك (مخطوط) .
- ٢ - الشاعر التركى أحمد هاشم ورحلته إلى فرانكفورت (مخطوط) .
- ٣ - شاعر الإسلام محمد عاكف : مقامه بمصر وشعره فيها (مخطوط) .
- ٤ - ميزان الشعر بين إبراهيم عبد القادر المازنى وأحمد حمدى طانبينار (مخطوط) .

أهم أعماله المترجمة عن اللغة التركية :

- ١- الترجمة العربية لكتاب : المتصوفة الأولون فى الأدب التركى نشر المجلس الأعلى للثقافة .
- ٢ - الترجمة العربية لكتاب : تاريخ الأدب التركى ؛ تأليف : فؤاد كوبريلى زاده تحت الطبع .
- ٣ - الترجمة العربية لقاموس : الألفاظ الأجنبية فى اللغة التركية ؛ تأليف : على بوسكوالى أو على (مخطوط) .
- ٤ - الترجمة العربية لكتاب السلطان عبد الحميد الثانى ، شخصيته ، سياسته ، وتأليف : سليمان قوجه باش (تحت الطبع) .

المشروع القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التي حققتها مشروعات الترجمة التي سبقته في مصر والعالم العربي ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية في المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التي أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعي في الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التي تضع القارئ في القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣ - التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتهكوفنا	ت : أحمد الحضري
٥ - ثريا في غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكي
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معصم وعبد الجليل الأزني وعمر حلى
١١ - مختارات	فيسواقا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ - التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ - الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ - أثنية السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عثمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ - الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صمد يهرنجى	ت : ماجدة العناني
٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصري
٢٣ - تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ - رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كايين	ت : عبد الستار الطوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ - الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ - التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣٤ - الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصه إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

- ٢٦ - نظريات السرد الحديثة والاس مارتن
٢٧ - واحة سيوة وموسيقاها بريجيت شيفر
٢٨ - نقد الحداثة آلن تورين
٢٩ - الإغريق والحسد بيتر والكوت
٤٠ - قصائد حب أن سكستون
٤١ - ما بعد المركزية الأوربية بيتر جران
٤٢ - عالم ماك بنجامين بارير
٤٣ - اللهب المزوج أوكتايفر پاث
٤٤ - بعد عدة أصياف ألدوس هكسلي
٤٥ - التراث المغرور روبرت ج دنيا - جون ف أ قاين
٤٦ - عشرون قصيدة حب بابلو نيرودا
٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج١ رينيه ويليك
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية فرانسوا دوما
٤٩ - الإسلام في البلقان هـ . ت . نوريس
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير جمال الدين بن الشيخ
٥١ - مسار الرواية الإسبانية أمريكية داريو بيانوييا وخـ م بينياليستي
٥٢ - العلاج النفسي التدعيمي بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل
٥٣ - الدراما والتعليم أ . ف . ألتجتون
٥٤ - المفهوم الإغريقي للمسرح ج . مايكل والتون
٥٥ - ما وراء العلم چون بولكنجهوم
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١) فديريكو غرسية لوركا
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢) فديريكو غرسية لوركا
٥٨ - مسرحيتان فديريكو غرسية لوركا
٥٩ - المحبرة كارلوس مونيهث
٦٠ - التصميم والشكل جوهانز ايتين
٦١ - موسوعة علم الإنسان شارلوت سيمور - سميث
٦٢ - لذة النص رولان بارت
٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج٢ رينيه ويليك
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة) آلان وود
٦٥ - في مدح الكسل ومقالات أخرى برتراند راسل
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية أنطونيو جالا
٦٧ - مختارات فرناندو بيسوا
٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى فالنتين راسبوتين
٦٩ - العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين عبد الرشيد إبراهيم
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية أوخينيو تشانج رودريجت
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمل داريو فو
- ت : حياة جاسم محمد
ت : جمال عبد الرحيم
ت : أنور مغيث
ت : منيرة كروان
ت : محمد عيد إبراهيم
ت : عاطف أحمد / إبراهيم قنحي / محمود ماجد
ت : أحمد محمود
ت : المهدي أخريف
ت : مارلين تادرس
ت : أحمد محمود
ت : محمود السيد علي
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : ماهر جويجاتي
ت : عبد الوهاب علوب
ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
ت : محمد أبو العطا
ت : لطفى قطيم وعادل دمرداش
ت : مرسى سعد الدين
ت : محسن مصيلحي
ت : على يوسف على
ت : محمود على مكى
ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
ت : محمد أبو العطا
ت : السيد السيد سهيم
ت : صبرى محمد عبد الغنى
مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
ت : محمد خير البقاعى .
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : رمسيس عوض .
ت : رمسيس عوض .
ت : عبد اللطيف عبد الحليم
ت : المهدي أخريف
ت : أشرف الصباغ
ت : أحمد فؤاد متولى وهريدا محمد فهمى
ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
ت : حسين محمود

- ٧٢ - السياسى العجوز ت . س . إليوت
٧٣ - نقد استجابة القارئ جين . ب . توميكنز
٧٤ - صلاح الدين والماليك فى مصر ل . ا . سيمينوفا
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية أندريه موروا
٧٦ - چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى مجموعة من الكتاب
٧٧ - تاريخ النقد الألبى الحديث ج ٢ رينيه ويليك
٧٨ - العولة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية رونالد روبرتسون
٧٩ - شعرية التأليف بريس أوسبىنسكى
٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع» ألكسندر بوشكين
٨١ - الجماعات المتخيلة بندكت أندرسن
٨٢ - مسرح ميجيل ميجيل دى أونامونو
٨٣ - مختارات غوتفريد بن
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد مجموعة من الكتاب
٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية) صلاح زكى أقطاي
٨٦ - طول الليل جمال مير صادقى
٨٧ - نون والقلم جلال آل أحمد
٨٨ - الابتلاء بالتغرب جلال آل أحمد
٨٩ - الطريق الثالث أنتونى جينز
٩٠ - وسم السيف (قصص) نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية
٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق باربر الاسوستكا
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح كارلوس ميجيل
الإسباني وأمريكي المعاصر مايك فيذرستون وسكوت لاش
٩٣ - محدثات العولة صمويل بيكيت
٩٤ - الحب الأول والصحبة أنطونيو بويرو بايخو
٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني قصص مختارة
٩٦ - ثلاث زنبيقات ووردة فرنان برودل
٩٧ - هوية فرنسا (المجلد الأول) نماذج ومقالات
٩٨ - الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى ديفيد روبنسون
٩٩ - تاريخ السينما العالمية بول هيرست وجراهام تومبسون
١٠٠ - مساعلة العولة بيرنار فاليت
١٠١ - النص الروائى (تقنيات ومناهج) عبد الكريم الخطيبى
١٠٢ - السياسة والتسامح عبد الوهاب المؤدب
١٠٣ - قبر ابن عربى يليه آياه برتولت بريشت
١٠٤ - أوربا ماهوجنى جيرارچينيت
١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع د . ماريا خيسوس روبييرامتى
١٠٦ - الأدب الأندلسى نخبة
١٠٧ - صررة اللدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر
- ت : فؤاد مجلى
ت : حسن ناظم وعلى حاكم
ت : حسن بيومى
ت : أحمد درويش
ت : عبد المقصود عبد الكريم
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : أحمد محمود ونورا أمين
ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
ت : مكارم الغمري
ت : محمد طارق الشرقاوى
ت : محمود السيد على
ت : خالد المعالى
ت : عبد الحميد شيحة
ت : عبد الرازق بركات
ت : أحمد فتحى يوسف شتا
ت : ماجدة العنانى
ت : إبراهيم الدسوقي شتا
ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
ت : محمد إبراهيم مبروك
ت : محمد هناء عبد الفتاح

ت : نادية جمال الدين
ت : عبد الوهاب علوب
ت : فوزية العشماوى
ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
ت : إيوار الخراط
ت : بشير السباعى
ت : أشرف الصباغ
ت : إبراهيم قنديل
ت : إبراهيم فتحى
ت : رشيد بنحدو
ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
ت : محمد بنيس
ت : عبد الغفار مكاوى
ت : عبد العزيز شبيل
ت : أشرف على دعور
ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩ - حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء فى العالم النامى	حسنه بيجوم	ت : منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسييس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ - مسرحيتا حماد كونجى وسكان المستنق	ول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمىة رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : ليس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنيل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ - الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ - إمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيثل الكسندر وفناتولينيا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكاذب	جون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ - التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديفى	ت : سمحه الخولى
١٢٦ - فعل القراءة	فولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨ - الأدب المقارن	سوزان باسنيث	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ - الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العولة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - المختار من نقد ت. س. إليرت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليرت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ - منكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	جوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨ - عالم التلفزيون بين الجمال والعنف	إيقلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - باريس فى	ريشارد فاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ - قضايا التطوير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ - موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ - الورقة الحمراء	ميجيل دي ليبس	ت : علي عبد الرؤوف البعبي
١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة	تاكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوي
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكي أندرسون إمبرت	ت : علي إبراهيم علي منوفى
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ - التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد الخطابي
١٥٢ - غرام القراءة	فيولين فاتويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مى التلمساني
١٥٧ - خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
١٥٩ - الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ - آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومي
١٦١ - من المسرح الإسباني	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ - تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيرى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٢ - موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ - حكايات الثعلب	أ . ن أمانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ - العلاقات بين المتدينين والعلمايين في إسرائيل	يشعيا هو ليفمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ - في عالم طاغور	رابندراناث طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ - دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ - إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ - الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ - وضع حد	فرائك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ - حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابي
١٧٣ - معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ - التليفزيون في الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ - أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ - مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدي إبراهيم
١٧٩ - حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ - قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ - النقد الأدبي الأمريكي	فنسنت ، ب . ليتش	ت : محمد يحيى

- ١٨٢ - العنف والنبوة و . ب . بيتس
- ١٨٣ - جان كوكتو على شاشة السينما رينيه جيلسون
- ١٨٤ - القاهرة .. حاملة لا تنام هانز إيندورفر
- ١٨٥ - أسفار العهد القديم توماس تومسن
- ١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل ميخائيل أنوود
- ١٨٧ - الأرضة بؤرج علوى
- ١٨٨ - موت الأدب القين كرنان
- ١٨٩ - العمى والبصيرة پول دى مان
- ١٩٠ - محاورات كونفوشيوس كونفوشيوس
- ١٩١ - الكلام رأسمال الحاج أبو بكر إمام
- ١٩٢ - ساحت نامه إبراهيم بك ج١ زين العابدين المراغى
- ١٩٢ - عامل المنجم بيتر أبراهامز
- ١٩٤ - مضاربات من نقد الأنجلو - ليريكي مجموعة من النقاد
- ١٩٥ - شتاء ٨٤ إسماعيل فصيح
- ١٩٦ - المهلة الأخيرة فالنتين راسبوتين
- ١٩٧ - الفاروق شمس العلماء شبلى النعمانى
- ١٩٨ - الاتصال الجماهيرى إدوين إمري وآخرون
- ١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية يعقوب لاندائوى
- ٢٠٠ - ضحايا التنمية جيرمى سيبروك
- ٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة جوزايا رويس
- ٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث ج٢ رينيه ويليك
- ٢٠٢ - الشعر والشاعرية لطاف حسين حالى
- ٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم زلمان شارازار
- ٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات لويجى لوقا كافاللى - سفورزا
- ٢٠٦ - الهبولة تصنع علماً جديداً جيمس جلايك
- ٢٠٧ - ليل إفريقي رامون خوتاسنديز
- ٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى دان أوريان
- ٢٠٩ - السرد والمسرح مجموعة من المؤلفين
- ٢١٠ - مثريات حكيم سنائى سنائى الغزنوى
- ٢١١ - فردينان دوسوسير جوناثان كلر
- ٢١٢ - قصص الأمير مرزيان مرزيان بن رستم بن شروين
- ٢١٣ - سر منقود بلجين حتى رجل عبد القاهر ريمون فلادر
- ٢١٤ - قواعد جديدة للنهج فى علم الاجتماع أنتونى جيدنز
- ٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بك ج٢ زين العابدين المراغى
- ٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم مجموعة من المؤلفين
- ٢١٧ - مسرحيتان طليعيتان صمويل بيكيت
- ٢١٨ - رايولا خوليو كورتازان
- ت : ياسين ملة حافظ
- ت : فتحى العشرى
- ت : دسوقي سعيد
- ت : عبد الوهاب علوب
- ت : إمام عبد الفتاح إمام
- ت : علاء منصور
- ت : بدر الديب
- ت : سعيد الغامى
- ت : محسن سيد فرجاني
- ت : مصطفى حجازى السيد
- ت : محمود سلامة علاوى
- ت : محمد عبد الواحد محمد
- ت : ماهر شفيق فريد
- ت : محمد علاء الدين منصور
- ت : أشرف الصباغ
- ت : جلال السعيد الحفناوى
- ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
- ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
- ت : فخرى لييب
- ت : أحمد الأنصارى
- ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ت : جلال السعيد الحفناوى
- ت : أحمد محمود هويدي
- ت : أحمد مستجير
- ت : على يوسف على
- ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
- ت : محمد أحمد صالح
- ت : أشرف الصباغ
- ت : يوسف عبد الفتاح فرج
- ت : محمود حمدي عبد الغنى
- ت : يوسف عبد الفتاح فرج
- ت : سيد أحمد على الناصرى
- ت : محمد محمود محي الدين
- ت : محمود سلامة علاوى
- ت : أشرف الصباغ
- ت : نادية البنهاوى
- ت : على إبراهيم على متوفى

٢١٩ - بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ - الهيولية في الكون	باري باركر	ت : علي يوسف علي
٢٢١ - شعرية كفاقي	جريجوري جوزدانييس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ - فرانز كافكا	رونالد جراي	ت : نسيم مجلي
٢٢٣ - العلم في مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نقادي
٢٢٤ - دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ - حكاية غريق	جابريل جارتيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد علي البربري
٢٢٧ - المسرح الإسباني في القرن السابع عشر	موسى مارديا ديف بوركي	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : ماري تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ - مازق البطل الوحيد	نورمان كيغان	ت : أمير إبراهيم العمري
٢٣٠ - عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣١ - الدرافيل	خايمي سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ - مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ - الإسلام في السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ - ديوان شمس تبريزي ج ١	جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٣٦ - الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ - مصر أرض الوادي	روين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ - العولة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربي منبولى أحمد
٢٣٩ - العربي في الأدب الإسرائيلي	جيلارافر - رايوخ	ت : نانية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامي حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ - في انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ - سبعة أنماط من الغموض	وليام إميسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبي
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ١)	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ - الغليان	لاورا إسكيبييل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ - نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق علي منصور
٢٤٦ - قصص مختارة	جابريل جرتيا ماركث	ت : علي إبراهيم علي منوفى
٢٤٧ - الثقافة الجغرافية والحداثة في مصر	ولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء	أنطوني جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ - لغة التمزيق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباطة
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : علي بدران
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومي
٢٥٤ - الفلسفة	ديف روينسون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ - أفلاطون	ديف روينسون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ - ديكارت	ديف روبنسون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ - الفجر	سير أنجوس فريزر	ت : عبادة كحيلة
٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : فاروجان كازانچيان
٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
٢٦١ - رحلة في فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ - مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ - الكشف عن حافة الزمن	جون جرين	ت : علي يوسف علي
٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ - روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ - مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ - فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودى
٢٦٨ - ديوان شمس تبريزى ج ٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ١	وليم جيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ٢	وليم جيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ - الحضارة الغربية	توماس سى ، باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ - الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ - الاستثمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ - السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ - ت. س. إيوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ - فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ - الهينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ - البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ - من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ - الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ - السهل يحترق	خوان رواقو	ت : على البعبى
٢٨٤ - هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت : أحمد عثمان
٢٨٥ - رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ - سياحت نامه إبراهيم بك ج ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ - الثقافة والعولة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ - الفن الروائى	بيفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ - ديوان منجوهري الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ - علم اللغة والترجمة	جورج مونا	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ - المسرح الإسباني فى القرن العشرين ج ١	فرانشيسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ - المسرح الإسباني فى القرن العشرين ج ٢	فرانشيسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ - مقدمة للأدب العربي	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ - فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ - سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ - مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوي
٢٩٧ - فن النحر بين اليونانية والسورية	ديونيسيوس ثراكس - يوسف الأهواني	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ - مأساة العبيد	أبو بكر تقاوا بليوه	ت : مصطفى حجازي السيد
٢٩٩ - ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ - أسطورة برومئوس مج ١	لويس عوض	ت : جمال الجزيري وبهاء جاهين
٣٠١ - أسطورة برومئوس مج ٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيري ومحمد الجندي
٣٠٢ - فنجنشتين	جون هيتون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٢ - بوذا	جين هوب وبيرون فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ - ماركس	ريوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ - الجلد	كروزيو مالابارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ - الحماسة - النقد الكانطي للتاريخ	جان - فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ - الشعور	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ - علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ - الازمن والمخ	انجوس چيلاتي	ت : جمال الجزيري
٣١٠ - يونج	ناجي هيد	ت : محيي الدين محمد حسن
٣١١ - مقال في المنهج الفلسفي	كولنجوود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ - روح الشعب الأسود	وليم دي بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ - أمثال فلسطينية	خابير بيان	ت : عبد الله الجعدي
٣١٤ - الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعي
٣١٥ - جرامشي في العالم العربي	ميشيل بروندينو	ت : كاميليا صبحي
٣١٦ - محاكمة سقراط	أ. ف. ستون	ت : نسيم مجلي
٣١٧ - بلاغ	شير لايموفا - زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ - الأدب الروسي في السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ - صور دريدا	جايتير ياسبيفاك وكريستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ - لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ١)	ليفى برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ - وجهات نظر حديثة في تاريخ الفن العربي	دبليو. إيوجين كلينباور	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ - فن الساتورا	تراث يوناني قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ - اللعب بالنار	أشرف أسدي	ت : محمود سلامة علاوي
٣٢٥ - عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كريستين يوسف
٣٢٦ - المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ - مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق على منصور
٣٢٨ - يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ - رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم

٢٢٠ - كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت : سامى صلاح
٢٢١ - عندما جاء السردين	ستيفن جراي	ت : سامية دياب
٢٢٢ - رحلة شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٢٣ - الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت : بكر عباس
٢٢٤ - لقطات من المستقبل	آرثر س. كلارك	ت : مصطفى فهمى
٢٢٥ - عصر الشك	ناتالى ساروت	ت : فتحى العشرى
٢٢٦ - متون الأهرام	نصوص قديمة	ت : حسن صابر
٢٢٧ - فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٢٨ - نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٢٩ - تاريخ الأدب فى إيران ج٢	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٢٤٠ - اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت : فخرى لييب
٢٤١ - قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت : حسن حلمى
٢٤٢ - سلامان وأيسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٢٤٣ - العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	ت : سمير عبد ربه
٢٤٤ - الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	ت : سمير عبد ربه
٢٤٥ - الركض خلف الزمن	بونه ندانى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦ - سحر مصر	رشاد رشدى	ت : جمال الجزيرى
٢٤٧ - الصبوة الطائشون	جان كوكتو	ت : بكر الطلو
٢٤٨ - المتصوفة الأوائل فى الألب التركى جا	محمد قواد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٢٤٩ - دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والدرون وآخرين	ت : أحمد عمر شاهين
٢٥٠ - بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت : عطية شحاتة
٢٥١ - مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٥٢ - قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت : نعيم عطية
٢٥٣ - الفن الإسلامى فى الأندلس (مكتسبة)	باسيليو يابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٥٤ - الفن الإسلامى فى الأندلس (نباتية)	باسيليو يابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٥٥ - التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٥٦ - الميراث المر	بول سالم	ت : بدر الرفاعى
٢٥٧ - متون هيرميس	نصوص قديمة	ت : عمر الفاروق عمر
٢٥٨ - أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت : مصطفى حجازى السيد
٢٥٩ - محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت : حبيب الشارونى
٢٦٠ - أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت : ليلي الشربيني
٢٦١ - التصحر : التهديد والمجابهة	ألان جرينجر	ت : عاطف معتمد وأمال شاور
٢٦٢ - تلميذ باينبرج	هاينرش شبورال	ت : سيد أحمد فتح الله
٢٦٣ - حركات التحرر الأفريقى	ريتشارد جيبسون	ت : صبرى محمد حسن
٢٦٤ - حادثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت : نجلاء أبو عجاج
٢٦٥ - سأم باريس	شارل بودلير	ت : محمد أحمد حمد
٢٦٦ - نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت : مصطفى محمود محمد
٢٦٧ - القلم الجرىء	نخبة	ت : البراق عبد الهادى رضا

- ٣٦٨ - المصطلح السورى جيرالد برنس
٣٦٩ - المرأة فى أدب نجيب محفوظ فوزية العشماوى
٣٧٠ - الفن والحياة فى مصر الفرعونية كليلا لويت
٣٧١ - المتصوفة الأولون فى الألب التركى ج٢ محمد فؤاد كوبريلى
٣٧٢ - عاش الشباب وانغ مينغ
٣٧٣ - كيف تعد رسالة دكتوراه أمبرتو إيكو
٣٧٤ - اليوم السادس أندريه شديد
٣٧٥ - الخلود ميلان كونديرا
٣٧٦ - الغضب وأحلام السنين نخبة
٣٧٧ - تاريخ الأدب فى إيران ج٤ على أصغر حكمت
٣٧٨ - المسافر محمد إقبال
٣٧٩ - ملك فى الحديقة سنيل باث
٣٨٠ - حديث عن الخسارة جوتتر جراس
٣٨١ - أساسيات اللغة ر.ل. تراسك
٣٨٢ - تاريخ طبرستان بهاء الدين محمد إسفنديار
٣٨٣ - مديّة الحجاز محمد إقبال
٣٨٤ - القصص التى يحكيها الأطفال سوزان إنجيل
٣٨٥ - مشترى العشق محمد على بهزادراد
٣٨٦ - نفاعاً عن التاريخ الأنبي النبوى جانيت تود
٣٨٧ - أغنيات وسوناتات چون دن
٣٨٨ - مواظ سعدى الشيرازى سعدى الشيرازى
٣٨٩ - من الأدب الباكستانى المعاصر نخبة
٣٩٠ - الأرشيقات والمدن الكبرى نخبة
٣٩١ - الحافلة الليلية مايف بينشى
٣٩٢ - مقامات ورسائل أندلسية فرناندو دي لاجرانخا
٣٩٣ - فى قلب الشرق ندوة لويس ماسينيون
٣٩٤ - القوى الأربع الأساسية فى الكون بول ديفيز
٣٩٥ - آلام سياوش إسماعيل فصيح
٣٩٦ - الساقاك تقى نجارى راد
٣٩٧ - نيتشه لورانس جين
٣٩٨ - سارتر فيليب تودى
٣٩٩ - كامى ديفيد ميروفتس
٤٠٠ - موه مشيانيل إنده
٤٠١ - الرياضيات زيادون ساردر
٤٠٢ - هوكنج ج.ب. ماك ايفوى
٤٠٣ - ربة المطر والملابس تصنع الناس تودر شتورم
٤٠٤ - تعريضة الحسى ديفيد إبرام
٤٠٥ - إيزابيل أندريه جيد
٤٠٦ - المستعربون الإسبان فى القرن ١٩ مانويلا مانتاناريس
٤٠٧ - الألب الإسبانى للعصر بقلم كلبه أقلام مختلفة
٤٠٨ - معجم تاريخ مصر جوان فوشركنج
٤٠٩ - انتصار السعادة برتراند راسل
- ت : عابد خزندار
ت : فوزية العشماوى
ت : فاطمة عبد الله محمود
ت : عبد الله أحمد إبراهيم
ت : وحيد السعيد عبد الحميد
ت : على إبراهيم على منوفى
ت : حمادة إبراهيم
ت : خالد أبو اليزيد
ت : إدوار الخراط
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : يوسف عبد الفتاح فرج
ت : جمال عبد الرحمن
ت : شيرين عبد السلام
ت : رانيا إبراهيم يوسف
ت : أحمد محمد نادى
ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
ت : إيزابيل كمال
ت : يوسف عبد الفتاح فرج
ت : ريهام حسين إبراهيم
ت : بهاء جاهين
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
ت : عثمان مصطفى عثمان
ت : منى الدروبي
ت : عبد اللطيف عبد الحليم
ت : زينب محمود الخضيرى
ت : هاشم أحمد محمد
ت : سليم حمدان
ت : محمود سلامة علاوى
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : باهر الجوهري
ت : مدوح عبد المنعم
ت : مدوح عبد المنعم
ت : عماد حسن بكر
ت : ظبية خميس
ت : حمادة إبراهيم
ت : جمال أحمد عبد الرحمن
ت : طلعت شاهين
ت : عنان الشهاوى
ت : إلهامى عمارة

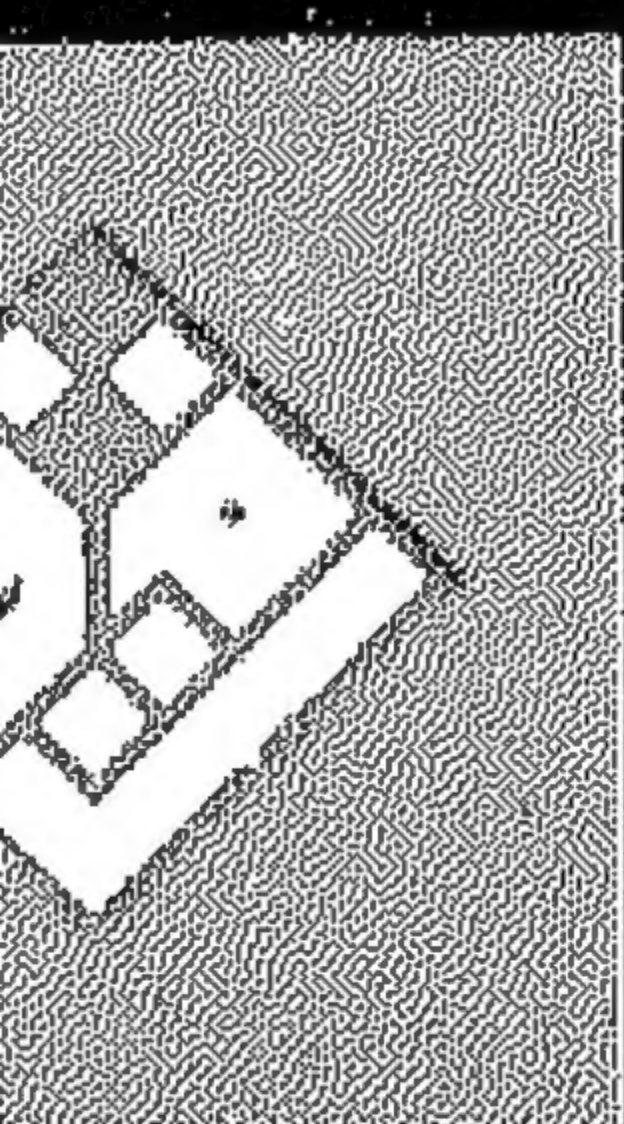
٤١٠ - خلاصة القرن	كارل بوهر	ت : الزواوي بغورة
٤١١ - همس من الماضي	جيتيفر أكرمان	ت : أحمد مستجير
٤١٢ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ٢)	ليفى بروفنسال	ت : نخبة
٤١٣ - أغنيات المنفى	ناظم حكمت	ت : محمد البخاري
٤١٤ - الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوف	ت : أمل الصبان
٤١٥ - صورة كوكب	فريدريش دورنيمات	ت : أحمد كامل عبد الرحيم
٤١٦ - مبادئ النقد الأدبي والطم والشعر	أ. أ. رتشاردز	ت : مصطفى بدوي
٤١٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٥	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤١٨ - سياسات الزمر الحاكمة في مصر العشانية	جين هاثواي	ت : عبد الرحمن الشيخ
٤١٩ - العصر الذهبي للإسكندرية	جون ماريو	ت : نسيم مجلى
٤٢٠ - مكرو ميجاس	فولتير	ت : الطيب بن رجب
٤٢١ - الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي	روى متحدة	ت : أشرف محمد كيلاني
٤٢٢ - رحلة لاستكشاف أفريقيا ج ١	نخبة	ت : عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٢٣ - إسرعات الرجل الطيف	نخبة	ت : وحيد النقاش
٤٢٤ - لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبد الرحمن الجامي	ت : محمد علاء الدين منصور
٤٢٥ - من طاووس حتى فرح	محمود طلوعى	ت : محمود سلامة علاوى
٤٢٦ - القفائش وتسع أخرى من أفغانستان	نخبة	ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧ - بانديراس الطاغية	باي إنكلان	ت : ثريا شلبى
٤٢٨ - الخزائن الخفية	محمد هوتك	ت : محمد أمان صافى
٤٢٩ - هيجل	ليود سبنسر وأندرجى كروز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٠ - كانط	كرستوفر وانت وأندرجى كليموفسكى	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣١ - فوكو	كريس ميروكس وزوران جفتيك	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٢ - ماكياثنى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٣ - جوبس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	ت : حمدى الجابري
٤٣٤ - الرمانسية	دونكان هيث وچودن بورهام	ت : عصام حجازى
٤٣٥ - توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زوبرج	ت : ناجى رشوان
٤٣٦ - تاريخ الفلسفة (مج ١)	فردريك كويلستون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٧ - رحالة هندي في بلاد الشرق	شيلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٤٣٨ - بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	ت : عايدة سيف الدولة
٤٣٩ - موت المرابى	صدر الدين عينى	ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠ - قواعد اللهجات العربية	كرستن بروتستاد	ت : محمد الشرقاوى
٤٤١ - رب الأشياء الصغيرة	أروناتى روى	ت : فخرى لبيب
٤٤٢ - حثشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ت : ماهر جويجاتى
٤٤٣ - اللغة العربية	كيس نرستينغ	ت : محمد الشرقاوى
٤٤٤ - أمريكا اللاتينية . الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	ت : صالح علمانى
٤٤٥ - حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	ت : محمد محمد يونس
٤٤٦ - التحالف الأسود	ألكسندر كوكيرن وجيفرى سانت كلير	ت : أحمد محمود

٤٤٧ - نظرية الكم	ج. پ. ماك ايفوى	ت : معدوح عبد المنعم
٤٤٨ - علم نفس التطور	ديلان ايفانز - أوسكار زاريت	ت : معدوح عبد المنعم
٤٤٩ - الحركة النسائية	مجموعة	ت : جمال الجزيري
٤٥٠ - ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا - ريببكارايت	ت : جمال الجزيري
٤٥١ - الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن / بوردن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢ - لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجنانزي / أوسكار زاريت	ت : محي الدين مزيد
٤٥٣ - القاهرة : إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	ت : حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤ - خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	ت : سوزان خليل
٤٥٥ - تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فردريك كويلستون	ت : محمود سيد أحمد
٤٥٦ - لا تنسني	مريم جعفرى	ت : هويدا عزت محمد
٤٥٧ - النساء في الفكر السياسي الغربى	سوزان مولر اوكين	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٨ - الموريسكيون الأندلسيون	خوليو كارو باروخا	ت : جمال عبد الرحمن
٤٥٩ - نمو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
٤٦٠ - الفاشية والنازية	ستوارت هود - ليتزا جانستز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٦١ - لكان	داريان ليدر - جودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٦٢ - طه حسين من الأزهر إلى السردون	عبد الرشيد الصادق محمودى	ت : عبد الرشيد الصادق محمودى
٤٦٣ - الدولة المارقة	ويليام بلوم	ت : كمال السيد
٤٦٤ - ديمقراطية القلة	ميكائيل بارنتى	ت : حصة منيف
٤٦٥ - قصص اليهود	لويس جنزيرج	ت : جمال الرفاعى
٤٦٦ - حكايات حب ويطولات فرعونية	فيولين فانويك	ت : فاطمة محمود
٤٦٧ - التفكير السياسى	ستيفين ديلى	ت : ربيع وهبة
٤٦٨ - روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٤٦٩ - جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	ت : مجدى عبد الرازق
٤٧٠ - الأراضى والجودة البيئية	نخبة	ت : محمد السيد الننة
٤٧١ - رحلة لاستكشاف أفريقيا ج ٢	نخبة	ت : عبد الله الرازق إبراهيم
٤٧٢ - دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	ت : سليمان العطار
٤٧٣ - دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	ت : سليمان العطار
٤٧٤ - الأدب والنسوية	بام موديس	ت : سهام عبد السلام
٤٧٥ - صوت مصر : أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	ت : عادل هلال عنانى
٤٧٦ - أرض العجايب بعيدة : بيرم التونسي	ماريلين بوث	ت : سحر توفيق
٤٧٧ - تاريخ الصين	هيلدا هوخام	ت : أشرف كيلانى
٤٧٨ - الصين والولايات المتحدة	ليو شيه تشنج ولى شى دونج	ت : عبد العزيز حمدي
٤٧٩ - المقهى (مسرحية صينية)	لاوشه	ت : عبد العزيز حمدي
٤٨٠ - تساي ون جى (مسرحية صينية)	كو مو روا	ت : عبد العزيز حمدي
٤٨١ - عبادة النبی	روى متحدة	ت : رضوان السيد
٤٨٢ - موسومة الأساطير والرموز اللغوية	روبير جاك تيبو	ت : فاطمة محمود
٤٨٣ - النسوية وما بعد النسوية	سارة چامبل	ت : أحمد الشامى
٤٨٤ - جمالية التلقى	هانسن روبرت يانس	ت : رشيد بنحبو

٤٨٥ - التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٦ - الذاكرة الحضارية	يان أسمن	ت : عبد الحليم عبد الغنى رجب
٤٨٧ - الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبادى	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٨ - الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٩ - هُسْرُل : الفلسفة علماً دقيقاً	هُسْرُل	ت : محمود رجب
٤٩٠ - أسفار البيغاء	محمد قدرى	ت : عبد الوهاب علوب
٤٩١ - نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	ت : سمير عبد ربه
٤٩٢ - محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	ت : محمد رفعت عواد
٤٩٣ - خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	ت : محمد صالح الضالع
٤٩٤ - كتاب الموتى (الخروج فى النهار)	نصوص مصرية قديمة	ت : شريف الصيفى
٤٩٥ - اللوبى	إدوارد تيفان	ت : حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦ - الحكم والسياسة فى أفريقيا ج١	إكرادو بانولى	ت : مجموعة من المترجمين
٤٩٧ - العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلى	ت : مصطفى رياض
٤٩٨ - النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	ت : أحمد على بدوى
٤٩٩ - تقاطعات : الأمة والمجتمع والجنس	نخبة	ت : فيصل بن خضراء
٥٠٠ - فى طقوس (دراسة فى السيرة الذاتية العربية)	تيتز روكى	ت : طلعت الشايب
٥٠١ - تاريخ النساء فى الغرب	آرثر جولد هامر	ت : سحر فراج
٥٠٢ - أصوات بديلة	هدى الصدة	ت : هالة كمال
٥٠٣ - مخفارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة	ت : محمد نور الدين عبد المنعم
٥٠٤ - كتابات أساسية ج١	مارتن هايدجر	ت : إسماعيل المصدق
٥٠٥ - كتابات أساسية ج٢	مارتن هايدجر	ت : إسماعيل المصدق
٥٠٦ - ربما كان قديساً	أن تيلر	ت : عبد الحميد فهمى الجمال
٥٠٧ - سيدة الماضى الجميل	بيتر شيفر	ت : شوقى فهم
٥٠٨ - المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبد الباقي جلبنارلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٩٠٢٦ / ٢٠٠٣



لا جرم أن الطريقة المولوية قد خلقت تأثيراً عميقاً في الأدب الصوفي التركي على العموم والأدب الإسلامي على الخصوص، وقد انتشرت هذه الطريقة في ربوع آسيا الوسطى ومنطقة الأناضول، وامتد تأثيرها حتى شمل مناطق العالم الإسلامي قاطبة. وثمة قسم من هذا الكتاب يعتمد على التاريخ، وقسم آخر يعتمد على المشاهدات التي رآها المؤلف رأى العين حيث استعان بالمناقب ورواية الوقائع والأحداث والنوادر بغية تجلية بعض الخصائص التي ميزت هذه الطريقة عن غيرها من الطرق الصوفية الأخرى.

ولسوف يرى القارئ بين دفتي هذا الكتاب تمحيصاً دقيقاً للمعلومات التي قدمها المؤلف مدعمة بالوثائق والحجج الدامغة، كما أفاض اللثام عن تطور الطريقة المولوية ومراحل تأسيسها وتفسخها وانتهيارها وتقويض أركانها وإواصر علاقاتها مع الطرق الأخرى والفروق الجوهرية التي أبرزتها وميزتها بسبب مشاعر ومفاهيم أولئك الذين اقتدوا طريقها واتبعوا سبيلها.